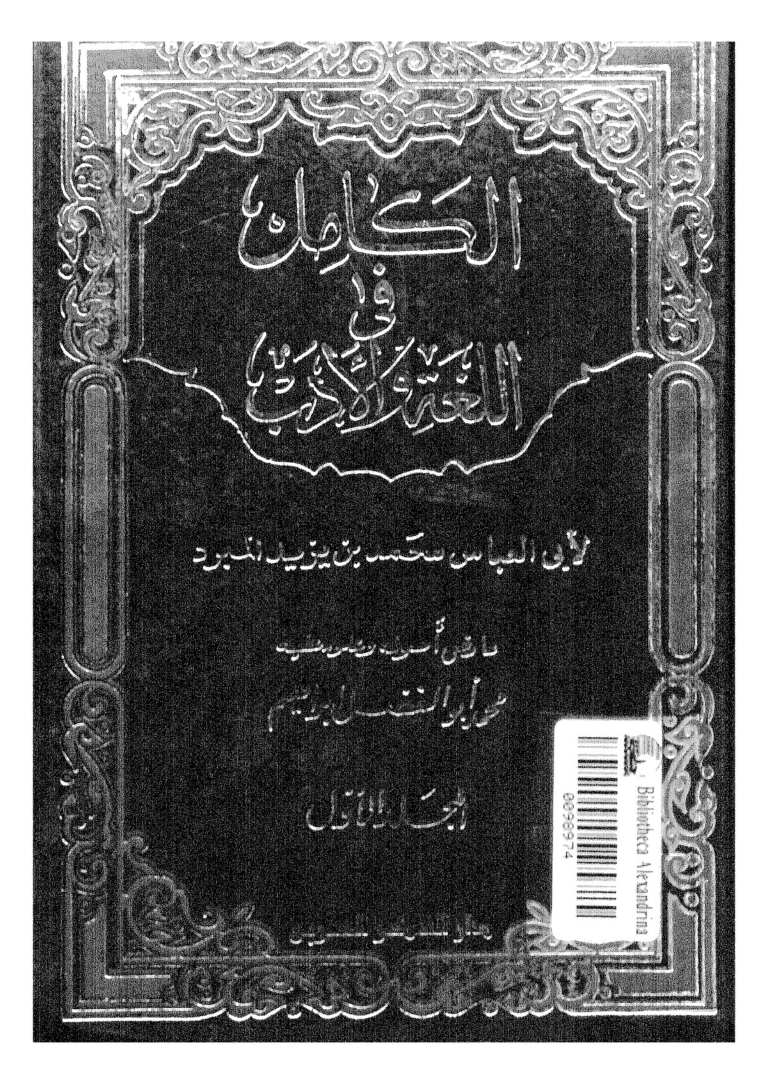


الكامل
في
اللغة والأدب
لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد
عارضه بأصوله وعلق عليه
محمد أبو الفضل إبراهيم
الجزء الأول

الكامل
في
اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

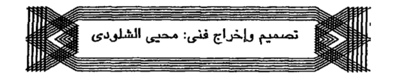
ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٨١٠ م ب ك أ	المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد، نحو ٨٢٦ - ٨٩٨. الكامل فى اللغـة والأدب/ لأبى العبـاس محمـد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم.ـ ط٣، جديدة. ـ القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٧. ٤ جزء ؛ ٢٤سم . يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية. يشتمل على كشافات. تدمك : ٥ - ٠٩٨٨ - ١٠ - ٩٧٧. ١ ـ اللغة العربية ـ مباحث عامة . الأدب العربى ٢ ـ الأدب العربى ـ مباحث عامـة . أ ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق. ب ـ العنوان.



رقم الإيداع	٤٦٠٠ / ٩٧
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 -0988-5

مطبعة المدني

بيان

روجع هذا الكتـاب على نسخـة مخطوطة قـيمـة محـفوظة بمكتبـة الأُسكريال فى أسبانيا تحت رقم ٢٢١، كـتبها لنفـسه أحد العلماء، وهو علىّ بن عـبد الله بن خلف بن محمـد بن النعمة، سنة ٥١٢ هـ،وقـد قوبلت على الأصـل، وقرأها بعض العلمـاء على كاتبها المذكور.

وهذه النسـخة مكتـوبة بخط أندلسى مـضبـوط بالحركـات، وبحواشيها تعليقات كثيرة، وتقع فى ١٧٢ ورقة، وفى كل صفحة ٢٧ سطرا، وبآخرها خرم يسير بين ورقتى ٤٥ و ٤٦.

وقد اعتبرت هذه النسخة أساسـا للمراجعة، ورمز إليها بلفظ الأصل.

ثم قوبل أيضا على النسخة الأوربية التى حققها الأستاذ رايت وتم طبـعهـا فى سنة ١٨٨١م، ورمز لهـا بالحرف «ر»، وأثبـتت الزيادات التى فيها بالحاشية، كما قوبلت على النسخة التى طبعت بالآستانة سنة ١٢٨٦هـ، وزمز لها بالحرف «س».

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

أخبرنا[١] أبو عثمان سعيدُ بنُ جابر[٢] قال: حدثنا أبو الحسن عَلِيُّ بنُ سليمانَ الأخفش[٣] قراءةً عليه قال: قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد ابن يزيد المُبَرِّد:

الحمد لله حمداً كثيراً يَبْلُغُ رضاه، ويوجب مَزِيده، ويُجِيرُ به من سَخَطِهِ، وصلى الله على محمد خاتَمِ النبيين، ورسولِ رب العالمين، صلاة تامة زاكية، تُؤَدِّي حقه، وتُزْلِفُ[٤] عند ربه.

قال أبو العباس: هذا كتاب أَلَّفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشِعْرٍ مَرْصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خُطبة شريفة، ورسالة بليغة.

والنِّيَّة فيه أن نُفَسِّرَ كلّ ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مُسْتَغْلَق[٥]، وأن نشرح ما يَعْرِض فيه من الإعْراب شرحًا وافيًا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يُرْجَعَ إلى أحد فى تفسيره مستغنيًا، وبالله التوفيقُ والحول والقوة، وإليه مَفْزَعُنا فى دَرْكِ كل طَلِبَة، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِنْ عَمَلٍ بطاعته، وعَقْدٍ يرضاه، وقول صادق يرفعه عملٌ صالح، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) ر، س: «حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال أخبرنا أبو عثمان...». وأبو بكر محمد بن عمر هو المعروف بابن القوطية، كان إماما فى العربية، وصحب أبا على القالى وتلمذ له، وهو أحد رواة الكامل بالأندلس، توفى سنة ٣٦٧. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٣:١٧٨).

(٢) هو سعيد بن جابر الكلاعى الأندلسى، توفى سنة ٣٢٦. (جذوة المقتبس ٢١٣) هـ .

(٣) هو على بن سليمان أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير، راوى كتاب الكامل وصاحب الحواشى التى فيه. سمع من المبرد وثعلب، توفى سنة ٣١٥. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢ ٢٧٦).

(٤) ر: «وتزلفه».

(٥) س: «منغلق»

باب

[وصف رسول الله للأنصار]

قال رسول الله ﷺ للأنصار[1] فى كلام جرَى: «إنكم لَتَكْثُرون عنْد الْفَزَع، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع».

الفزَع فيِ كلام العرب على وجهين: أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذُّعْر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، من ذلك قول سَلامة بن جَنْدل:

كُنَّا إذَا مــا أتانا صَــارِخٌ فَـزِعٌ كَانَ الصُّـرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنابِيب

يقول: إذا أتانا مُـسْتَغِيثٌ كانت إغـاثته الجدّ فى نصرته، يقـال: قَرَعَ لذلك الأمر ظُنْبوبه إذا جدّ فيه ولم يَفْـتُرْ، ويُشْتقُّ من هذا المعنى أنه يقع «فَزِعَ» فى معنى «أغاث»، كما قال الكَلحَبَةُ اليَرْبوعيّ:

* * *

[2][قال أبو الحسن: الكلحبة لقبه، واسمه هُبَيْرَة، وهو من بنى عَرِين بن يَرْبوع، والنسب إليه عَرِينِىّ، وكثير من الناس يقول: عُرَنىّ ولا يَدْرِى، وعُرَيْنَة من اليَمنَ، قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع:

عَــرِينٌ مِــن عُــرَيْنَةَ لَيْـسَ مِنَّا بَرِئْتُ إلَى عُــرَيْنَةَ منْ عَــرِين][2]

* * *

فَـقلْتُ لكَأْسٍ أَلْجِمِـيهَـا فَإِنَّمَـا حَلَلْتُ الكَثِيبَ من زَرُودَ لأفْزَعا[3]

يقول: لأُغِـيث. وكَاسٌ: اسم جـارية، وإنما أمرها بإلْجام فـرسه ليـغيث. والظُّنْبُوب: مُقدَّمُ الساق.

---

(1) جماعة منهم، وهم بنو عبد الأشهل، من ولد عمرو بن مالك بن أوس. (وانظر الفائق للزمخشرى ٢.٢٧٤).

(٢ - ٢) ما بين الرقمين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر.

(3) زرود: موصع فى طريق الحاج من الكوفة. والكثيب: القطعة من الرمل، مستطيلة محدودة.

[حديث: «ألا أخبركم بأحبكم إلى...»]

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبرُكُمْ بأحَبِّكُمْ إليَّ وأَقْرَبِكُمْ منِّى مَجَالسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَحاسِنُكُمْ أَخلاقًا، الـمُـوَطَئُونَ أَكْنَافًا، الَّذينَ يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ، أَلاَ أُخبرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إليَّ وأَبْعَدِكُم منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ الثَّرْثارُونَ الـمُتَفَيْهِقُونَ».

قوله ﷺ: «الموطئون أكنافا» مَثَل، وحقيقتُه أن التَّوْطِئَةَ هى التذليل والتمهيد، يقال: دابةٌ وَطِئٌ، يا فتى، وهو الذى لا يُحركُ راكِبَهُ فى مَسِيره، وفِرَاش وَطِئٌ إذا كان وَثيراً لا يُؤْذِى جَنْبَ النائم عليه، فأراد القائل بقوله: «مُوَطَّأُ الأكناف» أن ناحيته يتمكَّنُ فيها صاحبُها غيرَ مُؤْذًى، ولا نابٍ به موضعُه.

قال أبو العباس: حدثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشىُّ قال: حدثنى الأصْمَعىُّ قال: قيل لأعرابىٍّ - وهو الـمُنْتَجِعُ بن نَبْهان(1) -: ما السَّمَيْدَعُ؟ فقال: السيِّد الـمُوَطَّأُ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: فى المثَل: فلانٌ فى كنف فلان، كما يقال: فلان فى ظل فلان، وفى ذَرَى فلان، [وفى ناحية فلان،](2)، وفى حَيِّز فلان.

وقوله ﷺ «الثرثارون» يعنى الذين يُكْثِرُون الكلام تكلُّفًا وتَجاوُزًا، وخروجًا عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثَرْثارةٌ، وكان يقال لنهر بعينه: الثَّرْثارُ(3)، وإنما سمى به لكثرة مائه، قال الأخْطَلُ:(4)

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ ... عَلَى جَانِبِ الثَّرْثَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قوله: «راغية البكر» أراد أن بَكْرَ ثمود رَغَا فيهم فأُهْلِكُوا، فضربته العرب مَثَلاً، وأكثرت فيه، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفحل:

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ ... بِشِكَّتِــهِ لمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ(5)

---

(1) من طيئ؛ ذكره الزبيدى فى الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص 175.

(2) تكملة من ر.

(3) الثرثار: موضع عند تكريت.

(4) زيادات ر: «واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل. الخنزير»، وكذلك فى س.

(5) زيادات ر: «السقب: ولد الناقة، والشكة: ما يلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه».

[قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضا: الزالق]

وكذلك إذا لم تُضَعِّف الثاء فقلتَ: عينٌ ثَرَّةٌ: فإنما معناها غزيرة واسعة، قال عَنْتَرَةُ:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ   فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ(1)

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثَارَةِ، ولكنها فى معناها(2).

وقوله ﷺ: «المتفيهقون» إنما هو بمنزلة قوله: «الثرثارون» توكيد له، ومُتَفَيْهِق مُتَفَيْعِل، من قولهم: فَهِقَ الغَديرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مَزِيد، كما قال الأعشى:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ رَهْطِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ   كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

كذا يُنْشِدُه أهلُ البَصرة، وتأويله عندهم أن العراقىَّ إذا تَمكَّنَ من الماء ملأ جَابِيَتَه لأنه حَضَرِيّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّه.

قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنْشِد - [قال أبو الحسن هى أمُّ الهَيْثَمِ الكلابيَّةُ من ولد المحلَّق، وهى راوية أهل الكوفة] -: «كجابية السَّيْحِ» تريد النهر الذى يجرى على جابيته، فماؤها لا ينقطع؛ لأن النهر يَمُدُّهُ. ومثل قول البصريين فيما ذَكَرُوا به «العراقىَّ الشيخ» قولُ الشاعر - [قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّة] -:

لَهَا ذَنَبٌ ضَافٍ وذِفْرَى أَسِيلَةٌ   وَخَدٌّ كِمرْآةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ(3)

يقول: إن الغريبة لا ناصحَ لها فى وجهها، لبعدها عن أهلها، فمِرْآتُها أبدًا مَجْلوَّة، لفرْط حاجتها إليها.

---

(1) قال فى اللسان: «الحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز، أو أرض مرتفعة». وفى رواية التبريزى (شرح المعلقات 108): «كل قرارة كالدرهم».

(2) س، وحواشى ر: «ويجب أن يكون من الثرة ثرارة».

(3) ديوانه 88. والذفرى: الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن. وفى الديوان: «لها أذن حشر». والأذن الحشر: المحددة.

وتصديقُ مـا فسَّرنـاه من قول رسول الله ﷺ أنه يريد الصـدقَ فى الـمَنْطق والقصدَ، وتركَ ما لا يُحْـتاجُ إليه، قوله لجرير بن عبـد الله البَجَلِىِّ: «ياجَرِيُر، إذا قلتَ فأَوْجز، وإذا بَلَغْتَ حاجتَك فلا تتكَلَّف».

[كلمة أبى بكر فى مرضه لعبد الرحمن بن عوف]

قال أبو العباس: ومما يؤْثَرُ من حكيم الأخـبار، وبارع الآداب، ما حُدِّثْنا به عن عـبد الرحمـن بن عَوْف، وهو أنه قـال: دخلت يوما على أبى بكر الصـديق رحمة الله عليه فى عِلَّته التى مات فيها، فقلت له: أراك بارئًا يا خليفةَ رسول الله، فقال: أما إنِّى على ذَلك لَشَديدُ الوَجَع، ولَـمَا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمهَاجِرِينَ أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِى. إنِّى ولَّيتُ أُموركم خيـرَكم فى نفسى، فكلُّكم وَرِمَ أَنْفُهُ أن يكون له الأمر من دونه، والله لَتَـتَّخِذُنَّ نَضَائدَ الدِّيـباجِ، وستُورَ الحـرير، ولَتَأْلَمنَّ النَّوْمَ على الصُّوف الأَذْرَبِىِّ كمـا يَأْلَمُ أحدُكم النوم على حسَك السَّعْدان، والذى نفسى بيده لأن يُقَدَّمَ أحـدُكم فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فى غَـيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُـوضَ غَمَرات الدُّنيا. يا هادىَ الطَّريـق جُرْتَ ، إنما هـو والله الفَجْـرُ، أو الْبَجْرُ. فقلتُ: خَفِّضْ عليك يا خليفـةَ رسول الله، فإن هذا يَهِيـضُك إلى ما بك، فوالله مازلْـتَ صَالِحًا مُصْلِحًا، لاَ تَأْسَ على شىء فاتك من أمر الدنيـا، ولقد تَخَلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيرًا.

قوله: «نضائد الديباج» واحدتها نَضِيدةٌ، وهى الوسادة وما يُنْضَدُ من المتاع، قال الراجز:

وَقَـرَّبَتْ خُـدَّامُـهَـا الـوَسَـائدَا   حَـتَّى إذَا مَـا عَلَـوا النَّضَـائدا
سَبَّحْتُ رَبِّى قَائمًا وَقَاعدا

وقد تسمى العـرب جماعة ذلك النَّضَدَ، والمعنى واحـد، إنما هو ما نُضِدَ فى البيت من متاع، قال النابغة:

* وَرَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[1] *

---

(١) ديوانه ٢٤، وصدره:

* خَلَّتْ سبيل أتىٍّ كان يحبسه *

ويقال: نَضَدْتُ المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض، فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى: ﴿لها طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾(١)، وقال: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾(٢)، ويقال: نَضَدْتُ اللَّبِنَ على الميّت.

وقوله: «على الصوف الأذربيّ»، فهذا منسوب إلى أَذْرَبِيجانَ، وكذلك تقول العرب، قال الشَّمَّاخ:

تَذَكَّرتُهَا وَهْنًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا ... قُرَى أَذرَبِيجانَ المَسَالِحِ والجالِ(٣)

وقوله: «على حَسَكِ السَّعْدان»، فالسَّعدان نَبْتٌ كثير الْحَسك تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره، فمن أمثال العرب: «مَرْعًى ولا كَالسَّعْدان» تفضيلاً له، قال النابغة:

الْوَاهِب الْمِائةَ الأَبْكَارَ زَيَّنَهَا ... سَعْدَانُ تُوضِحَ في أوبارها اللِّبَدُ(٤)

ويرْوَى في بعض الحديث «أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ على حَسَكِ السَّعْدان»، والله أعلم بذلك.

* * *

[قال أبو الحسن: السَّعْدان: نبت كثير الشوك ـ كما ذكر أبو العباس ـ ولا سَاقَ له، إنما هو مُنْفَرِشٌ على وجه الأرض. حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشَّيْبانيّ عن ابن الأعرابيِّ، قال: قيل لرجل من أهل البادية ـ وخرج عنها ـ: أترجع إلى البادية؟ فقال: أمَّا مادام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِيًا فلا. يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبدًا، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدًا.

(١) سورة ق ١٠.

(٢) سورة الواقعة ٢٩، ٣٠.

(٣) المسالح: مواضع المخافة، والجال، ضبطت في الأصل بالفتحة والكسرة، وكذلك في إحدى النسخ التي قابل بها «ريط» نسخته. وقال المرصفي: «الجال: اسم لجماعة الخيل والإبل، أضاف أذربيجان إليهما إشعارا بأنها مملوءة بهما». وانظر ديوان الشماخ ١١٧، ومعجم البلدان ١: ١٥٩، واللسان (سلح)، وتاج العروس (ذرب)، والمعرب للجواليقي ٣٦.

(٤) توضح: من قرى اليمامة.

وقال أبو على البَصير - واسمه الفَضْل بن جعفر، وإن لم يكن بحجة، ولكنه أجاد فذكَرْنا شِعْرَهُ هذَا لِجَوْدته لا للاحتجاج به - يمدح عُبَيْدَ الله بن يحيى ابن خاقان وآلَه فقال:

يا وُزَرَاءَ السلطان أنتم وآلُ خاقانْ
كبَعْضِ ما رَوَيْنَا فى سالفات الأزمانْ
ماءٌ ولا كَصُدَّى مَرْعًى ولا كالسَّعْدانْ

وهذه الأمثال ثلاثة، منها قولهم: «مَرْعًى ولا كالسَّعدان»، و«فَتًى ولا كَمَالك»، و«ماء ولا كَصُدَّى»، تُضْرَبُ هذه الأمثال للشىء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أفضلُ منه، كقولهم: «ما من طامَّة إلا فوقها طامَّةٌ»، أى ما من داهية إلا وفوقها داهيةٌ، ويقال: طَما الماءُ وطَمَّ إذا ارتفع وزاد.

ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نُوَيْرَة، أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة.

وصَدَّاء يُمَدُّ، وبعضهم يقول: صُدَّى، فيضم أوله ويَقْصُرُ، فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد، فإنه قال: لم أسمع من أصحابنا إلا صَدْءَاء يَا فتى، وهو اسم لماء، معرفةٌ، وهما همزتان بينهما ألف، والألِف لا تكون إلا ساكنة، كأنك قلت: صَدْعاع يا هذا](١).

* * *

وقوله: «إنما هو والله الفجر أو الْبَجْرُ» يقول: إن انتظرتَ حتى يُضِىء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَك، وإن خَبَطْتَ الظَّلْماءَ، وركبتَ العَشْواء هَجَمَا بك على المكروه. وَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا، وتَحييرها أهلَها.

وقوله: «يَهيضُكَ» مأخوذ من قولهم: هِيضَ الْعَظْم إذا جُبِرَ ثم أصابه شىء يُعْنِتهُ فآذاه فكسره ثانية، أولم يكْسِرْهُ، وأكثر ما يستعمل فى كَسْرِه ثانيةً، ويقال: عظم مَهِيضٌ، وَجَناح مهِيضٌ فى هذا المعنَى، ثم يشتق لغير ذلك، وأصله ما ذكرت لك، فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد بن الْمُهلَّب

(١) ما بين العلامتين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر ، س.

سجْنه وَهَرَبَ، فكتب إليه: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْقَى مَا فعلْتُ، ولَكنَّكَ مَسْمُومٌ، ولَم أَكُنْ لأَضَعَ يَدِى فى يَدِ ابن عاتكَة(١). فقال عمر: اللَّهُمَّ إنَّهُ قَدْ هَاضَنِى فَهِضْهُ. فهذا معناه.

وقوله: «فكلّكم وَرِمَ أنفُهُ»، يقول: امتلأ من ذلك غَضَبًا، وذكر أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافع، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

* ولا يُهاجُ إذا ما أنفُهُ وَرِمَا *

أى لاَ يكَلَّمُ عند الغضب، ويقال للمائل برأسه كِبْرًا: مُتَشَاوِس، وثَانِى عطْفه، وثانِى جِيده، إنما هذا كله من الْكِبْرِياء. قال الله عز وجل: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾(٢)، وقال الشَّماخ(٣):

نُبِّئْتُ أَنَّ رُبَيْعًا أَنْ رَعَى إِبلاً ... يُهْدِى إِلَىَّ خَنَاهُ ثَانِىَ الجِيدِ

وقوله: «أراك بارئًا ياخليفة رسول الله»(٤) يكون من بَرِئْتُ من المرض وبَرَأْتُ، كلاهما يقال: فمن قال بَرِئتُ يقول: أَبْرَأُ(٥) يافتى لا غير، ومن قال: بَرَأْتُ قال فى المضارع: أَبْرَأُ وأَبْرُؤُ، يافتى، مثْل فَرَغَ وَيفْرُغُ. والآية تُقْرَأ على وجهين: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ(٦)﴾، و﴿سَنَفْرَغُ﴾، والمصدر فيهما «البُرءُ» يا فتى.

[عهد أبى بكر بالخلافة إلى عمر]

ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفةُ محمد رسول الله ﷺ، عندَ آخر عَهْدِه بالدنيا، وأول عَهْده بالآخرة، فى الحال التى يُؤْمنُ فيها الكافر، ويَتَّقِى فيها الفَاجِر. إنى استعملتُ عليكم عمرَ بنَ الخطاب، فإن بَرَّ وعَدَلَ

(١) زيادات ر: «هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه».

(٢) سورة الحج ٩.

(٣) زيادات ر: «يهجو الربيع بن علياء السلمى».

(٤) ر، س: «يا خليفة رسول الله ﷺ».

(٥) ر، س: «قال».

(٦) الرحمن ٣١.

فذلك علْمى به، ورأيـى فيه، وإن جار وبَـدَّلَ فلا علْمَ لى بالغيب، والخَـيرَ أَرَدْتُ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكتَسَبَ، وَسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقَلِبُون.

نصبَ «أىّ» بقـوله «يَنْقلبون» ولا يكون نَصـبهـا بـ «سيعـلم»؛ لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً امتنعت مما قـبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْمَلَ فيه مـا قبله، وذلك(١) قـولك: «علمتُ زيدًا منطلقًـا» فـإن أدخلْتَ الألف قلتَ: «علمتُ أزيـدٌ منطلقٌ أم لا»، فـأىٌّ بمنزلة زيـد الواقع بعـد الألف، ألا ترى أن مـعناها: أذا أم ذا. وقال الله عـزّ وجل: ﴿لنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِـمَا لَبِثوا أَمَدًا﴾(٢) لأن معناها: أهذا أم هذا؟ وَقـال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾(٣) على مـا فسرتُ لك، وتقـولُ: أَعْـلَـم أَيُّـهُمْ ضَـرَبَ زَيْـدًا، وأَعْـلَمُ أَيَّـهُمْ ضَـرب زيـد، تـنـصب أيًّا بـ «ضَـرب» لأن «زيدا» فاعل، فـإنما هذا لما بعده، وكـذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء الـمُسْتَـفْهَم بها، نحو: قد علمتُ غلامُ أَيِّهِمْ فى الدار، وقد عرفتُ غُـلامُ مَنْ فى الدار، وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ، فـتنصبه بـ «ضربت»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

[أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب]

ومما يُؤْثَرُ من هذه الآداب ويُقَدَّم قَولُ عـمرَ بنِ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خُطْبَةٍ خَطَبَها ـ حدثنا العُتْبىُّ قال: لم أرَ أقلَّ منها فى اللفظ، ولا أكثر فى المعنى ـ حَمِدَ الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنَّهُ وَالله مَا فيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عندى من الضَّعيفِ حَتَّى آخذَ الْحقَّ لَهُ، ولا أَضْعَفُ عِنْدى مِن الْقَوِىِّ حَتَّى آخُذَ الْحقَّ منه.

ثم نزل. وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقـه من قِبَلِ الاختيار، بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له:

(٤[قال أبو الحسن: قد رَوَيْنَا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما، وهو الصحيح]٤).

---

(١) ر ، س: «وذلك نحو قولك».

(٢) الكهف ١٢.

(٣) الكهف: ١٩.

(٤ ـ ٤) لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر ، س.

[رسالة عمر فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى]

قال أبو العبـاس: ومن ذلك رسالتُه فى القضاء إلى أبى مـوسى الأشعرىّ، وهى التى جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام، واختصرَها بأجود الكلام، وجَعَل الناسُ بعده يتخـذونها إمامًا، ولا يَجِـدُ مُحِقٌّ عنها مَعْـدِلا، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيـصًا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحـيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمـيرِ المؤمنين إلى عبـد الله بن قَيْسٍ. سلامٌ عليك، أمـا بعد، فإن القَضَـاءَ فَريضَةٌ مُـحْكَمَةٌ، وسُنَّةٌ مَتَّبَـعَةٌ، فافْهَمْ إذا أُدْلِىَ إليْكَ، فإنـه لا يَنْفَعُ تكَلمٌ بحق لاَ نفاذ له. آس بَيْنَ النَّاسِ بوَجْهِكَ[1]، وعَدْلك، ومَـجْلسك، حتَّى لا يَطْمَع شريفٌ فى حَيْـفك، ولا ييئس ضعيفٌ من عدلك. البيِّنَـةُ على مَنِ ادَّعَى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلاَّ صُلْحًـا أَحَلَّ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَـلالاً. لا يمنعنَّك قَضَاءٌ قَضَـيتَهُ اليومَ فَـرَاجَعْتَ فيه عَـقْلَكَ، وهُديتَ فيه لرُشْـدك، أن تَرْجِعَ إلى الحق، فإن الحق قديمٌ، ومراجعـةُ الحق خير من التمادى فى الباطل. الفَهْمَ الفَـهْمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما ليس فى كتاب ولاَ سُنَّة، ثم اعْرِفْ الأَشْـبَاهَ وَالأَمْثَالَ، فَقِسِ الأمُورَ عند ذلك، واعْمدْ إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واْجْعَلْ لِمن ادَّعَى حَقًّا غائبًا أو بينةً أَمَـدًا ينتَهى إليـه، فإن أحضـر بَيِّنَتَهُ أخَـذتَ له بحقـه، وإلاَّ استَحْلَلْـتَ عليه القضيةَ، فإنه أَنْفى للشك، وأَجْلَى للعمى. المسلمون عُدُولٌ بعضُهم على بعض إلاَّ مَجْلودًا فى حدّ، ومُـجَرَّبًا عليه شهـادةُ زُور، أو ظَنِينًا فى وَلاَء أوَ نَسَب، فإن الله تولَّى منكم السـرائر، ودَرَأَ بالبيِّـنات والأَيْمان. وإياك والغَلَقَ والضَّـجَرَ، والتَّـأَذِّىَ بالخصوم، والتَّنَـكُّرَ عند الخصومات، فإن الحق فى مَـواطن الحق لَيُعْظِمُ[2] الله به الأجر، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ، فـمن صَحَّتْ نيَّتُهُ، وأَقْبَلَ على نفسـه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانَهُ الله، فما ظنك بثواب غيْر الله عزّ وجل فى عاجلِ رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

---

(١) ر، س: «فى وجهك».

(٢) ر س: «يعظم».

قال أبو العباس: قوله: «آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك»، يقول: سَوِّ بينهم: وتقديره: اجعل بعضهم أُسْوةَ بعض، والتَّأسِّى من ذَا أن يَرَى ذُو الْبَلاء منْ به مثلُ بَلائه، فيكونَ قد ساواه فيه، فيُسكِّنَ ذلك من وَجْده، قالت الخنْساء:

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِى وَلكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى

يُذَكِّرُنِى طُلوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

تقول: أذكره فى أوَّل النهار للغارَة، وفى آخره للضِّيفان، وتمَثَّلَ مُصْعَبُ بن الزُّبيْرِ يومَ قُتِل بهذا البيت:

وَإنَّ الألَى بَالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَآسوْا فَسَنُّوا لِلْكِرامِ التَّآسِيَا[1]

وقوله: «حتى لا يطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك»، يقول: فى مَيْلك معه لشرفه.

وقوله: «فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك» يقول: تَرَدَّدَ، وأصل ذلك المُضْغَةُ والأكْلَةُ يُرَدِّدُها الرجلُ فى فيه فلا تزال تتردد إلى أن يُسيغَها أو يَقْذفها، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصلَها بأُخرى، يقال للْعَيِىِّ: لَجْلاَجٌ، وقد يكون من الآفة تعتَرِى اللسان، قال زُهَيْر:

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ ... أَصَلَّتْ، فَهِىَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ

وقوله: «أنِيضٌ» أى لم تَنْضَجْ[2]. ومن أمثال العرب: الحقُّ أَبْلَجُ، والباطل لَجْلَجٌ. أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا.

وقوله: «أوظَنِينًا فى وَلاء، أو نسب»، فهو المُتَّهَم، وأصله «مَظْنون»، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد، وظننت زيدا، أى اتَّهَمْتُ، ومن ذلك قول الشاعر ـ أحسِبُهُ عبد الرحمن بن حسَّان ـ:

فَلاَ وَيَمِينِ اللهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ ... هجِرْتُ، وَلَكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ[3]

---

(١) البيت فى الأغانى (١٧ ـ ١٦٥) ونسبه إلى سليمان بن قتة، وهو أيضا فى اللسان (أسا) من غير نسبه. قال ابن برى: «وتآسوا، من المؤاساة، كما ذكر الجوهرى، لا من التأسى كما ذكر المبرد».

(٢) كذا ذكره المبرد، وهو يوافق ما فى شرح الديوان، وفى اللسان (أنض): «فيها أنبض أى تغير» واستشهد بالبيت، وهو الأوفق.

(٣) البيت فى اللسان (ظن)، ونسبه أيضا إلى عبد الرحمن بن حسان، ثم ذكر أن ابن برى نسبه إلى نهار بن توسعة.

وفى بعض المَصَاحف: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾[1]: وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لمَا جاء عن النبى ﷺ: «مَلْعون مَلْعون مَن انْتَمَى إلى غير أبيه، أو ادَّعَى إلى غير مَوَاليه»، فلما كانت معه الإقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعًا.

وقوله: «ودَرأً بالبينات والأيمان» إنما هو دَفَعَ، من ذلك قول رسول الله ﷺ: «ادْرَءُوا الْحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ»، وقال الله عزّ وجل: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] وقال: ﴿فَادَّارَأْتُم فِيهَا﴾[3]، أى تَدَافَعْتُمْ.

وأما قوله: «وإياك والغَلَقَ والضَجَرَ» فإنه ضيقُ الصدر، وقلة الصبر، يقال فى سوء الْخُلُقِ: رجل غَلِقٌ، وأصل ذلك من قولهم[4]: غَلِقَ الرَّهْنُ، أى لم يوجد له تَخَلُّص، وأغْلَقْتُ البابَ مِن هذا، قال زُهَيْر:

وَفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَهُ ... يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقوله: «ومن تَخَلَّقَ للناس»، يقول: أَظْهَرَ للناس فى خُلُقِه خلافَ نيته.

وقوله: «تَخَلَّقَ» يريد أَظْهَرَ[5] مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جَمَالا وتَصَنَّعَ، وكذلك تجَبَّرَ، إنما تأويله الإظهار، أى أظهر جَبرِيَّةً، وإن شئت جَبَروتًا، وإن شئت جَبَروتَى [وإنْ شئْتَ جَبَرُوَّةً][6]. ومن كلام العرب على هذا الوزن: رَهَبُوتَى خير لك من رَحَموتَى، أى[7] تُرْهَبُ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ[7]. قال أبو العباس وأنْشَدونا عن أبى زيد[8]:

---

(١) التكوير: ٢٤، وهو مصحف عبد الله بن مسعود، (وانظر الكشاف).

(٢) سورة آل عمران: ١٦٨.

(٣) سورة البقرة: ٧٢.

(٤) ر: «وأصل ذلك من قولهم: اغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح، من ذلك قولهم: غلق الرهن...».

(٥) ر، س: «أظهر خلقا».

(٦) تكملة من ر

(٧ ـ ٧) ر، س «لأن تُرهب خير لك من أن ترحم».

(٨) زيادات س «الشعر لسالم بن وابصة الأسدى».

يأيهـا المتَـحلِّي غَـيْـرَ شـيمَـتـه إنَّ التَّخلُّقَ يأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ(١)
ولاَ يُؤَاتيكَ فيما نَابَ مِنْ حَدَثٍ إلاَّ أَخُـو ثِقَةٍ فَـانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

قال: وأنشدتني أمُّ الْهَيْثَمِ الكلاَبِيَّةُ:

وَمَنْ يتَّخِذْ خِيَما سِوىَ خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ علَى النفْسِ خِيمُهَا(٢)

وقال ذو الإصبعِ الْعَدْوَانِيُّ(٣):

كلُّ أمْـرِئٍ رَاجعٌ يوْما لِشيـمَتِـهِ وَإِنْ تَمـتَّعَ أَخْلاقَـا إلَى حِـين

وأما قـوله: «ثواب»، فاشتقـاقه من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجعَ، وتأويله مـا يَثُوب إليك من مُكافأة الله وفضله.

[كتاب عثمان إلى على بن أبى طالب حين أحيط به]

وكتب عثمانُ بن عَفَّانَ إلى علي رحمه الله(٤) حين أُحيطَ به:

أما بعدُ: فـإنه قد جاوَزَ الماءُ الزُّبَى، وبَلَغَ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ، وتجاوَزَ الأمرُ بى قَدْرَهُ، وطَمِعَ فِيَّ مَن لا يَدْفَع عن نفسه

فَإِنْ كُنتُ مَأْكُـولاً فَكُنْ خَيْرَ آكلٍ وَإِلاَّ فَـأَدْرِكْنِي ولَمَّا أُمَـزَّقِ(٥)

قوله: «قد جاوز الماء الزبى» فالزُّبْيَةُ مَـصْيَدة الأسد، ولا تُتَّخَذ إلا فى قلة أو رَابِيَةٍ أو هَضَبَةٍ، قال الراجز(٦):

كالَّلذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

---

(١) الشعر فى ر هكذا:

يأيهـا المتـحلي غـير شـميـتـه [ومن سـجيـتـه الإدغـال والملق
دع التـخلق يبـعـد عنك أوله] إن التـخلق يـأتى دونـه الخلـق
ولا يؤاتيك فـيمـا ناب من حـدث إلا أخـو ثقـة، فـانظر بمن تـثق

وانظر رواية الأبيات فى ديوان الحماسة ٢: ٢٣٦ ـ بشرح التبريزي.

(٢) البيت فى اللسان (خيم) من غير نسبة.

(٣) زيادات ر: «ذو الإصبع اسمه حرثان بن الحارث بن محرث، وقيل له ذو الإصبع؛ لأن أفعى نهشت إصبعه».

(٤) ر. «على بن أبى طالب رحمهما الله»، س: «على بن أبى طالب رضى الله عنهما».

(٥) البيت للممزق العبدى، واسمه شأس بن نهار، (وانظر المؤتلف والمختلف للآمدى ١٨٥)

(٦) قبله في زيادات ر:

* فأنت والأمر الذى قد كيدا *

وقال الطِّرِمّاح:

يَاطَيِّئَ السَّهلِ وَالأجْبَال(١)، مُوعِدُكُمْ　　كَمُبْتَغِي الصيّدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الأَسَدِ

وتقول العرب: «قد عَلاَ الماءُ الزُّبى»، و«قد بَلَغَ السِّكِّينُ الْعَظْمَ»، و«بَلَغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ»، و«قد انقطع السَّلَى فى البطن».

فالسَّلَى من المرأة والشاة ما يَلْتَفُّ فيه الولدُ فى البطن، وقال العَجَّاجُ:

فَقَدْ عَلاَ المَاءُ الزُّبى فَلاَ غِيَرْ

أى: قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلَحَ.

وقوله: «وبلغ الحزام الطبيين»، فإن السِّباعَ والخيلَ يقال لموضع الأَخْلاف منها: أَطْباءٌ يا فتى، واحدها طُبْيٌ، كما يقال فى الظِّلْف والْخُفِّ: خِلْفٌ، هذا مكانُ هذا، فإذا بلغ الحزامُ الطُّبيين فقد انتهى فى المكروه، ومثل هذا من أمثالهم: «التَقَتْ حَلْقَتَا البِطَان»(٢): [ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب](٣)، ويقال: حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ فى الحَقَب(٤)، قال الشاعر(٥):

إِذَا مَا حَقِبٌ جَالَ　　شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ

وقال أَوْس بن حَجَرٍ:

وَازْدَحَمتْ حَلْقَتَا الْبِطَانِ بِأَقْوامٍ　　وَطَارَتْ نُفوسهمْ جَزَعَا

وتَمثُّلُه بالبيت يشاكلُ قولَ القائل:

فَإِنْ أَكُ مَقْتُولاً فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي　　فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

---

(١) أجبال طيئ: أجا وسلمى والعوجاء.

(٢) البطان: حزام الرحل.

(٣) من ر ، س.

(٤) الحقب: حزام يشد به رجل البعير.

(٥) ر: «قال أبو بكر: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأوله.

سُلَيمى تلْكَ فى العِيرِ　　قفى إنْ شئْت أو سيرى

فَلمَّا أنْ بَدَا الصبحِ　　بأَصوَاتَ العَصَافيرِ

خَرجْنَا نَبْتَغِي الصيْدَ　　بأمثالَ اليعَافيرِ

إذا ما حَقِبٌ جَالَ　　شَدَدناهُ بتَصديرِ

زَجرْنَا العِيسَ فارمَدّتْ　　بِإهْذاب وَتَشمِيرِ

[عتاب عثمان على بن أبى طالب]

ويروى عن قَنْبَرٍ مَوْلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: دخلتُ مع علىّ بن أبى طالب على عثمـان بن عفَّان رضى الله عنهما، فأحَـبَّا الخَلْوَة، فأَوْمأ إلىّ عَلَىٌّ بالتَّنحِّى، فتَنَحَّيْتُ غَـيْرَ بَعِيد، فَجَعَلَ عثمـانُ يعاتب عليًا وعلىٌّ مُطْرِقٌ، فَأَقْبَلَ عليه عـثمانُ فقال: ما بالك لا تقول؟ فـقال: إن قلتُ لم أقل إلا ما تَكْرَه، وليس لك عندى إلا ما تُحِبُّ.

تأويل ذلك: إن قلتُ اعْـتَـدَدْتُ عليك بمثل مـا اعـتـددتَ به عَلَىَّ فَلَذَعَك عتابى، وعقْدى ألا أَفْعَلَ - وإن كنتُ عاتبًا - إلا ما تُحِبُّ.

[خطبة على بن أبى طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان]

وتَحدَّث ابنُ عـائشةَ فى إسناد ذكَره أن عليا رحـمه الله انتهى إليـه أنَّ خيلا لمعاويةَ وردت الأَنْبارَ، فقَتَلـوا عاملاً له يقال له: حَسَّانُ بن حسان، فخـرج مُغْضَبا يجُرُّ ثوبه حـتى انتهى[1] إلى النُّخَـيْلَة، واتَّبـعه الناس، فـرَقِىَ رَبَاوَةً من الأرض، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أما بعـدُ، فإن الجهادَ بَابٌ من أبواب الجنة، فَـمَنْ تركه رَغْبَة عنه أَلْـبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ، وسيمـاَ الخسفِ ودُيِّثَ بالصَّغار. وقد دعوتكم إلى حَـرْب هؤلاء القوم ليلا ونهاراً، وسراً وإعْلانًا، وقلتُ لكم: اغزوهم مـن قبل أن يَغْزُوكم، فو الذى نفسى بيده ما غُـزِىَ قومٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارهم إلاّ ذَلُّوا. فتـخاذلتم وتَوَاكَلْتُمْ، وثَقُلَ عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ. هذا أخو غامد، قد وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنبارَ، وقـتَلوا حَسَّان بن حَسَّان، ورجالا منهم كـثيراً ونساءً - والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يَدْخَلُ على المرأة المُسْلمة والمعاهَدة، فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهـمَا - ثم انصرفوا مَوْفُـورين لم يُكْلَمْ منهم أحدٌ كَلْما. فلو أن امْـرأً مسلمًا مات من دون هذا أسَفًا ما كان عندى فيه مَلُوما، بل كان عندى به جَديرا. ياعَجبا كلَّ العَجَب! [عجبٌ يميت القَلْبَ، ويَشْغَلُ الفهمَ، ويكثر الأحزان][2] من تَضَافُرِ

---

(١) ر. «حتى أتى النخيلة»، والنخلة: موضع قرب الكوفة.

(٢) من ر.

هؤلاء القوم على باطلهم، وفَشَلِكُمْ عن حقكم، حتى أصبحتم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون، ويُغارُ عليكم ولا تُغيرون، ويُعْصَى اللهُ عزَّ وَجل فيكم وتَرْضَوْنَ. إذا قلتُ لكم: اغزوهم فى الشتاء قلتم: هذا أَوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ، وإن قلتُ لكم: اغْزُوهم فى الصيف قلتم: هذه حَمَارَّةُ القَيْظ، أنظِرْنَا يَنْصَرِمِ الحرُّ عنا. فإذا كنتم من الحر والبرد تَفِرُّون، فأنتم من السَّيْفِ أفَرُّ، يا أشْباهَ الرجال ولا رجال! ويا طَغَامَ الأحْلام، ويا عُقُول ربَّاتِ الحِجال، والله لقد أفسدتم عَلَيَّ رأيى بالْعِصْيان، ولقد ملأتم جَوْفِى غَيْظًا، حتى قالت قُرَيْشٌ: ابنُ أبى طالب رجل شجاع، ولكن لا رَأْيَ له فى الحرب. لله دَرُّهُمْ! ومَنْ ذا يكونُ أعلَمَ بها منى، أو أشدَّ لها مِرَاسًا! فوالله لقد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغْتُ العِشْرين، ولقد نَيَّفْتُ اليوم على الستين. ولكن لا رأى لمن لا يُطاع! - يقولها ثلاثًا.

فقام إليه رجل ومعه أخوه[1]، فقال: يا أميرَ المؤمنين: أنا وأخى هذا كما قال الله عز وجلّ: ﴿رَبِّ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وأَخِى﴾[2] فَمُرْنَا بأمرِك، فوالله لنَنْتَهِيَنَّ إليه، ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغضا، وشَوْكُ القَتَادِ. فَدَعا لهما بخير، ثم قال: وأين تَقَعَان مما أريد! ثم نَزَل.

قال أبو العباس قوله: «سِيما الخَسْف»، قال: هكذا حدَّثوناه، وأظنه «سِيمَ الخَسْفَ» يا هذا، من قول الله عزّ وجل: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العذابِ﴾[3] ومعنى قوله: «سيما الخسف» تأويله عَلامَةٌ، هذا أصل ذا، قال الله عزّ وجل: ﴿سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[4]، وقال عز وجلّ: ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[5].

---

(١) زيادات ر: «الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار» وفى حاشية الأصل: «هو جندب بن عفيف، وأخوه من الأزد».

(٢) سورة المائدة ٢٥.

(٣) سورة البقرة ٤٩.

(٤) سوره الفتح ٢٩.

(٥) سورة الرحمن ٤١.

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾(1) قال: مُعْلِمِين(2) واشتقاقه من السِّيمَا التى ذكرنا. ومن قال: ﴿مُسَوَّمِينَ﴾، فإنما أراد مُرْسَلِين: من الإبل السائمة، أى المُرْسَلَة فى مراعيها، وإنما أخذ هذا من التفسير. وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿والخَيْلِ المُسَوَّمَة﴾(3) القولين جميعًا مع العَلامة والإرسال، وأما فى قوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُود * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾(4) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحدًا، قالوا: «مُعْلَمَةً»، وكأن عليها أمثالُ الخواتيم، ومن قال: «سيما» قَصَر. ويقال فى هذا المعنى: سِيمِياء، ممدود، قال الشاعر(5):

غلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحسْنِ يَافِعًا ... لَهُ سيمياء لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ(6)

وقوله رحمه الله: «وقَتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان»، مَنْ أخَذَ حَسَّانًا من الحُسْنِ صَرَفَهُ لأن وزنه «فَعَّالٌ» فالنون منه فى موضع الدال من «حَمَّاد»، ومن أخَذَهُ من الحِسِّ لم يَصْرِفْهُ لأنه حينئذ فَعْلان فلا ينصرف فى المعرفة، وينصرف فى النكرة، لأنه لَيْسَتْ لَهُ «فَعْلَى»، فهو بمنزلة سَعْدَان وسرْحان.

وقوله: «دُيِّثَ بالصَّغَار»، تأويله: ذُلِّلَ يقال للبعير إذا ذَلَّلَتْهُ الرياضَةُ: بعير مُدَيَّثٌ، أى مُذَلَّل.

وقوله: «فى عُقْر دارهم»، أى فى أصل دارهم، والعُقْرُ: الأصل، ومنْ ثَمَّ قيل: لفلان عَقَار، أى أصل مال، ويُروى عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ بَاعَ داراً أو عَقَاراً فلم يَرُدَّ ثَمَنَهُ فى مثله فذلك مالٌ قَمِن ألاَّ يُبَارَكَ [له](7) فيه». وقوله: قَمَنٌ يريد: خَلِيقٌ، ويقال أيضًا: قَمِين وقمِن.

---

(1) سورة آل عمران 125.

(2) المعلم، بكسر اللام: الفارس الذى أعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه.

(3) سورة آل عمران 14.

(4) سورة هود 82، 83.

(5) زيادات ر: «وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى».

(6) بعده فى زيادات ر:

كأن الثريا علقت فى جبينه ... وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

(7) من س.

[قال أبو الحسن: من قال: قَمَنٌ لم يُثنّ ولم يَجْمع، ومَنْ قال: قمنٌ وقَمِينٌ ثَنَّى وَجَمَعَ](١).

ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيْعَةً، أو داراً: تَأثَّلَ فلان، أى اتخَذَ أصلَ مال.

وقـوله: «وتَوَاكَلْتم»: إنما هـو مشـتقٌ مـن وكَلْتُ الأمـرَ إليكَ ووكلْتَـهُ إلىّ [أنت](٢) أى: لَم يَتَوَلَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه، ولكن أحالَ به كل واحد منا على الآخر، ومن ذلك قول الحُطَيْئَة:

فَلأْيًا قَصَرْت الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرة ... أَمُونٍ إذَا وَاكَلْتَـهَا لا تُواكِلُ(٣)

وقوله: «وَاتَّخَـذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا»، أى رَميتم به وراء ظهوركم، أى لم تلتفتوا إليه، يقال(٤) فى المَثَل: «لا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ»، أى لا تَطْرَحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتى شُنَّتْ عليكم الغـاراتُ»، يقول: صُبَّتْ، يقـال: شَنَنْتُ الماءَ على رأسه، أى صَبَبْتُهُ، وشَنَنْتُ الشـرابَ فى الإناء أى صَبَبْتُهُ، ومن كلام العرب: فلما لَقِىَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ، أى صَبَّهُ عليه صَبًّا.

وقوله: «هذا أخو غامد»، فهو رجُل مـشهور من أصحاب معاوية، من بنى غامد بن نَصْر بن الأزْد بن الغَوْث، وفى هذه القبيلة يقول القائل(٥):

أَلاَ هَـلْ أَتَاهَـا عَلَـى نَأْيِـهَـــا ... بِمَا فَـضَحَـتْ قَوْمَـهَـا غامـدُ

تَمَنَّيْـتُـمُ مِـــائَتَـىْ فَـــارِسٍ ... فَـــرَدَّكُمُ فَـــارِسٌ وَاحِـــدُ

فَلَيْـتَ لنا بارتـبــاط الخَــيــو ... لِ ضَــأنا لهــا حـالبٌ قـاعـدُ

وقوله: «فَتَنْتَزِعُ أحجالَهما»، يعنى الخَلاَخيل، واحدها حِجْل، ومن هذا قيل للدابة: مُحَجَّلٌ، ويقال للقيـد: حِجْل؛ لأنه يقع فى ذلك الموضع، قـال جَرِيرٌ،

---

(١) من ر.

(٢) من ر.

(٣) الجسرة النافة الماضية فى سيرها، والأمون. الوثيقة الخلق وروابة ديوانه ٩٨: «ذلول».

(٤) ر ٠ «ويقال»

(٥) زيادات ر: «هو ربيعة بن مكدم».

يُعَيِّر الفَرَزْدَقَ حـين قَيَّدَ فرسه، وأقسم ألا يَحُلَّها حـتى يَحْفَظَ القرآن، فلما هاجَى جريرٌ البَعِـيثَ هجا [الفرزدق](1) جريرًا مَعُـونَةً للبعيث، وذَبًّا عن عَشِيـرَتِه، فقال جـريـر:

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَـينُ الْعِرَاقِىُّ بِاسْـتِهِ فَرَغْتُ إلى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِى الحِجْلِ(2)

معنى فرغت عَمَدْتُ: قال الله عزّ وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لكم أيُّها الثَّقَلان﴾(3) أى سَنَعْمِدُ(4).

وقوله: «ورُعـثُهُمَا» الواحـدة رَعْثَةٌ، وجمـعها رِعاث، وجـمع الجمع رُعُث وهى الشُّنُوف.

وقوله: «ثم انصرفوا مَوْفورين» من الوَفْرِ، أى لم يُنَلْ أحدٌ منهم بأن يُرْزَأ فى بَدَن ولا مال، يقال: فلانٌ مَوْفور، وفلان ذو وفْر، أى ذو مال، ويكون مَوْفورًا فى بدنه إذا ذكر ما أصيب به غيرُه فى بدنه. قال حاتم الطائى:

وَقَـدْ عَلِمَ الأَقْوامُ لَـوْ أَنَّ حَاتِمًـا أَرَادَ ثَراءَ المَالِ أمسى لَهُ وَفْـرُ

- ويروى: «كان له وَفْرُ».

وقوله: «لم يُكْلَمْ أحـد منهم كَلْمًا». يقول: لم يُخْدَشْ أحـدٌ منهم خَدْشًا، وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُر فهو كَلْمٌ، قال جرير:

تَوَاصَتْ مِنْ تَـكَرُّمِـهَـا قُـــرَيْشٌ بِرَدِّ الْخَـيْلِ دَامِـيَـــةَ الْكُلُومِ

وقـوله: «مات من دون هذا أسَـفًا»: يقـول: تَحَسُّرًا، فـهذا مـوضع ذا. و[قد](5) يكون الأسَفُ الـغـضبَ، قـال الله عـــزّ وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُـونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾(6) والأَسيفُ يكون الأجيرَ، ويكون الأسيرَ، فقد قيل فى بيت الأعْشَى:

أَرَى رَجُـلاً مِنْهُمْ أَسِيـفًـا كَأَنَّمَـا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَـفًّا مُخَضَّبًا

---

(1) من ر.

(2) زيادات ر: «يعنى بقوله. «ولما اتقى القين العراقى باسه» البعيث، وسماه القين لأنه من رهط الفرزدق».

(3) سورة الرحمن ٢٤.

(4) زيادات ر: «تميم تقول: فرغ يـفرغ [بفتح الراء فيهـما] فراغا، وأهل العالـية ـ وهم قريش ومن والاها ـ يقولون فرغ يفرغ [بالضم فيهما] فروغا».

(5) من ر.

(6) سورة الزخرف ٥٥

المشهور أنه من التأسُّف لقطع يده، وقيل: بل هو أسير قد كُبلَتْ يَدُه، ويقال: قد جرَحَهَا الغُلُّ، والقول الأوّل هو المُجْتَمَع عليه، ويقال في معنى أسيفٍ عَسِيفٌ أيضاً.

وقوله: «من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم»، يقول: من تَعَاونهمْ وتَظَاهُرِهِم.

وقوله: «وفَشَلِكم عن حقكم»، يقال: فَشِلَ فلان عن كذا [وكذا][1] إذا هابه فَنَكَلَ عنه، وامتنع من المُضِيِّ فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوَانْ قُرٍّ وصِرٍّ»، فالصِّرُّ شدة البرد، قال الله عزّ وجل: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[2].

وقوله: «هذه حَمَارَّةُ القَيْظ»، فالقَيْظُ الصيف، وحَمَارَّتُه: اشتداد حره واحْتِدامُهُ، وحَمَارَّةٌ مما لا يجوز أن يَحتجّ عليه ببيت شعْرٍ؛ لأن [كل][3] ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وَزْنٍ إلا في ضَرْبٍ [منه][4] يقال له: المُتَقَارِبُ: [فإنّه جُوِّزَ فيه على بُعْدِ التقاءُ الساكنين][5]، وهو قوله:

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وَكَانَ التَّقَا ... صّ فَرْضًا وَحَتْمًا عَلَى المسْلمِينَا

ولو قال: «وكان القصاص فرضًا وحتما» كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العَرُوض، ولا نظيرَ له في غيرها من الأعاريض.

وقوله: «ويا طَغَامَ الأحلام» فمجازُ الطَّغَامِ عند العرب مَنْ لا عَقل له، ولامعرِفة عنده، وكانوا يقولون: طَغَامُ أهلِ الشأم، كما قال:

* فَمَا فَضْلُ الَّلبِيبِ عَلَى الطَّغَامِ[6] *

---

(١) من ر ، س.

(٢) سورة آل عمران ١١٧.

(٣) من ر ، س.

(٤) من ر.

(٥) من ر.

(٦) قبله، كما في زيادات ر:

* إذا ما كان مثلهم رجاما *

وقوله: «ويا عقــولَ ربَّاتِ الحِجال» يَنْسُبُهُمْ إلى ضَـعْف النساء، وهو السائر في كلام العرب. وقـال الله تعالى يذكر البنات: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِـلْيَةِ وَهُوَ فى الخِصَامِ غَيْرُ مُبِين﴾(١).

---

(١) الزخرف ١٨.

باب

وقال أبو العباس: من كلام العرب الاختصار المُفْهِم، والإطناب المُفَخَّمُ، وقد يقع الإيماءُ إلى الشيء فيُغْنِي عند ذوى الألباب عن كشفه، كما قيل: لَمْحةٌ دَالةٌ. وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ المفْلِقُ، والخطيبُ المِصْقَعُ، والكاتب البليغ، فيقعُ فى كلام أحدهم المعنى المُسْتَغْلِق، واللفظُ المُسْتَكْرَه، فإن انعطفتْ عليه جَنْبتا الكلام غَطَّتا على عَوَاره، وسَتَرتا من شَيْنِه. وإن شاء قائل أن يقول: بل الكلام القبيح فى الكلام الحَسَنَ أظهرُ، ومجاورته له أشهر، كان ذلك له، ولكن يغتفر السيئى[1] للحَسَن، والبعيد للقريب.

[من ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة]

فمن ألفاظ العرب البَيِّنَة القريبةِ المُفْهِمَة، الحَسَنَةِ الوصفِ، الجميلة الرَّصْفِ، قولُ الحُطَيْئَة:

وَذاكَ فَتًى إنْ تَأْتِه في صَنِيعَةٍ إلَى مَالِهِ لا تَأْتِه بِشَفِيعِ

وكذلك قول عَنْتَرَةَ:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وكما قال زُهَيْرٌ:

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رزقُ[2] مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

[مما وقع من الكلام كالإيماء]

ومما وقع كالإيماء قولُ الفرزدق:

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فتأويل هذا أن بيتَ جرير فى العرب كالبيت الواهن[3] الضعيف، فقال: وقضى عليك به الكتابُ المنزل: يريد به قولَ الله تبَارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾[4].

---

(١) س: «الشين».

(٢) ر: «حق».

(٣) ر: «الواهى».

(٤) سورة العنكبوت ٤١.

ومن كلامه المُسْتَحسَن قوله لجرير:

فَهَلْ ضَـرْبَةُ الرُّومِىِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ ... أَبًا عَنْ كُلَيْـبٍ أَوْ أَبًا مِـثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة، وأهجنِ الألفاظِ، وأبْعَدِ المعانى قوله:

وَمَـا مِثْلُهُ فِي النَّاس إلاَّ مُـملَّكًا ... أَبُو أُمِّـــهِ حَيٌّ أَبُـوهُ يُقَـــارِبُهْ

مَـدَحَ بـهذا الـشعـر إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشـام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرَ بنِ مَخْزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال:

* وما مِثْلُه فى الناس إلا مُمَلَّكًا *

يعنى بالمُمَلَّك هشـامًا، أبو أمّ ذلـك المُمَلَّك أبو هذا الممدوح، ولو كـان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ فى مَوْضعه أن يقول: وما مـثله فى الناس حَىٌّ يقـاربه إلا مُمَلَّكٌ، أبو أمِّ هذا المُمَلَّك أبو هـذا الممدوح، فدَلَّ على أنه خاله بهذا اللـفظ البعيد، وهَجَّنَهُ بمَا أوقع فيه من التقـديم والتأخير: حتى كأنَّ هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تَصَـــرَّمَ مِنِّى وُدُّ بَكْـرِ بْنِ وَائِلٍ ... وَمَـا كَـادَ مِنِّى وُدُّهُمْ يَتَـصَـرَّمُ

قَـوَارِصُ تَأْتِينِى وَيَحْـتَقِـرُونَهَـا ... وَقَدْ يَمْلأُ الْقَطْرُ الإِنَاء فَيَفْعَمُ(1)

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِى السَّوَادِ كَأَنَّهُ ... لَيْلٌ يَصِـــيحُ بِجَـانِبَـيْـــهِ نَهَـارُ

فهذا أوْضَحُ معنًى، وأقْرَبُ مَأْخَذ.

وليس لِقِدَمِ العَهْـد يُفَضَّلُ القائلُ، ولا لحدثان عَهْد يُهْـتَضَمُ المصيب. ولكن يُعْطَى كلٌّ ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قولُ عَمَارَة(2) على قرب عهده:

تَبَحَّـثْتُمُ سُخْطِـى فَغَيَّـرَ بَحثُكُمْ ... نَخيلَةُ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا

وَلَنْ يُلْبِثَ التَّخْشِينُ نَفْسًا كَرِيمةً ... عَرِيكَتُـهَا أَنْ يَستَمِـرَّ مَرِيرُهَا(3)

وَمَـا النَّفْسُ إلاَّ نُـطفـةٌ بِقَـرَارَةٍ ... إذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

---

(1) زيادات ر: «القارصة: الكلمة المؤذية»

(2) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، من شعراء الدوله العباسة، والأبيات فى معجم المرزبانى ٢٤٧ عن المبرد.

(3) التخشين: إيغار الصدر، ويستمر: يقوى.

فهذا كلام واضح، وقول عَذْبٌ، وكذلك قوله أيضًا:

بَنِى دارمٍ إنْ يَفْنَ عُمْرِى فَقَدْ مَضَى ... حَيَاتِى لَكُمْ مِنِّى ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ

بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا ... وَإِنْ عُدْتُمُ أَثْنَيْتُ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

[مما يفضل من أقوال الشعراء لتخلصه من التكلف]

وبما يُفَضَّلُ لتَخَلُّصِهِ مِنَ التَّكَلُّف، وسلامته من التَّزيُّدِ، وبُعْدِهِ من الاستعانة قولُ أبى حَيَّةَ النُّمَيْرِىِّ:

رَمَتْنِى وَسِتْرُ الله بَيْنِى وَبَيْنَهَا ... عَشِيَّةَ آرامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ(1)

أَلاَ رُبَّ يَومٍ لَوْ رَمَتْنِى رَمَيْتُهَا ... وَلَكِنَّ عَهْدِى بِالنِّضَالِ قَدِيم(2)

يقول: رَمَتْنِى بطَرْفها، وأصابَتْنى بمَحَاسنها، ولو كنتُ شابا لرَمَيْتُ كما رُمِيتُ، وفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ، ولكن قد تَطَاوَلَ عَهْدِى بالشَّباب. فهذا كلام واضح.

* * *

[قال أبو الحسن: أنْشَدَنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب البيتين عن عبد الله بن شَبِيبٍ: ورَوَى:

* عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ *

وزاد فيه بيتًا:

رَمِيمُ الَّتِى قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا ... ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلا يَزَالَ يَهِيمُ

الكِناس والمَكنسُ: الموضع الذى تأوى إليه الظِّباءُ، وجمع الكِناس كُنُسٌ، وجمع المَكنسُ مكَانس. ورَمِيم: اسم جارية: مأخوذ من العظام الرَّمِيم، وهى البالية، وكذلك الرِّمَّةُ، والرُّمَّةُ: القطعة البالية من الحبل، وكلٌّ ما اشتق من هذا فإليه يَرْجع].

* * *

(1) زيادات ر: «قيل فى ستر الله الإسلام، وقيل فيه أنه الشيب، وقيل ما حرم الله عليهما».

(2) زيادات ر بعد هذا البيت:

يرى الناس أنى قد سلوت وإننى ... لمرمى أحناء الضلوع سقيم

[الاستعانة في الكلام]

قال أبوالعباس: وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو أن يُدْخِلَ فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّحَ به نَظْمًا [أو وزنا][1] إن كان فى شعر، أو ليتذكرَ به ما بعده إن كان فى كلام منثور، كنحو ماتَسْمَعُهُ فى كثير من كلام العامة قولهم: أَلَسْتَ تَسْمَعُ؟ أَفَهِمْتَ؟ أين أنتَ؟ وما أشبه هذا، وربما تَشَاغَلَ العَيِيُّ بِفتْلِ إصبعه ومَسّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تَنَحْنَحَ. وقد قال الشاعر يَعيبُ بعضَ الخُطَباء فى شعر:

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ وَالْتِفَاتٍ وَسَعْلَةٍ ... وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأَصَابِعِ

وقال رجل[2] من الخوارج يصف خَطيبًا منهم بالجُبْنِ، وأنه مُجيدٌ لولا أنّ الرُّعْبَ أَذْهَلَه:

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ ... لَمَّا رأى وَقْعَ الأَسَلْ

وَيْلُمِّهِ إذَا ارتَجَلْ ... ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ[3]

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القَسْرِىّ، فإنه كان متقدمًا فى الخَطَابَة ومُتَنَاهيًا فى البَلاغة، فخرج عليه المُغيرةُ بن سَعيدٍ بالكوفة فى عشرين رجلاً، فَعطْعَطوا[4] به، فقال خالد: «أطْعمونى ماءً»، وهو على المِنبر، فَعُيِّرَ بذلك، فكَتَبَ به هشامٌ إليه فى رسالة يُوَبِّخُهُ فيها، سنذكرها[5] فى موضعها إن شاء الله. وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفَلٍ فقال:

لأَعْلاَجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ ... لَئِيمِ الأَصْلِ فِي عَدَدٍ يَسِيرِ

هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوتِكَ: أَطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

---

(١) من ر.

(٢) ذكر الجاحظ أنه الأشل الأزرقى من بعض أخوال عمران بن حطان يصف زيد بن جندب الإيادى خطيب الأزارقة، (البيان والتبيين ١: ٤١، ٤٢).

(٣) زيادات ر: «وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى، وكان أبوه خطيبا وخاله:

جَمَعْتَ صُنُوفَ العِىِّ من كُلِّ وجهةٍ ... وكنتَ مليئًا بالبلاغة مَن كَثَبْ

أبوكَ مُعَمٌّ فى الكَلامِ ومُخْوَلٌ ... وَخالك وَثَّابُ الجراثيم فى الخُطَبْ

(٤) العطعطة: تتابع الأصوات واختلافها.

(٥) ر: «وسنذكرها».

فهذا عارضٌ. وقال آخر(١) يُعَيِّرُهُ:

بَلَّ المَنَابرَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ ... وَاسْتَطْعَمَ المَاءَ لما جَدَّ فِي الهَرَبِ

وأَلْحنُ النّاسِ كُلِّ النّاسِ قَاطِبَةً ... وكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِى الخُطَبِ

[الأعرابى من بنى كلاب]

ومما يُسْتَحْسَنُ [لفظه](٢) ويُسْتَغْرَب معناه، ويُحْمَدُ اخْتِصَارُهُ قولُ أعرابى مِنْ بنى كِلاَبٍ:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإنِّى وَنَاقَتِى ... بِحَجْرٍ إلى أَهْلِ الْحِمَى غَرِضَانِ(٣)

تَحِنُّ فَتُبْدِى ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ ... وأُخْفِى الَّذِى لَوْلاَ الأُسَى لَقَضَانِى(٤)

يريد: لقَضَى عَلَىَّ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحْسَنَ مُخْرَجٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(٥) والمعنى إذا كَالوا لهم أو وَزَنُوا لهم، ألا تَرَى [أن](٦) أول الآية: ﴿الَّذِينَ إذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ فهؤلاء أخَذُوا منهم ثم أعطوهم،وقال الله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾(٧) أى من قومه، وقال الشاعر(٨):

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَال وَذَا نَشَبِ

---

(١) هو أيضا يحيى بن نوفل، (وانظر البيان والتبيين ٢: ١٦٧).

(٢) من ر، س.

(٣) حجر: هى مدينة اليمامة وأم قراها، ويريد بالحمى حمى ضرية، وكان حمى كليب (وانظر ياقوت). ومن زيادات ر بعد هذا البيت:

هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى ... وإنى وإياها لمختلفان

(٤) ر «أنشد صاعد بعدهما زيادة» فيهما:

فياكبدينا أجملا قد وجدتما ... بأهل الحمى مالم يجد كبدان

إذا كبدانا خافتا وشك نية ... وعاجل بين ظلتا تجبان»

(٥) سورة المطففين ٢.

(٦) من ر.

(٧) سورة الأعراف ١٥٥.

(٨) زيادات ر: «هو أعشى طرود،واسمه إياس بن عامر».

أى أمَرْتُكَ بالخير، ومن ذلك[1] قول الفرزدق:

وَمِنّا الَّذى[2] اُخْتِيرَ الرِّجالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أى من الرجال، فهذا الكلام الفصيح.

وتقول العرب: أقَمْتُ ثلاثًا ما أذُوقُهُنَّ طَعامًا ولا شَرابًا، أىْ ما أذوق فيهنَّ، وقال الشاعر:

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نوَافِله[3]

* * *

[قال أبو الحسن: قوله: «لم يَغْرَضْ»، أى لم يَشْتَقْ، يقال: غَرِضْتُ إلى لقائك، وحَنَنْتُ إلى لقائك، وعَطِشْتُ إلى لقائك، وجُعْتُ إلى لقائك أى اشْتَقْت، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ، وأنْشَدنَا عنه:

مَنَ ذَا رَسُولٌ نَاصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إِلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا غَرَضَ المحبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ

التناصُف: الْحُسْن.

وأما قوله: «لَقَضَانى» فإنما يريد: لَقَضَى علىَّ الموتَ، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾[4]، فالموتُ فى النية، وهو معلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به، فلهذا ناسب قولَه عزّ وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ﴾. وكذلك قوله: ﴿كَالُوهُمْ﴾ فالشىءُ المَكِيلُ معلوم، فهو بمنزلة ما ذُكِرَ فى اللفظ، ولا يجوز: مررت زيدًا وأنت تريد: مررت بزيد، لأنه لا يتعدى إلاَّ بحرف جر؛ وذلك أنّ فعل الفاعل فى نفسه، وليس فيه دليل على المفعول نفسه، وليس هذا بمنزلة ما يَتَعَدّى إلى

---

(١) ر، س: «ومن ذا».

(٢) س: «ومنا»، وعلى رواية الأصل فى البيت خرم.

(٣) البيت أورده سيبويه فى الكتاب ١: ٩٠، قال الأعلم فى شرحه: «النوافل هنا الغنائم، يقول: يوم لم نغنم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن، والنهال المرتوية بالدم، وأصل النهل أول الشرب، والطعن هنا: جمع طعنة».

(٤) سورة سبأ ١٤.

مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جَرّ، وإلى الآخر بنفسه، لأنّ قولَك: اختَرْتُ الرجالَ زيدًا، قَدْ عُلِمَ بذِكْرِك «زيدًا» أن حرف الجر محذوف من الأول، فأما قول الشاعر ـ هو جرير ـ وإنْشادُ أهل الكوفة له، وهو قوله:

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا   كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذًا حَرَامُ

ورواية بعضهم له: «أتَمْضُونَ الدِّيار» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك، والسماع الصحيح والقياس المُطَّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الشاذة.

أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ قال: قرأت على عُمَارَة بن عَقِيل بن بلال ابن جرير:

* مَرَرْتُمْ بِالدِّيَارِ ولَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرةٌ.

فأما قولهم: أقمت ثلاثًا ما أذوقهن طعاما ولا شرابًا، وقولُ الراجز:

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلامُ[1]   بِكَبِدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ

* فِي سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد في ساعة يُحَبُّ فيها الطَّعَام، وكذلك الأول، معناه: ما أذوقُ فيهنّ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وعَلا: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ إلا فى الحذف فقط؛ وذلك أن ضمير الظَّرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَة، كقولهم: يَوْمُ الجمعة سِرتُه، ومكانُكُمْ قمتُه، وَشَهْرُ رمضان صُمْتُه، فهذا يُشَبَّه فى السَّعَةِ بقولك: زيدٌ ضربتُه وما أشبهه، فهذا بَيِّنٌ.

* * *

[الأعرابى من بنى سعد وقد نزل به أضياف]

قال أبو العباس: ومما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجَاد قول أعرابيّ[2] من بنى سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم، وكان مُمْلَكًا[3]، فنزل به أضياف فقام إلى الرحَى فطحن لهم،

(1) صبحت: أتت بالتصبيح، تريد به الغذاء.

(2) هو الهذلول بن كعب العنبرى، ذكره أبو تمام فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦٩٥ ـ ٧٠١.

(3) من الإملاك، وهو عقد النكاح.

فَمرتْ به زوجتُه في نِسْوَة، فقالتْ لهنّ: أهذا بَعْلي؟ فأُعْلِمَ بذلك فقال ـ [قال أبو الحسن: أخبرنا به عن أبي مُحلِّمٍ له يعني السَّعْديّ] ـ:

تَقُولُ وَصكَّتْ صَدْرَها بِيمِينِهَا: أَبَعْلِيَ هذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسُ!

فَقُلْتُ لَهَا: لا تعجبي وَتَبَيَّنِي بَلائِي إذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الْفَوَارِسُ

أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ

إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلَدُّ المُدَاعِسُ

لَعَمْرُ أَبِيكِ الخَيرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لِضَيْفِي، وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله: «المُتَقاعس» إنما هو الذي يُخْرِجُ صَدْرَه ويُدْخِلُ ظهره، ويقال: عِزَّةٌ قَعْسَاءُ، وإنما هذا مَثَلٌ، أي لا تَضَع ظهرَها إلى الأرض. وقوله: «بالرحى المتقاعس»، لو أراد: الذي يَتَقَاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ، لأن قوله: «بالرحى» من صلة الذي، والصلة تمام الموصول، فلو قدمها قبله لكان لحنًا وخطأ فاحشًا، وكان كَمَنْ جَعَل آخرَ الاسم قبل أوله، ولكنه جَعَلَ «المتقاعسَ» اسما على وجهه، وجعل قوله: «بالرحى» تَبْيينًا بمنزلة «لَك» التي تقَعُ بعد «سَقْيًا»، وبمنزلة «بِكَ» التي تقع بعد قولك: «مَرْحَبًا» فإن قَدَّمْتَها فذلك جيِّدٌ بالغ، تقول: بك مرحبًا وأهلا وتقول: لك حَمْدًا، ولزيد سَقْيًا، فأما قولُ الله عز وجل: ﴿وأنَا على ذلكُمْ منَ الشَاهدين﴾(١) وكذلكَ ﴿وقَاسَمَهُمَا إنّي لَكُمَا لَمنَ النَّاصحين﴾(٢) فيكون تفسيره على وجهين: أحدهما أن يكون: إنني ناصحٌ لكما، وأنا شاهد على ذلكم، ثم جعل «من الشاهدين» و «لَمن الناصحين» تفسيرًا لشاهد وناصح، ويكون على ما فسرناه يراد التبيين، فلا يدخل في الصلة، ويكون على مذهب المازنيِّ.

قال أبو العباس: وهو الذي أختار، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذي، ألا ترى أنك تقول: نِعْمَ القائم زيدٌ، ولا يجوز: نِعْمَ الذي قامَ زيد، وإنما هو بمنزلة قولك: نِعْم الرجلُ زيد، وهذا الذي شرحناه متصلٌ في هذا الباب كُلِّه مُطَّرِد على القياس.

---

(١) الأنبياء ٥٦.

(٢) الأعراف ٢١

وقوله:

* أَلَسْتُ أَردُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ *

فإنما اشتقاقهْ من السهم يقال: ارتدعَ السهمُ إذا رجع متأخرا، ويقال: ركب البعيرُ رَدْعَهُ إذا سقط، فدخل عُنُقُه[1] فى جوفه، والكلامُ مُشْتَق بعضُه من بعض، ومُبَيَّنٌ بعضه بعضًا، فيقال من هذا فى المَثَلِ: ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتَدَعَ عنها، أى رجع، وكذلك: فلان لا يَرتَدِع عن قبيح، والأصل ما ذكرتُ أولا.

ومثل هذا قولهُم: فلانٌ على الدَّابة، وعلى الجبل، أى فوق كل واحد منهما، ثم تقول: فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً، وكذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ، وإنما يريد أن الدَّيْنَ علاه وقَهَرَه، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان وَاليًا عليها، وكذلك: عَلَا فلانٌ القوم، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جُعِل فى هذا الموضع.

وقوله:

* وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرارَيْنِ يَابِسُ *

فالغِرار هاهنا الحَدُّ، وللغرار مواضع.

قال أبو العباس: وحدثنى الرِّيَاشِىُّ فى إسناد له قال: قال جَبْرُ بن حبيب ـ وذكر الراعى ـ: أخطأ الأعْوَرُ ـ قال: ولم يَعْلَمِ الحاكى عنه أن الراعىَ كان أعورَ إلا مِنْ هذا الخبر ـ فى قوله:

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ ... كَسَرْنَ الْعَيْرَ منهُ وَالْغِرَارَا[2]

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطئ؛ لأن الغرار ها هنا هو الحدّ، وذهب جَبْرٌ إلى أنه المثالُ. وقد يكون المثالَ، وليس ذلك بمانعه من أن يَحتَمِلَ مَعانِىَ، يقال: بَنَوْا بيوتَهُمْ على غِرار واحد، أى على مِثَالٍ واحد، كما قال عمرو بن أحمر [الباهلىّ][3]:

وُضِعْنَ[4] وَكُلُّهنَّ عَلَى غِرَارٍ ... هِجَانَ اللَّوْنِ قَدْ وَسَقَتْ جَنِينا

(١) ر «فدخلت عنقه»، والعنق تذكر وتؤنث.

(٢) القف: حجارة بعضها فوق بعض. وعير النصل: ما نتأ فى وسطه

(٣) من ر ، س.

(٤) كذا ضبطت فى الأصل بالبناء للمجهول. وفى زيادات ر: [الرواية عن أبى العباس: «وضعن» بفتح الضاد والواو، والصحيح: «وضعن» بضم الواو وكسر الضاد].

ويقال: لِسُوقِنَا درَّةٌ وَغِـرَارٌ، أى نَفَاقٌ وكَسَاد، فهـذا معنى آخر، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شىء بعد شىء، ومن هذا: غارَّ الطائرُ فَرْخَهُ، لأنه إنما يعطيه شـيئًا بعد شىء، وكـذلك غارَّتِ الناقة فى الحَلَبِ، ويقـال من هذا: ما نِمْتُ إلا غِراراً، قال الشاعر:

مَـــا أذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِـــرَارًا　　　مِـثْلَ حَسْـوِ الطَّيْرِ مَـاءَ الثِّمَـادِ

فكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه.

وقوله:

* يَهَابُ حُمَيَّاهُ الألدُّ المُدَاعِسُ *

فأصل الحُـمَيّا إنما هى صَـدْمة الشىء، يقال: فلان حـامى الحُمَيَّـا، ويقال: صَدَمَتْهُ حُمَيَّا الكَأس، يراد بذلك سَوْرَتُها.

وقوله: «الألدّ» فأصله الشديد الخصـومة، يقال خَصْمٌ ألَدُّ، أى لا ينثنى عن خصـمه. قـال الله عزّ وجل: ﴿وتُنْذِرَ بِهِ قَـوْمًا لدًّا﴾[1] كمـا قال: ﴿بَلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِمُون﴾[2]، وقال مُهَلْهِل:

إنَّ تَحْتَ الأحْجَارِ حَزْمًا وَجودًا　　　وَخَـصِـيـمـا ألَدَّ ذَا مـعْـلاَقِ

ويروى: «مغْلاق»، فـمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُغْلقُ الحـجَّةَ الخَصم، ومن قال: «ذا معْلاق»، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خصـمًا لم يَتَخَلَّصْ منه، وجعل السعدىّ الألدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشـبيها بذلك، والمداعس: المُطَاعن، يقـال: دَعَسَهُ بالرمح إذا طَعَنَهُ، قال عُمَيْرُ بن الحُباب السُّلمىّ:

أنَا عُــــمَـــيْـــرٌ وأبُو المُـغَلَّسْ　　　وَبالْـقَنَاةِ مَــــازِنـىُّ مِــــدْعَسْ

* * *

[قال أبو الحسن: تأويل قول السعدىّ:

* أبَعْلِيَ هذَا بالرَّحى المُتَقَاعِس *

(١) مريم ٩٧.
(٢) الزخرف ٥٨.

«بالرحى» تبيين ولم يوضحه، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: «أبعلى هذا بالرحي المتقاعسُ»، فإن المتقاعسَ يدل على أن تَقَاعُسًا وقَع، فكأنه قال: وقَعَ التقَاعُس بالرحى، ولم يرد أنْ يُعْمِلَ «المتقاعس» فى قوله: «بالرحى»، لأنه فى الصِّلَة، والصلةُ من الموصُول بمنزلة الدال من زيد أو الياء، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعض، لم يجز أن تتقدَّم الصلةُ على الموصول، فأما قول الله عزّ وجل: ﴿وقاسَمَهُمَا إنِّى لَكُمَا لَمنَ النَّاصحين﴾ وكذلك: ﴿وأَنَا عَلَى ذلكُمْ منَ الشَّاهدين﴾ فإنه يكون على التبيين الَّذى قدَّمْنا ذكْرَه وهو قول البصريين أجمعين، إلاَّ أن أبا عُمر الجَرْمىَّ أجازَ أن يَجْعَلَ «لكما»، و«على ذلكم» مُعَلَّقين بشيئين محذوفين دلَّ عليهما «من الناصحين»، و «من الشاهدين»؛ لأن «من» مُبَعِّضَةٌ، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: وقاسَمَهُما إنى ناصحٌ لكما من الناصحين، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين.

وأما اختياره وذكْرُهُ أنه قولُ المازنىّ، وجَعْلُهُ الألف واللام للعهد مثْلَهُما فى الرجل وما أشبهه، فإن هذا القول غير مَرْضِىٍّ عندى، لأنك إذا قلت: نعْمَ القائمُ زيدٌ، فجعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه، فإنه إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة، وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل، وامتنع من أن يعمل مُؤَخَّرًا إلا على حيلَة ووَجْه بعيد من التبيين الذى ذَكَرْنَا. وإذا كان فى التأخير لا يَعْمَلُ بنفسه، فكيف يَعْمَلُ إذا تَقدَّم عليه الظَّرْفُ! وهذا مستحيل لا وَجْهَ له.

وأما إنشاده:

* لاَ أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَارًا *

فإن هذه أبيات أربعة أُنْشدْنَاها عن الزِّيَادِىِّ، وذُكِرَ أنه كان يستحسنها وهى لأعرابىّ قال:

مَا لعَيْنِى كُحلَتْ بالسُّهَاد	ولِجَنْبِى نَابِيًا عَنْ وِسَادِى
مَا أَذوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَارًا	مثْلَ حَسْوِ الطَّيرِ مَاءَ الثِّمادِ(١)
أَبْتَغِى إصلاحَ سُعْدَى بجُهْدِى	وَهْىَ تَسْعَى جُهْدَهَا فى فَسَادِى
فَتَتَارَكْنَا عَلَى غَيْرِ شَىْءٍ	رُبَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمَادِى

(١) ر ، س : «لا أذوق».

وأما إنشاده:

* وَضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ على غِرارٍ *

فإن البيت لِعَمْرو بن أحمر بن الْعَمَرَّدِ الباهِلِىّ.

* * *

[الطخيم بن أبى الطخماء الأسدى يمدح قوماً من أهل الحيرة]

قال أبو العباس: ومن سَهْلِ الشِّعْرِ وَحَسَنِه قول طُخَيْم بن أبى الطخماء الأَسَدِىّ يمدح قوما من أهل الْحِيرَةِ من بنى امْرِئِ القَيسِ بن زَيْدِ مَنَاة بن تميم، ثم من رَهْط عَدِىٍّ بن زيد العبادىّ، قال:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يومٌ بِزُورَةَ صالحٌ ... وَبِالقَصرِ ظِلٌّ دائم وَصَدِيقُ[1]

وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا ... شَرَابٌ مِنَ الْبَرُّوقَتَيْنِ عَتِيقُ[2]

مَعِى كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقُ

بَنُو السِّمْطِ وَالحُدَّاءِ، كُلُّ سَمَيْدَعٍ ... لَهُ فى الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ

وَإِنِّى وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أُحِبُّهُمْ ... وَيَرْتَاحُ قَلْبِى نَحْوَهُمْ وَيَتُوقُ

قال أبو العباس: أَنْشَدَنى هذا الشِّعْرَ أبو مُحَلِّم، ثم أَنْشَدَنِيه رجلٌ نصرانىّ يُكْنَى أبا يَحْيَى، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحُوا به، وَذَكَر أنه يَذْكُرُ طُخَيْماً، وهو يَتَرَدَّدُ إليهم ويَظَلُّ عندهم. قال هذا النصرانىّ ـ وهو رجل من بنى الحُدَّاء ـ قال: أَذْكُرُهُ وأنا صغير جِداً، والسلطانُ يطلبه لقوله:

* له فى العروق الصالحات عروق *

يقول: أتقول هذا لِقَوْمٍ من النصارى! وكان هذا النصرانىُّ قد قارَبَ مائة سنة فيما ذُكِر.

---

(١) زورة: موضع قرب الكوفة، ضبطه ياقوت بفتح الزاى، وقال: «وقرأته بخط بعض أعيان أهل الأدب «زورة» بضم الزاى»، وأورد الأبيات.

(٢) البروقتان: موضع قرب الكوفة، وضبطه ياقوت بواوين، الأولى مضمومة، وأورد البيت.

وقوله: «معى كل فضفاض القميص» يريد أنّ قميصه ذو فُضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الْخُيَلاء، كما قال زُهَيْر:

يَجُـرُّونَ الذُّيُولَ وَقَــدْ تَمَـشَّتْ حُـمَـيَّـا الْكَأْسِ فِـيـهِمْ وَالْغِنَاءُ

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: «فَضْلُ الإزارِ فى النار» إنما أراد معنى الْخُيَلاءِ، وقال الشاعر:

وَلاَ يُنْسِينِىَ الحَـدَثَانُ عِـرْضِى وَلاَ أُرْخِـى مِــنَ المَـرَحِ الإزَارَا

وقد رُوِىَ عن النـبى ﷺ أنه قال لأبى تَمِيـمَةَ الهُـجَيْمِىِّ: «إيَّاكَ وَالمَـخِيلَةَ» فقـال: يا رسول الله، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ، فـما المَخِيلَة؟ فقـال ﷺ: «سَبَلُ الإزار»، والحَديث يَعْـرِضُ لما يَجْرِى فى الحَـدِيث قَبْله، وإن لـم يكن من بابه، ولـكن يُذْكَرُ بـه.

قال أبو العـباس: رُوِىَ لنا أنَّ رَجُـلاً من الصالحين كـاَن عند إبراهيم[1] بن هشام، فأنشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

إذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهاكِ عَـاصِيَةٌ وَإذْ أَجُـرُّ إلَيْكُـمْ سَـادِرًا رَسَنِى

فقام ذلك الرجل فَرَمَى بشِقِّ رِدائه، وأَقْبَلَ يَسْـحبه حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فـجلس، فقال له إبراهيم بن هشام: مـا بكَ؟ فقال: إنِّى كنتُ سمـعتُ هذا الشعر فاستحسنته، فـآلَيْتُ ألاَّ أسْمَعَهُ إلاَّ جَـرَرْتُ ردَائى كما تَرَى، كما سَحَبَ هذا الرجل رَسَنَه.

وأما الفنِيقُ فإنه الفحل من الإبل[2]، وإنما أراد خَطَرَانَه بِذَنَبه من الْخُـيَلاء، فشبَّه الرجلَ من هؤلاء إذا انْتَشَى بالفحل، وهو إذا خَطَرَ ضَرَبَ بذَنَبِه يَمْنَةً وشَأْمَةً، قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الجَـمَائِلَ بَعْـدَمَا تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الخَطْرُ[3]

---

(١) كان والى المدينة، والشاعر هو الأحوص، والخبر فى الأغانى (٤٠٠٢١٦٠) طبعة الدار.

(٢) سقطت كلمة «الإبل» من ر، س

(٣) الزرق: أكثبه بموضع يقـال له الدهناء. والجمائل: جـمع جمل، كذا ذكـره صاحب اللسـان واستشـهد بالبيت. والغربان هنا: رءوس الأوراك، وتقوب: تقطع، يريد أن خطر الجمال بأوراكـها أحدث فيها قوبا فتقطعت. (وانظر ديوانه ٢٠٩).

[قول مخيس بن أرطاة الأعرجي لرجل من بني حنيفة]

ومنْ حَسَنِ الشعر وما يَقْرُب مَأْخَذه قولُ مُخَيِّس بن أرْطاةَ الأعْرَجِيِّ - وَالأعْرَجُ الحارثُ بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم - لرجل من بنى حَنيفَة يقال له يَحْيى، وكان يَصيرُ إلى امرأة في قرية من قُرَى اليمامة يقال لها: بَقْعَاءُ: - [قال أبو الحسن: أُنْشِدتُه عن الرِّيَاشيِّ: «نَقْعَاء»[1]، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فَصيحًا من بنى حنيفة عن هذا، فقال: ما نعرفه[2] إلا «نقعاء»] -[3]:

عَرَضْتُ نَصيحَةً مِنِّي لِيَحْيَى ... فَقَالَ: غَشَشْتَنِي وَالنُّصْحُ مُرُّ

وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيى ... وَيَحْيى طاهِرُ الأثواب[4] بَرُّ

وَلكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيى ... يُقَالُ عَلَيْهِ فِي بَقْعَاءَ شَرُّ

فَقُلْتُ لَهُ: تَجَنَّبْ كَلَّ شَيْءٍ ... يُعَابُ عَلَيْكَ، إنَّ الْحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فَضْلٌ عن معناه.

وقوله: «إن الحرَّ حرٌّ» إنما تأويله أن الحُرَّ على الأخلاق التى عُهِدت فى الأحرار، ومثلُ ذلك:

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي[5] *

أىْ شِعْرِى كما بلَغَك، وكما كُنتَ تَعْهَدُ، وكذلك قولهم: الناسُ الناس، أى الناس كما كُنت تعْهَدُهُمْ. [قال أبو الحسن: ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾][6].

وقوله:

فقلتُ له تجَنَّبْ كل شىء ... يعاب عليك ...

---

(١) ر: «نقعاء، بالنون».

(٢) ر: «ما أعرفه».

(٣) س: «نقعاء، بالنون». ر: «بقعاء، بالباء».

(٤) ر: «الأخلاق».

(٥) بعده:

* لله درى ما يجن صدرى *

(وانظر معاهد التنصيص ١: ١٩)

(٦) سورة طه ٨٧.

كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عبدَ المَلِك [بن مروان][1] فقال: آخذٌ بثلاث، تاركٌ لثلاث: آخذٌ بقلوب الرجال إذا حَدَّث، وبحسْنِ الاستماع إذا حُدِّثَ، وبأيَسرِ الأمرين عليه إذا خُولِف، تاركٌ للمِرَاء، تاركٌ لمقارَبة اللئيم، تاركٌ لما يُعتَذَر منه، كقوله:

.... تَجَنَّبْ كُلَّ شَيءٍ   يُعَابُ عَلَيكَ إنَّ الحُرَّ حُرٌّ

[قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المرى]

ومما يُسْتحْسَنُ إنشادُه من الشعر لصحة معناه، وجزَالة لفظه، وكثرة تردُّد ضَرْبه من المعانى بين الناس، قولُ ابن مَيَّادةَ لرِياحِ بن عثمان بن حَيَّانَ المُرِّىِّ[2]، من مُرَّةَ غَطَفَانَ، يقوله فى فتنة[3] محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان أشار عليه بأن يعتَزِل القومَ فلمْ يفعل فقتِل، فقال ابن مَيَّادة:

أَمَرْتُكَ يا رِيَاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ   فقُلْتَ: هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدِ
نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ   عَلَى مَحْبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ
وَوَجْدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَاحٍ   وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدى

وقوله[4]:

* فقلتَ هَشيمَةٌ من أهل نجد[5] *

تأويله ضَعَفَةٌ، وأصل الهشيم النَّبْتُ إذا ولَّى وَجَفَّ وتكسَّر، فذَرَتْهُ الرِّياحُ يمينًا وشِمَالاً. قال الله عز وجل: ﴿فأَصْبَحَ هَشِيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[6] والنَّجْدُ أعالى الأرض.

وقوله:

* عَلَى مَحبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ *

---

(١) من ر ، س.

(٢) كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور سنة ١٤٤ (وانظر زامبور ١: ٣٦).

(٣) ذكر ابن الأثير هذه الفتنة مفصلة فى حوادث سنة ١٤٤. والخبر والأبيات فى الأغانى ٢: ٣٣٧ ، ٣٣٨ (طبعة الدار)، واللسان (هشم) عن المبرد.

(٤) ر. «قوله» س. «فوله».

(٥) فى اللسان. «ضعف».

(٦) الكهف ٤٥.

فالمَحْبُوك الذى فيه طَرَائق، واحدها حِباكٌ، والجماعة حُبُك، وكذلك الطرائق التى على جَناح الطائر: من ذلك قول الله عز وجل[1]: ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾[2].

* * *

[قال أبو الحسن: ابن مَيَّادَةَ اسمه الرَّمَّاحُ، وأمه مَيَّادَة، وأبوه أَبْرَد، وكان عاقًّا بأمه، ولها يقول:

* أَعْرَنْزِمِى مَيَّادَ لِلْقَوافِى[3] *

وأصل الأعْرِنْزَامِ التَجَمُّع والتَّقَبُّض، يقول: اسْتَعِدِّى لها وتَهَيَّئى.

وأَنْشَدَنا أبو العباس محمد بن يزيدَ له:

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قلن يَوْمَ تَرَحُّلِى ... قَوْلَ الْمُجِدِّ وَهُنَّ كَالْمُزَّاحِ

يَالَيْتَنَا مَنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَادِحٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعِيسُ بِالرَّمَّاحِ

فى أبيات له، يعنى نفْسَه.

قال أبو الحسن: وتمام الأبيات:

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِى مُتَعَصِّبًا ... بالخَزِّ فَوْقَ جُلالَةٍ سِرْدَاحِ[4]

فِيهِنَّ صَفْرَاءُ الْمَعَاصِمِ طَفْلَةٌ ... بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ[5]

رَيَّشْنَ حِينَ أَرَدْنَ أَنْ يرمينني ... نَبْلاً بِلاَ رِيشٍ وَلاَ بِقِدَاحِ

وَنَظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ ... مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ

* * *

---

(١) ر: «تبارك وتعالى».

(٢) الذاريات ٧

(٣) حاشية الأصل: بعده

* واستسمعيهن ولا تخافى *

وفى ر:

واستسمعيهن ولا تخافى ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(٤) الجلالة: الناقة الضخمة والسرداح: الناقة الطويلة.

(٥) صفراء المعاصم: هى التى طليت بالزعفران. والطفلة: الناعمة. والغريض: الطرى.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: ثم نَذْكُرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْرًا، ونعود(١) إلى المُقَطعَّات إن شاء الله.

[يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنَّا معشرَ قريش، كنا نعدّ الجود والحلم السُّؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة](٢).

قال الأحْنَفُ بن قَيْسٍ: كثرةُ الضّحك تُذْهِبُ الْهَيْبَة، وكثرة المَزْح تُذْهِبُ المُرُوءة، ومن لَزِمَ شيئًا عُرِفَ به.

وقيل لعبد الملك بن مَرْوانَ: ما المُرُوءَة؟ فقال: مُوَالاةُ الأكْفاءِ، ومَدَاجاةُ الأعْداء.

وتأويل المُدَاجاة المُدَاراة، أي لا تُظْهِر لهم ما عندك من العداوة، وأصله من الدُّجى، وهو ما ألْبَسَكَ الليلُ من ظلمته.

وقيل لمعاوية: ما المُرُوءَةُ؟ فقال: احتمال الجَريرَة، وإصلاَحُ أَمْرِ الْعَشِيرة. فقيل له: وما النُّبْل؟ فقال: الْحِلْمُ عند الغضب، والْعَفْو عند القُدْرة.

وكان أبو سُفيَان إذا نزل به جارٌ قال له: ياهذا، إنك قد اْخترتنى جارًا، واخترتَ دارى دارًا، فَجِنَايَةُ يَدِكَ علىَّ دونَكَ، وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فاحْتَكِمْ علىَّ حُكَم الصبىِّ على أهله.

وذلك أن الصبىّ قد يَطْلُبُ ما لايوجد إلاَّ بعيدًا، ويطلب ما لا يكون ألْبَتَّةَ، قال الشاعر(٣):

وَلاَ تحكُمَا حُكَم الصَّبىّ فَإنَّهُ ... كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُه

وروى(٤) أن معاوية بن أبى سفيان لما نَصَبَ يزيدَ لوِلاية الْعَهْد أَقْعَدَهَ فى قُبَّة حمراء، فَجَعَلَ الناسُ يُسَلِّمُونَ على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل

---

(١) ر: «ثم نعود».

(٢) ما بين العلامتين تكملة من ر

(٣) زيادات ر: «هو الأعرج المعنى».

(٤) ر: «ويروى».

ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، اعْلَمْ أنك لو لم تولَّ هذا أمورَ المسلمين لأَضَعْتَهَا - والأحْنَفُ جالس - فقال له معاوية: ما بالكَ لا تقولُ يا أبا بَحْر! قال: أخاف الله إن كَذَبْت، وأخافُكُم إن صَدَقْتُ. فقال: جزاك الله عن الطاعة خيراً! وأَمَرَ له بألوف، فلما خرج الأحنفُ لَقِيَهُ الرجلُ بالباب، فقال: يا أبا بحْر، إنى لأَعْلَمُ أن شرَّ مَنْ خَلَقَ الله هذا وابنُه، ولكنهم قد استَوْثَقُوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلَسْنا نَطْمَعُ فى استخراجها إلا بما سمعت، فقال الأحنف: يا هذا أمسك عليك(١)، فإن ذا الوجهين خَليقٌ ألاَّ يكونَ عند الله وجيهًا.

[الرجل يهجو بلال بن البعير المحاربى]

وقال رجل يَهجو بلال بن البَعير المحاربِيِّ(٢):

يقولون أبْنَاءُ الْبَعِيرِ ومَالَهُ ... سَنَامٌ ولاَ فِى ذِرْوَةِ المَجْدِ غَارِبُ

أَرَادَتْ - وذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا ... لأَهْجُوَهَا - لَمَّا هَجَتْنِى مُحَارِب

مَعَاذَ إلَهِى إنَّنِى بِعَشِيرَتِى ... ونَفْسِىَ عَنْ هَذَا المَقَامِ لَرَاغِبُ

[لأبى الطمحان القينى يفخر بقوله]

وقال أبو الطَّمَحَان الْقَيْنِيُّ(٣):

وإنِّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاء كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تأْوِى إلَيهِ كَوَاكِبُهْ

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجزْعَ ثاقبه

ومَازَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيرُ المَنَايا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهْ

---

(١) كلمة «عليك» ساقطة من ر ، س.

(٢) زيادات ر: «الشاعر الرماح بن ميادة»، ورواية الأغانى (٢: ٣٣٠ - طبعة الدار) للبيتين الأخيرين عن أبى حذافة السهمى:

أظنت سفاها من سفاهة رأيها ... أن اهجوها - لما هجتنى محارب

فلا وأبيها إننى بعشيرتى ... ونفسى عن ذاك المقام لراغب

(٣) زيادات ر: «اسمه حنظلة بن الشرقى، والطمحان فعلان، من طمح بأنفه وبصره إذا تكبر، والقين: الحداد، وكل صانع قين، والقين أيضا: مواضع القيد من البعير».

[لإياس بن الوليد يمدح قومه]

وقال إياس بن الولَيدِ يمدح قومه:

إِنِّى وَجَـدِّكَ مِنْ قَوْمٍ إذَا طَلَبُـوا ... بَعْدَ النَّسِـيئَةِ دَيْنًا أَحْـسَنُوا الطَّلَبَا

لاَ تَحْسبُوا هَجْمَ أَبْـيَاتِى عَلاَنِيَةً ... ولاَ اسْتِلاَبَ سِلاَحِى ذَاهِـبًا لَعِبَا

تَبْقَى الَمـعَايِرُ بَعْدَ القَوْمِ باقِـيَةً ... وَيَذْهَبُ المَالُ فِيـمَا كانَ قَـدْ ذَهَبَا

[لرجل يهجو]

وقال آخر:

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَـيْرَ تَأْشِيبِ نِسبَةٍ ... ولْكِنَّ عَـمْـرًا غَـيَّبَـتْـهُ المَقَـابِرُ

إِذَا عُيِّـرُوا قَالُوا مَقَـادِيرُ قُدِّرَتْ ... وَمَـا الْعَارُ إلاَّ مَـا تَجُرُّ المَقَـادِرُ

[لرجل من بنى نهشل بن دارم ينأى بنفسه]

وقال رجل من بنى نَهْشَلِ بن دارِم:

إِذَا مَـوْلاَكَ كَـانَ عَلَـيْكَ عَـوْنًا ... أَتَاكَ الْقَـوْمُ بِالْعَـجَبِ الْعَـجِيبِ

فَـــلاَ تَخْنَـعْ إِلَيْـــهِ ولاَ تُرِدْهُ ... وَرَامِ بِرَأْسِـهِ عُـــرْضَ الجَـبُـوبِ

فَـمَـا لِشَـآفَـةٍ مِنْ غَـيْـرِ ذَنْبٍ ... إِذَا وَلَّى صَـــدِيقُكَ مِنْ طَبِـــيبِ

قوله:

* ورام برأسه عرض الجبوب *

يريد الأرضَ ـ وهو اسم من أسمـائها ـ أنشدنى التَّـوَّزِىُّ لرجل من بنى مُرَّةَ يَرْثِى ابنه:

بُنَىَّ عَلَـى عَـيْنِى وَقَلْبِـى مِكَانُهُ ... ثَوَى بَيْنَ أَحْجَـارٍ وَرَهْنَ جَبُوبِ

وقوله: «فـما لشـآفة» يقـول: لبُغْضٍ، يقال: شَـئِفْتُ الرجُلَ أشْـأَفُهُ شـآفةً وشَأْفًا، وقد يقال فى هذا المعنى شَنِفْتُهُ، قال الرَّاجز:

لَمَّـا رَأَتْنِى أُمُّ عَـمْرٍو صَـدَفَتْ ... وَمَنَعَـتْنِى خَــيْـرَهاَ وَشَنِفَتْ(١)

(١) البينان فى اللسان (شنف).

وقال آخر:

* وَلَمْ تُدَاوِ غُلَّةَ الْقَلْبِ الشَّنِفْ[1] *

[النبهان بن عكى فى النسيب]

وقال نَبْهَانُ بن عَكِّيِّ العَبْشَمِيُّ:

يُقِرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مَنْ مَكَانُهُ ... ذُرَا عَقِدَاتِ الأَبْرَقِ المُتَقَاوِدِ

وَأَنْ أَرِدَ المَاءَ الَّذِي شَرِبَتْ بِهِ ... سُلَيْمَى، وَقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ

وَأُلْصِقَ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تُرَابِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ الأَسَاوِدِ

قوله: «ذُرَا عَقِدات»، فالذِّرْوَةُ من كلّ شيء أعلاه، فَذُرْوَةُ السنام أعلاه، وذُرْوَةَ المَجْد أرفَعُهُ وأسناه، ويقال: فلان فى ذُرْوة قومِهِ إذا كان فى الموضع الرفيع منهم، وأما قولَ لَبيد:

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا ... دَنَسَ الأَسْؤُقِ عن عَضْبٍ أَفَلّ

فإنما يقول: هذا رجل يُعَرْقِبُ الإبل لِيَنْحَرَهَا ثم يمسح ذرا أَسْنِمَتِهَا بسيفه، لِيَجْلُوَ ما عليه من دم الأسْؤق.

وقوله: «عَضْب» أى قاطع، ومن ذلك رجل عَضْبُ اللسان، وجعله أَفَلَّ لكثرة ما يُقَارِعُ به الحُروبَ، كما قال النابغَة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فلولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقوله: «عَقِدات» فهو ما انْعَقَدَ وَصَلُبَ من الرمل، والواحدة عَقِدَة، وأعقادٌ أيضًا وَعَقِدَات، قال ذو الرُّمَّة لِهِلاَل بن أَحْوَزَ المازنيِّ يمدحه:

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يا هِلاَلُ لَهَا ... رَفْعَ الطرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ[2]

حَتَّى نِسَاءُ تَمِيمٍ وَهْيَ نَازِحَةٌ ... بِقُلَّةِ الحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْعَقِدِ

لَوْ يَسْتَطِعْنَ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ ... وَقَيْنَكَ المَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَلَدِ

---

(١) البيت فى اللسان (شنف)، ورواه «علة القلب» بالمهملة.

(٢) الطراف: بيت من جلد، والعلياء: المكان المرتفع.

وقوله: «الأبرق» فالأَبْرَقُ حجارة يَخْلطُها رَمْلٌ وطين، يقال لتلك: بُرْقَةٌ، وأَبْرَقُ، وبَرْقَاء، يافتى، كما يقال: الأَمْعَزُ والمَعْزَاء، وهى الأرض الكثيرة الحَصْباء، ومثل ذلك الأَبْـطَحُ والبَطحَاء، وهو ما انبَطَحَ من الأرض، فمن قال: أَبْرَقُ فإنما أراد المكان، ومن قال: بَرْقاءُ فإنما أراد البقعة.

وقوله: «المتقاود» يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم: قُدْتُهُ أى جَرَرْتُهُ على استقامة، وكذلك طريق مُنْقاد، وفلان قائد الجيش، قال حاتم بن عبد الله الطائىّ: يضرب هذا مثلا:

إِنَّ الْكَرِيـمَ مَنْ تَلَفَّـتَ حَـولَهُ وَإِنَّ الَّلئِيمَ دَائِـمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ[1]

وقوله:

* ولو كان مخلوطا بسمّ الأساود *

يريد جمع أَسْوَدَ سالخٍ، وجَمَعَهُ عَلَى أساود؛ لأنه يجرى مُجْرَى الأسماء، وما كان من باب «أَفْعَل» اسْمًا فَجمْعُـهُ على أفاعِلَ، نحو أَفْكَل وأفاكِل[2]، والأَكْبَر والأَكابِر، وكذلك كلُّ ما سَمَّيْتَ به رجلا، تقول: أَحْمَد وأحامد، وأَسْلَم وأسالِم، فإن كَان نعتا فَجمْعُهُ «فعْل»[3] نحو أَحْمَرَ وحُمْر، وأَصْفَر وصُفْر، ولكن أَسْوَدَ إذا عَنَيْتَ به الحيّة، وأَدْهَم إذا عَنَيْتَ به[4] القَيْدَ، وأَبْطح إذا عنيت[5] المكان المُنْبَطِح، والأبرق[6] إذا عنيت المكان، مُضَارِعَة للأسماء، لأنها تدل على ذات الشىء، وإن كانت فى الأصل نعتًا محضا[7]، تقول فى جمعها: الأَباطِح والأَبَارق والأَدَاهِم والأَسَاود، فإن أَرَدْتَ نعتًا مَحْضًا يَتْبَعُ المنعوت، قلت: مررت بثياب سُودٍ، وبخَيْلٍ دُهْم، وكل ما أَشْبَهَ هذا فهذا مجراه، قال جرير:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لاَ قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِى أو لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ[8]

---

(١) حاشية الأصل: «الأقود من الرجال: الذى لا يلتفت».

(٢) الأفكل: اسم لرعدة من برد أو خوف.

(٣) ر، س: «فجمعه على فعل».

(٤) ر، س: «إذا عنيت به القيد»

(٥) ر: «إذا عنيت المكان»

(٦) ر: «وأبرق إذا عنيت به المكان».

(٧) ساقطة من ر.

(٨) المساحى: «جمع مسحاة، وهى المجرفة من حديد يجرف بها الطين عن وجه الأرض».

وقال الأَشْهَب بن رُمَيْلَة ـ [قال أبو الحسن: رميلة اسم أمّه] ـ[1]:

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أسـود خَفِيَّةٍ تساقت[2] عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

قوله: «على حـرد» يقول: على قَصـد، فأما قـولُ الله عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَـرْدٍ قادرين﴾[3]، فإن فـيه قـولين: أحدهمـا ما ذَكَـرْنا من القصـد، قال الشاعر[4]:

قَدْ جَـاءَ سَيْلٌ جَـاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْـرِدُ حَـرْدَ الجَنَةِ المُـغِلَّهْ[5]

وقالوا: «عـلى حَرْدٍ»: أى على مَنْعٍ، من حـارَدَت السنةُ إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا، وحاردت الناقة إذا مَنَعَتْ دَرَّهَا.

* * *

[قال أبو الحسن: رواية أبى الـعباس : «يُقَرُّ بعينى» يريد يُقَـرُّ عينى، ثم أتى بالباء توكيدًا، وقـال لنا: هكذا سمعته، ويقال: أَقَرَّ الله عـينَهُ يُقِرُّها، وقَرَّتْ عينُهُ تَقَرُّ، وقَـرَرْتُ بالمكان أقِرُّ، وقال الأصمـعىّ: قَرَّتْ عينُهُ من القُـرِّ وهو البَرْدُ، أى جَـمَدَتْ فلـم تدمع، وهو بِحِـذاء سَخِنَتْ عـينُهُ. وأجْـوَدُ مما رَوَى عندى: «يَقَـرُّ بعينى»، وهو الأصل، والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة.

وقال أبو العـباس: الذى رَوَيْتُ: «وقد مَلَّ السُّرَى كُلُّ واحـد»، وهو المنفرد فى السير المُتَـوَحِّدُ به، ورَوَى غيره: «كلُّ واجـد»، أى عاشق، ورُوِىَ أيضًا: «كل واخـد»، وهو من الوَخْـد والوَخَـدَانِ، وهو السـير الشـديد، والوَخْـدُ المصـدر، والوَخَدانُ الاسم].

* * *

(١) ما بين العلامتين من ر ، س.

(٢) ر ، س: «تسافوا».

(٣) سورة القلم ٢٥.

(٤) س: «قيل: هو قطرب».

(٥) زيادات ر: «قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره ـ يعنى قطربا»، وفيها «قطربا» تصحيف.

[القتال الكلابي يفخر بنفسه وقومه]

وقال القَتَّالُ الكلاَبيُّ(١)، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَحِيّ:

أَنَا ابنُ أَسْمَاءَ أَعْمَامِي لَهَا وَأَبِي ... إِذَا تَرَامَى بَنُو الإِمْوَانِ بِالْعَارِ

لا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلاَّ ثَدْيَ وَاضِحَةٍ ... لِوَاضِحِ الخَدِّ يَحْمِي حَوْزَةَ الجَارِ

مِنْ آلِ سُفْيَانَ أَوْ وَرْقَاءَ يَمْنَعُهَا ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبٌ غَيْرُ عُوَّارِ

يَالَيْتَنِي وَالْمُنَى لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ ... لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارِ

طِوَالُ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا ... رِيحَ الإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ

قوله:

* إذا ترامى بنو الإموان بالعار *

فالإِمْوَان: جمع أَمَة، وأصل أَمَة «فَعَلَةٌ» متحركة العين، وليس شيء من الأسماء على حرفين إلاوقد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمعه، أو بتثنيته، أو بفعل إن كان مشتقًا منه، لأن أقل الأصول ثلاثة أحرف، ولا يَلْحَقُ التصغيرُ ما كان أقلَّ منها، فأَمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم: «إمْوَان»، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أبَوَان وأَخَوَان، وعلمنا أن أَمَة «فَعَلَةٌ» متحركة بقولهم في الجميع: آمٍ، فوزن هذا أفعُلٌ، كما قالوا: أَكَمَةٌ وآكُمٌ، ولا تكون فَعْلَةٌ على أفعُلٍ، ثم قالوا إمْوانٌ: كما قالوا في المذكَّر الذي هو منقوص مثله: إخْوان، واستوى المذكر والمؤنث؛ لأن الهاء زائدة، كما استَوَيَا في «فَعْل» الساكن العين، تقول: كَلْبٌ وكلاب، وكَعْبٌ وكِعابٌ، كما تقول في المؤَنَّث: طَلْحَةٌ وطلاَحٌ، وجَفْنةٌ وجفان، وصَحْفَةٌ وصِحَافٌ. ونظير ذلك من غير المعتل ورَل(٢) وورْلان، وبَرَق وبِرْقان وخَرَب وخِرْبان، وهو ذَكَرُ الحُبارَى، والبَرَقُ الحَمَل. ومن أنشد:

---

(١) ر ، س: «وقال أبوالعباس، قال القتال . . .».

والأبيات في أمالي القالي (٢: ٢٢٥ ، ٢٢٦)، وذكر فيها: «نازع القتال الكلابي - وهو عبيد بن المضرحي - رجلا من قومه، فقال له الرجل: أنت كلٌّ على قومك، والله إنك لخامل الذكر والحسب، ذليل النفر، خفيف على كاهل حصمك، كلٌّ على ابن عمك»، فقال هذه الأبيات.

(٢) الورل: دابة على خلقة الضب، إلا أنه أعظم منه، يكون في الصحارى.

«أُمْوَان» فقد غلط، لأنه يَحْتَجُّ بقولهم: حَمَلٌ وحُملانٌ، وفَلَقٌ وفُلْقانٌ، وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مِثْلَهُ، نحو أخ وأخْوان. وقد روَى أبو زيد: أُخْوان، فإلى هذا ذهبوا، والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عَلَيْه الرِّوايةُ الضعيفة.

وقوله: «لا أرْضِعَ الدَّهْرَ» فهذا على لغته، لأن قيْسًا تقول: رَضِعَ يَرْضِعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضَعَ يَرْضَعُ، ويُنشدون بيت عبد الله بن هَمَّام [السلولى][1] على وجهين، وهو:

إذَا نَصَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا ... ولكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ

وذَمُّوا لَنا الدُّنْيَا وهُمْ يَرْضِعُونَها ... أَفَاوِيقَ حَتَّى مـا يَدِرُّ لَهَا ثُعْلُ[2]

وبعضهم يقول: «يَرْضَعُونَها».

وقوله:

« لا أرْضِعُ الدهر إلا ثدْىَ واضحة »

يقول: إنما تُرْضِعُنى أمّى، وليست غير كريمة، كما قال الأعْشَى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِىَّ ولاَ ... يَشْرَبُ كَأْسًا بكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يقول: إنما تَشْرَبُ بكفك، ولَسْتَ ببخيل، ومثل هذا قولُ التَّميمِىِّ لِنَجْدَةَ بن عامرٍ الحَنَفِىِّ الخارجى[3]:

مَتَى تَلْق الحَرِيشَ حَرِيش سَعْد ... وعَبَّادًا يَقُودُ الدَّارِعِينا

تَبَيَّنْ أَنَّ أُمَّك لَمْ تَوَرَّكْ ... ولَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا[4]

وقوله: «واضحة» أى خالصة فى نَسَبِها، وليست بأمة، وهذا توكيد لبيته الأول، وقد أنشد بعضهم: «لواضح الجدِّ» والمعنى قريب.

---

(١) من و. وفى س «بيتى ابن همام».

(٢) الثعل، مثلثة. خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة.

(٣) هو نجدة بن عامر الحنفى، من رءوس الخوارج، كان ممن لقبوه بأمير المؤمنين قتل سنة ٧٢. (وانظر تاريخ الطبرى ٧: ١٩٤).

(٤) هو الحريش بن هلال القريعى الشاعر، وعباد بن علقمة المازنى، وسيأتى ذكرهما فى أخبار الخوارج.

وقوله: «يَحْمى حَوْزَةَ الجارِ» أى ما يَحُوزه، يقال: فلان مانع لحوْزَتِه، أى لما صار فى حَيِّزِه، ويُرْوَى عن علىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه[1] أنه قال: للأَزْد أربعٌ ليست لحَىّ، بذْلٌ لما ملكَتْ أيديهم، ومَنْعٌ لِحَوْزَتِهمْ، وحَىٌّ عِمَارةٌ[2] لا يحتاجون إلى غيرهم، وشُجْعَانٌ لا يَجْبُنُونَ.

وقوله:

* لمالك، أو لحصْنٍ، أو لسيَّار *

فهؤلاء بيت فزَارَة، وبُيُوتات العَرَب فى الجاهلية ثلاثة، فبيتُ تميم بنوعبد الله ابن دارم، ومَرْكَزُهُ بنو زُرَارَة، وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزَارَةَ ومركَزُهُ بنو بدْرٍ، وبيت بكْر بن وائِل شَيْبان ومركزُه بنو ذى الجَدَّيْنِ.

وقوله: «طوالُ أنْضِيةِ الأعناق» فالنَّضِىُّ مُرَكَّبُ النَّصْل فى السِّنْخ، وضَرَبَهُ مَثَلاً، وإنما أراد طوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُور نِعَالِهِمْ ... يَمْشُونَ في الدفَئِيِّ والأَبْرَادِ[3]

يريد السُّودَدَ والنِّعْمَةَ ولم يَخْصُصِ الصدورَ، وإنما أراد النعال كلها، وقال الشاعر[4]:

يُشَبَّهُونَ مُلُوكًا فِى تَجِلتِهِمْ ... وطُولِ أَنْضِيَةِ الأعْنَاقِ والْلِّمَمِ

إذَا بَدَا المِسْكُ يَنْدَى فِى مَفَارِقِهِمْ ... رَاحُوا كَأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الْكَرَمِ

[قال أبو الحسن: وغيره يروى: يُشَبَّهُونَ قريشًا فى تجِلَّتهم].

وقوله: «بأزفار» فالزِّفْرُ الحِمْل، ويُضْرَبُ مثلا للرجل، فيقال: إنه لَزُفَر، أى حَمَّالٌ للأثقال، ويقال: أتى حِمْلَهُ فازْدَفَرَهُ، قال أبو قُحافة أعْشَى باهِلَةَ:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها ويُسْألها ... يَأْبَى الظُّلاَمَةَ منْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

---

(١) ر: «رضى الله عنه».

(٢) العمارة هنا: الحى العظيم يمكنه الانفراد بنفسه، بفتح العين وكسرها. قال ابن الأثير: «فمن فتح فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمارة والعمامة، ومن كسر فلأن بهم عمارة الأرض» (وانظر النهاية ١٢٨:٣).

(٣) الدفئى: ضرب من الثياب، قيل هى المخططة.

(٤) زيادات ر: «هو الشمردل بن شريك اليربوعى، عن ابن قتيبة».

وإنما يريد بعينه، كقولك: لئن لقيتَ فلانا ليَلْقَيَنَّكَ منه الأسَدُ.

وقوله: «النَّوْفَلُ» من قولهم: إنه لذو فَضْلٍ ونَوَافِلَ.

* * *

[الرجل من بني عبس، وكان عروة بن الورد قد شتمه]

وقال رجل من بنى عَبْسٍ، يقوله لعُرْوَةَ بنِ الوَرْدِ:[1]

لا تَشْتُمَنِّى يا بن وردٍ فإنَّنى ... تَعُودُ عَلَى مَالِى الْحقُوقُ الْعَوَائدُ

ومَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤوبَ تَكُنْ بِهِ ... خَصَاصَةُ جِسْمٍ، وهُوَ طَيَّانُ ماجِدُ[2]

وإنِّى امْرُؤٌ عافِى إنَائِىَ شِرْكَةٌ ... وأَنْتَ امْرُؤٌ عافِى إنَائِكَ وَاحِدُ[3]

أُقَسِّمُ جسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ والماءُ بارِدُ

قوله: «النؤوب» يريد الذى ينُوبه، وكل واو انْضَمَّتْ لغير علَّة فأنت فى همزها وتركها بالخيار، تقول فى جَمْع دار: أدْؤُر، وإن شئت لم تَهْمِزْ، وكذلك النَّؤُوب والقَؤُولُ لانضمام الواو، فأمَّا الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة، وهى مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو التَقَتْ واوان فى أوّل كلمة، وليستْ إحداهما مَدَّةً لم يكن بُدٌّ مِنْ هَمْزِ الأولى، تقول فى تصغير واصِلٍ وواقد: أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقِدٌ، لابُدَّ من ذلك، فأما وُجُوهٌ فإن شئت هَمَزْتَ فقلت: أُجوهٌ وإن شئْتَ لم تَهْمِزْ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[4] والأصل وُقِّتَتْ، ولو كان فى غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت. وقوله عز وجل[5]: ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾[6] والواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو.

وقولى: «إذا انضمت لغير علة»، فالعلة أن تكون ضمتها إعرابا، نحو هذا غَزْوٌ يا فتى، ودَلْوٌ كما ترى، فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ؛ لأن الضمة للإعراب فليستْ بلازمة، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين، فذلك أيضًا غير لازم، فلا يجوز

---

(١) ر ، س: «قال أبو الحسن: يقوله لعروة بن الورد».

(٢) الخصاصة: سوء الحال. والطيان: الجائع.

(٣) العافى: طالب المعروف.

(٤) سورة المرسلات ١١.

(٥) ر ، س: «وقوله تعالى».

(٦) سورة الأعراف، ٢٠.

همزه: نحو اخْشَوُا الرجل، و﴿لَتُبْلَوُنَّ فى أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[1] و﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾[2] ومَنْ هَمَزَ من هذا شيئًا فقد أخطأ.

[الرجل من بنى تميم يهجو تعلة بن مسافر]

وقال رجل من بنى تَميم:

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافِرٍ ... مَادَامَ يَملِكُهَا علَىَّ حَرَامُ

وطَعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلُهَا ... مَادَامَ يَسْلُكُ فِى الْبُطُونِ طَعَامُ

إِنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فِى أَعْنَاقِهِمْ ... زَادٌ يُمَنُّ علَيْهِمُ لَلِئَامُ

لَعَنَ الإلَه تَعِلَّةَ بْنَ مُسَافِرٍ ... لَعْنًا يُشَنُّ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جداً.

قوله: «يسوغ فى أعناقهم» يريد حُلُوقَهُمْ؛ لأن العُنُقَ يحيط بالحلْق، ويُشْبِهُ هذا الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِىِّ:

لمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإِخْوَتِهِمْ ... مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بِالدَّمِ الْوادِى

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّات نَقُدُّ بِهَا ... مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زرَّاد

لأن الخِيَاطة تَضُمُّ خِرَقَ القَمِيص، والسَّرْد يضم حلَقَ الدِّرْع، فَضَرَبَهُ مَثلاً فَجَعَلَهُ خِيَاطةً.

* * *

[قال أبو الحسن: رَوَى أبو العباس:

* وطعام عمران بن أوفى مثلُها *

ردّ الهاء والألف على الألبان، وهذا لا نظر فيه، ورَوَى أيضًا مِثْله لأن الألبان تجرى مُجْرَى اللبن، فَحَمَلَهُ على المعنى. وقد يجوز أن تجْعَل الألبَان جَمْعًا فتُذَكَّرَ لتذكير الجمع. ورُوِىَ أيضًا.

* مادَامَ يَسْلُكُ فى الحلوق طَعَامُ *

(1) سورة آل عمران ١٨٦

(2) سورة التكاثر ٦.

ورَوَى الفَرَّاءُ فى هذا الشِّعر:

* إنَّ الَّذينَ يَسُوغُ فى أَحْلاقِهِمْ *

وإنما كان ينبغى أن يكون: «فى أَحْلُقِهِمْ» كقولك: فَلْسٌ وأفْلُسٌ، وما أشبهه ولكنه شبَّهَ باب «فَـعْلٍ» بباب «فَعَل»، كما قالوا: زَنْدٌ وأَزْنَادٌ، وفَـرْخٌ وأفْرَاخٌ، قال الحُطَيْئَةُ لعُمَرَ بن الخطاب رضى[(1)] الله عنه:

مَـاذَا تَقُولُ لأَفْـرَاخٍ بِذِى مَـرَخٍ ... حُمْـرِ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شَـجَرُ

ففعلوا هذا تشبيـهًا بباب «فَعَلٍ» كما شَبَّهُوا فَعَـلاً بِفَعْلٍ فى الجمع، فقالوا: جَبَلٌ وأجْبُلٌ، وزَمَنٌ وأزْمُنٌ، كما قال:

إنِّى لأَكْنِى بِأَجْبَالٍ عَنْ أجْبُـلِهَا ... وبِاسْمِ أَوْدِيَـةٍ حُـبًّـا لوَادِيهَــا

فَأَتَى به على الأصل، وتشبيهًا بغيره على ما أخْبَرْتُك، قال ذو الرُّمَّة:

أَمَنْزِلَتَـىْ مَىّ سَـلامٌ عَلَيْكُـمَـا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائِى مَضَيْنَ رَواجِعُ!

والباب «أزمان» كما قال رُؤْبَةُ:

أزْمَـانَ لا أدرى وإن سَـألتِ ... مـا فرْقُ بين جُـمـعةٍ وسَبْتِ

ورَوى أبو العبـاس البيتَ الأخـير مُـقْوًى، وجَعَلَهُ نكرة، وهـو قوله: «من قُدَّامٍ، كـما تقول: جئـتك من قَبْلٍ، ومن بَعْدٍ، ومن عَلٍ، وما أشـبهه، كمـا قرأ بعضهم: ﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ﴾[(٢)]، كما تقول: أوَّلًا وآخرًا، ورواه الفراء: «من قُدَّامُ»، وجعله معـرفَةً، وأجراهُ مُجْرَى الغايات، نحو: «قَبْلُ وبَعْـدُ» كما قال [طرفة بن العبد][(٣)]:

ثُمَّ تَفْـرِى الُّلحْمَ مِنْ تَعْـدَائِهَـا ... فَهْىَ مِنْ تَحْتُ مُشِيحَاتُ الحزَمْ

وكما قال عُتَىّ بن مَالِكٍ العُقَيْلىُّ، أنشده الفراء أيضًا:

إذَا أَنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ ولَمْ يكُنْ ... لِقَـــاؤُكَ إلاَّ مِـنْ وراءُ وراءِ

---

(١) ر ، س: «العمر رحمه الله».

(٢) سورة الروم ٤.

(٣) من ر، وعجز هذا البيت صدر لبيت آخر، ورواية الديوان ٥٩.

وحلّ الصنعة فى مشتاتها ... فهى من تحت مشيحات الحزمْ

وتفـرّى اللحم من تعـدائهـا ... وتعـالى فهى قُبٌّ كالعَجَم

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف، وجهةُ التعريف أن يكون مُعَرَّفًا بنفسه، كزيد وعمرو، أو يكون مُعَرَّفًا بالألف واللام أو بالإضافة، فهذه جهة التعريف، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بالمعنى، فلذلك بُنى إذْ خَرَجَ من الباب، ويُروى: «لَعنًا يُسَنُّ عليه» بالسين، ويُسَنُّ ويُشَنُّ واحد، أى يُصَبُّ، إلا أن بعضَهم قال: السَّنُّ: الصبُّ على جهة واحدة، وقالوا: يقال: شَنَنْتُ عليه الماء، وسَنَنْتُه، وسَنَنْتُ عليه الدِّرْعَ لا غير، وقالوا: شَنَنْتُ عليه الغارةَ لا غير].

* * *

[القطامى يفتخر]

قال أبو العباس، وقال القُطامىُّ:

فَمنْ تَكُنِ الحضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَىَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا!

ومَنْ رَبَطَ الْجِحَاش فَإنَّ فِينَا ... قَنًا سُلُبًا وأَفْرَاسًا حِسَانَا[1]

وكُنَّ إذَا أَغَرْنَ عَلَى قَبِيلٍ[2] ... فَأَعْوَزَهُنَّ كَوزٌ حَيْثُ كَانَا[3]

أَغَرْنَ منَ الضِّبَابِ عَلَى حِلالٍ ... وضَبَّةَ، إنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا

وأَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا ... إذَا مَا لمْ نَجِدْ إلاَّ أَخَانَا

قوله: «الحضَارةُ» يريد الأمْصارَ، وتقول العرب: فلانٌ باد، وفلانٌ حاضرٌ، وفى الحديث: «ولا يبيعنَّ حَاضِرٌ لبادٍ»، وتأويلُ ذلك أن البادىَ يَقْدَمُ وقد عرف أسْعار ما مَعَهُ وما مقْدارُ رِبْحه، فإذا جاءه الحاضرُ عَرَّفَهُ سُنَّةَ البَلَد فَأَغلَى على الناس. ومِثْلُ ذلك النَهى عن تَلَقِّى الجَلَب، ومثله: دَعُوا عبَادَ الله يُصِبْ بَعْضُهُمْ من بَعْضٍ. ويقال: حَىٌّ حَلالٌ، إذَا كانوا مُتَجَاورِين مُقيمين، وأنشد الأصمعىّ:

أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيرَ تَجْرًا ... أَحَبُّ إلَيْكَ أَمْ حَىٌّ حِلالٌ

---

(١) القنا: جمع قناة، وهى الرمح: السلب: الطوال، واحده سلب، بفتحتين.

(٢) القبيل: الجماعة من الناس.

(٣) كوز: رجل من أسد وفى ر. «كون» تحريف وانظر الديوان ٥٨.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قيل لمعاوية رحمةُ الله عليه: ما النُّبْلُ؟ فقال: الحلْمُ عند الغضب، والعَفْوُ عند القدرة. ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أُخْبِرُكُمْ بشرَارِكُمْ؟[1]: من أَكَلَ وَحْدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ. ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ من ذلكُمْ؟: مَن لا يُقيلُ عَثْرَة، وَلا يَقْبَل مَعْذرَةً، وَلا يَغْفِرُ ذَنْبًا، ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ من ذلكُمْ؟: «مَن يُبْغض النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ». وَيُرْوَى عنه عليه السلام أنه قال: «المُسْلمون تَتَكَافَأُ دِماؤُهُمْ، ويسعى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ، وهُم يَدٌ عَلَى مَنْ سِواهُمْ، والمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيه».

قوله ﷺ: «تَتَكَافَأُ دماؤُهم»، من قولك: فلان كُفْءٌ لفلان، أى عَديلُهُ، وموضوع بحذائه، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقال: فلان كفاءُ فلان، وكَفِيءُ فلان، وكُفْءُ فلان.

ويروى أن الفَرَزْدَقَ بَلَغَهُ أَنَّ رجلاً من الحَبِطَات بن عَمْرو بن تميم خَطَبَ امرأة من بنى دارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيدة مَنَاةَ بن تميم، فقال الفرزدق:

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤهُم آلُ مِسْمَعٍ ... وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الحَبِطَاتُ

فآل مِسْمَع بيت بَكْرِ بن وائِلٍ فى الإسلام، وهم من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَةَ بن صَعْبِ بن علىّ بن بكر بن وائل، والحَبطات هم بنو الحَارث بن عمرو ابن تميم. فقوله: «أكفاؤهم» إنما هو جمع كفْءٍ يا فتى، فقال رجل من الحَبِطات يجيبه:

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ! ... بَلَى وَلأَبْيَاتٍ بِهَا الحُجُراتُ

يعنى بنى هاشم، من قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ﴾[2].

وقال علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله: مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ، وَجَبَتْ مَحَبَّتُه. وقال: قِيمة كلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِن.

---

(1) ر: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال من أكل وحده ...».

(2) سورة الحجرات ٤.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ثلاثٌ يُثْبِتْنَ لَكَ الْوُدَّ فى صَدْرِ أخيك: أنْ تَبْدأَهُ بالسَّلام، وتُوَسِّعَ له فى المجلس، وتَدْعُوَه بأحَبِّ الأسماء إليه. وقال: كَفَى بالمرْءِ غَيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاث: أن يَعيبَ شيئًا ثم يَأْتِىَ مِثْلَهُ، أو يَبْدُوَ لَهُ من أخيه ما يَخْفَى عليه من نفْسه، أو يُؤْذِىَ جليسه فيما لا يَعْنيه.

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانيَة: لكم من السماء نَجْمُهَا، ومن الكَعْبَة رُكْنُهَا، ومن السُّيوف صَمِيمُهَا. يعنى سُهَيْلاً من النجوم، والرُّكْنَ اليَمانىَّ، وصَمْصَامَةَ عمرو بن مَعْدى كَرِب.

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال يوما: مَنْ أجْوَدُ العرب؟ فقيل له: حاتِم، قال: فَمَنْ شاعرُها؟ قيل: امرؤُ القَيْس بن حُجْرٍ، قال: فمَنْ فارسُهَا؟ قيل: عمرو بن معدى كرب. قال: فأىُّ سُيوفها أَمْضَى؟ قيل: الصَّمصامة.

وقال مُعَاوية بن أبى سُفيان رحمه الله للأَحْنَف بن قَيْس وجارِيَة بن قُدَامَةَ ورجال من بنى سَعْد معهما كَلاَمًا أحفظهم، فَرَدُّوا عليه جوابًا مُقْذِعًا، وبنت قَرَظَةَ فى بَيْت يَقْرُبُ منه، فَسَمعَتْ ذلك، فلما خرجوا قالت: يا أمير المؤمنين، لقد سَمِعْتُ من هؤلاء الأَجْلاَف كلامًا تَلَقَّوْكَ به فلم تُنْكِر، فَكِدْتُ أَخْرُجُ إليهم فأسْطو بهم. فقال لها معاوية: إنَّ مُضَرَ كَاهِلُ العَرب، وتميمًا كاهلُ مضر، وسعدًا كاهل تميمٍ، وهؤلاء كاهلُ سَعْد.

وكان معاوية يقول: إنِّى لا أحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لا سَيْفَ معه، وإن لم تكن إلا كلمةٌ يَشْتَفِى بها مُشْتَفٍ جَعَلْتُهَا تَحْتَ قَدَمِى، ودَبْر أُذُنِى.

المُقْذِعُ: الذى فيه إقْذَاعٌ، وهو السيئ من القول.

باب

[الرجل من بنى سعد يرثى رجلا]

قال أبوالعباس: قال رجل ـ أحْسَبُهُ من بنى سَعْد ـ يرثى رجلا:

ومُحْتَضَرِ المَنَافِعِ أرْيَحِىٍّ	نَبِيلٍ فِى مَعَاوِزَةٍ طِوَالِ
عَزِيزٍ عِزَّةً فِى غَيْرِ فُحْشٍ	ذَلِيلٍ لِلذَّلِيلِ مِنَ المَوَالِى
جَعَلْتُ وِسَادَهُ إحْدَى يَدَيْهِ	وَتَحْتَ جَمَائِه خَشَبَاتُ ضَالِ
وَرِثْتُ سِلاَحَهُ، وَوَرِثْتُ ذَوْدًا	وَحُزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِى

قوله: «أرْيَحِىّ» هو الذى يَرْتَاح للْمَعْروف، أى يَخِفُّ له، ويقال: أخَذَتْ فلانا أرْيَحِيَّة، أى خِفَّةٌ وحركةٌ لفعل المعروف. والمَعاوِزُ: الثياب التى يَتَبَذَّلُ فيها الرجل، وهى دون الثياب التى يَتَجَمَّلُ بها، واحدها مِعْوَزٌ، قال الشَّمَّاخُ فى نعت القَوْسِ:

إذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وأُشْعِرَتْ ... حَبِيرًا ولَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ[1]

وقوله: «فى مَعَاوِزَة»: فزَاد الهاء، فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث، لأن كل جَمْعٍ مؤنث، كما تقول فى جمع صَيْقَلٍ صَيَاقِل وصَيَاقِلَة، وكذلك جَوَارِب وجَوَارِبَة، إلا أن أكثر الأعجمىّ يختص بالهاء، وهو فى العربىّ جَيِّدٌ، وفى العَجَمِىّ أكثر استعمالا نحو المَوَازِجَة[2]، فإن كان منسوبًا كان الباب فيه إثبات الهاء، وتركها جائز، نحو المهالبة والأَحَامِرَة، وقالوا: السَّبَابِجَة[3] لأنه قد اجتمع فيه النَّسَبُ والعُجْمَة.

---

(١) الأنداء: جمع الندى، وهو ما يسقط ليلا. وأشعرت. ألبست الشعار،وهو الثوب الذى يلى الجسد. والحبير. البرد الموشى.

(٢) الموازجة: جمع موزج، وهو الخف، وأصله: «موزة» (وانظر المعرب ٣١١).

(٣) قال فى اللسان. السبابجة: قوم دوو جلد من السند والهند يكونون مع رئس السعينة البحربه، واحدهم سبيجى، ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسب، كما قالوا· البرابرة».

وقوله: «تحت جمَائه» يعنى شخصه، والضالُ: السِّدْرُ البَرِّىّ، وما كان من السِّدْرِ على الأنهار فليس بِضَالٍ، ولكن يقال له: عُبْرِىٌّ. قال ذو الرُّمَّةِ: «عُبْريا وضالا»(١).

وقوله:

* ورِثْتُ سِلاحه ووَرِثْتُ ذَوْدَا *

يصف قُرْبَ نَسَبِه منه، والذَّود: القطعة من الإبل، وأكثر ما يُسْتعمل ذلك فى الإنَاث، ويجوز فى السائر، ومنه قولهم: الذَّوْد إلى الذَّوْدِ إبل، ثم قال:

* وَحُزْنًا دائمًا أُخْرَى اللَّيَالى *

كما قال الأول ـ وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَه من أحد أهله:

يَقُولُ جَزْءٌ ـ ولَمْ يَقُلْ جَلَلاً ـ ... إنِّى تَزَوَّجْتُ نَاعِمًا جَذِلا

إنْ كُنْتَ أَزَنَنْتَنِى بِهَا كَذِبًا ... جَزْءُ، فَلاقيْتَ مِثْلَهَا عَجِلاَ

أُغْبَطُ أَنْ أرْزأَ الْكِرَامَ وأَنْ ... أُورَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلا

قوله: «ولم يقل جللا» أى صغيرًا، والجَلَلُ يكون للصغير، ويكون للكبير، ومن ذلك قوله:

* كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلا اللَّهَ جَلَلْ *

أى صغير، وقال لبيدٌ فى الكبير:

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِى ... وَمِنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلْ

وقوله: «شصائصًا»، يعنى حقيرةً دَميمةً. وزعم التَّوَّزِىُّ أنَّ النَّبْلَ من الأضداد، يكون للجليل والحقير، واحتَجَّ بهذا البيت الذى ذكرناه، قال: يريد هاهنا الحقيرة.

وقوله: «أَزْنَنْتَنى». أى قَرَفْتَنى ونَسَبْتَنى إليه، يقال: فلان يُزَنُّ بكذا وكذا، أى يُسَمَّى به، ويُنْسَبُ إليه، قال امرؤ القيسِ بن حُجْر:

كذَبْتِ، لَقَدْ أُصْبِى عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ ... وَأَمْنَعُ عِرْسِ أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِى

(١) ر: «قال ذو الرمة»:

قطعت إذا تجوفت العَواطى ... ضُروبَ السِّدْر عُبْريًا وضَالا

والعواطى: الظباء تمد أعناقها إلى الشجر. (وانظر ديوانه ٤٤٠).

وفى معنى قوله: «ورثت سلاحه» قولُ الشاعر:

يَفْـــرَحُ الْوَارِثُ بِالْمـــالِ إِذَا وَرِثَ المالَ وَيَبْكِـى إِنْ غَـضِبْ

ومثله قول نَعَلَمَةَ الفَزَارِيِّ:

* يَاحَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّهْ *

[الجميل بن معمر في النسيب]

وقال جَميلُ بن مَعْمَرٍ:

مَـا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَـذَفَتْ بِهِ يَدٌ، وَمُـمَـرٌّ العُـقْـدَتَيْنِ وَثِيقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فَـتِـيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ، أَيْمـا خطامُهَا فَـمَتْنٌ، وَأَيْمَـا عُودُهَا فَـعَتِـيقُ

بِأَوْشَكَ قَـتْلا مِنْك يَوْمَ رَمَيْـتِنى نَوَافِــذَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُـنَّ خُـرُوقُ

كَأَنْ لَمْ نُـحَارِبْ يَابُثَيْنُ لَـوَ انَّهَا تَكَشَفُ غُـمَّـاهَا وَأَنْتِ صَـدِيقُ

قوله: «ما صائب» يريد قاصداً، يـقال: صابَ يَصوبُ إِذَا قَصَدَ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾(١) وقد قالوا: النازلُ، والقَـصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ بن أبى خازمٍ الأَسَدِيُّ:

[تُؤَمِّلُ(٢) أَنْ أَؤُوبَ لَهَـا بِغُنْمٍ] وَلَمْ تَعْلَـمْ بِأَنَّ السَّـهْمَ صَـابَا

وقوله: «ومُمَرٌّ العُقْدَتين» يعنى وَتَرًا، والمُمَرُّ: الشديد الفَتْل.

وقـــوله: «من خَـــوَافِى النَّسْـــرِ حُمٌّ نَظَائر» يـريد ريش الســـهم، والحُمُّ: السُّود، وذلك آخْلَصُهُ وأجْـوَدُهُ، وجَعَلَهَا نظائِر فى مقاديرها، لأنه أَقْـصَدُ لِلسَّهْمِ، وإذا كانت الريشـات بَطْنُ الواحدةِ منها إلى ظهـر الأخرى فهو الذى يُخْـتار، وهو الذى يقال له اللُّؤَام، وإنما أخِذَ من قولهم: مُلتئمْ. وإن كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر الأخرى، وبَطْنُها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه، يقال له اللُّغَاب.

---

(١) سورة البقرة ١٩.

(٢) ر. «صدرالبيت عن أبى الحسن».

وقوله: «كنصل الزاعبىّ»، شبَّهَ نَصْلَ السَّهْمِ بنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِىّ، وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرَجِ، يقال له زاعبٌ، كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ، هذا قول قوم، وأما الأصمعىّ فكان يقول: الزَّاعِبىُّ: الذى إذا هُزَّ فكأَنَّ كعُوبَهُ يَجْرِى بعضُهَا فى بعضٍ لِلِينِه وتَثَنِّيه، يقال: مَرَّ يَزْعَبُ بحِمْلِه إذَا مَرَّ به مَرًّا سَهْلا.

وقوله: «فتيق» يعنى حادًّا رقيقًا، ويقال: فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ، وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له. و«فَعِيلٌ» يقع اسما للفاعل، ويقع للمفعول، فأمَّا الفاعل فمِثْلُ رَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَحكِيمٍ وَشَهِيدٍ، وأما ما كان للمفعول، فنحو جَرِيحٍ وقَتِيلٍ وصَرِيعٍ.

وقوله: «زَوْرَاء» يريد مُعْوَجَّةً، وكلمَّا كانت القَوْس أشَدَّ انعطافا كان سَهْمُها أَمْضَى.

وقوله: «على نَبْعَةٍ»، يعنى قَوْسًا، وأَكْرَمُ القِسِىِّ ما كان من النَّبْعِ.

وقوله: «أَيْمَا» إنما يريد «أمَّا»، واستثقل التضعيف، فأَبْدَلَ الياء من إحدى الميمين، ويُنْشد بيت ابن أبى رَبِيعَةَ:

رأَتْ رَجُلاً، أَيْمَا إذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى، وأَيْمَا بالْعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

وهذا يقع، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كَسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّال، فيكرهون التضعيفَ والكَسْر، فيُبْدلون من المُضَعَّفِ الأول الياء للكسرة، وذلك قولهم: دِينارٌ وقِيراطٌ وديوانٌ وما أشبه ذلك، فإنْ زالت الكَسْرَة وانفصل أحد الحرفين عن الآخر رَجَعَ التضعيفُ، فقلت: دَنانير وقَرَاريط ودَوَاوِين، وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِير.

وقوله: «وأَيْما عُودُها فعَتِيق»، يصف كَرَمَ هذه القوس وعِتْقَهَا، ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَك ولِحَاؤُهَا عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه، كما قال الشَّمَّاخ:

فَمَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائها ... وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

مَظَّعَهَا: شَرَّبَهَا(١).

---

(١) زيادات ر: «قوله: «فمظعها حولين»، أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء، يقال: مَظع الرجل الظل إذا تحول من مكان إلى مكان».

وقوله: «بأوَشَكَ قتلا منك»، يقول: بأسرع، يقال: آمرٌ وشيكٌ أى سريع، ويقال: يُوشِك فلان أن يفعل كذا، أى يقارِبُ ذلك، ويُوشِك يفعل، كذا بطرح «أنْ» كلّ ذلك جيِّد، قال[1]:

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِى بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

* * *

[قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة، وهى لرجل من الْخَوارج قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ:

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِى الحَيَاةِ وَإِنْ عَاشَتْ قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لاَحِقُهَا

وَأَيْقَنَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا كَانَ بَرَاهَا بِالأَمْسِ خَالِقُهَا]

* * *

قوله: «عَبْطة»، أى شابًّا، يقال: اعتُبِط الرجل، إذا مات شابًّا من غير مرض، وأصل العبيط الطَّرِىُّ من كل شىء.

وقوله:

* نَوَافِذَ لم تُعْلَم لهنَّ خروقُ *

معنى طَرِيفٌ، وقد أخذه أبو حَيَّة منه فكشفه فى أبيات مختارة، وهى[2]:

وَإِنَّ دَمًا ـ لَوْ تَعْلَمِينَ ـ جَنَيْتِهِ عَلَى الحَىِّ جَانِى مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ

أَمَا إِنَّهُ لَوْ كانَ غَيرك أَرْقَلَتْ إِلَيْهِ الْقَنَا بالرَّاعِفَاتِ الَّلهَاذِمِ[3]

ولكنْ لَعَمْرُ اللّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَغُرِّ الثَّنَايَا واضِحَاتِ الملاَغِمِ

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقَاط حَصَى المَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ

---

(١) زيادات ر: «هو أمية بن أبى الصلت»، وكذا فى حاشية الأصل أيضا.

(٢) زيادات ر: «اسم أبى حية الهيثم بن الربيع» وفى س: وهو قول أبى حية النميرى».

(٣) اللهاذم: القواطع.

رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ ... دَمًا مَائِرًا إِلاَّ جَوًى فِى الْحَيَازِمِ[1]

* * *

[قال أبو الحسن: وأول هذه الأبيات المختارة أنشدنَاه غيْره:

وخَبَّرَكِ الْواشُـونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُم ... بَلَى وسُـتُورِ اللهِ ذَاتِ المَحَـارِمِ[2]

أَصُدُّ وَمَـا الصَّدُّ الَّذِى تَعْلَمِـينَهُ ... شِـفَاءٌ لـنَا إِلاَّ اجْتِـرَاعَ الْعَـلاَقِمِ]

* * *

قال أبو العباس: فهذا مأخوذ من ذلك.

وقوله:

* ولكن لَعَمْرُ اللهِ ماطَلَّ مسلمًا *

يقول: ماطَلَّ دَمَهُ، يقال: دَمٌ مَطْلُولٌ، إذا مَضَى هَدَرًا، كما قال الراجز:

* بِغَيْرِ عَقْلٍ وَدَمٍ مَطْلُولِ *

وحدّثنى التَّـوَّزِىُّ قال: قـال يَحْيى بن يَعْمَـر لرُجل نازَعَتْـه امرأته عنده: آنْ طَالَبَتْكَ بِثَمَنِ شكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّهَا وَتَضْهَلُهَا !

قوله: «ثمن شكْرها» فإنما يعنى الرَّضاعَ،والشَّبْرُ: النكاح، والشَّكْرُ: الفَرْج.

وقوله: «أنشأْتَ تطلُّها» أى تَسْعَى فى بطلان حقها.

وقوله: «تضهلها»، أى تغْطيها الشىء بعد الشىء: يقال: بئر ضَهُولٌ إذا كان ماؤها يَخْرُجُ من جـرابها شيئًا بعـد شىء، وجِرَابُها جَوَانِبُهَـا، وإنما يَغْزُرُ ماؤها إذا خرج من قَرَارتها فتَعْظُم جَمَّتُهَا[3].

---

(١) زيادات ر: «الكاف فى قوله: «كغر» فاعلة بقوله: «طل»، ومنه قول الأعشى:

أتنتـهـونَ ولَنْ ينهى ذوى شطَطٍ ... كـالطعن يذهب فـيه الريت والفـتل

وقول امرىء القيس:

وإنك لم يفـخر عليك كـفاخـرٍ ... ضـعيف، ولـم نغلـبْك مثل مُـغلَّبِ

(٢) ر: دكَر بعده عن أبى الحسن:

حـيـاء وبقـيا أن تشـبع نمـمـةٌ ... بنـاديكُم، آفٌ لأهـل النمـــائِم !

وأورد هذا البيت فى حاشية الأصل عن أبى على.

(٣) الجمة. كثرة الماء.

وقوله: «واضحات الملاغم»، يريد العوَارض، قال الفرَزْدَق:

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فى المَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ عِلاَطًا ولاَ مَخْبُوطَةً فى الملاَغِمِ

يقول: عَلِمَ أربابُ الماء لِمَنْ هِيَ فَسَقَاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لِعِزِّهِمْ ومَنَعَتِهِمْ، ولم تَحْتَجْ أن تكون بها سِمَةٌ.

والعِلاَطُ: وَسْمٌ فى العُنُق والخِبَاطُ فى الوجه.

بابـ

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبوالعباس[1]: قال بعض الحكماء: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صغيراً سر به كبيراً.

وكان يقول: منْ أَدَّبَ ولده أَرْغَمَ حَاسِدَهُ.

وقال رجل لعَبْد الملكِ بن مَرْوان: إنى أريد أن أُسِرَّ إليك شيئًا، فقال عبد المَلك لأصحابه: إذا شئتم، فَنَهَضُوا، فأراد الرجلُ الكلامَ، فقال له عَبْدُ الملك قفْ، لا تَمْدَحنى، فأنا أعْلَمُ بنفسى منك، ولا تكْذِبْنِى، فإنه لا رأىَ لمكْذوب، ولا تَغْتَبْ عندى أحدًا. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لى فى الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنَّ: مجانَبَةُ الرِّيَبِ، وحُسْنُ الأَدَبِ، وكَفُّ الأَذَى.

وقال عمرو بن العاص لدهْقَان[2] نَهْر تيرَى[3]: بِمَ ينْبُلُ الرجلُ عندكم؟ فقال: بترك الكَذب، فإنه لاَ يشْرُفُ إلا مَنْ يُوثَقُ بقوله، وبقيامه بأمر أَهْله، فإنه لا يَنْبُلُ مَنْ يحتاجُ أَهلهُ إلى غيره، وبمجانبة الرِّيَبِ، فإنه لا يَعِزُّ مَنْ لا يُؤْمَنُ ألاَّ يُصَادَفَ على سَوْأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه مَنْ رُجِىَ الْفَرَجُ لَدَيْه كَثُرتْ غاشيتُهُ.

وقال بزرْجَمِهْر: مَنْ كثُرَ أَدَبُهُ كثُرَ شرَفُهُ، وإن كان قَبْلُ وَضيعا، وبَعُدَ صيتَه وإن كان خَاملاً، وسادَ وإن كان غريبًا، وكَثُرَت الحاجةُ إليه وإن كان مُقْترًا.

وكان يقال: عَلَيْكُمْ بالأَدَب، فإنه صاحبٌ فى السَّفر، ومُؤْنِسٌ فى الوحدة، وجَمَالٌ فى المَحْفِل، وسَبَبٌ إلى طلَب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: منْ أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقَدِّمُهَا الرجلُ أَمامَ حَاجَتِه. فَيَسْتَعْطِفُ بها الكريم، ويستنزِل بها اللئيم.

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

(٣) نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج، أو سِـمَاكُ بن حَرْبٍ ـ [قال أبو الحسن: هو سماك بلا شكّ] ـ(١) إذا كانت له إلى أمير حاجة اسْتنزلهُ بأبيات يقولها فيه.

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرَائه ـ وأراد مِـحْنَتَهُ ـ: ما خَيْرُ ما يُرْزَقُـه العبدُ؟ قال: عَقْلٌ يعيش به. قـال: فإن عَدِمَهُ؟ قال: فأَدَبٌ يَتَحَلَّى به. قـال: فَإِنْ عَدِمَه؟ قال: فمـالٌ يستُرهُ. قال: فـإن عَدِمَه؟ قال: فـصاعِقَةٌ تَحْـرِقهُ، فتُرِيحَ مِنْهُ الـعِبَادَ والبلاَدَ.

وقِيل لرجل من مـلوك العجم: متى يكونُ الْعِـلْمُ شَرّاً من عَدَمِـه؟ قال: إِذَا كَثُرَ الأَدَبُ، ونَقَصَت القرِيحةُ.

وقال أرْدَشِـير: مَنْ لم يكن عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِـلالِ الخير عليـه، كان حَتْـفُهُ فى أغلب خلال الخير عليه.

وقال مـحمد بن علىّ بن عبـد الله بن العباس ـ وذكـر رجلا من أهله: إنى لأكرهُ أن يكون لِعِـلْمِهِ فَضْلٌ على عَـقلْهِ، كمـا أكره أن يكون للسانـه فَضْلٌ على عملـه.

وقال محمـد بن علىّ بن الحسين: جميع التَّعَايُشِ والـتَّنَاصُفِ والتَّعَاشُرِ فى ملْءِ مكْيال، ثلثاه فِطْنَةٌ، وثلث تَغَـافُلٌ. فلم يَجْعَلْ لغير الفطْنَة نَصيـبًا من الخير، ولا حَظًّا فى الصلاح؛ لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شىء قد عَرَفَهُ وَفَطِنَ به.

---

(١) من ر: وحاشية الأصل.

باب

[الرجل من بنى عبد الله بن غطفان، وكان قد جاور فى طيئ]

قال أبوالعباس[1]: قال رجل[2] من بنى عبد الله بن غَطَفان وجاوَرَ فى طيئ وهو خائف:

جزَى اللهُ خيْراً طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ ... وَمِنْ صَاحِبٍ تَلْقَاهُمُ كُلَّ مَجْمَعِ
هُمُ خَلَطُونِى بِالنُّفُوسِ وَدَافَعُوا ... وَرَائِى بركْنٍ ذِى مَنَاكِبَ مِدْفَعِ[3]
وَقَالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبْ ... نُفِدْكَ، وَإِنْ تُحْبَسْ نَزُرْكَ ونَشفَعِ

[الرجل من بنى سلامان يمدح طيئا]

وقال رجل من بنى سَلاَمانَ بن سعد هُذَيْم[4] من قُضَاعةَ، وجاوَرَ فى طَيِّئٍ:

كَأَنَّ الْجَارَ فى شَمَجَى بن جَرْمٍ[5] ... لَهُ نَعْمَاءُ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبُ
يُحَاطُ ذِمَارُهُ وَيُذَبُّ عَنْهُ ... وَيَحْمِى سَرْحَهُ أَنفٌ غَضُوبُ[6]
أَلِفْتُ مَسَاكِنَ الْجَبَلَيْنِ إِنِّى ... رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلَفُهَا الْغَرِيبُ[7]

[العبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم]

قال أبو العباس[8]: وأنشدنى عبد الوهاب بن جَنْبَة الغَنَوىّ لعُبَيْدِ بن العَرَنْدس الكلاَبِىّ يصف قوما نزَل بهم:

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) نسبه أبو تمام إلى ابن دارة، (وانظر الوحشيات ٢٠٣).

(٣) قال المرصفى فى شرح البيت: «بركن، يريد بجيش يعتصم به، تشبيها بركن الجبل، والمناكب فى الأصل: جمع المنكب، وهو ما ارتفع من الأرض، شبهه بها مبالغة فى الاعتصام، ومدفع، كمنبر: اسم آلة الدفع، يريد أنه قوى فى الدفاع».

(٤) حاشية الأصل: «سعد هذيم أضيف إلى عبد كان لأبيه يحتضنه».

(٥) شمجى بن جرم: قبيلة من قضاعة.

(٦) الذمار: ما يلزم الإنسان حمايته من عرض ومال. والسرح: ما يسام فى المرعى من الأنعام.

(٧) زيادات ر: «الجبلان: سلمى وأجأ، وهما لطيئ، والغوث: قبيلة من طيئ».

(٨) ساقط من ر، س.

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ[1]

لا يَنْطِقُونَ علَى الْعَمْياءِ إنْ نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بإكْثَارِ

مَنْ تَلقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِى يَسْرِى بِها السَّارِى

* * *

[قال أبو الحسن: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حُدِّثْتُ عن أبى الفَضْل العَبَّاس بن الفرج الرِّيَاشِيِّ قال: قَصَد رجل[2] من الشعراء ثلاثة من غَنِىٍّ، إخوةَ وكانوا مُقِلِّين، فامتدحهم، فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذَوْدًا! فكان يأتى فيأخذ الذَّوْدَ. والشِّعْر الذى امتدحهم به قوله:

يا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّاتٍ وأَظْفَارِ ... وَالحَمَّتَيْنِ، سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ

علَى تقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ ... مَعَ الَّذِى مَرَّ مِنْ رِيحٍ وأَمْطَارِ

عنَّا[3] غَنِيتِ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجْلَى[4] ... وَالْعَهْدُ مِنْكِ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ

وَقَدْ نَرَى بِكِ وَالأَيَّامُ جَامِعَةٌ ... بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وأَبْكَارِ[5]

فِيهِنَّ عِشْمَةٌ لاَ يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا ... وَلا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ

إِذْ يَحْسبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلْتَ نائِلَهَا ... قِدْمًا وأَنْتَ علَيْهَا عَاتِبٌ زَارِ

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُفْنِى شَبِيبَتَهُ ... يَبْكِى على ذَاتِ خَلْخَالٍ وأَسْوَارِ

خَبِّرْ ثَنَاءَ بَنِى عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ ... أُولُو فُضُولٍ وأَنْفَالٍ وأَخْطَارِ[6]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

---

(١) هينون لينون قال فى اللسان (هين) عن ابن الأعرابى: «العرب تمدح بالهين اللين (مخفف)، وتذم بالهين واللين (مثقل)، وقال النبى ﷺ: «المسلمون هينون لينون» جعله مدحا لهم، وعن غير ابن الأعرابى أنهما بمعنى واحد.

(٢) ذكر البكرى فى معجم ما استعجم ٨٦٢ أنه عقيل بن العرندس، وأورد أبياتا منها.

(٣) حاشية الأصل: «يريد أنى». وفى ر: «أراد «أنى» فقلب الهمزة عينا» وقال المرصفى: «هذه لغة قيس، وأسد وتميم يقلبون همزة «أن» المفتوحة عينا، شددت النون أو خففت و«أنى «كذلك».

(٤) غنيت: أقمت، والرمث: الكلأ. وأجلى: موضع. وفى س: «أجل». وفى حاشيتها (من نسخة): «أجأ».

(٥) عين: جمع عيناء، وهى الواسعة العين، ومن نسخة بحاشية الأصل: «عون»، وتكون جمع عوان، وهى المرأة النصف فى سنها.

(٦) الأنفال: العطايا. والأخطار: المنازل الرقيفة، جمع خطر بالتحريك.

فِيهِمْ ومنهُمْ يُعَدُّ المَجْدُ مُتَّلِدًا ... ولا يُعَدُّ نَثَا خِزْىٍ ولا عَارِ[1]

لا يَظْعَنُونَ على الْعَمْيَاءِ إنْ ظَعَنُوا ... ولا يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بإكْثَارِ

وَإنْ تَلَيَّتَهُمْ لانُوا وَإنْ شُهِمُوا ... كَشَّفْتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ[2]

إنْ يُسْأَلوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وإنْ جُهِدُوا ... فالْجُهْدُ يَكْشِفُ منهُمْ طِيبَ أَخْبَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِها السَّارِي]

* * *

[للمكعبر الضبي يمدح بني مازن ويذم بني العنبر]

قال أبو العباس: وكان قوم نزلوا ببَنِى الْعَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تميم، والقومُ من بنى ضَبَّةَ، فأُغير عليهم، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغيثُوهُمْ، وجعلوا يُدافعونهم حتى خافوا فَوْتَها، فاستغاثوا بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، فركِبُوا فَرَدّها عليهم، فقال الْمُكَعْبِر[3] الضَّبّىُّ فى ذلك:

أَبْلغْ طَرِيفًا حَيْثُ شَطَّتْ بِها النَّوَى ... فليْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ

كُسَالَى إذَا لاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ الْمَحْرُوبُ وَهْوَ عَنَاءُ

وإنِّى لأَرْجُوكُمْ على بُطْءِ سَعْيِكُمْ ... كما فى بُطُونِ الْحَامِلاتِ رَجَاءُ

أُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ ... ولَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخَبَّرُونَ أَسَاءُوا

فَهَلاَّ سَعَيْتُمْ سَعْىَ أُسْرَةِ مَالِكٍ ... وهَلْ كُفَلائِى فِى الْوَفَاءِ سَوَاءُ

كَأَنَّ دَنَانِيرًا على قَسَمَاتِهِمْ ... وإنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ

لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا ... وبَعْضُ الرِّجَالِ فى الْحُرُوبِ غُثَاءُ

---

(١) المجد المتلد: القديم المؤثل. والنثا: إشاعة حديث.

(٢) شهموا. أفزعوا. والأذمار: جمع ذمر وهو الشجاع.

(٣) ضبط فى الأصل بفتح الباء وكسرها معا. وفى حاشية الأصل. «قال أبو الحسن: حفظى: المكعبر [بكسر الباء]. وفى زيادات ر. «اسمه حريث بن عفوظ».

والأبيات فى حماسه أبى تمام (٤ : ٣٠) ـ بشرح التبريزى منسوبة إلى محرز بن المكعبر الضبى، وأولها بروايته.

أبلغْ عديًا حث صارت بها النَّوى ... وليس لدهر الطالبين فناءُ

قال التبريزى: «كان محرز بن المكعبر جارا لبنى عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها، فطلب إليهم أن يسعوا له، فوعدوه أن يفعلوا، فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابنى شهاب المازنيين ـ وهما من بنى خزاعة ـ فسعيا له بإبله، فرداها عليه»، فأنشد الأبيات.

قولـه: «حيث شَطَّتْ بهـا النَّوَى»، معنى شطَّتْ: تبـاعَدَتْ، ويقـال: أشَطَّ فلان فى الحكمِ إذا عَدَلَ عنه متباعدًا، قال عز وجل: ﴿ولا تُشْطِطْ﴾.(١)

وقال الأحْوصُ:

أَلاَ يالَقَوْمِى قَدْ أَشطَّتْ عَوَاذِلِى	ويزْعُمنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّىَ باطِلِى
وَيَلْحَـيْنَنِى فى اللَّهـوِ ألاَّ أُحِبَّـهُ	ولِلَّهْـوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَـيْـرُ غـافِلِ

والنَّوَى: البُـعْد، ويـقال: شطتْ بهِمْ نِـيَّةٌ قَـذَف، أى رحْلَة بعـيدة، قـال الشاعر(٢):

* وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ *

وليس بمأخوذ من «نأيت» فى اللفظ، ولكنه مثله فى المعنى.

وقوله:

* فَلَيسَ لِدَهْرِ الطَّالبِينَ فَنَاء *

يقـول: الطالب فى إِثْرِ طَلِبَـته أبدًا. ويُرْوَى أن رجـلاً من قُـرَيْش بَعَثَ إلى رجل منهم ـ وكان أَخَـذَ له غلامـا ـ : يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكْلِ ولا ينام على الحَرَبِ، فإمَّا رَدَدتَهُ، وإمـا عَرَضْتُ اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات.

* * *

[قال أبو الحسن: الرجل الذى أخذ منه الغلام هو جـعفر بن محمد بن على ابن الحسين، والآخذ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس].

* * *

ومن أمـثال الـعرب: «لا ينام إلا مَنْ اثَّـأَرَ». ويقال لَمِنْ أدرك ثـأرًا نَبِيـلاً: أصاب ثأرًا مُنِيمًا، وأنشد:

---

(١) سورة ص ٢٢.

(٢) هو العجاج، والصحصحان: المكان المستوى الأملس، ولملامسته شبهه بالترس. (وانظر مشارف الأفاويز ـ ١).

تَقُولُ لِيَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَمْرٍو لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ

وقوله:

وَإِنِّي لأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ كما في بُطُونِ الْحَامِلاتِ رَجاءُ

يقول: هذا رَجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوف عليه، كما أن هذه الحَوَامل لا يُعْلَمُ ما في بطونها وليس بِمَيْئُوسٍ منه، وإنما يَتَهكَّم بهم وهو يَعْلَم أنَّ سَعْيَهُمْ غير كائن، ألا تراه يقول:

أُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبَرُونَ أَسَاءُوا

وقوله:

* كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ *

زعم أبو عبيدة أن القَسِمَات مَجَارِي الدُّمُوع، واحدتها قَسِمَة، وقال الأَصْمَعِيّ: القَسِمات أعالي الوجه، ولم يُبَيِّنْهُ بأكثر من هذا. وقول أبي عبيدة مَشْرُوح، ويقال من هذا: رجل قَسِيمٌ، ورجل مُقَسَّمٌ، ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ، قال الشاعر:

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ

قوله: «تعطو» أي تتناول، ويقال: عَطَا يَعْطُو إِذَا تَنَاوَلَ، وأعْطيتُه أنا، أي ناولته، قال امرُؤ القَيْس:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ[1]

والسَّلَمُ: شجر بعينه كثير الشَّوك، فإذا أرادوا أن يَحْتطبوهُ شَدّوه ثم قطعوه، فمن ذلك قولُ الحَجَّاج: وَاللهِ لأَحْزِمَنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمةِ، ولأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ[2].

---

(١) برخص، أي ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشثن: الغليظ الخشن. ظبي. اسم رملة، والأساريع، دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.

(٢) غرائب الإبل: هي الإبل الغريبة التي تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا شديدا.

قال: وحـدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد قال: سـمعت العرب تُنْشِـد هذا البيتَ فتنصب «الظَّبْيَة» وترفعها وتخفضها.

قال أبو العباس: أما رفعها فعلى الضمير، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾(١) وهذا الباب قد شرحناه فى الـكتاب «المُقْتَضَب» فى باب «إنّ وأنّ» بجميـع علله، ومَنْ نَصَبَ فعلى غير ضـمير، وأعملَهـا مخففة عَـمَلها مُثَقَّلـةً؛ لأنها تَعْمَلُ لشَبَـهها بالفعل، فإذا خُـفِّفَتْ عَمِلَتْ عَمَلَ الـفعل المحذوف، كقولك: لم يَكُ زيدٌ منطلقًا، فالفعل إذا حذف يَعْمَلُ عَـمَلَهُ تامًّا، فيصير التقدير: كأنّ ظَبْيَة تَعْطُو إلى وارق السَّلَم هذه المرأةُ. وحَـذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره. ومن قال: «كأَنْ ظَبْيَةٍ» جَعَلَ «أن» زائدةً، وأَعْـمَلَ الكاف، أراد: كظبية، وزاد «أنْ» كما تزيدُها فى قولك: لَمَّا أنْ جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ، ووالله أنْ لو جئتَنى لأعطيتك.

وقوله:

* لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لُحَمِها *

فكلُّ شىء كان على «فعَال» من المؤنث فَجَمْـعُهُ أَفْعُل، وكذلك فُعَال تقول: ذِرَاعٌ وأَذْرُعٌ، وكُرَاعٌ وأكْرُعٌ، لأنهما مـؤنثتان، ومن أنَّثَ اللسانَ قال: أَلْسُن، ومن ذَكَّرَهُ قال أَلْسِنَة، وشِمَالٌ وأشْمُلٌ، كما قال الشاعر:(٢)

* يَأْتِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وأَشْمُلِ *

فأمـا المُذكر فـعلى أفْعِلَة فـى أدنى العَدَد وفُـعُل فى الكثيـر، يقال: حـمارٌ وأحْمِرَةٌ وحُمُر، وفِرَاشٌ وأفْرِشَـةَ وفُرُش. والنَّوَاشِرُ: ما يظهر من العُرُوقِ فى ظَهْرِ الذِّرَاع مما يُدَانِى «المِعْصَم»، وذلك الموضع يقال له أَسَلَة الذِّراع، قال زُهَيْر:

وَدَارٌ لَهَـا بِالرَّقْـمَـتَـيْنِ كَـأَنَّهَـا ... مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ(٣)

---

(١) المزمل ٢٠.

(٢) زيادات ر. «هو أبو النجم العجلى»، وبعده:

* وهى حيالَ الفرْقَدينْ تعتلَى *

وانظر الطرائف الأدبية ٦٣.

(٣) الرقمتان: روضتان بناحية الضمان.

وقوله:

* وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِى الحُرُوبِ غُثَاءُ *

فالغُثَاءُ: مـا يَبِسَ من البَقْل حتى يصير حُطَاما، وينتهىَ فى اليُـبْسِ فيَسْوَدّ، فيـقال لـه: غثـاء وهَشِيم ودنْدن وثِنٌّ، على قَـدْر اختـلاف أجناسه، ويقـال له: الدَّرين، قـال الله عز وجلّ: ﴿فَجَعَلَهُ غثاءً أَحْوَى﴾(١)، وقال: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾(٢)، وقال الشاعر يصف سحابا:(٣)

إذَا مَا هَبَطْنَ الأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا بَكَيْنَ بهَا حَتَّـى يَعِيشَ هَشِيمُ

وقال الراجز:

* تَكْفِى الْفَصِيل أُكْلَةٌ مِنْ ثِنِّ *

وقد يقـال للشىء الذى لا خيـر فيه: هذا غُـثَاء، أى قد صـار كذلك الذى وَصَفْناه، ويُضْرَبُ هذا مَثَلاً للكلام الذى لا وَجْهَ له.

[الرجل تميمى فى الرثاء]

وقال رجل أَحْسبُه تَميميًّا(٤):

لَوْ لَمْ يُفَـارِقْنِى عَطِيَّـةُ لَمْ أَهِنْ وَلَمْ أُعْطِ أعْدَائى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ

شُجَاعٌ إِذَا لاَقَى، وَرَامٍ إِذَا رَمَى، وَهَادٍ إذا مـا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْـدَعُ

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِـدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَيَشْـفِىَ مِنِّى الـدَّمْعُ مَـا أَتَوَجَّعُ

أَحسَنُ الإنشـادَيْنِ عندى: «لَمْ أَهِنْ»، يأخذه من وهَـنَ يَهِن، لأنه إذا قال: «لم أهُنْ» فهو من الهَوَانِ، ومن قال: «لـم أهِـنْ» فإنما هو من الضَّعْف، وهو أشبه

---

(١) الأعلى: ٥

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) زيادات ر: «هو ابن ميادة، وقبله:

سحـائب لا من صيِّف ذى صـواعق ولا مـحـرقـات مـاؤهُنّ حـمـيمُ

(٤) نسب هذه الأبيات أبو على القـالى إلى حكَيم بن معية أحد بنى ربيعةَ الجوع يرثى أخاه عطية بن معية. وانظر ذيل الأمالى ٧٥.١. وفى زيادات ر «هو الفرزدق»، قال المرصفى: «يرثى صديقه ونديمه عطية بن جعال، وكان من سادات تميم».

بقوله:

* وكَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ *

والآخر غير بعيد، يقول: لم أَهُنْ على أعدائى، وإذا قال «لم أَهِنْ» فالأصل: «لم أَوْهِنْ»، ولكنَّ الواو إذا كانت فى موضع الفاء من الفِعْل، وكان ذلك الفعل على «يَفْعِل»، فالواو محذوفة، وإنما تُحْذَف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وتصير حروف المُضَارَعة الباقية تابعة للياء، لئلا يختلف الباب، وهى التاء من قولك: «تَفْعِل» إذا عَنَيْتَ مخاطبًا أومؤنثًا غائبًا، نحو: أنت تَعِد، وهى تَعِد، والهمزة إذا عنيت نفسك، نحو: أنا أعد، والنون إذا أخْبَرْتَ عن نَفْسِك ومعك غَيْرُك، نحو: نَحْنُ نَعِد.

فإن قال قائل: إنما هذا لأن الفعل المتعدى تحذف منه الواو، فإن كان غَيْرَ مُتَعَدٍّ ثبتت، فقد قال أَقْبَحَ قول؛ لأن التَّعَدِّىَ أو غيْرَ التعدى لايُحْدِثُ فى أنْفُسِ الأفعال شيئًا، ولو كان كما يقول لأَثْبَتَ الواوَ فى «وَهَنَ يَهِنُ»، لأنك لاتقول: وهَنْتُ زيدًا، وكذلك وَرِمَ يَرِمُ، ووكف[1] البيتُ يكِفُ، ووَنَمَ[2] الذُّبابُ يَنِم، وهذا أكثر من أن يُحْصَى. فإن لم تكن بعد الواو كسرةٌ لم تُحْذَف، نحو وَحِلَ يَوْحَل، ووَجِلَ يَوْجَل، ووَجِعَ الرجل يَوْجَع، وقد يجوز يَيْجَعَ ويَاجَع ويِيْجَع لما نذكره إذا جَرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله، فأمَّا الحذف فلاَ يكون فيها.

فإن قال قائل: فما بالُ يطأ ويَسَعَ حذفتْ منهما الواو، ومثلهما ثَبَتَتْ فيه الواو، فإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل وَلِىَ يَلِى، ووَرِمَ يرِم، فَفَتَحتْه الهمزة والعين، والأصل الكسر، فإنما حذفت الواو مما يَلْزَم فى الأصل، ألاترى أنك تقول: وَلَغَ السَّبُعُ يَلَغ، فهذا فَعَلَ يَفْعَلُ والأصل يَفْعِلُ، ولكن فَتَحَتْهُ العين، لأن حروف الحَلْق تَفْتحُ ما كانَ على يَفْعِل ويَفْعُل، ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَل. وحروف الحَلْق ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والحاء، والخاء، وهُنَّ يُفْتَحْنَ إذا كُنَّ فى موضع العين واللام، فأما العين فنحو سَأَلَ يَسْأَلُ وذَهَبَ

---

(١) وكف البيت: قطر منه الماء.

(٢) ونم الذباب: سلح.

يَذْهَبُ، وأمـا اللام فمـثل قَـرَأَ يَقْرَأُ، وصَـنَعَ يَصْنَعُ، وسائر هـذا الباب على مـا وَصَفْتُ لك.

وقوله:

* وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيلُ مصْدَعُ *

فتـأويل «مصـدع» أى ماض فـى الأمر، قال الله عـز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1] ويقال: أحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأَمْرُ صَدَعَ به.

وقال أعرابى[2] يمدح سَوَّار بن عبد الله القاضى، وسَوَّارٌ أحد بنى العَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تميم:

وَأَوْقَفُ عِندَ الأَمْرِ مَالَمْ يَضِحْ لَهُ ... وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كانَ مَاضِيَا

فاستَجْمَعَ فى هذا المَدْح رَكَانَةَ الحَزْم، وإِمْضاءَ العَزْم، ومثله قـول النابغة الجَعْدىِّ:

أَبَى لِى الْبَـلاَءُ وَأَنِّى امْـرُؤٌ ... إِذَا مَـا تَبَـيَّنْتُ لَـمْ أَرْتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدة: «رَوِّ تَحزْمْ، فإذا استَوْضَحْتَ فاعزِمْ» ومن أمثـالهم: «قد أَحْـزُمُ لَوْ أَعزِمُ»، وإنما يكون هذا بعـد التَّوَقُّفِ والتَّبَـيُّنِ، فقـد قال الشَّعْبىُّ: أصَابَ مُتَأَمِّلٌ أو كاد، وأخطأ مُسْتَعْجِلٌ أو كاد.

ومثل قوله:

* وَيَشْفِىَ مِنّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ *

قولُ الفَرَزْدَقِ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَـوِّ سُـوَيْقَـةٍ[3] ... بَكَيْتُ فَنَـادَتْنِى هُنَيْـدَةُ: مَـالِيَـا!

فَـقُلْتَ لَهَـا: إِنَّ الْـبُكاءَ لَرَاحَـةٌ ... بِهِ يَشْـتَـفِى مَنْ ظَنَّ أَلا تَلاَقِـيَـا

* * *

(1) الحجر ٩٤.

(2) حاشية الأصل «هو سلمة بن عياش».

(3) جو سويقة: موضع بالصمان.

[قال أبو الحسن ويَتْلُو هذين البيتين مما يُستَحْسَن:

فَـعِيـدكُمَـا ٱللهَ الَّذِى أَنْتُمَـا لَهُ ... أَلَمْ تَسْمَعَا بالبَيْضتَيْنِ المُنَادِيَا!(١)

حَبِـيبٌ دعَا، وَالرَّمْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... فَأَسْمَعَنِى، سَقْيًا لذلكَ دَاعِيَا !

يقال: قَـعِيدَكَ ٱللهَ، وقَعْـدَكَ ٱللهَ، ونَشْدَكَ ٱللهَ، أى سألْتُكَ بالله، كمـا قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة، وهو من بنى يَرْبُوعٍ:

قَعِـيدَكِ أَلاَّ تُسْـمِعِـينى مَـلاَمَةً ... ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الْفُـؤَادِ فَيَيْجَـعَا

ويروى: «فَقِعْدكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى»، والبيضتان: موضع معروف].

* * *

قال أبو العـبـاس: وقـال أبو بكْر بن عيَّـاش: نَزَلَتْ بى مصيـبةٌ أَوْجَـعَتْنى، فَذَكَرْتُ قول ذى الرُّمَّة:

لَعَلَّ ٱنْحِدارَ الدَّمْعِ يُعْـقِبُ رَاحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ، أَوْ يَشْفِى نَجِيَّ الْبَلاَبِلِ

فَخَلَوْتُ فَبَكَيْت فَسَلَوْت.

[النضلة السلمى فى يوم غول]

وقال نَضْلَةَ السُّلَمِىُّ(٢) فى يوم غَوْلٍ ـ وكـان حقيـرًا دَمِيما، وكـان ذَا نَجْدَةٍ وبأسٍ:

أَلَمْ تَسَلِ ٱلْفَـوارِسُ يومَ غَولَ(٣) ... بِنَضْلَـةَ، وَهْوَ مَـوْتُورٌ مُـشِيحُ

---

(١) قعيدك الله، قـال الجوهرى: «هى يمين العرب، وهى مصـادر استعملت منصوبة بفعل مـضمر، (وانظر اللسان قعد).

(٢) الأبيات فى مجالس ثعلب ٧ ـ ٨، روى أنه «مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة فى إبل له، فاستسقـوه لبنا فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره اردروه، فأرادوا أن يستاقوها، فجالدهم حـتى قتل منهم رجـلا، وأجلى البـاقين عن الإبل، فـقال فـى ذلك رجل من بنى سليم . . .»، وأورد الأبيات. ونسبها الجاحظ فى البيان (٣ : ٣٣٨) إلى أبى محجن الثقفى، ولم ترد فى ديوانه.

(٣) الغول: ماء للضباب فيه نخل وعيون.

وروايه ثعلب:

* ألم تسألْ فَوَارِسَ من سُلَيْم *

ورواية الجاحظ:

* ألم تسل الفوارس من سُلَيْم *

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهْوَ خُرٌّ(١) وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بالسَّيْفِ صَلْتًا كما عَضَّ الشَّبَا الفَرَسُ الْجَمُوحُ
فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأَرْدَى قَتِيلاً مِنْهُمُ وَنَجَا جَرِيحُ
وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ

قوله: «وهو مَوْتور مُشِيح»، فالمُشِيح الحاملُ الجادُّ، يقال: أَشاحَ يُشِيحُ إذا حَمَل، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ قال: أنشدنى أبو زَيْدٍ ـ وهو لأبى العِيَال الهَذَلِىِّ:

مُشِيحٌ فَوقَ شِيَحانٍ يَشُدُّ كَأَنَّهُ كَلِبُ

قال: وشِيحان اسم فرسه.

* * *

[قال أبو الحسن ويروى: «شَيْحان»[بفتح الشين](٢)، وحقه(٣) على رواية أبى زيد ألا يَنْصَرِفَ لأنه فَعْلان، فالألف والنون زائدتان، وهو معرفة، فَضَارَعَ عَطْشان وما جَرَى مَجْرَاه، وإنما اضطرَّ فَصَرَفَه. وعن(٤) أبى زيد أيضًا يرويه: «شَيْحان»، وهو الجاد، وهو صفة شائعة، وليس كالأول، فالأول معرفة مشتق من النعت(٤)].

* * *

وقال ابن الإِظْنَابة، واسمه عمرو:

وَإِجْشَامِى عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِى وَضَرْبِى هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ

ويقال فى هذا المعنى: رجل شِيحٌ، كما يقال: ناقة نِقْضٌ، إذا كانتْ هَزِيلا، قال أبو ذؤَيْبٍ(٥):

* وَشايَحتَ قَبْلَ الْيومِ إِنَّكَ شيحُ *

---

(١) ثعلب والجاحظ: «وهو خرق». والخرق: الفتى الكريم الخليقة.
(٢) من ر.
(٣) س: «وجب على رواية أبى زيد».
(٤ ـ ٤) ساقط من ر
(٥) صدره:
* بدرْتَ إلى أولاهُمُ فسبقتَهُمْ *
وانظر ديوان الهذليين ١: ١١٦.

وقوله: «بالسيف صَلْتًا» يقول: مُنْتَضًى، ورجل صَلْتُ الجَبِينِ إذا كَانَ نَقِيَّه.

وقوله: «كما عَضَّ الشَّبَا» يريد حَدَّ اللجامِ، وشبَا كُلِّ شيءٍ حَدُّه.

وقوله: «وأَرْدَى» أى أهْلَكَ، يقال: رَدِيَ يَرْدَى إذا هَلَكَ، والردى: الهَلاك، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾(١)، قيل فيه قولان: إحداهما إذا تَرَدَّى فى النار، والآخر إذَا مات، وهو «تَفَعَّل» من الرَّدَى.

وقوله:

* ولَمْ يخشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ *

فهى «مَفْعَلَةٌ» من صالَ يَصُولُ، ويقالُ: صالَ البعيرُ إذَا عَضَّ.

وقيل للمغيرَة بن شعْبَة: إنَّ بَوَّابَكَ يَأْذَنُ لأصحابه قبل أصحابك، فقال: إن المَعْرفة لتَنْفَعُ عندَ الكلب العَقُورِ، والجَمَلِ الصَّئُولِ، فكيف بِالرجُلِ الكريمِ!

وقوله:

* وتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللبَنُ الصَّرِيحُ *

يقول: إذا رأيت الرَّغْوةَ - وهو ما يَرْغُو كَالجلدة فى أعلَى الَّلبَنِ - لم تَدْرِ ما تحتها، فربما صادفْتَ اللبنَ الصريح إذا كَشَفْتَها، أى أنهم رَأَوْنى فازْدَرَوْنى لدَمَامَتِى، فلما كَشَفُوا عنى وَجَدُوا غير ما رأوا. والصَّرِيح: المَحضُ الخالص، من ذَلك قولهم: عَرَبِىٌّ صَرِيحٌ أى خالص، ومَوْلًى صَرِيح.

ومن أمثال العرب: «إنه لَيُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتغاء»، ومعنى ذلك أنه يُوهِمُك أنه يأخذ بفِيه تلك الجلدة عن اللبن لِيُصْلِحَهُ لك، وإنما يَحْسُو من تحتها، يُضْرَبُ هذا المَثَلُ لمَنْ يُرِيك أنه يُعِينُك، وإنما يَجْتَرُّ النفع إلى نفسه.

[الأعرابى من بنى سعد فى خلاف الدمامة]

وقال أعرابى - خُبِّرْتُ أنه من بنى سعْد - وقد تَمَثَّلَ بهذا الشِّعْرِ الْخَنَّوتُ، وهو تَوْبَةُ بن مُضَرِّسٍ، أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، فى خلاف الدَّمامة:

(١) سورة الليل: ١١.

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالاً وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالُهَا

تَبَيَّنَ لِى أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا

دَعَوْا: يَالَسَعْدٍ! وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ أُسُودُ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

قوله: «نهالا»، يريد أنها قد وردت الدَّمَ مرة ولم تُثَنِّ، وذلك أن الناهلَ الذى يَشْرَبُ أوّل شَرْبة، فإذا شَرِبَ ثانية فهو عالٍّ، يقال: سقاه عَلاً بَعْدَ نَهل، وعللا بعد نهل، وفى المثل: «سُمْتُه سَوْمَ عالَّة» إذا عَرَضْتَ عليه عَرْضًا يستحى منه أن يُقْبلَ معه، والعالَّةُ لا حاجة بها إلى الشُّرْب، وإنما يُعْرَضُ عليها تَعْزيزًا. قال: «وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالهَا»، أى أول ما يقع منها يكون سببًا لما بعده، وأنشدنى غير واحد:

* وَأَنَّ أَشِدَّاء الرِّجَالِ طِيَالُهَا *

وليس هذا بالجَيِّد، وإنما قَلَبَ الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم: ثِيَابٌ، وحِيَاضٌ، وسِيَاطٌ، والواحد ثَوْبٌ، وَحَوْضٌ، وَسَوْط، وهذا جيد؛ لكون الواو فى الواحد، فأما فى مثل طوال، فإنما يجوز على التشبيه بهذا، وليس بجيد لتَحَرُّك الواو فى الواحد. وأنشدنى مسعود بن بِشْرٍ المازِنِىّ:

لَهُمْ أَوْجُهٌ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ طِيَالٌ وَمَنْ سِيَما الْمُلوكِ نِجَارُ[٢]

ومجاز هذا فى النحو عَلى ما وصَفْتُ لك.

[العرب تمدح الطول]

والعرب تَمْدَحُ الطول، وتَضَعُ من القِصَرِ، فلا يَذْكُره منهم إلا مُحتَجٍ عن نفسه، ولا يمدَحُ به غيْرَهُ، قال عنْتَرَة:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءمِ[٣]

يقول: لم يُشَارَكْ فى الرَّحِمِ، وقال جَرير:

تَعَالَوْا فَفَاتُونا فَفِى الحُكم مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ[٤]

فَإِنِّى لأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضَى الطِّوَالَ الْبِيضَ مِنع آلِ هَاشِمِ

(١) حاشية الأصل: «ذكر أبو رياش فى شرح الحماسة أن هذا الشعر لأنيف بن حكيم النبهانى» وانظر شرح التبريزى ١٨٩/١.

(٢) النجار: الأصل.

(٣) السبت: الجلد المدبوغ بالقرظ.

(٤) فاتونا: حاكمونا.

وقال حَسَّان بن ثابت:

وَقَــدْ كُنَّا نَـقُــولُ إِذَا رَأَيْـنَا ... لذِى جِـسْمٍ يُعَـدُّ وذِى بَـيَـانِ

كَــأَنَّكَ أَيُّهَـا المعْـطَى بَيَـانًا ... وَجِـسْمـا منْ بَنى عَـبْـدِ المَدَانِ

ويـقـال إن علىَّ بـن عبـد الله بن العباس بن عبـد المطَّلب كان إلى مَنْكِب عبد الله، وكان عبد الله إلى مَنْكِب العباس، وكان العباس إلى منْكِب عبد المُطَّلِب.

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال: طافَ علىُّ بن عبـد الله بالبيت، وهناك عجوزٌ قديمةٌ، وعلىّ قـد فَرَعَ الناسَ، كـأنه راكبٌ والناسُ مُـشَاة، فـقالت: مَنْ هذا الذى فـرَعَ الناسَ؟ فـقيل: علىُّ بن عـبد الله بن عـباس، فقـالت: لا إله إلا الله، إن الناس لَيُرْذَلُونَ! عَهْدِى بالعباس يَطُوفُ بهذا البيت كأنه فُسْطاطٌ[1] أبيض.

وحـدثنى علىُّ بن القـاسم بن علىّ بن سُلَـيمـان بن علىّ بن عـبـد الله بن العبـاس قـال: كـان يُقال: صـار شَـبَهُ علىّ بن عـبد الله فى عِظَم الأجـسام فى العَلِيَّـيْنِ - يعنى علىّ بن أميـر المؤمنين المَهْـدِىّ المنسوب إلى أُمِّـه رَيْطَةَ، وعلى بن سليمان بن علىّ.

ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ - وهو الأُسْوَة والقُدْوَة - كان فوق الرَّبْعة[2]، ولم يكن بالطويل المُشَذَّب[3]، وكـان إذا مَشَى مـع الطِّوَال طَالَهُمْ. ولم يخـتلف أهل الحِكْمَة والنَّظَر من العربِ والعَجَم أن الكمال فى الاعـتدال، ولا يقال غير هذا عن حكيمٍ. وأبيَنُ ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقد يقال: الكَيْسُ فى القِصَر. وقد قـيل فى خبرِ قَصِيرٍ[4] وكَيْدِه ومَكْرِه ما قد سار به المَثَل، واستغنى عن الإعادة.

[الأعرابى يرد على مغنية عابته بالقصر]

وحدّثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشِىُّ قال: حَدثنى أبو عثمان المازنى قال: كان أعرابىّ يختلف إلى مُـغَنِّيَة لآل سليمان، فـأشرفت إليه[5] ذات مَرَّةٍ، فأَوْمَـأَتْ إليه بيدها إيماءَ عائبٍ له بالقِصَرِ، فأنشأ يقول:

(١) الفسطاط: ضرب من الأبنية.
(٢) الربعة: الرجل بين الطول والقصر.
(٣) المشذب: المفرط فى الطول.
(٤) هو قصير بنى سعد اللخمى، وانظر خبره مع جذيمة بن مالك والزباء فى مجمع الأمثال: ٨٥.
(٥) ر: «عليه».

يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرُ ... إنْ أَكُ رَبْعَةً فَأَنْت أَقْصَرُ
أَوْ أَكُ ذَا شَيْب فَأَنْت أَكْبَرُ ... غَرَّك سِرْبالٌ عليْك أَحْمَرُ
ومِقْنَعٌ مِنَ الحَرِيرِ أَصْفَرُ[1] ... وتحْتَ ذَاك سَوْأَةٌ لَوْ تُذْكَرُ

* * *

[قال أبو الحسن: أنْشَدَنى أبو العباس محمد بن الحسن الْوَرَّاقُ الشِّعْرَ الذى فيه قوله:

* ولَمَّا الْتقى الصَّفَّان واختلف القنَا *

بتمامه، وهو شعرٌ مختارٌ لرجل من طيِّئ، ويدل على ذلك ما تَسْمَعُه فى الشعر وهو قوله:

جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَىٍّ غَوْثٍ ومَالك ... كَتَائبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نكالُهَا
لَهُمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّىْ جَدِيسَ رِعالُها
وتحْتَ نحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو ناتقٍ كانَتْ كَثِيراً عِيَالُهَا
فَلَمَّا أَتينَا السَّفْحَ مِن بَطْنِ حَائِلٍ ... بحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُها وسَيَالُهَا
دَعَوْا لنزارٍ وانْتَمَيْنَا لطَيِّئٍ ... كَأُسْد الشَّرَى إقْدَامُهَا ونزَالُهَا
فلمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ فيهمْ ... لسَائلَةٍ عنَّا حَفِىٍّ سُؤَالُهَا
ولَمَّا عَصَيْنَا بالرِّمَاح تَضَلَّعَتْ ... صُدُورُ الْقَنَا منهمْ وعلَّتْ نهَالهَا
ولَمَّا تَدَانَوْا بالسُّيُوف تقَطَّعَتْ ... وَسَائلُ كانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
فَوَلَّوْا وأَطْرَافُ الرِّمَاح عليْهِمُ ... قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

الكتائب جمع كَتيبة، سميت كَتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، يقال: تَكَتَّبَ القومُ إذا تضامُّوا، ومنه أُخِذَ الكتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا:

---

(١) المقنع. ما تغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها.

بَغلة مكتوبة إذا شُدَّ حَياؤها وضُمَّ . ويُرْدِى: يُهْلكُ، يقال: رَدِىَ الرجل إذا هَلَكَ، والرَّدَى: الهَـلاَكُ، والإرْدَاءُ: الإهْـلاكُ. والمُقْـرِفـون: الذين دخلوا فـى الفـســاد والعَيْثِ،وهو فى الأصل الهُجْنَةُ، يقال: فرس مُقْرِفٌ إذا كان هَجينًا، ثم يَشِيعُ فى الفســاد.

والعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الْعَسْكرِ هاهنا، وهو مستعار. والحَزْنُ: مَا خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ، واللِّوَى: مُسْتَدَقُّ الرَّمْلَة حـيث ينقطع، يقال أَلْوَيْتُمْ فانزلوا، أى صِرتُمْ إلى آخر الرملة، وهو اللِّوى. وجَديس: قبيلة معروفة، فلذلك لم يَصْرِفها. والرِّعالُ: الجماعات المتفرقة، واحدها رَعْلَةٌ.

والحَرْشفُ: نبت يكثر فى البادية، وإنما شَـبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة، والرَّجْلَةُ: الرَّجَّالَةُ. وتُتاح: تقَدَّرُ، يقال أتَاحَ اْللهُ له كذا وكذا،أى قَدَّرَ له،والنِّبالُ جمع نَبْلٍ.

والنَّاتِقُ: الوَلودُ، فإذا أسْرَفَتْ فى ذلك وكثر ولدها جِداًّ قيل مِنتاقٌ.

والسَّفْحُ: أصل الجبل من الوادى. وحائل: موضع. وتَناصى: تقَابَلَ وتَقَرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهـذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح، يقال: تَناصَـى الرجلان نصاءً وتَناصيًا إذا اقتتلا فَأَخَذَ كُلٌّ وَاحدٍ منهما بناصِية صاحبه، والطلْحُ والسَّيال: ضَربان من الشجر معروفان.

وانْتَمَى ونَمَى: اْنتَسَبَ. والشَّـرَى: موضع كثير السبـاع، وإنما يريد: كإقْدامِ أُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُها، ثم حَذَفَ لعلم السامع.

وعَصَيْنا: جعلنا الرماح كالْعِصِيِّ. والعَلَلُ: الشُّرْب الثانى، والنَّهَلُ: الأول، يريد أنَّا أَعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أُخرى.

وقوادم: ذاتُ إقْدامٍ، فجاء به على الأصل، كما قال:

* يَخْرُجْنَ مِنْ أجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِ(١) *

أى مُغْضٍ، فجاء به على الأصل وهو كثير.

---

(١) البيت لرؤبة.

وبعده

* نَضْوَ قداح النابل النواضى *

وانظر ديوانه ٨٢.

والمَرْبوعات: المُعْتَدِلَةُ التى لم تَبْلُغ أن تكون رُمْحًا، وهو رفْعٌ، كأنه قيل له: ما هى؟ فقال: هى مربوعاتهــا وطِوالها، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكلّ لكان حَسَنا، وكان يكون مُـقْوًى، ولكن هكذا أنشدناه مرفوعًـا على التقدير الذى ذكرناه].

* * *

باب

[صبرة بن شيمان عند معاوية]

قال أبوالعباس: حُدِّثْتُ أن صَبِرَة بن شَيْمَانَ الحُدَّانيَّ دخل على معاوية، والوُفودُ عنده، فتكلَّموا فأكثروا، فقام صَبِرَة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا حَيٌّ فِعال، ولَسْنا بِحَيٍّ مَقال،ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم. فقال: صَدَقْت.

[كلمة يزيد بن أبي سفيان حين أرتج عليه]

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه، ولَّى يَزيدَ بن أبى سفيان رُبْعًا من أرباع الشام، فَرَقِيَ الْمِنْبَرَ فتكَلَّمَ فَأُرْتِجَ عليه، فاستَأْنَفَ فَأُرْتِجَ عليه، فقطع الخطبة، فقال: سَيَجْعَل اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرًا، وبعد عيٍّ بيانًا، وأنتم إلى أميرٍ فَعَّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قَوَّالٍ.

فَبَلَغَ كلامُه عمرو بن العاص، فقال: هُنَّ مُخْرِجَاتِى من الشام! استحسانًا لكلامه.

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عَفَّانَ رحمه الله(1) لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِيِّ - ورآه ظاهرَ الأعْرابيَّةِ: يا أعرابيُّ، أين ربُّك؟ فقال بِالْمرصاد!

[جواب على بن أبى طالب حين سئل: أين ربنا؟]

وقال قائل لعليٍّ بن أبى طالب رحمه الله: أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ؟ فقال عليٌّ: أينَ، سؤالٌ عن مكانٍ، وكان اللهُ ولا مكان.

[للحسن البصرى فى المواعظ]

وحُدِّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَةَ من ناحية الشام، فنظرا إلى الحسن البصريّ، فقال أحدهما لصاحبه: مِلْ بنا إلى هذا الذى كأنّ سَمْتَهُ سَمْتُ المَسيحِ، فَعَدَلاَ إليه، فَأَلْفَيَاهُ مُفْتَرِشًا بذَقَنِهِ ظاهرَ كَفِّهِ، وهو يقول: ياعَجَبًا لقوم قد أُمِرُوا

---

(1) س: «رضى الله عنه».

بـالــزاد، وأُوذِنُــوا بــالــرحـيـل، وآقـام أوّلـهـم على آخــرهـم! فليـت شِعْـرى مـا الذى ينتظرون؟

وَنَظَرَ الحَسنُ إلى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَة يضـحكون ويلعبون فى يوم عيد، فقال الحسنُ: إن الله جَعَلَ الصوم مضْماراً لعباده لـيَستَبِقُوا إلى طاعته، فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا، وتَخَلَّفَ آخرون فخابوا، ولَعَمْرِى لو كُشفَ الغطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه، ومُسِيءٌ بإساءته عن تَجْدِيد ثوب، أو تَرْطيل شَعَرٍ.

قوله: «ترطيل شعر» إنما هو تليينُ الشَّعَــر بالدُّهْنِ وما أشبهه، ويقال للرجل إذا كان فـيه لينٌ وتـوضيع: رجل رَطْلٌ، والذى يُوزَنُ به ويُكالُ بقـال له: رِطْلٌ، بكسر الراء.

وكان الحسن يقول: اْجْعَلِ الدنيا كالْقَنْطَرَةِ تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

قوله: «القنطرة» يعنى هذه المَعْقودة المعـروفة عند الناس، والعرب تُسَمِّى كل أَزَجٍ[1] قنطرة، قال طَرَفَةُ بن الْعَبْد:

كَـقَنْطَرَةِ الـرُّومِىِّ أَقْـسَمَ رَبُّهَـا ... لَتُكْتَنَـفَـا حَـتَّى تُشَـادَ بِقَـرْمَـدِ

قوله: «حتى تشـاد»، يقول: تُطْلَى، وكلُّ شىء طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ أو جَيَّـار. وهـو الكِلْسُ، فهـو المشيـد، يقال: دار مُشَيَّدَةٌ، وقَصْرٌ مَـشِيدٌ، قال الله عـزّ وجل: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[2]، وقال الشَّمَّاخ:

لاَ تَحْسِبَنِّي وَإِنْ كُنْتُ اْمْرَأً غرراً ... كَحَـيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشِّـيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العبادىُّ:

شَـادَهُ مَـرْمَـراً وَجَلَّلَهُ كِـلْسـ ... ـاً فَلِلطيْرِ فـى ذَرَاهُ وُكُـورُ

والمُقَرْمَـدُ: المطْلِىُّ أيضًا، فمن ثَمَّ قال: «حـتى تُشاد بقَرْمَدِ» فى مـعنى حتى تُطْلَى، ومن ذلك قول النابغة:

* رَابِى المَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ[3] *

(1) الأزج. نوع من الأبنية يطول بناؤه.

(2) سورة النساء ٧٨.

(3) قبله:

* وإذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدَف *

وانظر ديوانه ٣٢.

وقـال الحسن: تَلْقَى أحَـدَهُمْ أبيضَ بضًّا، يَمْـلَخُ فى الباطل مَلخًـا، يَنْفُض مِذْرَوَيْه، ويَضْرِبُ أَصْدَرَيْـه، ويقول: هأنذا فاعرِفونى. قد عرَفْـناك، فمَقَتَكَ الله، ومَقَتَكَ الصالحون.

قوله: «أبيض بضا» فالبضُّ الرقيقُ اللون، الذى يُؤَثِّرُ فيه كلُّ شىء.

وفى الحديث أن معاوية قَدِم على عمر بن الخَطَّاب رحمهما الله[1] من الشام وهو أبَضُّ الناسِ، فضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُده، فَأَقْلَعَ عن مثل الشَّراب، أو مثل الشِّراكِ، فـقال: هذا والله لتَشَـاغُلكَ بالحَمَّـامات، وذَوُ الحـاجات تُقَطَّعُ أَنْفُـسُهُمْ حَسَرَاتٍ على بابك؟

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِىُّ:

مُنَعَّـمَةٌ بَيْـضَاءُ لو دَبَّ مُـحْوِلٌ عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

وقوله: «يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخًا»، يقول: يَمُرُّ مَرًّا سَرِيعًا، يقال: بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلة المَرِّ.

وقوله: «يَضْرِبُ أَصْدَرَيْه وأَزْدَرَيْه»، فإنما يقال ذلك للفارغ، يقال: جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْـدَرَيْه وأَزْدَرَيْه، ولا يُتَكَلَّمُ منه بواحـد، ويقال: فلانٌ يَنْـفُضُ مِذْرَوَيْه، وهما ناحيتاه، وإنما يوصف بالْخُيَلاء، وقال عنْتَرَة:

أَحَوْلِى تَـنْفُضُ اسْتُكَ مِـذْرَوَيْهَا لِتَـقْـتُلَنِـى، فـهـأنذا عُـمَـارَا

ولا واحد لهـما، ولو أُفْرِدَتْ لقلتَ فى التثنيـة مِذْرَيان، لأن ذوات الواو إذا وقَعتْ فيهنَّ الواو رابعةً رَجَعَتْ إلى اليـاء، كما تقول فى مَلْهًى: مَلْهَيان، وهو من لَهَوْتُ، وفى مَغْزًى: مَغْزَيان، وهو من غَزَوْتُ، وإنما فعلتَ ذلك؛ لأن فعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ إلى الياء إذا كـانتْ رابعةً فصاعدًا، نحو غـزوت، فإذا أَدْخَلْتَ فيه الألف قلتَ: أغْـزَيْتُ، وكـذلك غـازَيْتُ واسْتَـغْـزَيْتُ، وإنما وجب هذا لانقـلابهـا فى المضارع، نحو يُغْزِى، ويَسْتَغْزِى، ويُغازِى، وإنما انْقلبتْ لانكسار ما قبلها.

---

(١) ر ، س: «رحمه الله»

فإنْ قال قائلٌ: فَمَا بالُ يَتَرَجَّى ويَتَغَازَى، يكونان بالياء، نحو: هُما يَتَغَازَيان ويَتَرَجَّيَانِ، فإنما ذلك لأنهما فى الأصل: رَجَّى يُرَجِّى، وغازَى يُغازِى، ثم لَحِقتْ التَّاء بعد ثَبات الياء. والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلْحَقُهُ على معناه، فقولك: مذْرَوان لا واحد له لما أَعْلَمْتُكَ، وثَبات الواو دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ من الآخر، فلذلك جاء على أصله(١).

(١) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٥٦.

باب

[ليزيد بن الصقيل، وكان يسرق الإبل ثم تاب]

قال أبوالعباس: قال يزيد بن الصَّقِيلِ الْعُقَيْلِيُّ ـ وكان يَسْرِقُ الإبل ثم تاب، وقُتِلَ في سبيل الله:

أَلا قُلْ لأَرْبَابِ المخائِضِ: أَهْمِلُوا ... فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ

وَإِنَّ امْرَأً يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ ما ... تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ

وفي هذا الشِّعر(١):

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

قوله: «ألا قُلْ لأرباب المخائض»، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفَةٌ، وللجميع مخاضٌ، وهذا جَمْعٌ على غير واحده، إنما هو بمنزلة امرأة ونساء، ثم جَمَعَ الجَمْعَ فقال: مخائض، كقولك في رِسَالة: رَسَائل، وكما تقول في قوم: أقوام، فتَجْمَعُ الاسم الذي هو للجَمْع، وكذلك أعْراب وأعاريبُ، وأنعامٌ وأناعيم.

وقوله: «أَهْمِلُوا»: أي اسْرَحُوا إبلكُمْ، والهَمَلُ ما كان غير مَحْظُور، وهو السُّدَى، ويُرْوَى في مِثْل قوله:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودْ

عن بعض الصالحين(٢) أنه كان يقول: إذا مات له جار أو حَمِيمٌ: أَوْلَى لي! كِدْتُ وَاللهِ أكون السوَادَ المخْتَرَمَ(٣).

* * *

[لابن حبناء التميمي في مكارم الأخلاق]

وقال ابن حَبْناءَ التميمي:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِي ... لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِي مِنَ النَّارِ

(١) س: «وفي هذا الشعر يقول».

(٢) حاشية الأصل: «هو محمد بن الحنفية»، وهو من زيادات ر.

(٣) يقال: اخترقن المنية، أي اخذته من بين أصحابه.

لا أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ   وَلاَ أُكَسِّـرُ فِى ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِى

إِنْ يَحْجبِ اللَّهُ أَبْصَـاراً أُرَاقِبُـهَا   فَقَدْ يَرَى اللَّهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِى

قوله:

* لا أقرب البيت أحْبُو من مؤخَّره *

يقول: لا آتيه لِرِيبةٍ. ومِثْلُ ذلك قولُ الشاعر[1]:

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ مِـنْ بَيْتِ جَارِى   كَـفِـعْلِ الْعَـيْرِ غَـمَّـرَهُ الْوُرُودُ

يقول: لا أخْرُجُ خُروجَ الخائف، لأنه إنما يـقال: تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرْوَ، ويقال للقَدحَ الصغير: الغُمَرُ من هذا.

وقوله:

* ولا أُكسِّر فى ابن العم أظفارى *

يقول: لا أغتابه، وهذا مَثَلٌ كما قال الْحطَيْئَة:

مَلّوا قِـــرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِـــلاَبُهُمُ   وَجَـرَّحُـوهُ بِأَنْيَـابٍ وَأَضْـرَاسِ

وقوله:

* فقد يَرى الله حال المدلج السارى *

فـالمدْلِجُ: الذى يسـير من أول الليل، يـقال: أَدْلَجْتُ، أى سِـرْتُ من أول الليل، وادَّلَجْتُ، أى سرت فى السَّحَر، قال زهير:

* بكَرْنَ بُكُوراً وادَّلَجْنَ بسُحْرةٍ[2] *

والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾[3] مِنْ قولك أسْرَيْتُ، وهى اللغة القرَشيَّةُ، وغَيْرُهُمْ من العرب يقول سَرَيْتُ، وقد جاءت هذه اللغة فى القـرآن، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[4] فهذا من سَرَى،

(١) زيادات ر: «وهو عقيل بن علفة»، والبيت من كلمة له فى حماسة أبى تمام (١: ١٥١ ، ١٥٢) ـ طبعة الرافعى.

(٢) رواية الديوان ١٠: «واستحرن بسحرة»، وبقيته:

* فهنّ ووادى الرسّ كاليد فى الفم *

(٣) سورة الحجر ٦٥.

(٤) سورة الفجر ٤.

ولو كان من «أسْرَى» لكان «يُسْرى»، كما قال لبيد:

فَبَاتَ وأُسْـرى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَـانَ وَقَّافًـا بغيـر مُعَـصَّر

والمُعَصَّـرُ المَلْجَأُ، والسارى إنما هـو من قولك سَرَى، كـقولك: قَضَى فـهو قاض، ومن أسْـرَى يقال للفاعل: مُـسْرٍ كمـا تقول: أعْطى فهـو مُعْطٍ، كمـا قال الأخْطَلُ:

نَازَعْتُهُمْ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةَ السَّارِى

والدجـاج ها هنا: الديُوك، يـريد وَقْتَ السَّـحَـر، لأنه يقـال للديك: هذا دَجـاجـةٌ، فإن أردت الأنثـى قلت: هذه، وكـذلك هذا بقـرة، وهذا بَطَّةٌ، وهذا حَمامةٌ إذا أردت الذكر، ولهذا باب يُذْكَرُ فِيه إنْ شاء الله.

قال جَرير:

لَمَّـــا تَذَكَّـــرْتُ بِالَّديْرَيْـنِ أرَّقَنِى صَـوْتُ الدَّجَاجِ وَقَـرْعٌ بِالنَّوَاقِـيسِ

قوله: «أرقنى صـوت الدجاج»، والأرق لا يكون فى آخـر الليل وإنما يكون فى جميعه.

وكذلك النواقيس لا تقرع أيضًا إلا فى السحر فإنما أراد: أرقنى انتظارى هذا الوقت؛ لأنه وعد فيه وعدًا فهو منتظر له.

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنا أبو العباس أحمـد بن يحيى الأبيات الرائيَّةَ المتقدمة بتـمامها على مـا أذكُره لك عن أبى عـبد الله بن الأعرابىّ، وهى لأحد أُبْنَىْ حَبْناءَ - أَحْسبُهُ صَخْرا - وهما من بنى تميم، وكانا من الأزَارِقة. قال:

إنِّى هَزِئْتُ مِنْ أمِّ الْغَمْرِ إذْ هَزِئَتْ بِشَيْبِ رَأْسِى، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ
مَا شَـقْوَة الَمْـرءِ بِالإِقْـتَارِ يَقْـتَرُهُ وَلاَ سَـعَـــادَتُهُ يَوْمًـا بِإكْـثَـارِ(١)
إنَّ الشَّـقِىَّ الَّذِى فِى الـنَّارِ مَنْزِلُهُ والفَـوْزَ فَـوْزُ الَّذِى يَنْجُـو مِنَ النَّار

(١) ريادات ر: «يقتره، الهاء تعود على الإقتار».

أعُـوذُ باللهِ منْ أَمْـرٍ يُزَيِّنُ لِي ... لَوْمَ العَشِيـرَةِ أوْ يُدْنِي مِنَ العَار

وَخَـيْـرِ دُنْيَـا يُنَسِّي شَـرَّ آخِـرَةٍ ... وَسَوْف يُنَبِّـئُنِي الجَبَّارُ أخْـبَارِي

ثم يتفقان بَعْدُ في الرواية، وكان ربما أنْشَدَنا: «إنِّي هَزَأْتُ مِنْ أمِّ الغَمْرِ»].

* * *

[لأعرابي من بني الحارث بن كعب]

قال أبو العباس: وقال أعرابيٌّ من بني الحارث بن كَعْب:

رَئِمْتُ لِسَلْمَـى بَوَّ ضَـيْمٍ وإنَّنِي ... قَـدِيمًـا لآبِي الضَّـيْمِ وابْنُ أُبَاة

فَقَـدْ وقَّفَتْنِي بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْـهَةٍ ... وَمَا كُنْتُ وَقَّافًا عَـلَى الشُّبُهَات

فيـا بَعْلَ سَلْمَى كَمْ وكَمْ بِأذَاتِهَا ... عَـدِمْتُكَ مِـنْ بَعْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِي

بنفسي حَبِـيبٌ حَالَ بَابُكَ دُونَهُ ... تَقَطَّعُ نَفْـسِي دُونَهُ حَسَـرَات

وَوَاللهِ لَوْلاَ أنْ تُسَـاءَ لَـرُعْـتُـهُ ... بِمَا لَيْسَ بِالْمَـأْمُون مِنَ فتكَاتِي

قوله: «رئِـمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْم» فـإنما هذا مَثَلٌ، وأصله أنّ الناقـة إذا أَلْقَت سَقْبَها فَـخِيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلْدَ حُوَارٍ(١) فَحَشَـوْهُ تِبْنًا، ولَطَخوهُ بشيء من سَلاها، ثم حَشَوْا أنفـها بخرْقة، فَتَجد لذلك كَرْبًا، ويقـال للخرقة التي تُجْعَلُ في أنفها: الغمامةُ، ثم تُسَلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحًا، وتَرَى ذلك البَوَّ تحتها، وهو جلد الحُوار المَحْشُوُّ فَـتَرْأَمُهُ، فإن دَرَّتْ عليه قيل: ناقـة درور، وتَرْأَمُهُ تَشَمُّهُ، ويقال في هذا المعنى: ناقة ظئور، فَيُنْتَفَعُ بلبنها، ويقال: ناقة رائمٌ ورءوم إذا كانت تَرْأَمُ ولدها أو بَوَّها، فإن رَئِمَتْ ولم تَدُرَّ عليه فتلك العَلُوقُ، ولا خير عندها.

وأنشـدونا عن أبي عـمرو ـ وكـان يقـرأ: ﴿ثُمَّ كَـانَ عَاقِـبَةَ الَّذِينَ أَسَـاءُوا السُّوءَى﴾(٢) على «فعلى»(٣):

---

(١) الحوار. ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينفطم

(٢) الروم: ١٠.

(٣) زيادات ر. «لأفنون التغلبي»، والبيتان في أمالي القالي: ٢ ـ ٥١، وشواهد المغني للسيوطي ٥٤.

أَنَّى جَزَوْا عَـامِراً سَوءى بِـفِعْلِهِمُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِى السُّوءى مِنَ الحَسَنِ

امْ كَيْفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِى الْعَلوقُ بِهِ ... رِئْمَـــانَ أَنْف إِذَا مَـا ضُـنَّ بِاللَّبنِ(١)

فقوله: «رئمتُ لسلمى بَوَّ ضيم»، أى أقمتُ لها على الضَّيمِ، ويقال: فلان رَءومٌ للضَّيمِ، إذا كان ذليلاً راضيًا بالخَسفِ.

[لأحد الأعراب]

وقال أعرابى ـ أحْسبُهُ تَميمياً:

وَدَاهِيَــةٍ دَاهَى بِهَا الْـقَوْمَ مُـفْلِقٌ ... شَـدِيدٌ بِعُورَانِ الْـكَلاَمِ أَزُومُهَـا

أَصَخْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا مَـا وعَيْتُهَا ... رَمَيْتُ بِأُخْـرَى يَسْتَدِيرُ أمِيـمُهَا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَـا مُطْرِقِينَ كَـأَنَّمَا ... تَسَاقَـوْا عُقَـارًا لا يَبِلُّ سَلِيمُـهَا

فلَمْ تَلْقَنِى فَهًّا، ولَمْ تَلْقَ حُجَّتِى ... مُلَجْلَجَةً أبغِى لهـا منْ يُقِيمُـها

قوله: «وداهية» يعنى حُـجَّةً داهَى بها القوم. مُفْلقٌ: يريد عَجِـيبةً، والفِلقُ: اسم من أسماء الدواهى، ويقال: فَلْقٌ فى هـذا المعنى، ويقال: داهية فَلِيقٌ، وجاء القوم بالفَلِيق، وهذا مشهور كثير فى الكلام، ومنه قول خَلَفٍ الأحمر:

* مَوْتُ الإِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفِلَقْ *

وأنشَدَنِى مُنْشِدٌ:

إِذَا عَرَضَـتْ دَوِيَّةٌ مُدْ لَهِـمةٌ(٢) ... وغَرَّدَ حَادِيهـا عَمِلنَ بِنَا فَلْقَا(٣)

بفتح الفاء.

---

(١) فى حاشية الأصل: «قال ثعلب: اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له، يرحلان برحله ويقيمان بإقامته، فأنشد الكسائى «أنى جزوا عامرا. . . البنبن» فقال الأصمعى: إنما هو «رئمان» بالنصب، فقال له الكسائى: اسكت ! ما أنت! وهذا! يجوز فه الرفع والنصب والخفض، أما الرفع فعلى الرد على «ما» لأنها فى موضع رفع بـ «ينفع»، والنصب بـ «التعطى»، والخفض على الرد على الهاء فى «به». قال ثعلب: فسكت الأصمعى». وانظر المعنى ١: ٤١.

وفى أمالى القالى: «العلوق: التى ترأم بأنفها وتمنع درها، يقول: فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئا فكيف ينفعنى ذلك!».

(٢) شطر هذا البيت لم يذكر فى س، وفى ر بين علامتى الزيادة، ورواه: «داوية».

(٣) عرض: نعرض. وغرد حاديها: طرب فى حدائه. والبيت فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢، ٢٦٤، وروايته فيه: «قربن بها فلقا». وقال فى شرحه: «أى عملن بها داهية من شدة سيرهن. والفلق: القضيب يشق فيعمل منه قوسان، ويقال لكل واحدة فلق». وهو أيضا فى اللسان (فلق).

وقوله: «شديدٌ بُعوران الكلام»، العَوْراءُ هي القبيحة، قال حاتم بن عبد الله الطائيُّ:

وعَوْرَاءَ قَدْ أَعَرضْتُ عَنْهَا فلمْ تَضِرِ ... وَذِى أُود قَـوَّمْـتُـهُ فَتَـقَـوَّمَـا

وأَزُومُهَا: إِمْساكُهَا[1]، يقال: أَزِمَ به إِذَا عَضَّ به فـأمسكه بين ثَنِيَّتَـيْهِ. وفى الحديـث أن أبا بكر رحمـه الله قال فى يوم أُحُـد: فنَظَرْتُ إلى حَلْقة مـن درْعٍ قد نَشِبَتْ فى جَبِينِ رسول الله ﷺ، فانْكَبَبْتُ لأنْزِعَهَا فأقْسَم علَىَّ أبو عبيدة، فَأَزَمَ بها أبو عبيدة بثَنِيَّتَيْهِ، فَجَذَبها جَـذْبًا رفيقًا، فانتزعها، وسَقَطَتْ، ثم نَظَرْتُ إلى أخرى فأرَدْتُها فأقْـسَمَ علىَّ أبو عبيدة، ففعل فـيها ما فعل فى الأولى، وكان مُـشفقًا من تحريكها لئلا يُؤْذِىَ بذلك رسول الله ﷺ، فكان أبو عبيدة أهْتَمَ.

وقوله: «فَأَزَمَ بها»، يقال: أَزَمَ يَأْزِمُ، وأزمَ يَأْزَمُ.

وقوله: «أصَخْتُ لها»: يقول استَمَعْتُ لها، قال العَبْدِىُّ[2]:

يُصِـيخُ لِلنَّبْـأة أسْـمَـاعَـهُ ... إصَـاخَـةَ النَّاشِـد للْمنْشِـد

والإصاخة: الاستماع، والناشد: الطالب، والمنشد: الْمُعَـرِّف، يقال نَشَدْتُ الضالة إذا طلبتها، وأَنْشَدْتُها: إذا عَرَّفْتها. والنَّبْأةُ: الصوت، قال ذو الرُّمَّة:

وقَدْ تَوَجَّسَ رِكْـزًا مُقْـفِرٌ نَدُسٌ ... بِنَبْأةِ الصَّوْتِ ما فى سَمْعِه كذِبُ[3]

وقوله: «حتى إذا مـا وعَيْتُها»، يقول: جَـمَعْتُها فى سمـعى، يقال: وعَيْتُ العِلْمَ، وأوْعَيْتُ المَتاع فى الوعاء، قال الله عز وجل: ﴿وَجَمَعَ فأَوْعَى﴾[4]، وقال الشاعر[5]:

الْخَيْرُ يَبْـقى وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ ... والشَّرُّ أخْبَـثُ مَا أوْعَـيْتَ مَنْ زَادِ

وقوله:

* رَمَيْتُ بأخرى يستدير أَمِيمُهَا *

---

(١) قال المرصفى. «أخطأ أبو العباس فى تفسير الوصف بالمصدر والصواب· ممسكها».

(٢) زيادات ر: «وهو المثقب».

(٣) توجس: تسمع. والركز. الصوت الخفى. مقفر: أخو قفرة. والندس: السريع الاستماع للصوت الخفى، يصف الصائد.

(٤) المعارج ١٨.

(٥) زيادات ر: (هو عبيد بن الأبرص).

يريد يستدير، من الدُّوار، ويقال في هذا المعنى: يستديم، ومنه سميت الدُّوَّامَةُ[1]، وفي الحديث: «كُرِهَ البول في الماء الدائم»؛ لأنه كالمستدير في موضعه، قال جرير:

عوَى الشُّعَرَاءُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ　　عَلَيَّ فَقَدْ أصَابَهُمُ انْتِقَامُ
إذَا أرْسَلْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهِم　　رَأوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فاسْتَدَامُوا[2]

وقوله: «أميمها» يريد المأموم بها، ويقال: أميمٌ ومأموم، كقولك: قَتيلٌ ومقتولٌ، ومَجْروح وجريح، ويقال: للشَّجَّة التي قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدماغ - وأُمُّ الدماغ جُلَيْدَةٌ رقيقةٌ تُحيط بالدِّماغ - فإذا وُصِلَ إلى تلك فالشَّجَّةُ آمَّةٌ ومَأْمومة، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَأْمُومَةً في قَعْرِهَا لَجَفٌ　　فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كالْمَغَارِيدِ[3]

المغاريد: صغار الْكَمْأة.

وقوله: «في قعرها لجف»، أي تَقَلُّع، يقال: تَلَجَّفَتِ البئر، إذا انقلع طَيُّها من أسفلها، ولَجَّفَ القومُ مِكْيالهم، إذا وَسَّعوه من أسفله.

وقوله: «تَسَاقَوْا عُقارًا» يريد: كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجَّة. وَالْعُقارُ: اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقارا لِمُعَاقَرَتِها الدَّنَّ.

وقوله: «ما يَبِلُّ» يقال: بَلَّ وأَبَلَّ من مرضه، وكذلك اسْتَبَلَّ.

والسَّلِيمُ الْمَلْسوع، وقيل له سَليم على جهة التَّفاؤل، كما يقال لـلـمَهْلَكَة مَفَازةٌ، وللغراب: الأعورُ على الطِّيَرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِه.

وقوله: «فلم تلفني فَهًّا» يقول: ضَعيفًا، يقال: فَهَّ فلانٌ عن حُجَّتِه إذا ضَعُفَ عنها، ويقال: رجل مُفَهَّةٌ إذا كان عاجزًا.

وقوله: «مُلَجْلَجَة»، وهو أن يُرَدِّدَها في فيه، وقد مضى تفسيره.

---

(١) الدوامة: فلكة يرميها الصبي بخيط فتدور.

(٢) استداموا: أخذهم الدوام، وهو الدوار.

(٣) البيت في اللسان (غرد) ونسبه المرصفي إلى غذار بن دارة السنائي.

[لأبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه]

وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزُوم، من بنى نَهْشَلِ بن دارمٍ(١):

إنا بَـنى نَـهْـــشَل لا نَـدَّعِى لأبٍ	عَنْهُ، ولا هُوَ بِالأَبْـنَاء يَشْـرِينَا
إنْ تُبْــتَـدَرْ غَـايَـةٌ يَوْمًا لِمكْـرُمَـة	تَلْقَ الـسَّـوَابِـقَ منَّا وَالمُصلِّـينَا
ولَيْـسَ يَهْلِـكُ منَّا سَــيِّـــدٌ أَبَدًا	إلا افْـتَلَيْنَا غُلامًـا سَـيِّدًا فـينَا
إنِّى لَمِنْ مَـــعْـــشَـــرٍ أفْنَى أوَائِـلَهُمْ	قِيلُ الْكُمَاةُ: إلا أيْنَ المُحَامُونَا؟
لَوْ كَانَ فى الأَلْف منَّا وَاحدٌ فَدَعَوْا:	منْ فَارِسٌ؟ خَـالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا
ولا تَرَاهُـمْ وَإِنْ جَلَّتْ رَزِيَّـتُــــهُمْ	مَعَ الْبُكَاة عَلَى مَنْ مَات يَبْكُونَا
إنَّا لَـنرْخصُ يَـوْمَ الرَّوْعِ أنْفُـــسَـنَا	ولَوْ نُسَامُ بِهَـا فى الأَمْنَ أُغْلينَا
إذَا الكُـمَـــاةُ تَـنَحَّـــوْا أنْ يَنَالَـهُمُ	حَـدُّ الظُّبَـاة وَصَلْنَاهَا بِـأَيْدينَا
فَـــرْضٌ عَلَى مُكْثِـرِينَا نَيْـلُ بَذْلِهِمُ	وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فى طَبْعِ الْمُقِلِّينَا
إنِّى وَمَنْ كَـــأَبِى يَحْـيَى وَعِـــتْـرَتِه	لا فَـخْـرَ إلا لَنَا أم من يُوَازِينَا

قوله: «إنا بنى نهشل»، يعنى نهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك ابن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميمٍ، ومن قال: «إنَّا بَنُو نَهْشَلٍ»، فقد خَبَّرَكَ، وجَعَلَ «بنو» خبر «إنَّ»، ومن قال: «بنى»، إنما جَعَلَ الخَبرَ

إنْ تُبْـتَدَرْ غَـايَةٌ يوما لِمكْرُمَـة تَلْقَ الـسَّـــوَابقَ مِـنَّا والمُصلِّـينَا

ونَصَبَ «بَنِى» عَلَى فِعْلٍ مضمر للاختصاص، وهذا أَمْدَحُ ومثله:

* نَحْنُ بَنِى ضَبَّةَ أصْحَاب الْجَمَلْ(٢) *

---

(١) زيادات ر: «هو بشامة بن حـزن النهشـلى». والأبيات أوردها أبو تمام منسـوبة إلى بعض بنى قـيس بن ثعلبة، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات وعددها، وانظر الحماسة ١: ٩٧ - بشرح التبريزى.

(٢) من رجز رواه ابنُ جرير الطبرى لعمرو بن يثربى الضبى قاله فى وقعة الجمل، وبعده:

نـنـزل بـالمـوت إذا المـوت نـزل القـتل أحلى عنـدنا من العـسل
نَنْعى ابـن عـفـان بأطراف الأسل ردّوا علينا شـيـخنا ثـم بَجل

وانظر تاريخ الطبرى، وحوادث ٣٦.

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان مَنْ يَخْتَصُّ بهذا، فقال: أعنى بنى ضبة. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[1] أراد وامرأتُهُ. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ ثم عرّفها بحمّالة الحطب، وقوله: ﴿والمقيمينَ الصَّلاةَ﴾ بعد قوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] إنما هو على هذا، وهو أبلغ فى التعريف، وسَنَشْرَحُهُ على حقيقة الشرح فى موضعه إن شاء الله.

وأكثر العرب يُنْشِدُ[3]:

إنَّا بَنِى مِنقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ ... فِينَا سَرَاةُ بَنِى سَعْدٍ وَنَادِيهَا

وقرأ بعض القراء: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ﴾[4].

وقوله: «يشرينا» يريد يَبِيعُنا، يقال: شراه يَشْرِيه إذا باعه، فهذه المعروفة، قال الله عزّ وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ﴾[5]. وقال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِىُّ:

شَرَيْتُ بُرْدًا ولَوْلا مَا تَكَنَّفَنِى ... مِنَ الحَوادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا[6]

ويكون «شَرَيْتُ» فى معنى اشْتَرَيْتُ، وهو من الأضداد، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ:

اشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وأَبْغُوا لِخِتْنَتِهَا[7] ... مُوَاسِيًا أَرْبَعًا فِيهِنَّ تَذْكِيرُ[8]

وقوله:

* تَلْقَ السوابقَ منَّا والمصلِّينا *

فالمُصَلِّى الذى فى إثْرِ السابق وإنما سُمِّىَ مصلِّيًا؛ لأنه مع صَلَوَىِ السابق، وهما عِرْقان فى الرِّدْف، قال الشاعر:

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فى صَلاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

---

(1) سورة المسد ٤ ، ٥.

(2) سورة النساء ١٦٢.

(3) زيادات ر: ·هو (لعمرو بن الأهتم المنقرى). وانظر. .

(4) سورة المؤمنون ١٤.

(5) سورة يوسف ٢٠.

(6) بعده في س وزيادات ر:

يا بُرْدُ ما مَسَّنَا دَهْرٌ أَضَرَّ بِنَا ... من قبلِ هذا، ولا بعنا له ولدا

(7) كذا فى الأصل. وفى ر: «لخنتنتها»، وهى المرة من الختن. وفى الزيادات: «كان ابن جابر يروى: «لختنتها» [بضم الخاء وتاءين]، ويقول: الختن: «العفل». والعفل. لحم ينبت فى قبل المرأة.

(8) تذكير: صلابة وحدة.

وقوله:

* إلا افتَلَينا غلاما سيّدا فينا *

مـأخوذ من قـولهم: فَلَوْتُ الفُـلُوَّ[1] يَا فـتى، إذا أخـذتَه عن أمّـه، قـال الأَعْشَـى:

مُـلْـمِـعٍ لاعَـةِ الْـفُـؤَادِ إِلَـى جحْـــــشٍ فَلاهُ عَنْهَا، فَبِئْسَ الْفَالى[2].

وأخذ هذا المعنى من قول أَبى الطَّمَحان الْقَيْنِيِّ:

* إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صَاحِبُهْ *

وقوله:

لَوْ كَانَ فى الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: مَنْ فَارسٌ؟ خَـالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طَرَفة:

إِذَا القَوْمُ قالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِى عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَـلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

ومن قول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ:

إِذَا القَـوْمُ قالُوا: مَنْ فَـتًى لِعَظِيمَـةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى، وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله: «حَدُّ الظُبَات» فـالظُّبَةُ الحَدُّ بعينه، يقال: أصابتـه ظُبَة السيف، وظُبَةُ النَّصْلِ، وجمـعه ظُبَاتٌ. وأرا دَ بالظبَـةِ هاهنا موضع المَضْرِب من السـيف. وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السُّـيوفَ إِذَا قَصُـرْنَ بخَطْوِنَا قُدُمًـا، وَنُلْحِقُهَـا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله:

* إِنَا لنرْخصُ يوم الرَّوْعِ أَنْفُسنَا *

---

(1) الفلو: المهر.

(2) البيت فى وصف الناقة، ملمع: فى ضرعها لمع سود. واللاعة: الملتاعة. والفالى: الطارد.

أخذه من قول الهَمْدانيّ ـ وهو الأَجْدَع(١) ـ أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه:

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْـوَانُ هَمْدَانَ أَنَّني ... لَهُنَّ غَـدَاةَ الرَّوْعِ غَـيْرُ خَـذُولِ

وَأَبْذُلُ في الهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنَّني ... لَهُ في سِوَى الْهَيْجَاءِ غيرُ بَذُولِ

ومن القتَّالِ الكِلاَبِيِّ حيث يقول:

أَنا ابْنُ الأكْـرَمِـينَ بَنِي قُـشَيْـرٍ ... وَأَخْــوَالِي الْكِرَامُ بَنُو كِــلاَبِ

نُعَـرِضُ لِلطِّعَــانِ إِذَا الْتَـقَـيْنَا ... وُجُـوهًا لا تُعَـرَّضُ لِلسِّـبَـاب

---

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية الوداعى، من بنى نوف بن حمدان. فارس شاعر، أدرك الإسلام، وبقى إلى زمن عمر بن الخطاب. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٤٩).

بابـ

[من كلام عمر بن عبد العزيز]

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فقد كَمَل: من لم يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ[1] عن طاعة الله، ولم يستنزلُه رضاه إلى معصية الله، وإذَا قدر عفا وكَفَّ.

[من كلام الحسن البصري]

قال الحسن: نِعَمُ الله أكثرُ مِنْ أنْ تُشْكَرَ إلا ما أعانَ عليه، وذُنوبُ ابْن آدم أكثر من أنْ يَسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه.

[كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه]

وقال عمر بن ذَرّ[2] ـ ودخل على ابنه وهو يَجُود بنفسه، فقال: يا بُنَىَّ، إنه ما علينا من موتك غضاضةٌ، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجةٌ. فلما قضى وصَلَّى عليه وواراه وَقَفَ على قبره، فقال:

ياذَرُّ، إنه قد شَغَلَنا الحُـزْنُ لك عن الحزن عليك؛ لأنّا لا نَدْرِى مَا قُلْتَ ولا ماقيلَ لك، الّلهُمَّ إنى قد وَهَبْتُ له مَا قَصَّرَ فيه مما افترضْتَ عليه من حقّى، فَهَبْ له ما قَصَّرَ فيه من حقّك، واجعل ثوابى عليه له، وزِدْنِى من فَضْلك، إنِّى إليك من الراغبين.

وسُئِلَ: ما بَلَغَ من بِرِّه بك؟ فقال: ما مَشَى معى بِنَهارٍ قَطْ إلاَ قَدَّمَنِى، ولا بليل إلا تقَدَّمَنى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[جواب أبى دلامة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة]

وماتت بنت عَمّ للمنصور، فَحَضَر جَنَازتها، وجلس لدفنها، وأقبل أبو دُلامةَ الشاعر، فقال له المنصور: ويْحَكَ! ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ابْنةَ عَمِّك هذه التى وارَيْتَها قَبَيلُ! قال: فَضَحِكَ المنصور حتى استُغْرِب[3].

---

(١) ر: «من».

(٢) هو عمر بن ذر بن عبد الله الهمدانى، من أقران أبى حنيفة وابن عيينة، وكان رأسا فى الإرجاء، توفى سنة ١٥٠. (تهذيب التهذيب ٧:٤٤٥).

(٣) استغرب فى الضحك: أكثر منه.

[الفرزدق في سجن مالك بن المنذر بن الجارود]

ودخل لَبَطَة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن الْمُنْذر ابن الجارود(١)، ومالك عاملٌ على البصرة لخالد بن عبد الله القَسْرِيِّ، فقال: يا أَبَت، هذا عمرُ بن يزيد الأَسَيْدِيُّ، ضُرِبَ آنفًا أَلْفَ سَوْط فمات فَشُدَّ على حمار، فقال الفَرَزْدَقُ: كأنك والله يا بُنَيَّ بمثلِ هذا الحديث قد تُحَدِّثُ به عن أبيك ـ والحَسَنُ(٢) إذ ذاك عند محبوس له ـ فقال: يا أبا فراس: ما عندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، للهُ أَحَبُّ إليَّ من سَمْعي وبَصَرِي، ومن مالى وولدى، ومن أهلي وعَشيرتى، أَفَتَرَاهُ يَخْذُلني! فقال الحسن: لا.

[للفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسيدى]

وكان عمر بن يزيد الأسَيْدِيُّ شريفًا، حدثنى التَّوَّزِيُّ عن أبى عُبَيْدَةَ قال: كان رجلُ أهلِ البَصْرَةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيْدِيَّ، ورجلُ أهل الشام عمرَ بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِيَّ، ورجلُ أهل الكوفة بلالَ بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعريّ، فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال: أَجَلْ، لَولا خبٌّ(٣) في بلال، فقال بلالٌ لَمَّا بلغه ذلك: «رَمَتْني بدائها وانْسَلَّت» وقتله مالك(٤) بن الْمُنْذِرِ تَعَصُّبًا فيما تذكره الْمُضَرِيَّةُ. فلما دُخِلَ بمالك على هشام أَقْبَلَ على أصحابه، فقال: أما رأيتم عمر بن يزيد؟ أَمَا إني ما تَمَنَّيْتُ أن تكون أُمّي ولدَت رجلا من العرب غَيْرَهُ. ثم قال لمالك: قَتَلْتَ والله خيرًا منك حَسَبًا، ونَسَبًا، وريشًا(٥)، وعَقبًا! فقال: وكيف يا أمير المؤمنين! أَلَسْتُ ابنَ المنذر بن الجارود، وابنَ مالك بن مِسْمَعٍ! ـ وكان جَدَّهُ أبا أمِّه ـ وجعل عمر والسِّياطُ تأخذه ينادى: يا هشَامَاه! ففى ذلك يقول الفَرَزْدَق:

أَلَمْ يَكُ مَقْتَلُ الْعَبْدِيِّ ظُلْمًا   أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْكُبَرِ الْعِظَامِ

قَتِيلُ جَمَاعَةٍ فِى غَيْرِ حَقٍ   يُقَطَّعُ وَهْوَ يَدْعُو: يا هشَامِ!

---

(١) حاشية الأصل: «كان السبب فى سجن الفرزدق أنه كان قد هجا خالد بن عبد الله القسرى، فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه، فأمر مالك أيوب بن عيسى الضبى فأتاه به، فأمر به إلى السجن، ففى ذلك يقول الفرزدق يهجو أيوب بن عيسى:

فلوْ كنتَ قيسيًّا إذا ما حبستني   ولكنّ زنجيًّا غليظًا مشافرهْ

متتُّ له بالرّحْمِ بينى وبينَهُ   فألفيتُه منّى بعيدًا أواصره

(٢) هو الحسن البصرى.

(٣) الخب. الخداع والمكر.

(٤) أى قتل مالك عمر بن يزيد الأسيدى.

(٥) الريش: اللباس والزينة. وفى ر ، س: «ودينا».

[لقاء الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة]

وَالْتقى الحَسَن والفرزدق فى جنازة، فقـال الفرزدقُ للحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قـال: يقولون: اجتمع فى هذه الجنازة خيرُ الناسِ وشَرُّ الناس! فقال الحسن: كَـلاًّ، لَسْتُ بخيرهم، ولَسْتَ بشرِّهم، ولكن ما أعْدَدْتَ لهـذا اليوم؟ فـقال: شهـادة أن لا إلَه إلا الله مذ[1] ستُّـون سنة، وخَمْسَ نَجَائبَ لا يُدْرَكْنَ ـ يعنى الصلوات الخمس ـ فيزعم بعض التَّميميَّة أن الفرزدق رُئِىَ فى النوم، فقـيل له: ما صَنَعَ بك رَبُّكَ؟ فـقال: غَـفَرَ لى. فقـيل له: بأىِّ شىء؟ فقال: بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن.

[الفرزدق وأولاد بنى تميم]

وحدثنى العبـاس بن الفَرَجِ فى إسناد له ذَكَرَهُ قال: كـان الفرزدق يَخْرُجُ من منزله فيرى بنى تميم والمصَـاحِفَ فى حُجُورهم، فَيُسَـرُّ بذلك ويَجْذَلُ به، ويقول: إيه فدًى لكم أبى وأمّى! كذا والله كان آباؤكم.

* * *

[قال أبو الحسن: إنما هو فِداءٌ لكم، لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية].

* * *

[الفرزدق وأبو هريرة الدوسى]

ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِىُّ، فقال [له][2]: مَهْما فَعَلْتَ فَقَنَّطكَ الناسُ، فلا تقنطْ من رحمة الله، ثم نظر إلى قدميه فقال: إنى أرى لك قَدَمَيْنِ لطيفتين، فابْتغِ لهما مَوْقِعًا صالحًا يوم القيامة.

يقـال: قَنطَ يَقْنَطُ، وقَنَطَ يَقْنِطُ، وكـلاهما فـصيح، فـاقرأ بأيِّهـما شـئت، وكذلك نَقِمَ يَنْقَمُ، ونَقَمَ يَنْقِمُ.

---

(١) ر. «منذ».

(٢) من ر ، س.

[قول الفرزدق حينما تعلق بأستار الكعبة]

والفرزدق يقول في آخر عُمُرِه حين تَعَلَّقَ بِأَسْتار الكعبة، وعاهَدَ اللهَ ألاَّ يَكْذِبَ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِمًا:

أَلَمْ تَرَنِي عاهَدْتُ رَبِّي وَإِنَّنِي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قائمًا وَمَقَامِ

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ولا خارجا من فِيَّ زُورَ كَلامِ

وفي هذا الشعر:

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي

رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي مُلاقٍ لأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي

قوله: «لَبين رتاج»، فالرِّتاجُ غَلَقُ الباب، ويقال: باب مُرْتَجٌ، أي مُغْلَقٌ، ويقال: أُرْتِجَ على فلان، أي أُغْلِقَ عليه الكلامُ، وقولُ العامة: «ارْتُجَّ عليه»، ليس بشيء، إلا أن التَّوَّزِيَّ حدثني عن أبي عُبَيْدَةَ، قال: يقال: أُرْتجَّ عليه، ومعناه وَقَعَ في رَجَّةٍ، أي في اختلاط، وهذا معنى بعيد جداً.

وقوله: «ولا خارجًا» إنما وَضَعَ اسم الفاعل في موضع المصدر، أراد: لا أشتِمُ الدهر مُسْلِمًا، ولا يَخْرُجُ خروجًا من فِيَّ زُورُ كلامٍ، لأنه على ذا أَقْسَمَ، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل، يقال: ماءٌ غَوْرٌ، أي غائر، كما قال الله عزّ وجل: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾[1]، ويقال: رجل عَدْلٌ، أي عادل، ويوم غَمٌّ، أي غامٌّ، وهذا كثير جداً، فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ، كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال: قُمْ قائمًا، فيوضع في موضع قولك: قُمْ قيامًا، وجاء من المصدر على لفظ «فاعِلٍ» حروفٌ منها: فلِجَ فَالِجًا، وعُوفِيَ عافِيَة، وأَحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة. وجاء على «مَفْعول»، نحو رجل ليس له مَعْقُول، وخُذْ مَيْسُورَه، ودَعْ مَعْسورَه، لدخول المفعول على المصدر، يقال: رجل رضًا، أي مَرْضِيٌّ، وهذا درهم ضَرْبُ الأمير، أي مَضْرُوبٌ، وهذه دراهم وزن سَبْعة، أي مَوْزونةٌ. وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله: «لا أشْتِمُ» حال، فأراد: عاهدت ربي في هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خارجٍ مَنْ فِيَّ زُورُ كلام، ولم يَذْكُر الذي عاهَدَ عليه.

---

(١) سورة الملك ٣٠.

[للفرزدق في أيام نسكه]

وقال الفرزدق في أيام نُسكه:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إنْ لَمْ يُعَافِنى ... أَشَدَّ منَ الْقَبْرِ الْتهَابًا وَأَضْيَقا

إذَا قَادَنى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائدٌ ... عَنيفٌ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقا

لَقَدْ خَابَ منْ أَوْلاَدِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إلَى النَّار مَغْلُولَ الْقلاَدَة أزرقا(1)

إذَا شَرِبُوا فَيهَا الْحَميمَ رَأَيْتُهمْ ... يَذُوبُونَ منْ حَرِّ الْحَميمِ تَمَزُّقا

[للفرزدق حين طلق النوار]

وحدثنى بعض أصحابنا عن الأصْمَعِىِّ عن الْمُعْتَمِرِ بن سليمان عن أبى مَخْزومٍ عن أبى شَفْقَلٍ راوية الفرزدق، قال: قال لى الفرزدق يوما: امض بنا إلى حَلْقَة الحَسَن، فإنى أريد أن أُطَلِّق النَّوَار، فقلتُ: إنى أخاف عليك أن تَتْبَعَهَا نَفْسُكَ، ويَشْهَدَ عليك الحسنُ وأصحابه، فقال: امْضِ بنا فجئنا حتى وقَفْنا على الحسن، فقال: كيف أصْبَحْتَ يا أبا سعيد، فقال: بخير، كيف أصبحتَ يا أبا فراسٍ؟ قال: تَعَلَّمُنْ أن النَّوَار منى طالق ثلاثًا، فقال الحسنُ وأصحابه: قد سمعنا، قالُ: فانطلقنا، قال: فقال لى الفرزدق: يا هذا، إن فى قلبى من النَّوَار شيْئًا، فقلت: قد حَذَّرْتك، فقال:

نَدمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِىِّ لَمَّا(2) ... غَدَتْ منِّى مُطَلَّقَةً نَوَارُ(3)

وَكَانَتْ جَنَّتى فَخَرَجْتُ منْهَا ... كَآدَمَ حينَ أَخْرَجَهُ الضِّرَارُ

وَلَوْ أَنِّى مَلَكْتُ يَدِى وَنَفْسِى ... لَكَانَ عَلَىَّ لِلْقَدَرِ الخِيَارُ

قال الأصمعىّ: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجْلِ هذا البيت.

---

(1) ر: «موثقا»

(2) الكسعى: رجل من كسع، حى من اليمن، اسمه غامد بن الحارث، وكان اتخذ قوسا وخمسة أسهم وكمن فى طريق قطيع، فرمى حمارا منه، فنفذ فيه السهم وصدم الجبل، فأورى نارا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخرها وهو يظن خطأه، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأنشد:

ندمتُ ندامةً لو أنَّ نفسى ... تطاوعنى إذًا لقطعتُ خمسى

تبيَّن لىْ سَفَاهُ الرأى منِّى ... لعمرُ أبيكَ حينَ كسَرْتُ قوسى

وانظر مجمع الأمثال (٢: ٢٧٤).

(3) فى زيادات ر بعد هذا البيت:

وكنتُ كفاقئٍ عينيه عمداً ... فأصبح لا يضىء له النهارُ

وما فارقتُهَا شبعًا ولكنْ ... رأيت الزهد يأخذ ما أعارُ

بـاب
[ما قيل فى الخمر]

قال لقيط بن زرارة:

شـربتُ الخـمـرَ حـتَّى خِلتُ أنىِّ	أبُو قَـــابُوسَ أوْ عـــبـــدُ المدانِ
أَمـــشِّى فى بنــى عُـــدسٍ بنِ زَيْدٍ	رَخِىَّ البـــالِ منطـلِقَ اللِّســـانِ

وحدَّثنى أبو عثمان المازنى قالَ أسر رَجُلٌ يَوْمَ الحُسَيْنِ بن على رضى الله عنه فَأُتِىَ به يزيد بنُ معاوية فقال له: أليس أبوكَ القائلَ:

أرجِّلُ جُـــمَّـــتِى وأجـــرُّ ذيلى	وتحـــملُ شكَّـتى أُفقٌ كُـــمـــيْتُ
أُمَـــشِّى فـى سَـــراةِ بنى غُـطَيفٍ	إذا مـــا سَـــامَنى ضَـــيْـــمٌ أبَيْتُ

قال: بلى. فأمرَ به فقتل.

[خبر هانئ بن عروة المرادى مع معاوية]

قال أبو العبَّاسِ: ونُمِىَ إلىَّ أن معاويةَ ولَّى كثير بن شهاب المذحجىَّ خُراسانَ فَاخْـتَانَ مـالا كثـيراً، ثم هرب فاسـتتـر عندَ هانئْ بن عُروةَ المرادىَّ، فـبلغَ ذلك مُعاويـةَ، فنذَرَ دمَ هانئٍ، فخرج هَانِئٌ فكانَ فى جوار مـعاوية، ثم حَضَرَ مـجلسه ومعاوية لا يعرفُـه، فلَمَّا نهضَ الناسُ ثبتَ مكَانَهُ، فسألهُ معـاوية عَنْ أمْره، فقال: أنا هَانئُ بنُ عُـروةَ، فـقـال: إنَّ هذا اليـومَ ليسَ بِيـومٍ يقـول فـيـه أبوكَ: أرجِّلُ جمَّـتى. . . الشعرَ، فـقالَ لهُ هانئٌ: أنا اليـومَ أعزُّ منى ذلكَ اليومَ، فـقَالَ له: بِمَ ذَاكَ؟ فقال: بالإسلامِ يا أمير المؤمنين، فقـالَ له: أينَ كثيرُ بن شهابٍ؟ قال: عندى فى عسكرِكَ يا أَميرَ المؤمنينَ. فقال له مُعَاويةُ: انظره إلى ما اختانه فخُذْ منه بعضًا، وسوِّغْه بعضًا.

[نبذ من أقوال الشعراء فى الخمر وشاربيها]

وقالَ أعرابىٌّ:

ولقــد شـرِبْتُ الراحَ حَـتَّى خِلْتُنى	لـمَّـا خـرجْتُ أجرُّ فَـضلْ المئـزرِ
قَــابوسَ أو عَمـرَو بنَ هندٍ مـاثلا	يُجْـبَى لهُ مـــا دونَ دَارةِ قَـيْـصَـرِ

وقال آخر:

شربْنَا منَ الدَّاذِيِّ حتَّى كأننا ... مُلُوكٌ لهم بَرُّ العراقين والبحرُ
فلمَّا انجلَتْ شمس النَّهار رأيتُنا ... تولَّى الغِنَى عنَّا وعاودَنا الفقْرُ

وقال آخر، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ الحكم:

وكأسٍ ترى بينَ الإناء وبينها ... قذى العَيْنِ قدْ نَازعتُ أم أبانِ
ترى شارِبيَها حين يَعْتورَانِها ... يميلان أحيانًا ويَعْتدلانِ
فما ظنيُّ ذا الواشِي بأروعَ ماجدٍ ... وبداءِ خودٍ حينَ يلتقيانِ

وقالَ آخرُ:

دَعتْنِي أخَاهَا أمُّ عَمْرو ولَم أكنْ ... أخاهَا ولم أرضَعْ لها بلَبَانِ
دَعَتنِي أخاها بعد ما كان بيننَا ... مِنَ الأمْرِ مالا يفعلُ الأخَوانِ

وقالَ آخرُ (أنشده أبو عليٍّ لأم ضيغم البلوية):

فبتْنا فويْقَ الحيِّ لا نحنُ منهمُ ... ولا نحنُ بالأعْداء مختلطان
وبات يقينا ساقط الطل والنَّدى ... من الليْلِ بُردَا يُمنَةٍ عَطِرانِ
نعدِّى بذكرِ اللهِ فى ذات بيننا ... إذا كان قلبانا بنَا برِدَانِ

قال أبو الحسن: وزادنى فيه غير أبى العباس:

ونَصْدرُ عن زِيِّ العفافِ وربما ... نَقَعْنَا غليلَ النفْسِ بالرشفانِ

قال أبو العباس: نعدِّى أى نصرِفُ الشرَّ بذكر الله، يقال: فعدِّ عما ترى، أى انصرفْ إلى غيره. ويقال: لا يعدونَّك هذا الحديثُ، أىَ لا يتجاوزنك إلى غيرك.

قال أبو العباس: وقال رجلٌ من قريش:

مَنْ تقرعِ الكأسُ اللئيمةُ سنَّهُ ... فلابدَّ يومًا أن يسيءَ ويجهَلا
ولم أرَ مطلوبًا أخسَّ غَنيمَةً ... وأوضع للأشراف منها وأخْملا
وأجدَرَ أن تلقى كريمًا يذمهَا ... ويشربَهَا حتَّى يخرَّ مُجدَّلا
فو اللهِ ما أدْرى أخبْل أصَابهمْ ... أم العيشُ فيها لم يلاقُوه أشكلا

وقال آخر:

إذَا صدمتني الكأسُ أبدت محاسني ... ولم يخشَ ندمَانِي أذَاتي ولا بُخْلي
ولستُ بفحَّاشٍ عليه وإن أسَا ... وما شكلُ من آذى نداماه من شكلي

وقال آخر:

كلْ هنيئًا وما شربتَ مريئا ... ثُمَّ قُمْ صاغراً فَغَيْرُ كَرِيمِ
لا أحبُّ النديم يومِضُ بالعَيْـ ... ـنِ إذَا ما انتشَى لعِرس النَّدِيم

الإيماض: تفتحُ البرقِ ولمحُهُ، يُقَالُ: أوْمضَت المرْأة إذا ابتسَمَتْ، وإنَّما ذلك تشبيه لِلَمع ثنايَاهَا بتبسُّمِ البَرْقِ، فأرادَ أنه فتح عينَهُ ثم غمَّضها بغمزٍ.

قال حسَّان بن ثابت:

كأنَّ سَبِيئةً منْ بيت رأسٍ ... يكونُ مِزَاجَها عسلٌ وماءُ
إذا ما الأشْربَاتُ ذكرْنَ يَومًا ... فهنَّ لطيِّب الرَّاحِ الفِدَاءُ
نُولِّيها الملامَةَ إن ألَمْنا ... إذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أوْ لحَاءُ
ونشربُهَا فتتركُنَا ملُوكًا ... وأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

المغْثُ: المماغثة باليد، واللِّحاءُ: الملاحاةُ باللسانِ، يقول: يعتذرُ المسيء بأنْ يقولَ: كنتُ سكرانَ فَيُعذَرُ.

وقوله: كأنَّ سبيئةً، يقالُ: سبأتُها إذَا اشتريتها سِباء، يعنى الخمرَ، والسَّابِئُ: الخَمَّار.

وقولِه: «من بيت رأسٍ»، يعنى موضعًا، كما يُقالُ: حَارِثُ الجَوْلانِ.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: قال الأَحْنَفُ بن قَيْس: ألا أَدُلُّكمْ على المحْمَدة بلا مَرْزِئَة؟ الخُلقُ السَّجيحُ(١)، والكَفُّ عن القَبيح، ألا أُخْبِرُكُمْ بأدْوَإ الداء؟ الخُلُقُ الدَّنِىء، واللسان البَذِىء.

وقال الأحنف: ثلاثٌ فِىَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعْتَبرَ مُعْتَبِرٌ: ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخلانى بينهما، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء ما لم أُدْعَ إليه، ـ يعنى السُّلْطان ـ ولا حَللْتُ حبْوَتى إلى ما يَقُومُ إليه الناس.

تكْسر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم، وتفتحُها إذا أردتَ المَصْدر، أنشدنى عُمَارةُ بن عَقيلٍ لجَرير:

قُتِلَ الزُّبَيْرُ، وأَنْتَ عاقدُ حُبْوَة ... قُبْحًا لحُبْوَتكَ الَّتى لمْ تُحْلَلِ!

ويقال فى جمع حُبْوَة: حبًا وحُبًا، مقصوران.

وقال عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة: ما أحْسَنَ الحَسنَاتِ فى آثارِ السَّيِّئات! وأقْبحَ السيئات فى آثار الحَسَنات! وأقْبَحُ من ذا وأحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئات فى آثار السيئات، والحَسَنَاتُ فى آثار الحسنات.

والعَرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين، ثم ترمى بتفسيرهما جُمْلَةً، ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ خَبَرَه. وقال الله عز وجل: ﴿ومِنْ رَحْمَتِه جَعَلَ لكمُ اللَّيلَ والنَّهارَ لتَسكُنوا فيه ولِتَبْتغُوا منْ فَضْلِه﴾(٢).

وقال رجل لسَلْم بن نَوْفلٍ: ما أَرْخَصَ السُّؤْدُدَ فيكم! فقال سَلْمٌ: أمَّا نَحْنُ فلا نسَوِّدُ إلا مَنْ بَذَلَ لنا مالَهُ، وأوْطَأنَا عِرْضَهُ، وامْتَهَنَ فى حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّؤْدُد فيكم لَغالٍ.

ولِسَلْمٍ يقول القائل:

يُسَوَّدُ أَقْوَامٌ ولَيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نوفلِ

---

(١) الخلق السجيح: السهل.

(٢) سورة القصص ٧٣.

وقال معاوية رحمه الله لعَرَابَةَ بن أوْس بن قَيْظِيّ الأنْصارِيّ: بِمَ سُدْتَ قومك؟ فقال: لَسْتُ بسيدهم، ولكنّي رجلٌ منهم، فَعَزَم عليه فقال: أعْطيْتُ في نائبتهم، وحَلُمْتُ عن سَفِيهِهِمْ، وشَدَدْتُ على يَدَيْ حَلِيمهم، فَمَنْ فعَل منهم مِثلَ فِعْلي فهو مِثلي، ومن قَصَّرَ عنه فأنا أفضلُ منه، ومن تجاوزه فهو أفضل مني.

[مدح الشماخ لعرابة بن أوس]

قال أبو العباس: وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابة أنه قَدِمَ من سَفر، فجَمعَهُ الطريقُ وَالشمَّاخَ بنَ ضرارٍ المُرِّيّ، فتحادثا، فقال له عَرَابة: ما الذي أَقْدَمَكَ المدينة؟ قال: قَدِمْتُ لأَمْتارَ منها، فَمَلأ له عَرابةُ رَوَاحِلَهُ بُرّاً وتَمرا، وأتحفه بغير ذلك، فقال الشمَّاخ:

رأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ

إذَا بَلَّغْتِني وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرَابَةَ، فَاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ

ومِثْلَ سَرَاةِ قَوْمِكَ لم يُجَارُوا ... إلَى رَبْعِ الرِّهَانِ وَلا الثَّمِينِ(١)

قوله: «تَلَقّاها عَرابةُ باليمين»، قال أصحاب المعاني: معناه بالقُوَّة، وقالوا مثل ذلك في قول الله عزّ وجلّ: ﴿والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾(٢).

وقد أحسَنَ كلَّ الإحْسان في قوله:

إذَا بَلَّغْتِني وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ

يقول: لَسْتُ أحتاج إلى أن أرْحَلَ إلى غيره.

وقد عاب بعضُ الرُّواة قولَهُ: «فاشرقي بدم الوتين»، وقال: كان ينبغي أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسولُ الله ﷺ للأنصارية(٣) المأسورة بمكة وقد نَجَتْ على ناقة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنِّي نَذَرْتُ إنْ نَجَوْتُ عليها أن أنحرَها. فقال رسول الله ﷺ: «لِبئْسَ ما جَزَيْتِها»، وقال: «لا نَذْرَ في معصية، ولا نذرَ للإنسان في غير مِلكه».

---

(١) الرهان: ما يوضع من المال في مسابقة الخيل، والثمين: الثمن.

(٢) الزمر ٦٧.

(٣) ذكر ابن هشام أنها امرأة رجل من غفار. (وانظر خبر أسرها مع زوجها في السيرة ٣: ٣٢٣ - ٣٢٧).

ومما لم يُعَب في هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحةَ الأنصاريِّ لما أمَّرَه رسولُ الله ﷺ بعد زَيد وجَعْفَرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ[1]:

إذَا بَلَّغْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنَكِ فَأنْعمِي وَخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرْجِعْ إلَى أهْلِي وَرَائِي

الحِساءُ: جمع حِسْيٍ، وهو موضع رَملٍ تحته صَلاَبَةٌ، فإذا مَطَرَت السماءُ على ذلك الرمل نزل الماء، فَمَنَعَتْه الصَّلابةُ أن يَغيضَ، ومَنَعَ الرملُ السَّمَائمَ أن تُنَشِّفَه، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء، يقال: حِسيٌ وأَحساء وحِساء، ممدودة.

وقوله: «ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي» مجزوم لأنه دعاء، فقوله: «لا» يعني الجازمة، ومعناه: اللهم لا أَرْجِعْ، كما تقول: زيد لا تَغْفر له[2]، فهذا الدعاء يَنْجَزِمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمر والنهي، كما تقول: زيد لِيَقُمْ، وزيد لا يَبْرَحْ.

وقد اتَّبَعَ ذو الرُّمَّة الشَّمَّاخَ في قوله:

إذَا ابنَ أَبِي مُوسى بِلالاً بَلَغْتِهِ ... فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وِصليكِ جازِر

الوِصل: المَفْصل بما عليه من اللحم، يقال: قَطَعَ اللهُ أوصاله، ويقال: وِصْلٌ، وكِسْرٌ وجِدْلٌ، في معنى واحد.

---

(١) مؤته. اسم قرية بالشام، موضع الغزوة المشهورة.
(٢) ر: «لا يغفر الله له».

بابـ

[لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجُفرة]

قال أبو العباس: أنشدنى التَّوَّزِىُّ لرجل من رُجّازِ بنى تميم فى وَقْعة الجُفْرة(١).

نَحْنُ ضَرَبْنَا الأَزْدَ بِالْعِرَاقِ　　وَالحَىَّ مِنْ رَبِيعَةَ المُرَّاقِ

وَابْنَ سُهَيْلٍ قَائِدَ النِّفَاقِ　　بِلاَ مَعُونَاتٍ وَلاَ أَرْزَاقِ

إلاَّ بَقَايَا كَرَمَ الأَعْرَاقِ　　لِشِدَةِ الخَشْيَةِ وَالإِشْفَاقِ

* مِنْ المَخَازِى وَالحَدِيثِ الْبَاقِى *

الأعْرَاق: جمع عِرْق، يقال: فلان كريم العِرْقِ ولئيم العرْقِ، أى الأصل.

[أقوال فى قلة النوم]

وقال آخر يَصِفُ ابنه:

أَعْرِفُ مِنْهُ(٢) قِلَّةَ النُّعَاسِ　　وخِفَّةً فِى رَأْسِهِ مِنْ رَاسِى

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِى *

يخاطب أُمَّ ابنه. فقوله: «أعرف منه قلة النعاس»، أى الذكاءَ والحركة.

وكان عبد المَلِكِ بن مَرْوانَ يقول لِمؤدِّبِ ولْده: علِّمْهم العَوْمَ، وهَذِّبْهُمْ بقلّة النوم.

وكذا قال أبو كَبِيرٍ(٣) الْهُذَلِىُّ:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ مُبَطَّنًا　　سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيلُ الهَوْجَلِ(٤)

---

(١) الجفرة. موضع بالبصرة كانت به وقعة بين خالد بن عبد الله بن أسيد ـ وكان من قبل عبد الملك بن مروان وبين أهل البصرة، من أصحاب مصعب بن الزبير، سنة ٧٠ وانظر الخبر مفصلا فى (معجم البلدان ٣:١١٦).

(٢) س: «أعرف فيه».

(٣) س: «أبو بكير»، تصحيف.

(٤) حوش الجنان: حديد القلب. مبطنا: ضامر البطن خميصه. والهوجل. الأحمق.

وقال آخر:

فَجَاءَتْ بِهِ حُوشَ الفُؤُادِ مُسَهدا وأفضلُ أَوْلادِ الرِّجَالِ المُسَهَّدُ

وقال رسول الله ﷺ: «عَيْنَيَّ تَنامانِ ولاَ يَنامُ قَلْبِي».

[لعروة بن الورد]

وقال عُرْوَةَ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ، وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك(١):

لَحَا(٢) اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي المُشَاشِ آلِـفًا كُلَّ مَجْزِرِ(٣)

يَنامُ ثَقِيـلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَـاعِـدًا يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَـعَفِّرِ(٤)

يُعِـينُ نِسَـاءَ الحَيِّ ما يَسْتَـعِنَّهُ فَيُضْحِي طَلِيحًا كـالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ(٥)

وَلَكِنَّ صُعْلوكًـا صَفِيحَـةُ وَجْهِهِ كَـضَوْءِ سِـرَاجِ القَـابِسِ المُتَنَوِّرِ(٦)

مطلا عَلَـى أَعْـدَائِه يَزْجُـرُونَهُ بِسَاحَـتِهِمْ زَجْـرَ المَنِيحِ المُشَـهَّرِ(٧)

وَإِنْ بَعُـدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْـتِـرَابَهُ تَشَـوُّفَ أَهْـلِ الْغَـائِبِ المُتَـنَظَّرِ

فَـذلِكَ إِنْ يَـلْقَ المَنِيَّـةَ يَلْقَـهَـا حَمِيدًا، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ(٨)

* * *

[قال أبو الحسن: كـذا أنشده، «فذلكَ» لأنه لم يَرْوِ أَوَّلَ الشِّعر، والصواب كسر الكاف، لأنه يخاطب امرأة، ألا تراه قال:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّـوْمَ يابْنَةَ مَـالِكٍ وَنَامِي، وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي ذَاكِ فاسْهَرِي(٩)]

* * *

(١) لقب عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء الذين لامـال لهم - وهم الصعاليك - فيقوم بأمرهم وينفق عليهم.

(٢) لحا الله: دعاء عليه. والمشاش: العظام الرقيقة. والمجزر. موضع الجزر.

(٣) زيادات ر بعد هذا البيت:

يَعُـدُّ الغنَى من نفسِـه كلَّ ليلةٍ أصاب قِـراها من صديقٍ مُيَـسَّرِ

(٤) يحت الحصىَ: يفركه.

(٥) طليحا: من الطلح، وهو الإعياء.

(٦) صفيحـة وجهه: بشرة جلده. والقابس الآخذ شعلة من النار على طـرف عود. والمتنور: الذى يبصرالنار من بعيد

(٧) مطلا على أعدائه: مشرفا عليـهم. يزجرونه: يصيحون به. المنيح: من قداح الميسر، يستـعار من صاحبه للتيمن بفوزه المشتهر.

(٨) زيادات ر بعد هذا البيت:

يريحُ عليَّ الليلُ أضيـافَ مـاجدٍ كريمٍ ومـالى سارحًـا مال مُقْـترِ

(٩) ما بين العلامتين تكملة من ر.

قوله:

* يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ *

يريد المُتَتَرِّبَ، وَالعَفْرُ وَالْعَفَر: اسمان للتراب، من ذلك قولهم: عَفَّرَ اللهُ خَدَّه، ويقال للظَّبْية: عَفْرَاءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة، وكذلك الكَثِيبُ الأَعْفَر.

وقوله: «كالبعير المحسَّر» هو المُعْيِى، يقال: جَمَلٌ حَسِير، وناقة حَسِير، قال الله عزّ وجل: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(١).

وقوله:

* وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ *

على التقديم والتأخير، أراد: لا يأمَنون اقْترابه وإن بعدوا، وهذا حسن فى الإعْراب إذا كان الفعل الأول فى المجازاة ماضيًا، كما قال زُهَيْر:

وإن(٢) أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ ... يَقُولُ: لاَ غَائِبٌ مَالِى وَلا حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأوّل مجزومًا لم يَجُزْ رفع الثانى إلا ضرورة، فسيبويه(٣) يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندى على إرادة الفاء، لِعِلَّةٍ تَلْزَمُهُ فى مذهبه، نذكرُها فى باب المجازاة إذا جرَى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله:

يَا أَقْرَعُ بن حَابِس يَا أَقْرَعُ ... إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

أراد سيبويه: إنك تُصْرَعُ إن يُصْرَعْ أخوك. وهو عندى على قوله: إن يُصْرَعْ أخوك فأنت تُصْرَعُ يا فتى، ونَسْتَقْصِى هذا فى بابه إن شاء الله تعالى.

وقوله:

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِى *

---

(١) سورة الملك ٤.

(٢) الكتاب ١: ٤٣٦.

(٣) نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلى، ونقل المرصفى عن كتاب فرحة الأديب أن صواب نسبته إلى عمرو بن خثارم البجلى، يحض الأقرع على أن يحكم بالفضل لجرير (وانظر رغبة الآمل).

يقول للمرأة: عَزَزْتنِى[1] على شَبَـهِهِ، ويقـال: أنْجَبُ الأولاد ولدُ الفارِكِ؛ وذلك لأنها تُبْغِض زوجَها، فيسبِقُها بمائه. فَيَخْرُجُ الشَّبَـهُ إليه، فيخرج الولد مُذَكرًا. وكان بعض الحكماء يقول: إذا أردت أن تَطْلُبَ ولد المرأة فأغْضِبْها، ثم قَعْ عليها. فإنك تسبِقُها بالماء، وكذلك ولد الفَزِعَة، كما قال أبو كَبِيرٍ الهُذَلِىُّ:

مِـمَّنْ حَمَلْـنَ بِهِ وهُنَّ عَوَاقِـدٌ   حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ[2]

حَـمَـلَتْ بِهِ فى لَيْلَـةٍ مَـزْءودَةٍ   كَرْهًا، وعَـقْدُ نِطاقِـهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزءودة: ذات زُؤْد، وهو الفَزَعُ، فمن نصب «مزءودة» فإنما أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فَزَع، لأنه يُفْزَعُ فيها، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾[3] والمعنى: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار.

وقال جرير:

لَقدْ لُمْتِناَ يَا أمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى   وَنِمْتِ، وَمَـا لَيْلُ المَطِـىِّ بِنَائِمِ

وقال آخر:

* فَنَامَ لَيْلِى وَتَجَلَّى هَمِّى[4] *

وهذا الرجزُ ضِـدٌّ ما قـال الآخر فى ولده، فإنه أقـر بأن أمرأته غَلَبَـتْهُ على شَبَهِهِ، وذلك قوله:

* نِمْتُ وَعِرْق الخَالِ لاَ يَنَامُ *

يقول: عَزَّتْنِى أُمُّهُ على الشَّبَهِ، فذهبتْ به إلى أخواله. وقال آخر:

لقد بَعَـثْتُ صاحِبًـا من العَجَمْ   بَيْنَ ذَوِى الأحْلاَمِ وَالْبِيضِ الَّلمَمْ[5]

* كَانَ أبُوهُ غَائِبًا حَتَّى فُطِمْ *

---

(١) عزرتنى: غلبتنى.

(٢) الحبك: جمع حباك، وهـو ما يشد به النطاق، والنطاق: شقة تلبسها المرأة ترسل أعـلاها إلى الركبة بعد شد وسطها بالحباك، وتدع الأسفل ينجر على الأرض. والمهبل: الكثير اللحم، أو المدعو عليه بالهبل وهو الثكل.

(٣) سورة سبأ ٣٣.

(٤) هو رؤبة وقبله:

* حارثُ قد فرّجْت عنى غَمّى *

(٥) ذو الأحلام: واحده حلم، وهو العقل. واللمم: جمع لمة، وهى ما ألم بالمنكب من شعر الرأس

يقول: لم يُسْقَ غَيْلاً. وقال رسول الله ﷺ: «هَمَمْتُ أَنْ أَنْهى أُمَّتِى عن الْغيلَة حتى عَلِمْتُ أن فارسَ والرُّومَ تفعل ذلك بأولادها، فلا تُضيرُ أولادَها».
والغيلَة: أن تُرْضِعَ المرأة وهى حامل، أو تُرْضِعَ وهى تُغْشَى. ويَزْعُمُ أهلُ الطِّبِّ من العرب والعجم أن ذلك اللَّبَنَ داءٌ. وقالت أُمُّ تَأَبَّط شرًّا: والله ما حَمَلْتُه تُضْعًا - ووُضْعا أيضًا - ولا وَضَعْتُهُ يَتْنًا، ولا سَقَيْتُه غَيْلاً، ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا. وقال الأصمعى: ولا أَبَتُّهُ على مَأَقَة.

قولها: «ما حملته تُضْعًا»، يقال إذا حملت المرأة عند مُقْتَبَل الحيض، حَمَلَتْهُ وُضْعًا وتُضْعًا، وإذا خرجتْ رجْلا المولود من قِبَل رأسه قيل: وَضَعَتْهُ يَتْنًا، قال الشاعر:

فَجَاءَتْ بِهِ يَتْنًا يَجُرُّ مَشِيمَةً(١) تُسَابِقُ رِجْلاَهُ هُنَاكَ الأَنَامِلاَ

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشىءَ عن جهته: جاء به يَتْنا. قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمَّة عن مسألة، فقال لى: أَتَعْرِفُ الْيَتْنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فمسألتك، هذه يَتْنٌ. قال: وكنت قد قلبت الكلام.

والغَيْلُ ما فسرناه.

وأما قولها: «ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا»، تقول: لم أَبِتْهُ مَغِيظًا؛ وذلك أن الخَرْقاءَ تبيتُ ولدها جائعًا مَغْموما، لحَاجتهُ إلى الرضاع، ثم تحركه فى مَهْده حتّى يغلبه الدُّوارُ فَيَنَوِّمَه، والكَيِّسة تُشْبِعُه وتُغَنِّيه فى مَهْده، فيَسْرِى ذلك الفَرَحُ فى بدنه من الشِّبَع كما سَرَى ذلك الغَمُّ والجوع فى بدن الآخر.

ومن أمثال العرب: «أنا تَئِقٌ، وصاحبى مَئِقٌ، فكيف نَتَّفِقُ»؟

التَّئِقُ: المملوء غيظًا وغضبًا، والمئق: القليل الاحتمال، فلا يقع الاتفاق.

(١) المشيمة: ما يكون فيه الولد.

باب

[من كلام ابن عباس]

قال أبوالعباس: قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا يُزَهِّدَنَّكَ فِى المعروف كُفْرُ مَنْ كفره، فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لم تَصْطَنِعْهُ إليه.

[من كلام عبد الله بن جعفر]

وأنْشد عبدُ الله بن جعفر قولَ الشاعر:

إنَّ الصَّنِيعَةَ لاَ تَكُون صَنِيعَةً   حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ المصْنَعِ

فقال: هذا رجل يريد أن يُبَخِّل الناسَ، أمْطِرِ المعروف مَطَرًا، فإن صادف موضعًا فهو الذى قصَدْتَ له، وإلا كنتَ أَحَقَّ به.

* * *

[قال أبو الحسن الأخفش: حدثنا المبرّد فى غير الكامل قال: قال الحسن والحُسَيْنُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جَعْفَر: إنك قد أَسْرَفْتَ فى بَذْل المال، قال: بأبى أنتما وأمِّى! إن الله عوَّدَنى أن يُفَضِلَ علىّ، وعَوَّدْتُهُ أن أُفَضِلَ علَى عِباده، فأخاف أن أَقْطَعَ العادَةَ فَتُقْطَعَ عنى].

* * *

[ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه]

وَمَرَّ يَزِيدُ بن المُهَلَّب بأعرابية فى خروجه من سِجْن عمر بن عبد العزيز يريد البَصْرة، فَقَرَتْهُ عَنْزًا، فَقَبِلَها، وقال لابنه معاوية: ما معك من النفقة، فقال: ثمانمائة دينار، قال: فادْفعْها إليها. قال ابنه: إنك تريد الرجالَ، ولا يكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهى بَعْدُ لا تَعْرِفُكَ فقال له: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لاتعرفنى، فأنا أعرف نفسى، ادْفَعْها إليها.

[حديث للأصمعى عن ضرار بن القعقاع]

وزعم الأصمعىّ أن حَرْبًا كانت بالبادية، ثم اتصلت بالبصرة فتفاقَمَ الأمر فيها، ثم مُشِىَ بين الناس بالصُّلْح، فاجتمعوا فى الجامع، قال: فَبُعِثْتُ وأنا غلام

إلى ضرار بن القَعْقاع من بنى دارم، فاستأذنتُ عليه، فأذنَ لى، فدخلتُ، فإذا به فى شمْلَة يَخْلطُ بِزرًا لعنْز له حَلُوب، فَخبَّرتُه بمُجتَمَع القوم، فَأمْهَلَ حتى أكلت العنز، ثم غَسَل الصَّحْفَةَ وصاح: يا جَارِيةُ غَدِّينا، قال: فأتته بزيت وتمر، قال: فدعانى فَقَذَرْتُهُ(١) أن آكُلَ معه، حتى إذا قَضَى من أكله حاجة، وَثَبَ إلى طين مُلْقى فى الدار، فغسَل به يَدَهُ، ثم صاح: يا جارية، اسقينى ماء، فأتته بماء، فَشَرِبَهُ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه، ثم قال: الحمد لله، ماءُ الفُرات، بتمر البصرة، بزيت الشام، متى نؤدِّى شُكْرَ هذه النِّعم! ثم قال: يا جارية، علىَّ بردائى، فأتته برداء عَدَنِىّ، فارْتَدَى به على تلك الشَّمْلَة.

قال الأصمعىُّ: فتجافَيْتُ عنه استقباحًا لزيِّه، فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ(٢) إلا حُلَّتْ إعظامًا له، ثم جلس، فَتَحَمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء فى ماله وانصرف.

[بين زياد بن عمرو العتكى والأحنف بن قيس التميمى]

وحدثنى أبو عثمان [بكر بن محمد](٣) المازنىُّ عن أبى عبيدة قال: لما أتَى زياد بن عمرو الْمِرْبَدَ(٤)، فى عَقِب قتل مسعود بن عمرو العَتَكِىِّ(٥)، جَعَلَ فى الْمَيمنَة بكْر بن وائل، وفى الْمَيسرَة عبد القَيْسِ ـ وهم لُكَيْز بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلَةَ بن أسَد بن رَبيعة ـ وكان زياد بن عمرو العَتَكِىُّ فى القَلْب، فبلغ ذلك الأحْنَفَ، فقال: هذا غلام حَدَثٌ، شأْنُهُ الشُّهْرَة. وليس يُبَالى أين قَذَفَ بنفسه! فَنَدَبَ أصحابَهُ، فجاءه حارثَةُ بن بَدْر الغُدانىُّ، وقد اجتمعت بنو تميم، فلما طلع قال: قُوموا إلى سيِّدكم، ثم أجلسه فناظَرَهُ، فجعلوا سَعْدًا والرِّبابَ فى القَلْب، ورئيسُهُمْ عَبْسُ بن طَلْق الطَّعّان، المعروف بأخى كَهْمَس، وهو أحَدُ بَنِى صريم بن

---

(١) س: «فقذرت».

(٢) الحبوة. أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٣) من س.

(٤) المربد: سوق بالبصرة كانت تباع فيها الإبل.

(٥) كان مسعود بن عمرو من بنى عتيك، وهم بطن من الأزد، استخلفه عبيد الله بن زياد على البصرة، بعد أن هرب إلى الشام مطاردا. فوقف على المنبر يبايع من أتاه، فرماه رجل من أهل فارس فقتله، وعلى إثر ذلك شاعت الفتنة بين الناس. فريق يقول: قتلته الخوارج وفريق يقول قتلته تميم، (وانظر تفصيل الخبر فى تاريخ الطبرى، حوادث سنة ٦٥).

يَرْبوع، فَجُعِلَ فى القَلْبِ بحذاء الأَزْد، وجُعِلَ حارثةُ بن بدر فى بنى حَنْظَلَةَ بحذاء بَكْرِ بن وَائل، وجُعِلَتْ عمرو بن تميم بحذاء عَبْدِ القَيْس، فذاك حيثُ يقول حارثةُ ابن بَدْرٍ للأَحْنف:

سَيَكْفِيكَ عَبْسٌ أَخُو كَهْمَسٍ مُقَارَعَةَ الأَزْدِ بِالْمِرْبَدِ[1]

وتَكْفِيكَ عَمْرٌو عَلَى رِسْلِهَا[2] لُكَيْزَ بنَ أَفْصَى وَمَا عَدَّدُوا

وتَكْفِيكَ[3] بَكْرًا إِذَا أَقْبَلَتْ بِضَرْبٍ يَشِيبُ لَهُ الأَمْرَدُ

فلما تواقفوا بَعَثَ إليهم الأحْنَفُ: يا مَعْشَرَ الأَزْدِ ورَبِيعة من أهل البصرة، أنتم والله أحَبُّ إلينا من تَميمِ الكوفة، وأنتم جِيرانُنَا فى الدار، ويَدنا على العَدُوِّ، وأنتم بدأتمونا بالأمس، ووطئتُمْ حَريمنَا، وحَرَّقتم علينا. فدَفَعْنا عن أنفسنا، ولا حاجة لنا فى الشر ما أصَبْنَا فى الخير مَسْلَكًا، فتَيَمَّمُوا بنا طريقةً قاصدةً[4].

فوجَّهَ إليه زياد بن عمرو: تَخَيَّرْ خَلَّةً من ثلاث: إن شئت فانْزِلْ أنتَ وقومكَ على حُكْمنا، وإن شئتَ فَخَلِّ لنا عن البصرة وارْحَلْ أنت وقومُكَ إلى حيث شئتم، وإلا فَدُوا[5] قَتْلانا، وأهْدِروا دماءَكُمْ، ولْيُودَ مسعودٌ دِيَةَ المُشْعَرَة.

قال أبو العباسُ: وتأويل قوله: «دِيَةَ المُشْعَرَة» يريد أمْرَ الملوك فى الجاهلية، وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المَمْلَكة وُدِىَ عشرَ دِيات.

فبَعَثَ إليه الأحنفُ: سنختارُ: فانصرفوا فى يومكم، فَهَزَّ القومُ راياتِهِمْ وانصرفوا، فلما كان الغَدُ بَعث إليهم: إنكم خيرتمونا خلالاً ليس فيها خيارٌ، أما النزول على حُكْمكم فكيف يكون والكَلْمُ يَقْطُرُ دَمًا؟ وأما ترك ديارنَا فهو أخو القَتْل، قال الله عزّ وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[6]، ولكنَّ الثالثةَ إنما هى حَمْلٌ على المال، فنحن نُبْطِلُ

---

(١) فى البيت إقواء.
(٢) الرسل هنا: اللين والرفق.
(٣) ر: «تكفيك».
(٤) قاصدة: مستقيمة.
(٥) دوا قتلانا، من الدية.
(٦) النساء: ٦٦.

دماءنا، ونَدى قَتْلاكم، وإنما[1] مسعودٌ رجل من المسلمين، وقد أذهبَ اللهُ أمر الجاهلية.

فاجتمع القوم على أن يَقِفُوا أمر مسعود، ويُغْمَدَ السيفُ، ويُودَى سائرُ القَتْلَى من الأَزْد وربيعةَ، فضَمِن ذلك الأحنف، ودَفَعَ إياسَ بن قتادة المُجاشعيَّ رهينةً حتى يُؤَدَّى هذا المالُ، فَرَضِيَ به القومُ، فَفَخَرَ بذلك الفرزدقُ فقال:[2]

وَمِنَّا الَّذِى أَعْطَى يَدَيْه رَهِينَةً ... لِغَارَىْ مَعَدٍّ، يوم ضَرْبِ الجَمَاجِمِ[3]

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَان كلاهُمَا ... عَجَاجَةَ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

هُنَالِكَ لَوْ تَبْغِي كُلَيْبًا وَجَدْتَهَا ... أَذَلَّ مِنَ الْقِرْدَانِ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ[4]

[قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه: لغار[5] مَعَدٍ]

ويقال: إن تَميمًا فى ذلك الوقت مع باديتها وحُلَفائها من الأَسَاوِرَة[6] والزُّط[7]، والسيَابِجَة[8] وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين ألفًا، ففى ذلك يقول جَرير:

سَائِلْ ذَوِى يَمَنٍ وَرَهْطَ مُحَرِّقٍ ... وَالأَزْدَ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودًا[9]

فَأَتَاهُمُ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ ... مُتَسَرْبِلِينَ يَلَامِعًا[10] وَحَدِيدًا

قال الأحنفُ بن قَيْس: فكثرَتْ علىَّ الدِّياتُ، فلم أَجِدْهَا فى حاضرة تميم، فخرجتُ نَحو يَبْرِين[11]، فسألتُ عن المقصود هناك، فأُرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ

---

(١) س: «وأما مسعود».

(٢) من قصيدة يهجو فيها جريرا ويعرض بالبعيث، مطلعها:

وَدَّ جرير اللؤم لو كان عانيًا ... ولمْ يَدْنُ من زأر الأسود الضَّراغِمِ

(٣) الغاران: مثنى غار، وهو الجيش، ومنه قول على يوم الجمل: «ماظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين»!.

(٤) يريد كليب بن يربوع، رهط الفرزدق. والقردان: جمع قراد، وهو دويبة تعض الإبل.

(٥) ر: «لغازى معد».

(٦) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما، كالأحامرة. (اللسان).

(٧) الزط: جيل أسود من السند، وقيل هم من الهند. (اللسان).

(٨) السابجة: قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، واحدهم سبجى، ودخلت الهاء فى جمعه والنسب، كما قالوا: البرابرة. (اللسان).

(٩) المحرق: هو عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان حرق يوم أوارة تسعة وتسعين رجلا من دارم، قبيلة الفرزدق.

(١٠) اليلامع: جمع يلمع، وهو الدرع هنا. وفى ر: «يلامقا»، جمع يلمق، وهو القباء.

(١١) يبرين: قرية كثيرة النخل فى بلاد البحرين.

جالس بفنائها، مُؤْتَزِرٌ بشَمْلَة، مُحْتَبٍ بحبل، فسَلَّمْتُ عليه، وانتسبت له فقال: ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ فقلتُ: تُوُفِّيَ صلوات الله عليه! قال: فما فعلَ عُمَرُ بن الخطاب الذى كان يَحْفَظُ العرب ويَحُوطُها؟ قلت له: مات رحمه الله تعالى! قال: فأيُّ خَيْرٍ فى حاضرتكم بعدهما! قال: فذكرتُ له الدِّيات التى لزمَتْنا للأزْدِ ورَبيعة. قال: فقال لى: أقِمْ، فإذا راعٍ قد أرَاحَ ألْفَ بعير، فقال: خُذْها، ثم أراحَ عليه آخر مثلهَا، فقال: خذْها، فقلت لا أحتاج إليهَا، قال: فانصرفت بالألف عنه، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة!

قوله «المَناسِم» واحداها مَنْسِمٌ، وهو ظُفْرُ البعير فى مُقَدَّمِ الخف، وهو من البعير كالسُّنْبُك من الفَرَس.

وقوله:

* عشيّة سالَ الْمِربَدانِ كلاهما *

يريد المِربَدَ وما يليه مما جرى مَجْراه، والعرب تفعل هذا فى الشيئين إذا جَرَيَا فى باب واحد، قال الفرزدق:

أَخَذْنَا بِآفاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يريد الشمس والقمر: لأنَّهما قد اجتمعا فى قولك، «النَّيِّران»، وغَلَّبَ الاسم المُذَكَّرُ، وإنما يُؤْثر فى مثل هذا الخفَّة، وقالوا: «العُمَرَان» لأبى بَكْرٍ و عُمَرَ فإن قال القائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يُصِبْ، لأن أهل الجَمَل نادَوْا بَعلِيٍّ بن أبى طالب رحمة الله عليه: أعْطنا سُنَّةَ العُمَرَيْن. فإن قال قائل: فَلِمَ لَمْ يقولوا: أَبَوَيْ بكرٍ، وأبو بكر أفضلهما؟ فلأنَّ عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة، وأنشدنى التَّوَّزِيُّ عن أبى عُبَيْدَةَ لجرير:

وَمَا لِتَغْلِبَ إنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ ... نَجْمٌ يضِيءُ وَلا شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ

ما كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

هكذا أنْشَدَنيه(١):

وقال آخر(٢):

* قَدْنِيَ مِنْ نَصرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِى *

---

(١) زيادات ر: «إنما قال هكذا أنشدنيه غير التوزى يرويه:

* والطّيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ *

(٢) زيادات ر: «هو حميد بن الأرقط»، والبيت فى اللسانَ (قدد)، وإصلاح المنطق ٣٧٧، ٤٤٤ وبعده:

* لَيْسَ الإمَامُ بالشَّحِيحِ الملحِدِ *

يريد عبد الله ومُصْعبًا ابنى الزُّبَيْر وإنما أبو خُبَيْب عبد الله، وقرأ بعضُ القُرّاء: ﴿سَلامٌ على إلْياسينَ﴾[1] فَجَمَعَهُمْ على لفظ إلْيَاسَ، ومن ذا قولُ العرب: المَسَامعَةُ، والمَهَالبَة، والمَناذِرةُ، فَجمَعَهُمْ على اسم الأب.

والمُشْعَرَة: اسم لقَتْلى الملوك خاصَّةً، كانوا يُكْبِرُونَ أن يقولوا: قُتلَ فلان، فيقولون: أُشْعِرَ فلانٌ، من إشعار البُدْن[2].

ويروى أن رجلا قال: حضرتُ الموْقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فصاح به صائح: يا خليفة رسول الله ﷺ. ثم قال: يا أمير المؤمنين. فقال رجلٌ من خَلْفى: دعاه باسم رجل ميِّت[3]، مات والله أمير المؤمنين. فالْتَفَتُّ فإذا رجل من بنى لهْب، وهم من بنى نَصْرِ بن الأَزْد، وهم أزْجَرُ[4] قوم، قال كُثَيِّرٌ:

سَأَلتُ أخَا لهْبٍ ليزْجُرَ زَجْرَهُ ... وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالمينَ إلَى لهْبِ

قال: فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حَصَاةٌ قد صكَّتْ صَلْعَةَ عمر فَأَدْمَتْهُ، فقال قائل: أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين، والله لا يَقفُ هذا المَوقفَ أبدًا. فالْتَفَتُّ فإذا بذلك اللهْبىِّ بعينه، فَقُتلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْل.

(١) سورة الصافات ١٣٠.

(٢) البدن، بالضم: جمع بدنة، وهى الناقة والبقرة وهذا البعير مما ينحر بمكة للهدى وإشعارها: أن يشق جلدها أو سامها بمبضع ونحوه حتى يظهر الدم، ليعلم أنه هدى.

(٣) يريد أبا بكر.

(٤) الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها، والتفاؤل بطيرانها وهو ضرب من الكهانة.

بابـ

[لذى الرمة فى الزجر

قال أبوالعباس: أنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سَعْدٍ، قال: أنشدنى أعرابىّ فى قصيدة ذى الرُّمَّة:

أَلاَ يَا اسْلَمى يَا دَارَ مَىَّ عَلَى الْبِلَى ... ولاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكَ الْقَطْرُ

بيتين لم تأتَ بهما الرُّواةُ، وهما:

رأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ(١) ... منَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ

فقُلْتُ: غُرَابٌ لاِغْتِرَابٍ، وَقَضْبَةٌ ... لِقَضْبِ النَّوَى، هَذِى الْعِيَافَةُ وَالزجْر

[لجحدر العكلى]

وقال آخر ـ [قال أبو الحسن: هو جَحْدَرٌ العُكْلِىُّ، وكان لصًّا] ـ :

وَقِدْمًا هَاجَنِى فَازْدَدْتُ شَوْقًا ... بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تجَاوَبَانِ

[«وقَدْما» عن أبى الحسن]

تَجَاوبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِىٍّ ... عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وبَانِ(٢)

فكان الْبَانُ أَنْ بانَتْ سُلَيْمَى ... وَفِى الْغَرَبِ اغْتِرابٌ غَيْرُ دَانِ

[مما قيل فى المال]

وأنشدنى أبومُحَلِّم لرجل من ولد طَلَبَة بن قَيْس بن عاصم:

وَكُنْتُ إِذَا خَاصمتُ خَصْمًا كَبَبْتُهُ ... عَلَى الْوَجْه، حتَّى خَاصَمَتْنِى الدَّرَاهِمُ

فَلمّا تَنَازَعْنَا الخُصُومَةَ غُلِّبَتْ ... عَلَىَّ، وقَالُوا: قُم فَإنَّكَ ظَالِمُ

وقرأت على أبى الفَضْل العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِىِّ، عن أبى زيد الأنصارىّ:

وَلَقَدْ بَغَيْتُ الَمالَ مِنْ مَبْغَاته ... والَمالُ وَجْهٌ للْفَتَى مَعْرُوضُ

طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِى ليحبّنى ... إِنَّ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِىِّ بَغِيضُ

---

(١) القضبة: واحدة القضب، هو شجر له ورق كورق الكمثرى، إلا أنه أرق وأنعم

(٢) الغرب والبان: ضربان من الشجر.

وقال آخر - أَنْشَدَنيه التَّوَّزِيُّ عن أبي زيد -:

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا ... إِذَا الْكَرَى فِي عَيْنِهِ تَمَضْمَضَا

فَقَامَ عَجْلانَ ومَا تَأَرَّضَا ... يَمْسَحُ بِالكَفَّيْنِ وَجْهًا أَبْيَضَا

قوله: «وما تأرّضا»: أى لم يلزم الأرض.

[لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه]

وأنشدني التَّوَّزِيُّ عن أبي زيد الأنصاريّ - [قال أبوالحسن هو شَبِيبُ بن البَرْصاء] - :

لَقَدْ عَلِمَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْن أَنَّنِى ... إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ

إِذَا الْمُرْغِثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعُزُّهَا ... عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ

وَإِنِّى لأُغْلِي اللَّحَمَ نِيًّا وإِنَّنِي ... لَمِمَّنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله: «قَوّامُ السِّنَات» يريد سريع الانتباه، والسِّنَة: شدة النُّعَاس، وليس النوم بعينه، قال الله عز وجل. ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾(١)، وقال ابن الرِّقَاع العامليُّ:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِى قَدْ عَسَا ... فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جاسِمِ(٢)

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ، وَلَيْسَ بِنَائِمِ(٣)

معنى «رنقت» تهيأت، يقال رَنَّق النَّسْرُ، إذا مَدَّ جناحيه ليطير، قال ذو الرُّمَّة(٤):

* على حَدِّ قَوْسَيْنَا كما رَنَّقَ النَّسْرُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) جاسم: قرية بالشام، وفي ر: «عاسم»، وهو رمل لبني سعد.

(٣) أقصده: أصابه.

(٤) قبله في زيادات ر:

* إذا ضربته الريحُ رنّق فوقنا *

وانظر ديوانه ٢١٨.

وقوله: «المُرْغِثُ»: يعنى التى تُرْضِعُ وتُرْغِثُ[1] ولدها، ويقال لها رَغُوثٌ، قال طَرَفة:

لَيْتَ لَنَا مَكانَ المَلْكِ عَمْرٍو ... رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

وقوله: «يَعُزُّها»، أى يَغْلبها، وقال الله عز وجل: ﴿وَعَزَّنِى فى الخِطَابِ﴾[2]: يقول: غَلَبَنى فى المُخَاطَبَة، وأصله من قوله: كان أعزَّ منّى فيها. ومن أمثال العرب: «مَنْ عَزَّ بَزَّ»، و تأويله: من غَلَبَ اسْتَلَب. وقال زُهَيْرٌ: «وعَزَّتْهُ يَدَاهُ وكاهلُهُ»[3] يقول: كان ذلك أعَزَّ ما فيه، ويقال: لَهِجَ الفَصِيلُ فهو لَهُوجٌ إذا لَزِمَ الضَّرْع، ويقال: رجل مُلْهِجٌ، إذا لَهِجَتْ فصَالُهُ، فيتَّخذ خلالا، فَيَشُدُّه على الضَّرْعِ، أو على أنف الفَصيل، فإذا جاء لِيَرْضَعَ أوْجَعَهَا بالخلال فضَرَحَتْهُ[4] عنها برجلها، قال الشَّمَّاخُ يصف الحمار:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأنَّما ... يَرَى بِسَفَا البُهْمَى أخِلَّةَ مُلْهِجِ

البارضُ: أوّلُ ما يَبْدُو من النبت، والبُهْمَى يشبه السُّنْبُلَ، يقول: فهو لما اعتاد هذا المَرْعَى اللَّدْنَ استَخْشَنَ البُهْمَى. وسَفَاها: شوكها. فيقول: كأنه مخلول عن البُهمى، أى يراها كالأخلَّة.

وقوله «ذو تُومتين» فالتُّومَةُ فى الأصل الحَبَّةُ[5]، ولكنها فى هذا الموضع التى تُعلّقُ فى الأذن. وكالبيت الأخير قوله:

وَإنِّى لأُغْلِى لَحْمَهَا وَهْىَ حَيَّةٌ ... وَيَرْخُصُ عِنْدِى لَحْمُهَا حِينَ تُذْبَحُ

بذَا فانْدُبِينِى وَامْدَحِينِى فَإنَّنِى ... فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يَمْدَحُ

---

(١) ر: «يعنى التى ترضع ترغث»، س: «التى ترضع الرغث».

(٢) سورة ص ٢٣.

(٣) البيت بتمامه:

تميم فلوناه فأكمل صُنْعَه ... فتمّ، وعزّته يداه وكاهلُه

وانظر ديوانه ١٣٠

(٤) ضرحته: دفعته.

(٥) زيادات ر: «وقوله «الحبة» إنما معناه من حبات النظم».

باب

[لعمر بن عبد العزيز حينما سئل: أي الجهاد أفضل ؟]

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أىُّ الجهادِ أفضلُ؟ فقال: جِهَادُكَ هَوَاك.

[لرجل من الحكماء فى مجاهدة النفس]

وقال رجل من الحكماء: اعْصِ النساءَ وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ.

[لمحمد بن على بن الحسين فى الزهد]

وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم: مالَكَ من عَيْشك إلا لَذَّةٌ تَزْدلفُ بك إلى حمامك، وتُقَرِّبُك من يومك، فَأَيَّة أَكْلَة ليس معها غَصَصٌ! أَوْ شَرْبَة لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ! فتأمَّلْ أَمْرَكَ، فكأنَّك قد صِرْتَ الحبيبَ المفقود، والخَيَالَ المُخْتَرَمَ. أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ رحالهم إلا فى غيرها.

قوله: «تَزْدَلفُ بك إلى حمامك»، يقول: تُقَرِّبك، ولذلك سميت المُزْدَلفةَ. وقوله عزّ وجل: ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيلِ﴾(١) إنما هى ساعات يَقْرُبُ بعضُهَا من بعض، قال العَجَّاجُ:

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مما وَجَفَا ... طَىَّ اللَّيَالِى زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الْهِلالِ حَتى احْقَوْقَفَا *

نَاجٍ: سريع، والأَيْنُ: الإعْياء. والوَجِيفُ: ضَرْبٌ من السَّيْر. ونَصَبَ «طَيَّ اللياَلى» لأنه مصدر من قوله: «طواه الأيْنُ»، وليس بهذا الفعل، ولكنَّ تقديره: طواه الأَيْنُ طَيًّا مثل طَىِّ الليالى، كما تقول: زيد يشرب شُرْبَ الإِبْل، إنما التقدير يشرب شربًا مثل شرب الإبل، «فَمِثْلَ» نعت، ولكن إذا حذفتَ المضاف استغنَى بأن الظاهر يُبَيِّنُه، وقام ما أضيف إليه مَقامه فى الإعْراب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ﴾(٢)، نُصِب لأنه كان: «واسأل أهلَ القريةِ». وتقول:

---

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سوره يوسف ٨٢.

بنو فلانٍ يَطَؤُهُمْ الطريق، تريد أهلَ الطريق فحذفتَ «أهل» فرفعتَ «الطريقَ» لأنه في موضعٍ مرفوعٍ، فعلى هذا فَقِسْ إن شاء الله.

وقوله «سماوة الهلال» إنما هو أعلاه، ونَصَبَ «سماوة» بـ «طيّ»، يريد طواه الأيْنُ كما طَوَتِ الليالي سَمَاوةَ الهلال. والشاهد على أنه يريد أعلاه قولُ طُفَيل:

سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُردٍ مُحَبَّرٍ وَسَائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبِ[1]

ويروى: «مُعَصَّب»، وإنما سماوته من قولك: سَماءٌ، فاعلم. فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرتَ ما تَبْنيه على التأنيث على أصله، فإن كان من الياء أظهرتَ الياء، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو، تقول: شَقاوةٌ لأنها من الشّقوة، وتقول: هذه امرأة سَقَّايَةٌ: إذا أردتَ البناء على غير تذكير، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين؛ لأن الإعراب عليهما يَقَعُ، فقلت: سَقَّاءٌ وغَزَّاءٌ يافتى، فإن أنّثتَ قلت: سَقَّاءَةٌ وَغَزَّاءَةٌ، والأجْوَدُ فيما كان له تذكير الهمزُ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار، وإنما السماء من الواو، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع، وسماء كلِّ شَيْءٍ سَقْفُه.

وقوله: «حتى احْقَوْقَفا» يريد اعْوَجَّ، وإنما هو افْعَوْعَل من الحِقْف. والحِقْفُ: النَّقَا من الرَّمْلِ يَعْوَجُّ ويَدِقُّ، قال الله عزّ وجل: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾[2] أي بموضع هو هكذا.

[لعلي بن أبي طالب في وصف الدنيا]

وقال رجل لعليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه[3] وهو في خطبته[4]: يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا، فقال: ما أَصِفُ من دار أوّلها عَنَاءٌ. وآخرها فَنَاءٌ، في حَلالها حسابٌ، وفي حَرامها عقابٌ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِن، وَمَنْ مَرِضَ فيها نَدِمَ، ومن استَغْنَى فيها فُتِنَ، ومن افتَقَرَ فيها حَزِن.

(١) الأسمال: الأخلاق من الثياب. والمحبر: الموشى. والأتحمى: ضرب من البرود فيه خطوط. والمشرعب، يريد أنه منسوب إلى الشرعبية، وهى ضرب من البرود.

(٢) سورة الأحقاف ٢١. والأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، وهى مساكن عاد.

(٣) س. «رضى الله عنه».

(٤) ر، س: «وهو فى خطبته»

[مقدم الربيع بن زياد الحارثى على عمر بن الخطاب]

قال الرَّبيع بن زياد الحارثىُّ: كنتُ عاملاً لأبى موسى الأشعَرىِّ على البَحْرَيْن، فكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رحمه الله(1) يأمره بالقدوم عليه هو وعُمَّالَه، وأن يَسْتَخْلفُوا جميعًا. قال: فلما قَدمْنا أتيت يَرْفَأ(2) فقلتُ: يا يَرْفَأُ، مُسْتَرْشدٌ وابن سَبيل، أىُّ الهيْآت أحَبُّ إلى أمير المؤمنين أن يَرَى فيها عُمَّالَه؟ فأوْمَأ إلىّ بالخُشونة، فاتَّخَذْتُ خُفَّيْن مُطارَقَيْن، ولَبِسْتُ جُبَّةَ صوف، ولثْتُ عمامتى على رأسى.

ودخلنا(3) على عمر رحمه الله فَصفَّنا بين يديه، فَصَعَّدَ فينا وصَوَّبَ، فلم تَأخُذْ عينُهُ أحدًا غيرى، فدعانى فقال: مَنْ أنت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثىّ. فقال: وما تتولىّ من أعمالنا؟ قلتُ: البَحْرَيْن، قال: كَمْ تَرْتَزِقُ؟ قلتُ: ألْفًا، قال: كَثيرٌ، فما تَصْنَعُ به؟ قُلتُ: أتَقَوَّتُ منه شيئًا، وأعود به على أقاربَ لى. فما فَضَلَ عنهم فعلى فُقَرَاء المسلمين، قال: فلا بأسَ، ارجعْ إلى موضعك، فرجعتُ إلى موضعى من الصَّف، فَصَعَّدَ فينا وَصَوَّبَ، فلم تقع عينه إلا علىَّ، فدعانى، فقال: كَمْ سنُّكَ؟ قلتُ: خمس وأربعون سنةً، قال: الآن حين اسْتَحْكَمْتَ! ثم دعا بالطعام - وأصحابى حَديثٌ عهدهم بلَيِّن العيش، وقد تَجَوَّعْتُ له - فأُتِىَ بخبز وأكسَارِ بعير، فجعل أصحابى يَعافون ذلك، وجعلت آكُلُ فأُجيدُ، فجعلت(4) أنْظُرُ إليه يَلْحَظُنى من بينهم، ثم سَبَقتْ منى كلمةٌ تَمَنَّيْتُ أنى سُخْتُ فى الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عَمَدْتَ إلى ألْيَنَ من هذا! فزَجَرَنى، ثم قال: كيف قلتَ؟ فقلتُ: أقول: يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قُوتك من الطَّحين، فَيُخْبَزَ لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويُطبَخَ لك اللحمُ كذلك، فَتُؤْتى بالخبز لَيِّنًا، واللحم غَريضًا. فسكَّنَ من غَرْبه وقال: أهاهنا غُرْتَ؟ قلتُ: نعم، فقال: يا رَبيعُ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرِّحابَ من صَلائقَ، وسَبائكَ،

---

(1) س: «رضى الله عنه».

(2) يرفأ: مولى عمر بن الخطاب، يقال إنه أدرك الجاهلية. وحج مع عمر فى خلافة أبى بكر، وكان حاجبا على بابه. (تاج العروس).

(3) ر، س: «فدخلنا».

(4) س: «ثم جعلت».

وصناب، ولكنى رأيتُ الله عز وجل نَعَى على قوم شَهَوَاتِهِمْ، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾(١)، ثم أَمَرَ أبا موسى بإقرارى، وأن يَسْتَبْدِل بأصحابى.

قوله: «فَلَثْتُها على رأسى» يقول: أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال: رجل أَلْوَثُ إذا كان شديداً، وذلك من اللَّوْث، ورجل أَلْوَثُ إذا كان أَهْوَجُ، وهو مأخوذ من اللُّوثة. وحدثنى عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل قال: سئل الأَصْمَعِىُّ عن المجنون، المسمى قَيْسَ بن مُعاذ، فَثَبَّتَهُ وقال: لم يكن مجنونًا، ولكن كانت به(٢) لُوثةٌ كلُوثة أبى حَيَّةَ الشاعر. وقيل للأشعث بن قيس بن مَعْدِى كَرِبَ الكِنْدِىِّ: بِمَ كنتم تعرفون السُّؤدُدَ فى الصبىّ منكم؟ قال: إذا كان مَلُوثَ الإِزْرة(٣)، طويلَ الغُرْلة(٤)، سائلَ الغُرَّة(٥): كأنَّ به لُوثَةً، فَلَسْنا نَشُكُّ فى سُؤدُده.

وقوله: «تُؤْتَى باللحم غريضًا» يقول: طَرِيًّا، ويقال: لحم غَريض، وشِواءٌ غَريض، يُرَاد به الطَّرَاءُ، قال الغَسَّانِىُّ(٦):

إِذَا مَا فَاتَنِى لَحْمٌ غَرِيض ... ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِى فاشْتَوَيْت

وقوله: «صلائق» فمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخًا وشَيًّا، يقال: صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَه، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبختَه على وجهه.

وقوله: «سَبائك» يريد ما يُسْبَكُ من الدقيق فَيُؤخذُ خالصه، يريد الحوَّارَى(٧)، وكانت العرب تُسَمِّى الرُّقاقَ السَّبائك، وأصله ما ذكرنا.

والصِّناب: صِباغٌ يُتَّخَذُ من الخَرْدَل والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابِىٌّ إذا كان فى ذلك اللون، وكان جَرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل

---

(١) سورة الأحقاف ٢٠.
(٢) ر ، س: «فيه».
(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم، والإزرة: هيئة الائتزار.
(٤) الغرلة: القلفة.
(٥) الغرة فى الأصل: البياض فى جبهة الفرس. وسيلانها: استطالتها، وهو هنا استعارة لإشراق الوجه.
(٦) زيادات ر. «هو السموءل».
(٧) الحوارى: لباب البر.

اليمامة، ففرِكَت(١) جريرا، وجعلت تحِنُّ إلى زيد، فقال جرير:

تُكَلِّفُنِى مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِى بِالْمُرَقَّقِ وَالصِّنَابِ!
وَقَالَتْ: لاتَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ، وَمَا ضَمِّى وَلَيْس مَعِى شَبَابِى!

فقال الفَرَزْدَقُ يُجيبه:

فَإِن تَفْرَكْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وَيُعْوِزْكَ الْمُرَقَّقُ وَالصِّنَابُ(٢)
فَقِدْمًا كَانَ عَيْشُ أبيكَ مُرًّا يَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلاَبُ

وأما قوله: «أكسار بعير»، فإن الكِسْرَ(٣) والْجِدْلَ والْوِصْلَ: العَظْمُ يَنْفَصِلُ بما عليه من اللحم.

وأما قوله: «نَعَى على قوم» فمعناه أنه عابهم بها ووبَّخَهُمْ، قال أبو عبيدة: اجتمع العكاظيُّون(٤) على أن فُرْسانَ العرب ثلاثةٌ، ففارسُ تَميمٍ عُتَيْبَة بن الحارث ابن شِهاب أحدُ بنى ثَعْلَبَةَ بن يَرْبوع بن حَنْظَلَةَ، صَيَّادُ الفوارس وسَمُّ الفرْسان. وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُّفَيْلِ بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب، وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ ابن قيسٍ بن مسعود بن قيس بن خالد، أحدُ بنى شَيْبَان بن ثعْلَبَةَ بن عُكَابَة بن صَعب بن علىّ بن بكْر بن وائل، قال: ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ.

وأما قوله: «أههنا غُرْتَ»، يقول: ذَهَبْتَ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتَى الغَوْرَ وناحيتَهُ مما انخفض من الأرض، وأنْجَدَ إذا أتَى نَجْدًا وناحيتَهُ مما ارتفع فى الأرض، ولا يقال «أغار» إنما يقال: غارَ وأنْجَدَ، وبيتُ الأعشى يُنْشَدُ على هذا:

نَبِىٌّ يَرَى مَالا تَرونَ وَذِكْرُهُ لَعَمْرِىَ غَارَ فِى الْبِلاَدِ وَأَنْجَدَا

(١) فركته: أبعضته.
(٢) العلجة: مؤنث العلج، وهو الغليظ من كفار العجم.
(٣) الكسر والجدل، ضبطتا فى الأصل بفتح أوله وكسره
(٤) العكاظى منسوب إلى عكاظ، وهم الذين عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ، وهو سوق كانت تقيمه العرب بين نخلة والطائف فى شوال من كل عام، يجتمع فيه شعراء العرب يتناشدون الشعر.

وقوله: «فَسكَّن من غَرْبه»، يقول: من حَدِّه، وكـذلك يقال فى كل شىء. فى السَّيف والسَّهْم والرجل وغير ذلك.

وقوله: «خفين مطارَقَيْن» تأويله: مُطْبَقَيْنِ، يقال: طارَقْتُ نَعْلى إذا أطْبَقْتَها، ومن قال: «طَرَقْتُ» أو «أطْرَقْتُ» فقد أخطأ، ويقال لكل ما ضُوعِف: فقد طُورِق، قال ذو الرُّمَّة[1]:

طِرَاقُ الْخَوَافِى وَاقِعٌ فَـوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِه فى رِيشِـه يترَقْـرَقُ[2]

قولـه: «رِيعة» موضـعُ ارتفاعٍ: قال الله عـزّ وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِـكلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[3]، وهوجمع ريعة، وقال الشَّمَّاخُ:

تَـعِـنُّ لَـهُ بِـمُـذْنَـبِ كُـلِّ وَادٍ ... إذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعِ[4]

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

قال أبو العـباس: وحدثنى العبـاس بن الفَرَجِ الرِّياشِىُّ عن الأصْمَـعِىِّ قال: قال عَدِىُّ بن الفُضَيْلِ: خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئرًا بالعَذْبَة، فقال لى: وأين العَذْبَة؟ قلت: على ليلتين من البصرة، فتأسَّف ألا يكونَ بمثل هذا الموضع ماءٌ. فـأحْفَرَنى، واشترط علىَّ أن أوّلَ شارِبٍ ابنُ السَّـبيلِ، قال فحضَرْتُهُ فى جُمُعة وهو يَخْطُبُ، فسمعتُه وهو يقول:

يأيها الناس، إنكم ميِّتون، ثم إنكم مَبْعوثون، ثم إنكم مُحَاسَبون، فَلعَمْرِى لئن كنتم صادقين لـقد قَصَّرْتُمْ، ولئن كنتم كاذبين لقـد هَلَكْتُمْ. أيها الناس إنه من يُقَدَّرْ له رِزْقٌ برأس جبل أو بحضِيض أرض يَأْتِهِ، فاتقوا الله وأجْمِلُوا فى الطّلب.

قال: فأقَمْتُ عنده شهرًا ما بى إلا استماع كلامه.

قوله: «حضيض[5]» يعنى المُسْتَقَرُّ من الأرض إذا انْحدَرَ عن الجبل، ولا يقال حضيضٌ إلا بحضرَة جبلٍ، يقال: حضِيضُ الجبلِ، ويُطْرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنَى عنه لأن هذا لا يكون إلا له،ومن ذلك قول امْرِئ القَيْسِ:

* نَظَرْتُ إلَيْهِ قَائمًا بِالْحَضِيضِ *[6]

---

(١) زيادات ر: «يصف صقرا».

(٢) الخوافى: ريشات إذا ضم الطائر جناحية خفيت، صد القوادم، وطراقها: ركوب بعضها على بعض.

(٣) الشعراء ١٢٨

(٤) تعن. تظهر. والمذنب: مسيل الماء فى الحضيض.

(٥) ر. «قوله بحضيض».

(٦) الضمير يعود على الفرس فى البيت قبله وصدره:

« قَلمَا أَجَنَّ الشمَسَ عَنىِّ غيارَهَا»

[نبذ من أقوال الحكماء]

فقال عليٌّ بن أبى طالب رحمه الله: يابن آدم، لا تَحْمِلْ هَمَّ يومك الذى لم يَأْتِ عَلَى يومك الذى أنتَ فيه، فإنه إنْ يُعْلَمْ أنّه مَنْ أَجَلِكَ يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تَكْسِبُ من المال شيئًا فوق قُوتِكَ إلا كنت خازنًا لغيرك فيه.

ويروى للنابغة(١):

وَلَستُ بِخَابِئٍ أبدًا طَعَامًا ... حِذَارَ غدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَام

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آمنا فى سَرْبِه(٢)، مُعافًى فى بَدَنِه، عنده قُوتُ يَوْمِه، كان كمَنْ حِيزَتْ له الدنيا بحَذَافِيرِها».

قوله ﷺ: «فى سَرْبه» يقول: فى مَسْلكه، يقال: فلان واسعُ السَّرْب، وخَلِيٌّ السَّرْب، يريد المَسَالكَ والمذَاهبَ، وإنما هو مثلٌ مضروب للمصدر والقلب، يقال: خَلِّ سَرْبَه، أى طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَرِبُ فى الطُّرُقات، ويقال: سَرِّبْ علىَّ الإبلَ، أى أرْسِلْها شيئًا بعد شىء، فإذا قلت: سِرْبٌ، بكسر السين، فإنما هو قَطِيعٌ من ظباء، أو بقر، أو شاء، أو نساء، أو قَطًا، قال امروء القيس:

فَعنَّ لنا سِرْبٌ كَأنَّ نعاجَهُ ... عَذَارَىَ دَوَارٍ فِى المُلاَءِ المُذَيَّلِ

دُوَارٌ: نسكٌ يَنْسُكونَ عنده فى الجاهلية، ودُوَارٌ ما استدار من الرمل، ودَوّارٌ سِجْنُ اليمَامة. قال بعض اللُّصوص(٣):

كَأنَتْ مَنَازِلنَا الّتى كُنَّا بِهَا ... شَتَّى، فَألَّفَ بَيْنَنَا دَوَّارُ

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعةَ:

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رأَيْتُهُ ... خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ(٤)

---

(١) زيادات ر «هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى».

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها، وإنما السرب، بفتح السين: المال الراعى».

(٣) زيادات ر: «واسمه جحدر».

(٤) نسبه أبو الفرج فى الأغانى ٢١ : ١٧٥ إلى هدبة بن خشرم، من أبيات أربعة، وبعده:

تضمَّخنَ بالجادى حتى كأنما الـ ... ـأنوف إذا استعرضنَ رَواعفُ

وفيها إقواء.

وكان الحسن يقول: ليس العَـجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عطِبَ، إنما العَجَبُ مِمَّنْ ىا كيف نجا.

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر: أيها الناس، اقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ، إنها أسْأَلُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ، وأَمْنَعُ شيءٍ إذا سُئِلَتَ، فَـرَحِمَ الله امرأً جَعَلَ لنفسه خطامًا وزمامًا فقـادها بخطامها إلى طاعة الله، وعَطَفَهَا بِزِمامهـا عن معصية الله، إنى رأيت الصبْرَ عن مَحَارِم الله أيسَرَ من الصبر على عذابه.

قوله: «اقدعوا» يقال قَدَعْتُهُ عن كذا، أى منعته عنه، ومنه قول الشمَّاخ:

إِذَا مَـا اسْتَـافَـهُنَّ ضَـرَبْنَ مِنْهُ   مكَانَ الرُّمحِ مِـنْ أَنْفِ الْقَـدَوعِ

قوله: «استافَهُنَّ» يعنى حِـمَارًا يَسْتَـافُ أُتُنًا، يقول: يَرْمَـحْنَهُ إذا اشتَـمَّهُنَّ، السَّوْفُ الشَّمُّ.

وقوله:

* مكان الرمح من أنْفِ القَدُوعِ *

يريد بالقَـدُوع المقـدوع، وهذا من الأضـداد، يقال طريـق رَكوبٌ إذا كـان ركبُ، ورجل رَكُـوبٌ للدوابِّ إذا كـان يركَبُـهَا، ويقـال: ناقـة رَغُوثٌ إذا كـانت رضعُ، وحُوَارٌ رَغُـوثٌ إذا كان يَرْضَع، ومـثل هذا كثـير، يقـال: شاة حَلُوبٌ إذا نت تُحْلَبُ، ورجل حَلُوبٌ إذا كـان يَحلُب الشاة، والقَدُوعُ هاهنا: البـعير الذى دعُ، وهو أن يريد الناقـة الكريمةَ ولا يكون كريمًـا، فيُضْرَبُ أَنْفُـهُ بالرُّمْحِ حتى جع: يقال: قَدَعْتُهُ، وقَـدَعْتُ أنفه، ويروى أن رسول الله ﷺ لما خَطَبَ خَديجةَ ت خُوَيْلِدِ بن أسَدِ بن عَبْد العُزَّى بن قصَي ذُكـر لوَرَقَةَ بن نوفلٍ فقال: محمد بن د الله يخطب خَديجة بنتَ خُوَيْلِدٍ! الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفهُ.

وكان الحجاج يقـول: إنَّ امرأً أتَتْ عليه ساعةٌ من عُمره لم يذْكُـرْ فيها ربَّه، يستغفرْ من ذنبِه، أو يُفكِّرْ فى مَعادِه، لَجَديرٌ أن تطول حَسْرَتُه يوم القيامة.

باب

[لعمارة بن عقيل يحض بني كعب وبني كلاب على بني نمير]

قال أبو الحسن: أنشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بني كَعْب وبني كلابٍ، ابنَي رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكْرِ بن هوازنَ على بني نُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة، وبينهم مُطالَبَاتٌ وتراتٌ[1]. وكانت بنو نُمَيْر أعداء عُمارة، فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ، ويُغْرِى بهم إخْوتَهُمْ، ويحاربهم فى عَشيرته، فقال:

رَأَيْنَاكُمَا يَا بَنِىْ رَبِيعَةَ خُرْتُمَا ... لِعَضِّ الْحُرُوبِ، وَالْعَدِيدُ كَثِيرُ

وَصدَّقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فيكُمَا ... وكَذَّبْتُما مَا كَانَ قالَ جَرِيرُ

أَصَابَت نُمَيْرٌ مِنْكُمُ فَوْقَ قَدْرِهَا ... فكُلُّ نُمَيْرِىٍّ بِذَاكَ أَمِيرُ

فَإِنْ تَفْخَرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمكمْ ... فَقَدْ هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ

رَمَتْهَا مَجَانِيقُ الْعَدُوِّ فَقُوِّضَتْ ... مَدَائن مِنْهَا كَالْجِبَالِ وسُورُ

وَشَيَّدَهَا الأمْلاكُ: كِسْرَى وهُرْمُزٌ ... وَآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً، وَنَضِيرُ

فَإِنْ تَعْمُرُوا الْمَجَدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ ... لَكُمْ فى مُضِرَّاتِ الْحُرُوبِ ضَرِيرُ

خبطْتُم لُيُوثَ الشَّأْمِ حَتَّى تَنَاذَرَتْ ... حِمَاكُمْ وَحَتَّى لا يَهِرَّ عَقُورُ

فكَيفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ ... ثَعَلِبُ يَبْحَثْنَ الحَصَى وأُبُورُ

قال أبو العباس: قوله:

* فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور *

مثلٌ، يريد أنَّ مَجْدَكم الذى بناه آباؤكم متى لم تَعْمُرُوه بأفعالكم خَرِبَ وَذَهَبَ. وهذا كما قال عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوائِلُنَا ... يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِى، ونَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

(١) الترات: جمع ترة، وهى الجناية.

وكما قال الآخر:

أَلْهَى بَنِى جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْن كلثومِ
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ ... يَا لَلرِّجَالِ لفخر غَيْرِ مَسْئُومِ!
إنّ الْقَدِيمَ إِذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ ... كَسَاعِدٍ فَلَّهُ الأيَّامُ مَحْطُومِ

وكما قال عامر بن الطُّفَيْلِ:

إنى وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسِ عَامِرٍ ... وَفِى السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فَمَا سَوَّدَتْنِى عامرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ
وَلَكِنَّنِى أَحْمِى حِمَاهَا وَأَتَّقِى ... أذَاهَا، وأرْمِى مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ

* * *

[قال أبو الحسن: أنشَدَنى هذه الأبياتَ محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرُون ـ ويكنى أبا عبد الله ـ لعامر بن الطفيل العامرىّ. قال أبو الحسن: قال الأصمعىّ: وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُحَبَّرًا لِحُسْنِ شِعْرِه، وأولها:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىّ: مَالَكَ بَعْدَمَا ... أَرَاكَ صَحِيحًا كالسّلِيمِ الْمُعَذَّبِ!
فقُلْتُ لهَا: هَمِّى الّذِى تَعْلَمِينَهُ ... مِنَ الثأرِ فى حَيَّىْ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
إنَ اغْزُ زُبَيْدًا أَغْزُ قَوْمًا أَعِزَّةً ... مُرَكَّبُهُم فى الحَىِّ خَيْرُ مُرَكَّبِ
وَإِنْ اغْزُ حَيَّىْ خَثْعَمٍ فَدِمَاؤُهُمْ ... شِفَاءٌ، وخَيْرُ الثَّأْرِ لِلْمُتَأَوِّبِ
فَمَا أَدْرَكَ الأوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ ... بِأَجْرَدَ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشَذَّبِ
وَأَسْمَرَ خَطِّىٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ ... وَزَغْفٍ دِلاَصٍ كالغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلاحُ امْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ ... طَلُوبٌ لِثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطَلَّبِ

ثم أتى بإنشاد أبى العباس على وجهه، إلا أنه رَوَى: «مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِب».
السليم: الملدوغ، وقيل له: «سَلِيم» تفاؤلاً له بالسلامة، وزُبَيْدٌ وأرْحَبُ: حَيَّانِ من اليمن. والثأر: ما يكوْن لك عند من أصاب حَمِيمك، ومن التِّرَةِ، ومن قال «ثار» فقد أخطأ.

والمتـأوِّب: الذى يأتـيك لطلب ثأره عندك، يقـال: آبَ يئـوبُ إذا رَجَعَ. والتَّأويبُ فى غير هذا: السير فى النهار بلا تَوَقُّف.

والأوتار والأحْقادُ واحدهما وِتْرٌ وحِقْدٌ. والأجْـرَدَ: الفرس المتَحَسِّر الشَّعر، والأجرد الضامر أيضًا. والعسيب: السَّـعَفَةُ. والمُشَذَّب: الطويل الذى أُخذَ ما عليه من العُقَد والسُّلاَءُ(١) والخُوص، ومنه قيل للطويل المُعَرَّق: مُشَذَّب.

وخَطِّىّ: رمح منسوب إلى الخَطّ، وهى جـزيرة بالبَحْرَين، يقـال إنها تُنْبتُ عصا الرِّماح، وقال الأصمعىّ: ليستْ بها رِماح، ولكن سفينة كانت وقعتْ إليها، فيها رِماحٌ، وأُرْفئَتْ بها فى بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح: الخَطِّيَّة، ثم عَمَّ كلَّ رُمْح هذا النَّسَبُ إلى اليـوم. والزَّغْف: الدِّرْع الرقيـقة النسـج، والمثوِّب: الذى تُصَفِّـقُهُ الرياح فَـيَذْهَبُ ويجىء، وهو من ثابَ يَثُـوبُ إذا رَجَعَ. وإنما سُمِّىَ الغَديرُ غَديرًا؛ لأن السيل غادَرَه، أى تركه].

* * *

قال أبو العباس: قوله:

* لكم فى مُضرَّاتِ الحروب ضَرير *

يقال: رجل ضَـرِير إذا كان ذا مشـقة على العَـدُوِّ، وقال مُهَلْهِلُ بن رَبِيـعة التَّغْلَبِىّ:

قَـتِـيلٌ مـا قَتِـيلُ المرْءِ عَـمْـرٍو وَهَمَّـامُ بْنَ مُـرَّةَ ذُو ضَـرِيرِ(٢)

وقوله: «خبطتُم ليوث الشام» يريد ما كان من نَصْرِ بن شَبَث العُقَيْلِىّ، وهو عُقَيْلُ بن كَعْب بن ربيعة.

وقوله: «أُبور» جمع وَبْر(٣)، وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز، وقد ذكرنا ذلك قبلُ.

---

(١) السلاء: شوك النخل.

(٢) زيادات ر: «ما»: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

(٣) الوبر: دويبة على قدر السنورى.

[لعمارة أيضًا في الحث على الأخذ بالثأر]

وقال عُمارة أيضًا لهم، أنشدَنيه:

أَلاَ للهِ درُّ الْحَيِّ كَعْبٍ ... ذَوِى الْعَدَدِ الْمُضَاعَفِ وَالْخُيُولِ

أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصرٍ ... يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُولِ

تَنَوَّخَهُمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يَوْمٍ ... كَفِعْلِ أَخِى الْعَزَارَةِ بِالذَّلِيلِ

وَلَيْسُوا مِثْلَ عُشْرِهِمِ ولكنْ ... يَضِيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِبَلِ الْعُقُولِ

فَأَيْنَ فَوارِسُ السَّلَمَاتِ مِنْهُمْ ... وَجَعْدَةَ وَالْحَرِيش ذَوُو الْفُضُولِ!

وأَينَ عُبَادَةُ الخَشْنَاء عنهم(١) ... إِذا مَا ضَاقَ مُطَّلَعُ السَّبِيلِ!

قوله:

* أَلاَ للهِ دَرُّ الحَيِّ كعْبٍ *

يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر.

وقوله:

* أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرٍ *

يعنى نصر بن شَبَث، أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبيعة. وقوله:

* يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُولِ *

هو مَثَلٌ ضَرَبَهُ، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوق التى يَقْرَعُها الفَحْل ويُوَرِّعُ: يكُفُّ ويَمْنَعُ ويَدْفَعُ. والوَرَعُ فى الدين إنما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام، وجاء فى الحديث: «لا تَنْظروا إلى صومه، ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى وَرَعِه إذا أَشْفَى»، ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم. والسَّنَنُ: القَصْد، ثم أبان ذلك بقوله:

* تَنَوَّخَهُمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يوم *

يقال: سانَّ الفحلُ الناقة فَتَنَوَّخَها، وذلك إذا ركبها من غير أن توَطأَ له، ولكن يَعْتَرِضُها اعْتراضًا. وتقول العرب: إن ذلك أكرم النِّتَاج؛ وذلك لأن

---

(١) ر: «منهم».

الولد يخرج صَلِيبًا مُذَكَّراً، ويقال لذلك الحَمْلِ الذى يقع من التَّنَوُّخِ والاعتراض: يَعَارَة وعِراضٌ، يقال: حَمَلَتْهُ عِراضاً وحملته يَعارَة يا فتى، قال الراعى:

قَلائِص لاَ يُلْقَحْنَ إلاَّ يَعَارَةً ... عِرَاضًا، وَلاَ يُشْرَيْنَ إلاَّ غَوَالِيَا

وقال الطِّرِمَّاح:

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا[(١)] ... ةٌ أمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ

نَضَّجَتْهُ عِشرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ ... حِينَ نِيلَتْ يَعَارَةً فى عِراضِ

قوله: «سَبَنْداة» فهى الجَرِيئةُ الصَّدْرِ، يقال للجَرِىء الصدر: سَبَنْدى وسبنْتى، وأصل ذلك فى النَّمِرِ، وزعم الأَصْمَعِى أن الكِراضَ حَلَقُ الرَّحِمِ، قال: ولم أسْمَعْهُ إلا فى هذا الشِّعْرِ.

وقوله: «نَضَّجَتْهُ عشرين يوما»، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما: نحو الذى عَدّ، فلا يخرج الولد إلا مُحْكَما، قال الحُطَيْئَةُ:

لأَدْمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا[(٢)] عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ: العِزُّ، والمَصادر التى تقع على «فَعَالة» للمبالغة، يقال: عَزَّ عزاً وعزَازةً، كما يقال: الشَّراسةُ والصَّرامَةُ، قال الله تعالى: ﴿قالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾[(٣)]، وفى موضع آخر: ﴿لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾[(٤)].

وقوله: «فَأَيْنَ فَوَارس السَّلَمات»، يريد بنى سَلَمَةَ الخَيْرِ، وبنى سَلَمَةَ الشر ابْنَىْ قُشَيْر بن كعب، وجَمَعَ لأنه يريد الحَىَّ أجْمَعَ، كما تقول المَهَالِبةُ والمَسَامِعَةُ، فتجمعهم على اسم الأب، على المُهَلَّبِ ومِسْمَعٍ، وكذلك المَنَاذرةُ، وقد مرت الحجّة فى هذا.

وجَعْدَةُ بن كَعْبٍ والحَرِيْش بن كعب وبنو عُبادة، من بنى عُقَيْلِ بن كَعْبٍ. وقال: «الخَشْناء»، يريد القبيلة، وذكَرها بالخشونة على الأَعْداء.

(١) ر . س. «سبنتاة وسبنداة»، وكلاهما جائز.
(٢) ر: «عشرا».
(٣) الأعراف ٦٧.
(٤) الأعراف ٦١.

[سؤال معاوية بن أبى سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب]

ويروى أن معـاوية بن أبى سُفْـيان رحمـه الله تعالى قال لِدَغْـفَلِ بن حَنْظَلَةَ النسَّابة: ما تقـول فى بنى عامر بن صَعْـصَعَةَ؟ قال: أعناق ظِباء، وأعْـجازُ نساء. قال: فـما تقول فى بنى تميمٍ؟ قـال: حَجَرٌ أخْشَـنُ: إن صَادَمْتَهُ آذاك، وإن تَرَكْـتَهُ تركك، قال: فما تقول فى اليمن؟ قال: سَيِّدٌ وأَنْوَك.

[لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمى أن يضع يده فى يد أبى نصر الطائى]

قال أبو العباس: وأنشدنى عُمارةُ لنـفسه ـ وسببُ هذا الشعر الذى نذكره أن رجلا من بنى تميم، يُكْنَى أبا سَـعْد، كان منقطعًا إلى أبى نصر بن حُـمَيْد الطائىِّ، ثم أحد بنى نَبْهـانَ، وكان أبو نصرٍ واليًا على العرب، وكتب أبو سـعد إلى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده فى يد أبى نصر، فقال عُمارة ـ:

دَعَـانِى أَبُو سَعْـدٍ وأَهْدَى نَصِـيحَـةً ... إِلَىَّ، وَمِـمَّا أَنْ تَغُـرَّ النَّصَـائِحُ[1]

لاِجْـزِرَ لْحَمِى كَلْبَ نَبْـهَانَ كـالَّذِى ... دَعَـا الْقَـاسِطِىَّ حَتْـفُـهُ وَهْوُ نَازِحُ

أوِ الْبُـرْجُـمِىَّ حِينَ أَهْدَاهُ حَـيْنُهُ ... لِنَارٍ عَلَـيْـهَـا مُـوقِـدَانِ وَذَابِحُ

وَرَأْىُ أبِى سَـعْـدٍ وَإِنَ كَانَ حـازِمًـا ... بَصِيـرًا وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْـهِ المَسَارِحُ

أَعَـارَ بِهِ مَلْعُـونَ نَـبْـهَـانَ سَـيْـفَـهُ ... عَلَى قَوْمِهِ، وَالْقَـوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ

وَنَصرُ الْفَتَى فِى الْحَـرْبِ أعْدَاءَ قَوْمِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِى الطعْمِ فَاضِحُ

قوله: «لأجْـزِرَ لْحَمِى كَلْبَ نَبْـهَانَ» أى لأكـون جَزَرَة له، والجَـزَرَةُ: البَدَنَةُ تُنْحَرُ، يقال: أجْزَرْتُ فلانًا، وتركتُ فلانًا جَزَرًا، قال عَنْتَرَةُ الْعَبْسِىُّ:

إنْ تَشْتِـمَا عِـرْضِى فَإِنَّ أَبَاكُـمَا ... جَزَرُ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَـشْعَم

وقوله:

... كالذى دعا القاسطى حَتْفُهُ وهو نازح

---

(1) زيادات ر: «مما يعنى رعا».

فهـذا رجل من النَّمِرِ بن قاسط، خرج يبـتغى قَرَظًا من بُعْـد، فَنَهَشَتْهُ حَـيَّة فمات، فهو أحد القـارِظَيْنِ، والقارِظُ الأول من عَنَزَة، كان خرج مع ابن عَمٍّ له فى طلب القَرَظِ، فقتلـه ابن عمه، لأنه كان يريد ابنته فمنعـه منها، قال أبو خِرَاش[1] الهُذَلِىُّ:

وَحَتَّى يَؤُوبَ الْقَـارِظَانِ كِلاَهُمَا　　　وَيُنْشَرَ فِى الْقَـتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقولـه: «كالذى دعـا القاسطى حـتفـه» الهاء فى حـتفـه ترجع على الذى وتقديره كَالسبب الذى دعا القاسطىَّ حَتْفُه.

وقوله: «أو البُـرْجُمِىّ» فهـذا رجل من البَرَاجِمِ، وهم بنو مـالك بن حَنْظَلَة كان عمرو بن هِنْد لما قَتَلَ بن دارِمٍ بأُوارة، وكان سببُ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن المُنْذِر - وكان مُسْتَرْضَعًا فـى بـنى دارِمٍ، فى حِجْرِ حاجب بن زُرارة بن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارِمٍ - انصرف ذاتَ يوم من صَيْدِه وبه نَبِـيذٌ، فَعَبَثَ كما يَعْبَثُ الملوك، فرماه رجل من بنى دارم بسـهم فقَتَله[2]. ففى ذلك يقول القـائل؛ وهوعمرو بن مِلْقَطٍ الطائِىّ لعمرو بن هند:

فَـاقْـتُـلْ زُرَارَةَ لاَ أَرَى　　　فى الْـقَـوْمِ أوْفَـى مِنْ زُرَارَه

فَغَزَاهم عمرو بن هند، فقتلهم يوم الْقُصَيْبَةِ[3] ويوم أُوَارَةَ، ففى ذلك يقول الأعْشَى:

وَتَكُـونُ فى الـشَّـرَفِ المُوا　　　زِى مِـنْقَـرًا وبَنِـى زُرارَهْ

أَبْـنَاءَ قَـوْمٍ قُـتِّلُـوا　　　يَوْمَ الْقُـصَـيْـبَـةِ وَالأُوَارَهْ

ثم أقْسَمَ عـمرو بن هند لَيُحْرِّقَنَّ مـنهم مائة، فبذلك سُـمِّىَ مُحرِّقًا، فـأَخَذَ تسعة وتسعين رجلا فَقَذَفَهُمْ فى النار، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتكْمُلَ بها

---

(1) زيادات ر: «الصحيح أن الشعر لأبى ذؤيب، وهو بهذه النسبة فى ديوان الهذليين ١:١٤٥، من قصيدة مطلعها:

أساءلْتَ رسْم الدار أم لم تسائل　　　عن السكْن أم عن عهده بالأوائل!

(2) زيادات ر: «رمى ناقة بسهم فقتلها» والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم».

(3) يوم القصيبة لعمرو بن هند على بنى تميم، وهو يوم أوارة. (وانظر معجم البلدان ١: ٣٦٤ ، ٧:١١٤).

العدَّة فلما أَمَرَ بها قالت العجوز: ألا فَتًى يَفْدى هذه العجوز بنفسه[1]! ثم قالت: «هيهات صارت الْفتْيَانُ حُمَمًا»! وَمَرَّ وافدُ البَرَاجم ـ وهو الذى ذَكرْنا ـ فاشْتَمّ رائحة اللحم، فَظنَّ أن المَلك يَتخذ طعامًا، فَعَرَّجَ إليه فأُتِىَ به إليه، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أنا وافد البراجم، فقال: «إن الشقِىَّ وافدَ البراجِم»، ثم أمَرَ به فقُذِفَ فى النار، ففى ذلك يقول جَرير يُعَيِّرُ الفَرَزْدَقَ:

أَيْنَ الذِّينَ بِنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا ... أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ الْمُسْتَرْضَعُ!

وقال أيضًا:

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرٌو كما قَدْ خَزِيتُمُ ... وَأَدْرَكَ عَمَّارًا شَقِىُّ البَرَاجِم

وقال الطِّرِمَّاح:

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمُ مِائَةً ... فى جاحِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِالْخَدَدِ[2]

يَنْزُونَ بِالْمُشْتَوِى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا ... عَمْرٌو، وَلَوْلا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ[3]

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام، يعنى لطمع البُرْجمِىِّ فى الأكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق أحد بنى عمرو بن كلاب:

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ ... بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال الآخر[4]:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ ... أَوِ الشَّىْءِ الْمُلَفَّفِ فى الْبِجَادِ[5]

تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطْحَاءَ حَوْلاً ... لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

(١) زيادات ر. «على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة».

(٢) الخدد، أصله: «الخد» ففك إدغاق للقافيه، وهو كالأخدود، حفرة فى الأرض مستطيلة.

(٣) المشتوى: مكان الاشتواء.

(٤) زيادات ر: «ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى المهوش الفقعسى، وذكر دعبل أنه لأبى المهموش الأسدى، وذكر ابن السيد البطليوسى أنه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى».

(٥) أراد وطب اللبن، يلف بكساء مخطط، اسمه البجاد.

وقوله: «لِلْمَرْءِ ذى الطَّعْم» يعنى الراجع إلى عقل، يقال: ليس فلان بذى طَعْمٍ، وفلان ليس بذى نَزَلٍ، أى ليس بذى عقل ولا معرفة، وإنما يقال: هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ، ومن قال «نُزْل» فى هذا المعنى فقد أخطأ.

[لأعرابى يهجو قوما من طيئ]

وقال أعرابىٌّ يَهْجُو قومًا من طَيِّئ:

ولَمَّا أنْ رأَيْتُ بَنِى جُوَيْنٍ ... جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ

يَئِسْتُ مِن الَّتِى أَقْبَلْتُ أَبْغِى ... لَدَيْهِمْ إنَّنِى رَجُلٌ يَئُوسُ

إذَا مَا قُلْتُ: أَيُّهُمُ لأَىٍّ؟ ... تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرءوسُ

قوله: «جلوسًا ليس بينهم جليس»، يقول: هٰؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفَهم فليس فيهم غيرهم. وهذا من أقبح الهجاء.

ومن أمثال العرب: «سَمْنُهُمْ فى أديمِهِمْ»، ومعناه فى مَأدومهم، وقيل: أديم ومأدوم مثل قَتيلٍ ومَقْتولٍ، وتقول الحكماء: من كثُرَ خيرهُ كثر زائره.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة لبنيه: يا بَنِىَّ، إذا غَدَا عليكم الرجل وراحَ مسلِّمًا، فكَفَى بذلك تقاضيا.

وقال آخر:

أَروحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْك وَاغْتَدِى ... وحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ منِى تَقَاضِيَا

كَفى بِطِلاَبِ المَرءِ مَا لاَ يَنَالُهُ ... عَنَاءً، وباليَأْسِ المُصَرِّحِ ناهِيا!

* * *

[(1) قال أبو الحسن: وربما قال أبو العباس: «مُصَرِحٌ» بكسر الراء (1)]

* * *

ومن أحسن المدح قول زُهَيْرٍ:

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرِمٍ ... وَالسَّائِلُونَ إلىَ أَبْوَابِهِ طُرُقَا

(1 ـ 1) ر: «وربما قال أبو العباس: «مصرح» بكسر الراء، قال أبو الحسن والكسر أجود».

وقال رُؤْبَةُ[1]:

* إنَّ النَّدَى حَيْثُ ترى الضِّغاطا[2] *

وقال آخر:

يَـزْدَحِـمُ الـناس عَـلَـى بَـابِـهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَـثِيرُ الزِّحَامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور:

عَلَـى بَابِ ابْـنِ مَنْـصُـــــور عَـــلامَـــاتٌ مِـنَ الْبَـــذْلِ

جَـــمَـاعــاتٌ وَحَـسْبُ الْبَـا بِ نُبْـــلاً كَــــثْـــرَةُ الأَهْلِ

وقوله:

* تَشَابَهَتِ المَناكِبُ وَالرءوس *

إنما ضربه مَثَلاً للأخْلاق والأفعال، : أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ.

ويقال: إن الأضْـبَطَ بن قُرَيْعِ بنِ عَـوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْـدِ بن زَيْدِ مَناةَ بن تَميم، آذَتْهُ عشـيرتهُ من بنى سَعْد، فـخرج عنهم، فَجَعَلَ لا يُجـاوِر قومًا إلا آذَوْهُ فقال: «أَيْنَمَا أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدًا»، أى أفِرُّ من الأذَى إلى مثله.

---

(١) زيادات ر: «لـبس لـرؤبـة، وهـو لابـن أبى نخيـلـة»،وقال المرصـفى: الصواب لأبى نخيلة ـ وهو اسمه لا كنيته- ابن عدنـان بن زائدة، إحدى بنى سـعد بن زيد مناة بنى تميم. شـاعر راجـز، من مخـضرمى الدولتين.

(٢) الضغاط: التزاحم.

باب

[أقوال في المجالس والجلساء]

قال أبو العباس : قال أبو إدريس الخَوْلانيُّ[1]: المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الْكِرَامِ.

وقيل للأحْنف بن قَيْسٍ أحد بنى مُرةَّ بنى عُبَيْد بن الحارث بن كَعْبِ بن سَعْدٍ، أيُّ المجالس أطْيَبُ؟ فقال: ما سافر فيه البصر، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ.

اتَّدَعَ: افتعل من التَّوْدِيعِ، والأصل «اوْتَدَعَ»، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون: ايتَزَنَ ياتَزِنُ، وهو رجل مُوتَزِنٌ[2]، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء في باب «افْتَعَلَ» تاءً وتُدْغَمهَا في التاء من «افْتَعَلَ»، فتقول: اتَّدَعَ يَتَّدِعُ، وهو مُتَّدِعٌ، ومُتَّزِنٌ[3] ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ، ومُتَّسٍ من اليأس، تكون الياء كالواو؛ لأنها إن أُظْهِرَتْ انقلبتْ على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونان واوين عند الضمة، نحْو مُوعِدٍ ومُوتَعِد، ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ، وياءين للكسرة، والواو قد تُقْلَبُ إلى التاءَ ولا تاء بعدها، نحو تُرَاثٌ من ورث، وتجَاه من الوَجْه، وتُكأَة. وإنما ذلك كَرَاهِيَة الضمة في الواو، وأقربَ حروف الزوائد والبَدَلَ منها التاء فَقُلِبَتْ إليها، وقد تُقْلَبُ للبدل في غير ضم، نحو: هذا أَتْقى من هذا، وضربته حتى أتْكأْتُهُ[4]، فلما كانت بعدها تاء افْتَعَلَ كَان الوجهُ القلب ليقع الإدغامُ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب «المُقْتَضَب».

وقيل للمُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ: ما خَيْرُ المجالس؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مَدَى الطرْفِ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس.

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه: يابُنَيَّ، إذَا أتيتَ مجلس قومٍ فارْمِهِمْ بسَهْمِ الإسلام ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر الله، فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم، وإن أفاضوا في غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ.

---

(١) هو عائذ الله بن عبد بن عمرو أبو إدريس الخولاني، قاص أهل الشام وعالمهم وقاضيهم روى عن أبي هريرة وأبي ذر وغيرهم. مات سنة ٨٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٥:٨٥).

(٢) ر ، س: «ايتزر، ياتزر، وهو رجل موتزر».

(٣) ر ، س: «متزر».

(٤) اتكأته: وجدته على هيئة المتكئ.

قوله: «فارمهم بسهم الإسلام» يعنى السَّلام. وقوله: «فأَجِلْ سهمك مع سهامهم»، يعنى أدْخُلْ معهم فى أمرهم، فَضَرَبَهُ مَثَلاً، من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسِرِ.

وقال وهْبُ بن عبد مَنَاف بن زُهْرَةَ جَدّ رسول الله ﷺ لأُمِّه:

وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فى مَجْلِسٍ فَاْخْتَرْ مَجَالِسَهُمْ وَلَمَّا تَعْقُدِ

وَدَعِ الْغُوَاةَ الجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ وَإِلَى الَّذِينَ يذكِّرونك فَاعْمِدِ

وقال ابْن عباس رحمه اللهُ: لجَلِيسى علىَّ ثلاثٌ: أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبل، وأُوَسِّعَ له إذا جلس، وأُصْغِىَ إليه إذا حَدَّثَ.

وكان القَعقَاعُ بن شَوْر[١]، أحد بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَة بن عُكابَة بن صَعْب بن على بن بكرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَّفَه بالقَصْد إليه جَعَلَ له نصيبًا فى ماله، وأعانَهُ على عَدُوِّه، وَشَفَعَ له فى حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له حتى شُهِرَ بذلك. وفيه يقول القائل:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرٍ وَلاَ يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ

ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وحدثَنِى التَّوَّزِىُّ أن رجلا جالَسَ قوما من بنى مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْب بن لؤَىٍّ بن غالب بن فِهْرِ بن مالكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ، فأساءوا عِشْرَتَهُ، وَسَعَوْا به إلى معاوية، فقال:

شَقِيتُ بِكُمْ وكُنْتُ لَكُمْ جَلِيسًا فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنَ شَوْرِ

وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرِ[٢]

نَسَبَه إلى التَّوْضِيع[٣]، كقول عُتْبَةَ بن رَبِيعة بن عَبْد شمس بن عبد مَناف لحكيم بنِ حزام لما بلغه قَول أبى جَهْل بنِ هشام: انْتَفَخَ واللهِ سَحْرُهُ[٤] وَنَحْرُهُ، سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِه مَنِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ اليوم!

---

(١) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤. ٤٥٤ قال: «من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية»، وفى القاموس إنه من التابعين.

(٢) المجمرة: إحدى المجامر التى يوضع فيها الطيب ليتبخر به. والتور: إناء يبل فيه نحوالعود والمسك.

(٣) التوضع: التخنيث.

(٤) يراد بالسحر هنا الرئة.

[يزيد بن معاوية والأنصار]

وقال رجل من بنى مَخْزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَفْلَح الأنصاريّ ليُؤْذِيَه: أَتَعْرُف الذى يقول.

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالمَكَارِمِ كُلِّهَا ... وَاللؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنْصَارِ[1]

فقال الأَحْوَصُ: [لا أَدْرى[2]]، ولكنِّى أَعْرِفُ الذى يقول:

النَّاسُ كَنَّوْهُ أَبَا حَكَمٍ ... وَاللهُ كَنَّاهُ أَبَا جَهْلِ

أَبْقَتْ رِيَاسَتُهُ لأُسْرَتِهِ ... لُؤْمَ الفُرُوعِ وَدِقَّةَ الأَصْلِ

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذى أنشده المخزوميّ للأَخْطَل. وكان يَزِيد بن معاوية عَتَبَ على قوم من الأنصار، فأَمَرَ كَعْبَ بن جُعَيْلٍ التَّغْلَبىَّ بهجائهم، فقال له كَعْبٌ: أَأَهْجُو الأنصار! أَرَادِّى أنت إلى الكُفْرِ بعد الإسلام! ولكنى أَدُلُّكَ على غلام من الحَىِّ نَصْرَانِىٍّ: كأنّ لسانَهُ لسانُ ثورٍ - يعنى الأَخْطَل.

قال: فلما قال هذا البيت دخلَ النُّعْمَانُ بن بَشِير بن سَعْد الأنصارى[3] على معاوية فَحَسَرَ[4] عمامته عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أَتَرَى لُؤْمًا! فقال: ما أَرَى إلا كَرَمًا. فقال النعمان:

مُعَاوِىَ إلا تُعْطِنَا الحَقَّ تَعْتَرِفْ ... لِحَى الأَزْدِ مَسْدُولا عَلَيْهَا العَمَائِمُ

---

(١) قاله:

لعنَ الإله من اليهود عصابةً ... بالجزع بين صليصل وصرار

قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المسطار

خلّوا المكارم لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النجار

- صليل وصرار: موضعان. والمسطار: الخمرة المتخذة من أبكار العنب. المساحى: جمع مسحاة، وهى مجرفة من حديد.

(٢) تكمله من ر ، س.

(٣) من كبار الخزرج.

(٤) روى أن النعمان قال: يا أميرالمؤمنين، أترى لؤما؟ قال: لا، بل أرى كرما وخيرا، فماذا؟ قال. زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار، قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم، قال: لك لسانه.

أَيَشْتِمُنَا عَبْدُ الأَرَاقِمِ ضَلَّةً

فَمَاذَا الَّذِى تُجْدِى عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ![1]

فَمَالِىَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيه عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عَرَبًا ما لَبِسَت العَمَائمَ، وتَقَلَّدَتِ السيوف، ولم تَعْدُدِ الحِلم ذُلاًّ، ولا التَّوَاهُب فيما بينها ضَعَةً.

وقالوا فى تأويل قوله: «مَا لَبِست الْعَمَائم»، يقول: ما حافظت على زِيِّهَا. وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضَّيْمِ. وقوله: «ولم تعدد الحلم ذلا»، يقول: ما عَرَفَتْ موضع الحلم، وتأويل ذلك: أن الرجل إذا أَغْضَى للسلطان، أو أغضى عن الجواب وهو مأسورٌ لم يُقَلْ: حَلُمَ، وإنما يقال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقول الشىء لصاحبه مُنْتَصِرًا، ولا يخاف عاقبة يكْرَهُهَا، فهذا الحلم المَحْضُ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تَرْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ وقوله: «ولم تر التواهب بينها ضَعَةً» نحوٌ من هذا، وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه.

وكان يقال: أَحْيُوا المعروف بإماتته، وتأويل ذلك أن الرجل إذا اعتد بمعروفه كَدَّرَهُ، وقيل: المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنيعة.

وكان يقال: كتمان المعروف من المُنْعَم عليه كفرٌ، وذكره من المُنعِم تكدير له.

وقال قَيْسُ بن عاصم: يا بنى تميم، اصْحَبُوا مَنْ يذكر إحسانكم إليه، ويَنسَى أَيَادِيَهُ إليكم.

---

(١) الأراقم: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب، وهم قوم الأخطل.

باب

[لبعض الشعراء يمدح أسْلَمَ بن الأحنف]

قال أبو العباس: قال عبد المَلكِ [بن مَرْوان[١]] لأسْلَمَ بن الأحْنف الأسَدىِّ: ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به؟ فاستعفاه، فأبى أن يُعفِيَهُ وهو معه على سريره، فلما أبى إلا أن يُخبِرَهُ، قال قولُ القائل:

أَلا أَيُّهَا الرَّكْبُ الْمُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ
بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّام تُحْبَوْا وَتَرْجعُوا[٢]

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَاب قَعْقَعُوا[٣]

إِذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمانُونَ نَمْنَمُوا
لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْه أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا

جَلا الْمِسْكُ وَالحَمَّامُ وَالبِيضُ كَالدُّمَى
وَفَرْقُ الْمَدَارَى رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ[٤]

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأوْسِ أحسنُ مما قيل لك - [قال أبو الحسن: هو أبو قَيْسِ بن الأسْلَتِ]:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِى فَمَا ... أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ[٥]

[لكثير فى المدح]

وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّرًا كان يقول: لَوَدِدْتُ أنى كنتُ سبقتُ الأسْوَدَ - أو العبدَ الأسودَ - إلى هذين البيتين - يعني نُصَيْبًا فى قوله:

---

(١) من س.

(٢) المخبون: الذين تخب بهم دوابهم، من الخبب وهو سرعة العدو.

(٣) من القعقعة، وهى الصوت، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس.

(٤) المدارى. جمع المدرى، وهو المشط. وأنزع، من النزوع، وهو انحسار الشعر من أعلى الجبين.

(٥) حصت: أذهبت شعره. والبيضة، هنا: لباس الرأس فى الحرب. والتهجاع: النوم الخفيف.

مِنَ النَّفر الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَجَوْا

أَقَـرَّتْ لِنَـجْـوَاهُـمْ لؤَىُّ بْنُ غالِب

يُحَيَّوْن بَسَّامِينَ طَوْراً، وَتَارَةً

يُحَيَّـوْنَ عَبَّاسِينَ شُـوس الحَواجِـبِ(١)

* * *

والمختار من الشِّعر الأول قوله:

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إذا اعْتَزَوْا

وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

يخبر بجـلالتهم ومعرفتـهم بأقدارهم، وثقتهم بأن مـثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال جَرير للتَّيم خلاف هذا، وهو قوله:

قَوْمٌ إِذَا احْتَـضَرَ المُلوكُ وُفُودَهُمْ ... نُتِـفَتْ شَـوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

[نقد لشعر نصيب]

وحُدِّثْتُ أن جريراً كان يقول: وَدِدْتُ أن هذا البـيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتًا من شعرى - يعنى قول نُصَيْب:

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَن يرحل الرَّكْب

وَقُلْ إِنْ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَّكِ الْقَلْبُ

وأما قول نُصَيْب:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَـا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... أُوَكِّلْ بَدعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بعدى

فلم تَجِد الرّواةُ ولا مَنْ يفهم جَواهر الكلام له مَذْهَبًـا، وقد ذكر عبد الملك لجُلَسَائه ذلك فكلٌّ عابَهُ، فقال عبد الملك: فلو كَان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم: كنت أقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَـا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... فَوَا حَـزَنَا مَنْ ذَايَهِيمُ بِهَـا بَعْدِى!

(١) من الشوس، وهو النظر بمؤخر العين.

فقال عبد الملك: مَا قلتَ والله أسْوَأُ مما قاله، فقيل له: فكيف كنتَ قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال كنتُ أقول:

أهيمُ بدَعْدٍ مَا حَييتُ فَإِنْ أمُتْ ... فَلا صَلَحَتْ دعْدٌ لِذِى خُلَّة بَعْدِى

فقالوا: أنت والله أشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين.

[الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك]

وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ في مَوْقفه عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حَضَرا، فقال سليمانُ للفرزدق: أَنْشِدْنِى - وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحا له - فأنشده:

وركْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لَهَا تِرةً مِنْ جَذْبِهَا بالْعَصَائِبِ[1]

سَرَوْا يَخْبِطُونَ الرِّيحَ وهيَ تَلُفُّهُمْ ... إِلَى شُعَبِ الأكْوَارِ ذَاتِ الحَقَائِبِ[2]

إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولونَ لَيْتَهَا ... - وقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ - نارُ غالِبِ[3]

فأعرض عنه سليمان كالمُغْضَبِ، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، ألا أُنْشِدُكَ في رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها! فقال: هات، فأنشده:

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِين لَقِيتُهمْ ... قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ ومَوْلاكَ قَارِبُ[4]

قِفُوا خَبِّرُونِي عَنْ سُلَيْمانَ إِنَّنِى ... لِمعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ[5]

فعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ ... ولوْ سكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوزٌ ومُبْتَدَعٌ ولم يُسْبَقْ إليه. على أن الشاعر - وهو أخو هَمْدَانَ - قد قال في عَصْرِه في غير المدح:

يَمُرُّونَ بالدَّهْنا خِفَافًا عِيَابُهُمْ ... ويَخْرُجْنَ منْ دَارِينَ بُجْرَ الحقائبِ

عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ ... فَنَدْلًا زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

(١) الترة: الثأر.

(٢) الأكوار: الرحال، مفردها كور

(٣) خصرت: بردت.

(٤) قفاذات أو شال: خلف بقعة ذات مياه. مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

(٥) ودان: قرية قريبة من الجحفة.

وليس شِعْرُ نُصَيْبٍ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر، وإنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا.

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب: كيف تراه؟ قال: هو أشعر أهل جِلْدته، فقام الفرزدق وهو يقول:

وخَيْرِ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجالاً وشَرُّ الشِّعْرِ ما قالَ الْعَبِيدُ

* * *

ثم نرجع إلى تفسير الشعر.

قوله: * يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ *

يعنى قومًا تجارًا، وقد قالوا إنما ذَكَرَ لُصُوصًا، والأول أَثْبَتُ؛ وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب.

وقوله: «بُجْر الْحقَائب» يقول: عظام، ويقال للرجل إذا انْدَلَقَتْ سُرَّتُه فتَنَأَتْ متقدمة: رجل أَبْجَرُ، ويقال لها: البُجْرَةُ والبَجَرَةُ. وفُعْلَةٌ وفعَلَةُ تقعان فى الشىء، يقال: قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ، وصُلْعَة وصَلَعَةٌ، ومثل هذا كثير.

وقوله: «على حينَ ألهى الناس» إن شئتَ خفضتَ «حين» وإن شئت نصبت، أما الخفض فلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفتح فلإضافتك إياه إلى شىء غير مُعْرب؛ فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذى أضفته إليه معربا لم يكن إلا مخفوضًا، وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول: «جئتك على حينِ زيد»، و«جِئْتُكَ فى حينِ إِمْرَةِ عبدِ الملكِ»، وكذا قولُ النابغة:

عَلَى حِينِ عَاتَبْت المَشِيبَ على الصبَا وقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِع!

إن شئت فتحت، وإن شئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن.

وكذلك قولهم: «يَوْمَئذ»، تقول: عجبت من يومِ عبد الله، لا يكون غيره، فإذا أضفتَهُ إلى «إذ»، فإن شئت فتحت على ما ذكرت لك فى «حين»، وإن شئت خفضتَ، لِمَا كان يستحقه اليومُ من التَّمكّن قبل الإضافة. تقرأ إن شئت:

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ﴾(١)، وإن شئت: ﴿مِنْ عذابِ يَوْمَئِذٍ﴾ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال: سير بزيد يَوْمَئِذٍ، فأعربته فى موضع الرفع، كما فعلت به فى الخفض، ومن قال: ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ فبناه قال: سيرَ بزيد يَومئذ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنىّ، كـما تقول: دُفِعَ إلى زيد خمسة عَشَرَ دِرهَمًا، وكما قال عز وجل: ﴿عليها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(٢).

وأما قوله:

* فَنَدْلاً زُرَيْقُ الَمالَ نَدْلَ الثعالب *

فَـزُرَيْقٌ قَـبيلة. وقـوله «نَدْلاً» مـصـدر، يقـول: انْدُلى نَدْلاً يا زُرَيْق المالَ، والنَّدْلُ: أن تَجْذِبَهُ جَذْبًا، يقال: نَدَلَ الرجـلُ الدَّلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجذِبُها مملوءة من البئـر، فنصَب «نَدْلاً» بفعل مضـمر وهو «انْدُلى». وهذا فى الأمر، تقـول: ضَرْبًا زيدًا، وشَتْـمًا عبـدَ الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعـل، فكان الفعلُ فيـه أقوى، فلذلك أضمـرته، ودلّ المصدر على الفـعل المضمـر، ولو كان خبـرًا لم يجز فـيه الإضمارُ؛ لأن الخـبر يكون بالفعل وغيره، والأمـر لا يكون إلا بالفعل، قـال الله عـز وجل: ﴿فَإِذَا لقـيتم الَّذينَ كَـفَرُوا فَضَـرْبَ الرِّقَابِ﴾(٣). فكان فى مـوضع «اضْرِبوا»، حتى كأن القائل قال: فاضْرِبوا، ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضًا فى قوله: ﴿حتى إذا أَثْخَنْتُموهُم فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾، ولو نَوَّنَ مُنَوِّنٌ فى غير القرآن لَنَصَبَ «الرقاب»، وكذلك كل موضع هو بالفعل أَوْلَى.

وقوله: «ندل الثـعالب» يريد سرعـةَ الثعالب، يقـال فى المَثَلِ: «أَكْسَبُ من ثَعْلَبٍ».

وأما قول نُصَيْب:

* ولَوْ سكتوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائبُ *

---

(١) المعارج ١١ .

(٢) المدثر ٣٠.

(٣) محمد ٤ .

فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفْدِهِ، فقد أَثْنتْ عليه الحقائب من قبل أن يقولوا، وأما قول الأعْشَى:

وإنَّ عِتَاقَ العيسِ سَوْفَ تزُورُكُمْ ثَنَاء عَلَى أعَجْازِهِنَّ مُعَلَّقُ[1]

فإنما أراد المدح الذى يُحْدَيْنَ به، والحادى من ورائها، كما أن الهادى أمامها.

وأما قول أبى وَجْزَةَ السعدىّ:

رَاحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حَقِيبَتِها ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنَى ولا السَّدَدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقًا، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقًا.

[حديث أبى وجزة وأبى زيد الأسلمى]

وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُّلَمِىَّ، المعروف بالسَّعْدىّ لنزوله فيهم، ومحالفته إياهم، كان شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ، وشَخَصَ أبو زيد الأسلمىُّ يريد إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ ـ وهو والى المدينة ـ فاصْطَحَبا، فقال أبو وجزة: هَلُمَّ فلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه، فقال أبو زيد الأسلمىُّ: كَلاَّ، أنا أَمْدَحُ الملوك، وأنت تمدح السُّوَق[2]، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده:

* يَا بْنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الْكِرَامِ *

فقال إبراهيم: وإنما أنا أخوهم، وكأنِّى لَسْتُ منهم! ثم أمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بالسياط.

وامْتَدَح أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيْرِ، فكتبوا إليه بستين وَسْقًا من تمر، وقالوا: هى لك عندنا فى كل سنة، فانْصَرَفا، فقال أبو زيد:

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَرَعْزَعَا

نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى وحَلَّبَتِ الأيَّامَ وَالْدَّهْرَ أَضْرُعا

---

(1) عتاق العيس: نجائب الإبل البيض فى شقرة يسيرة.

(2) السوق: جمع السوقة، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان

سَقاها ذَوُو الأرْحَامِ سَجْلاً عَلَى الظَّما وَقَـدْ كَـرَبَتْ أَعْنَاقُـهَـا أن تَقَطَّعَـا
بِفَضْلِ سِجالٍ لَوْ سَـقَوْا مَنْ مَشَى بِهَا عَلَى الأرْضِ أَرْوَاهُمْ جميعًا وَأَشْبَعا
فَـضَمَّتْ بِأَيْدِيهَـا عَلَى فَـضْلِ مَائِهَـا مِنَ الرِّيِّ لَمَّـا أوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعَـا
وَزَهَّدَهَا أنْ تَفْـعَلَ الْخَـيْـرَ فى الغِنَى مُقَـاسَاتُهَـا مِنْ قَبْلِهِ الفَـقْرَ جُـوَّعَا

وقال أبو وجزة:

رَاحَتْ رَواحًـا قَلوصِى وَهْى حَامِـدَةٌ آلَ الزُّبَيْـــرِ ولَمْ تَعْـدِلْ بِهِـمْ أَحَـدَا
رَاحَت بِسِـتِّينَ وَسْـقًا فى حَـقِيـبَتِـهَا مَا حَمَلَتْ حِمْلَهَا الأدْنَى وَلاَ السَّدَدَا
مَـا إنْ رَأَيْتُ قَلُوصًـا قَبْلَهَـا حَـمَلَتْ سِـتِّيـنَ وَسْقًـا ولاَ جَـابَتْ بِهِ بَلَدَا
ذَاكَ الْقِـرَى، لاَ قِـرَى قَــوْمٍ رَأَيْتُـهُمُ يَقْـرُونَ ضَـيْـفَـهُمُ المَلْوِيَّةَ الْجُـدُدَا

أما قول أبى زيد لإبراهيم:

مدحتُ عروقًا للندى مضت الثرى حديثًا. . .

فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه محمدًا إنما تَطَعَّما بالعيش، ودخلا فى النِّعمة، وخرجا من حدّ السُّوق إلى حدّ الملوك حديثا، وذلك بهشام بن عبد الملك؛ لأنهما كانَا خالَيْه، وإنّما وَلاَّهَما عن خُمُول.

وقوله: «فلم تهمم بأن تتزعزعا»، فإنما هذا مَثَلٌ: يقال: فلان يَهْتَزُّ للنَّدَى، ويرتاح لفعل الخير، كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْـتَزُّ للنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عند امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرُور لفعل الخير.

[لأبى رباط فى ابنه]

قال أبو العباس: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ لأبى رِباطٍ، يقول لابنه:

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِـيـنَ تَمَّ شَـبَـابُهُ وَوَلَّى شَبَابِى لَيْسَ فى بِرِّهِ عَتْبُ(١)

(١) اى بر خالص لا عب فيه ولا لوم.

إِذَا كَـانَ أَوْلَادُ الرِّجَـالِ مَـرَارَةً ... فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحُلْوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ

لَنَا جَـانِبٌ مِنْهُ أَنِيقٌ وَجَـانِبٌ ... شَدِيدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ مَـرْكَبُهُ صَعْبُ

وَتَأْخُـذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِـزَّةٌ

كَمَـا اهْـتَـزَّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصنُ الرَّطْبُ[1]

[أعرابي عند عمر بن هبيرة]

قال: وحدثنى علىّ بن عبد الله قال: حدثنى العُتْبىُّ قال: أشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارىُّ من قصره يومًا فإذا هو بأعرابىّ يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الآلُ[2]، فقال لحاجبه: إن أرادنى هذا فَأَوْصِلْهُ إِلىَّ، فلما دنا الأعرابىُّ سأله فقال: قصدتُ الأمير. فأَدْخَلَهُ إليه، فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر: ما خَطْبُكَ؟ فقال الأعرابىُّ:

أَصْلَحَكَ اللهُ، قَلَّ مَـا بِيَـدِى ... فَـمَـا أُطِيقُ الْعِـيَـالَ إِذْ كَـثُـرُوا

أَلَـحَّ دَهْـرٌ أَنْحَـى بِـكَـلْكَـلِـهِ ... فَـأَرْسَلُـونِى إِلَيْـكَ وَانْتَـظَرُوا

رَجَـوْكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُـوَن لَهُمْ ... غَـيْثَ سَحَـابٍ إِنْ خَـانَهُمْ مَطَر

قال: فأخذتْ عمرَ الأرْيَحيّة، فَجَعَلَ يَهتزُّ فى مجلسه، ثم قال: أرسلوك إلَىَّ وانتظروا؟ إذًا والله لا تجلسُ حتى ترجعَ إليهم غانمًا، فأَمَرَ له بألف دينار وردَّهُ على بعيره.

قال أبو العباس: وحدثنى أبو إسحاق القاضى إسماعيل بن إسحاق أن الخبر لِمَعْنِ بن زائدة، وصحَّ ذلك عندى.

* * *

وقوله: «نقائذ بؤس[3]» واحدتها نَقيذَة. وتأويله أنهم أُنْقِذُوا من بُؤْسٍ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد، تقول: هذا نَقيـذَةُ بُؤْسٍ، تقع الهاء للمبالغة؛ لأن أصله كالمصدر، كقولك: زيد مكْرُمَةٌ لأهله، وزيد كـريمة قـومه، أى يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة، والخَصْلَة الكريمة.

---

(١) البارح: الريح.

(٢) الآل: ما تراه فى الضحى بين السماء والأرض.

(٣) من كلمة أبى زيد الأسلمى ص ١٨٨.

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ أَكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلىَّ لما وَرَدَ عليه، فبسط له رِداءه، وعَمَّمَهُ بيده، وقال له: «إذا أتاكم كَرِيمةُ قومٍ فأَكْرِموه». هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث.

وقد قال ﷺ قبل ورُوده عليه: «يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَن، عليه مَسْحَةَ مَلك».

[لصخر بن عمرو الشريد]

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّريد، يعنى معاويةَ أخاه، وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابنا حَرْمَلَةَ الْمُرِّيَّانِ من غطفان، فقيل لصخر: اهْجُهُمْ، فقال: ما بينى وبينهم أَقْذَعُ من الهِجاء، ولو لم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْنًا لنفسى عن الخَنَا لفعلت ثم قال:

وعَاذلةٍ هبَّتْ بِلَيْلٍ تَلومُنى ... ألاَ لاَ تَلُومِينى كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا
تَقُولُ: ألاَ تَهْجُو فَوارِسَ هاشِمٍ ... وَمَالِىَ إذْ أَهْجُوهُمُ ثُمَّ مَالِيَا!
أَبَى الشَّتْمِ أنِّى قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِى ... وأَنْ لَيْسَ إهْدَاءُ الخَنَا مِنْ شِمَالِيا[1]

وتقول العرب للرجل: راوية ونَسَّابَةٌ؛ فتزيد الهاء للمبَالغة، وكذلك عَلاَمَة؛ وقد تلزمُ الهاءُ فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد، نحو رَبْعَة ويَفَعَة وصَرورة[2]. وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه، فأما راوية وعلامة ونسَّابة فحذفُ الهاءِ جائزٌ فيه، ولا يَبْلُغُ فى المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاء.

* * *

---

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرةً ... وحييتُ رِسمًا عند لَيّة ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحيةً ... فحياك ربُّ العرش عنى مُعاويا!
وهوّن وجدى أننى لم أقلْ له ... كذبت، ولم أبخل عليه بماليا

قال الأخفش: وأنشدنى الأحول:

* ومالىَ أن أهجوهمُ ثم ماليا *

(٢) رجل ربعة. بين الطول والقصر. ويفعة: شارف الاحتلام، والصرورة: الرجل الذى لم يحج ولم يتزوج، وأصله من الحبس.

وقوله(1):

* وَحَلَّبَتِ الأيَّامَ وَالدَّهْرَ أضْرُعَا *

فإنه مَثَلٌ، يقال للرجل المجَرِّبِ للأمور: فلان قد حَلَبَ الدَّهْرَ أشْطره، أى قد قاسى الشِّدَّةَ والرَّخاء، وتَصَرَّفَ فى الفقر والغنى، كما قال القائل:

قَدْ عِشْتُ فى النَّاسِ أطْوَارا عَلَى طُرُقٍ   شتَّى، وَقَاسَيْتُ فِيها اللِّينَ والْفَظعَا

كـلاًّ بَلَوْت، فَـلاَ النَّعْـمَـاءُ تُبْطِرُنِى   وَلا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأْوائِهَـا جَزَعـا

لا يَمْلأُ الْهَـوْلُ صَدْرِى قَبْلَ مَوْقِعِهِ   وَلاَ أَضِيـقُ بِه ذَرْعًـا إذَا وَقَـعَـا

ومعنى قوله: «أشْطُرَه» فإنما يريد خُلوفَهُ، يقال: حَلَبْتُها شَطْرًا بعد شَطرٍ: وأصل هذا من التَّنَصُّفِ، لأن كل خِلْفٍ عَدِيلٌ لصاحبه. وللشّطرَ وجهان فى كلام العرب، فأحدهما النصف كما ذكرنا، من ذلك قولهم: شَاطَرْتُكَ مالى، والوجه الآخر القَصْدُ، يقال: خُذْ شَطْرَ زيد، أى قصده، قال الله عز وجل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، أى قصده، ﴿وَحَيْثُما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(2).

قال أبو العباس، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبيدة قولَ الشاعر:

إنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا   فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُور

يريد ناحيتها وقصدها، والعَسِير: التى تَعْسِرُ بِذَنَبِها إذا حَمَلَتْ، أى تشيله وترفعه، ومنه سمى الذَّنَبُ عَوْسَرًا، أى تضرب بذنبها. ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدِهَا وسُوءِ حالها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تَحْسرَ العينان. والحَسِير: المُعيِى، وفى القرآن: ﴿يَنْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسِئًا وهو حَسِيرٌ﴾(3).

وقوله:

* سقَاهَا ذَوُو الأرْحَامِ سَجْلا عَلَى الظَّمَا *

---

(1) انظر ص ١٨٨.

(2) سورة البقرة ١٤٤.

(3) سورة الملك ٤.

فالسَّجْلُ فى الأصل الدَّلْوُ، وإنما ضربه مَثَلاً لما فاضَ عليها من ندَى أقاربها، يقال للدلو ـ وهى مؤنثة: سَجْلٌ وذَنُوبٌ، وهما مُذَكَّران، والغَرْبُ مذكر، وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يُسَاجِلُ فلانا، أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر، وأصل المُساجلة أن يَسْتَقِيَ سَاقيان، فيُخْرِجُ كلٌّ واحد منهما فى سَجْلِه مثل ما يُخْرِجِ الآخَرُ، فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلب، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة. وبَيَّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهَبٍ فى قوله:

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ ماجِدًا   يَمْلأُ الدَّلْوَ إلَى عَقْدِ الْكَرَبْ

ويقال: إن الفَرَزْدق مَرّ بالفَضْل وهو يَسْتَقى، ويُنْشِدُ هذا الشعر، فَسَرا الفرزدَقُ ثيابه عنده، ثم قال: أنا أُساجِلُكَ ـ ثِقَةً منه بنَسبه ـ فقيل له: هذا الفَضْلُ ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب. فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال: ما يُساجلك إلا مَنْ عَضَّ بأيْر أبيه !

يقال: سَرَا ثوبَهُ ونَضَا ثوبه فى معنى واحد، إذا نزعه، ويقال: سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلا، وأنشد:

* سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى[1] *

وسَرَى هَمُّهُ إذا ذهب عنه. والمواضَخَةُ مثل المُساجلة، قال العَجَّاجُ:

* تُوَاضِخُ التَّقْرِيبَ قِلْوا مِخْلَجًا *

أى تُخْرِجُ من العَدْوِ مثل ما يُخْرِجُ، قال الله عز وجل على مَخْرَجِ كلام العرب وأمثالهم: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾[2]. وأصل الذَّنوب الدلْوُ كما ذكرت لَكَ.

وقال عَلْقمةُ بن عَبَدَة للحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانِىّ: ـ [قال أبو الحسن: غير أبى العباس يقول شِمْرٌ، وبعضهم يقول شَمَرٌ] ـ وكان أخوه أسيرا عنده، وهو

---

(١) بقية البيت كما فى زيادات ر:

* وغار النجم إلاّ قيدَ؟ *

وفيها: «البيت لعروة بن أذينة الليثى شيخ مالك بن أنس».

(٢) سورة الذاريات ٥٩.

شَأْسُ بن عَـبَدَةَ أَسَـرَهُ فى وقعة عـين أُباغ. ـ [قال أبو الحسن: غيـره يقول إباغ، بالكسر] ـ فى الوقعة التى كانت بينه وبين المُنْذرِ بن ماء السَّماءِ، فى كلمةٍ له مَدَحَه فيها:

وَفى كلِّ حَىٍّ قدْ خَبَطْتَ بِنعْمةٍ فَـحُقَّ لَشَـأْسٍ مِنْ نداكَ ذَنُوبُ

فقال المَلِكُ: نعم وأَذْنِبَةٌ.

وقوله:

* وقد كَرَبَتْ أعنَاقُها أن تَقَطَّعا *

يقول: سُقِيَتْ هذا السَّجْلَ وقد دَنَتْ أعناقُها من أن تَقَطَّعَ عطشًا، وكَرَبَ فى معنى المُقاربةِ، يقال: كاد يفـعلُ ذلك، وجَعَلَ يفعل ذلك، وكَرَبَ يفعلُ ذلك، أى دنا من ذلك. ويقال: جاء زَيد والخَيْلُ كاربَتُـهُ، أى قد دَنَتْ منه وقَرُبَتْ، فأما أَخَذَ يفعلْ، وجَعَلَ يفـعلُ، فمعناهما أنه قـد صار يفعل، ولا تقع بعد واحـدة منهما: «أن» إلا آن يُضْطَرَّ شاعرٌ، قال الله عز وجل: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[1] أى لم يـقْـرُبْ من رؤيـتـهـا، وإيـضـاحـه: لم يَرَهَا ولم يَكدْ، وكـذلك: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[2]، وكذلك: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾[3] بغير «أنْ». ومن آمثال العرب: كادَ النَّعامُ يطير، وكاد العَرُوس يكون أميرًا، وكاد المُنْتعلُ يكون راكبًا، وقد اُضْطرَّ الشـاعرُ فأَدْخَلَ «أن» بعد «كاد»، كمـا أدخلها هذا بعد «كَرَبَ» فـقـال:

* وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

وقال رُؤْبَة:

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا[4] *

(١) سورة النور ٤٠.
(٢) سورة النور ٤٣.
(٣) سورة التوبة ١١٧
(٤) بمصح يدرس

فكاد بمنزلة كَرَبَ فى الإعْمَال والمعنى، قال الشاعر:

أَغِـثْنِى غِيَـاثًا يَا سُلَيْمَـانُ إِنَّنِى سَبَقْتُ إِلَيْكَ المَوْتَ، وَالمَوْتُ كَارِبِى
خَـشِيَّـةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِـيرٍ مُـسَلَّطٍ وَرَهْطِى، وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الأَقَارِبِ!

وقوله: «لَمَّا أَوْشكتْ أَنْ تَضلّعَـا»: يقول: لما قاربَتْ ذلك، والوَشِـيكُ القريب من الشيء والسـريع إليه، يقـال: يُوشكُ فلانٌ أن يفـعل كذا وكـذا، والماضى منه أَوْشَكَ، ووقعتْ بأن وهو أجـود، وبغير «أنْ» كـما كان ذلـك فى «لَعَلَّ»، تقول: لَعَلَّ زيدًا يقوم، فهذه الجَـيِّدةُ، قال الله عزّ وجل: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُون قريبًا﴾[1]، و﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[2]، و﴿لَعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْـدَ ذلكَ أَمْرًا﴾[3]. وقال مُتَمِّمُ ابن نُوَيْرةَ:

لَعَلَّـكَ يَوْمًـا أَنْ تُلِمَّ مُـلِمَّـةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللائى يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

وعَسَى، الأجودُ فيـها أن تستَعمَلَ بأنْ، كقولك: عـسى زيد أن يقوم، كما قال الله عزّ وجل: ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يأْتِىَ بالفَتْحِ﴾[4]؛ وقال جَلَّ ثناؤه ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[5]، ويجوز طَرْحُ «أنْ» وليس بالوجه الجيد، وقال هُدْبَةُ:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِى أَمْسَيْت فِيهِ يَكُـونُ وَرَاءَهُ فَـرَجٌ قَـرِيبُ

وقال آخر[6]:

عَسَى اللهُ يُغْنِى عَنْ بِلاَدِ ابن قَادِرٍ بِمُنْهَـمِرٍ جَـوْنِ الرَّبَابِ سكُوبِ

وحروف المقَاربَة لها باب قد ذكرناها فيه على مـقاييسها فى الكتاب المُقتضَبِ بغاية الاستقصاء.

---

(١) سورة الأحزاب ٦٣.
(٢) سورة طه ٤٤.
(٣) سورة الطلاق ١.
(٤) سورة المائدة ٥٢.
(٥) سورة التوبة ١٠٢.
(٦) هو سماعة بن أشول النعامى.

وقوله: «أن تَضَـلَّعَا»، معناه أن تمتلـئ، وأصله آن الطعام والشراب يَـبْلُغان الأضلاعَ فيكُظَّانِهَا[1] كذلك قال الأصمعىّ فى قولهم: أَكَلَ حتى تَضَلَّعَ.

وأما قول أبى وَجْزَة: «راحتْ بستِّين وَسْقَـا» فالوَسْقُ خمسة أَقْفزة بُمُلْجَم[2] الْبَصْرة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «ليس فيما دونَ خَـمْسة أَوْسُق صَدَقَة»، فما كان أقل من خـمسـة وعشـرين قفيـزا بالقَفِـيزِ الذى وصـفنا، وهو نصف القفـيز البَـغْدَادىِّ فى أرض الصـدقة فَلاَ صـدقة فـيه، وإنما أراد: أنه أَخَـذَ الكتابَ بـهذه الأَوْسُقِ، فلذلك قال:

مَا إِنْ رَأَيْتُ قُلوصًا قَبْلَهَا حَملَتْ   سِتِّينَ وَسْـقًا ولاَ جَابَتْ به بَلَدَا

وأما قوله:

* يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا *

فإنما أراد السياط، وجمع جَديد جُدُدٌ، وكذلك باب «فَعيلٍ» الذى هو اْسم، أو مضارع للاسم، نحـو قَضِيب وقُضُب، ورَغيف ورُغُف، وكـذلك سَرْيرٌ وسُرُرٌ وجَديدٌ وجُدُدٌ، لأنه يَجْرِى مَجْرَى الأسماء، وجَرِيرٌ وجُرُرٌ. فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَلَ من ضمته فتحة لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ، والفتحة أَخَفُّ من الضمة، فيجـوز لمن يُمالُ إليها اْستخفافًا، فيـقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ، ولا يجوز هذا فى مثل قَضِيب لأنه ليس بمضاعَف، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿عَلَى سُرَرٍ مَوْضونَة﴾[3]، ويقال للسـوط الأَصْبَحِىُّ، يُنْسَبُ إلى ذى أَصْـبَحِ الْحِمْيَرِىِّ، وكـان أولَ منّ اتخذ هذه السِّياطَ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ، ويقال له: العِرْفَاصُ والقطيعُ. وقال الشَّمَّاخ:

* تكَادُ تَطِير مَنْ رأْىِ الْقَطِيعِ *

وقال الصَّلَتانُ العَبْدِىُّ:

أَرَى أُمَّـةً شَـهَـرَتْ سَـيْـفَـهَـا   وَقَدْ زِيدَ فى سَوْطهَـا الأَصْبَحِىُّ

---

(١) من الكظة.

(٢) مكيال لأهل البصرة.

(٣) سورة الواقعة ١٥.

وقال الراعى:

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بِالأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولا

وقال الراجز:

* حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ الْعِرْفاصِ *

وقوله: «وَلاَ جابتْ به بَلَدًا»، يقول: ولا قَطَعَتْ به، يقال: جُبْتُ البلاد، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[1]. ويقال: رجل جَوَّابٌ جَوَّالٌ. وأَنْشَدَنى علىُّ بن عبد الله، قال: أنشدنى القَحْذَمىُّ:

مَا مَنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ ... خَمْسُونَ بِالْمَعْذُورِ بِالْجَهْلِ

فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ ... تَرَكَ الصِّبَا وَمَشَى عَلَى رِسْلَ

وأَمَرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلا من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مَحْكان السَّعْدِىِّ، فقال مُرَّةُ فى ذلك:

بَنِى أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِى تُحَارِبُوا ... تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَّتِ

وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَىَّ حَبِيبَةً ... بِبَاكٍ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

قوله: «إذا الحرب العوان»، فهى التى تكون بعد حَرْب قد كانت قبلها، وكذلك أصل العوان فى المرأة إنما هى التى قد تزوجت، ثم عاودتْ فخرجتْ عن حدِّ البِكْرِ، وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿لاَ فارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ﴾[2] هو تمام الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذلكَ﴾. والفارض: هاهنا المسنَّة، والبِكْرُ: الصغيرة، ويقال: لهَاةٌ فارضٌ أى واسعة، وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الْوَتَرِ، وكل حَزٍّ فَرْضٌ، والْفُرْضة مُتَطَرَّقٌ إلى النَّهْرِ: قال الراجز:

* لَهَا زِجاجٌ ولَهَاةٌ فارِضُ *

وقوله: «اشْمَعَلَّتْ»، إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ، قال الشَّمّاخُ:

---

(١) سورة الفجر ٩.

(٢) سورة البقرة ٦٨.

ربَّ ابْنِ عَمٍ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ أَرْوَعَ فى السَّفَرِ وَفى الحَىِّ غَزِلْ
طَبَّاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ

وقوله:

ولسْت وإن كانتْ إلىَّ حبيبة بباكٍ على الدنيا . . . .

إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بباكٍ على الدنيا وإن كَانت إلىَّ حبيبةً، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضْمرَ قبل الذِّكْرِ، ومثله:

إنْ تَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلاتِهِ هَرِمًا تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

وكذلك قول حَسَّان بن ثابت:

قدْ ثَكلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَسِبًا فى بُرْثُنِ الأسَدِ

يقول: من كنتُ واحده قد ثكلَتْ أمُّهُ، وكذلك قوله:

شَرَّ يومَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحَدْجٍ جَمَلاَ

يقول: ركبت هند بِحِدْجٍ جَمَلاً فى شَرِّ يَوْمَيْهَا.

* * *

وقال رجل من مُزَيْنَةَ:

خَلِيلَىَّ بِالْبَوْبَاةِ عُوجَا فَلاَ أَرَى بِهَا مَنْزِلاً إلاَ جَدِيبَ المقيَّدِ
نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنَا تِهَامَةُ فى حَمَّامِهَا المتوَقِّدِ

قوله: «بالبوباة»، فهى المُتَّسَعُ من الأرض: وبعضهم يقول: هى المَوْماةُ بعينها، قلبت الميم باء لأنهما من الشَّفَةِ، ومثلُ ذلك كثير، يقولون: ما اسْمُكَ وبَا اسْمكَ؟ ويقولون: ضَرْبَةُ لازِمٍ ولازِبٍ، ويقولون: هذا ظَأْمِى وظَأْبِى: يَعْنون السِّلْفَ - [قال أبوالحسن: الجِيِّدُ سِلْفٌ، وما قال ليس بممتنع] - ويقولون: زُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكْمَةُ سَوْءٍ: أى وَلَدُ سَوْءٍ، ويقولون: عَجْمُ الذَّنَبِ وعَجْبُ الذَّنَبِ، ويقولون: رجل أَخْرَمُ وأخْرَبُ، وهذا كثير. وقال عُمَرُ بن أبى ربيعة:

عُـوجـا نُحَـيِّى الطَّلَلَ المُحْـوِلاَ ... والرَّبْعَ مِـنْ أَسْـمَـاءَ والمَنْزِلا

بجَـانِبِ الْـبَـوْبَـاةِ لمْ يَعْـدهُ ... تَقَـادُمُ الْعَـهْـدِ بِـأَنْ يُؤْهَلا

وقوله: «إلا جَديبَ المقيَّد»، يقال: بلد جَدْبٌ وجَديبٌ، وخَصْبٌ وخَصيبٌ، والأصل فى النعت خَصيبٌ ومُخصِبٌ، وجَـديبٌ ومُجْدِبٌ، والخصْبُ والجَدْبُ إنما همـا ما حلّ فـيه، وقـيل: خَصـيبٌ وأنت تريد مُـخْصِبٌ، وجَـديبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ، كقولك: عذاب أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ، قال ذوالرُّمة.

ونَرْفَعُ مِنْ صُـدُورِ شَمَـرْدَلاَتٍ ... يَصُكُ وَجُـوهَهَـا وَهـجٌ أَلِيمُ

ويقال: رجل سَميع، أى مُسْمِعٌ، قال عَمْرُو بن مَعدى كرب:

أمِنْ رَيْحَـانَةَ الدَّاعِى السَّـمِـيعُ ... يُؤرقنى وأَصْـحَـابى هُـجُـوعُ

وأما قوله: «المُقَيَّدُ» فهو مـوضع التقييد، وكل مَصْدَر زيدت الميمُ فى أوله إذَا جاوَزَت الفـعل من ذوات الثلاثة فهـو على وزن المَفْعـول، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم والمكان، تقول: أَدْخَلْتُ زيدًا مُدْخَلاً كريمًا. وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحًا حَسَنًا، واستخرجتُ الشىء مُسْتَخْرَجًا، قال جَرير:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُـسَـرَّحِىَ الْقَـوَافِى ... فَـلاَ عِـيًّـا بِـهِنَ وَلاَ اجْـتِـلاَبَا

أى تَسْريحى، وقال عز وجل: ﴿وَقُل رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبارَكًا﴾(١)، ويقال: قمتُ مَقامًا، وأقَمْتُ مُقامًا، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاما﴾(٢) أى موضع إقامة، وقال الشاعر(٣):

وَمَـا هِىَ إلاَ فى إِزَارٍ وَعِلْقَـةٍ ... مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَىِّ خَثْعَمَا

يريد زمنَ إغارة ابن هَمَّام.

---

(١) سورة المؤمنون ٢٩.

(٢) سورة الفرقان ٦٦.

(٣) فى زيادات ر قبل هذا البيت:

تطول القـصـار والطوال يَطلْنَها ... فـمن يرها لا ينسـها مـا تكلَّمـا

وفيها نسبة البيتين إلى حميد بن ثور، وقد حقق العلامة المرصفى نسبتـهما إلى الطماح بن عامر (وانظر رغبة الآمل).

وأما قوله: «نَذُقْ بَرْدَ نَجْد»، فذاك لأن نَجْدًا مرتـفعةٌ وتهامةُ غَوْرٌ منخفض، فنَجْدٌ باردة.

ويروى عن الأَصْمعىّ أنه قال: هَجَمَ علىَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة. فخرجتُ إلى الطائف لأصُـومَ بها هَرَبًا من حَـرِّ مكة فلقـينى أعرابىّ فـقلت له: أين تريد؟ فقـال: أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشـهر المبارك فـيه. فقلت: أمـا تخاف الحرّ؟ فقال: من الحرِّ أفرّ.

وهذا الكلام نظير كلام الرَّبيع بن خُثَـيْم، فإن رجلا قال له ـ وقد صلّى ليلةً حتى أصبح ـ أتْعَبْتَ نفسك، فقال: راحتَها أطلبُ: إنَّ أَفْرَهَ العَبيد أكْيَسُهُمْ.

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّبِ ـ ونظر إليه رجل واقفًا بباب المنصور فى الشمس ـ فـقال: قد طال وُقوفك فى الشمس! فقال رَوْحٌ: لِيَطول وقوفى فى الظل.

ومثله من الشعر قوله: [قال أبو الحسن: هو عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ]:

تَقُولُ سُلَيْـمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا ... ولَم تَـدْر أَنِّـى لِلْمُـقَـامِ أُطَـوِّفُ

لعَلَّ الّذِى خَـوَّفْـتِـنَا مِنْ وَرَائِنَا ... سَـيُدْرِكُـهُ مِنْ بَعْـدِنَا المتَـخَلِّفُ

ويروى: «لَسَرَّنا».

وقال آخر:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّار مِنكمْ لتَقْرَبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الْدُّمُوعَ لتَجْمُدَا

وهذا معنى كثير حسن جميل.

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائىُّ:

أَآلِفَـةَ الـنَّحِـيبِ كَمِ افْـتِـرَاقٍ ... أَجَـدَّ فكَانَ دَاعِـيَـةَ اجْـتِـمَـاعِ

ولَيْـسَتْ فَـــرْحَـةُ الأَوْبَاتِ إلا ... لِموْقُـــوفٍ عَلَى تَـرَحِ الْوَدَاعِ

وقال رجل ـ واْعتَلَّ فى غُرْبَة فتَذكرَ أهله:

لَوْ أَنّ سَلْمَى أَبْصَـرَتْ تَخَـدُّدِى ... وَدِقَّـةً فى عَظْـمِ سَـاقِى وَيَدِى

وَبُعْـدَ أَهْلِـى وَجَـفَـاءَ عُـوَّدِى ... عَضَّتْ مِنَ الْوَجْـدِ بِأطْرَافِ اليَدِ

قوله: «أبصرت تخدُّدى»، يريد ما حَدَث فى جسمه من النُّحول، وأَصل الخَدّ ما شَقَقْتَهُ فى الأرض، قال الشَّمَّاخُ:

فَقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِمَاحِكُمْ بِطَامِسَةِ الأعْلامِ خَفَّاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ: قد تَخَدَّدَ، يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُهُ، وقال الله عزَّ وجل: ﴿قتل أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾[١]، وقيل فى التفسير: هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ فى الأرض، وأشعلوا فيها نِيرانًا فَحرَقوا بها المؤمنين.

وقوله:

* عَضَّتْ من الْوَجْدِ بأطراف اليد *

فإن الحَزين، والمغَيظ، والنادمَ، والمُتَأَسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعه جزَعًا، قال اللّٰه عز وجل: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾[٢].

وفى مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحم الشيخ، يقول القائل[٣]:

يَا مَنْ لِشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ أَفْنَى ثَلاثَ عَمَائِمٍ أَلْوَانَا[٤]

سَوْدَاءَ حَالِكَةً وَسَحْقَ مُفَوَّفٍ وَأَجَدَّ لَوْنًا بَعْدَ ذَاكَ هِجَانَا

صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ فُنُونِهِ فَأَرَاهُ مِنْهُ كَرَاهَةً وَهَوَانَا

قَصَرَ اللَّيَالِى خَطْوَهُ فَتَدَانَى وَحَنَوْنَ قَائِمَ صُلْبِهِ فَتَحَانَى

وَالمَوْتُ يَأْتِى بَعْدَ ذلِكَ كُلِّهِ وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا

قوله:

* أفنى ثلاثَ عمائم ألوانا *

---

(١) سورة البروج ٤.

(٢) سورة آل عمران ١١٩.

(٣) قوله فى زيادات ر:

ذهبَ الشبابُ فلا شبابَ جُمانا وكأن ما قد كان لم يك كانا

وطويت كفّى يا جمانُ على العصا وكفى جمانَ بطيها حدثانا

(٤) زيادات ر: «ألوانا: صفة لثلاث على المعنى، كأن قال: مختلفات».

يعنى أن شعره كان أسود ،ثم حَدَثَ فيه شيب مع السواد، فذلك قوله: مُفوف، والتَّفْويفُ: التنقيش، وإنما أخذ من الفوف، وهى النكتة البيضاء التى تَحْدُثُ فى أظفار الأحْداث، وسميت بذلك لشَبَهها بشجرة يقال لها الفُوفَةُ وجمعها فوفٌ، والسَّحْقُ: الخَلَقُ، يقال عنده: سَحْقُ ثوبٍ، وجَرْدُ ثَوْبٍ، وسَمْل ثوبٍ.

وقوله: أَجَدَّ أى استَجَدَّ لَونا، والهجان الأبيضُ، وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شَمِلَهُ الشيب.

بابـ

[من أمثال العربـ]

قال أبو العباس: من أمثال العرب: لم يَذْهَبْ من مالك ما وعَظَك.

يقول: إذا ذهب من مالـك شيء: فَحَذّرَكَ أن يَحُلَّ بك مِثْلُه، فـتأديبهُ إياكَ عوَضٌ من ذَهابه.

ومن أمثـالهم: رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثـا. وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العـمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والرَيْثُ الإبْطاءُ، وراثَ عليه أَمْرُهُ إذا تأخر.

ومن أمـثال العـرب: عَشِّ ولا تَغْـتَرَّ. وأصل ذلـك أن يَمُرَّ صـاحبُ الإبل بالأرض المكلئَة فيقول: أَدَعُ أَنْ أُعَـشىِّ إبلى منها حتى أرِدَ على أخرى، ولا يَدْرِى ما الذى يَرِدُ عليه.

وقريب منه قـولهم: « أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أَكيَسُ». وتأويله أن يـمُرَّ الرجل بالماء فلا يَحْمِلُ منه اتّكالا على ماءٍ آخر يصير إليه، فيقال له: أن تَحْمِلَ معكَ ماءً أَحْزَمُ لك، فإن أصبتَ ماء آخر لم يضرك، فإن لم تَحْمِلْ فَخففتَ من الماء عَطِبْتَ.

ومن أمثـالهم: «قد أحْزُمُ لو أعْزِمُ»، يقـول: أعْرِفُ وجه الحَزْم فـإن عزَمْت فأمضيتُ الرأى فأنا حازِمٌ، وإن تركت الصـواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعنى حَزْمى، ومثله قول النابغة الجَعْدى:

أَبَى لىَ الْـبَـلاءُ وَأَنى امْـرُؤٌ ... إذَا مَـا تَـبَـيَّنْتُ لَـمْ أَرْتَبِ

وقال أعرابى يمدح سوّارَ بن عبد الله:

وَأوْقَفُ عِنْدَ الأَمرِ مَا لمْ يَضِحْ لَهُ ... وَأَمْضَى إذَا مَا شَك مَنْ كانَ مَاضِيَا

فالذى يُحْمَد إمْـضاءُ ما تبين رُشْدُهُ، فأما الإقـدام على الغرَر وركوب الأمر على الخَطَرِ فليس بمحـمود عند ذوى الألبـاب، وقد يتَـحَسَّنُ بمثله الفـتّاك، كـما قال[1]:

عَلَيْكمْ بِدَارِى فَـاهْدِمُوهَا فَـإنَّهَا ... تُرَاثُ كَرِيمٍ لاَ يَخَـافُ الْعوَاقِـبَا

---

(١) زيادات ر: «هو سعد بن ناشب المازنى، عن الرياشى وغيره».

إذَا هَمَّ ٱلْفَى بَيْنَ عَـيْنَيْـهِ عَزْمَـهُ وأعرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَـوَاقِبِ جَانِبَا
ولَمْ يَسْتَشِرْ فِى رأْيِهِ غَـيْرَ نَفْسِهِ ولَم يَرْضَ إلاّ قَائم السَّيْفَ صَاحِبَا

فهذا شأن الفُتَّاك، وقال الآخر:

غُلاَمٌ إذا مَا هَمَّ بالفَتْكِ لَمْ يُبَلْ[1] ألاَ مَتْ قَلِيلاً أمْ كـثِيـرًا عَوَاذِلُهْ

وقال آخر:

وَما الْعَجزُ إلاَ أنْ تُشَاوِرَ عَاجِزًا وَمَا الْحَـزْمُ إلاَّ أنْ تَهُمّ فَتَفْـعَلاَ

فأما قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: مَنْ أكْثَرَ الفكْرَةَ فى العَواقب لم يَشْجُعْ، فتأويله أنه من فكَّرَ فى ظَفَرِ قِرْنه به، وعُلُوِّه عليه لم يُقْدِمْ وإنما كان الْحَزْم عند علىّ رضى الله عنه أن يَخْطُرَ أمر الدين ثم لا يُفَكّـرَ فى الموت. وقد قيل له: أتقتلُ أهل الشـام بالغداة، وتظهر بالعَشىِّ فى إزار ورداء؟ فـقال: أبالموتِ أُخَوَّفُ؟ والله ما أبالى أسَقَطْتُ على الموت، أم سَقَطَ الموتُ علَىّ.

وقال للحسن ابنه: لا تَبْـدأْ بدعاءٍ إلى مُبارَزَةٍ فإن دُعِيتَ إليـها فأجِب، فإن طالبها باغ، والباغى مَصْرُوع.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ فى كسـائه وينام ناحية المسجد، فلما وَرَدَ الْمَرْزُبانُ[2] عليه جعلوا يسألونه عنه. فيقـال: مَرَّ ههنا آنفًا، فَيَصْغُرُ فى قلب المرْزُبان إذا رآه كبعض السّوَق، حتى أنتهى إليه. وهو نائم فى ناحية المسجد، فقـال المَرْزُبان: هذا والله المُلْكُ الهنىء. يقول: لا يحـتاج إلى أحْـرَاسٍ ولا عدَد. فلما جـلس عمر امـتلأ قلبُ العِلجْ منه هَيْـبةً لما رأى عنده من الجِـدِّ والاجتـهاد، وأُلْبِسَ من هَيْبةِ التقوى.

[للكلبى وقد سأله خالد القسرى عن السؤدد]

وقال الكَلْبِىّ: قال لى خالد بن عبـد الله بن يزيد بن أسد بن كرْزِ القَسْرِىُّ: ما تَعُدُّون السُّؤْدَدَ؟ فـقلتُ: أما فى الجاهلية فالرِّياسة، وأمـا فى الإسلام فالولاية،

(١) أصله «يبالى»، حذفت الياء للجازم.
(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «المرزبان». والصواب الهرمزان، وكان صاحب تستر».

وَخيّــر من ذا وذاك التّقْوَى، فـقال لى: صَدَقْتَ، كـان أبى يقول: لم يُدْرك الأولُ الشّرَفَ إلا بالفـعل، ولا يدركه الآخرُ إلا بما أدركَ به الأولُ. قال: فـقلتُ: صدق أبوك، ساد الأحنْف بحلمه، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبـة العَشيرة له، وساد قُتَيْبَةُ بدَهائه، وساد المُهَلَّبُ بجـميع هذه الخِلال، فـقال لى: صدقتَ، كـان أبى يقول: خيـر الناسِ للناس خيرهم لنفسـه، وذلك أنه إذا كان كذلك اتَّقَى على نفـسه من السَّرَق لئـلا يُقْطَعَ، ومن القَتْل لئلا يُقـادَ، ومن الزنا لئلا يُحَـدَّ، فَسَلِم الناس منه باتقائه على نفسه.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرّجال، قال له عبـد الملك يومًـا: ما مالـكَ؟ فقال: شـيئـان لا عيْلَةَ عـلىَّ معهـما، الرضـا من الله، والغنى عن الناس. فلما نَهَضَ من بين يديه قيل له: هَلاَّ خَبَّرْتَه بمقدار مالكَ؟ فقال: لم يَعْدُ أن يكون قليلا فَيَحْقِرَنى، أو كثيرًا فيَحْسُدَنى.

وقال رسـول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعزّ الناسِ فليـتَّق ٱلله، ومن سَرَّهُ أن يكون أغْنَى الناسِ فليكُنْ بما فى يد ٱلله أوثَقَ منه بما فى يده، ومَنْ سَرّهُ أن يكون أقْوَى الناسِ فليتوكل على ٱلله».

وقال علىّ بن أبى طالب رضى ٱلله عنه: «مَنْ سَرَّهُ الغنى بلا مال، والعزُّ بلا سُلْطان، والكثرة بلا عَـشيرةٍ، فليَـخْرُجْ من ذُلِّ معصـية الله إلى عزِّ طاعتـه، فإنه واجد ذلك كله».

وخَطَب رسول ٱلله ﷺ ذاتَ يوم فَحمدَ ٱلله بماهو أهْلهُ ثم أقْبَلَ على الناس، فقال: «أيها الناس إن لكم مَعالِم فانْتهُوا إلى مَعالمِكم، وإن لكم نِهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مَخَافَتَيْن: أجَلٌ قد مضى لا يَدْرى ما ٱلله فاعلِ فيه، وأجَلٌ باق لا يَدرى ما ٱللهُ قاض فِيه، فَلْيَأخُذ العبـدُ من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشَّبيبة قبل الكِبر، ومن الحياة إلى الممات، فو الذى نفسُ محمد بِيَدِه، ما بعد الموت منَ مُسْتَعْتَب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنةُ أو النار».

وقال رسـول الله ﷺ: «أمرني ربي بتسع: الإخـلاصُ في السِّرِّ والعَـلانية، والعَدْلُ في الغَضب والرِّضـا، والقَصْدُ في الفقر والغنى، وأن أعـفُوَ عمَّن ظلمني، وأصِلَ من قَطَعَني، وأعْطِيَ مَنْ حَـرَمَني، وأن يكونَ نُطْقِي ذكـراً، وَصَـمْـتِي فِكْراً، ونَظَري عِبْرَةً».

وحُدِّثْتُ أنه الْتَـقَى حكيمان، فـقال أحدهما للآخَـر: إني لأحِبُّكَ في الله، فقـال له الآخر: لو علمتَ مني ما أعْلَمُـهُ من نفسي لأَبْغضتَني في الله، فـقال له صاحِبُه: لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَـمُهُ من نَفْسك، لكان لي فـيما أعْلَمُـه من نفسي شغل.

وكان مالكُ بن دِينار يقول: جاهدوا أهْوَاءَكُمْ كـما تجُاهدون أعْداءكم. وكان يقول: ما أَشَدَّ فطامَ الكبير!

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أيُّ الجِهادِ أفضل؟ فقال: جِهادُكَ هَوَاك.

وكان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوبَ، فإنها سريعة الدثور. واقْدَعُوا هذه الأنفُسَ فإنها طُلَعةٌ، وإنكم إلاَّ تَقْدَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شَرِّ غاية.

قوله: «حادثوا»، مَثَل، ومعناه: أجْلُوا واشْحَذوا، تقول العرب: حادَثَ فلانٌ سَيْفَهُ إذا جلاه وشحَذَهُ، وقال زَيْدُ الخَيل:

وَقَدْ عَلِمتْ سَـلاَمَةُ أَنَّ سَـيْفِي ... كَـرِيهٌ كلَّـمَـا دُعِـيَتْ نَزَالِ

أحـادِثُهُ بِصَـقْلٍ كُـل يَوْمٍ ... وَأَعْـجُـمُـهُ بِهَـامَـاتِ الرِّجَـالِ

قوله: «أعْـجُمُهُ بِهَـامَاتِ الرِّجَال»: أي أُعَـضُّهُ، يقال: عَـجَمَهُ إذا عَـضَّهُ. والدثور: الدُّروس، يقـال دَثَرَ الرَّبْعُ إذا مَحَّ(١)، ومعناه: تَعَهَّـدُوهَا بالفكر والذكر. وقوله: «فـإنها طُلَعَـةٌ»، يقول كـثيـرة التَّشَوُّفِ والتَّنَـزِّي إلى ما ليس لهـا، وأنشد الأَصْمعيُّ:

وَلاَ تَمَلَّيت(٢) مِنْ مَالٍ وَلاَ عُمرٍ ... إلاَّ بِمَا سرَّ(٣) نَفْسَ الحَاسِدِ الطُّلَعَةْ

---

(١) محت الدار: عفت ودرست، وفي س: «امحى».

(٢) كذا في الأصل، بكسر التاء. وفي ر: بفتح التاء، وفي الزيادات: «الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غ لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها».

(٣) ر، س. «ساء».

قال: ويقـال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجـهها لِتُرِىَ حُـسْنها ثم تُخْفِيـه لِتُوهِمَ الحَياءَ: خُبَأَةٌ طُلَعَة.

وكان عمـر بن عبد العَـزيز رحمه الله يقول: أيهـا الناس إنما خُلِقْتُمْ للأَبَد: ولكنكم تُنْقلون من دارٍ إلى دار. ويروى عن المَسِيح صلواتَ الله وسـلامه عليه أنه كان يقول: إن احتجتم إلى النَّاس فكلوا قَصْدًا وامْشوا جانبًا.

ولَمّا احْتضرَ قَيْسُ بن عاصمٍ قال لبنيه: يا بَنِىَّ، احفظوا عنى ثلاثًا، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منى إذا أنا متُّ فَسَوِّدوا كبارَكم، ولا تُسَوِّدوا صغارَكم، فيحقرَ الناسُ كبارَكم، وتَهونوا عليهم. وعَلَيْكُمْ بحفْظ المـالِ فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم، وإياكم والمَسْأَلةَ فإنها أخِرُ[1] كَسْبِ الرجل.

(١) ر: «أخر» بفتح الهـمزة وكسر الخاء. وفى الزيادات: بقـصر الهمزة لا غيـر، ومن رواه بالمد فقد أخطأ، ومعنى أخر أدنى.

باب

[لرجل من الأعراب يرثي رجلا منهم]

قال أبو العباس: أُنْشِدْتُ لرجل من الأعْراب يَرْثِى رجلا منهم:

فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَـدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ ... ولَكِنَّهُ لَمْ يَعْـدُ أَن طَرَّ شَارِبُهْ(١)

وَقَاكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ ... يُرَى مُـقْـتِرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَـانِبُـهْ

[لحسان يوصي امرأته]

وقال آخر لامرأته(٢):

فَـإِمَّـا هَلَـكْتُ فَـلاَ تَـنْكِحِى ... ظَلُوم الْعَـشِـيـرَةِ حَـسَّـادَهَا

يَرَى مَـجْـدَهُ ثَلْبَ أَعْـرَاضِـهَـا ... لَدَيْه، ويُـبْـغِـضُ مَنْ سَـادَهَا

[لصخر بن حبناء يعاتب أخاه]

وقال آخر:ـ [قال أبو الحسن: هو لِيَزِيدَ بن حَبْناءَ أو لصَخْرِ بن حَبْناء، يقول لأخيه]:

لَحَـا اللهُ أكْـبَـانَا زِنَادًا وَشَـرَّنَا ... وأَيْسَـرَنَا عَـنْ عِـرْضِ وَالِده ذَبَّا

رَأَيْتُكَ لَمَّـا نِلْتَ مَـالاً وَمَـسَّنَا ... زَمَـانٌ تُرَى فى حَدِّ أَنْيَـابِهِ شَـغْبَـا

جَـعَلْتَ لَنَا ذَنْبًـا لِـتَـمْنَعَ نَائِلاً ... فَأَمْسِكْ، ولاَ تَجْـعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

قولـه: «أكبانَـا زنادًا» الزِّنادُ التى تقْدَحُ بهـا النار، ويقال: أوْرَى الـقادحُ إذا خرجتْ له النـارُ، وأكْبَى إذا أَخْفَقَ منهـا: هذا أصله يُضْرَب للرجل الـذى يَنْبَعِثُ الخيرُ عن(٣) يديه، ويُضْرَبُ الإكباءُ للذى يمتنعُ الخيرُ على يديه، قال الأعشى:

وَزَنْدُكَ خَـيْـرُ زِنَادِ الْمُلُو ... كِ صَـادَفَ مِنْهُنَّ مَـرْخٌ عَفَـارا

وَلَوْ بِتَّ تَـقْـدَحُ فى ظُلْـمَـةٍ ... صَـفَـاةً بِنَـبْعٍ لأوْرَيْتَ نَارا(٤)

---

(١) طر شاربه: طلع ونبت.

(٢) زيادات ر: «حسان بن ثابت»، والبيتان فى ديوانه ١٣٩.

(٣) ر، س: «على يديه».

(٤) الصفاة: الصخرة الملساء. والنبع: شجر لانار له، يريد أنه موفق فى كل أمر.

والمَرخُ والعَفار: شجر تُسرِعُ فيه النار، ومن أمثالهم: «في كلّ شَجَرٍ نار، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعفار»، واستمْجَد: استكثَرَ، يقال: أمْجَدْتُه سبًّا وأمْجَدْتُه ذمًّا، إذا أكثرتَ من ذلك، ومن أمثالهم: «أرْخِ يديك واسْتَرْخِ، إنَّ الزّنادَ من مَرْخِ».

ويقال: رجل ذو شَغْبٍ إذا كان يَشْغَبُ على خصمه، ضربه مَثَلا للزمان الذى يَهِرُّ على أربابه، أى يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْب.

[لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا ... فكَشَّفَهُ التَمْحِيصُ حتَّى بَدَا لِيَا

أأنْتَ أخِي مَالَمْ تكُنْ لِيَ حَاجَةٌ ... فَإنْ عَرَضَتْ أيْقَنْتُ أَنْ لاَ أَخَا لِيَا!

فَلاَ زَادَ مَا بَيْنِي وبَيْنَكَ بَعْدَمَا ... بَلَوْتُكَ فى الحَاجَاتِ إلاَّ تَمَادِيَا

فَلسْتُ بَرَاءٍ عَيْبَ ذِى الْوُدّ كُلَّهُ ... ولاَ بَعْضَ مَا فِيهِ إذَا كنتُ رَاضِيَا

فَعَيْنُ الرّضَا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... ولَكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى المَسَاوِيا

كِلاَنَا غَنِىٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَه ... وَنَحْنُ إذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

قوله: «كان شيئًا ملففا»، يقول: كان أمرا مُغَطًّى. والتمحيص: الاختبار، يقال: أدخلتُ الذَّهَبَ فى النار فَمَحَّصْتُهُ، أى خرج عنه ما لم يكن منه، وخَلَصَ الذهبُ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾(١)، ويقال: مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه.

وقوله:

* أأنْتَ أخِي مَالَمْ تكُنْ لِيَ حَاجَةٌ *

تقرير وليس باستفهام، ولكنَّ معناه: أنى قد بَلَوْتُكَ تُظْهِرُ الإخاءَ فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئًا، وقال الله عزّ وجل: ﴿أأنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾(٢)، إنما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو جل وعزّ العالِمُ

(١) سورة آل عمران ١٤١.

(٢) سورة المائدة ١١٦.

بأنّ عيسى لم يَقُلْهُ. وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب «المُقْتَضَب» مُسْتَقْصًى، ونذكر منه جملةً فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

[لعلى بن أبى طالب فى الشجاع]

وقال علىّ بنِ أبى طالب رحمه الله: ثلاثةٌ لايُعْرَفونَ إلا فى ثلاث، لا يُعْرَفُ الشُّجاعُ إلا فى الحَرْبِ، ولا الحَليمُ إلا عند الغَضَبِ، ولا الصَّدِيقُ إلا عند الحاجة.

[لعبد الله بن معاوية يمدح]

وقال عبد الله بن معاوية[1] أيضًا:

أنَّى يكُونُ أخَا أوْ ذَا مُحَافَظَة ... مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِه مُسْتَشْعِرًا وَجلاَ

إذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ ... سُوءًا وتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلاَ

[لعبد الله بن الزبير الأسدى يمدح عمرو بن عثمان بن عفان]

وقال آخر[2]:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تراخَتْ مَنِيَّتِى ... أيَادِىَ لَمْ تُمْنَنْ وَإنْ هِىَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِه ... ولاَ مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِى مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مكَانُهَا ... فكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

[ما تمثل به على بن ابى طالب من الشعر حينما راى طلحة فى القتلى]

وتمثل علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى طَلْحَة بن عُبَيْد الله رحمه الله:

فَتًى كانَ يُدْنِيه الْغِنَى مِنْ صَدِيقِه

إذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ[3]

---

(١) زيادات ر. «ذكر دعبل فى أخبار الشعراء أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى».

(٢) نسب هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهانى إلى عبد الله بن الزبير الأسدى يقولها فى عمرو بن عثمان بن عفان حنما أتاه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا، فدعا وكيله، قال: اقترض لنا مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئا، قال: فأربحهم ما شاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف، ووجه بها إليه مع تخت ثيابه، فقال فيه الأبيات. (الأغانى ١٣: ٢٣).

(٣) من أبيات لسلمة بن يزيد الجعفى، أحد الصحابة، يقولها فى رثاء أخيه قيس بن زيد؛ وقبله.

ألم تعلمى أن لست ما عشت لاقيا ... أخى إذ أتى من دون أوصاله القبرُ

وهوّن وجدى أننى سوف أغتدى ... على إثره يومًا وإن نفس الأمر

(وانظر الإصابة ٣: ١٢).

فَتًى لاَ يَعُدُّ المَالَ رِبًا وَلاَ تُرَى
بهِ جَفْوَةٌ إنْ نَالَ مَالا وَلا كِبْرُ
فَتًى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فى الرَّوْعِ حَقَّهُ
إذَا ثَوَّبَ الدَّاعِى، وتَشْقَى بِهِ الجُزْرُ
وَهَوَّنَ وَجْدِى أنَّنِى سَوْفَ أغْتَدِى
عَلَى إثْرِهِ يَوْمًا وَإنْ نَفَّسَ الْعُمْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: بعضهم يقول هو للأُبَيْرِد الرِّياحيِّ، وبعد البيت الثالث:

فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ، إمَّا تَرَكْتَنَا حَمِيدًا وَأَوْدَى بَعْدَكَ المَجْدُ وَالْفَخْرُ]

[كلمة علي بن أبي طالب في طلحة حينما رآه مقتولا]

قال أبو العباس: وحدثنى التَّوَّزِىّ قال: حدثنى محمد بن عَبَّاد بن حَبِيب بن المُهَلَّب - أحْسبُهُ عن أبيه - قال: لما انقضى يوم الجَمَل خرج علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله فى ليلة ذلك اليوم: ومعه قنبَرُ بيده[1] مَشْعَلَةٌ من نار يتَصفَّح القَتْلَى حتى وقفْ على رجل - قال التَّوَّزِىُّ فقلتُ: أهو طَلْحةُ[2]؟ قال نعم - فلما وقف عليه قال: أعْزِزْ عَلَىَّ أبا محمد أنْ أراكَ مُعَفَّرًا تحت نجوم السماء وفى بطون الأوْدية! شفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى! إلى الله أشْكُو عُجَرِى وبُجَرِى!

قوله: «مُعَفَّرًا»، أى مُلْصَقَ الوجه بالتراب، ويقال للتراب: العفَر والعفْر يقال: ما مَشى عَلَى عَفْرِ التراب مِثْلُ فلان.

وقوله: «إلى الله أشكو عُجرى وبُجَرى»، يقول: ما أُسرُّ من أمرى. قال الأصمعىّ: هو[3] قولٌ سَائرٌ. فى أمثال العرب: «لَقِيَ فلانٌ فلانا فَأَبَثَّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَه».

---

(١) ر: «وفى يده».

(٢) أبو محمد كنية طلحة بن عبيد الله التميمى، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى رمى يوم الجمل سهم فى ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٦، (الإصابة ٣: ٢٩٠).

(٣) ر ، س: «وهو».

[مما قيل في الشباب والهرم]

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب(١):

تَدَارَكَ مَا قَبلَ الشَّبَابَ وَبَعْدَه ... حَوادِثُ أَيَّام تَمُرُّ وَأَغْفُلُ

يَسرُّ الْفتَى طُولُ السَّلاَمَةِ وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ يَرى طُول السَّلاَمَة يَفْعَلُ!

يردُّ الْفَتَى بَعْدَ اعتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر «البقاء» ضرورة، وللشاعر إذا اضْطُرَّ أن يَقْصُرَ الممدود، وليس له أن يَمُدَّ المقصور؛ وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاج حَذْفَها لأنها ألف زائدة، فإذا حَذَفَهَا رَدَّ الشيءَ إلى أصله، ولو مَدَّ المقصور لكان زائدا فى الشيءِ ما ليس منه، قال الشاعر ـ وهو يَزِيدُ بن عمرو بن الصَّعِق:

فَرَغْتُمْ لِتَمْرِين السِّيَاطِ وَأَنْتُمُ ... يُشَنُّ عَلَيْكمْ بِالْفِنَا كلُّ مَرْبَعِ(٢)

فقصر «الفِنَاءَ»، وهو ممدود. وقال الطِّرِمَّاح:

وَأَخْرَجَ أُمُّهُ لِسَوَاسِ سَلْمَى ... لِمَعْفورِ الضَّرا ضَرِمِ الجنين

قوله: «وأخْرَجَ»، يعنى رَمادًا، والأخْرَجُ الذى فى لونه سواد وبياض، يقال: نَعامة خَرجاءُ.

وقوله: «السواس سلمى»، فإنَّ أَجَأ وسَلْمَى جَبَلا طيئ، وسَوَاسُ سَلْمى: الموضع الذى بِحَضْرَةِ سَلْمَى، يقال: هذا من سُوس فُلانٍ ومن تُوس فلان: أى من طَبْعِه. وأمُّهُ: يعنى الشجرةَ التى هى أصله.

وقوله: «المعفور الضَّرَا»، فالضَّرَاءُ: ما واراك من شجرٍ خاصَّةً، والخَمَرُ ما واراك من شىء. والمعفور: يعنى ما سقط من النار من الزَّنْدِ.

---

(١) زيادات ر: «كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم إلا النمر بن تولب. عن ابن دريد، قال أبو حاتم. يقال: النمر، بفتح النون وتسكين الميم، ولا يقال: النمر، بفتح النون وكسر الميم».

(٢) قال المرصفى: «يهجو بنى أسد، وتمرين السياط: دلكها وتليينها بالدهان، يرميهم بأنهم أذلاء لا يصقلون السيوف ولا يشحذون الأسنة ولا يبرون النبال. وكل مربع: يريد فى كل موضع أقمتم فيه زمن الربيع».

وقوله «ضَرِم الجنين» يقـول مُشْتَعِلٌ، والجنين: مالم يَظْهَرْ بَعْـدُ، يقال لِلَقَبْرِ جَنَنٌ، والجَنِينُ: الذى فى بطن أمه، والمِجَنُّ: التُّـرْس لأنه يَستُرُ، والمجنون: المُغَطَّى العقل، وسُمِّى الجِنُّ جِنًّا لاختفائهم، وتُسَمَّى الدُّرُوعُ الجُنَنَ؛ لأنها تسـتر من كان فيها. وقَصَرَ «الضَّرَّاءَ» وهو ممدود، ومثل هذا كثير فى الشعر جداً.

وقوله: «ينوء إذا رام القيام»، يقـول: يَنْهَضُ فى تَثَاقُلٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾(1)، والمعنى أن العُصْبَـةَ تَنُوء بالمفاتح، ولشرح هذا موضع آخر.

وقال آخر(2):

* أَنُوءُ ثَلاَثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِى *

ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفَى بالسَّلامة داءً».

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلالىُّ:

أرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ	وَحَسْـبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلاَ يَلْبَثُ العَـصْـرَانِ يومٌ ولَيْلَةٌ	إِذَا طَلَبَـا أَنْ يُدْرِكا مَـا تَيَـمَّمَـا

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ:

أَلاَ حَىِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا	لَبِسْنَ الْبِلَى مِـمَّا لَبِسْنَ اللَّيَـالِيَا
إِذَا مَـا تَقَـاضَى المَرْءَ يومٌ ولَيْلَةٌ	تَقَاضَـاهُ شَىْءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِـيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية(3):

كَـانَتْ قَنَاتِى لاَ تَـلِينُ لِغَـامِـزٍ	فَـأَلاَنَهَـا الإِصْـبَاحُ وَالإِمْـسَـاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّى فى السَّلاَمَةِ جَاهِدًا	لِيُـصِـحَّنِى، فَإِذَا الـسَّلاَمَـةُ دَاءُ

---

(1) سورة القصص ٧٦

(2) زيادات ر: «لعمر بن قميئة». وقبله:

* على الراحتين مرة وعلى العصا *

(3) البيـتان فى زهر الآداب ٢٢٣، ونسبهـما إلى عمرو بن قـميئة، وهمـا فى العقد الفريـد ٣: ٥٨، وعيون الأخبار ٢: ٣٢٢، من غير عزو. ونسبهما المرصفى إلى عبد الرحمن بن سويد المرى.

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد:

فمَا أَوْهَى مِـرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِى ... ولَكِنْ مَـا تَقَـادَمَ مِنْ زَمَـانِى

ومن أمثـال العرب إذا طال عـمر الرجل أن يقـولوا: «لقد أَكلَ الدَّهْر عـليه وشَرِبَ»، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً، قال الجَعْدِىُّ:

* أكلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِم وَشَرِبْ[1] *

والعرب تقـول: نَهارُكَ صائم، وليلك قائم، أى أنت قـائم فى هذا وصائم فى ذاك، كما قال الله عزّ وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[2]، والمعنى والله أعلم: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار، وقالَ جرير:

لَقَدْ لُمتنَا يَا أَمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرَى ... ونِمْتِ، ومَـا ليلُ المَطِـىِّ بِنَائمِ

[للفرزدق يرثى ابنى مسمع]

وقال الفَرَزْدَق:

تُبَكِّى عَلَى المَنْتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

وتَـنْـهَى عَنِ ابْنَـى مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُما[3]!

غُلاَمَانِ شَبَّا فى الحُرُوبِ وأَدْرَكَا

كِـرَامَ المَسَـاعِـى قَبْـلَ وَصْـلِ لَحِـاهُـمَـا

وابنا مِسْمَع كَان قتَلَهـما معاوية بن يزيد بن المُهَلَّبِ مع عَدِىِّ بن أَرْطاةَ[4] لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع مِمَّن خالف على يزيد بن المهلَّب. والمَنْتُوف كان

(١) صدره كما فى زيادات ر:

* كم رأينا من أناس هلكوا *

(٢) سورة سبأ ٣٣.

(٣) تكى: تحمل الناس على البكاء

(٤) عدى بن أرطاة الفزارى، والى البصرة ليزيد بن عبد الملك، وكان يزيد أمره أن يتحرز من يزيد بن المهلب ويحبس أهله وبلغ ابن المهلب ذلك، فلحق بالبصرة، وتغلب عليها، ودعا إلى نفسه، وبلغ يزيد بن عبد الملك، وقد أخرج أهله من السجن، وأسر اثنين وثلاثين رجلا. منهم عدى بن أرطاة وابنه محمد وابنا مسمع وربيع بن زياد الأزدى، ومال بهم إلى واسط، فوجه إليه يزيد أخاه مسلمة بجيش كثيف، فخرج له ابن المهلب، واستخلف ابنه معاوية على الخزائن والأسرى، فلما بلغه قتل أبيه ضرب أعناق الأسرى جميعا غير ربيع بن زياد، وكان ذلك سنة ١٣٢، (وانظر رغبة الآمل).

مَوْلَى لبنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة. وابنا مَسْمَعٍ من بنى قَيْسِ بن ثعلبة، وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب، وفى ذلك يقول جرير:

وَالأَزْدُ قدْ جَعَلُوا المَنْتُوفَ قائِدَهُمْ فَقَتَّلَتْهُمْ جُنُودُ اللهِ وَانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق:

ولَوَ قُتِلاَ منْ جِذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لَكَانَ عَلَى النَّاعِى شَدِيداً بُكَاهُمَا[1]

ولَوْ كَان حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إذًا أوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا[2]

السَّنا: ضوء النار، وهو مقصور، قال الله عز وجل: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[3]. والسَّناء من الشرف، ممدود، قال حَسَّانُ بن ثابت:

وَإِنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنَ عَمْرٍو وَأَسْنَاهَا إذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

والبكاء يمد ويُقْصَرُ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصوات، ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْموم الأول إلا ممدودا، لأنه يكون على «فُعَال» وَقَلَّمَا يكون المصدر على «فُعَلٍ»، وقد جاءَ فى حروف: نحو: الهُدَى والسُّرَى وما أشبهه، وهو يسير، فأما الممدود فنحو: العُوَاء، والدُّعاء، والرُّغَاء، والثُّغاء، فكذلك البُكاءُ، ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ، ومن قَصَرَ فإنما جعل البكاء كالحُزْن، وقد قال حَسَّانٌ، فَقَصَرَ وَمَدَّ:

بكَتْ عَيْنِى وَحُقَّ لَهَا بُكاهَا وَمَا يُغْنِى البُكاءُ وَلا العَوِيلُ!

فقصر ومدَّ.

[لجرير يرثى ابنه سوادة]

وقال جرير:

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ العَزَاءُ وَقَدْ فارَقْتُ أَشْبَالِي![4]

---

(١) الجذم: الأصل، قال المرصفى: «هذه رواية منكرة؛ لأنها تنفى نسبهما عن بكر بن وائل، وورواية دوانه:
ولو أصبحا من غير بكر بن وائل لكان على الجانى تقبل دماهما

(٢) مالك أبو مسمع وابن مالك هو مسمع بن مالك بى مسمع بن شيبان بن شهاب البكرى.

(٣) سورة النور ٤٣.

(٤) زيادات ر: «نصيبك» بالنصب لا غير؛ لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره احفظ نصيبك، أو احرز نصيبك».

هذَا سَـوادَةُ يَجْلُو مُـقْلَتَـىْ لَحِمٍ   بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْقَبِ الْعَالِي
فارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى   وَحِينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالى

وقوله: «يجلو مـقلتى لَحِم»، شبَّـهَ مُقْلَتَيْـه بِمقْلَتَى البـازى، ويقال: «طائر لَحِم» من هذا. وقوله: «يُصرصر» يعنى يصوّت، يقـال: صرصر البازى والصَّقْرُ، وما كان مِنْ سِباع الطير، ويقال: صَرْصَرَ العُصْفورُ: وأَحْسِبُهُ مستعارًا؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير، قال جرير:

* بَازٍ يُصَرْصِرُ بِالسَّهْبى قَطًا جُونَا(۱) *

وقال آخر:

* كَمَا صَرْصَرَ الْعُصْفُورُ فى الرُّطَبِ الثَّعْدِ(۲) *

وأنشدنى عُمـارةُ: «باز يُصَعْصِعُ» وهو أصح ـ [قال أبو الحسن: «يُصَعْصِعُ» وهو الصواب، ولكن هكذا وقع فى كتابه. ويُصَرْصِر لا يَتَعَدَّى] ـ.

قال أبو العباس: وقوله: «كعظم الرِّمَّة» فهى البالية الذاهبة، والرَّمِيمُ: مشتق من الرِّمة، وإنما هو فعيلٌ وفِعْلَةٌ، وليس بجمع له واحد.

ومما كَفَّرَتْ به الفقهاءُ الحَجَّـاجَ بن يوسف قولهُ، والناس يَطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنْبَرِه ـ وإن شئت قلت: «يُطيفـون»، قال أبو زيد: تقول العرب: طُفْتُ وأَطَفْتُ به، ودُرْتُ وأَدَرْتُ به، ويقال: حَدَق وأَحْدَقَ، قال الأَخْطَلُ:

الْمُنْعِمُون بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ   بِىَ الْمَنِيَّـة واسْتَـبْطَأْتُ أَنْصَـارى

إنما يَطوفونَ بأعْوادٍ ورِمَّة.

ومن أمثال العرب: «لَوْلاَ أن تُضَيِّعَ الفتْيانُ الْذِّمَّة، لَخَبَّرتُها بما تَجِدُ الإبلُ فى الرِّمَّة»: يقول: لولا أن تَدَعَ الأحْدَاثُ التَّمَسُّكَ بالوفـاء، والرِّعاية للحُرْمة لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالى، وهو أقلّ الأشياء فَتجدُ له لَذة.

---

(۱) بصف الإبل وهى تسير فى الفلوات، والسُّهبى: موضع فى بنى تميم. وقبله:
* كأنَّ حاديَها لمّا أضرَّ بها *
(۲) الثعد: وواحدته ثعدة، وهو ما لان من البسر وأرطب

ومثل بيت جَرِيرٍ الأخير قول أبى الشَّغْبِ يرثى ابنه شَغْبًا:

قَـدْ كَانَ شَـغْبٌ لَوَ أَنَّ اللهَ عَمَّـرَهُ ... عِـزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِـزِّهَا مُـضَـرُ

لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَـبْلَ مَصْرَعِهِ ... دَكًّـا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَـارِهَا حَجَـرُ

فَارَقتُ شَغْبًا وَقَـدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ ... بِئْسَ الْحَلِيفَانِ: طُولُ الْحُزْنِ وَالْكِبَرُ

قوله: «قوَّست» يقول: انْحَنَيْتُ كالقوس، قال امْرُؤُ القَيْس:

أَرَاهُنَّ لا يُحْـبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَـالُهُ ... وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وَقَوَّسَا

[لسليمان بن قتة يرثى الحسين بن على]

وقال سليمان بن قَتَّةَ يرثى الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام:

مَـرَرْتُ عَلَى أَبْيَاتِ آلِ مُـحَمَّـدٍ ... فَلَمْ أَرَهَا كَـعَـهْـدِهَـا يَومَ حُلَّتِ

فَـلاَ يُبْـعِـدِ اللهُ الـدِّيَارَ وَأَهْلَهَـا ... وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

وَكَـانُوا رَجَـاءً ثُمَّ صَـارُوا رَزِيَّةً ... فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ(1)

وَإِنَّ قَـتِيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... أَذَلَّ رِقَـابَ الْمُسْلِمِـينَ فَـذَلَّتِ(2)

وَعِنْـدَ غَنِيٍّ قَطْـرَةٌ مِنْ دِمَـائِـنَا ... سَنَجْزِيهِمُ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ(3)

إِذَا افْتَقَـرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَـقِيرَهَا ... وَتَقْـتُلُـنَا قَـيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قَتَّة(4) رجل من بنى تَيْم بن مُـرَّة بن كَـعْب بن لؤَىّ، وكـان منقطعًا إلى بنى الهاشمِ.

[للفرزدق يرثى ابنيه]

وقال الفَرَزْدَقُ يرثى ابْنَيه:

بِفِي الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسَّنِى ... رَزِيَّةُ شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّرَاغِمِ(5)

وَمَـا أَحَـدٌ كَـانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ ... ـ وَلَوْ عَـاشَ أَيَّامًا طوَالا ـ بِسَـالِمِ

(١) جاء هذا البيت فى ر ، س بعد البيت الذى يليه

(٢) الطف. موضع قريب من الكوفه، قتل فيه الحسن عليه السلام

(٣) غنى. قبيلة فى قيس.

(٤) هو سليمان بن قتة المحاربى التابعى، وقتة أمه.

(٥) المخدر فى الأصل. الأسد الذى يلزم خدره، وهو هنا كناية عن نفسه

أَرَى كُلَّ حَىٍّ مَـا تَـزَالُ طَلِيـعَـةً ... عَلَيْـهِ الْمَنَايَا مِنْ ثَـنَايَا الْمَـخَـارِمِ

يُذكِـرُنِى ابنَىَّ الـسِّـمَـاكَـانِ مَـوْهِنًا ... إِذَا ارْتَفَعَـا فَوْقَ النُّجُـومِ الْعَوَاتِمِ[1]

وَقَـد رُزِئَ الأَقْـوَامُ قَـبْلِى بَنِـيـهِمُ ... وَإِخْـوَانَهُمْ، فَـاقْنَىْ حَـيَـاءَ الْكَرَائِمِ

وَمَـاتَ أَبِى وَالْمُنْـذِرَانِ كِـلاَهُـمَـا ... وَعَـمْرُو بْنُ كُلْثُـومٍ شِهَـابُ الأَرَاقِمِ

وَقَدْ كَـانَ مَاتَ الأَقْـرَعَانِ وَحَـاجِبٌ ... وَعَمْرٌو أَبُو عَمْرٍو، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ

وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْـنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَمَـاتَ أَبُو غَـسَّـانَ شَـيْخُ اللَّهَـازِمِ

وَقَـدْ مَـاتَ خَيْـرَاهُمْ فَلَـمْ يُهْلِكَاهُمُ ... عَـشِـيَّـةَ بَانَا رَهْـطُ كَـعْبٍ وَحَـاتِمِ

فَمَا ابْنَاكِ إِلاَّ مِنْ بَنِى النَّاسِ فَاصْبِرِى ... فَـلَنْ يَـرْجِعَ الْمَـوْتَى حَـنِيـنُ الْمَآتِـمِ

قال: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد: «خَنِينُ المآتم» بالخاء معجمة[2].

قوله: «مـا تزال طليعة» يريـد طالعةً، والثَّنايا جمع ثَنِيَّـةٍ، وهى الطَّرِيقُ فى الجبل، ومن ذلك[3]:

أَنَا ابْـنُ جَـلاَ وَطَلاَّعُ الثَّـنَـايَا ... مَـتَى أَضَعِ الْعِمَـامَـةَ تَعْرِفُـونِى

والمَخارِمُ: جمع مَخرِمٍ، وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل.

وقوله: «فوق النجوم العَوَاتِمِ»، يعنى المتأخرة، يقال: فلان يأتينا ولا يُعتِّم: أى لا يتأخـر، وعَتَمَـةٌ اسم للوقت، فلذلك سميت الـصلاةُ بذلك الوقتِ، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها، تقول: صلاة الغَداة، وصلاةُ الظهرِ، وصلاةُ العصرِ، وأما قـولك: الصـلاةُ الأولى، فالأولـى نـعـت لـها إذ كانت أوَّلَ مـا صُلِّىَ، وقيل أوَّل ما أظهِرَ.

وقوله: «فاقْـنَىْ حَياءَ الكرائم»، يقول: فـالْزَمِى، وأصل القِنْيَةِ المالُ اللازمُ، يـقال: اقْتَنَى فلانٌ مالاً إذا اتَّخَذَ أصل مالٍ، وقيـل فى قـول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ

(١) السماكان. كوكبان، أحدهما الرامح، والثانى الأعزل والموهن: نصف الليل.

(٢) زيادات ر «الخنين»، بالخاء صوت من الخيشوم

(٣) زيادات ر هذا الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى»

هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾(١)، أى جَعَلَ لهم أصل مال، وأنشد أبو عبيدة(٢):

لَوْ كَـانَ للدَّهْرِ عِـزٌّ يَطْمَـئِنُّ به لكَانَ للدَّهْرِ صَخْرُ مَالَ قُنْيَان(٣)

والكَرائم: جـمع كَـرِيمـة، والاسم من «فعـيلة» والنعـتُ يجمـعـان على «فَعائـلَ»، فالاسم نحو: صَحِـيفةٍ وصحـائفَ، وسَفينة وسَفـائن، والنعت نحو: عَقيلة وعَقائل، وكَريمةٍ وكَرَائم.

وقوله: «ومـات أبى» يريد التأسىَ بالأشراف، وأبو غـالب بن صَعْصَـعَةَ بن ناجية بن عقال بن محمد بن سُفْيان بن مجاشع، وكان أبوه شريفا، وأجداده. إلى حيث انْتَـهَوْا، ولكل واحد منهم قـصة يطول الكتاب بـذكرها والمُنْذران: المنذر بن المُنْذرُ بن ماء السَّماء اللَّخْمىُّ، يريد الابن والأب،وعـمرو بن كلثوم التَّغْلَبىُّ، قاتل عمرو بن هند، وكان أحَدَ أشراف العرب وفتَّاكِهِمْ وشعرائهم، والأراقمُ: قبيلة من بنى تَغْلِبَ، ابنة وائل، من بنى جُشَمَ بن بكْرٍ، وزعم أهـل العلم، أنهم إنما سُمُّوا الأراقم؛ لأن عُيـونهم شُبِّـهَتْ بعيـون الحَيَّات، والأراقم: واحـدها أرْقَم، فكانوا معروفين بهذا، وقال الفرزدق يَرُدُّ على جَرير فى هجائه له وللأخْطَل:

إنّ الأرَاقِمَ لَنْ يَنالَ قَـديمَـهَـا كَلْبُ عَـوَى مُـتَـهـتِّمُ الأَسْنانِ

وجعله شِهابًا لهم لنوره وبَهائه وضِيائه، تقول العرب: إنما فلان نَجْم أهلهِ، وكذلك قالت الخَنْساء:

* كَأنَّهُ عَلَمٌ فى رأْسِه نَار *

والأقْرعان: الأقْرَعُ بن حابس، وابنه الأقْرَعُ من بنى مجاشع بن دارمٍ، وكان الأقْرَعُ فى صدر الإسلام سَيِّدَ خنْدفَ(٤)، وكان مَحَلُّهُ فيهـا محلَّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ فى قَيْسٍ. وحاجبُ بن زُرارَةَ بن عُدَسَ سَيِّدُ بنى تَميم فى الجاهلية غير مُدافَعٍ.

---

(١) سورة النجم ٤٨

(٢) زيادات ر: «الشعر لأبى المثلم الهذلى يرثى صخرا».

(٣) رواية دوان الهذليين ٢٣٨.٢:

* لو كان للدهر مالٌ عند متلده *

(٤) حندف: قبيلة سميت باسم لبلى بنت حلوان، وكانت زوجا لإلياس بن مضر.

وعمـرو أبو عمرو، يريد عـمرو بن عُدَسَ، وكان شـريفا، وكان ابنه عـمرو شريفًا، قتل يوم جَبَلَةَ(١)، قتلته بنو عـامر بن صَعْصَعَـة، وقتلوا لَقيطَ بن زُرارَةَ ـ وكان الذى ولِىَ قـتله عمـارة الوَهَّاب العَبْسىّ، وينسب إلى بنى عامـر؛ لأن بنى عَبْسٍ كانوا فـيهم معْ قَيَسْ بن زُهَيْر، وعُمـارةُ هذا كان يقال له: «دالقٌ»(٢)، وقتله شرْحافٌ الضبِّىُّ، ولذلك يقول الفرزدق:

وَهُنّ بِشِـرْحَـافٍ تَدَارَكْنَ دَالِقًـا عُمَارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ

وزعم أبو عبـيدة أن فـاطمة بنت الْخُـرْشُبِ الأنمارِيَّةَ أَرِيَتْ فى منامهـا قائلا يقول: أعشرة هدَرةٌ أحَبُّ إليكِ أمْ ثلاثةٌ كعشرة ـ [هدرة بالدال غـير معجمة، قال أبو الحسن: هم السُّقَّاط من الناس] ـ فلم تقل شيئًـا، فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيـئًا، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجـها فقال: إن عـاد لك الثالثة فـقولى: ثلاثة كعشرة ـ وزَوْجُها زياد بن عبد الله بن ناشب العَبْسىّ ـ، فلما عاد لها قالت: ثلاثة كعـشرة، فـولدتهم كلَّهم غـايَةً، ولَدَتْ رَبيعَ الْحفَّـاظ، وعُمـارةَ الوَهَّاب، وأنَسَ الفوَارِس، وهى إحدى المُنْجِباتِ من العرب ـ

وأَسَرُوا حاجِـبًا، فذلك حيث يقول جـرير يعير الفرزدق ويُعْلِمُهُ فـخر قَيْسٍ عليه:

تُحَضّضُ يَا بْنَ الْقَيْنِ قَيْسًا ليـجْعَلوا لِقَـوْمِـكَ يَوْمًـا مِـثْـل يَوْمِ الأرَاقِمِ
كَـأنَكَ لَمْ تَشْـهَدْ لَقِـيطًا وَحـاجِبًـا وَعَمْرَو بْنَ عَمرو إذْ دَعَوْا يالدارِمِ دَارِمِ!
ولَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا وَشَدَّاتِ قَـيسٍ يومَ دَيْرِ الجَـمَـاجِمِ

الجوْنَان: مـعاويةُ وحَسَّانُ ابنا الجَـوْنِ الكنْديَّان، أُسرا فى ذلك اليوم، فَـقُتِلَ حسان، وفُودِىَ معاويةُ بسبب يطول ذكره. والشِّعْبُ: شِعْبُ جَبَلة.

وقوله:

* وشدّات قيس يوم دَيْر الجَماجِمِ *

---

(١) جبلة: موضع فى نجد، ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها لعامر وحلفائهم من بنى عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد.

(٢) سمى بذلك لكثرة غاراته، من دلق الغارة على عدوه إذا شنها عليه.

هذا فى الإسلام، يعنى وَقْعةَ الحجَّاجِ بن يوسف بن الحكَمِ بن أبى عَقيلٍ الثَّقَفىِّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعث بن قيس بن مَعْدى كَرِبَ الكِنْدِىِّ بدَيْرِ الجَماجِم.

قوله(١):

* وقد مات بِسْطام بن قيس بن خالد *

يعنى الشَّيْبانِىّ، وهو فارس بكْر بن وائل وابن سيدها، وقتِل بالحَسنِ(٢) - وهو جَبَلٌ - قتله عاصم بن خَليفة الضَّبِّىُّ، وكان عاصمُ بن خليفة أسلم فى أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصمُ بن خليفة الضبىّ: قاتِلُ بِسْطامِ بن قَيْسٍ بالباب - [قال أبو الحسن: الوجه عندى فى «بسطام» ألا ينصرف لأنه أعجمى] - وكان سببُ قتله إياه أن بِسْطامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ، وكان معه حازٍ يحزو له - [قال أبوالحسن: «حازٍ» بالزاى أى زاجرٌ] -، فقال له بِسْطامٌ: إنى سمعت قائلا يقول:

* اَلدَّلْوُ تَأْتِى الْغَرَبَ المزَلَّهْ(٣) *

فقال الحازى: فَهَلاَّ قُلْتَ:

* ثمَّ تَعُودُ بَادِنًا مُبْتَلَّهْ(٤) *

قال: ما قلت، فاكْتَسَحَ إبِلَهُمْ، فَتنادَوْا واتَّبَعوهُ، ونظرت أم عاصم إليه، وهو يَقَعُ حديدة له - أى يَحُدُّها، والْمِيقَعةُ: المِطْرَقةُ - فقالت له: ما تَصْنَعُ بهذه؟ - وكان عاصم مضعوفًا(٥) -، فقال [لها](٦): أَقتل بها بِسْطامَ بن قيسٍ، فَنَهَرَتْهُ، وقالت: استُ أُمِّكَ أَضيَقُ من ذلك! فنظر إلى فَرَسٍ لِعَمِّه مُوثقةً إلى شجرة

---

(١) رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص ٢٠٤.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية، بالحسن، وهو حبل بالجيم، والصواب حبل بالحاء. قال ابن سراج رحمه الله تعالى. الحسن والحسين: حبلا رمل».

(٣) الغرب هنا: الماء الذى يسيل من الدلو. والمزلة: موضع الزلل.

(٤) البادن فى الأصل: الضخم البدن، يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء.

(٥) ر «منقوصا»

(٦) تكملة من ر.

فاعْرَوْراها ـ أى ركبها عُرْيًا ـ ثم أقبل بها الريحَ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لَحقتْهُ، فجعل يَطْعُنُ الإبل فى أعجازها، فصاحت به بنو ضَبَّةَ: يابسطام، ما هذا السَّفَهُ! دَعْها، إمَّا لنا وإمَّا لك، وانْحطَّ عليه عاصمٌ، فطعَنَهُ فرمى به على الألاءة ـ وهى شجرة ليست بعظيمة، وكاَن بسطام نَصْرانيًّا، وكاَن مَقْتَلُهُ بعد مَبعَث النبى ﷺ ـ فأراد أخوه الرجوع إلى القوم، فصاح به بسطامٌ: أنا حَنيفٌ إن رَجَعتَ، ففى ذلك يقول ابن عَنَمة الضَّبِّىُّ ـ وكاَن فى بنى شيبان:

فَخَرَّ عَلَى الألاَءَةِ لَمْ يُوسَّدِ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

ولما قُتِلَ بسطام لم يَبْقَ فى بكْرِ بن وائلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ (أى هُدِم).

وقوله:

* ومات أبو غَسَّان شيخ اللَّهازم *

يعنى مالك بن مِسْمَع بن شَيْبان بن شِهاب، أَحَدَ بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وإليه تُنْسَبُ المِسَامعة. وكاَن سيد بكْرِ بن وائلٍ فى الإسلام، وهو الذى قال لعُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان، أحد بنى تيم اللَّاتِ بنِ ثَعْلَبَةَ ـ وكاَن حين حَدَث أمر مسعود بن عمرو المَعْنِىِّ من الأزْد فلم يُعْلمْهُ به، فقال له عبيد الله ـ وهو أحد فُتَّاك العرب، وهو قاتل مُصْعَبِ بن الزبير ـ: أيكونُ مثل هذا الْحَدَث ولا تُعْلمُنى به! لَهَمَمْتُ أن أُضرِم دارك عليك ناراً ـ فقال له مالك: اُسكتْ أبا مَطَر، فواللهِ إن فى كنانتى سَهْمًا أنا أَوْثَقُ به منى بكَ، فقال له عبيد الله: أَوَ أنا فى كنانَتِكَ؟ فو الله لو قمت فيها لطُلْتُها، ولو قعدتُ فيها لَخرَقْتُها، فقال له مالك ـ وأعجبه ما سُمِع منه ـ: أَكْثَرَ اللهُ فى العشيرة مِثْلَكَ! قال: لقد سألتَ ربَّك شَطَطًا!

وفى مالك بن مِسْمَع يقال:

إذَا ما خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا

قوله: «وقد مات خيراهم»، تثنية كقولك: مات أَحْمَرَاهُمْ، ولم يَخْرُجْ مَخْرَجَ النعت، ألا تَرَى أنك تقول: هذا أَحْمَرُ القوم إذا أردتَ: هذا الأَحْمَر الذى للقوم، فإذا أردتَ الذى يفضُلُهُمْ فى باب الحمرة قلتَ: هذا أَشَدُّهُمْ حمرةً، ولم

تقل: هذا أحمرهُم، وكذلك خيراهم، وإنما أردتَ هذا خيرُهم ثم ثَنَّيْتَ، أى هذا الخير الذى هو فيهم.

وقوله: «عَشِيَّةَ بانا»، مردود على قوله: «خيراهم».

وقوله: «رَهْطِ كعب وحاتم»، إنما خفضتَ «رهطا» لأنه بدل من «هم» التى أَضَفْتَ إليها «الخيرين»، والتقدير: وقد مات خَيْرَا رهط كعبٍ وحاتِم، فلم يُهْلكاهم عشيةَ بانا.

فأما كَعْبٌ، فهو كعب بن مَامَةَ الإيادىُّ، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثَرَ على نفسه، وكان مسافرًا ورفيقُهُ رجل من النَّمِرِ بن قاسط فَقَلَّ عليهما الماءُ فَتَصَافناهُ - والتَّصافُنُ: أن يُطْرَحَ فى الإناء حَجَرٌ[1] ثم يُصَبُّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئلا يتغابنوا: وكذلك كل شىء وُقفَ عَلَى كَيْلِه أو وزْنه، والأصل ما ذكرنا - فجعل النَّمَرِىُّ يشرب نصيبه، فإذا أَخَذَ كعبٌ نصيبه قال: اسْقِ أخاك النَّمَرِىَّ، فَيُؤْثِرُهُ حتى جُهِدَ كعبٌ، ورُفعتْ له أعلام الماء، فقيل له: رِدْ كَعْبُ ولا وُرودَ به، فمات عَطَشًا، ففى ذلك يقول أبو دُؤاد الإيادىُّ:

أَوْفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: ... رِدْ كَعْبُ إنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا

فَضُرِبَ به المَثَلُ، فقال جَرير فى كَلمَتِه التى مَدَحَ فيها عُمَرَ بن عبد العَزيز:

يَعُودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ ... وَتَفْرُجُ عَنْهُمُ الْكُرَبَ الشِّدَادَا

وَقَدْ أَمَّنْتَ وَحْشَهُمُ بِرِفْقٍ ... وَيُعْيِى النَّاسَ وَحْشُكَ أَنْ تُصَادَا

وَتَبْنِى المَجْدَ يَا عُمَرُ بْنَ لَيْلَى ... وَتَكْفِى المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمَادَا

وَتَدعُو اللهَ مُجتَهِدًا لِيَرْضَى ... وَتَذْكُرُ فى رَعِيَّتِكَ المَعَادَا

وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى ... بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرَ الجَوَادَا

تَعَوَّدْ صَالحَ الأَخْلاقِ إِنِّى ... رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ مَا اسْتَعَادَا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه.

---

(١) زيادات ر: «هذا الحجر الذى يقسم به الماء، يقال له المقلة، بفتح الميم».

وأما ابن سُعْدَى، فـهو أَوْسُ بن حارِثَةَ بن لأم الطائىُّ، وكان سيـدًا مُقَدَّمًا، فَوَفَدَ هو وحاتمُ بن عبـد الله الطائىُّ على عَمْرو بن هند، وأبوه المُنْذر بن المنذر بن ماء السمـاء، فدعا أَوْسًا فـقال له: أأنت أفضلُ أم حاتمٌ؟ فـقال: أَبَيْتَ الَّلعْنَ! لو ملكنى حاتم وولدى ولُحْمَتِى لوَهَبَنا فى غَداة واحدة. ثُمَّ دعا حاتمًا فقال له: أنت أفضلُ أم أوْسٌ؟ فقال: أَبَيْتَ اللعن! إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ، ولأحَدُ ولَدِه أفضلُ منى.

وكان النُّعْـمانُ بن المُنْذر دعا بحُلَّـة وعنده وُفُودُ العرب من كلِّ حَىٍّ فـقال: احْضُروا فى غَد، فإنى مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أَكْرَمَكُمْ، فحـضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيرى فأَجْمَلُ الأشياء ألا أكون حاضرًا، وإن كنت أنا المراد فَسأُطْلَبُ ويُعْـرَفُ مكانى. فلما جلس النـعمان لم يـر أوسًا، فقال: اذهبـوا إلى أوس فقولوا له: احْضُـرْ آمنًا مما خِفْتَ، فَحضَـر فَأُلبِسَ الحُلَةَ، فحسـده قوم من أهله، فقالوا للحُطَيْئة: اهْـجه ولك ثلثمائة ناقة، فقـال الحطيئة: كيفَ أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثًا ولا مالا إلا من عنده!

ثم قال:

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صالِحَةٌ ... مِنْ آلِ لأمٍ بَظَهْرِ الْغَـيْبِ تَأْتِينِى

فقـال لهم بِشْرُ بن أبى خازم، أحـدُ بنى أسَد بن خُزَيْمـة: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل وفعل، فأغـار أوس على الإبل فاكْتَسَحَها، فجعل لا يستـجير حَيًّا إلا قال: قد أجَرْتُكَ إلا من أوس. وكان فى هجائـه إياه قد ذكر أُمهُ، فأُتِىَ به، فدَخَل أَوْسٌ على أمِّهَ فقال: قد أُتينا بِبشْرٍ الهاجى لك ولى، فما تَرَيْنَ فيه؟ فقالت له: أوَ تُطيعُنى فيه؟ قال: نعم، قالت: أرى أن تَرُدَّ عليه مالهَ، وتَعْفُوَ عنه وتَحْبُوه، وأفعلُ مثل ذلك، فإنه لا يَغْسِلُ هجاءَهُ إلا مَدْحُهُ.

فخرج إليـه فقال: إن أمى سُعْـدَى التى كنتَ تهجوها قد أمـرتْ فيك بكذا وكذا، فقال: لا جَرَمَ والله! لامَدَحْتُ أحدًا حتى أموتَ غَيْرَك. ففيه يقول:

إلَى أَوْسِ بْنَ حَـــارِثَةَ بْن لأمٍ ... لِيَقْضِىَ حَاجَتِى فِيمَـنْ قَضَاهَا

وَمَا وَطِئَ الثَّرَىَ مِثْلُ ابْن سُعْدَى ... وَلا لَبِسَ النِّعَـالَ وَلاَ احتَـذَاهَا

وأمـا حاتمٌ الذى ذكـره الفَرَزْدَقُ، فـهـو حاتم بن عـبد الله الطائىُّ، جَـوَادُ العرب، وقد كَـان الفرزدق صافَنَ رجلاً من بنى العَنْبـر بن عمرو بن تميم إداوة[1] فى وقت، فرامَهُ الْعَنْبَرِىُّ وسامه أن يُؤْثِـرهُ ـ وكانَ الفرزدق جَوادًا ـ فلم تَطِبْ نفسُه عن نفسه، فقال الفرزدق:

قَلَمَّـا تَصَـافَنَّا الإِدَاوَةَ أَجْـهَـشَتْ إِلَىَّ غُضُـونُ الْعَنْبرِىِّ الْـجُرَاضِمِ
فَـجَـاءَ بِجُلْمُـود لَهُ مِـثْلِ رَأْسِـه لِيَشْرَبَ مَـاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ ضَنَّت بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

أمّا قوله: «أَجْهَـشَتْ» فهو التَّسَرُّعُ، وما تراه فى فَـحْواه من مُقاربة الشىء، يـقـال: أجْـهَشَ بالبكاء. والغُـضـون: التكسّـر فى الجلد، والجُـراضم: الأحمـر المتـلئ.

وقوله:

* ليشرب ماء القوم بين الصرائم *

فـهى جمع صَـريمـة: وهى الرملة التى تنقطع من مُـعْظَمِ الرمل، وقـوله: «صَريمةٌ» يريد مصرمة، والصَّرْمُ: القطع، وأنشد الأصْمَعىُّ:

فَـبَاتَ يَقُـولُ أَصْبِحْ لَيْلُ حَـتَّى تَجَلَّى عَنْ صَـرِيمَـتِـهَ الظَّلاَمُ

يعنـى ثَـوراً، وصَريـمتـه: رَمْلتـه التى هـو فيها، وقال المفـسرون فى قوله عـز وجل: ﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيم﴾[2] قولين، قـال قوم: كاللـيل المُظْلِم، وقال قوم: كالنـهار المضىء، أى بيضاء لا شىء فـيها، فهو من الأضـداد، ويقال: لَكَ سَوادُ الأرض وبياضُهـا، أى عامرها وغامرُها، فهذا ما يُحْـتَجُّ به لأصحاب القول الأخـير، ويحـتج لأصحـاب القول الأوّل فـى السواد بقـول الله تبارك وتعـالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[3]، وإنما سُمِّىَ السـواد سوادًا لعمَارتِهِ، وكل خُـضْرةٍ عند العرب سَوادٌ، ويروى:

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمُ

جَعل «حـاتمًا» تبيينًا للهـاء فى جوده، وهو الذى يسمـيه البصـريون البدل، أراد: على جود حاتِمٍ.

---

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء، وجمعه أداوى.
(٢) سورة القلم ٢.
(٣) سورة الأعلى ٥.

باب
[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كان يقال: إذا رَغِبْتَ فى المكارم فاجْتَنِب المحارمَ.

وكان يقال: أنْعَمُ الناس عيشًا مَنْ عاش غيره فى عيشه.

وقيل فى المثل السائر: من كان فى وطَنَ فَلْيُوَطِّنْ غيرَه وطنه، ليَرْتَعَ فى وَطَنِ غيره فى غربته.

قال: وانْتبه معاويـة من رَقْدة له، فَأَنْبَـه عمرو بن العاص، فقال له عمرو: ما بقى من لَذَّتكَ[1]؟ قال: عَينٌ خَـرَّارَةٌ فى أرض خَوَّارة[2]، وعينٌ ساهرةٌ لعين نائمة، فما بقى من لذلتك يا أبا عبد الله؟ قال: أن أَبِيتَ مُـعْرِسًا بعَقيلةٍ من عَقائل العربِ. ثم نَبَّهَا وَرْدان[3]، فقال له مـعاوية: ما بقِي من لذتك؟ فقـالَ: الإفضالُ على الإخوان، فقال له معاوية: أسكتْ، أنا[4] أحقُّ بها منك، قال[5]: قد أَمْكَنَكَ فـافْعَـلْ.

ويروى أن عمـراً لما سُئل قال: أن أَسْـتَتِمَّ بناء مَـدينتى بمصر، وأنَّ ورَدْانَ لما سُئِلَ قال: أن أَلْقَى كريمًـا قادراً فى عَقِبِ إحسانٍ كان منى إليـه، وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحَادَثَةُ الرجال.

ويروى عن عبد الملك أنه قال ـ وقد سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحادَثَةُ الإخوان فى الليالى القُمْرِ[6] على الكثْبان العُفْرِ[7].

وقـال سليـمان بن عبـد الملك: قـد أكلنا الطَّيِّبَ، ولَبِـسْنَا الَّلّينَ، وركـبنا الفارهَ[8]، وامْتَطَيْنا العَـذْراءَ، فلم يَبْقَ من لَذَّتى إلا صَدِيق أطْرَحُ بينى وبينه مَـئُونَة التَّحَفُّظ.

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين».

(٢) عين خرارة: جارية. خوارة: سهلة لينة.

(٣) وردان: مولى عمرو بن العاص.

(٤) ر: «فأنا».

(٥) ر. «فقال له».

(٦) قمر: جمع قمراء، وهى الليلة التى يغمرها ضوء القمر.

(٧) العفر: جمع أعفر، وهو اللون الأحمر.

(٨) الفاره: النشيط من الدواب.

وقال رجل لرجل من قريش: إنى والله ما أَمَلُّ الحديثَ، قال: أَيُمَلُّ الْعَتيق[1].

وقال المهلَّبُ بن أبى صُفْرة: العيش كلُّه فى الجليس المُمْتِع.

وقال معاوية: الدنيا بحَذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ.

وقال يزيد بن المهلَّب: ما يَسُرُّنى أنى كُفيتُ أمرَ الدنيا كلَّه، قيل له: ولم أيُّها الأميرُ؟ قال: أَكْرَهُ عادةَ العَجْزِ.

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل الله كتابًا أنه مُعَذِّبٌ رجلا واحدًا لخفتُ أن أكونَهُ، أو أنه راحمٌ رجلا واحدًا لرَجَوْتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذِّبى[2] لا مَحالةَ ما ازْدَدْتُ إلاَّ اجتهادًا لئلا أَرْجِعَ على نفسى بلائمة.

[أدب عمر بن عبد العزيز]

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَولَى بنى مَخْزُومٍ، ـ وقالوا: بل زِيادٌ ـ وكان عمر أراد شراءه وعتقه، فأعتقه مَوَاليه، وكان عمر يسميه: أخى فى الله، فكان إذا دخل وعمُر فى صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدْر، فيقال له فى ذلك فيقول: إذا دَخَلَ عليك مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلاً فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس.

وهَمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ، فوَثَبَ إليه رَجاءُ بنُ حَيْوَة ليُصلحه، فأقسَمَ عليه عمرُ فجَلَس، ثم قام عمر فأصلحه. فقال لهُ رَجاءٌ: أتقوم يا أمير المؤمنين! قال: قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تَرْفَعونى فَوْق قَدْرى، فتقولوا فِيَّ ما قالت النصارى فى المسيح، فإن الله اتَّخَذَنى عبدًا قبل أن يَتَّخِذَنى رسولا».

ودخل مَسْلمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مَرْضَتِه التى مات فيها، فقال: ألاَ تُوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: فِيم أُوصِى؟ فوالله إنْ لِى من مالٍ،

---

(١) ر ، س: «إنما يمل العتق»، والعتيق: القديم.

(٢) ر: «ولو علمت أنه معذبى».

فقال: هذه مائة ألف فَـمُرْ فيها بما أحبَبْتَ، فقـال: أوَ تقبَلُ؟ قال: نعم، قال: تُرَدُّ على من أُخِذَتْ منه ظلمًا. فبكى مَسْلَمةُ ثم قال: يرحمك الله! لقد ألَنْتَ منا قلوبًا قاسية، وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذكرًا.

[بر على بن الحسين بأمه]

وقيل لعلىٍّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله: إنك مِنْ أبَرِّ الناس بأمِّك ولَسْنَا نراك تأكل مع أُمِّكَ فى صَحْفَة، فقال: أخاف أن تَسْبِقَ يدى إلى ما سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها.

[لعمر بن ذر فى ابنه]

وقـيل لعمـر بن ذَر ـ حـيث نُظرَ إلى تَعَزِّيه عـن ابنه ـ كيف كـان برُّهُ بك؟ فقال: مـا مشيت بنهار قَطُّ إلا مَشَى خَلْفى، ولا بـليل إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[لأبى المخش فى ولده]

وقال أبو المخَشِّ: كانت لى ابْنةٌ تَجْلِـسُ معى على المائدة، فتُبرْزُ كَفًّـا كأنها طَلْعَةٌ(١)، فى ذراعٍ كأنهـا جُمَّارةٌ(٢)، فلا تقع عيـنُها على أُكْلة نَفيسـة إلا خَصَّتْنى بها، فزَوَّجتُها، وصار يجلس معى على المائدة ابنٌ لى فـيُبرزُ كفًا كأنها كِرْنافةٌ، فى ذراعٍ كأنها كَرَبَةٌ، فوالله إن تَسْبِقُ عينى إلى لُقْمة طَيِّبَة إلا سَبَقَتْ يده إليها.

وقال الأصمـعىُّ: قيل لأبى المخَشِّ: أمَا كان لك ابن؟ فـقال: المخَشُّ، وما كـان المخَشُّ؟ كان والله أشْـدَق خُرْطُمـانيًـا إذا تكلم سال لُعـابُه، كـأنما ينظر من قَلْتَيْن(٣)، وكأنَّ تَرْقُوتَهُ بُوانٌ أو خالفةٌ، وكأنَّ مُشاشَ مَـنْكِبَيْه كِرْكِرةُ جَمَل، فَقَأَ الله عَيْنَىَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحْسَنَ منه قبله ولا بعده!

قوله: «بوان أو خـالفة» فهمـا عمودان من عُمُـد البيت، البوانُ فى مُقَـدَّمه والخالفة فى مُـؤَخَّرِه. والكِرْنافةُ: طَرَفُ الكربةِ العريض الذى يتـصل بالنخلة كأنه كَتِـفٌ.

---

(١) الطلعة: واحدة الطلع، وهو نور النخله.

(٢) الجماره: شحمة النخلة.

(٣) مثنى قلت، وهو نقرة مستديره فى أرض صلبة.

حدثنى بهـذا الحديث العبـاسُ بن الفرَج الرِّياشىُّ عن الأَصْمَـعىِّ، وحدثنى عمّن حدثه قال: مَـرَّ بنا أعرابىٌّ يَنْشُدُ ابنا له، فقلنـا: صِفْـهُ، فقال: دُنَيْنِرٌ، قلنا لم نَرَهُ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بِجُـعَلٍ على عُنُقِه، فقلنا: لو سـألتَ عن هذا لأرْشَدْنَاكَ، مازال مُنْذُ اليوم بين أيدينا.

وأنشد مُنْشِدٌ، وأنشدنى الرِّياشىُّ أحد البيتين:

نِـعْـمَ ضَـجِيعُ الْفَتَى إذا بَـرَدَ الَّلْيــــــلُ سُـحَيْـرًا وَقَرْقَفَ الصَّـرِدُ(١)

زَيَّنَهَـا اللهُ فى الْفُـؤَادِ كـمَـا زُيِّنَ فِـى عَـــيْنِ وَالِـدٍ وَلَدُ

[لأم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها]

وقالت أُمُّ ثَوابِ الهِزَّانِيَّة، من عنَزَةَ بن أَسَد بن رَبيعةَ بن نزارٍ، تعنى ابنها:

رَبَّيْتُـهُ وَهْوَ مِثْلُ الْفَـرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فى رِيشِهِ زَغَبَا(٢)

حَتى إذَا آض كـالْفُحَّـال شَذَّبَهُ أَبَّارُهُ وَنَفَـى عَنْ مَـتْنِه الـكرَبَا

أَنْشَـا يُخَـرِّقُ أثوَابِى ويَضْـرِبُنى أَبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدى يَبْتَغى الأدبَا!

إنِّى لأُبصِـرُ فى تَرْجِيلِ لِمَّتِـهِ وَخَطِّ لِحْيَتِه فى وَجْـهِه عَجَبَا(٣)

قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يومًا لِتُسْمِعَنى: رِفْــقًـا فَــإنَّ لَنَا فى أُمِّـنَا أَرَبَا

وَلَوْ رأَتْنِىَ فـى نارٍ مُـسَـعَّـرَةٍ مِن الجَحيمِ لَزَادَتْ فَـوْقَهَا حَطَبَا

قوله: «أباره»، فهو الذى يُصْلِحُهُ، يقـال: أَبَرْتُ النخل وأَبَرْتُهُ (خفيفة)، إذا لَقَّحْتَهُ.

[خبر مالك بن العجلان مع أبى جبيلة]

ويروى أن مالك بن العَجْلانِ ـ أو غيرَه من الأنـصار ـ كان يُتْحِفُ أبا جُبَيْلَةَ المَلِكَ حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شَرِيفةٍ، فـغاب يوما، فقال أبو جُبَيْلَةَ: إن

(١) قرقف، من القرقفة، وهى الرعدة. والصرد: الذى آله الصرد، وهو البرد.

(٢) الزعب: ما يبدو من ريش الفرخ.

(٣) الترجيل: التسريح. واللمة: شعرالرأس الذى ىلم بالمنكب.

مالكًا كان يُقوِّتُ علينا جَنَى هذه النخلة فَجُدُّوها، فجاء مالك ـ وقد جُدَّتْ ـ فقال: مَنْ سَعى على عَذْقِ[1] الْمَلِك فَجدَّهُ، فأعلموهُ أن المَلِكَ أمَرَ بذلك، فجاء حتى وقَف عليه فقال:

جَدَدْتَ جَنَى نَخْلَتِي ظَالِمًا وكان الثِّمارُ لِمَنْ قَدْ أبَرْ

فلما دخل النبيُّ ﷺ المدينةَ أطْرَفُوه بهذا الحديث، فقال ﷺ: «الثمر لمن أبَر، إلا أن يَشْتَرِطَهُ المشترى».

والفحال فُحَّال النخل: ولا يقال لشيء من الفحول فحَّالٌ غيره. وأنشدنى المازنيُّ:

يُطِفْن بفُحَّالٍ كأنَّ ضِبابَهُ بطونُ المَوالى يومَ عيدٍ تَغَدَّتِ[2]

وضِبابهُ: طلْعه. وآض: عاد ورجع.

وقولها: «شذَّبه» تقول: قطع عنه الكرَب والعَثاكيل[3]، وكلٌّ مشذَّب مقطوع، ويقال للرجل الطويل النحيف: مشذَّب، يشبَّه الجذع المحذوف عنه الكرَب، وأصل التشذيب القطع، وقال الفرزدق:

عضَّتْ سيوفُ تميمٍ حين أغضبها رأس ابن عَجْلى فأضحى رأسُه شَذَبا

أراد: عضَّتْ سيوفُ تميم رأسَ ابن عجلى حين أغضبها.

وابن عْجلى: عبد الله بن خازم السُّلَميٌّ، وأمّه عجلى، وكانت سوداء، وهو أحد غربان العرب فى الإسلام.

[للمهلب وقد سئل: من أشجع الناس؟]

وسئل المهلب. مَنْ أشجع الناس؟ فقال: عباد بن حصيْن، وعمرو بنُ عبيد الله بن مَعمَر، والمغيرة بن المهلب؛ فقيل: فأين ابن الزبير وابن خازم وعُمَيْر ابن الحباب؟ فقال: إنَّما سئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن!

---

(١) العذق بالفتح: اسم النخل عند أهل الحجاز.

(٢) البيت فى اللسان (ضبب ـ فحل) ونسبه للبطين التيمى.

(٣) العثاكيل: الشماريخ، واحده عثكول.

باب

[من كلام عائشة]

رَوَى شعبة عن واقد بن محمد، عن أبى مُلَيكة، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضى الله عنها: مَنْ أرضى اللهَ بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومَنْ أَرْضَى الناس بإسخاطِ الله وكلَه الله إلى الناس، ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيتَه.

[بين الحسن بن زيد والى المدينة وابن هَرْمة]

ويروى أن الحسَن بن زيد[1] لمّا وَلِّىَ المدينة قال لابن هَرْمة[2]: إنى لستُ كمن باع لك دينَه رجاءَ مَدْحك أو خوفَ ذمِّك، قد أفادنى الله بولادة نبيِّه الممادح، وجنَّبنى المقابح، وإنَّ من حَقّه علىَّ ألاَّ أغضىَ على تقصير فى حقِّه، وأنا أقسم بالله، لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنَّك حدَّين: حداًّ للخمر، وحداًّ للسكر، ولأزيدنَّ، لموضع حرمتك بى. فليكن تركُها لله تُعَنْ عليه؛ ولا تدعْها للنَّاس فتوكَل إليهم. فنهض ابن هَرْمة وهو يقول:

نهانى ابْنُ الرسول عن المدامِ ... وأدَّبنى بآداب الكرامِ

وقال لِىَ اصطبِرِ عنها ودعْها ... لخوفِ الله لا خوفِ الأنامِ

وكيف تصبرِى عنها وحُبِّى ... لها حبٌّ تمكّن من عظامِى!

أرى طيبَ الحلال علىَّ خُبثًا ... وطيب النفس فى خُبْث الحرامِ

[من كلام مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى]

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشِّخير الحَرشىِّ: يا مطرِّف، عظ أصحابَك، فقال مطرِّف: إنى أخاف أن أقول ما لا أفعل.

فقال الحسن: يرحمك الله! وأيُّنا يفعل ما يقول! لَودَّ الشيطان أنَّه ظفر بهذه منكم، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم يَنهَ عن منكر.

---

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، ولى المدينة لأبى جعفر المنصور سنة ١٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن هرمة من متقدمى الشعراء، ممن أدرك الدولتين: الهاشمية والأموية (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء ٧٢٩ - ٧٣١).

وقـال مطرِّف بن عـبد الله لابنـه: يا عبـدَ الله، العلم أفـضلُ من العـمل، والحسنة بين السيئتين، وشرّ السيْر الحَقْحَقة.

قوله: «الحسنة بين السـيئتين»، يقول: الحقُّ بين فعل المقـصِّر والْغَالى. ومن كلامهم: خيرُ الأمور أوساطها.

قوله: «وشرُّ السير الحـقحقة»، وهو أن يستفرغ المسافر جُهْـدَ ظَهره فيقطعَه، فيُهلِك ظهره، ولا يبلغ حاجته. يقال: حقحق السيرَ إذا فعل ذلك. وقال الراجز:

* وانبتّ فعلَ[1] السائر المُحَقْحِق *

وحُدثت أن الحسن نفى ســابقَ الحاجّ وقد أسرع، فجعل يومئ إليـه بإصبعه فعلَ الغازلة، وهو يقول: «خرقاء وجدتْ صوفا».

وهذا مَثَل من أمثـال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مـالاً كثيراً فيعيث فيه، وشبيه بهذا المثل قوله: «عبدٌ وخلى[2] فى يديه».

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متـين فأَوْغِلْ فيه برفق، ولا تبغِّضْ إلى نفسِك عبادَةَ ربّك، فإن المنبتّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى».

قوله« «مـتين»، المتين الشديد، قـال الله عزّ وجل: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَـيْدِى مَتِين﴾[3].

وقوله: «فأوغل فـيه برفق»، يقول: ادخُل فيـه، هذا أصل الوُغول، ويقال مشـتقًّـا من هذا للرجل الذى يأتى شَرَابَ القـومِ من غير أن يُدْعَـى إليه: واغِلٌ، ومعناهُ أنه وَغَلَ فى القوم وليس منهم، قال امْرُؤُ الْقَيْسِ:

حَلَّتْ لِيَ الْخَـمْـرُ وَكُنْتُ اَمْـرأً ... عَنْ شُـرْبِها فِـى شُغُلٍ شَـاغِلِ

فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْـرَ مُسْتَحْقِبٍ[4] ... إِثْـمًـــا مِنَ اللهِ ولاَ وَاغِـلِ

(١) زيادات ر: «فعل» بالنصب الرواية الصحيحة، لأنه مصدر معنى».
(٢) الخلى: الرطب من الحشيش.
(٣) سورة الأعراف ١٨٣ .
(٤) المستحقب: الذى يحمل الشىء فى الحقيبة.

والمُنْبَتُّ: مثل المُحَقْحِقِ، واشتقاقه من الانقطاع، يقال: انْبَتَّ فلانٌ من فلان أى انقطع منه، وبَتَّ الله ما بينهم، أى قَطَعَ، قال محمد بن نُمَيْر:

تَواعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُّوا   وَقَالُوا لِراعى الذَوْدِ: مَوْعِدُكَ السَّبْتُ

وَفِى النفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ   ومَوْعِدُهَا فِى السَّبْت لَو قَدْ دَنا لُوَقْتُ(١)

ويروى:

* أَلاَ قَرَّبَ الْحَىُّ الْجِمالَ لِيَنْبَتُّوا *

وحُدِّثْتُ أن ابْن السَّمَّاك كان يقول: إذا فَعَلْتَ الحسَنةَ فافْرَحْ بها واسْتَقْلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها، وإذا فَرِحْتَ بها عُدتَ إليها.

ويروى عن أُوَيْسٍ القَرَنِىِّ أنه قال: إنّ حقوق الله لم تَتْرُكْ عند مسلم درهمًا.

[يزيد بن هبيرة ينصح المنصور]

ودخل يَزيدُ بن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ على أمير المؤمنين المَنْصور فقال: يا أمير المؤمنين، توسَّعْ تَوَسُّعًا قُرَشِياًّ، ولا تَضِقْ ضيقًا حجازياًّ.

ويروى أنه دَخَل عليه يوما فقال له المنصورُ: حَدِّثْنا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن سُلْطانَكُمْ حَديثٌ، وإمارَتَكُمْ جَديدةٌ، فأذيقوا الناس حَلاوةَ عَدْلها، وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها. فوالله يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النصيحة.

ثم نَهَضَ فنَهَض معه سبعمائة من قَيْسٍ، فأَتْأَرَهُ المنصور بصَرَهُ، ثم قال: لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا.

قوله: «مَحَضْتُ لك النصيحة» يقول: أخلصت لك، وأصل هذا من اللبَن، والمَحْضُ منه: الخالص الذى لا يشوبُهُ شىء، وأنشد الأصمعىُّ:

أَمْتَحَضَا وَسَقِّيَانِى ضَيْحَا   وَقَدَ كَفَيْتُ صَاحِبِىَّ المَيْحَا(٢)

---

(١) روى الأخفش البيت الأخير.

(٢) رواية اللسان عن شمر: (محض) «إنى كفيت» وفى زيادات ر: «الميح: طلب الشىء هاهنا وهاهنا».

ويقال: حَسَبٌ مَحْضٌ.

وقوله: «أتأره بصره» يقول: أتبعه بصره، وحَدد إليه النَّظَر، وأنشد الأصمعيُّ:

مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ حَتَّى اسْمَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إِتَآرِى(١)

[لأسماء بن خارجة فى كرم الخلق]

ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال: لا أُشاتِمُ رجلا، ولا أَرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أسُدُّ خَلَّتَه، أو لئيم أشترى عِرْضى منه.

[للأحنف بن قيس]

ويروى عن الأحنف بن قَيْس أنه قال: ما شاتَمْتُ رجلا مذْ كنتُ رجلا، ولا زَحَمتْ رُكْبَتَاىَ رُكْبَتَيْه، وإذا لم أَصِل مُجْتَدِيًّا حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ عَرَقًا كما يَنْتَحُ الحَميتُ، فو الله ما وصَلْتُهُ.

قوله: «مُجْتَدِيًا» يريد الذى يأتيه يطلب فضله، يقال: اجتداه يَجْتَدِيه، واعْتفاه يَعْتَفيه، واعتراه يَعْتريه، واعْتَرَّهُ يَعْتَرُّه، وعراه يَعْروه: إذا قصده يَتَعَرَّضُ لنائله. وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَا، مقصور، وهو المطر العامُّ النافع، يقال: أصابَتْنا مَطْرةٌ كانت جَدًا على الأرض، فهذا الاسم، فإذا أردتَ المصدر قلتَ: فلان كثير الجَداء، ممدود، كما تقول: كثير الغناء عنك، ممدود، هذا المصدر، فإذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفَقْر قلت: الغِنى ـ بكسر أوله ـ وقَصَرْتَ. قال خُفافُ بن نَدْبَة يمدح أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه:

لَيْسَ لِشَىْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءْ وَكُلُّ شَىْءٍ عُمْرُهُ لِلفَنَاءْ
إنَّ أبَا بَكْرٍ هُوَ الغَيْثُ إِذْ لَمْ تَشْمَلِ الأَرْضَ سَحَابٌ بماءْ
تَالله لاَ يُدْرِك أَيَّامَهُ ذو طُرَّةٍ حافٍ وَلا ذُو حِذَاءْ
مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءْ

---

(١) زيادات ر: «وهو للكميت بن زيد». والبيت فى اللسان (تأر) غير منسوب واسمدر: لم يكد يبصر.

وَهذا من طَرِيف الشعْـر لأنه ممدود، فهو بالمد الذى فيـه من عَروض السَّرِيع الأولى، وبيته فى العَروض:

أَزْمَانَ سَلْمَى لا يَرَى مِـثْلَهَا الرَّا ءُونَ فى شَـامٍ وَلاَ فـى عِـرَاقْ

ثم نرجع إلى تأويل قول الأحْنَف.

قوله: «حتى يَنْتَحِ جَبِينُهُ عرقًا»، فهو مثل الرَّشْحِ.

وحدثنى أبو عـثمان المازنىُّ فى إسناد له ذَكَـرَهُ قال: قال رُؤْبَة بن العَـجَّاج: خرجتُ مع أبى نريد سليمانَ بن عبد الملك، فلما صِرْنا فى الطريق أهْدِىَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كـرافِئُ الشحم، وخَـرِيطةٌ من كَمْأَة، ووَطْبٌ من لبن، فـطبخنا هذا بهذا، فما زالتْ ذِفْرَيَاىَ(١) تَنْتَحَانِ منه إلى أن رجعتُ.

وقوله: «الحَمِيت»، فالحميتُ والزِّقُّ اسمان له، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبُوبًا فهو الوَطْب، وإذا لم يكن مـربوبًا ولا مُزَفَّـتًا فهـو سقـاءٌ ونحىٌ، والوَطْبُ يكون للَّبن والسمن، والسِّقاء يكون للبن والماء. قالت هِنْدٌ بنت عُتْـبَةَ لأبى سُفْيان بن حَرْب لما رجـع مُسْلمًا من عند النبى ﷺ إلى مكّة فى ليلة الفتح، فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْش، ألاَ إنِّى قد أَسْلَمْتُ فأسْلموا، فإنَّ محمدًا قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به. فأخذتْ هند برأسه، وقالت: بئس طَلِـيعةُ القومِ أنتَ! والله ما خُـدِشْتَ خَدْشًا، يا أهل مكة، عليكم الْحَمِيتَ الدَّسِمَ فاقتلوه.

وأمـا قول رُؤْبَةَ «كَـرَافِئ الشـحم» يريد طبَقـات الشـحم، وأصل ذلك فى السحاب إذا رَكِب بعضُهُ بعضًا، يقال له: كِرْفِئٌ، والجميع كرافِئُ.

* * *

[قال أبوالحـسن الأخفش: واحد الكَرَافِئِ كِـرْفِئَةٌ، وهاء التأنيث إذَا جُـمِعَتْ جمع التكسـير حُـذِفَتْ لأنـهـا زائـدة، بمنـزلـة اسم ضُمَّ إلى اسْم، وأحْسبُ أن أبا العبـاس لم يَسْمَع الواحـدَ من هذا فقـاسه، والعـرب تَجْتَرِئ عـلى حذف هاء التأنيث إذا احتـاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد اسْـتُعْمِلَتْ الواحدةُ بالهاء، ونظير هذا قـولهم: ما فى السماء كِرْفِئَةٌ، وما فى السـماء قَذَعْمِلَةٌ وَقُذَعْمِـيلَةٌ، وما فى السمـاء طُخْرِبةٌ وطحربةٌ، وما فى السـماء قِرْطَعْبَـةٌ، وما فى السماء كَنَهْوَرَةٌ، وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل و ما أشبهه].

* * *

---

(١) الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

باب

[لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي]

قال أبو العباس: قال حَسَّانُ بن ثابت يهجو مُسافِعَ[1] بن عِياض التَّيْمىَّ، من تَيْمِ بن مُرة بن كَعْبِ بن لؤَىٍّ، رَهْطِ أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله:

لَوْ كُنْتَ مِنْ هاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِى أَسَدِ ... أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَو أَصْحَابِ اللِّوَا الصِّيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَّلِبٍ ... لله دَرُّكَ! لَمْ تَهْمُمْ بَتَهْدِيدِى

أَوْ فِى الذُّؤَابَةِ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نِكْسًا ثَانِىَ الجِيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى زُهْرَةَ الأَخْيَارِ قَدْ عُلِمُوا ... أَوْ مِنْ بَنِى جُمَحَ الْبِيضِ المَنَاجِيدِ

أَوْ فِى السَّرَارَةِ مَنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِمْ ... أوْ مِنْ بَنِى خَلَفِ الْخُضْرِ الْجَلاَعِيدِ

يَا آلَ تَيْمٍ أَلاَ يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... قَبْلَ الْقِذَافِ بِقَوْلٍ كَالجَلاَمِيدِ

لَوْلاَ الرَّسُولُ فَإِنِّى لَسْتُ عَاصِيَهُ ... حَتَّى يُغَيِّبَنِى فى الرَّمْسِ مَلْحُودِى

وَصَاحِبُ الْغَارِ إِنِّى سَوْفَ أَحفَظُهُ ... وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ذو الْجُودِ

لَقَدْ رَمَيتُ بِهَا شَنْعَاءَ فَاضِحَةً ... يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالْمُودِى

قوله: «لو كنتَ من هاشم» يريد هاشم بن عَبْد مَناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَىٍّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْرِ بن كنانةُ، والنَّضْرُ أبو قُرَيْش، ومَنْ كان من بنى كنانةً لم يَلِدْهُ النَّضْرُ فليس بقُرَشِيٍ. وبنو أسد ابن عبد العُزى بن قُصَىّ. وعبد شمس [هو عبد شمس[2]]، بن عبد مَناف بن قُصَىٍ. وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قُصىّ. واللواء ممدود إذا أردتَ به لواء الأمير، ولكنه احتاج إليه فقَصَرَهُ، وقد هَيَّنَّا جواز ذلك، فأما اللِّوَى من الرمْل فمقصور، قال امْرُؤُ القَيْس:

* بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وحوملِ *

كذا يرويه الأصمعىّ، وهذه أصح الروايات[3].

---

(1) ذكره ابن حجر فى الإصابة (٦: ٨٦)، وقال: «لا أعرف له صحبة ولا أعرف له رواية».

(2) ما بين العلامتين ساقط من ر.

(3) أى رواية «وحومل» بالواو. ورواية المفضل: «فحومل»

وقوله: «أو من بنى نوفل» فهو نَوْفَلُ بنِ عبد مَناف بن قُصَىّ. والمطّلبُ الذى ذكره هو ابن عبد مَناف بن قُصَىّ.

وقوله: «لم تُصْبِح اليوم نِكْسًا»، فالنِّكْسُ الدَّنِىء المُقَصِّر. ويقول بعضهم: إن أصلَ ذلك فى السِّهام، وذلك أن السَّهْم إذا ارْتَدَعَ[1] أو نالته آفة نُكِسَ فى الكنانة ليُعْرَفَ من غيره قال الحُطَيْئةُ:

قَدْ نَاضَلُوكَ فَأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تليدًا وَنَبلاً غَيْرَ أَنْكاسِ

قوله: «مجدًا تليدًا»، قالوا: نواصى الفرسان[2] الذين كان يُمَنُّ عليهم.

وقوله: «ثانىَ الجِيد» قد مرّ تفسيره فى قول الله عز وجل: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[3].

وقوله: «أو من بنى زُهْرَةَ»، فهو زُهْرَةُ بنُ كِلاب بن مُرَّةَ. ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ قال: «خُلقتُ من خير حَيَّيْنَ: مِنْ هاشِمٍ وزُهْرَةَ». وبنو جُمَح بن عمرو ابن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَىّ.

وقوله: «المناجيد» مَفاعيل، من النَّجْدة، والواحد مِنْجادٌ، وإنما يقال ذلك فى تكثير الفعل، كما تقول: رجلٌ مِطْعانٌ بالرُمْح، ومِطْعامٌ للطعام.

وقوله:

* أو فى السرارة من تَيْمٍ رضيت بهمْ *

يقول: فى الصَّميم منهم والمَوْضِع المَرْضِىّ، وأصل ذلك فى التُّرْبة، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ فى سَرارةِ الوادى، ويقال: فلانٌ فى سِرٍّ قومه، والسُّرَّةُ مثل ذلك، قال القُرَشِىُّ:

هَلاَّ سَأَلْت عَنِ الَّذِينَ تَبَطَّحُوا كَرَمَ البطَاحِ وخَيْرَ سُرَّةِ وَادِ[4]

---

(١) السهم المرتدع: هو ما أصاب الهدف وانكسر عوده.

(٢) نواصى الفرسان: يريد شعور النواصى، وقد كانت العرب إذا أسروا أسيرا خيروه بين جزء الناصية والأسر، فإن اختار الجز جزوها، وخلوا سبيله.

(٣) سورة الحج ٩.

(٤) تبطحوا: سكنوا بطاح مكة..

وَعَنِ الَّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا — أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ[1]

يُخْبِرْكِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَن بُيُوتَنَا — مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الأَوْتَادِ

وقوله: «أو من بنى خَلْفِ الخُصْرِ»، فإنه حَذَفَ التنوين لالتقاء الساكنين. وليس بالوَجْه، وإنما يُحْذَفُ من الحرف لالتقاء الساكنين حروفُ المَدِّ واللين، وهى الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها، نحو قولك: هذا قَفَا الرجلِ، وقاضى الرجل، ويَغْزو القومُ، فأما التنوين فجاز فيه هذا؛ لأنه نون فى اللفظ، والنون تُدْغم فى الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروفُ المدِّ واللينِ، ويُبْدَلُ بعضُها من بعض، فتقول: رأيتُ زَيْدًا فَتُبْدِلُ الألف من التنوين، وتقول فى النسب إلى صَنْعَاءَ وبَهْرَاءَ[2] صَنعانىٌّ وبَهْرانىٌّ، فَتُبْدِلُ النونَ من ألف التأنيث، وهذه جُمْلَة وتفسيرها كثير، فلذلك حُذِفَ، ومثل هذا من الشعر:

عَمْرُو الَّذى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ — ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقال آخر[3]:

حُمَيْدُ الَّذى أَمَجٌ دارُهُ — أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ[4]

وقرأ بعض القُرَّاء: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ * اللهُ الصَّمَدُ﴾. وسمعتُ عُمارة بن عَقيلٍ يَقْرَأُ: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ وَكُلٌ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5] فقلتُ: ماتريد؟ فقال: «سابقٌ النهارَ». وقوله: «أو أصحاب اللُّوا»، فإنما[6] خَفَّفَ الهمزةَ،

---

(١) والولجات: جمع ولجة، وهى الكهف، وأجياد: موضع بمكة مما يلى الصفا.

(٢) صنعاء: عاصمه اليمن، وبهراء: قبيلة بها.

(٣) نسبه الشريف المرتضى (٢: ٢٦٩) إلى ابن الزبعرى: وروايته:

* عمرو العلا هشم الثريد لقومه *

وبعده:

وهو الذى سنَّ الرحيل لقومه — رحَل الشتاء ورحلة الأصياف

(٤) هو حميد الأمجى، منسوب إلى أمج: بلد من أعراض المدينة، من أبيات ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (أمج)، وهى:

شربتُ المدامَ فلمْ أُقْلِعِ — وعوتبتُ فيها فلم أسمعِ

حميدُ الذى أمجٌ داره — أخو الخمرِ ذو الشيبة الأصلعِ

علاه المشيبُ على حُبِّها — وكان كريما فلم ينزعِ

(٥) سورة يس ٤٠.

(٦) كلمة: «فإنما» ساقطة من ر.

وتَـخَفَّفُ إذا كان قبلها ساكنٌ، فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتحْذَفُ، كقولك: مَنَ أبوكَ؟ وقوله عز وجل: ﴿الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَءَ فِى السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضِ﴾(١).

وخَلَفٌ الذى ذكره من بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَىّ.

وقـوله: «الخُضْـرِ الجَلاَعـيد»، يقـال فيـه قولان: أحـدهما أنه يريد سـوادَ جلودهم(٢)، كما قال الفَضْل بن العَبَّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَب:

وَأنَا الأَخْــضَــر مَن يَعْــرِفُنِى أَخْضَـرُ الْجلدَةِ فِى بَيْتِ العَرَبْ

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبـههم فى جُودهم بالبُحور. وقوله: «الجلاعـيد»، يريد الشِّدادَ الصِّلابَ، واحـدهم جَلْعَدٌ، وزاد الياء للحـاجة، وهذا جَمْعٌ يجىء كثيـرًا؛ وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة، فَتُشْبَعُ فتـصير ياءً، يقال فى خاتَم: خَوَاتِيمُ، وفى دانِقٍ دَوَانيقُ، وفى طَابَقٍ طَوابيقُ، قـال الْفَرَزْدَقُ فى مثل هذا الجمع:

تَنْفِى يَدَاهَا الحَصَى فى كلِّ هَاجِرَةٍ نَفْىَ الْدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ(٣)

وقوله: «قبل القذاف» يريد المُقاذَفَةَ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما، نحو المُقاتَلَة والمُشاتَمة، فباب «فاعَلْتُ» إنما هو للاثنين فصاعدًا، نحو قاتلْتُ وضارَبْتُ، وقد تكون الألفَ زائـدة فى فاعَلْتُ فُتـبْنَى للواحد، كـما زيدت الهـمزة أوَّلاً فى «أَفعَلْتُ» فتكون للواحد، نحو عاقَبْتُ الَّلصَّ، وعافاه الله، وطارَقْتُ نَعْلى.

وقوله: «وصاحب الغار»، يعنى أبا بكْرٍ رحمه الله، لمصاحبته النبىَّ ﷺ فى الغار، وهذا مشهور لا يُحْتاج إلى تفسيره.

وطلحة بن عـبيد الله نسبـه إلى الجود لأنه كان من أجْوَدِ قُـرَيْش. وحَدَّثنى التَّوَّزِىُّ قـال: كان يقال لطلحـة بن عبيد الله: طَلْحـة الطَّلَحات، وطَلْحَةُ الْخَـيْر، وطَلْحَةُ الجـود. وذكر التَّوَّزِىُّ عن الأَصَمـعِىّ أنه باع ضَيْعَـةً له بخمسةَ عـشر ألف

---

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) قال المرصفى: «وذلك أن العرب تسمى الأسود أخضر، والأخضر أسود، لما أن الخضره إذا اشتدت تقارب السواد، والمراد من سواد الجلمود لون السمرة لا السواد الحالك».

(٣) نتقاد الصياريف، أى تمييز الصياريف للدراهيم، لتخرج الزائف منها.

درهم، فَقَسَّمها فى الأطْبَاق(۱). وفى بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد أن لفّق له بين ثوبين(٢).

وحدثنى العُتْبِىُّ فى إسناد ذَكَرَهُ قال: دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم، فأبْطأ عنه الغُلامُ بشىء أراده، فقال طلحةُ: يا غلامُ، فقال الغلامُ: لَبَّيكَ! فقال طلحة: لا لَبَّيكَ! فقال أبو بكر: ما يَسُرُّنى أنِّى قُلْتُها وأنَّ لى الدنيا وما فيها. وقال عمر: ما يَسُرُّنى أنى قلْتَها ولى نصف الدنيا، وقال عثمان: ما يسرنى أنى قلتها وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَمِ. قال: وصَمَتَ عليها أبو محمد، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف دِرْهَمٍ، فتصدَّق بثَمنَهَا.

وقوله:

* يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالُمودِى *

فالمودى فى هذا الموضع الهالك، وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىَّ الجادَّ، حدثْنى بذلك التَّوَّزِىُّ فى كتاب الأضداد، وأنشدنى(٣):

* مُودُون يَحْمُونَ السبِيلَ السَّابِلاَ(٤) *

[لرجل من العرب يرثى]

وقال رجل من العرب:

خَلِيلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فيكُمَا ... عَلَى قَبْرِ أُهْبَان سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنَ الْمُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إذَا نَازَعَ الْقَومُ الأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ ... عَيِيًّا وَلاَ عِبْئًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ

---

(١) الأطباق: جمع طبق: وهو الجماعة من الناس.

(٢) التلفيق: ضم أحد الثوبين إلى الآخر، قال المرصفى: «وكأنه كره الحضور بهما إلى المسجد خوف الشهرة».

(٣) البيت لرؤبة، وروايته فى ديوانه ١٢٢:

* مودينَ يحمُون السبيل السابلا *

وبعده:

* تعدو العرضَنَى خيلُهم عراجلا *

(٤) زيادات ر: «المؤدى» بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمزة: الهالك.

قوله: «على قَبْر أُهْبَـان» فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو، واشـتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ، وهمزَ الواوَ لانضمامـها، كقوله عز وجل: ﴿وإذَا الرُّسل أُقِّتَتْ﴾(١). فهو «فُعِّلَتْ»، من الوَقْت. وقد مضى تفسير همز الواو إنما انْضَمَّتْ وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصـرف فى النكرة، وكل شىء لا ينصرف فَصَرَفْهُ فى الشـعر جائز؛ لأن أصله كان الصَّـرْف، فلما احتيج إليـه رُدَّ إلى أصله، فهذا قولُ البـصريين. وزعم قـوم أن كلَّ شىء لا ينصرف فَـصَرْفُـهُ فى الشعـر جائز، إلا «أَفْـعَلَ» الذى معـه «منكَ»، نحو: أفْضَل منك، وأكرم منكَ. وزعم الخليل ـ وعليه أصحابه ـ أن هذا إذا كانت معه «منك» بمنزلة «أحْمَرَ» لأنه إنما كمَلَ أنْ يكون نَعْتًا بـ «منك»، وأحْمَرُ لا يحتـاجُ إليها، فـهو مع «منْكَ» بمنزلة «أحْـمرَ» وحْدَهُ، قـال: والدليل على أن «منك» ليست بمانعَته من الصرف أنه إذا زال عن بناء «أفْعَلَ» انْصرَفَ، نحو قولك: مررتُ بخيْرٍ منك، وشَرٍّ منك، فلو كانت «منكَ» هى المانعةَ لمَنعَتْ هنا، فهذا قولٌ بيِّنٌ جداً.

وقوله: «المُزَجَّى»، فهو الضعيفُ: يقال: زَجَّى فلان حاجتى، أى خَفَّ عليه تَعْجِـيلُها، والمُزْجَـاةُ من البضائع: اليَـسيرةُ الخـفيفـة المَحْمِلِ. والنفْنفُ وجمـعه النَّفَـانفُ: كلُّ ما كان بـين شيئـين عالٍ ومنخـفض، وقال ذو الرُّمَّـة: «فى نَفْنَفٍ يَتطَوَّحُ(٢)».

وقوله: «ولا عِبْئًا عَلَى من يقاعدُ» فالعِبْء، الثِّقْل، يقال حَمَل عِبْئًا ثقيلاً، ووَكدَهُ بقوله: «ثقيلاً»، ولو لم يقله لم يَحْتَجْ إليه.

[لرجل يذكر ابنه]

وقال آخر يذكر ابنه:

أَلاَ يَاسُـمَـيَّـةُ شُبِّى الْوَقُـودَا ... لَعَـلَّ الَّلَيَــالِى تُؤَدِّى يَـزِيدَا

(١) سورة المرسلات ١١.

(٢) البيت بتمامه:

ترى قُرْطَهَا فى واضِح الليتِ مُشْرِفًا ... عَلَى هَلَكٍ فى نفنف يتطوَّحُ

وانظر ديوانه ٨٢.

فَنَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ غَائِبٍ ... إِذَا مَا المَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِي الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى لَهُ ... فَصَارَ أَبًا لِي وَصِرْتُ الوَلِيدَا

قوله: «شبّى»، يقال: شَبَبْتُ النارَ والحربَ إذا أوْقَدْتَهما، ويقال: شَبَّ يَشُبُّ شَبًّا، قال الأعْشى:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

وقوله:

* إذا ما المَسارح كانت جليدًا *

فالمَسارحُ الطُّرُقُ التي يَسْرَحون فيها، واحدها مَسْرَحٌ، والجَليدُ يقع من السماء. وهو نَدًى فيه جُمُودٌ، فَتَبْيَضُّ له الأرض، وهو دون الثَّلْجِ، يقال له: الجَليد، والضَّريب، والسقيط، والصَّقيع.

وقالوا في قوله:

* رِجْلاَ عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ *

أي يَصيبها الضَّرِيبُ.

وقوله: «وصرت[1] الوليد»، الوليد[2]: الصغير، وجمعه وِلْدان، وهو في القرآن[3] ونظير وَليد ووِلْدان ظليمٌ وظِلْمان، وقضيب وقضْبانٌ، وباب «فعال فعْلانٌ»، نحو عقبانٌ وذِبَّان وغِرْبان. وقولهم: «أمْرٌ لا يُنادَى وَليدُهُ»، يقال فيه قولان يتقاربان[4]، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغار، والوجه الآخر لأصحاب المعاني، يقولون: ليس فيه وَليدٌ فُيدْعَى، ونظير ذلك قول النابغة الجَعْدِيِّ:

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيجِهَا ... وضرب[5] نَوَاقِيس لَمْ تُضْرَبِ

---

(١) ر، س: «وكنت».
(٢) س: «فالوليد».
(٣) زيادات ر: «قوله عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾» «الواقعة ١٧».
(٤) ر: «متقاربان».
(٥) ر: «وصوت».

أى ليْستْ ثَمّ، ولكنَّ هذا من أوقاتها. وقالت أخت طَرَفَةَ بن الْعَبْد:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وعِشرِينَ حِجَّةً ... فَلمَّا توفَّاها اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ ... عَلَى خَيْرِ حالٍ لاَ وَلِيدًا ولاَ قَحْمَا

الوليد: ما ذَكَرْنا، والقَحْمُ: الرجل المتناهى سنًّا، ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وقَحْرٌ ومُقْلَحِمٌ، ويقال للبعير خاصَّةً: قُحارية، فى وزن[1] قُرَاسِيَة، وأنشد الأصْمعيّ:

رَأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَاقْلَحَمَّا ... طالَ عليه الدَّهْرُ فَاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ: الضامر.

[لرجل آخر يرثى ابنه]

وقال آخر لابنه يَرْثيه:

وَمِنْ عَجَبٍ أنْ بِتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرى ... وبِتُّ بِمَا زوَّدْتَنِي مُتَمتِّعا

ولوْ أنَّنِي أنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبِتْ ... خِلاَفَكَ حَتَّى نَنْطَوِى فى الثَّرَى مَعَا

[لإبراهيم بن عبد الله بن حسن يرثى أخاه]

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا:

أَبَا المَنازِلِ يَا عُبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ ... يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ فى الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا

اللهُ يَعْلَمُ أنِّى لَوْ خَشِيتُهُمُ ... أو آنسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَزَعَا

لَمْ يَقْتُلُوكَ ولَمْ أُسْلِمْ أُخَيَّ لهُمُ ... حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله: «ياعُبْرَ الفوارس، يصفه بالقوة منهم وعليهم، كما يقال: ناقة عُبْر الهَواجِرِ وعُبْر السُّرَى»[2].

وقوله:

* أوْ آنس القلب من خوف لهم فزعًا *

---

(1) ر: «بوزن».

(2) عبر الفوارس، من قولهم: ناقة عبر أسفار: إذا كانت قوية.

يقول: أحَسَّ، وأصل الإيناس فى العين، يقال: آنسْتُ شخصًا، أى أبْصَرْتَه من بعد، وفى كتاب الله جلّ وعز: ﴿آنَسَ مِنْ جانب الطُّور نَارًا﴾(١).

[لمتمم بن نويرة يرثى أخاه]

وقال مُتَمّم بنُ نُوَيْرَةَ(٢):

وَقـالوا: أتَـبْكِي كُلَّ قَـبْـرٍ رأَيْتَـهُ … لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكَادِكِ!

فَقُلْتُ لَهُمْ: إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ البُكا(٣) … ذَرُونِى فَـهذا كُلُّهُ قَـبْرُ مـالِكِ(٤)

الأَسَى: الحُزن، وقد مرّ تفسيره.

[لعلى بن عبد الله بن العباس يفخر]

وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب رحمة الله ورضوانه عليه:

أبِى الْعَبَّـاسُ قَـرْمُ بَنِى قُـصَىٍّ … وأَخْـوَالِـى المُلوكُ بَنُو وَلِيـعَـهْ

هُمُ مَنَعـوا ذِمَـارِى يَوْمَ جـاءَتْ … كَتَـائِبُ مُسْـرِف وَبَنُو اللَّكِيـعَهْ

أرادَ بِىَ الَّتِى لا عِـزَّ فِيـهـا … فَـحَـالَتْ دونَهُ أَيْـدٍ مَنِيـعَـهْ

قوله: «بنو وليعة»، فهم أخـواله من كِنْدَةَ، وأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيَّةُ، ثم إحدى بنى وَلِيعةَ.

وقوله: «كـتائبُ مُسْرِف» يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّىّ صـاحبَ الحَرَّة، وأهلُ الحجـاز يسمونه مـسرفًا، وكَـان أراد أَهْلَ المدينة جميـعًا على أن يبـايعوا يَزِيدَ بن معاويةَ على أن كلٌّ واحـد منهم عَبْدٌ قِن له إلا عليَّ بن الحُسَيْنِ، فقـال حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ مـن كِنْدَةَ: «ولا يُبايعُ ابْنُ أختنا علىُّ بن عبـد الله إلاَّ على ما يُبايِعُ عليه علىُّ بن الحسين، على أنه ابن عَم أميـر المؤمنين، وإلا فالحَرْبُ بيننا». فأُعْفِىَ علىُّ بن عبد الله، وقبِلَ منه ما أراد، فقال هذا الشِّعْرَ لذلك.

---

(١) سورة القصص ٢٩.

(٢) زيادات ر: «يرثى أخاه»، وفى س قبل هذا البيت:

ومستضحك إذ لم يُصَبْ كـمصيبتى … وليس أخو الشَّجْوِ الحـزين بضاحك

(٣) ر: «الأسى».

(٤) فى س بعد هذا البيت:

ألم تـرهُ فـينا يقـسِّـم مـاله … ويأوى إليـه مـرمـلات الضـرائكِ

وقولـه: «بنو اللكيعـة»، فهى اللئـيمـة، ويقال فى النداء للّئـيم: يا لَكَعِ، وللأنثى: يالَكاعِ، لأنه موضع معرفة. كما يقال: يا فُسَقُ ويا خُبَث، فإن لم تُرِدْ أن تَعْدِلَهُ عن جهته قلتَ للرجل: يا أَلْكَعُ، وللأنثى يالَكْعاءُ، وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَة، وقد جاء فى الحـديث ـ والأصل ما ذكرتُ لك ـ: «لا تَقوم السـاعةُ حتى يَلِيَ أمر(١) الناس لَكَع ابن لُكَع»، فـهذا كناية عن اللئيم ابن اللئـيم، وهذا بمنزلة «عمـر» ينصرف فى الـنكرة، ولا ينصرف فى المعـرفة. ولَكاعِ يُبْنَى على الـكسر، وسنشرح باب «فَعالِ» للمؤنث على وُجوهه الأربعة عند أول ما يَجْرِى من ذكره إن شاء الله، وقد اُضْطُرَّ الحُطَيْئةُ فَذَكَرَ «لَكاعِ» فى غير النِّداء، فقال يَهْجو امرأته:

أُطَوِّفُ مَـــا أُطَـوِّفُ ثُمَّ آوِى إِلَى بَيْـتٍ قَـعِـيـــدَتُـهُ لَكاعِ

قعيدة البيتِ: ربَّةُ البيت، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها، ويقال للفرس قُعْدَةٌ من هذا، وهو الذى يَرْتَبطه صاحبه فلا يُفارقه، قال الجُعْفِيُّ:

لكِنْ قَـعِـيـدَةُ بَيْـتِنَا مَـجْـفُـوَّةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا، ولَهَا غِنَى

الجَناجِنُ: ما يظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلوع الصدر، واحدها جِنْجِنٌ.

[لهشام أخى ذى الرمة]

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة:

تَعَزَّيْـتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْـلانَ بَعْدَهُ عزاء، وجَفْنُ العَـيْن بالمَاء مُتْرَعَ

ولَمْ تُنْسِنِي أوْفَى المُصِيـبَات بعده ولكن نكءَ القرح بالقرح أوجع

غَيْلانُ: هو ذو الرُّمَّـة، وكان هِشامٌ من عُقَلاءِ الرجال. حـدثنى العباس بن الفَرَجِ فى إسناده له(٢) يَعْزوه إلى رجل أراد سَفَرًا، فقال: قال لى هشامُ بن عُقْبَةَ. إنَّ لكل رُفْقَـة كَلْبًا يَشْرَكُـهُـمْ فى فَضْلَة الزادِ، ويَهِرُّ دونهم، فـإن قَدَرْتَ ألا تكونَ كَلْبَ الرُّفْقة فـافْعَلْ، وإِيَّاكَ وتأخيرَ الصَّلاة عن وقـتها، فإنك مُصَلِّيهـا لا مَحَالَةَ، فَصَلِّها وهى تُقْبَلُ منك.

---

(١) ر ، س: «أمور الناس».

(٢) ر ، س. «فى إسناد ذكره».

[لحسان بن ثابت الأنصاري في لهوه]

وقال حَسَانُ بن ثابت الأنصاريّ:

تَقُولُ شَعْثَاءُ(١) لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الـــكَأْسِ لأصبَحْتَ مُثْرِيَ الْعَدَدِ
أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّـــبْحِ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرِدِ
لاَ أَخْدِشُ الْخَـدْشَ بِالجَلِيسِ وَلا يَخْشَى نَدِيمِى إذا انْتَشَيْتُ يَدِى
يَأْبَى لِيَ السَّيْفُ وَاللِّسَانُ وَقَوْ مٌ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةِ الأَسَدِ

لِبْدَةُ الأسد: ما يَتَطَارَقُ مِنْ شَعَرِهِ بين كتفَيْه، ويقال: أَسَدٌ ذو لِبْدَةٍ وَذو لِبَدٍ.

[لجرير في مرضه حين عادته قيس]

وحدّثني عُمارة قال: مرض جَرِيرٌ مَرْضَةً شديدةً، فعادته قيس، فقال:

نَفسِي الْفِـداءُ لِقَومٍ زَيَّنُوا حَسَبِي وَإِنْ مَرِضتُ فَـهُمْ أَهْلِي وَعُوَّادِي
لَوْ خِفتُ لَيْـثًا أَبَا شِـبْلَيْنِ ذَا لِبَدٍ مَا أَسْلَمُونِي لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِي
إِنْ تَجْـرِ طَيْرٌ بِأَمْـرٍ فِـيهِ عَـافِيَـةٌ أَوْ بِالرَّحِـيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زادِي

[لعبد الرحمن بن ثابت يهاجي عبد الرحمن بن الحكم]

وقال عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابتٍ بن الْمُنْذِرِ بن حَرَامٍ، وهو يهاجِي عبَد الرحمن بن الحكَمِ بن أبي العاصي بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْسٍ:

فَـأَمَّا قَـوْلُكَ: الخُلَفَـاءُ مِنَّا فَـهُمْ مَنَعُـوا وَرِيدَكَ مِنْ وِدَاجِي
وَلَوْلاَهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْـرٍ هَوَى فِي مُظْلِمِ الْغَمَراتِ دَاجِ
وكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِـدٍ بِقَـاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْـرِ واجِي(٢)

فكتب مُعاويةُ إلى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهُما وكانا تَقَاذَفا، فَضَرَبَ عبدَ الرحمن بن حسّان ثمانين، وضَرَبَ أخاه عشرين، فقيل لعبد الرحمن بن حسّان: قد أمْكَنَكَ في مَرْوانَ ما تريد، فَأَنْشِدْ بذكره، وارْفَعْهُ إلى مُعاوية، فقال: إذًا والله

---

(١) زيادات ر: «هي امرأته، وهو اسمها».

(٢) الفهر: الحجر الذي يملأ الكف.

لا أَفْعلُ، وقد حدَّنى كما تُحَدُّ الرجالُ الأحرارُ، وجَعَل أخاه كنصف عبد. فأَوجَعهُ بـهـذا الـقـول.

* * *

ويروى أن عبد الـرحمن بن حَسَّان لسَعَـهُ زُنْبورٌ فجاء أباه يبكـى، فقال له: مالك؟ فقال: لسعنى طائر كأنه مُلْتَفٌّ فِى بُرْدَى حِبَرَةٍ. قال: قلتَ والله الشعرَ.

ويروى أن معلَمه عاقب صبيانا[1] على ذَنْبٍ وأراده بالعقوبة، فقال:

اللهُ يَعْلَـمُ أَنّى كُنْتُ مُـنْتَـبِــذًا فى دَارِ حَسَّـانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيـبَا

وأَعْرَقُ قومٍ كـانوا فى الشعر آلُ حَسَّـان، فإنهم كانوا يَعْتَـدُّون ستةً فى نَسَق كُلهم شاعرٌ، وهم سَعيد بن عـبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنْذِر بن حرام، وبعد هؤلاء فى الوقت آلُ أبى حَـفْصة، فـإنهم أهل بيت كلُّهم شاعـر، يتوارثونه كابِرًا عن كَابِر.

ويـروى أن ابنـة لابـن الـرِّقـاع وقف ببـاب أبيها قوم يسألون عـنه، فقالت: ما تريدون؟ فقالوا: جئنا لنُهاجِيَهُ، فقالت وهى صَبِيَّةٌ:

تَجَمَّـعتُمُ مِنْ كلِّ أَوْبٍ وَوِجْـهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلتُم قِـرْنَ واحِدِ

فهذه بلغتْ بطبـعها على صِغَرِها مَبْلَـغَ الأعْشَى فى قَلْب هذا المعنى، حيث يقول لِهَوذَةَ بن علىّ:

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلاثِين قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَلاثِينَ وَاحِدَا

(١) ر: «الصبيان».

باب
[نبذ من كلام الحكماء]

قال أبو العباس: قال عـمر بن الخطاب رحمه الله(١): عَلِّمُوا أولادكم العَوْمَ والرِّماية، ومُـروهُمْ فَلْيَثِبُوا على الخـيل وثْبًا، ورَوُّوهُمْ ما يَجْمُلُ من الشـعْر. وفى حديث آخر: وَخَيْرُ الخُلُقِ للمرأة المِغْزَلُ.

ويروى عن الشَّعْبِىِّ أنه قال: قال عبد الله بن العباس، قال لى أبى: يا بُنَىِّ، إنى أرى أمير المؤمنين قد اختَصَّكَ دون مَـنْ ترى من المهاجرين والأنصار، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كَـذِبًا، ولا تَغْتَبْ عنده مسلمًا، ولا تُفْـشِيَنَّ له سِراًّ، قال: فقلتُ له: يَا أَبَهْ، كُلٌّ واحدةٍ منها خيـرٌ من ألف، فقال: كلٌّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف.

وحدثنى العبـاس بن الفَرَج فى إسناد ذكره قال: نُظِرَ إلى عـمرو بن العاص على بَغْلة قد شَمِطَ(٢) وَجْهُها هَرَمًا، فقيل له: أَتَرْكَب هذه وأنت على أكْرَمِ ناخرة بمصر؟ فـقال: لاَ مَلَلَ عندى لدابتى مـا حَمَلَتْ رجْلِىَ، ولا لامرأتى مـا أحْسَنَتْ عِشْرَتى، ولا لصديقى ما حَفِظَ سِرِّى، إن المَلَلَ من كَوَاذب الأخْلاق.

قوله: «على أكرم ناخـرة» يريد الخيل، يقال للواحد ناخـرٌ، وقيل: ناخِرَة، يراد جماعةٌ، كما تقول: رجل بَغَّالٌ وحَمَّـارٌ، والجماعة البَغَّالةُ والحمَّارةُ، وكذلك تقول: أتتنى عُصْبَةٌ نَبيلةٌ، وقبيلة شَرِيفة، والواحد نبيلٌ وشريف.

[فى مشاورة معاوية عمرو بن العاص فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة]

وشاوَرَ مُعـاوية عَمْرًا فى أمر عـبد الله بن هاشم بن عُتْبَـةَ بن مالك بن أبى وَقَّاصٍ ـ وكان هاشم بن عُتْبَة أحَدَ فُرْسان(٣) علىّ رحمه الله ـ فأُتِىَ بابنه مُعاويةُ، فشاور عَمْـرًا فيه، فقال: أرى أن تقتله، فقال له مـعاوية: إنى لـم أرَ فى العَفْو إلا خيْرًا، فمضى عمرٌو مُغْضَبًا، وكتب إليه:

---

(١) ر ، س: «رضى الله عنه».
(٢) شمط وجهها: ابيضّ.
(٣) زيادات ر: «وهو المرقال».

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازِمًا فَعَصَيْتَنِى ... وكانَ مِنَ التَّوْفيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمِ

أَلَيْسَ أَبُوهُ يَا مُعَاوِيَةُ الَّذِى ... أَعَانَ عليًّا[1] يَوْمَ حَزِّ الْغَلَاصِمِ[2]

فَقَتَّلَنا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا ... بِصِفِّينَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ

وهذا ابْنُهُ، والمرءُ يُشْبِهُ عِيصَهُ[3] ... ويُوشِكُ أَنْ تُلْفى[4] بِهِ جِدَّ نَادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم، فكتب إليه عبد الله بن هاشم:

مُعَاوِىَ إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ... ضَغِينَةُ خِبٍّ غِشُّهَا غَيْرُ نَائِمِ

يَرَى لَكَ قَتْلِى يَابْنَ هِنْدٍ وإِنَّمَا ... يَرَى مَا يَرَى عَمْرٌو مُلُوكُ الأَعَاجِمِ

عَلَى أَنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ ... إِذَا كَانَ مِنْهُ بَيْعَةٌ لِلمُسَالِمِ

فَإِنْ تَعْفُ عَنِّى تَعْفُ عَنْ ذِى قَرَابَةٍ ... وإِنْ تَرَ قَتْلِى تَسْتَحِلَّ مَحَارِمِى

فَصفَحَ عنه.

[من كلام عمرو بن العاص لعائشة]

وقال عمرو لعائشة رحمة الله عليهما[5]: لوَدِدْتُ أنَّك كنت قُتِلْتِ يوم الجَمَلِ! فقالت: ولِمَ لا أبالك؟ فقال: كُنْتِ تَمُوتِينَ بأَجَلِكِ، وتَدْخُلِينَ الجنةَ، ونَجْعَلُكِ أكبر التشنيع على علىّ.

[ما قاله عمرو بن العاص حين احتضر]

وحدثنى العباس بن الفرج الرِّيَاشِىُّ فى إسناد ذكره، آخره «ابنُ عباس»، قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد احْتُضِرَ، فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له: يا عبد الله، خُذْ ذلك الصُّندوقَ، فقال: لا حاجة لى فيه[6]، قال: إنه مملوء مالاً، قال: لا حاجة لى به، فقال عمرو: ليته مملوء بَعَرًا! قال: فقلت:

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «علينا».

(٢) الغلاصم: الحلاقيم

(٣) العيص: الأصل

(٤) ر: «تلقى» بالقاف.

(٥) ر: «رحمها الله».

(٦) س: «به»

يا أبا عبد الله، إنك كنتَ تقول: أشتهى أن أَرَى عاقلاً يموت حتى آسأَلَهُ كيف يَجدُ؟ فكيف تَجِدُكَ؟ قال: أجد السماء كأنها مُطْبَقةٌ على الأرض وأنا بينهما، وأرانى كأنما أَتَنَفَّسُ من خَرت إِبْرَة، ثم قال: اللهم خُذْ منى حتى تَرضَى. ثم رفع يديه فقال: اللهم أَمَرْتَ فَعَصَيْنَا، ونَهَيْتَ فَرَكِبْنَا، فلا برىءٌ فأعتَذِر، ولاقوىٌّ فأنتصر، ولكنه لا إلَه إلا الله ثلاثًا، ثم فاظ.

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرِّيَاشِىِّ بأتمَّ[1] من هذا، ولكن[2] اقتصرنا على هذا لثقَة إسناده.

قوله: «من خَرْت إبرة»، يعنى من ثَقْبِ إبرةٍ، يقال للدليل: خِرِّيت، وزعم الأصمعىّ أنه أريد به أن يَهْتدى لمثل خُرْتِ الإبرة.

وقوله: «فاظ»، أى مات، يقال: فاظ، وفاد، وفَطَسَ، وفازَ، وفَوَّزَ، كل ذلك فى معنى الموت، ولا يقال: بالضاد إلا للإناء، قال رؤبة[3]:

* لاَ يَدْفِنُونَ مِنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

وقال ابن جُرَيْجٍ: «أمَا رَأَيْتَ الَمْيتَ حِينَ فَوْظِه»!

ومَن قال ذلك للنفْس قال: فاضَتْ نَفْسُهُ، يشبِّهُهَا بالإناء.

وحدّثنى أبو عثمان المازنىُّ ـ أَحْسِبُهُ عن أبى زيد ـ قال: كلُّ العرب يقولون: فاضَتْ نفسه إلا بَنى ضَبَّة فإنهم يقولون: فاظَتْ نفسه، وإنما الكلام الصحيح، فاظ ـ بالظاء ـ إذا مات.

وفى الحديث أن امرأة سَلاَّم بن أبى الحُقَيْقِ قالت: فاظ، وإلَه يَهودَ.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وحدثنى مسعود بن بِشْر قال: قال زيادٌ: الإمْرةُ تُذْهِب الحَفيظةَ، وقد كانت من قوم إلِىَّ هَناتٌ جعلتُها تحت قَدَمى، ودَبْرَ أُذُنى، فلو بلغنى أن أحدَكم قد أخذه

---

(١) س: «أتم».

(٢) س: «ولكنا».

(٣) قبله:

* والأزد أمسى شلوهم لفاظا *

وانظر اللسان (فيظ).

السُّلُّ من بُغْضِى ما هتَكْتُ له سِتْرًا ولا كشَفْتُ له قناعًا حتى يُبْدِىَ لى عن صَفْحتِه، فإذا فعل لم أناظِرْهُ.

وسمع زيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال: لو كان يدرى ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، إن الزمان هو السلطان.

وفى عَهْدِ أردَشِير: وقد(١) قال الأولون مِنَّا: عَدْلُ السلطان أنفعُ لِلرَّعِيَّة من خِصْبِ الزمان.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ لِبَنِيه: إذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا للمُحسِنِ، واشتدّوا على المريب، فإن الناس للسُّلْطان أهْيَبُ منهم للقرآن.

وقال عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه: إن الله ليزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن.

قوله: «يزَعُ» أى يَكُفُّ، يقال: وَزَعَ يزَعُ إذا كف، وكان أصله «يَزِعُ» مثل يَعِدُ فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وأتْبِعتْ حروفُ المضارعة الياءَ لتلا يختلف الباب، وهى الهمزة، والنون، والتاء، والياء، نحو أَعِدُ، ونَعِدُ، وتَعِدُ، ويَعِدُ، ولكن انفتحت فى «يزَعُ» من أجل العين؛ لأن حروف الحلق إذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ فى الفعل الذى ماضيه «فَعَلَ»، وإن وقعت الواو مما هى فيه فاءٌ فى «يَفْعَلُ» المفتوحة العين فى الأصل صَحَّ الفعْل، نحو: وَحِلَ يَوحَلُ، وَوَجِلَ يَوْجَلُ، ويجوز فى هذه المفتوحة ياحَلُ وياجَلُ ويَيْحَلُ ويَيْجَلُ، وكل هذا كراهية للواو بعد الياء، تقول: وزَعْتُهُ: كففته، وأوزعته: حملته على ركوب الشيء وهيّأته له، وهو من الله عزّ وجل توفيق، ويقال: أوْزَعكَ الله شكره، أى وفقك له.

وقال الحسن مرّةً: ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشُّرَطِ؟ فلما وَلِى القضاء كَثُرَ عليه الناس، فقال: لابُدَّ للسلطان(٢) من وَزَعَة.

---

(١) س: «قد» بحذف الواو.

(٢) ر، س: «للناس».

[خطبة الحجاج فى أهل العراق]

وخَطَبَ الحَجَّاجُ بن يوسف ذات يومٍ، يوم جمعة، فلما تَوَسَّطَ كلامَهُ سمع تكبيرًا عاليًا من ناحية السوق، فقطع خطبته التى كان فيها، ثم قال: يا أهلَ العراق، ويا أهل الشِّقاق، ويا أهل النفاق، وسَيِّئ الأخْلاق، يا بنى اللَّكيعة، وعَبيدَ العَصَا، وأولادَ الإماء، إنى لأسْمَعُ تكبيرًا ما يُرَادُ الله به، إنما يراد به الشيطانُ، وإن مَثَلى ومَثَلكُمْ قولُ ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدانىِّ:

وَكُنْتُ إِذَا قَـوْمٌ رَمَوْنِى رَمَيْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فى ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ!

مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذَّكِىَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

[ثم نزل فصلّى بهم](١).

قوله: «يا أهل الشقاق»، فالمشاقَّةُ المعاداة، وأصله أن يَركَبَ ما يَشُقُّ عليه، ويُرْكبَ منه مثل ذلك. والنفاق أن يُسرَّ خلافَ ما يُبْدى، هذا أصله، وإنما أُخذَ من النافقاء، وهو أحد أبواب جُحْرِ اليَرْبوع، وذلك أنه أخفاهَا فإنما يَظْهَرُ من غيره، ولِجُحْرِه أربعةُ أبواب: النافقاءُ، والراهطاءُ، والدأماءُ والسابياءُ، وكلُّها ممدودة، ويقال للسابياء: القاصعاءُ، وإنما قيل له السابياء لأنه لا يُنفِذُهُ فيبقى بينه وبين إنفاذه هَنَة من الأرض رقيقةً، وأُخذَ من سابياء الولد، وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه، قال الأخْطَلُ يَضْرِبُ ذلك مَثلاً ليَرْبوع بن حَنْظَلَةَ لأنه سُمِّىَ باليربوع:

تُسَدُّ القاصعاءُ عليك حَتَّى تُنَفَّقَ أو تموتَ بها هُزالا(٢)

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ إلا وفى جُحْرِه عقربَ، فهو لا يأكل ولد العقرب، وهى لا تضربه فهى مُسالِمَةٌ له وهو مُسالِمٌ لها، وأنشد(٣):

---

(١) تكملة من ر.

(٢) تنفق: تخرج من نافقائه.

(٣) زيادات ر: «كلها بالمد، ويقال بالقصر، ويقال أيضا فيها على وزن فعلة [بضم الفاء وفتح العين] نفقة ورهطة ودممة وقصعة.

وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء، والنفقاء كالنافقاء، والقصعاء كالقاصعاء.

=

وأَخْدَعَ من ضَبٍّ إذَا خاف حارشًا[1] أَعَدَّ له له عنْدَ الذَّنابة عَقْربا

وقوله: «بنو اللكيعة» يريد اللئيمة، وقد مرَّ تفسير هذا فى موضعه، قال ابن قَيْسِ الرُّقَيَّات يذكر قتل مُصْعَب بن الزُّبيرِ[2]:

إن الـرزِيَّة يَـوْمَ مَـسْـكِنَ والمُصيبـةَ والفَـجيعَـهْ
بـابـن الحَـوَارِىِّ الـذى لَمْ يَعْـدُهُ أَهْلُ الوَقـيـعـهْ[3]
غَـدَرَتْ به مُـضَـرُ العِـرا قِ، وأَمْكَـنَتْ منْهُ رَبـيـعـهْ
فَأَصَـبْـتِ وِتْـرَكِ يـا رَبِـيـعَ وكُنْتِ سامعةً مُطيعَهْ
يـا لَهـفَ لو كـانَتْ لـه بالطَّفِّ يَوْمَ الـطَّفِّ شيـعَـهْ !
أو لم يَـخُـونـوا عَـهْـدَهُ أهلُ العِـراقِ بَنُو الَّلكيـعَـةْ
لَـوَجَـدْتـمـوهُ حـيـن يَـغْـضَبُ لا يـعَـرِّجُ بـالمضيعَهْ[4]

وقوله: «عبيـد العصا»، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال[5]، كما قال ابن مُفرِغٍ الْحِمْيَرِىُّ:

الْعَـبْـدُ يُـقْـرَعُ بـالعَـصَـا والحُـرُّ تـكفـيـه المَلامَـهْ

وقال جرير يهجو التَّيْمَ:

أَلاَ إنَّمـا تَيْمٌ لعـمـرو ومـالكٍ عَبيدُ العَصـا لم يَرجُ عِتْقًا قَطينُها

= وحكى أيضا زيادة فقال: العاتقاء، جحر الأرنب واليربوع، والغابياء أيضا جحرة اليربوع. وأما قول أبى العباس فى السابياء، فهو مما قد ورد عليه فيه، وقد نبعه ابن ولاد، وكلاهما غير مصيب، وإنما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفقء، وليس مخرج الولد فيه وقال الكميت:

وفقَّأ فيها الغيثُ منْ سابيائه دَوالحَ وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وإنما الجلدة التى يكون فيها الولد الغرس، وقد تبع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحر اليربوع، وذلك غلط.

(١) الحارش: صائد الضباب.

(٢) قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢، قتله عبد الملك بن مروان بموضع يقال له مسكن على نهر جيل. والأبيات فى معجم البلدان. (٨: ٥٤).

(٣) الحوارى فى الأصل: الناصر، ويريد به الزبير بن العوام.

(٤) روايته فى معجم البلدان:

لوجدتموه حين يَغْـ ـدو لا يعرّسْ بالصنيعهْ

(٥) ر: «يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال».

[من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه]

وخَطَبَ النَّاسَ عبد الرحمن بن محمد الأشعث بالمِربد عند ظهور أمر الحَجّاج عليه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عدوِّكُم إلا كما يَبْقى من ذَنَب الوزَغَة، تَضْرِبُ به يمينا وشمالا فلا تَلْبَثُ أن تموت. فسمعه رجل من بنى قُشَيْرِ ابن كَعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة فقال: قَبَّحَ الله هذا: يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعِدُهُم الغرورَ!

[كلام عرار بن شأس لعبد الملك حينما حمل إليه رأس ابن الأشعث]

ورَوَت الرُّواةُ أن الحَجَّاجَ لما أخَذَ رأسَ ابْن الأشعث وَجَّهَ به إلى عبد الملك ابن مَرْوان مع عِرَار بن عَمْرو بن شَأْسٍ الأسَدِىِّ ـ وكانَ أسود دَميما ـ فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شىء من أمر الوقعة[1] إلا أنْبَأَهُ به عرارٌ، فى أصح لفظ، وأشْبَعِ قول، وأجْزَإ اختصار، فشفاه من الخبر، ومَلأَ أُذُنَهُ صوابًا ـ وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقْتَحَمَتْهُ عينه حيث رآه ـ فقال متمثّلاً:

أرَادَتْ عِرَارًا بِالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ ... لَعَمْرِى عِرَارًا بالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ[2]

وَإنَّ عِرَارًا إنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فإنِّى أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكب الْعَمَمْ

فقال له عِرارٌ: أتَعْرِفُنى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: فأنا والله عِرارٌ، فزاده فى سُروره، وأضْعفَ له الجائزة.

[كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك فى وقت محاربته ابن الأشعث]

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك وقت محاربته ابنَ الأشْعَث: إنى قد وجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لَمْ يُرَ مِثْلها قَطُّ، فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهًا جميلاً، وخُلُقًا نَبِيلاً، فألْقى إليها قضيبا كان فى يده، فَنَكسَتْ لتأخذه، فرأى منها جِسْمًا بَهَرَهُ، فلما همَّ بها أعْلَمَهُ الآذن أن رسول الحَجَّاج بالباب، فأذنَ له، ونَحَّى الجاريةَ، فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن، فيه سطور أربعة:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ: هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الجِيرةِ الخُلُطِ![3]

---

(1) ر: «الوقيعة».

(2) البيتان لعمرو بن شأس، وانظر ديوان الحماسة لأبى تمام ـ بشرح التبريزى ١ . ٢٧٢ .

(3) نسب أبو الفرج هذه الأبيات إلى وعلة الجرمى، وانظر الأغانى ١٩ : ١٤٠ .

وهلْ ستمَـوْتُ بِجرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمٍّ الصوَّاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ !

وهَلْ تَركَتُ نِساءَ الْحَىِّ ضَاحِيَةً فِى سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوقِدنَ بِالغُبُط !

وتحتها(١):

قَـتَلَ الملوكَ وسَـارَ تَحْتَ لِوَائِهِ شَـجَرُ الْعُـرَى وعَـرَاعِرُ الأَقْـوَامِ

قال: فكتب إليه عبد الملك كتابا، وجعل فى طَيِّه جوابا لابن الأشعث:

مَا بَالُ منْ أسْعَى لأجْـبُرَ عَظْمَهُ حِفَاظًا ويَنْوِى مِنْ سَفَاهَتِه كَسْرِى!(٢)

أظنٌّ خُطُوبَ الدَّهْرِ بينى وبَيْنَهُمْ سَتَحْـمِلهُمْ مِنِّى عَلَى مَرْكَبٍ وَعْـرِ

وَإِنِّى وإيَّاهُمْ كـمَنْ نَـبَّـهَ القَطَا وَلَوْ لم تُنَبَّهْ بَاتَت الطَّيْـرُ لا تَسْـرى

أنَاةً وَحِلمًـا وَانْتظَارًا بِهِمْ غَـدًا فـمَا أنَا بِالْوَانِى وَلاَ الضَّـرِعِ الْغَمْـرِ

وينشد: «بالفانى». ثم يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقـول: ما أفَدْتُ فائدة أحبَّ إلىَّ منك، فتقـول: فما بالكَ يا أمير المؤمنين ومـا يمنعك؟ فقال: [يمنعنى](٣) ما قال الأخْطَلُ؛ لأنى إن خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العرَب:

قَوْمٌ إذَا حَـارَبُوا شَدُّوا مَـآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَــاءِ وَلَوْ باتَتْ بِأطْـهَـارِ

فما إليـكِ سَبِيلٌ أو يَحْكُمَ الله بينى وبين عدوِّ الرحـمن، ابن الأشْعَثِ. فلم يَقْرَبْها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن.

قوله: «فرأى منـها جسمًا بَهَـرهُ»، يقال: بَهَرَ الليلُ إذا سَدَّ الأفُقَ بـظلمته، وبَهَرَ القمرُ إذا ملأ الأرض ببَـهائِه، ومن ثمَّ قيل: القمرُ(٤) الباهرُ، أنشدنى المازنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كعْب:

وَالْقَـمَـرِ الْبَاهِـرِ السَّمَـاءَ لَقَـدْ زُرْنَا هِلالاً بِـجـحْـفَـلٍ لَجِب

---

(١) زيادات ر: «بيت آخر على غير الروى من الأبيـات الأول، وهو». والبيت لمهلهل بن ربيعة، وانظر اللآلئ ٣٤١.

(٢) الأبيات للحارث بن وعلة الجرمى، وانظر اللآلئ ٧٥٠

(٣) تكملة من ر.

(٤) ر: «للقمر».

تَسْمَعُ زَجْرَ الكُمَاة بَيْنهُمُ: قَدِّمْ، وأَخِّرْ، وأرحبِى، وَهبِى(١)

منْ كُلِّ هُدَّاءَة كعاليِة الرُّ مْحِ أمونٍ وَشَيْظَمٍ سَلِبِ(٢)

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ يَصِفُ كيف تُزجرُ الخيلُ، فَجَمَعَهُ فى بيت واحد:

وقِيل اقْدِمِى وَاقْدِمْ وأَخٍّ وأَخِّرِى وَهَاءِ وهَلاً وَاضرَحْ(٣) وَقادِعُهَا هبِى

[قال أبو الحسن: وأجٍّ].

ومن زَجْرِ الخيل أيضًا: «هقَبْ وهقَطْ»، وأنشدنى المازنىّ:

لَمَّا سَمِعتُ زَجرهُمْ هقَطْ عَلِمتُ أنَّ فَارِسًا مُنحَطٌّ(٤)

وقوله: «بين الجَمِّ والفُرُط» هما موضعان بأعيانهما.

وقوله:

* فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ *

يقال فيه قولان متقاربان: أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فَجَعَلْنَ مَراكبَهنَّ حَطبًا، هذا قول الأصمعىّ. وقال غيره: بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب، والغَبِيطُ من مَراكب النساء، وكذلك الحِدْج؛ قال امْرُؤُ القَيْسِ:

تَقُول وَقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا: عَقَرْتَ بَعِيرِى يا امْرأَ القَيْس فانزلِ

فأعلمك أن الغبيط لها، والمحامل إنما أوّل من اتخذَها الحجّاج، ففى ذلك يقول الراجز:

أوَّلُ عبدٍ عمِلَ المَحامِلاَ أخْزاه ربّى عاجِلا وآجِلا

وقوله: «شجر العُرا» فالعُرا: نبت بعينه إن ضُمَّ العَينُ، والعَراءُ ممدودا وَجهُ الأرضِ، قال الله عزّ وجل: ﴿لَنُبِذَ بِالعراَءِ وَهوَ مَذْمُومٌ﴾(٥). وقال الهُذَلِىُّ(٦):

---

(١) أرحبى، من أرحب الشىء إذا وسعه، وهى من قولهم: هب بكسر الباء، وكلاهما زجر للخيل.

(٢) الهداءة: الفرس الضّامر. والأمون: الوثيقة الخلق، والشيظم: الشديدة. والسلب: الطويل.

(٣) ر: «واضبر».

(٤) زيادات ر: قال الفراء: هقط، بالكسروالفتح، ويروى: «مختط بدل منحط».

(٥) سورة القلم ٤٩ .

(٦) هو أبو حراش، والبيت فى ديوان الهذليين ٢: ١٦٨ .

رَقَعتُ رِجْلا لا أَخافُ عِثارَهَا وَنبَذْتُ بِالْبَلدِ العَراءِ ثِيَابِى

وهذا التفسير والإنْشَاد عن أبى عبيدة.

وقوله:

* دون النساء ولو باتَتْ بأطهار *

معناه أنه يجتنبها فى طهْرها، وهوالوقت الذى يستقيم له غِشْانُها فيه، وأهل الحجاز يَرَوْنَ «الأقْـراءَ» الطهْر، وأهلُ العراق يَرَونهُ الحيضَ، وأهلُ المدينة يجعلون عِدَد النساءِ الأطهارَ، ويحتَجُّونَ بقول الأعْشى:

وَفى كلِّ عَامٍ أنْتَ جاشِمُ غَزوَةٍ تَشُدُّ لأقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةٍ مَالاً، وَفى الحَىِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وقوله: «ولو باتتْ بأطهار»، فـ «لو» أصلها فى الكلام أن تَدُلَّ على وقوع الشىء لوقوع غيره، تقول: لو جئتنى لأعْطيتُكَ، ولو كان زيدٌ هناك لضربْتُهُ، ثم يَتَّسعُ فتصير فى معنى «إنْ» الواقعة للجزاء، تقول: أنتَ لا تُكرِمُنى ولو أكْرَمتُكَ، تريد «وإنْ» قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤمن لَنَا وَلَوْ كنَّا صَادقين﴾[1]، فأما قوله عز وجلّ: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الأَرْضِ ذَهبًا وَلو افْتدَى به﴾[2] فإن تأويلهَ عند أهل اللغة: لا يُقْبَل أن يَتَبرأ به وهو مقيم على الكفر، ولا يُقْبلُ إن افتَدَى به، فـ «لو» فى معنى «إنْ» وإنما مَنَعَ «لَوْ» أن تكون من حروف المجازاة فَتجْزِمَ كما تَجزِمُ «إنْ» أنَّ حروفَ المجازاة إنما تقع لما لم يَقَعْ، ويصير الماضى معها فى معنى المستقبل، تقول: إن جئتَنى أعْطيتُكَ، وإن قَعدْتَ عنى زُرتُك، فهذا لم يقع، وإن كان لفظ الماضىِ لَمَا أحْدثتْهُ فيه «إن». وكذلك مَتَى أتيتنى أتيتك، و «لو» تقع فى معنى الماضى، تقول: لو جئتنى أمْسِ لصادَفتَنى، ولو ركبتَ إلى أمْسِ لألفَيتَنى، فلذلك خَرجَتْ من حروف الجزاء، فإذا أدخلتَ معها «لا» صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلافُ ذلك المعنى، ولاتقع إلا على الأسماء، ويقع الخبر محذوفًا لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه، فاستُغْنِىَ عن

(١) سورة يوسف ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ٩١.

ذكره، لذلك تقول: لَوْلاَ عَبدُ الله لضربتكَ، والمعنى فى هذا المكان: من قَرابتك، أو صَداقتك، أو نحو ذلك، فهذا معناها فى هذا الموضع، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهى «لَوْلاَ» التى تقع فى معنى «هلاَّ» للتَّحْضيض، ومن ذلك قوله: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المؤْمنُونَ والمؤْمنَاتُ بأَنْفُسهِمْ خَيراً﴾(١)، أى هَلاَّ، وقال الله عَزَ وجلّ: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الربَّانيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَولهِمُ الإِثْمَ﴾(٢)، فهذه لا يليها إلاالفعل؛ لأنها للأمر والتحضيض، مُظْهَرًا أو مُضْمَرًا، كما قال(٣):

تَعُدُّون عقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِى ضَوطَرَى لَوْلاَ الْكَمِىَّ المقَنَّعَا

أى هلا تَعُدُّون الكَمِىَّ المقنعا، «ولَولاَ» الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرت لك، ولابُدَّ فى جوابها من اللام أو معنى اللام، تقول: لولا زَيْدٌ فعلت، والمعنى لَفَعَلْتُ، وزعم سيبويه أن «زيدًا» من حَديث «لولا» واللامُ والفعلُ حديثٌ مُعلَّقٌ بحديث «لولا»، وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها، و «لوْ» لا يليها إلا الفعل مضمراً أو مظهراً؛ لأنها تُشاركُ حروف الجزَاء فى ابتداء الفعل وجَوابه، تقول: لو جِئْتَنى لأعْطَيْتُكَ، فهذا ظهور الفعل، وإضماره [قوله عزّ وجل](٤): ﴿قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلكُونَ خَزَائنَ رَحمة ربِّى﴾(٥)، والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم، فهذا الذى رَفَعَ «أنتم» ولَما أُضْمرَ ظَهر بعده ما يُفسّرُهُ، ومثلُ ذلك: «لَو ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتنِى» أراد لَوْ لَطَمَتنِى ذاتُ سِوارٍ، ومثله(٦):

ولَوْ غيرُ أَخوَالِى أَرَادُوا نَقِيصَتِى ... جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينِ مِيَسمَا

(١) سورة النور ١٢.

(٢) سورة المائدة ٦٣.

(٣) زيادات ر: «نسب لجرير، وقيل للأشهب بن رميلة». والصحيح أن البيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق، (وانظر ديوانه ٢٣٣ ـ ٢٤٠).

(٤) تكملة من ر.

(٥) سورة الإسراء ١٠٠.

(٦) زيادات ر: «قول المتلمس» والبيت فى الأصمعيات ٢٨٧.

وكذلك قول جَرير:

لَوْ غَـيْرَكُمْ عَلِقَ الـزُّبَيْرُ بَحـبلِهِ أدَّى الجِــوَارَ إلَى بَنِى العَــوَّامِ

فَنَصبَ بفعل مضمر يُفسِّرُهُ ما بعده؛ لأنها للفعل، وهو فى التمثيل: لو عَلِقَ الزبيـرُ غيـرَكُم، وكذلك كلُّ شيء للفـعل نحو: الاسـتفـهام، والأمـر، والنهى، وحروفِ الفعـل نحو: «إذْ وسَوْفَ»[1] وهذا مشروح فى الكتـاب «المُقْتَضَبِ» على حقيقة الشرح.

وأمـا قوله: «وعَـراعِرُ الأقـوام» فمـعناه رءوس الأقوام، الواحـد عُرْعُـرَةٌ، وعُرْعُرَةُ كلِّ شَىء أعلاه، من ذلك كـتاب يَزيد بن المهَلب إلى الحَجَّاج بن يوسف: «وإن العدوَّ نزلوا[2] بعُرْعُرة الجـبل، ونَزَلْنَا بالحَضيض»، فقـال الحجاج: ليس هذا من كلام يَزيد، فَـمَنْ هناكَ؟ قيل: يَحيى بن يَعْـمَر، فكتب إلى يَزيدَ أن يُشخِـصهُ إليه.

[الحجاج ويحيى بن يعمر

وزعم التَّوَّزِىُّ قـال: قال الحجـاج ليَحْيى بن يَعْـمر: أتَسْمَـعُنِى أَلْحَنُ؟ قال: الأمير أفْصَحُ من ذلـك! قال: فأعاد عليه القول وأقْسَمَ. فـقال: نعم، تجعل «أنَّ» مكان «إنَّ»، فقال له: ارْحَلْ عنّى ولا تجاورنى.

قال أبوالعـباس: هذا على أنّ يزيد لم تُؤخَذ عليـه زَلَّةٌ فى لفظ إلا واحدةٌ، فإنه قال على المِنْبَرِ ـ وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْد بن الخَطَّاب ـ فقال: «هذه الضبُّـعةُ العَرَجـاءُ»، فاعتُدتْ علـيه لَحنًا، لأن الأنثى إنما يقال لهـا الضَّبُع، ويقال للذكـر الضِّبْـعان. فإذا جُـمعَ قيل ضِبُّـعان، وإنما جمع عـلى التأنيث دون التذكيـر، والباب على خلاف ذلك؛ لأن التأنيث لا زيادة فيه، وفى التـذكير زيادة الألف والنـون، فَـثُـنِّىَ على الأصل، وأصل الـتـأنـيث أن يكون زائدًا علـى بناء التذكير؛ لأنه منه يَخْرُجُ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة، فمن حيث قُلْتَ للأنثى والذكر فى التثنيـة كريمانِ على حذف الزيادة قلت: ضِبُـعانِ، وتقول: له ابنان إذا

---

(1) زيادات ر: «كذا وقع هنا «إذ» و «سوف» ولم يذكر سيبويه مع «سوف» إلا «قد» وهو الصحيح.
(2) ر: «نزل».

أردتَ: له ابن وابْنَة، ولا تقول: فى الدار رجلان إذا أردتَ رجلاً وامرأةً، إلا على قول من قال للأنثى رَجُلَةٌ، فقد جاء ذلك، قال الشاعر:

كلُّ جـارٍ ظَلَّ مُـغْـتَـبِطًا ... غَيْـرَ جِيـرانِى بَنِى جَـبَلَهْ

خَـرَّقُـوا جَـيبَ فَـتَـاتِهِمُ ... لَمْ يُبَـالُوا حُـرْمَـةَ الـرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقـة والجَملِ جَمَـلانِ، ولا الثَّوْرَانِ للثور والبـقرة[1]، لاختلاف الاسمين، إنما يكون ذلك فـيمـا ذكرنا إلا فى قـولِ من قال للأنثى: ثَـوْرَةٌ، قال الشاعر[2]:

جَزَىَ اللهُ فيهَا الأَعْوَرَيْنِ مَلاَمَةً[3] ... وَعَبْدَةَ[4] ثَفْرَ الثوْرةِ المَتَضاجِمِ[5]

[قال أبو الحسن: المتضاجم: المتسع].[6]

---

(١) ر: «ولا يقال للبقرة والثور ثوران».

(٢) هو الأخطل، والبيت فى ديوانه ٢٧٧.

(٣) الديوان: «مذمة».

(٤) فى الديوان «وفردة».

(٥) ثفر الثورة: فرجها.

(٦) من ر.

باب

[الراعي في النسيب]

قال أبو العباس: قال الراعي:

وَمُرسِلٍ ورَسُولٍ غَيرِ مُتَّهَمٍ	وَحاجةِ غَيْرِ مُزجاةٍ مِنَ الحَاجِ
طاوَعتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّجِيُّ بِنَا	وَظنٍّ أنِّي عَلَيهِ غَيْرُ مُنعَاجِ
مَا زَالَ يَفتَحُ أبوابًا ويُغْلِقُهَا	دُونِي، وأفتَحُ بَابًا بَعْدَ إرْتاجِ
حتَّى أضَاءَ سِراجٌ دونه بَقَرٌ	حمرُ الأناملِ عِينٌ طَرفُهَا ساجِ
يَا نُعْمَهَا لَيْلَةً حَتَى تَخَوَّنَهَا	دَاعٍ دَعَا فِي فُرُوعِ الصُّبحِ شَحَّاجِ!
لَمَّا دَعَا الدَّعوَةَ الأولَى فَأسمَعَنِي	أخَذتُ بُردِيَّ واستَمرَرتُ أدرَاجِي

قوله:

* وحاجة غير مزجاة من الحاج *

المزْجاةُ: اليَسيرةُ الخفيفةُ المَحملِ، قال الله عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾(١)، والحاج: جمع حاجةٍ، وتقديره فَعلَةٌ وفعَل، كما تقول: هامةٌ وهام، وساعةٌ وساع، قال القَطَامِيُّ:

وكُنَّا كَالَحرِيق أَصَابَ غَابًا	فَيَخبُو سَاعةً وَيشُبُّ سَاعَا

فإذا أردتَ أدنَى العَدَد قلتَ: ساعات، فأما قولهم: في جمع حاجةٍ حَوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولّدين، ولا قياسَ له، ويقال: في قلبي منك حَوْجَاء، أي حاجة، ولو جُمعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يا فتى، وأصله حَواجيُّ يا فتى، ولكنْ مثلُ هذا يُخَففُ، كما تقول في صحراء: صَحارٍ يا فتى، وأصلُه صَحاريُّ.

وقوله:

* طاوعته بعد ما طال النَّجِيُّ بنَا *

---

(١) سورة يوسف ٨٨.

يريد المناجاة، فأخرجه على لفظ «فَعيل»، ونظيره من المَصادر الصهيل، والنَّهيق، والشَّحيج، ويقال: شَبَّ الفرسُ شَبيبًا، ولذلك كان «النَّجِيُّ» يقع على الواحد والجماعة نَعْتًا، كما تقول: امرأة عَدلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدلٌ؛ لأنه مصدر، قال الله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾(١)، أى مُناجيًا، وقال للجماعة: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾(٢) أى مُتَنَاجين.

وقوله« منْعَاج»: أى منعطف، يقال(٣): عُجْتُ عليه، أى عَرَّجْتُ عليه، وعِجْتُ إليه أعِيج، أى عَوَّلتُ عليه.

وقوله «بعد إرْتاج»: أى بعد إغلاق، يقال: أرتَجتُ البابَ إرْتاجًا، أى أغْلَقتُهُ إغْلاقًا، ويقال: لغَلَق الباب الرّتاج، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتِجَ عليه.

وقوله:

* حتّى أضاءَ سراجٌ دونه بَقَرٌ *

يعنى نساء، والعربُ تَكنى عن المرأة بالبقرة والنَّعْجة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾(٤)، وقال الأعْشَى:

فَرمَيتُ غَفْلَةَ عَينِه عَنْ شَاتِه ... فَأصَبتُ حَبَّةَ قَلبِهَا وَطِحَالهَا

وقوله: «عِينٌ» إنما هو جمع عَيْناء، وهى الواسعة العَينِ، وتقديره «فُعْل»، ولكن كُسرَت العين لتَصِحَّ الياء، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبيض، وتقديره حَمراءُ وحُمْر، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب، لأنه لا إخْلال فيه، تقول: سَوْداءُ وسُود، وعَوراءُ وعور.

وقوله: «طرفها ساج» ولم يقل: «أطرافها»؛ لأن تقديرها تقدير المصدر، من طَرَفْتُ طَرفًا، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾(٥)

---

(١) سورة مريم ٥٢.

(٢) سورة يوسف ٨٠.

(٣) ر: «تقول».

(٤) سورة ص ٢٣.

(٥) سورة البقرة ٧.

لأن السمع فى الأصل مصدر. قال جَرِير:

إنَّ العُيونَ الَّتِى فِى طَرْفِهَا مَرَضٌ ... قَتلننا ثُمَّ لَمْ يُحيِينَ قَتلاَنَا

وقوله: «ساج» أى ساكن، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا﴾(١)، وقال جرير:

وَلَقَد رَمَيْنَكَ يَوم رُحْنَ بِأعيُنٍ ... يَقتُلنَ من خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِ

وقال الراجز:

يَاحَبَّذَا القَمرَاءُ واللَّيْلُ السَّاجْ ... وُطرقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ

وقوله: «حتى تخَونها»: يريد تنقّصها، يقال: تَخَوَّننى السَّفَر، أى تَنَقّصنى، والداعى: المؤَذِّن.

وقوله: «شَحَّاج»، إنما هو استعارة فى شدة الصوت، وأصله للبغل، والعرب تستعير من بَعض لبَعْضٍ، قال العَجَّاج ينْعَت حِمارًا:

كَأنَّ فِى فِيهِ إذَا مَا شَحَجَا ... عُودًا دُوَينَ اللَّهَوَاتِ مُولَجَا

وقال جَرير:

إنَّ الغُرَابَ بِمَا كَرِهْت لَمُولَعٌ ... بِنَوَى الأحِبْةِ دَائمُ التَشحاجِ

وقوله: «واستَمرَرتُ أدْراجى»: أى فَرَجَعتُ من حيث جئتُ، تقول العرب: رجع فلان أدْراجَه، ورَجَعَ فى حافِرتِه، ورَجَعَ عَوْدَهُ على بَدئه، وإن شئتَ رفعتَ فقلت: رَجَعَ عَودُهُ على بَدْئِه، أما الرفع فعلى قولك: رجع وَعَوْدُه على بدئه، أى وهذه حالهُ، والنصب على وجهين: أحدهما أن يكون مفعولا كقولك: رَدَّ عَوْدَه على بدئه؛ والوجه الآخر أن يكون حالاً فى قول سيبويه، لأن معناه رجع ناقصًا مَجيئَهُ، ووُضِعَ هذا فى موضعه، كما تقول: كلَّمْتُهُ فاهُ إلى فِيَّ، أى مُشافَهةً، وبايعته يَدًا بِيدٍ، أى نَقْدًا، ويجوز أن تقول: فُوهُ إلى فِيَّ، أى وهذه حالهُ، ومَنْ نَصَبَ فمعناه فى هذه الحال.

---

(١) سوره الضحى ١، ٢.

قال أبو العباس: فأما «بايعته يَدًا بيد» فلا يكون فيه إلا النصب، لأنك لَسْتَ تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كمـا كنتَ تريد فى الأول، وإنما تريد النَّقدَ، ولا تُبالى: أقَريبًا كان أم بَعيدًا.

[لأعرابى يشكو حبيبته]

وقال أعرابىّ:

شكوْتُ فَـقالَتْ: كُلُّ هذَا تَبَـرُّمًا ... بِحُـبِّى! أرَاحَ اللهُ قَلبَكَ مِنْ حُـبِّى

فَلمَّا كَتمْتُ الحُـبَّ قَالتْ: لَشَدَّمَا ... صَبَرتَ وَمَا هذَا بِفِعلِ شجِى الْقَلْبِ

وأَدْنُو فـتُقْـصِـينى فَأَبْـعُدُ طَالِبًـا ... رِضَاهَا، فـتَعتَـدُّ التَّبَـاعُدَ مِنْ ذَنْبِى

فَشكوَاىَ تُؤذِيهَا وَصَبرِى يَسُوءُهَا ... وَتَجزَعُ مِنَ بُعدِى، وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِى

فَيَـا قَـوْمِ هَـلْ مِنْ حيـلَـةٍ تَـعْـرِفُونَـهَا ؟ ... أَشِـيـرُوا بِـهَـا وَاسْتَـوْجِـبُوا الشُّـكْرَ مِنْ رَبِّى

قوله: «كلَّ هذا تَبَرُّمًـا»، مردود على كلامه، كأنهـا تقول له: أشكَوْتَنى كلَّ هذا تَبَرمًا! ولو رَفعَ رافعٌ «كُلاًّ» لكان جَيِّدًا، يكون «كلّ هذا» ابتداء[1] وتَبَرُّم خبره.

«وشجِى» مخفف الياء، ومن شـدَّدها فقد أخطأ، والمَثَلُ: «ويْلٌ للشَّجِى من الخَلِىّ»، والياء فى «الشَّجى» مخففـة، وفى «الْخَلىّ» مثقلة، وقياسه أنك إذا قلت: فعِلَ يَفْعَلُ فعَـلاً، فالاسم منه على فَعِل؛ نحو: فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقًـا فهو فَرِق، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا فـهو بَطِرٌ، فعلى هذا شَجِىَ يَشْجَى شَجًى فهو شَجٍ يا فتى، كما تقول: هَوِىَ يَهْوَى هَوًى فهو هَوٍ يا فتى.

وقوله:

* فَيَا قوم هل من حيلَة تعرفونها *

موضع «تَعرفونها» خَفْضٌ؛ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان هاهنا شرط يوجِبُ جَوابًا لا يُجَـزَمُ، تقول: ائتنى بدابّة أرْكَبُهَا، أى بدابَّةٍ مَـركوبة، فإذا

---

(١) ر ، س: «مبتدأ».

أردتَ معنى: فإنك إن أتيتنى بدايّة ركبتُهـا قلتَ: «أرْكَبْها» لأنه جواب الأمر، كما أن الأول جواب الاستفهام، وفى القرآن: ﴿خُذْ من أمْوَالهمْ صَدَقَةً تُطهِّرهُمْ وَتزكيِّهمْ بهَا﴾(١). أى مُطَهِّرَةَ لهم، وكذلك: ﴿أنْزلْ عَلَيْنَا مَائدَةً منَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عيداً﴾(٢) أى كائنةً لنا عيدًا، وفى الجواب: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا﴾(٣)، أى إنْ تركوا خاضُوا ولَعِبوا، وأما قوله عزّ وجل: ﴿ثمَّ ذَرْهُم فى خَوْضهمْ يَلْعَبُونَ﴾(٤) فإنما هو فَذَرْهُمْ فى هذه الحال لأنهم كانوا يَلْعَبون، وكذلكَ: ﴿ولاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثرُ﴾(٥)، إنما هو [لا تمنن(٦)] مستكثرًا فمعنى ذا: هل من حيلة معروفة عندكم؟

[لأعرابى فى الملح]

وقال أعرابىّ ـ أنْشَدَنيه أبو العالية:

أَلا تسأَلُ المَكِّى ذَا الْعلْم مَا الَّذى ... يَحلُّ منْ التَّقْبيل فى رَمَضَان؟

فَقَالَ لىَ المَكِّىُّ: أَمَّا لزَوْجة ... فَسَبْعٌ؛ وَأَمَّا خُلَّة فَثَمانى

قوله «خُلَّةٍ» يريد ذاتِ خلة، ويكون سَمّاها بالمصدر، كما قالت الخَنْساءُ:

* فَإنّمَا هىَ إقْبَالَ وَإدْبَارُ(٧) *

يجوز أن تكون نَعَتَتْهـا بالمصدر لكثرته منهـا، ويجوز أن تكون أرادتْ ذات إقْبال وإدْبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مُقامه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلكنَّ الْبرَّ مَنْ آمَنَ بالله﴾(٨) فجائز أن يكون المعنى برّ من آمَن بالله، وجائز أن يكونَ لكنّ ذا البرِّ من آمَن بالله، والمعنى يؤول إلى شىء واحد.

---

(١) سورة التوبة ١٠٣.
(٢) سورة المائدة ١١٤.
(٣) سورة الزخرف ٨٣.
(٤) سوره الأنعام ٩١.
(٥) سورة المدثر ٦.
(٦) من ر ، س.
(٧) صدره

* نرتَعُ ما رتعتْ حتى إذا ادّ كَرَتْ *

(٨) سورة البقرة ١٧٧.

وفى هذا الشعر عيب، وهو الذى يسميه النحويون العَطْفَ على عاملَيْنِ، وذلك أنه عطف «خُلَّة» على اللام الخافضة لزوجة، وعطف «ثمانيا» على «سبع» ويلزم مَنْ قال هذا أن يقول: مَرَّ عبدُ الله بزيد وعمروٌ وخالد، ففيه هذا القُبْحُ، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء وليس بجائزٍ عندنا: ﴿وَٱخْتِلافَ ٱللَّيلِ وَٱلنَّهَارِ ومَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ﴾(١)، فجَعَلَ «آيات» فى موضع نصب وخَفَضَهَا لتاء الجميع فحَمَلَهَا على «إنَّ» وَعَطَفَهَا بالواو، وعَطَفَ «اخْتلافًا» على «فى»، ولا أرى ذا فى القرآن جائز لأنه ليس بموضع ضرورة، وأنشد سيبويه لعَدِىِّ بن زيد العبادى(٢):

أَكلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرأً ... ونَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

فتَعَطَفَ على «امْرِئٍ» وعلى المنصوب الأول.

* * *

[قال أبو الحسن: وفيه عَيب آخر أنَّ «أمَّا» ليست من العطف فى شىء، وقد أجْرَى «خُلَّة» بعدها مُجْراها بعد حرف العطف حَمْلاً على المعنى، فكأنه قال: لزوجةٍ كذا والخُلَّة كذا].

* * *

وقوله: «أمَّا لزوجة» فهذه مفتوحة، وهى التى تحتاج إلى خبر، ومعناها: إذا قُلتَ: أمَّا زيدٌ فمنطلقٌ مَهمَا يكُنْ من شىء فزيد مُنطَلقٌ. وكذلك ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾(٣)، إنما هى: مَهْمَا يكُنْ من شىء فَلاَ تَقْهَرِ اليتيم، وتُكسَرُ إذا كانت فى معنى «أو» ويلزمها التكرير، تقول: ضربتُ إمَّا زيدًا وإمَّا عمرًا، فمعناه ضربت زيدًا أو عمرًا، وكذلك: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(٤)، وكذلك: ﴿إِمَّا العَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾(٥)، و﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٦)، وإنما كَرَّرتَها لأنكَ إذا

---

(١) سورة الجاثية ٥.

(٢) زيادات ر: «الصحيح أنه لأبى دؤاد الإيادى».

(٣) سورة الضحى ٩

(٤) سوره الدهر ٣.

(٥) سورة مريم ٧٥.

(٦) سورة الكهف ٨٦.

قلتَ: ضربتَ زيداً أو عمراً، أو قلت: اضْرِبْ زيداً أو عمراً فقد ابتدأتَ بذكر الأول، وليس عند السامع أنك تُرِيدُ غير الأول، ثم جئتَ بالشك، أو بالتخيير، وإذا قلتَ: ضربتُ إمَّا زيداً وإما عمراً، فقد وضَعْتَ كلامَك بالابتداء على التخيير أو على الشك، وإذا قلت: ضربتُ إمَّا زيداً وإمَّا عمراً، فالأولى وقَعَتْ لِبنْيةِ الكلام عليها، والثانية للعطف؛ لأنك تَعْدِل بين الثانى والأول، فإنما تُكْسَرُ فى هذا الموضع.

وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها «ما» فإن اضطُرَّ الشاعر فحذف «ما» جاز له ذلك لأنه الأصل، وأنشد فى مِصْداقِ ذلك(١):

لَقَدْ كَذبَتْك نَفَسُكَ فَاكذِبَنْها ... فَإِنْ جَزَعًا وإِنْ إِجْمَالَ صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تَقَع «إمَّا» مكسورة، ولكن «ما» لاتكون لازمة، ولكن تكون زائدة فى «إنْ» التى هى للجزاء، كما تزاد فى سائر الكلام نحو: أينْ تكنْ أكَنْ، وأيْنَما تكُنْ أكُنْ، وكذلك مَتى تَأتنى آتك، ومَتَى تَأتنى آتك، فتقول: إنْ تَأْتنى آتكَ، وَإمَّا تأتنى آتكَ، تُدغمُ النون فى الميم لاجتماعهما فى الغُنَّة، وسنذكر الإدغام فى موضع نُفْرِدُه به إن شاءَ الله، كما قال امرؤ القيس(٢):

فَإِمَّا تَرَيْنِى لا أُغمِّضُ ساعةً ... منَ اللَّيلِ إلاَ أنْ أُكِبَّ فَأَنْعَسَا
فَيَاربَّ مَكْرُوبٍ كَرَرتُ وَرَاءَهُ ... وَطَاعنْتُ عَنهُ الخَيلَ حَتَى تَنفسَا

وفى القرآن: ﴿فإمَّا تَرَينَّ من البَشَر أَحَدًا﴾(٣)، وقال: ﴿وإمّا تُعرِضَنَّ عنهُمُ ابتغَاءَ رَحمَة منْ ربِّكَ تَرجُوهَا﴾(٤)، فأنت فى زيادة «ما» بالخيار فى جميع حروف الجزاء، إلا فى حرفين، فإن «ما» لابُدَّ منها لعلة نذكرها إذا أفردنا بابا للجزاء إن شاء الله، والحرفان: حيْثُما تكنْ أكُنْ كما قال الشاعر:

---

(١) زيادات ر. «هو دريد بن الصمة الجشمى».
(٢) كذا فى ر، وفى س. «كما قال الشاعر»
(٣) سورة مريم ٢٦.
(٤) سورة الإسراء ٢٨

حَيْثُما تستقِم يُقدِّرْ لك اللـ ـهُ نَجَاحا فى غابِرِ الأزْمَانِ

والحرف الثانى «إذْ ما» كما قال الْعَبّاس بن مرداسٍ:

إذ مَا أتَيْت عَلَى الرَّسُول فقَلْ لَهُ حَقًّا علَيْكَ إذَا اطمَأَنَّ المَجْلِسُ

لا يكون الجزاء فى «حيث» و «إذ» إلاّ بهما.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبوالعالية:

سلِ المُفْتِيَ المَكِّىَ هَلْ فى تَزَاوُرٍ ونَظْرةِ مُشْتَاقِ الفُؤادِ جُنَاحُ

فَقال: مَعاذَ اللهِ أنْ يُذْهِب التُّقَى تَلاَصقُ أَكْبَادٍ وأنَّ جِراح

* * *

[وأنشد لبعض المحدثين:

تَلاَصقْنَا ولَيْسَ بِنَا فُسُوقٌ ولَمْ يَرِدِ الحَرَامَ بنا اللصُوق

ولَكِنَّ التَّبَاعد طَالَ حَتَّى تَوَقَّدَ فى الضُّلوعِ بنا حَرِيق

فَلَمَّا أنْ أُتِيحَ لَنَا التَّلاقِى تَعَانقْنَا كما اعْتَنَقَ الصَّدِيقُ

وَهَلْ حَرجًا تَرَاه أو حَرَامًا مَشُوقٌ ضَمّهُ كلِفٌ مَشُوقُ[1]!]

* * *

وأنشَدَنى غيره:

وَما هَجَرْتكِ النَّفس يامَىّ أنَّها قلَتْك، وَلاَ أن قلَّ مِنْكِ نَصيبُهَا

ولَكِنَّهُم يا أمْلَحَ النَّاس أُولِعُوا بِقَولٍ إذَا ما جِئتُ: هَذا حَبِيبُهَا

«أنها» فى موضع نصب، وكان التقدير «لأنها»، فلما حذفت اللام وصل الفعْل فَعَمِل، تقول: جئتُك أنَّكَ تُحبُّ الخير، فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أن تأْمُرَ لى بشىء، أى لأن، وتقديره فى النصب أنَّ: «أنْ» الخفيفة والفعل مصدر: نحو:

---

(١) الأبيات الواقعة بين العلامتين لم ترد فى نسخة الأصل ووردت فى س وفى ر بين علامتى الزيادة.

أريد أن تقوم يا فتى، أى قيامك، و«أنَّ» الثقيلة واسمها وخبرها مصدر، تقول: بلغنى أنَّك منطلق، أى انطلاقك، فإذا قلت: جئتك أنك تريد الخير، فمعناه إرادتك الخير، أى مجيئى لأنك تريد الخير إرادة يا فتى، كما قال الشاعر[١].

وَأَغفِرُ عوراءَ الكَرِيمِ ادّخارَه وَأُعرِضُ عَن شتم اللَّئِيمِ تَكَرُّما

قوله:

* وأَغْفِرُ عَوراءَ الكَرِيمِ ادّخارهُ *

أى أُدخِرُه ادّخارًا، وأضافه إليه، كما تقول: ادّخارًا له، وكذلك قوله: «تكرما» إنما أراد للتكرم، فأخرجه مُخرَج أتَكَرَّمُ تَكَرمًا.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبو العالية[٢]:

مـا زِلْت أبْغِى الحَىَّ أتْبَعُ ظِلَّهمْ حتى دفِعْت إلى ربِيبَةِ هودَجِ

قالَتْ: وعيْشِ أبَى وأكبَرِ إخْوتِى لأنَبِّهنَّ الحَىَّ إنْ لمْ تَخْرُجِ

فَخَرَجتُ خِيفَةَ قَولِهَا، فَتَبَسَّمَتْ فَعَلِمتُ أنَّ يَمينَهَا لم تَحْرَجِ

فَلَثِمتُ فاها آخِذًا بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرِجِ

وزاد فيها الجاحظُ عَمرو بن بَحْر:

وتَنَاوَلَتْ رأسِى لِتَعرفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الأطرافِ غَير مُشَنَّجِ[٣]

تقول العرب: هوْدَجٌ، وبنو سَعد بن زيد مَناةَ وَمَنْ وَلِيَهُمْ يقولون فَوْدَجٌ.

وقوله:

* فعلمت أن يمينها لم تَحْرج *

يقول: لم تضق عليها، يقال: حرجَ يحْرَج إذا دخل فى مَضيق، والحَرَجَة: الشجر الملتَفُّ المُتضايق ما بينه، قال الله عزّ وجل: ﴿فَلاَ يَكُنْ فِى

(١) زيادات ر: هو حاتم الطائى، والبيت فى ديوانه.

(٢) زيادات ر: «قيل إن الشعر لعروة بن أذينة» وفى حواشى الأصل إنه لجميل بن عبد الله بن معمر.

(٣) من التشنج وهو التقبض.

صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ(١)﴾، وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا(٢)﴾، وقرئ «حَرَجًا»، فمن قال «حَرِجا» أراد التوكيد للضَّيْق، كأنه قال: ضَيّقٌ شديد الضيق، ومن قال: «حَرَجًا» جعله مصدرا، مثل قولك: ضُيق ضيقًا.

وقوله: «ببرد ماء الحَشْرَج» فهو الماء الجارى على الحجارة.

[لقيس بن معاذ فى النسيب]

وقال قَيْسُ بن مُعاذ أحد بنى عُقَيل بن كعْب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ـ وهو المجنون ـ وحدثنى عبد الصمد بن المُعَذّل قال: سمعت الأصْمَعىّ يُثْبِتُه ويقول: لم يكن مجنونا، إنما كانت به لوثَةٌ كلوثة أبِى حَيَّة(٣):

وَلَمْ أرَ لَيْلَى بَعْد موقفِ سَاعَة ... بِبَطنِ منى تَرمِى جِمَارَ المُحَصَّبِ
ويُبْدِى الحَصَا منها إذَا قَذَفَتْ بِهِ ... منَ البُردِ أطرَافَ البَنانِ المُخَضَّبِ
فَأصْبَحتُ مِنْ لَيلى الغَداةَ كَنَاظر ... مَعَ الصُّبْحِ فى أعْقاب نَجْم مُغَرْبِ
ألا إنَّما غادَرتِ يا أُمَّ مالك ... صَدًى أيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة.

ومما يُسْتَطرَفُ فى هذا الباب قول عُمَرَ بن أبى رَبيعة:

رأتْ رَجُلاً أمَا إذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وأمَا بالعَشِىِّ فَيَخصَرُ
أخَا سَفَرٍ جوَّابَ أرضٍ تَقَاذَفَتْ ... به فَلَوَاتٌ فَهُوَ أشْعَثُ أغْبَر
قَليلاً عَلَى ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سِوَى مَانَفَى عَنْهُ الرداءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل(٤):

فَأَصبَحْتُ فِى أَقْصى البُيُوتِ يَعُدْنَنِى ... بَقِيَّة مَا أبْقَيْن نَصْلاً يَمَانِيَا

---

(١) سورة الأعراف ٢.
(٢) سورة الأنعام ١٢٥.
(٣) زيادات س، ر بعد هذه الكلمة: «النميرى، وهو من أشعرالناس، ومن شعره».
(٤) زيادات ر: «هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذى تقدم ذكره لابن الأبرش».

[بقية بدل من الياء فى يَعُدْنَنى بدل الاشتمال

تَجَمَّعْنَ منْ شتَّى، ثلاثٌ وأربُعٌ   ووَاحدَة حتّى كَمُلْنَ ثَمَانيًا(١) .]

يَعدْنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجنَ مَا بِهِ   ألاَ إنمَا بَعْضُ العَوَائد دَائيَا

وفى هذا البـاب أشياء كثيرة تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى، ومن الإفْراط فِيه قولهُ:

فَلَوْ أنَّ مَا أبْقَيتِ مِنى مُعَلَّقٌ   بِعُودِ ثُمام مَا تَأوَّدَ عودهَا

الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

* وَيمْنَعُهَا منْ أنْ تَطِيرَ زِمامها *

وَأحْسَنُ الشِّعْرِ ما قارَب فيه القائل إذا شَبَّهَ، وأحَسنُ منه ما أصاب به الحقيقة، ونبَّهَ فيه بِفِطنته عَلى ما يخفى عن غيره، وساقه برصْفٍ قوىّ واختصار قريب.

* * *

وقال قيس بن معاذ:

وأخْرُج منْ بَيْنِ الجُلوسِ لَعَلّنِى   أُحَدثُ عَنْك النَّفْسَ فى السّرِّ خاليا

وَإنى لأسْتَغْشِى ومَا بِىَ نَعْسَة   لَعلَّ خَيالاً مِنْك يَلقَى خَيَاليَا

وفى هذا الشعر:

أشَوْقًا وَلّما تَمض لِى غَيْرُ لَيْلَةٍ   رُوَيْدَ الهَوَى حَتَّى تَغِبَّ لَيَاليَا

هذا من أحسن الكلام وأوضحهُ معنى.

ويُستَحْسَنُ لذى الرُّمَّةِ قوله فى مثل هذا المعنى:

أُحبُّ المَكاَن القَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِى   بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَم

(١) ما بين العلامسن لم ترد فى الأصل، وهى فى س وزيادات ر.

[لبعض القرشيين]

وأنشد[1] ابن عائشة لبعض القُرَشيّين[2]:

وَقَفُوا ثَلاثَ مِنًى بِمَنْزِلِ غِبطَةٍ ... وَهُمُ عَلَى غَرَضٍ هُنَالِكَ مَا هُمُ

مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارِ إقامَةٍ ... لَوْ قَدْ أجَدَّ تفرق لم يَنْدَمُوا[3]

وَلَهُنَّ بِالبَيْتِ العَتِيقِ لُبَانَةٌ ... وَالرُّكنُ يَعْرِفُهُنَّ لوْ يَتَكلّمُ

لوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُن ظَعَائِنًا ... حَيَّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

وَكَأنهُنَّ وَقَدَ صَدَرْنَ لَوَاغِبًا ... بَيْضٌ بِأفْنِيَةِ المَقَامِ مُرَكَّمُ

اللاغِبَ المعيى، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا مَسَّنَا منْ لغُوب﴾[4] والمركَّمُ: الذى بعضه على بعض، والمرأة تُشبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرَّة، قال الله عزّ وجل: ﴿كَأنّهنَّ بَيْضٌ مكْنُون﴾[5] والمكنونُ: المصون، والْمكنُّ: المَسْتور، يقال: أكْنَنْتُ السرَّ، قال الله عزّ وجَل: ﴿أو أكْنَنْتُمْ فى أنْفُسكُمْ﴾[6]. وقال أبو دَهْبَل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسَّان[7]:

وَهْىَ زَهرَاء مِثلُ لؤلؤَةِ الغَوَّاص مِيزَت مِنْ جَوهَر مكنُونِ.

وقال ابن الرُّقيات:

واضِحٌ لَوْنُهَا كبيْضَةِ أُدْحِىّ ... لَهَا فى النِّساءِ خَلْقٌ عَمِيمُ

العميم: التام، والأدحِىّ: موضع بيض النعامة خاصة، وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه.

---

(١) ر «وأنشدنى».

(٢) حاشية الأصل: الشعر لابن أذينة، وانظر الأغانى ٢١: ١١٠.

(٣) زيادات ر: «يعنى طواف الوداع، وقوله: "ثلاث منى" أراد أيام النفر، وأخرجه على الليالى، وقوله: "لم يندموا" لأنهم يرجعون إلى أوطانهم».

(٤) سورة ق ٣٨

(٥) سورة الصافات ٤٩.

(٦) سورة البقرة ٢٣٥.

(٧) زيادات ر: «ابن ثابت الأنصارى».

[لعبد الرحمن بن الأشعث في بنت معاوية]

وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَل الجُمحيَّ كـان تقيًّا وكان جميـلاً، فقفَلَ من الغَزو ذَاتَ مَـرَّة، فَمَرَّ بدمَـشْقَ، فدعَتْـهُ امْرَأَةٌ إلى أن يَقْـرأَ لها كتـابًا، وقالت: إنَّ صاحِبَـتَهُ في هَذَا القصـر، وهي تُحبُّ أن تسْمَعَ ما فيـه، فلما دخلتْ به برزَتْ له امْرَأَةٌ جميلـة، وقالتْ له: إنما احتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدخَلتُكَ. فـقال لها: أما الحرامُ فلا سـبيل إليه، فقالت: فَلَسْـتَ تُرادُ حَرامًا، فتزَوَّجَـته، وأقام عندها دَهرًا حتى نُعِيَ بالمدينة، ففي ذلك يقـول وقد استأذنها ليُلِمَّ بأهْلِه ثم يعـود، فجاء وقد اقْتسِمَ ميراثه، فلما هَمَّ بالعود إليـها نُعيَت له، فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه والذى كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان، وهو في بنت معاوية[1]:

صَـاحِ حَـيَّـا الإلهُ أهْلاً وَدَارًا ... عِنْدَ أَصْلِ الْقَـناةِ مِنْ جَـيْـرونِ

عن يَسَارِى إذا دَخَلْـتُ مِنَ الْبا ... بِ وَإن كُنْتُ خـارجًا فَـيَمِـينى

فَبِـتلْكَ ارْتهنْتُ بِالشَّـأْم حَـتَّى ... ظَنَّ أَهْلى مُـرَجَّـمـاتِ الظُّنُونِ

وهْيَ زَهْـرَاءُ مِثْـلُ لؤلؤة الْغَـوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَـوهَـرٍ مكْنُونِ

وَإِذَا مَـا نَسَـبْتَـهَـا لَمْ تَجِـدْهَا ... فِـى سَنَـاءٍ مِنَ المـكَارِمِ دُونـى

ثمَّ خَاصَـرتُها إلى القُبَّـةِ الخَضْـ ... ـراءِ تَمـشِي في مَـرْمَرٍ مَـسْنُونِ

تَجْـعَلُ المِسْك واليَـلَنْجُـوجَ والنَّـ ... ـدَّ صلاءً لَـهَـا عَلَى الْكانونَ

قُـبَّـةٌ مِنْ مَـرَاجِـلٍ ضَـرَبَتَـهْـا ... عِنْدَ بَرْدِ الشِّـتـاءِ في قَـيْطُون

المسنون: المصـبوب على اسـتواء، والمَرَاجِلُ: ثيـاب منْ ثياب اليَـمن، قال العَجَّاجُ:

* بشِيَةٍ كَشِيَةِ المُمَرْجَلِ *

والقيطون: البيت في جوف بيت.

وقال آخر:

وَأَبْصَرْتَ سُعْدَى بَيْنَ ثَوبَى مَرَاجِلٍ ... وَأثوابِ عَصْبٍ مِنْ مُهَلْهَلَةِ اليَمَن

---

(١) زيادات ر: «ابن أبى سفيان».

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك؟ قال: وما الذى قال؟ قال: قال:

وَهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤلؤة الْغواَّصِ مِيزَتْ مِنْ جوهرِ مكْنُون

قال معاوية: صدق، فقال يزيد: وقال:

وَإذا ما نَسَبْتَها لَمْ تَجِدْهَا فِى سَنَاءٍ مِنَ الْمكارِمِ دُونِى

قال: [1]صدق، فقال[1] إنه قال:

ثمَ خَاصَرْتُها إلى القبَّةِ الخَضْراءِ تَمْشى فِى مَرْمَر مَسْنُون

قال معاوية: كذب.

(١ ـ ١) ر، س: «قال معاوية. صدق فقال يزيد».

باب

[عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب عند رسول الله]

قال أبو العباس: حدثني مسعود بن بِشر، قال: حدثني محمد بن حَرْب، قال: أتى عبدُالله بن الزُبَيْرِ بن عبد المطلبِ رسولَ الله ﷺ فكساه حلة وأقعده إلى جانبه، ثم قال: «إنه ابن أمي، وكان أبوه يرحمني». [١]

[الرجل من بني ضبة يخاطب بني تميم]

قال: وأنشدني مسعود قال: أنشدني طاهرُ بن علي بن سليمان قال: أنشدني منصور بن المَهْدِيَ لرجل من بني ضَبَّة بن أُدٍّ، يقوله لبني تميم بن مُرِّ بن أُدٍّ:

أبَني تميم إنني أنا عَمكُمْ لا تُحْرَمُن نَصيحةَ الأعمام

إني أرَى سَبَبَ الفَناءَ وإنَّما سَبَبُ الفَناء قطيعة الأرحامِ

فَتَداركوا بأبي وَأمِّي أنتمُ أحسابكم[٢] برواجح الأحلامِ

[خطبة عبدالله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب]

وَيُرْوَى أنه لما أتى عبْدَالله بن الزَبَيْر [خبر][٣] قتلِ مُصْعَب بن الزبير خطب الناس، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه أتانا خبر قتل المصعب فُسررنا [به]، واكتأبنا [له][٣]، فأما السرورُ فلما قُدِّرَ له من الشهادةَ. وحيزَ له من الثواب، وأما الكآبة فَلوْعةُ يَجدُها الحميمُ عند فراق حَميمه، وإنا والله مانموتُ حَبَجًا كميتة آل أبي العاصي، إنما نموتُ قتلا بالرِّماح، وقَعَصًا تحت ظلال السُّيوف، فإن يَهْلِك المصْعَبُ فإن في آل الزبير منه خَلَفًا.

قوله: «حَبَجًا»، يقال حَبِجَ بطْنُه، إذا انتفخ، وكذلك حَبِطَ، بطنه، المْقعصُ: المقتول. واللوْعة: الحُرْقةُ، يقال لاع يلاع لَوْعة يافتى فهو لائِع، ويقال: لاعِ يافتى، على القَلب، وأنشد أبو زيد:

ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ولاجزِعٍ من الحدْثانِ لاعِ

---

(١) زيادات ر: الزبير أخو عبدالله بن عبدالمطلب شقيقه.

(٢) ر، س: «أرحامكم» وفي زيادات ر: «كذا أنشد: أرحامكم، ويروى: أحسابكم».

(٣) زيادة من ر.

[من كلام زياد]

قال: وحدثنى مسعود فى إسناد ذكره قال: قال زياد لحاجبه: ياعجلانُ، إنى وليتك هذا الباب، وعزلتك عن أربعةً. عَزَلْتُكَ عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة فلا سبيلَ لك عليه، وعن طارق الليل فَشَرٌّ ماجاء به، ولو جاء بخير ماكنت من حاجته، وعن رسول صاحب الثغر فإن إبطاء ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطباخ إذا فَرَغ من طعامه.

قال: وحدثنى مسعود قال: قال زياد: يُعْجِبُنى من الرجل إذا سيمَ خُطةَ الضَيْمِ أن يقول: «لا» بملْءِ فيه، وإذا أتَى نادىَ قومٍ علم أيْنَ ينبغى لمثلهِ أن يَجْلِس فَجلسَ، وإذا ركب دابة حملها على ماتحِب ولم يَبْعثْها إلى مَاتكره.

[بلاغة جعفر بن يحيى]

وكَتب إلى جعفر بن يحيى: إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال، فَوَقّعَ جعفر: هذا رجل منقطع عن السلطان، وبين ذؤْبانِ العَرَبِ بحيثُ العَدد والعدَّة، والقلُوبُ القاسية، والأنوف الحَمِيَّة، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه، فإن نفقات الحروب يستظهر لها، ولا يستظهر عليها.

ورفع قوم إليه[1] شكية عاملهم. فوقَّع فى قصتهم[2] : ياهذا، قد كثر شاكوك، [وقلَّ حامدوك] [3]، فإمَّا عَدلْتَ، وإما اعتزلت.

وزعم الجاحظ قال: قال ثُمامة[4] بن أشْرَسَ النُّمَيْرى: ما رأيتُ رجلا أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون.

وقال مويْسُ بن عِمران: ما رأيتُ رجلا أبْلَغَ من يَحْيى بن خالد، وأيوب بن جعفر.

وقال جعفرُ بن يحيى لكُتَّابهِ: إن قدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كلها تَوْقيعاتٍ فافعلوا.

---

(١) ر، س: «وأكثر الناس شكية عامل»

(٢) كلمة «قصتهم» لم ترد فى س.

(٣) تكمله من ر.

(٤) س : «ثمامة الأشرس».

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

وقال رسول الله ﷺ : «لو تكاشَفْتُم ماتَدَافَنْتم».

يقول: لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه.

وقال عليه السلام: «اجْتنبوا القُعود على الطرُقات، إلا أن تضْمَنوا أربعا: رَدَّ السلام، وَغضَّ الأبْصَار، وإرشَادَ الضالَ، وَعَوْنَ الضعيف».

وقالت هِنْد بنت عُتْبَة: إنما النساء أغْلالٌ، فليختر الرجلُ غُلا لِيَده.

وذكرت هند بنت المُهلّبِ بن أبى صُفْرَةَ النساءَ فقالت: مازُيِّنَّ بشىء كأدَب بارعٍ، تحته لُبٌّ ظاهر.

وقالت هند بنت المُهلَّب بن أبى صُفْرَة [أيضا][1]: إذا رُأيتم النِّعَمَ مُستدرَّة فبادروا بالشُكر قبل حلول الزَّوال.

وقال رسول الله ﷺ: «افصلوا بين حَديثكم بالاستغفار».

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: قَيدوا النعَمَ بالشكر، وقَيِّدوا العِلْم بالكتاب.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه[2]: العَجَبُ لَمن يَهْلكُ والنجَاة معه. فقيل: ما هى يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخلِيل بن أحمد: كن على مُدارسة ما فى قلبك أَحْرَصَ منكَ على حفظ ما فى كُتُبك.

وقال ابن أحمد ـ يعنى الخَليل: اجْعَلْ ما فى كُتُبكَ رأس مال، وما فى صَدْرك للنفقة.

وقيل لنَصر بن سَيار: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانةُ الَخفيّة.

وقال نصر بن سيار: لولا أن عمر بن هُبَيْرةَ كان بَدَويًّا ما ضَبَط عمال العراق وهو لا يكتب.

---

(١) تكملة من ر.

(٢) ر: «رضوان الله عليه».

وفادى رسول الله ﷺ من رأى فِدَاءهُ من أَسْـرَى بَدْرٍ، فمَنْ لم يكن له فداءٌ أمره أن يُعلم عشرة من المسلمين الكتابةَ، فَفَشَت الكتابة بالمدينة.

ومن أمثال العـرب: خير العلم ما حـوضر به، يعنى[1]: ما حفظ وكان[2] للمذاكرة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ أمَّـتى صالحًا أَمْرُها ما لم تَعُـدَّ الْفَيْءَ مَغْنَمًا، والصدقةَ مغْرَما».

وقال عليٌّ بن أبى طالب عليـه السلام: يأتى على الناس زمان لا يُقَـرَّبُ فيه إلا الماحِلُ[3]، ولا يُظرَفُ فيه إلا الفـاجرُ، ولا يُضَعَّفُ فيـه إلا المُنْصفُ، يتخذون الْفيْءَ مَغْنَما، والصـدقة مَغرَمًا، وصلة الرحم منًّا، والعـبادة استطالَةً على الناس، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء، ومُشَاوَرَةُ الإماء، وإمارةُ الصبيان».

[نبذ من أخبار الحجاج]

ويروى عن محمـد بن المُنتَشرِ بن الأجْدَعِ الهَمداني، قـال دَفَعَ إلى الحجاج أزاد مَرْد بن الهِـربذْ، وأمرنى أن أستـخرج منه وأُغلّظ عليه، فلمـا انطلقتُ به قال لى: يا محمد، إن لك شرَفًا ودينًا، وإنى لا أُعْطى على الْقَسـرِ شيئًا، فاستأْدِنى[4] وارفُقْ بى، قال: ففعـلتُ، نَأَدَّى إلىَّ فى أسبوع خمسمـائة ألف، قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه، وانتزعـه من يَدَىَّ، ودفعهُ إلى رجل كان يتولى له العذابَ، فَدَقَّ يديه ورجليه، ولم يُعْطِهِمْ شيئا.

قال محـمد بن المنتشر: فإنى لأمُـرُّ يوما فى السوق إذا صائحٌ: يا مـحمد، فالتفت فإذا به مُـعَرّضًا على حمَار، مَدْقوقَ اليدين والرجلين، فَـخفتُ الحجاج إن أتيتـه، وتذممْتُ منه، فَـملتُ إليْـه، فـقـال لى: إنك وَلِيتَ منى مـا ولِىَ هؤلاء فأحسنْت، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعطهم شيـئًا، وهاهنا خمسمائة ألف عند فلان، فخذهـا فهى لك، قال: فقلت: ما كنت لآخذ منك على مـعروفى أجرًا، ولا لأرْزأك على هذه الحال شيئا، قال فـأما إذ أبَيْتَ فاسمع أُحَدِّثك: حدثنى بعضُ

---

(١) ر «بمنى».
(٢) ر · «مكان».
(٣) , مادات ر «الماحل · الواشى، يقال· محل فلان بفلان إذا وشى به ومكر».
(٤) اسأدنى· أى طلب منى الأداء.

آهل دينك عن نبيك ـ ﷺ ـ كثيراً. قال: إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته، وجَعَلَ المالَ فى سُمَحائهم. واسْتَعْمل عليهم خِيارهم، وإذا سَخط عليهم استعمل عليهم شرارهم، وجعل المال عند بُخلائهم، وأمطرهم المطرَ فى غير حِينه. قال: فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج، فأمرنى بالمسير إليه، فألفيته جالسًا على فرشه والسيف منتضى فى يده، فقال لى: ادْنُ، فدَنَوْتُ شيئًا، ثم قال: ادْنُ، فدنوت شيئا، ثم صاح الثالثة: ادْن لا أبالك! فقلت: مَا بى إلى الدُنُوِّ من حاجة، وفى يد الأمير ما أرى. فأضْحكَ الله سنَّه، وأغْمَدَ سيفهُ عنى، فقال لى: اجْلِسْ، ما كان من حديث الخبيث؟ فَقلتُ له: أيها الأمير، والله مَاغَشَشْتُكَ مُنْذُ استنصحتنى، ولا كَذَبْتُكَ منذ اسْتَخْبرتَنى، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتنى. ثم حدثتهُ الحديث، فلما صرْتُ إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أَعْرَضَ عنى بوجهه، وأومأ إلىَّ بيده، وقال: لا تُسَمِّه، ثم قال. إن للخبيث نفسًا، وقد سمع الأحاديثَ.

ويقال: كان الحجاج إذا اسْتغْرَبَ[1] ضحكا[2] وَالَى بين الاستغفار، وكان إذا صَعدَ الْمنبرَ تَلَفع بِمطرَفه[3] ثم تكلم رُوَيْدًا فلا يكاد يُسْمَعُ، ثم يَتزَيَّد فى الكلام، حتى يُخْرِجَ يده من مِطرَفِه ويَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فَيُفْزِع بها أَقْصَى مَنْ فى المسجد. وكان يُطْعِمُ فى كل يوم ألف مائدة، على كل مائدة ثَرِيدٌ وجَنْبٌ من شواء وسمكَة طَرِيَّة، ويُطافُ به فى محفَّة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أَهلَ الشأم، اكْسِروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم. وكان له ساقيان، أحدهما يسقى الماء والعسلَ، والآخر يسقى اللبن.

ويروى أن لَيْلَى الأخْيَلية قدمت عليه فأنشدَته:

إذا وردَ الحَجَّاجُ أرْضًا مَريضة   تَتَبعَ أقْصَى دائها فشَفَاها
شَفَاها من الدَّاء العُقَامِ الذى بها   غُلام إذا هزَ القَناةَ ثناها[4]

---

(١) اسنعرب ضحكا بالع فى الصحك.
(٢) ومن هنا وقع خرم فى نسخة الأصل، والنص، الذى أثبتناه هو نص «ر» إلى آخر الخرم.
(٣) المطرف رداء من خز
(٤) زيادات ر: «العقام، بالفتح والضم، والضم أفصح». وفى س. العصال.

فقال لها : لا تقولى : غلام، قولى: هُمامٌ، ثم قال لها: أى نسائى أحَب إليك أن أنْزِلَك عندها الليلة؟ قالت: ومَنْ نسَاؤُكَ أيها الأمير؟ قال أمُّ الجلاسِ بنت سعيد بن العاصى الأمَوِيَّةُ، وهندٌ بنت أسماء بن خارجة الفَزارِيَّةُ، وهند بنت المُهَلَّب بن أبى صُفْرَةَ العَتَكِيَّةُ،فقالت: القَيْسِيَّةُ أحبُّ إلى. فلما كان الغدُ دخلْت عليه فقال: ياغلام أعطها خمسمائة، فقالت: أيها الأمير، اجعلها أدما، فقال قائل: إنما أمر لك بشاء، قالت: الأمير أكرم من ذلك، فجعلها إبلا إناثا استحياء، وإنما كان أمَرَ لها بشاء أولا. والأُدْمُ[١]: البيض من الإبل وهى أكرمها.

ويروى عن بعض الفقهاء[٢] قال: دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المخَمَّسة وهى أمٌّ وجَدٌّ وأخت، فقال لى : ما قال فيها الصِّدِّيق رحمه الله قلتُ؟ : أعْطَى الأمَّ الثلث والجدَّ مابقى لأنه كان يراه أبا، قال :فما قال فيها أمير المؤمنين؟ ـ يعنى عثمان رحمه الله ـ قلت:جعل المال بينهم أثلاثا، قال: فما قال فيها ابن مسعود؟ قال: قلتُ أعْطَى الأختَ النصف، والأم ثلث مابقى والجد الثلثين لأنه كان لا يفضل أما على جد، قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟قال:قلت أعطى الأم الثلث، وجعل ما بقى بين الأخت والجد؛ للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه كان يجعل الجد كأحد الإخوة إلى الثلاثة، قال:فَزَمَّ بأنفه ثم قال :فما قال فيها أبو تُرابٍ ؟قال :قلت أعْطَى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس، قال: فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: فإنه المرء يُرغَبُ عن قوله[٣].

وجلس[٤] الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة: منهم محمد بن عُمَيْر بن عُطاردِ بن حاجبِ بن زُرارَةَ، وحَجارُ بن أبَجَرَ بن بُجَيْر العِجْلىُّ، فأقبل فى وسَط من الطعام على محمد بن عُمير بن عطارد فقال: يامحمد، أيدعوك قُتَيْبَةُ بنَ مُسْلم إلى نُصرتى يوم رُسْتُقْباذَ[٥] فتقول: هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل، لا جَعَلَ الله لك فيه ناقة ولا جملا! ياحرسى، خذ بيده وجرد سيفك

(١) س. «الأدم» بدون الواو
(٢) زيادات ر. «هو الشعبى».
(٣) قال المرصفى: «إنما حمله على ذلك بغضه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه».
(٤) س. «وجعل».
(٥) ارستفاذ: موضع بفارس.

فاضرب عـنقه، فنظر إلى حجار بن أبجـر وهو يبتسم، فدخلـته العصبـية، وكان مكان حجار من ربيـعة كمكان محمد بن عـمير من مضر، وأتى الخَبّـازُ بفُرنية[1] فقال: اجْعَلْها مما يلى محمدا فإن اللبن يعجبه، ياحَرَسِىُّ، شم سيفك وَانْصَرِفْ.

وكان محمد شريفا، وله يقول الشاعر:

عِلمَ القـبـائلُ من مَـعَـدَّ وغَـيْـرِها   أنَّ الجَـوادَ مـحـمـدُ بـن عُطارِدِ

وذُكِرتْ بنو دارِم يـوما بحضـرة عبـدالملك، فقـالوا: قوم لهم حظ، فـقال عبـدالملك: أتقولون ذلك وقد مـضى منهم لقيط بن زرارة ولا عـقب له، ومضى القعقـاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له، ومـضى محمد بن عـمير بن عطارد ولا عقب له، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا.

قوله: «شم سيفك»، يقول: اغمدْهُ، ويقال: شمْتُ السيفَ: إذا سَلَلْتَهُ، وهو من الأضداد، ويقال: شِمْتُ البرقَ إذا نظرت من أى ناحية يأتى.

قال الأعشى:

فقلت للـشرب فى دُرْنَى[2] وقـد ثملوا   شيـمُوا، وكَيْفَ يَشيمُ الشـاربُ الثَّمِلِ!

وقال الفرزدق:

بأيدى رجـال لم يشـيـمـوا سيـوفـهم   ولم تكـثـر القـتلـى بهـا حـين سلت

وهذا البيت طريف عند أصـحاب المعانى، وتأويل لم يـشيموا: لم يغـمدوا ولم تكثر القـتلى، أى لم يغمدوا سـيوفهم إلا وقـد كثرت القـتلى [بها][3] حين سلت.

[على بن جبلة والحسن بن سهل]

وحدثنى الحسن بن رجـاء قال: قَدِمَ علينا علىُّ بن جبلـة إلى عسْكَر الحسن ابن سَهْلٍ والمأمون هناك بانيـا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعـروفة ببوران،

(١) الفرنية: الخبزة المستديرة، منسوبة إلى الفرن.
(٢) درنى: بلد باليمامة.
(٣) تكملة من س.

فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجرى[1] على نيف وسبعين ألف ملاح، وكان الحسن ابن سهل يسهر مع المأمون، وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه، فلما ورد على قلت: قد ترى شغل الأمير، قال: إذن لا أضيع معك. قلت: أجل. فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه، فقال: ألا ترى ما نحن فيه؟ قلتُ: لست بمشغول عن الأمر له، فقال: يعطى عشرة آلاف درهم إلى أن نَتَفَرَّغَ له، فأعلمت ذلك علىَّ بن جَبَلة، فقال فى كلمة له:

أعْطيتنى ياولىِ الحق مُبْتَدِئًا عطية كافأتْ مَدْحى ولم تَرَنى
ماشِمْتُ بَرقكَ حتى نلتُ رَيقَهُ كأنَما كُنْتَ بالجَدْوَى تُبَادِرُنى

---

(١) نجرى: نعطى.

بابـ

(للمفضل بن المهلب بن أبي صفرة في الشجاعة والنجدة)

قال أبو العباس: قال المفضل بن المُهلَّب بن أبى صُفْرَةَ[1]:

هل الجــــودُ إلا أن تجـــودَ بأنـفُسٍ ... علي كلِّ مـاضى الشَّـفرتَين قـضيب

ومـاخَـيْـرُ عيْش بعد قـتل مـحـمـد ... وبَعْـدِ يـزيد والحَـرُوبِ حـبـيب

ومَنْ هرَّ أطراف الـقَنَا خَشْـيَـةَ الرَّدَى ... فلـيس لمجَـد صـالـح بكسـوبِ

ومــاهىَ إلا رَقْـدَةٌ تُورِثُ العــلا ... لِـرَهْطِـكَ مـاحَنَّتْ رَوَائـمُ نيـب

قوله:

ومن هر أطراف القنا خشية الردى

يقول: مَنْ كَرِهَ، قال عَنْتَرَة بن شدَّاد:

حَلَفْتُ لـهم والخيلُ تَـرْدَى بنا مَعـا ... نفـارقـهم حـتى يهـروا العـواليـا

عَـوالىَ زُرْقًـا من رمـاحٍ رُدَيْـنِة ... هريرَ الـكلاب يَتَّـقِينَ الأفـاعـيـا

والردى: الهلاك، وأكثر ما يستعمل فى الموت. يقال: رَدِىَ يَرْدَى رَدًى، قال الله عز وجل: ﴿وما يُغْنى عنه مالُه إذا تَرَدى﴾[2]، وهو «تَفَعَّلَ» مِنَ الرَّدَى فى أحد التفسيرين، وقيل: إذا تردى فى النار، أى إذا سقط فيها.

وقوله: «الحُرون» فإن حَبيب بن المُهَلْبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلَقبُ الحَرونَ[3].

وقوله:

وما هى إلا رقدة تورث العلا

فهذا مـأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب، وذلك أنه قـال فى يوم العقر ـ وهو اليوم الذى قـتل فيه: قَاتَلَ الله ابن الأ شعـث! ما كان عليه لو غَمَّـضَ عينيه ساعة للموت، ولم يكن قتل نفسه. وذلك أن ابن الأ شعت قام فى الليل وهو فى

(١) زيادات ر «بصف الشجاعه والنجدة».

(٢) سوره الليل ١١

(٣) س: «بالحرون»

سطح، للبول، فزعموا أنه ردى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون: بل سقط منه بِسِنَةِ النوم.

وقوله: «تورث العلا لرهطك» فالمعنى تورث العلا رهطَكَ، وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة، تقول هذا ضارب زيدا، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت: هذا ضارب زيد وضارب له. وفى القرآن: ﴿وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أول المسلمينَ﴾[1]. وكذلك: ﴿إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.[2] ويقول النحويون فى قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾[3] إنما هو «رَدِفكُمْ».

والنِّيبُ: جمع ناب، وهى المُسِنَّةُ من الإبل، وتقديرها «فُعْلٌ» ساكنَة، وَأَبْدَلْتَ من الضمة كسرة لِتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ فى أَبْيَض: بِيضٌ، وإنما هو مثل أحمر وحُمر، وكذلك أشْيَبُ وشِيبٌ، فتقدير ناب ونيب إذا جاء على «فَعلٌ» و «فُعْلٍ» تقدير أَسَد وأُسْد، ووَثَن ووُثْن، ونابٌ تقديرها «فعلٌ» وإنما انقلبت الياء ألفًا فسكنت، وإنما تنقلب إذا كانت فى موضع حركة. والرَّوائم قد مضى تفسيرها.

[شيخ من الأعراب وامرأته]

وأنشدنى الزّيادى قال: أنشدنى أبو زيد، قال: نَظَرَ شَيخٌ من الأعْرَابِ إلى امرأته تَتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال:

عَجوزٌ تُرَجِّى أن تكون فَتِيَّةً ... وقد لَحِبَ الجَنْبَان واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تدُسُّ إلى العَطّار سلعة بيتِها ... وهلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعرابى:

---

(١) سوره الزمر ١٢

(٢) سورة النحل ٧٣.

(٣) سورة يوسف ٤٣.

ومــاغَـرنى إلا خِـضــابٌ بِكفِّـهــا وكُـحْلٌ بِعـينَيْـهـا وأثْوَابُهـا الصـفْـرْ
وجــاءوا بهـا قَـبل المحـاق بلـيلة فكان مُـحَـاقًـا كله ذلك الشـهْـرُ]

* * *

قال: فقالت له امرأته(١):

ألم تَـر أنّ النـاب تُحْـلَبُ عُـلْبَـةً ويُتْـرَكُ ثِلب، لاضِـرابٌ ولاظَهْـرُ!

قال: ثـم استـغاثت بالنسـاء. وطلب الرجال فـإذا هم خلوف(٢)، فاجتمع النساء عليه فَضَرَبْنَهُ.

قوله: «قـد لَحِبُ الجنبان»، يقول: قَل لحـمهما، يقـال: بعير ملحـوٌ، وقد لَحِبَ مثل عرِق.

وقوله:

* تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها *

يريد السويق والدقيقَ وما أشبه ذلك، وكل عَرَضٍ فالعرب تقول له: سلْعة، أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ شعـرًا يمدح به خالد بن يزيد بن مَزيدِ الشيبانىَّ ويَذُمُّ تميم ابن خزيمة بن حازم النهشلى:

أأتْـرُكُ إنْ قَلَّـت دَرَاهِـمُ خـالـد زيـارتـه؟ إنـى إذا للـئـيـم!
وَقـدْ يُـسلِعُ المرءُ(٣) اللَّئيمَ اصْطِنَاعَـهُ ويَعْـتَـلُّ نَقْـدُ المَرْءِ وَهْوَ كَـريمُ
فـتى وَاسِـطٌ فى ابْنَىْ نزَار، مُـحَـبَّبٌ إلىَ ابْنَىْ نزَار، فى الخُطُوب عَـمِـيمُ(٤)
فَلَيْت بِبُـرْدَيْه لَنَا كـانَ خـالدٌ وَكَـانَ لِبكْرٍ فى الثَّـرَاء تَـمِـيمُ
فَـيُـصْبِحَ فِـينَا سَابقٌ مُتَمَـهِّلٌ أغَـرُّ، وَفِى بَكْرٍ أَغَمُّ بَـهِـيمُ

قوله:

* وقد يُسْلِعُ المَرْءُ اللئيمَ اصطناعه *

(١) س: «فقالت المرأة». (٢) خلوف: غائبون.
(٣) زيادات ر: «من رفع «المرء» فصب اصطناعه» وأما على تفسير أبى العباس فبنصب «اصطناعه» لاغير».
(٤) فتى واسط فى قومه: شريف فيهم.

وقوله: «أغم بهيم» فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا، قال هُدْبة بن خَشْرَمٍ العُذرىُّ:

فَلاَ تَنْكِحِى إن فَرَّقَ الدهرُ بيْنَنَا ... أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

والعرب تكْرَهُ الْغَمَمَ. والبهيمُ: الذى لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أىِّ لون كاَن.

وقولها:

* ألم تر أن الناب تحلب علبة *

تقول فيها منفعة على حال، والعُلْبَة: إناء لهم من جلود يَحْلُبون فيه، من ذلك قوله:

لَمْ تَتَلفَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا ... دَعْدٌ، وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بالْعُلَبِ

ومن أمثال العرب: «قد تُحْلَبُ الضَّجُور الْعُلْبَةَ»، يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشىء القليل، والضجور: الناقة السيئة الخُلق، إنما تحْلَبُ حين تَطْلُع عليها الشمس فتطيب نفسها، والثَّلْبُ: الذى قد انتهى فى السنّ من الإبل.

[من أقوالهم فى الفقر والغنى]

وقال آخر:

لَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى ... ولَمْ أَرَ مِثْلَ المَال أَرْفَعَ للرَّذْلِ
ولَمْ أَرَ عِزًّا لامرئ كَعَشِيرَةٍ ... ولَمْ أَرَ ذلاً مِثْلَ نَأَى عَنِ الأصْلِ
ولَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلى امْرِئٍ ... إذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقلِ

وقال آخر:

لَعَمْرى، لَقَوْمُ المَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّة ... عَلَيْهِ، وإنْ عَالَوْا بِه كلَّ مَرْكَب
مِنَ الجَانب الأقْصى، وإنْ كانَ ذَا غِنًى ... جَزِيلٍ ولَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّب
وإنْ خَبَّرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ ... عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدى الرِّجَال فَكَذِّب]
إذا كنْتَ فى قوم عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ ... فكلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

العـدا: الغـرباء فى هذا الموضع، ويقـال للأعـداء عـدا، والعـداة الأعـداء لاغير.

وقال أعرابى من باهلة:

سَأُعْمِلُ نصَّ العيس حَتَّى يكُفَّنى غِنَى المَال يَوْمًا أوْ غِنَى الحَدَثان

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاة يُرَى لهَا عَلَى المَرْءِ ذى العَلْيَاء مَس هَوَان

مَتَى يَتكلَّم يُلْغَ حُكْمُ مَقَاله وإنْ لَم يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَان

كَأنَّ الغِنَى فى أهْلِه بُورِكَ الْغِنَى بغَيْرِ لسَانٍ ناطقٌ بِلسَان

[من أخبار حارثة بن بدر الغدانى]

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارِثَةَ بن بَدْرِ الغُدَانى، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر، وكان رَجُلَ بنى تَميم فى وقته، وكان قَد غَلَبَ على زياد، وكان الشرابُ قد غَلَبَ عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ[١] بالشراب، فقال زياد: كيف لى باطراحِ رجلٍ هو يُسايرُنى مُنذُ دخلتُ العراق، لم يُصكك رِكابَى ركاباهُ، ولا تَقدمَنى فنظرتُ إلى قفاه، ولا تأخرَ عنى فلويْتُ عُنُقى إليه، ولا أخَذَ علىَّ الشمسَ فى شتاء قطُّ، ولا الرّوْحَ فى صيف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لم يحسن غيره. فلما مات زياد جفاه عبيد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة[٢]! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب، وأنا حَدَثٌ، وإنما أُنسَبُ إلى مَنْ يَغْلبُ علىّ، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قَرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بى، فَدَعِ النَّبيذَ وكُنْ أوَّلَ داخل علىَّ وآخر خارج عنى، فقال له حارثة: أنا لا أَدَعُهُ لمن يملك ضَرّى ونَفْعى، أفأدعه للحال عندك؟ قال: فاخْتَرْ من عملى ماشئتَ، قال: تُوَلِّينى رامهرمز[٣]، فإنها أرض عذَاةٌ[٤]؛ وسُرَّق[٥] فإن بها شرابًا وُصِفَ لى. فوَلاَّهُ إياهما، فلما خرج شيَّعهُ الناس، فقال أنَسُ بن أبى أُنَيْس:

---

(١) مستهتر بالشراب مولع به. (٢) كنية زياد.

(٣) رامهرمز. مدينه فى بلاد الفرس. (٤) أرض غذاة طيبه

(٥) سرق إحدى كور الأهواز

أَحَـارِ بْنَ بَدْرٍ قـد وَلِيتَ إِمـارَةً ... فَكُنْ جُـرَذًا فـيـهـا تَخُـونُ وتَسْرِقُ
ولا تَحْـقِـرَنْ يَاحَـار شَـيْئًـا وجَـدْتَهُ ... فَـحظُّـك من مُلْك العـرَاقَـيْنِ سُرَّقُ
وبَاه تَمِيـمًـا بالـغِنَـى إنَّ للغنَى ... لسَـانًا به الْمَرْءُ الْـهَـيُوبَـةُ يَنْطِق[١]
فـإنَّ جَـمِـيـعَ النَّاسِ، إمَّـا مُكَذِّبٌ ... يَقـولُ بما يَهـوَى وإمـا مُـصَـدِّقُ
يَقـولـونَ أقْـوَالاً ولا يَعْلَمـونَهـا ... ولوْ قِيلَ: هَاتُوا حَقـقُوا لَمْ يُحَـقِقُـوا

ورثَى حارثةُ بن بدرٍ زيادا ـ وكان زياد مات بالكوفة، ودفن بالثَّويَّة ـ فقال:

صَلَّى الإلهُ عَلَى قَـبْـرٍ وَطَهَّـرَهُ ... عند الثَّـوِيَّة يَسْـفِي فَـوْقَـهُ الْمُورُ
زَفَّتْ إلَيْـه قُـرَيْشٌ نَعْشَ سَـيِّـدها ... فَـثَمَّ كُلُّ التُّـقَى وَالْبِـرِّ مَـقْبُـورُ
أبَا الْمُغِـيـرَةِ وَالدُّنْيـا مُـفَـجِّـعَـةٌ ... وَإنَّ مَنْ غَـرَّت الـدُّنيَـا لَمَغْـرُورُ
قَـدْ كَـانَ عِنْدَكَ بـالْمَعْـرُوفِ مَـعْـرِفـة ... وَكَـانَ عِنْـدَكَ لِلنَّـكْرَاءِ تَنْـكِـيـرُ
وَكُنْت تُغْشَى وتُـعْطِى المالَ مِنْ سَعَـةٍ ... إنْ كـاَن بَيْتُكَ أضْـحى وَهْوَ مَـهجُـورُ
النَّاسُ بَعْـدَكَ قَـدْ خَـفَّتْ حُلُومُـهُـمُ ... كَـأنَّما نَفَـخَتْ فِـيـهَـا الأعَـاصِـيـرُ

ونظيـر هذا قول مهـلهل يرثى أخاه كليـبا، وكـان كليب إذا جلس لم يرفع بحضرته صوت، ولم يستب بفنائه اثنان:

ذَهَبَ الخِـيَـارُ من المَعَـاشِرِ كَلِّهِمْ ... واسْـتَبَّ بَعْـدَكَ يَاكـلَيبُ المَجلسُ
وتَقـاولُوا فـى أمْـرِ كُـل عَظِيـمَـةٍ ... لَوْ كُنْتَ حـاضِـرَ أَمْرِهِـمْ لَمْ يَنْبِسُـوا

قول حـارثة: «الثَوِيَّة» فهى بناحيـة الكوفة، ومن قال الثُّـوَيَّة: فهو تصغـير الثَّوِيَّة، وكل ياء اتَصَلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلةً طرفًـا فى التصغير فوليَتْها ياء التصغير فهى محـذوفةٌ، وذلك قولك فى عطاء: عُطَيٌّ، وكان الأصل عُطَيِّيٌ، كما تقول فى سحاب: سُحَيب، ولكنها تحذف لاعتلالها، واجتماع ياءين معها، وتقول فى تصغير أحْـوَى: أحيٌّ، فى قول من قال فى أسْوَدَ: أُسَيد، وهـو الوجه الجيد، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحـركة قلَبَتْها ياء، كقولك: أيام، والأصل «أيوامٌ»، وكذلك سيد، والأصل سيود، ومن قال فى تصـغير أسود: أسيود، فهو جائز، وليس كالأول، قال فى تصغير أُحْوَى أُحَـيْوِ يافتى، فتثبت الياء، لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتمـاع الياءات، ومن قال أسود، فإنما أظهر الواو؛ لأنها كانت

(١) الهيوبة: الجبان.

فى التكير متحركة، ولا تقول فى عجـوز إلا عجيزة لأنها ساكنة، وإنما يجوز هذا على بعد إذا كانت الواو فى موضع العين من الفـعل، أو ملحقة بالعين، نحو واو جدول، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغيـر للتشبيه بالجمع، لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيـره على مثال جمعه، ألا تراهم يقولون فى الجـمع: أساود وجداول. فهذا على التشبـيه بهذا. فإن كانت الواو فى موضع اللام كـانت منقلبة على كل حال، تَقُولُ فى غَزْوة: غُـزَيَةٌ، وفى عُرْوة: عُرَيَّةٌ، فهذا شـرح صالح فى هذا الموضوع، وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب.

وقوله: «يسفى فوقه المور»، فمعناه أن الريح تَسْفيه، وجعل الفعل للمور وهو التراب، وتقـول: سَقاكَ اللهُ الغَـيْثَ، ثم يجوز أن تجعل الفـعل للغيث، فتـقول: سقاك الغيث يافتى، وقال علقمة بن عبدة:

سَـــقَـاكَ يَمَـــان ذُو حَـبِيٍ وَعَـــارِضٌ   تَرُوحُ بِـهِ جُنْـحَ الْعَـــــشِـيِّ جَنُـوبُ

وقوله:

* زفّت إليه قريش نعش سيدها *

يقال: زفـفت السرير، وزَفَـفتُ العروسَ. وحدثنى أبو عـثمـان المازنىُّ قال: حدثنى الزيَّادى قـال: سمعت قومـا من العرب يقولون: أزفَـفْتُ العروس، وهى لغة.

وقوله: «نَعْشَ سيدها» يريد موضعه من النَّسَب، لأنه نسبَه إلى أبى سُفْيَان. وكان رئيس قريش قبل مَبْعَث النبى ﷺ، وله يقول رسول الله ﷺ: «كل الصيد فى بطن الفرا». وكان عـمر بن الخطاب رضى الله عنه يفرش فراشـا فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس بـن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب، ويقول: هذا عم رسول الله ﷺ، وهذا شـيخ قريش. وكان حرب بن أميـة رئيس: قريش يوم الفجار، فكان آل حرب إذا ركبوا فى قـومهم من بنى أُمَيَّةَ قُدِّمُوا فى المَواكِبِ، وأُخْلِيَتْ لهم صُدورُ المجـالس، إلاَّ رَهْط عثمان رضى الله عنه، فإن الـتقديم لهم فى الإسلام بعثمان. وكان أبو سفيان صاحبَ العير يوم بَدْرٍ، وصاحبَ الجيش يوم

أُحْد وفي يوم الخَنْدَق، وإليه كانت تَنْظُرُ قريش في يوم فتح مكة، وجَعَلَ له رسول الله ﷺ أنه من دخل في داره فهو آمن في حديث مشهور.

وقوله:

كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير

هذا مَثَلٌ، وإنما يراد خفّة الحُلوم. والإعْصارُ - فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تَهُبُّ بشدّة فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: «إن كنت ريحا فقد لاقيتَ إعصارا»، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْداً فيُصادفُ مَنْ هو أجْلَدُ منه، قال الله عزّوجل: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «كلُّ الصَّيْد في بطْنِ الفَرا»، يعني الحمارَ الوحشيَّ. وذلك أن أجلَّ شيء يصيده الصائدُ الحمارُ الوحشيُّ، فإذا ظفرَ به، فكأنه قد ظفر بجملة الصيد، والعرب تختلف فيه، فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول: هذا فرأٌ، كما ترى، وهو الأكثر، وبعضهم لا يهمزه، ومن أمثالهم، «أنْكحْنا الفَرَا، فَسَنَرى»، أي زوَّجْنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة، وجَمْعُهُ في القولين جميعا «فِراءٌ» كما ترى، ونظيره: جَمَلٌ وجِمَالٌ، وجَبَلٌ وجِبَالٌ، قال الشاعر.[2]

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإيزاغ المخاض تبورها

الإيزاغُ: دَفْع الناقة ببولها، يقال: أوْزَغَتْ به إيزاغا، وأَزْغَلَتْ به إزغالا، وذلك حين تَلقح، فعند ذلك يقال لها: خلفة، وللجميع المخاضُ، وقد مرّ هذا. والبَوْرُ: أن تُعْرَضَ على الفحل ليُعْلَمَ: أهي حامل أم حائل؟

[الضابئ البرجمي وهو في السجن]

وقال ضابىء بن الحارث البُرْجُميُّ[3]:

ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينَة رَحْلُهُ	فإنِّي وقَيَّاراً بها لَغَريبُ
وما عَاجِلاَتُ الطَّيرِ تُدْنِي منَ الْفَتَى	نَجاحًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخيبُ
ورُبَّ أُمُور لاتَضيرُكَ ضَيْرَةَ	ولِلْقَلْبِ من مَخْشَاتِهنَّ وجيبُ
ولا خَيْرَ فيمنْ لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ	عَلَى نائبَاتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ

(١) سورة البقرة ٢٦٦.

(٢) هو مالك بن زغبه الباهلي.

(٣) زيادات ر «من السجن».

قوله:

* فإنى وقيارا بها لغريب *

أراد: فإنى لغريبٌ بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعَمْرًا وعَمْرٌو، فمن قال: «عمرًا» فإنما ردَّه على زيد، ومن قال: عمرو فله وجهان من الإعراب: أحدهما جيد، والآخر جائز، فأما الجيد فأن تَحْملَ عمرا على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا، والباء زائدة، لأن المعنى لست قائما ولا قاعدا، ويقرأ على وجهين: ﴿إنَ اللهَ برىءٌ منَ المُشْركينَ ورَسُولُهُ﴾(١)، ﴿ورَسُولَهُ﴾، والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر فى الخبر، فإن قلت إن زيدًا منطلق هو وعمرو حسن العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته، كما قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وربُّكَ فَقَاتلاَ﴾(٢) و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنّةَ﴾(٣) وإنما قَبُحَ العطف عليه بغير تأكيد لأنهَ لا يخلو من أن يكون مُسْتكنًّا فى الفعل بغير علامة، أو فى الاسم الذى يَجْرى مَجْرَى الفعل، نحو إن زيدا ذَهَبَ وإن زَيدا ذاهبٌ فلا علامة له، أو تكونَ له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ، سكّنْتَ الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنْفَكُ أحدُهما عن صاحبه فهما كالشىء الواحد، ولكنَّ المنصوبَ يَجوزُ العطفُ عليه، ويَحْسُن بلا تأكيد، لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذْ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو ضَرَبْتُك وزيدًا، فأما قول الله عز وجل: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آباؤُنا﴾(٤)، فإنما يحسن بغير توكيد لأن «لا» صارت عوضا، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن فى الكلام. قال عمر بن أبى ربيعة:

قُلْتُ إذ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهَادَى ... كنِعَاجِ المَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ

وقال جرير:

ورَجَا الأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهة رَأيِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لهُ لِينَالاَ

فهذا كثير. فأما النعت إذا قلت إن زيدًا يقومُ العاقلُ فأنت مخير إن شئت

---

(١) سورة التوبة ٣.
(٢) سورة المائدة ٢٤ .
(٣) سورة البقرة ٣٥
(٤) سورة الأنعام ١٤٨

قلتَ العاقلَ فجعلته نعتا لزيد، أو نصبته على المَدْحِ وهو بإضمار أعنى، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر في الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت إن زيدا قام، فقيل من هو؟ فقلت: العاقلُ، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾(١)، أى هو النار. والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(٢) وعَلاَّمَ ﴿الغيوبِ﴾.

وقوله:

وماعَاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنْ الْفَتَى نَجَاحًا

يقول: إذا لم تَعْجَل له طَيْرٌ سانحَةٌ فليس ذلك بمُبْعِدٍ خيرا عنه، ولا إذا أَبْطَأَتْ خابَ، فعاجلُها لا يأتيه بخير، وآجلُها لايَدْفَعُهُ عنهَ، إنما له ما قُدّرَ له، والعرب تَزْجُرُ على السَّانِحِ وتَتَبَرك به، وتَكْرَهُ البارِحَ وتَتَشَاءم به، والسانحُ: ما أراك مَيَاسرَهُ فَأَمْكَنَ الصائدَ، والبارحُ: ما أراكَ ميَامِنَهُ فلم يمكن الصائدَ، إلا أن يَنْحَرِفَ له، وقد قال الشاعر:

لاَ يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلاً مَا يُصَبِّحُهُ إلاّ كَوَاذِبَ مِما يُخْبِرُ الْفَالُ
والفَالُ والزَّجْرُ والْكُهَّانُ كَلهُمُ مُضَلَّلُونَ، ودُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله:

ورُبَّ أُمُورٍ لاَتَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللقلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهنَّ وَجِيبُ(٣)

فإن العرب تقول: ضارَهُ يَضِيرُهُ ضيرةً. ولا ضَيْر عليه، وضرَّهُ يَضُرُّهُ، ولا ضَرَرَ عليه [ولا ضُرّ عليه](٤)، ويقال: أصابه ضُرٌّ، وأصابه ضَرٌّ بمعنى، والضَرُّ مصدر، والضُرُّ اسم. وقد يكون الضُرُّ من المرض، والضَّرُّ عامًّا، وهذا معنى حَسن، وقد قال أحد المحدثين، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العَتَاهِيَة:

وَقَدْ يَهلكُ الإنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ ويَنجو بإذن الله مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

---

(١) سورة الحج ٧٢.
(٢) سوره سبأ ٤٨.
(٣) المحشاة الخشية. والوجيب. خفقان القلب واضطرابه.
(٤) الزيادة من س.
(٥) سوره النساء. ١٩

وقــال الله عــز وجل: ﴿فَـعَـسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَـيْئًـا ويَجْـعَلَ اللهُ فِـيه خَـيْـرا كَثِيرًا﴾[1].

وقال رجل لمعاوية: واللهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كاره، فـقال معاوية: قد جَعَلَ اللهُ في الْكُرْهِ خيرًا كثيرًا.

وقوله:

وَلاَخَـيْـرَ فِـيَـمنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْـسَـهُ عَلَـى نَائِـبَـاتِ الدَّهْـرِ حينَ تَـنُوبُ

نظيره قول كثير:

أَقُـولُ لَـهَـا، يَاعَـزَّ كُـلُّ مُـصِـيـبـةٍ إذَا وُطِّنَتْ يَـوْمًـا لهـا النَّفْـسُ ذَلَّتِ

وكان عـبدالملك بن مَرْوانَ يقـول: لو كان قـال هذا البَيْتَ في صِفَـةِ الحَرْبِ لكان أشْعَرَ الناس.

وحكى عن بعض الصـالحين أن ابنًا له مـات فلم يُرَ بهِ جَزَعٌ، فقـيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نَتَوَقَّعُهُ، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ.

بابـ

[جرير بن عبد الله البجلى عند معاوية]

قال أبو العباس: وجه علـى بن أبى طالب رضى الله عنه جَرِيرَ بن عبد الله البجَلىَّ إلى معاويـة رحمه الله يأخُذُهُ بالبيعة له، فـقال له: إنَّ حَوْلى منْ تَرَى من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ولكنّى اختَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيك: «خَيْرُ ذى يَمَنٍ»، إيت مُعاوية فَخُذْهُ بالبَيْعَة، فقال جَرِيرٌ: والله يا أمير المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرتى شيْئًـا، وما أَطْمَعُ لك فى مُعاويةَ، فقال علىٌّ رضى الله عنه: إنما قَصْدى حُـجةٌ أُقِيمـها عليه، فـلـما أتاه جَرِيرٌ دافَعَهُ معـاوية، فقال له جَرِيرٌ: إنَّ المُنافقَ لا يُصَلِّى حـتى لا يَجدَ من الصلاة بُدأ، ولا أَحْسبُـكَ تُبايعُ حتى لا تَجدَ من البَيعة بُدا! فقال له معاوية: إنها ليست بَخدْعة الصَّبىّ عن اللَّبَنِ إنه أمر له ما بعده، فأبْلعْنى ريقى. فناظَرَ عمرًا، فطالت المناظرة بينهما، وألَحَّ عليه جرير، فقا له معاوية: ألقاك بالفَصْل فى أوّل مَجْلسٍ إن شاء الله تعالى.

ثم كتب لعمرو بمـصر طُعمةً، وكَتَبَ عليه «ولا يَنْقضُ شـرْطٌ طاعةً»، فقال عمرو: يا غلامُ اكتبْ: ولا تَنْقُضُ طاعةٌ شَرْطًا، فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عقيرته[1] يُنْشِدُ ليُسْمِعَ جَرِيراً:

تطَاوَلَ لَـيْلِى وَاعْـتَـرَتْنى وسَـاوسى	لآت أتى بالـتُّـرهَات البَـسَـابس[2]
أتَانِى جَـرِيرٌ وَالحَـوَادثُ جَـمَّـةٌ	بتلْكَ الّتى فـيـهَـا اجْـتـدَاعُ المَعَاطسِ
أُكَـايدُهُ وَالسَّـيْفُ بَيْنى وبَيْنَهُ	وَلَسْـتُ لأثْـوَاب الـدَّنِىِّ بِـلاَبِسِ
إن الشّـأمُ أعْطَتْ طاعَـةً يَمنيَّـةً	تَوَاصَـفَـهـا أشْيَاخُـهَـا فى المجَالسِ
فَـإنْ يَفْـعَلُوا أصْـدمْ عَلَيًّا بجبهَـة[3]	تَفُـتُّ عَلَـيْـه كلَّ رَطْـبٍ ويَابِـسِ
وإنِّى لأرْجُـو خَـيْـرَ مَـا نَـالَ نَائلٌ	وَمَـا أنَا منْ مُلْـكِ العِـرَاقِ بِيَـائسِ

[كتاب معاوية إلى على]

وكتب إلى على رضى الله عنه:

---

(1) العقيرة: الصوت

(2) البسابس فى الأصل: القفر الواسع، يريد الأباطيل.

(3) زيادات ر: «الجبهة: جماعة الخيل».

بسم الله الرحمن الرحيم، من مُعاوية بن صَخْر إلى عليّ بن أبى طالب: أما بعد: فلَعَمْرِى لَوْ بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذَّلْتَ عنه الأنصارَ، فأطاعك الجاهلُ، وقَوِىَ بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قَتَلَةَ عثمان، فإن فعلتَ كانت شُورَى بين المسلمين. ولَعَمْرِى ما حجتك على كحجتك على طَلْحَة والزُّبَيْر؛ لأنهما بايَعاكَ ولم أبَايعْكَ. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل ابصرة أطاعوك ولم يُطعْكَ أهلُ الشام. وأما شَرَفُكَ فى الإسلام، وقَرابَتُكَ من رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فلَسْتُ أدْفَعُهُ. ثم كتب إليه فى آخر الكتاب بشِعر كعب بن جعيل، وهو:

أرَى الشَّأمَ تَكْرَهُ مُلْكَ العِرَاق ... وأَهْلَ العِرَاق لَهُمْ كَارهِينَا
وَكُلاًّ لِصَاحِبِه مُبْغَضًا ... يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
إذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمُ ... وَدنَّاهُمُ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا
فَقَالُوا: عَلِىٌّ إمَامٌ لَنَا ... فَقُلْنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْد رَضِينَا
وقَالُوا: نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ ... فَقُلْنَا: ألاَ لاَ نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذلِكَ خَرْطُ الْقَتَادِ ... وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ يُقِرُّ العُيُونَا

وأحسن الروايتين: «يفض الشئونا»، وفى آخر هذا الشعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره.

قوله: «ولكنَّكَ أغْرَيْت بعثمان المهاجرين» فهو من الإغْرَاء وهو التحضيض عليه، يقال أغْرَيْتُهُ به، وآسَدْتُهُ عليه، وآسَدْتُ الكلب على الصيد أُوسِدهُ إيسادًا، ومن قال: أشْلَيْتُ الكلب فى معنى أغْرَيْتُ فقد أخطأ، إنما أشْلَيْتُهُ دَعوتُهُ إلىَّ، وآسَدْتُه أغْرَيْتُه.

وقول ابن جُعَيْل:

* وأهلَ العراق لهم كارهينا *

محمول على «أرى»، ومن قال:

* أهلُ العراق لهم كارهونا *

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عَطَفَ جملة عَلَى جملة بالواو، ولم يحمله على أرى. ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقًا، وعمروٌ منطلقٌ الساعةَ، خبَّرْتَ بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا، فيكون معناها «إذْ» كما تقول رأيت زيدًا قائمًا وعمرو منطلق، تريد إذ: عَمْرو منطلق. وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قول الله عز وجل: ﴿يَغْشَى طَائفةً منْكمْ وَطائفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهمْ﴾[1]، والمعنى - والله أعلم: إذ طائفةٌ فى هذه الحَال - وكَذلك قراءة من قرأ: ﴿ولو أن مَا فى الأرْض منْ شَجرَة أقْلامٌ وَالبحْرُ يَمدهُ منْ بَعْده سَبْعَةُ أَبْحرٍ﴾[2]، أى والبَحْرُ هذه حاله، ومَن قرأ ﴿والبَحْرَ﴾ فعلى «أنَّ».

وقوله:

* ودِنَّاهُمُ مثل ما يقرضونا *

يقول جزيناهم. وقال المفسرون فى قوله عز وجل: ﴿مَالك يَوْم الدِّين﴾[3]. قالُوا: يومَ الجزاء والحساب، ومن أمثلة العرب: «كما تَدين تُدَانُ»، وأنشد أبوعبيدة[4]. :

واعْلَمْ وأَيْقنْ أَنَّ مُلْكَكَ زائلٌ   واعْلَمْ بأنَّ كَمَا تَدينُ تُدَانُ

وللدّين مواضع: منها ما ذكرنا، ومنها الطاعة ودينُ الإسلام من ذلك يقال: فلان فى دين فلان، أى فى طاعته، ويقال: كانت مكة بلدا لقاحًا، أى لم يكونوا فى دين مَلك، وقال زُهَيرٌ:

لَئنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بَنى أسد   فى دِين عَمْرٍو وحالَت بَيْنَنا فَدَكُ

فهذا يريد: فى طاعة عمرو بنِ هند، والدِّينُ: العادةُ، يقال: ما زال هذا دِينى ودأْبى وعادتى ودَيْدَنى وإجْرِيَّاى، قال المُثقِّب العَبْدِى:

---

(١) سورة آل عمران ١٥٤

(٢) سورة لقمان ٢٧.

(٣) سورة الفاتحة٤.

(٤) زيادات: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر». وقد أورد هذا الخبر المرصفى فى رغبة الآمل: ٣. ٢١٤، ٢١٥.

تَقــولُ إذَا دَرَأْتُ لَـهــا وَضِــــينى أهــذا دِيــنُــهُ أبَــدًا وَدِيـــنــى!
أَكُـلَّ الـدَّهْرِ حَـلٌّ وَارْتِـحَـــــــالٌ أَمَــا تُـبــقى عَلـىَّ وَمَــا تَقــينى!

وقال الكُمَيْتُ بن زيْد:

عَلَى ذَاكَ إجْـرِيَّاىَ وَهْىَ ضَـرِيبَـتى وَإن أجْلَبُــوا طراً عَلَى وأَحْـلَبُــوا[1]

وقوله:

* فقلنا رضينا ابَن هند رضينا *

يعنى معاوية بن أبـى سُفيانَ، وأمُهَ هِنْد بنت عُـتْبَةَ بن رَبيعة بن عـبْدِ شمْسِ ابن عبد مَناف.

وقوله: «أن تَدينوا له» أى أن تطيعوه وتَدخلوا فى دينه: أى فى طاعته:

وقوله:

* ومن دون ذلك خرط القتاد *

فهذا مثل من أمـثال العرب، والقَتادُ: شُجَيْرَةٌ شـاكة غليظة أصول الشَّوْك، فلذلك يضْرَبُ خَرْطهُ مَـثَلاً فى الأمر الشديد، لأنه غاية الجَـهد. ومن قال: «يَفُضَّ الشئونا»، فَـيَفُضُّ يُفَرِّقَ، تقول: فَـضضْت عليه المال. والشئـون، واحدها شَأْنٌ، وهى مَوَاصِلُ قبائل الرأس، وذلك أن للرأس أربع قَبَائل، أى قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها إلى بعض، فموضع شُعَبِها يقال له: الشئون، واحدها شَأْنٌ، وزعم الأصمعى قال: يقال إن مجارى الدموع منها، فلذلك يقال: استَهَلتْ شئونه، وأنشد قول أوْس بن حَجَر:

لاتَحْـــزُنـينى بِـالفِـــرَاقِ فَـــإنَّـنى لاتَسْـتَـــهِلُّ مِنَ الفِـــرَاقِ شُـــئُـونى

وَمَنْ قال «يقرُّ العيـونا»، ففيه قولان: أحدهما للأصـمعىّ، وكان يقول: لا يجوز غـيره، يقال: قَـرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ، وقـال: إنما هو بَرَدَتْ منَ القُرِّ، وهو خلاف قولهم: سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله، وغيره يقول: قَرَّتْ هَدَأَتْ، وأقَرَّها الله أهْدَاها اللهُ، وهذا قول حسن جميل، والأول أغرب وأطْرَفُ.

---

(١) اجرياى: عادتى. وأجلبوا: صاحوا. وأحلبوا: تألبوا.

[لمعاوية جواب على بن أبى طالب]

فكتب إليه أمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من على بن أبى طالب إلى مُعاوية بن صَخْر، أما بعد: فإنه أتانى منك كتابُ امرئٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ، دعا الهوى فأجابه، وقادَهُ فاتَّبعه، زَعَمْتَ أنك إنما أَفْسَدَ عليك بَيْعتى خطيئتى فى عثمان. ولَعَمْرى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصْدَرْتُ كما أصْدَروا، وما كان الله ليجْمَعَهُمْ على ضلال، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى!.

وبعد، فما أنت وعثمانُ! إنما أنتَ رجل من بنى أُمَيَّة، وبنو عثمان أوْلَى بمطالبة دمه، فإن زعمتَ أنك أقوى على ذلك، فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المسلمون، ثم حاكِمِ القومَ إلىّ. وأما تمييزك بينك وبين طلْحَة والزُّبَيْر وأهل الشام وأهل البَصْرة. فلعمرى ما الأمْرُ فيما هنَاكَ إلا سَواءٌ، لأنها بَيْعَةٌ شاملة، لا يُستَثْنى فيها الخيارُ، ولا يُسْتَأنَفُ فيها النَّظَرُ. وأما شرفى فى الإسلام، وقرابتى من رسول الله ﷺ، وموضعى من قرَيْشٍ، فلعمرى لو استَطَعْتَ دَفْعهُ لدفعتهُ».

ثم دعا النَّجاشِيَّ أحد بنى الحارث بن كعب فقال له: إن ابن جُعَيْلٍ شاعر أهل الشأم، وأنت شاعرُ أهل العراق، فأجب الرجلَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أسْمِعْنى قوله، قال: إذًا أُسْمعك شعرَ شاعرٍ، فقال النجاشى يجيبه:

دَعَا يَامُعَاوىَ مَا لَنْ يَكُونا ... فَقَد حَقَّقَ اللهُ مَا تَحْذرُونا
أتَاكُمْ علىٌّ بأَهْلِ الْعِرَاقِ ... وأَهْلِ الحِجَازِ فَمَا تَصْنَعونَا!

وبعد هذا ما نُمْسِك عنه.

قوله: «ليس له بصَر يهديه»، فمعناه يقوده، والهادى: هو الذى يتقدم فيَدُلُّ، والحادى: الذى يتأخر فيسوق، والعنق يسمى الهادى لتقدمه، قال الأعشى:

إذَا كَانَ هَادِى الفَتَى فى البِلا ... دِ صَدْرَ القَنَاة أطَاع الأمِيرَا

يصف أنه قد عمى فإنما تهديه عَصًا، ألا تراه يقول:

وهَابَ الْعِثَارَ إذَا مَا مَشَى ... وخَالَ السُّهُولَةَ وعْثًا وعُورا

وقال القُطامى:

إنِّى وإنْ كـــانَ قَـــومِى لـيْسَ بَيْنـهُمُ   وبيْنَ قَـــومِك إلا ضَـــرْبةُ الـهَـــادِى

وقال أيضًا:

قَـرَّبْنَ يَقْـصُـرْنَ مِـنْ بُزْلٍ مُـخـيَّـسَـةٍ   ومِنْ عِـرَابٍ بَعَـيـدَاتٍ مِنَ الحـَادِى

وقوله: «ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ» قد أبانَ به الأولَ.

وقـوله: «دعاه الهَـوى» فالهـوى من «هويتُ» مـقصـور، وتقديره «فَـعَلٌ»، فانقلبت الـياء ألفًا، فلذلك كـان مقصـورًا، وإنما كان كـذلك لأنك تقول: هَوِىَ يَهْوَى، كما تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ وهُو هَوٍ، كما تقول: هُوَ فَرِقٌ، كما ترى، وكان المصدر على «فَعَلٍ» بمنزلة الفَرَقِ والحَذرِ والبَطَرِ؛ لأن الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل، فأمـا الهواءُ، من الجَـو فممـدود، يَدُلُّك على ذلك جمعـه إذا قلت: أَهْوِيةٌ، لأن أفْعِلة إنما تكون جمع فَعَـالٍ وفِعالٍ وفَعُولٍ وفَعِيل، كما تقـول قَذَال وأَقْذِلَةٌ وحمار وأَحمِرةٌ، فَـهواءٌ كذلك، والمقصـور جمعُه أهواء فاعلم، لأنه عـلى فَعَلَ، وجمع فعل أَفعالٌ، كما تقول: جَمل وأَجْمَال وقَتَب وأقتاب، قال الله عز وجل: «وَاتَّبَعُوا أهوَاءَهُمْ»[1]. وقوله هذا هواء يافتى فى صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ، يقول: لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: «وأَفْئدتُهُمْ هَوَاءٌ»[2] أى خالية، وقال زُهَيْرٌ:

كـــأَنَّ الرَّحْلَ مِـنْهَـــا فَـــوْقَ صَـــعْلٍ   مِنَ الـظِّلْمَـــانِ جُـــؤْجُـــؤُهُ هَوَاءُ

وهذا من هَواءِ الجوّ، قال الهُذلى[3]:

هَوَاءٌ مِـــثْلُ بَـعْلِكِ مُـــسْـتَـمِـيتٌ   عَلَى مَـافِـى وِعَـائِكِ كَـالخـَيَـالِ

وكل واو مكسورة وقـعت أولا فهمـزها جائز يُنْشدُ: «على مـا فى إعائِكَ»، ويقال: وسادَةٌ وإسادَةٌ ووِشاحٌ وإشاحٌ.

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ» فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصلٌ وأجراه مجـراه، ولس ههنا فعلٌ، فَيُحْمَلَ على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان، هذا تقديره فى العربية، ومعناه لَسْتَ منه فى شىء، قد

---

(١) سورة محمد ١٤.   (٢) سورة إبراهيم ٤٣.

(٣) هو حبيب الأعلم، وانظر ديوان الهذليين ٢: ٨٣.

ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً حسنًا وجَعَلَهُ مفعولا معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلانًا. وهذا الشعر كما أصف لك ينشد:

وأنت امرُؤٌ من أهل نجْدٍ وأهْلُنا تَهامٍ وما النَّجْدىُّ والمُتَغَوِّرُ!

وكذلك قوله[1]:

تُكَلِّفُنى سَويقَ الكَرْمِ جَرْمٌ ومَا جَرْمٌ وما ذاكَ السَّويقُ!

فإن كان الأول مضمراً متصلا كان النصبُ، لِئَلا يُحْمَلَ ظاهر على مضمر، تقول: مالَكَ وزيدًا، وذلك أنه أَضْمَرَ الفعْلَ، فكأنه قال فى التقدير: ومُلابَسَتَكَ زيدًا، وفى النحو تقديره: مع زيد. وإنما صَلَحَ الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت: مالَكَ وزيدًا! فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز «وزيد» وأَضْمَرتَ لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار، نحو قولك: مازلت وعبد الله حتى فعل، لأنه ليس يريد: ما زِلْتُ وما زال عبدُالله، ولكنه أراد: وما زلتُ بعبدالله. فكان المفعول مخفوضا بالياء، فلما زال ما تخفضه وصل الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾[2]، فالواو فى معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا ينشد هذا الشعر[3]:

فمَالَكَ والتلَدُّدُ حولَ نَجْدٍ وقد غَصت تِهامة بالرجال[4]

ولو قلت: ما شأنُك وزيدا! لاختير النصب، لأن زيدًا لا يلتبس بالشأن، لأن المعطوف على الشيء أبدًا فى مثل حاله، ولو قلت: ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ، لأن الشأن يعطف على الشأن، وهذه الآية تفسرُ على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها، وهو قوله عز وجل: ﴿فأَجْمِعوا أمْرَكُمْ وَشرَكَاءَكُمْ﴾[5] فالمعنى والله أعلم: معَ شركائكم، لأنك تقول: جمعت

(١) زيادات ر: «هو الأعجم».
(٢) سورة الأعراف ١٥٥.
(٣) زيادات ر: «هو مسكين الدارمى».
(٤) التلدد: التلفت يمينا وشمالا.
(٥) سورة يونس ٧١.

قومى، وأَجْمَعتُ أمرى. ويجوز أن يكون لمَّا أَدْخَلَ الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه؛ لأن المعنى يرجع إلى شىء واحد. فيكون كقوله[1].

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

وقال آخر:

* شرَّابُ أَلبَانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ *

وهذا بَيِّنٌ.

[خالد بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان]

ويروى أن عبدالله بن يَزيدَ بن مُعاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخى، لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفْتُكَ بالوليد بن عبدالملك فقال له خالد: بئس والله ما هَمَمْتَ به فى ابن أمير المؤمنين، ووَلِىِّ عَهْدِ المسلمين! فقال: إن خيلى مَرَّت به فَعَبِثَ بها وأَصْغَرَنى، فقال له خالد: أنا أكفيك. فدخل خالد على عبدالملك والوليد عنده؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الوليدُ ابن أمير المؤمنين، ووَلِىُّ عَهْدِ المسلمين، مَرَّتْ به خيل ابن عمه عبدالله بن يزيد فَعَبَث بها، وأصغره. وعبدُالملك مُطرقٌ، فرفع رأسه، فقال: ﴿إن الملُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعزَّةَ أَهْلها أَذلّةً وَكَذَلكَ يَفْعَلُونَ﴾[2]، فقال خالد: ﴿وإذَا أردْنَا أَنْ نُهْلكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفيهَا فَفَسَقُوا فيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَولُ فَدَمَّرْنَاها تَدْميرا﴾[3]، فقال عبدالملك: أفى عبدالله تُكَلِّمُنى؟ والله لقد دَخَلَ علىّ فما أقام لسانه لحنًا! فقال له خالد: أَفَعَلَى الوليد تُعَوِّلُ؟ فقال عبدالملك: إن كان الوليدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سُلَيْمانُ، فقال له خالد: وإن كان عبدالله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير، فقال خالد: اسْمَعْ يا أمير المؤمنين، ثم أَقْبَلَ عليه وقال: وَيْحَكَ فمن العير والنفير غيرى؟ جدى أبو سفيان صاحبُ العير، وجَدّى عُتْبةُ بن رَبيعة صاحب النَّفير، ولكن لو قلتَ: غنَيْماتٌ، وحُبَيَّلاتٌ، والطائفُ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا: صدقتَ!

---

(١) زيادات ر. «هو عبدالله بن الزبعرى».

(٢) سورة النمل: ٣٤.

(٣) سورة الإسراء: ١٦.

أما قوله: «فى العير» فهى عير قُرَيْشٍ التى أَقبلَ بها أبو سفيان من الشأم فَنَهدَ إلَيْها رسولُ الله ﷺ ونَدَبَ إليهـا المسلمين، وقال: «لعَل الله يُنَفِّلكُموها»، فكانت وَقْعـة بَدْر وساحَلَ أبو سُفيانَ بالعـير، فكانت الغنيـمة ببـدر، كما قـال الله عز وجل: ﴿وإِذْ يعدكُمُ الله إِحْدَى الطائفَتَيْن أَنهـا لَكُمْ وتودُّون أَنَّ غيْرَ ذَات الشَّوْكَة تَكُونُ لَكُمْ﴾[1]. أى غَيْر الحرْبَ، فلما ظفرَ رسَولُ الله ﷺ بأهل بدر، قـال المسلمون: انهَدْ بنا[2] يا رسول الله إلى العير، فقال العباس رحمه الله: إنما وعَدَكُم الله إحْدَى الطائفتين.

وأما النفير فَمَنْ نَفَرَ من قريشٍ ليَـدْفَعَ عن العير. فجاءوا فكانت وقعةُ بَدْر، وكان شيخُ القوم عُتْبَة بن رَبيعة بن عبد شَمْس، وهو جَدُّ خالد من قِبَلٌ جَدَّته هِنْد أُمّ معاوية بنت عتْبةَ، ومن أمثال العرب:

لَسْتَ فى العِيـر يَوْمَ يَحْـدُونَ بِالعِيـر ... ولا فى الـنَفـيـر يَـوْمَ النَفـيـر

ثم اتَسعَ هذا المثل حتى صـار يقال لَمنْ لاَ يَصْلحُ لخير ولا لشرٍ ولا يُحفَلُ به: «لا فى العير، ولا فى النفير».

وقوله: «غنيمات، وحبيلات، يعنى أن رسول الله ﷺ لما أطرد الحكم بن أبى العاصى بن أُميةَ. وهو جَـدُّ عبدالملك بن مروان لجـأ إلى الطائف، فكان يرعى غُنَيْماتٍ، ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ ـ وهى الكَرْمَة.

وقوله: «رحم الله عثمان»: أى لرَدّه إيَّاهُ.

وقولنا «أطرده»: أى جـعله طريداً، وطَرَدَهُ: نَحّاهُ، كما تقـول حَمدْته، أى شكرته، وأَحْمَدْته، أى صادفته محموداً. وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله ﷺ فى رده متى أَفْضَى الأمرُ إليه، رَوى ذلك الفقهاء.

---

(١) سورة الأنفال: ٧.

(٢) نهد ونهض كلاهما بمعنى واحد.

باب

[الرجل من بني أسد يمدح يحيى بن حيان]

قال أبو العباس: قال رجلٌ من بنى أسَد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النَّخَع بن عمرو بن عُلَةَ بن جلْد بنَ مَذْحِجٍ، وهو مالك.

ألاَ جَعَلَ اللهُ اليَمانينَ كُلَّهُمْ ... فِدًى لفَتى الفِتْيان يَحيَى بن حَيَّان
ولَوْلاَ عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ ... لَقُلْتُ وَأَلْفًا من مَعَدٍّ بن عَدْنان
ولكنَّ نَفْسِي لم تَطِبْ بعَشِيرتي ... وطابَتْ له نَفْسى بأبناءِ قَحْطان

وهذا من التَّعَصُّبِ المُفْرِط.

وحدثنى شيخ من الأزد ثقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت، وهو يدعو لأبيه، فقيل له: ألا تدعو لأمك! فقال: إنها تَميمِيَّةٌ.

وسُمِعَ رجلٌ يطوف البيت، وهو يدعو لأُمِّه ولا يذكر أباه، فعوتِبَ، فقال: هذه ضَعيفةٌ، وأبى رجل يحتال لنفسه.

وحدثنى المازنى عمن حدثه قال: رأيت رجلا يطوف بالبيت، وأُمُّهُ على عنقه، وهو يقول:

أحْمِلُ أُمِّى وهِىَ الحَمَّالَهْ ... تَرْضِعُنى الدِّرَّةَ والعُلالَهْ

* ولا يجازى والد فعاله *

قوله: «الدرة»، فهو اسم مَا يَدُرُّ من ثَدْيَيْها، ابتداءً كان ذلك أو غير ذلك. والعُلالَةُ لا تكون إلا بَعْدُ، يقال: عَلَّهُ يَعُلُّهُ وَيَعِلُّه عَلاًّ، والاسم العُلالَةُ، وكلُّ شيء كَان على «فعَلت» من المدغم، فمضارعه إذا كان متعدِّيا إلى مفعول يكون على يَفْعُلُ، نَحْوَ رَدَّه يرُدُّه، وشَجَّه يَشُجُّه، وفَرَّه يَفُرُّه. فإذا قلت: فَرَّ يَفِرُّ، فإنما ذلك لأنه غير مُتَعَدٍّ إلى مفعول. ولكن تقول: فَرَرْتُ الدابةَ أفُرُّه. وجاء «فَعَلَ يَفْعِلُ» من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال: عَلَّه يَعُلُّه وَيَعِلُّه، وَهَرَّه يَهُرُّه وَيَهِرُّه: إذا كرهه، ويقال: أَحَبَّه يُحِبُّه، وجاء حَبَّه يَحِبُّه، ولا يكون فيه يَفْعُلُ، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ إنَّنى وطِلابَ مِصْرٍ ... لَكَالْمُزْدادِ مما حبَّ بُعْدَا

وقال آخر:

وأُقْسِمُ لولا تَمْرُهُ ماحَبَبْتُهُ وكانَ عياضٌ منه أَدْنَى ومُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطارِدِي: ﴿فاتَّبعُونى يُحِبُّكُمُ الله﴾[1]، فَفَعَلَ فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من «حببت»، والآخر أنه أَدْغَمَ فِى موضع الجزم، وهو مذهب تميم وقَيْس وأَسَد. وَجماعَةَ من الغرب يقولون: رُدُّ يا فتى، يُدْغمون، ويُحركون الدال الثانية لالتِّقاء الساكنين فيُتْبِعُون الضَّمَّةَ الضمةَ. ومنهم مَن يفتح لالتقاء الساكنين فيقول: رُدَّ يا فتى، لأن الفتح أخف الحركَات، ومنهم من يقول: رُدِّ يافتى فَيكْسِرُ: لأن حق التقاء الساكنين الكسر، فإذا كَان الفعل مكسوراً ففيه وجهان: تقول: فرِّ يا فتى للإتباع وللأصل فى التقاء الساكنين، وتَفْتَحُ؛ لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحا فالفتح للإتباع، ولأنه أَخَفُّ الحركات؛ والكسر على أصل التقاء الساكنين،نحو. عضٍّ، يا فتى، وعضَّ يافتى، فإذا لقيتْه ألف ولام فالأجود الكسر، من أجل ما بعده، وهى لام المعرفة، نحو:

فَغُضِّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَيْرٍ [فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابا]

ومنهم مَنْ يُجْرِيه مُجْرى الأوَّل، فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأوّل فيقول[2]:

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزِلة اللوَى وَالْعَيْشَ بعْدَ أولئك الأيام

ومن كان من شأنه أن يُتْبِعَ أو يكْسَرَ فعلى ذلك، ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ الله فإنّ الله شديدُ العقاب﴾[3].

وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلى، فيقولون: ارْدُدْ واغْضُضْ، ويقولون: افرر من زيد واعْضَضْ. لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان، وكل ذلك من قولهم، وقول التميميين قياس مُطَّرِدٌ بَيِّنٌ، وقد شرحناه فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح.

---

(١) سورة آل عمران ٣١.

(٢) زيادات ر: «هو جرير».

(٣) سورة الحشر ٥.

[الرجل فى الصبر]

وقال الآخر:

إذَا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضاقَ جِدًّا ... وَإنْ هَوَّنْتَ مَا قَدْ عَزَّ هانا

فَلاَ تَهْلِكْ لشَىْءٍ فاتَ يَأْسًا ... فَكَمْ أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا

سأصْبِرُ عن رَفيقى إنْ جَفانى ... على كُلِّ الأذَى إلا الهَوانا

فَإنَّ المرْءَ يَجْزَعُ فى خَلاَءٍ ... وَإنّ حَضَرَ الجماعةَ أنْ يُهانا

[العبيد بن أيوب العنبرى]

وقال آخر أحسبه من لصوص بنى سعد:

[قال أبو الحسن: هو عبيْدُ بنُ أيُّوب العَنْبَرِى، وأنشد هذا الشعر ثعلب]:

فإنّى وتَرْكِى الإنْسَ من بعد حُبِّهِمْ ... وصَبْرِىَ عَمَّنْ كنْتُ مَا إنْ أُزَايلُه

لكالصَّقْرِ جَلَّى بعد ما صادَ قُنْيَةً ... قديرًا ومَشْوِيًّا عَبِيطًا خَرَادلُه

أهابوا به فازدادَ بُعْدًا وصَدَّهُ ... عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابلُه

أَلَمْ تَرَنِى صاحَبْتُ صَفْرَاءَ نبعةً ... لها رَبَذِىٌّ لَمْ تُفَلَّلْ مَعَابِلُه

وطال احْتِضانى السيفَ حتى كأنما ... يُلاَطُ بكَشْحِى جَفْنُهُ وحَمَائله

أخو فَلَوات صاحَبَ الجنَّ وانتَحى ... عن الإنْسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائِله

له نَسَبُ الإنْسِىِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ ... وللجِنّ منه شكْلُهُ وشمائِله

قوله:

* وصَبْرِىَ عَمَّنْ كنْتُ مَا إن أزايله *

إن: زائدة، وهى تُزَاد مُغَيِّرةً للإعراب، وتزاد توكيدًا، وهذا موضع ذلك، فالموضع الذى تُغَيِّرُ فيه الإعراب هو وقوعها بعد «ما» الحجازية، تقول: ما زيدٌ أخاك، وما هذا بَشَرًا، فإذا أَدْخَلْتَ إن هذه بطل النصب بدخولها، فقلت: ما إن زيدٌ منطلق، قال الشاعر(١):

ومَا إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكن ... منايانا ودَوْلَةُ آخرينا

---

(١) زيادات ر: «هو فروة بن مسيك».

فزعم سيبويه أنها مَنَعَتْ «ما» العَـمَلَ كما منعت «ما» إنَّ الثقيلة أن تنصب، تقول: إن زيدًا منطلق، فإذا أدخلتَ «ما» صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال، نحو: إنما زيد أخوك، و﴿وإنما يَخْشَى اللهَ منْ عبَاده العُلَمَاءِ﴾[1] ولولا «ما» لم يقع الفعل بعد «إنَّ» لأن «إن» بمنزلة الفعلِ، ولَا يلَى فعْلٌ فعْلاً لأنَه لا يَعْمَلُ فيه، فأما كان يقوم زيدٌ، وكادَ تَزيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ منهم، ففى كان وكاد فاعلان مكْنيَّان.

و«ما» تُزاد على ضربين: فأحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كإلغائها، نحو ﴿فَبمـاَ رَحْمَة منَ الله لنْتَ لَهُم﴾[2] أى فبرحمة، وكذلك: ﴿ممَّا خَطيئاتهمْ أُغْرقُوا﴾[3] وكذلكَ: ﴿مَثَلاً مَـا بَعُوضَةً﴾[4] وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ، فَتُوجَبُ فى الشيء ما لولا هى لم يقع، نحو رُبَمَا يَنْطَلقُ زيد، و﴿رُبمَا يَوَدُ الّذينَ كَفَرُوا﴾[5] ولولا «ما» لم تَقَعْ رُبَّ على الأفعال، لأنها من عوامل الأسماء، وكذلك جئتُ بعد ما قام زيد، كما قال المَرَّارُ[6]:

أَعلاَقَةً أمَّ الوُلَيِّدِ بَعْدَ مَا ... أَفْنَانُ رَأْسِكَ كالنعَام المُخْلسِ[7]

فلولا «ما» لم يقع بعدها إلا اسم واحد، وكان مخفوضا بإضافة «بعد» إليه، تقول: جئتك بَعْدَ زيد.

وقوله: «كالصَّقْرِ جلَّى»، تأويل التَّجَلِّى أن يكون يُحِسُّ شَيْئًا فَيَتَشَوَّقُ إليه، فهذا معنى «جلَّى»، قال العجاج:

تَجَلِّى البازِى إذا البازى كَسَرْ

أى نَظَرَ. ويقال: تَجَلَّى فلانٌ فلانةً تَجَلِّيًا، واجتلاها اجتلاءً، أى نَظَرَ إليها وتأملها، والأصل واحد.

وقوله: «قَديرًا»، هو ما يُطْبَخ فى القِدْرِ، يقال: قَدير ومَقْدور، كقولك: قَتيلٌ ومَقْتولٌ.

(1) سورة فاطر ٢٨.
(2) سورة آل عمران ١٥٩.
(3) سورة نوح ٢٥.
(4) سورة البقرة ٢٦.
(5) سورة الحجر ٢.
(6) زيادات ر: «هو المراد الفقعسى».
(7) العلاقة: الحب. والوليد: تصغير الوليد، والأفنان فى الأصل: الغصون، وأراد بها هاهنا خصل الشعر

وقوله: «عبيطًا خرَادله»، فالعَبيط الطَّرىء، يقال: لحم عَبيط إذا كان طَريًّا، وكذلك دَم عبيطٌ، ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بكْرَتَهُ إذا نَحرَها شابةً من غير عِلّة، وكذلك اعتُبِطَ فلان إذا مات شابا، قال أُميّةُ[1]:

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذَائقها

وحدثنى الزيادى إبراهيم بن سُفيان بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن زياد، قال: تَحَدَّثَ رجل من الأَعْرابِ، قال نزلتُ برجل من طَيِّئ، فَنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها، فلما كان الغد نحر أخرى، فقلتُ: إنّ عندك من اللحم ما يُغنى ويكفى، فقال: إنى والله لا أُطْعِمُ ضيفى إلا لحما عَبيطًا، قال: وفَعلَ ذلك فى اليوم الثالث - وفى كل ذلك آكل شيئًا، ويأكل الطائى أكْلَ جماعة - ثم نُؤتَى باللبن فَأشربُ شيئًا، ويشْرَبُ عامةَ الوَطب[2]، فلما كان فى اليوم الثالث ارتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَعَ، فلما امتلأ نومًا استَقْتُ قطيعًا من إبله فأقبَلْتُهُ الْفَجّ[3]، فانتبه واخْتَصَرَ علىَّ الطريقَ حتى وقف لى فى مَضيقٍ منه، فَأَلْقَمَ وتَرَهُ فُوقَ[4] سَهْمه، ثم نادى بى: لِتَطِبْ نَفْسُكَ عنها! قلت: أرنى آيةً، فقال: انظر إلى ذلك الضَّبِّ، فإنى واضعٌ سَهْمى فى مَغْرز ذَنَبِه، فرماه فَأنْدَرَ ذَنَبه[5] فقلتُ: زِدْنى، فقال: انظر إلى أعلى فَقَاره، فرماه فأثْبَتَ سهمه فى الموضع، ثم قال لى: الثالثةُ والله فى كَبِدكَ! فقلت: شَأْنَكَ بإبلكَ! فقال: كلا حتى تسوقَها إلى حَيْثُ كانَتْ. قال: فلما انتهيت بها قال: فَكّرْتُ فيكَ فلم أجد لى عندك تِرَةً تُطالبنى بها. وما أَحْسبُ الذى حملك على أخذ إبلى إلا الحاجةَ. قال: قلتُ هو والله ذاك. قال: فاعمد إلى عشرين من خيارها فخذها، فقلت: إذًا والله لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ: والله ما رأيتُ رجلا أكْرَمَ ضيافةً، ولا أهْدَى لسبيلٍ، ولا أَرْمَى كَفًّا، ولا أَوْسَعَ صَدْرًا، ولا أرغبَ[6] جوفًا، ولا أكْرَمَ عَفْوًا منك قال: فاستحيا فصرَفَ وجهه عنى، ثم قال: انصرِف بالقَطيع مُبارَكًا لك فيه.

وقوله: «خرادله» يعنى قِطَعُه، يقال: ضَرَبه ضربا خَرْدَلَهُ، وتأويله قطَّعَهُ، كما قال:

---

(١) زيادات ر. «ابن أبى الصلت، والصحيح أنه لرجل من الخوارج، عن الأصمعى»

(٢) الوطب: سقاء اللبن.

(٣) الفج: الطريق الواضح

(٤) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٥) أندرذنبه: قطعها.

(٦) من الرغب، وهو سعه البطن وكثرة الأكل.

* والْضَرْبُ يَمْضى بيننا خَرَادِلاً *

وقولـه: «أهابوا به» يقول: دعَـوه، يقال أَيَّهَ بِهِ، وأَهَابَ بِهِ: أى نـاداه. قال القُرَشىُّ:

أَهَابَ بِأَحْـزَانِ الفُـؤَادِ مُـهِـيبُ   ومَـاتَتْ نُـفُـوسٌ للهَـوَى وقلوبُ

وقـوله: «ضَوْءُ برْقٍ ووابلِه»، أراد صَـدَّهُ عنهم ضَـوْءُ برقٍ ووابلُهُ، فأضـاف الوابل من المطر إلى البـرق. وإنما الإضافـة إلى الشىء على جهـة التضـمين، ولا يضاف الشىء إلى الشىء إلا وهو غيره أو بعضهُ، فالذى هو غيره: غلام زيد ودارُ عـمرو، والذى هو بعـضه: ثَوْبُ خَـزٍّ، وخـاتَم حَدِيد، وإنما أضـاف الوابل إلى البرق، وليس هُوَ لَه، كـما قلت: دار زيد، على جهـةً المجاورة، وأنهما راجـعان إلى السحابة، وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حـتى أَنَـخْتُ قَلُـوصى فى دِيـارِكُم   بخـيـر مَنْ يَحْتَـذِى نَعْـلاً وحـافـيهـا

فأضاف الحافى إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها.

وقوله:

* ألم ترنى صاحبت صفراء نَبْعَةً *

فالنَّبْعُ خـير الشجـر للقسى، ويقال: إن الـنَّبْعَ والشَّوْحَط والشَّريانَ شـجرةٌ واحدة، ولكنها تختـلف أسماؤها وتَكْرُمُ وتَحْسُنُ بمنابتها، فـما كان فى قُلَّة الجبل منها فهـو النَّبْعُ، وما كان فى سَفْـحِهِ فهو الشَـوْحَطُ، وما كان فى الحضـيضِ فهو الشَّرْيان.

وقوله: «لها ربَذِى» يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم، يقال: رجل رَبِذ اليد إذا كان يكثر التـحريك ليديه والعَبَثَ بهما، ويوصف به الفـرس لكثرة حركة قوائمه، وكـان الأصل رَبذًا لأنه «رَبِذ»، ولكن ما كان من «فَعِلٍ» فَنُسِبَ إليه فتح موضع العـين منه استثقـالاً لاجتماع ياءى النسَبِ وكـسرة اللام، لأن ياءى النسب تَكْسِران ما تَلِيَانه، فلم يَدَعُوا مع ذلك العَـيْنَ مكسورة، تقول فى النسب إلى النَّمِرِ ابن قاسط: نَمَرِىٌّ، وإلى الحَبِطات: حَبَطِىٌّ، وإلى شَقِرةَ ـ وهو الحرث بن تميم ابن مُرٍ ـ : شَقَرِىٌّ، وفى النسب إلى عَمٍ عَمَوِىٌّ يافتى.

وقوله: «لم تُفَلَلْ مَعابِلُه»، يريد لم ينكسر حَدُّها، من الفُلُول.

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر سأل عبدالملك أن يردَّ عليه سيف أخيه عبدالله بن الزبير فأخرجهُ إليه في سيوف مُنْتضاة، فأخذه عروة من بينها، فقال له عبدالملك: بم عَرَفْتَهُ؟ فقال: بما قال النابِغةُ:

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أنَّ سُيوفَهم ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائب

والمِعبَلة: واحدة المعابل، وهي سهم خفيف، قال عَنْتَرَةُ:

وآخَرَ منهمُ أَجْرَرْتُ رُمْحي ... وفي البَجْليِّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ[1]

بإسكان الجيم لا غير.

* * *

[قال أبو الحسن: بَجيلة: قبيلة من بني الهُجَيْم، من اليَمَن].

(١) الوقيع، من وقع المدية ونحوها يقعها وقعا: أحدها. والبجلي: منسوب إلى بجلة، لقب مالك بن ثعلبة.

باب

[لبعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد]

قال أبو العباس: تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُن شرَفُ مَنْ هُنَّ منه، منهنَّ أُمُّ كُلثُومٍ بنت عبدالله بن جَعْفَر بن أبى طالب، وآمنةُ بنت سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةُ، ورَمْلَةُ بنت الزُّبَيْرِ بن العَوَّام بن خُوَيْلد بن أسَد بن عبدالعُزَّى بن قُصَىّ، ففى ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبدالملك:

عَلَيْكَ أَميرَ المؤمنين بخالد ... ففى خالد عما تُحِبُّ صُدودُ
إذا ما نَظَرْنا فى مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذى يَنْوِى، وأين يُريدُ؟

فَطَلَّق آمنة بنت سعيد، فتزوجها الوليد بن عبدالملك، ففى ذلك يقول خالد:

فتاةٌ أبوها ذو العصابة، وابنُهُ ... وعثمانُ، ما أكفاؤها بكثير
فإن تفتلتْها والخلافةَ تنقلب ... بأكْرَم عِلْقَىْ مِنْبَرٍ وسَرير

قوله: «أبوها ذو العصابة» يعنى سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةَ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِىٌّ إعظامًا له، ويُنْشِدون:

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمَّتَهُ ... يُضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذا عَدَدِ

ويزعم الزُّبَيْرِيُّونَ أن هذا البيت باطل موضوع.

وقوله: «فإن تفتلتها»: يقول: تأخذها فجاءةً، ومن ذلك قول الشاعر:

مَنْ يَأْمَنِ الأيامَ بَعْدَ ... صُبَيْرَةَ القُرَشِىّ ماتا[1]
سَبَقت منيَّتُهُ المَشيبَ ... وكان ميتَتُهُ افْتِلاتا

وفى الحديث أن رجُلاً قال: يا رسول الله، إن أُمى افْتُلِتَتْ، أى ماتت فجاءةً.

---

(١) زيادات ر: «صبيرة، بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة، وبالضاد معجمة، رواية عاصم، على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين» رواية ابن سراج برفع «يأمن»، على الاستفهام».

[لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير]

ويروى أن آمنة لَبِثَتْ عنـد الْوَليد، فلما هَلَكَ عـبدُالملك سَعَى بهـا ساعٍ إلى الوليد. قال أبو العباس: وبلغنى أنها سَعَـتْ بها إحدى ضَرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْكِ على عبدالملك كـما بكَى نظائرها، فقال لها الوليد فى ذلـك، فقالت: صَدَقَ القائلُ، أكُنْتُ قائلة؟ ماذا أقول! ياليْتَهُ كـان بَقِيَ حتى يَقْتُلَ أخًا لى آخر كعمرو بن سعيد!

وفى رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد:

تَجـولُ خـلاخـيل النسـاء ولا أرَى ... لرَمْلَةَ خَـلْخـالاً يَـجُـول ولا قُلْبـا[1]

فـلا تُكْثِـرُوا فـيهـا المَلامَ فـإنّنى ... تَخَـيَّـرْتها منهم زُبَيْـرِيَّةً قَلْبـا[2]

أَحِبُّ بنـى الْعَـوَّام طُرًّا لحِـبِّـهـا ... ومن أجْلها أحْـبَبْتُ أخْـوَالها كَلْبـا

وزِيدَ فيها:

فـإنْ تُـسْلِمى أُسْلِمْ وإن تَتَنَصَّـرى ... يُعلَّق رجـالٌ بين أعـينهمْ صُلُبـا

فيـروى أن عبـدالملك ذُكِـر له هذا البيتُ، فـقال له: يا خـالد، أتَرْوى هذا البيتَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، على قائله لعنة الله!

[زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبدالله بن جعفر ثم طلاقه لها]

وذكر العُـتْبىُّ أن الحَجَّـاجَ بن يوسف بن الحَكَمِ الثَّقَـفىَّ لما أكْرَهَ عـبدَالله بن جعـفر على أن زوجه ابنته اسـتأجله فى نقلها سنة، فَـفكَّرَ عبدالله بن جعـفر فى الانفكاك منه، فـألقى فى رُوعِهِ خـالد بن يَزِيدَ، فَكَتَبَ إليـه يُعْلِمُهُ ذلك، وكـان الحجاج تَزَوَّجها بإذن عـبدالملكِ، فورد على خالد كتابه ليلاً، فاسـتأذن من ساعته على عـبدالملك، فـقـيل له: أفى هذا الوقت؟ فقـال: إنه أَمـرٌ لا يُؤَخَّرُ، فَـأُعْلَم عـبدالملك بذلك. فَـأذِنَ له، فلمـا دخل عليـه، قال له عـبـدالملك: فيمَ السُّرَى ياأباهاشم؟ قـال: أمْرٌ جَليلٌ لم آمن أن أؤخـره، فَتَـحْدُثَ علىّ حـادثةٌ فـلا أكونَ قَضيتُ حق بَيْعَـتكَ، قال: وما هو؟ قال: أتَعْلَمُ أنه ما كان بيـن حَيَّيْنِ من العداوة

---

(١) القلب هنا: السوار.

(٢) امرأة قلب، بفتح القاف: خالصة النسب.

والبَغْضَاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان؟ قال لا: فإن تزويجى إلى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى، فما أَهْلُ بيت أَحَبُّ إلىَّ منهم. قال: فإن ذلك لَيَكونُ، قالَ: فكيف أَذِنْتَ للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم، وأنت تَعْلَمُ ما يقولون ويقال فيهم، والحجاج من سلطانك بحيث علمت! قال: فجزاه خيرا، وكتب إلى الحجاج بِعَزْمَة أن يطلقها فطلقها، فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها، فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبى سُفيان، فَأَوْقَعَ الحَجَّاجُ بخالد، فقال: كان الأمر لآبائه فَعَجَزَ عنه حتى انتُزِعَ منه. فقال له عمرو بن عتبة: لا تَقُلْ ذا أيها الأمير، فإنّ لخالد قديما سَبَقَ إليه، وَحَديثًا لم يُغْلَبْ عليه، ولو طَلَبَ الأمر لطلبه بِحَدٍ وجِد، ولكنه علم علما، فَسَلَّمَ العِلْمَ إلى أهله، فقال الحجاج: يا آل أبى سفيان، أنتم تحبون أن تَحْلُمُوا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب، فنحن نُغْضِبُكُمْ فى العاجل ابتغاء مَرْضَاتِكُم فى الآجِلِ، ثم قال الحجاج: والله لأتَزَوجَنَّ مَنْ هو أَمَس به رَحِمًا، ثم لا يُمَكِّنُهُ فيه شىء، فتزوّج أم الجُلاسِ بنت عبدالله بن خالد بن أسِيدٍ.

أما قوله: «ألقى فى رُوعه»، فإن العرب تقول أُلقِىَ فى رُوعى، وفى قلبى وفى جخيفى وفى تامورى كذا كذا، ومعناه كله واحد، إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «إن رُوحَ القدُس نَفَثَ فى رُوعى»: فالروع والجَخيفُ غير مختلفين، والعرب تقول: أذْهَبَ الله قَلْبَهُ، ولا قلب له. ولا تقول: لا رُوعَ له؛ فَكَأَنَّ الروعَ هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة، ويقال: رأيت قَلْبَ الطائر. ولا يقال: رأيت رُوعَ الطائر، والتامورُ عند العرب: بقية النَّفْسِ عند الموت، وبعضهم يُفصحُ عنه فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للإنسان ما بقِىَ، يقال: ضَعْهُ فى تامورِكَ وفى قَلْبك وفى رُوعكَ وفى جَخيفكَ. والذماءُ، ممدود: مثلُ التامور سَواءٌ، تقول العرب: ليس فى الحَيوان أطولُ ذَماءً من الضب، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطرَحُ فى النار بعد أن ظنَّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال رجل لإبراهيم بن أَدْهَم: عظْنى، فقال: اتَّخِذ الله صاحِبًا وذر الناس جانبا.

قال سعيد بن المُسَيَّب: كنت بين القبر والمِنْبَرِ مُفكِّرًا، فسمعت قائلا يقول ولم أره: اللُّهمَّ إنى أسألك عملا بارًا. ورزقا دارًا. وعيشا قارًّا.(١)

قال سعيد: فلزِمْتُهُنَّ فلم أر إلا خيرا.

وقال الأَصْمَعِيُّ: كان من دعاء أبى المُجيب: اللهم اجْعَلْ خير عملى ما قارَبَ أَجَلى.

قال: وكان يقول فى دعائه: اللهم لاتَكِلْنَا إلى أنفسنا فَنَعْجِزَ، ولا إلى الناس فَنَضيعَ.

[أعرابى فى حلقة يونس]

قال وحدثنى أبو عثمان المازنيُّ قال: حدثنى أبو زيد قال: وقف علينا أعرابىّ فى حَلقة يونس النحوى فقال: الحمد لله كما هو أهله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، خرجنا من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ، ثلاثين رجلا ممن أَخْرَجَتْهُ الحاجة، وحُمِلَ على المكروه، لا يُمَرِّضُونَ مَريضَهُمْ، ولا يَدْفنون ميّتهم، ولا ينتقلون من مَنْزِلٍ إلى منزل وإن كرهوه. والله يا قوم لقد جُعْتُ حتى أكَلت النَّوَى المُحْرَقَ، ولقد مَشيْتُ حتى انْتَعَلْتُ، وحتى خَرَجَ من قدمىَّ بَخَصٌ ولحم كثير، أَفَلاَ رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ، وَفَلَّ طَرِيق، ونضْوَ سفر! فإنه لا قليلَ من الأَجْرِ، ولا غنًى عن ثواب الله عزَّ وجل، ولا عَمَلَ بعد الموت، وهو الذى يقول جَلَّ ثَنَاؤهُ: ﴿مَنْ ذَا الذى يُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسنًا فَيُضَاعِفَهُ لهُ﴾(٢). مَلِىّ وَفِىٌّ ماجِدٌ واجِدٌ جَوادٌ، لا يَسْتَقرِضُ من عَوَزٍ، ولكنه يَبْلو الأخيَار.

قال: فبلغنى أنه لَمْ يَبْرَحْ حتى أخذ ستين دينارًا.

قوله: «بخص»، يريد اللحم الذى يَرْكَبُ القَدَمَ، هذا قول الأصمعىّ، وقال غيره: لحم يَخلطهُ بياض من فساد يَحلُّ فيه، ويقال: بَخَصْتُ عينَه، بالصاد، ولا يجوز إلا ذلك، ويقال بَخَسْتُهُ حَقَّهُ، بالسين: إذا ظلمته ونَقَصتَهُ، كما قال الله عزوجَلَّ: ﴿ولاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾(٣)، وفى المَثَل: «تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ وهى بَاخِسٌ». وَيَدُلُّ على أنه اللحم الذى قد خالطه الفساد قولُ الراجز:

---

(١) قارا. مستقرا.

(٢) سورة البقرة ٢٤٥.

(٣) سورة الأعراف ٨٥.

[قال أبو الحسن عليٌّ بن سليمان الأخفش: الراجز هو أبو شُرَاعةُ]

ياقُـدَمَىَّ لا أرى لـى مَـخْلَصـا   مما أَرَاهُ أو تَـعُـودا بخَـصـا[1]

وقوله «فل» فالفل فى أكثر كلامهم: المنهزم الذاهب.

وفى خبـر كَعْبِ بن مَعْدَان الأشـعرى[2] «إنا آثرنا الحَـدَّ على الفَـلِّ» يعنى مجاهدتهم عَبْـدَ ربِّهِ الصَّغير؛ لأنه كان مُقْبِلاً علـى حربهم وتَرْكَهُمْ قَطَرِيًّا لأنه كان منهزما.

[خبر الحجاج بن علاط السلمى مع قريش]

وفى حديث الحـجاج بن عـلاط السُّلَمىِّ. وكان قد أسلم ولم تـعلم قريش بإسلامه، فاستأذن رسولَ الله ﷺ يوم خَيْبَرَ فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال، وكـانت له هناك أموال مـتفرقـة، وهو غريب بينهم ـ إنمـا هو أَحَدُ بنى سُلَيْمِ بن منصـور، ثم أحد بنى بَهْزٍ ـ فَـأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فقـال: يا رسول الله، إنى أحتاج أن أقول، قال: «فَقُلْ».

قال أبو العباس: وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومـعنىً حَسَنٌ، يقول: أقول ـ على جهة الاحـتيـال ـ غيـرَ الحَق، فأذن له رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لأنه من باب الحيلة، وليس هو من باب الفساد ، وأكثر مـا يقال فى هذا المعنى تقول، كما قال المولى عز وجل : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾[3]، فصار إلى مكة فقالت قريش: هذا لعَمر الله عنده الخبـر، قال: فقـولوا، فقالوا: بلـغنا أن القاطع[4] قد يخـرج إلى أهل خيبر، فقـال الحجاج: نَعَم، فقتلوا أصحابه قتلا لـم يُسْمَعْ بمثله، وأخذوه أسيراً، وقالوا: نَرَى أن نُكارِمَ به قريشًا، فَنَدْفَعَـهُ إليهم، فلا تنال لنا هذه اليد فى رِقَابِهِمْ. وإنما بَادَرْتُ لجمع مالى لَعلِّى أُصيبُ به من فل محمد وأصحابه قبل أن تسْبِقَنى إليه

(١) قال المرصفى: «يريد دواتى بخس».

(٢) زيادات ر: «الأشقرى، بالقاف لاغـير». وخبر كعب هو حديثه مع الحجاج بـن يوسف، وكان قد وجهه المهلب بن أبى صفوة الأزدى يبشره بمناهدته الخوارج وفراغه لهم.

وانظر رغبة الآمل ٥: ٢٨).

(٣) سورة الطور ٤٤.

(٤) يصفون محمدا بقطع الأرحام، وحاشاه.

التِّجارُ ويتصل بهم الحديثُ. قال: فاجتهدوا فى أن جمعوا إلىَّ مالى أَسْرَعَ جَمْعٍ، وسُرُّوا أكثر السرور، وقالوا بلا رَغْمٍ [١]، وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله[٢] فقال: وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول! قال: فقلتُ: أكاتمٌ أنت علىَّ خَبَرى؟ فقال: إى والله! قال: فقلتُ: فالْبَثْ علىَّ شيئًا حتى يخفَّ مَوْضعى. قال: فسرتُ إليه، فقلتَ. الخبر والله على خلاف ما قلتُ لهم، خَلَّفْتُ رسولَ الله ﷺ وقد فَتَحَ خيبَرَ، وخَلَّفْتُهُ والله مُعْرِسًا بابنة مَلِكهم، وما جئتُكَ إلا مُسْلمًا، فاطْوِ الخبر ثلاثًا حتى أُعْجِزَ القوم، ثم أشِعْهُ، فإنه واللهِ الحق، فقال: العباس: وَيْحَكَ، أَحَقٌّ ما تقولُ؟ قلتُ: إى والله! قال: فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ، وأخَذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت. قال: فقالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التَّجلُّدُ لَحرِّ المصيبة! فقال: كَلا، ومن حَلَفْتُمْ به! لقد فتحها رسول الله ﷺ، وأَعْرَسَ بابنة ملكهم! فقالوا: مَنْ أتاك بهذا الحديث؟ فقال: الذى أتاكم بخلافه، ولقد جاءنا مُسْلِمًا، ثم أتت الأخبارُ من النواحى بذلك، فقالوا: أَفْلَتَنَا الخبيثُ، أولىَ له[٣].

وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدة[٤] إذا كسرتَ حدَّها. والنِضْوُ: البالى المجهود، ويقال ناقة نِضْوٌ: إذا جَهَدَها السيرُ، وجمعه أنْضَاءٌ، وفلان نِضْوٌ من المرض.

وقوله: «لا يستقرض من عَوَزٍ»، فالعَوَزُ: تعذُّرُ المطلوب، يقال: أعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد، والمَعاوِزُ فى غير هذا الموضع: الثياب التى تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها.

وقوله: «ولكن ليبلو الأخيار»، يقال: الله يَبْلُوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى، وتأويله: يمتحنهم، وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان، قال الله جل ثناؤه: ﴿لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٥].

قال: وحدثنى أبو عثمان المازنى قال: رأيت أبا فرعون العَدَوِىَّ، ومعه

---

(١) الرغم هنا: الكره.

(٢) الواله . الحزينة.

(٣) أولى له: كلمة تهديد وتوعد، غلبت فى الدعاء بالعسر.

(٤) الحديدة: وصف للسكين يقال سكين حديدة، وحادة.

(٥) سورة هود٧.

ابنتاه، وهو فى سكة العطَّارين بالبصرة يقول:

بُنَـيَّتَىَّ صَـابرا أباكـما ... إنَّكُمَـا بعَـيْنِ مَـنْ يرَاكـما
اللهُ ربِّـى سَـيِّـدِى مـولاكـما ... ولو يـشـاءُ عَـنْهُمُ أَغْنَاكـما

وكان أبو فـرعون، وهو من بنى عَدِىِّ بن الرَّباب بن عبـد مَنَاةَ بن أُد، وقال اليزيدى: هو مولاهم، وكـان فصيحًا، وقَدِمَ قوم من الأعْـراب البصرة منّ أهله، فقيل له: تَعَرَّض لمعروفهم، فقال:

ولَسْتُ بسائِل الأعْرَابِ شيئًا ... حَمِدْتُ الله إذْ لَمْ يأكلونى

[حديث رجل من الصيارفة افتقر]

وروى الأسدى أنه افتـقر رجل من الصَّيارفة بإلحَـاحِ الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لهم لَدَيْه، وتَعَـذُّر أمواله التى كانت له عند الناس، فسأل جـماعةً من الجيران أن يصيروا معه إلى رجل[1] من قريش كان موسِراً من أولاد أجوادهم لَيَسُدَّ من خَلَّته، فـصاروا إليه، فجلسوا فى الصَّـحْنِ، فخرج إليهم يخطِرُ بـقضيب فى يده، حتى ثَنَى وسَادَةً فجلس عليـها، فذكروا حاجتهم وخلة صـاحبهم، مع قَديم نعمته وقريب جِوَارِه، فَخَطَرَ بالقَضيب، ثم قال مُتَمَثِّلاً[2]:

إذا المـالُ لم يـوجِـبْ عليـكَ عَطـاءَهُ ... صَنِيـعـة تَقْـوى أو صَدِيقٌ تُوامِـقُـهُ[3]
بَخِلْتَ وبَـعْضُ البُـخْلِ حَـزْمٌ وقـوةٌ ... فلم يَـفْـتَلِذْكَ المالَ إلا حَـقـائِقُـهْ

ثم أقـبل على القـوم، فقـال: إنا واللهِ مـا نجمـد عن الحق، ولا نَتَـدَفَّقُ فى الباطل، وإنَ لنا لحُـقوقًا تَشْـغَلُ فُضول أمـوالنا، وما كل مَنْ أفْلَسَ من الصيـارفة احْتَلنا لجَبْرِهِ، قوموا رحمكم الله! قال: فابْتدَرَ القومُ الأبوابَ.

قوله: «فلم يفتلذك المال»، يقـول: لم يُقتطعْ منك، يقال فَلَذَ له من العطاء، أى قَطَعَ له، وقال رسول الله ﷺ يوم بَدْرٍ حـين قال الغلامان: فى القوم عُـتْبَةُ بن ربيعة، وشـيبة بن ربيعـة، وأبو الحكم ابنُ هشام، وأُمَيَّةُ بن خَـلَف وفلان وفلان، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد أَلْقَتْ إليكم أفلاذ كَبِدها».

---

(١) هو ابن عمران الطلحى.

(٢) زيادات ر: «الشعر لنصيب؛ وقيل لكثير، والأول أثبت».

(٣) توامقه: توده.

وقال أبو قُحافةَ أعْشَى باهلةَ - يعنى المُنْتَشِر بن وَهْب الباهلىَّ:

تكْفِيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ أَلَمَّ بهَا من الشَّواء ويكْفِى شربَهُ الغُمَرْ

[رجل من أزد شنوءة بين يدى عتبة بن أبى سفيان]

قال عبدالمَلك بن عُمُيد: استعمل عُتْبَة بن أبى سُفيان رجلا من آله على الطائف، فَظَلَمَ رجُلاً من أَزْدِ شَنوءةَ، فأتى الأزْدىُّ عُتْبَةَ، فَمَثَلَ بين يديه، فقال:

أَمَرْتَ مَنْ كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غَريبُ الدارِ مَظْلومُ

ثم ذكر ظُلاَمتهُ، فقال له عتبة: إنى أراك أعرابيا جافيا، والله ما أحْسبك تدْرى كم تصلى فى كل يوم ولَيلة! فقال: أرأيتَ إن أنبأْتُكَ ذلك: أتجعل لى عليك مسألة؟ قال نعم، فقال الأعرابىّ:

إنَّ الصَّلاَةَ أَرْبَعٌ وأَرْبَعُ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربع

ثم صَلاَةُ الفَجْرِ لاَ تَضيّعُ

فقال: فاسأل. فقال: كم فقارُ ظَهرِكَ؟ فقال: لا أدرى، فقال: أَفَتَحْكُم بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك! قال: رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ.

قوله «فَقَار» إنما هو جمع فَقَارة، ويقال فقْرَةٌ. فمن قال فى الواحد فقْرَةُ قال فى الجميع: فقَرٌ، كقولك: كِسْرَةٌ وكِسَر، ومن قال للواحدة: فَقَارة، قال للجميع: فَقَارٌ. كقولك دَجاجةٌ ودجاج، وحَمَامةٌ وحَمَامٌ.

[أعرابى عند معاوية]

وشهد أعرابى عند معاوية بشىء كرهه. فقال له معاوية: كَذَبْتَ! فقال الأعرابىّ: الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك. فقال معاوية - وتبَسَّمَ: هذا جزاء مَنْ عَجِلَ.

[حديث السواقط]

قال أبو العباس: قرأت على عبدالله بن محمد المعروف بالتَّوَّزىِّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن المُثنى التَّيْمِىّ، قال: كانت السَّواقطُ تَرِدُ اليَمامةَ فى الأشهر الحُرُم لطلب التمر، فإن وافقتْ ذلك، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه، ثم تخرج منه فى

شـهرٍ حَـرامٍ، فكان الرجل منهم إذا قـدِم يأتى رجلا من بـنى حَنيفـةَ، وهم أهل اليَمامة، ـ أعنى بنى حنيفـة بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بكْر بن وائلِ بن قَاسط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْـمِىٍّ بن جَديلة بن أَسَـد بن رَبِيعة بن مـزَار ـ فَيكتُبُ لَه على سَهْـمٍ أو غيره: «فـلانٌ جار فلان» ـ والسـواقط: مَنْ وَرَدَ اليمـامة من غـير أهلها، وقد كان النُّعْمَان بن المُنْذِر أرَاد أن يُجْليَهُمْ منها، فأجارهم مُرارة بن سُلْمىّ الحَنَفى. ثم أحد بنى ثَعْلَبَة بن الدُّول بنِ حنيفة، فَسَوَّغَهُ المَلكُ ذلك، فقال أَوسُ بن حَجَرٍ يحُضُّ النُّعْمَان عليه:

زَعَـم ابن سـلمـىّ مـــــرارة أنـه ... مـــولَى السَّـــواقط دون آل المُـنْذِرِ
مَنَعَ اليَـمَـامـة حَـزْنَهَـا وسُـهـولهـا ... من كـل ذى تاجٍ كَـريم المَـفْـخـرِ

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى بكر بن كلاب قَدِمَ اليَمَامة، ومعه أخ له، فَكَتَبَ له عُمَيرُ بن سُلْمِى أنه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابى جَميلاً ـ فقال له قَـرينٌ، أخو عميـر: لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا، فرآه بَعْـدُ بين أبياتهم، فقتله.

قال أبو عبيدة: وأما المَوْلى[1] فَذُكِرَ أن قَرِينًا أخا عُمَيرٍ كان يتحدث إلى امرأة أخى الكلابىّ، فَعثَرَ عليه زوجُها فخافه قَرينٌ عليها فقتله، وكان عمير غائبا، فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير وقرين. فاستجار به وقال:

[قال أبو الحسن الأخفش، قـال أبو العبـاس: قَرينٌ، ووجدتـه بخط دَماذَ، صاحب أبى عبيدة قُرَيْنٌ].

وإذا استَجَرْتَ مـن اليمـامة فـاستَجِر ... زيْدَ بـن يَرْبـوعٍ وآلَ مُـــجَـــمِّعِ
وأتيت سُـلْمـيًّـا فَـعُـذْت بـقـبـره ... وأخـو الـزمـانة عـــائذ بالأمـنع[2]
أقَـرِيـنُ إنَكَ لو رأيتَ فـــوارسى ... بعـمـايتين إلى جَـوانب ضَـلْفَعِ[3]
حَـدَّثْتَ نَفْـسكَ بالـوفـاء ولَـمْ تَكُنْ ... للغــدر خـائنـة مـغل الإصـبـع

فَلَجأ قَـرينٌ إلى قتادة بن مَسْلمـة بن عُبَيْد بـن يَرْبوع بن ثَعْلَبَةَ بن الدُّول بن حنيفة، فـحمل قتادة إلى الكلابى دِيات مُضَـاعَفةً، وفعلتْ وُجوهُ بنى حَنيـفةَ مثل

(١) السواقط هنا: اللئام. (٢) هو الذى أجاره عمير.

(٣) الزمانة: العاهة، يريد بها هنا الضعف. والأمنع: الذى به قوة تمنع من يريده بسوء.

(٤) عماية: جبل بنجد، وإنما ثناه بما حوله.

ذلك، فأبى الكلابيُّ أن يَقْبَلَ، فلما قَدِمَ عمير قالت له أُمُّهُ وهى أم قرين: لا تَقْتُلْ آخاك، وسُق إلى الكلابى جميع ماله، فأبى الكلابيُّ أن يقبل، وقد لَجَأَ قَرِينٌ إلى خاله السَّمين بن عبدالله فلم يَمْنَع عميرًا منه، فأخذه عُمَيْرٌ فمضى به حتى قَطَعَ الوادى فَرَبَطَهُ إلى نخلة، وقال للكلابى: أما إذْ أَبَيْتَ إلا قتله فَأَمْهِلْ حتى أقطعَ الوادى، وارْتَحِلْ عن جِوارى فلا خير لك فيه، فقتله الكلابى، ففى ذلك يقول عُمير:

قَتَلْنَا أخانا للوفاء بجارنا   وكان أبونا قد تُجِيرُ مقابِره

وقالت أم عمير:

تَعُدُّ معاذِرًا لاعُذْرَ فيها   وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فقد ألامَا

وقوله:

«ولم تكن للغدر، خائنة»، ولم يقل خائنا. فإنما وَضَعَ هذا فى موضع المصدر، والتقدير: ولم تكن ذا خيانة.

وقوله «للغدر» أى من أجل الغدر، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(١)، أى لشديدٌ من أجل حب الخير، والخير ههنا: المال، من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾(٢).

وقوله «لشديدٌ»: أى لبخيل، والتقدير والله أعلم: إنه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد وَمُتَشَدِّدٌ أى بخيل، قال طَرَفَة:

أرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكرام ويَصطفى

عَقِيلَةَ مَالِ الفاحِش المُتَشَدِّدِ(٣)

وقَلما يجىء المصدر على فاعل،.فمما جاء على وزن «فاعِلٍ»: قولهم عُوفِىَ عافيةَ، وَفَلِجَ فالجًا، وَقُمْ قائما، أىَ قُم قِيَامًا، وكما قال:

(١) سورة العاديات ٨

(٢) سورة البقرة١٨

(٣) يعتام: يختار، وعقيلة المال: أكرمه: والفاحش: السيئ الخلق.

ولا خارجًا من فيَّ زُور كلام

أى ولاَ يَخْرُجُ خروجا، وقد مضى تفسير هذا.

والُمغِلُّ الذى عنده غُلول، وهو ما يُخْتَانُ ويَحْتَجنُ، ويستعمل مستعارا فى غير المال، يقال: غَلَّ يَغُلُّ كقول الله عز وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْت بمَا غَلَّ يَوْمَ القيَامة﴾[1]. ويقال: أغَلَّ فهو مُغلٌّ إذا صُودف يَغُلّ، أو نُسبَ إليه، ومن قرأ: ﴿وما كَانَ لنَبى أَنْ يَغُلَّ﴾[2]. فتأويله أن يأخذ ويَستأثر، ومن قرأ ﴿يُغَلَّ﴾ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذى يختار أن يُخَوَّنَ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير، وقد قال: ما كَان لنبى أن يُغَلَّ فُيغَلَّ لغيره، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو؟ فالجواب أنه فى التقدير على معنى. ما ينبغى لنبى أن يُخَوَّنَ، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لنَفْس أَنْ تَمُوتَ إلا بإذْن الله﴾[3]. ولو قلت: ما كان لزيد أن يقومَ عمروٌ إليه لكان جيدا، على تقديرك: ما كان زيد ليقوم عمرو إليه، كما قلنا فى الآية.

والإصبَعُ، أفصح ما يقال وقد يقال: أَصْبَعٌ وإصْبع! وأَصبُع. موضعها هاهنا موضع اليد، يقال: لفلان عليك يَدٌ، ولفلان عليك إصبَعٌ، وكلّ جيِّدٌ، وإنما يَعنى هاهنا النعمة.

وأما قوله:

* قتلنا أخانا للوفاء بجارنا *

فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذى يُذْكَرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْرًا، ولا ينبغى على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملا إلا عن الله عز وجل، لأنه ذو الكبْرياء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيلة القَدْر﴾[4]. و﴿إنَّا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ﴾[5]، وكل صفات الله على الصفات وأَجَلِّهَا، فما اسْتُعْملَ فى المخلوقين على تلك الألفاظ

(1) سورة آل عمران ١٦١.

(2) قال المرصفى: يريد أنه مأخوذ من غل الثلاثى المبنى للمفعول، وتأويله: أن يؤخذ.

(3) سورة آل عمران ١٤٥.

(4) سورة القدر ١.

(5) سورة النساء ١٦٣.

وإن خالفتْ فى الحكم فَحسنٌ جميل، كقولك: فلان عـالم، وفلان قادرٌ، وفلان رحيم، وفـلان وَدودٌ، إلا ما وصـفنا قَبْلُ من ذكـر التَّكَبُّرِ، فإنـك إذا قلت: فلان جَبَّـار أو متكبـر كان عليـه عيبًـا ونقصًـا، وذلك لمخالفـة هاتين الصفـتين الحق، وبُعْدهمـا من الصواب، لأنهما للمـبدئ المُعيد الخـالق البارئ، ولا يليق ذلك بمن تكسرَه الجَوعةُ، وتُطغيه الشَّبْـعَةُ، وتَنْقُصُهُ اللحَظةُ، وهو فى كل أموره مُدَثَّرٌ، وأَمَّا القول الآخر فى البيت وهو «قتلنا أخانا»، فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته.

وأما قولها:

* ومن يقتل أخاه فقد ألاما *

تقول: أتى ما يُلامُ عليه، يقال: ألام الرجلُ إذا تَعَرض لانْ يُلامَ.

باب

[مما أنشد أبو محلم السعدي]

قال أبو العباس: أنشدني السَّعْديُّ أبو مُحَلِّم:

إنَّا سَأَلْنا قَومَنا فَخِيارُهُمْ ... مَنْ كانَ أفضَلَهُمْ أبوه الأوَّلُ
أَعْطَى الذي أَعْطَى أبوه قَبْلَهُ ... وتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضًا:

لطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حين تَسْأَلُهُ ... أنْدَى وأكْرَمُ من فِنْدِ بن هَطالِ
وبيتُ طَلْحَةَ في عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... وبيتُ فِنْدٍ إلى ربقٍ وأَحْمَالِ[1]
ألاَ فَتًى من بني ذُبيَانَ يَحْمِلُني[2] ... وليس يَحْمِلُني إلاَّ ابنُ حَمَّالِ
فقلتُ طَلْحَةُ أَوْلَى مَنْ عَمَدْتُ له ... وجئت أَمْشِي إليه مشيَ مُخْتَالِ
مُسْتَيقِنًا أَنَّ حَبْلي سوف يُعْلِقه ... في رأس ذَيَّالةٍ أو رأس ذَيَّالِ

قوله: «إلى ربق وأحمال»، إنما أراد جمع حَمَلٍ على القياس، كما تقول في جميع باب فَعَلٍ: جَمَلٌ وأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأصنامٌ.

وقوله:

* ألا فتى من بني ذُبيان يحملني *

يعني ذُبْيَانَ بن بَغيضِ بن رَيْث بن غَطَفَانَ بن سعد بن قَيْسِ بن عَيْلان بن مُضَرَ، وأنشد بعضهم.

* وليس حامِلني إلا ابن حمال *

وهذا لا يجوز في الكلام، لأنه إذا نُوّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر؛ لأن المضمر لا يقوم بنفسه، فإنما يقع معاقبًا للتنوين، تقول: هذا ضاربٌ زيدًا غَدًا، وهذا ضاربُكَ غَدًا، ولا يقع التنوين ها هنا، لأنه لو وقع لانفصل المضمر، وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿إنَّا مُنَجُّوكَ وأَهْلَكَ﴾[3]. وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولين

(١) ربق: جبل فيه عدة عرا تشد به إلبهم، وأحمال: جمع حمل بالفتح، وهو الخروف وفيه أيضا أجمال جمع جمل.
(٢) يحملني. من حمله إذا أعطاه ما يحمله من الدواب.
(٣) سورة العنكبوت ٣٣.

على الضرورة، وكلاهما مصنوع، وليس أحد من النحويين المُفَتشِينَ يُجيزُ مثل هذا في الضرورة، لما ذكرتُ من انفصال الكناية، والبيتان اللذان رواهما سيبويه:

هُمُ القَائِلُونَ الخَيرَ والآمِرُونَه إذا ماخَشَوا يومًا من الأمْرِ مُعْظَما

وأنشد:

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرُونَهُ جَمِيعًا وأَيدِي المُعْتَفِينَ رَوَاهِقُه[1]

وإنما جاز أن تُبيِّنَ الحركةَ إذا وَقَفْتَ في نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر، تقول: هما رَجُلانه، وهم ضَاربونه، إذا وَقَفْتَ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع، ولا يجوز أن تقول ضربتُه، وأنت تريد ضَرَبْتُ، والهاء لبيان الحركة، لأن المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبسا، فأما قولهم: ارمه واغْزُه فَتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة، فإنما جاز ذلك لما حذفْتَ من أصل الفعل، ولا يكون في غير المحذوف.

وقوله: «في رأس ذيالة»، يعني فرسًا أُنثى أو حصانًا، والذَّيَّالُ: الطويل الذَّنَب، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَّنَب، وقِصَرُ العَسيب[2]، وأما الطَّويلُ العَسيبِ فمذموم، ويُقال ذلك للثوْر أيضًا، أعنى ذَيَّالا، قال امْرُؤُ القَيْسِ:

فجالَ الصُّوارُ واتَّقَيْنَ بِقَرْهَبٍ طَويلِ القَرا والرَّوق أَخْنَسَ ذَيَّال[3]

ويقال أيضًا للرجل: ذَيَّالٌ، إذا كان يَجُرُّ ذَيْلَهُ اختيالا، ويقال له: فَضْفاضٌ في ذلك المعنى.

[من كلام عمر بن عبدالعزيز لمؤدبه]

ويروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لمؤَدِّبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تُؤَدِّبُني؟ فقال: أحسن طاعة. قال: فَأَطِعْني الآنَ كما كنتُ أُطيعُكَ إذ ذاك. خُذْ من شاربِك حتى تَبْدُو شَفَتَاكَ، ومن ثوبكَ حتى تَبْدُوَ عَقِبَاك.

وقال رسول الله ﷺ: «فضل الإزار في النار».

(١) يرتفق: يتكئ على يده. المعتفون: طلاب المعروف. ورواهقه: دانية منه.

(٢) العسيب: مستدق عظم الذنب.

(٣) الصوار: القطيع من بقر الوحش. والقرهب: الثور المسن الضخم. والقرا: الظهر. والروق: القرن.

[الرجل يخاطب آخر اسمه ددا]

وقال آخر[1]:

مـــــا لـدَدٍ مــــــا لدَدٍ مــــــالَـهُ	يَبْـكى وقَـــدْ أَنْعَـــمْتُ مـــا بـالَهُ
مـــالى أَراهُ مُطْرِقًـــا سَـــامِـيًـــا	ذَا سِـنَةٍ يُـوعِــــــــدُ أَخْـــــوالَـهُ
وذاك مـنـه خـلـق عــــــــادة	أَنْ يَفْـــعَلَ الأَمْـــر الذى قَـــالَهُ
إن ابن بـيــــضـــــاء وترك الـندى	كـالعَـــبْـد إذ قَـــيَّـدَ أَجْـمَـــالَهُ
آلـيت لا أدفـن قـــــتــــــلاكـم	فـــــدخِّنُوا المرْءَ وَسِـــــرْبالَـهُ
والدرع لا أبـغى بـهــــا نثــــرة	كلُّ امْـــرِىءٍ مُـسْــتَـوْدَعٌ مَـــالَهُ
والرمـح لا أمـــــلأ كـــــفى بـه	وَالـلِّـبْـــــــــدُ لاَ أَتْبَـعُ تَـزْوالـهَ

قـوله: «مالدد» يعنى رجـلا، ودَدٌ فى الأصل. هو اللَّهـوُ، قال رسـول الله ﷺ: «لست من دَد ولا دَد منى»، وقـد يكون فى غـير هـذا الموضع مأخـوذا من العادة، وهذه الـلاَّم الخافضـة تكون مكسورة مع الظاهر ومـفتـوحة مع المضـمر، والفتح أصلهـا، ولكن كسِرتْ مع الظـاهر خوف اللَّبْس بلام الخبـر، تقول إنَّ هذا لزَيْد، فيعلم أنه شىء فى ملك زيد، فإن قلت: إن هذا لَزَيْد فى الوقف، علم قبل الإدْرَاج أنه زَيْد، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلم المُلكُ من المعنى الآخر فى الوقف، وأما المضمـر فبيِّنٌ فيه، لأن علامـة المخفوض غيرُ علامـة المرفوع، تقول: إن هذا لَكَ، وإن هذا لأنْتَ.

وقوله:

* . . وقد أنعمت ما باله *

فـ«ما» زائدة، والبالُ هاهنا: الحـال، وللبال موضع آخر، وحقيـقته الفِكْرُ، تقول: ما خطر هذا على بالى.

وقوله: «مطرقا ساميا» فالسـامى الرافع رأسه، يقال: سَمَا يَسْمو إذا ارتفع، والمطْرِقُ: الساكت المفكِّرُ المنكِّسُ رأْسَهُ، فإنما أراد ساميًا بنفسه.

وقوله: «ذا سِنَةٍ» يقول: كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَةٍ. وقوله:

(١) نسبه المرصفى إلى سلمة بن ذهل التيمى.

* كالعبد إذ قَيَّد أجماله *

يريد أنه غير مُكْتَرِث لاكتساب المَجْدِ والفضل، وذلك أن العبد الراعى إذا قَيَّدَ أجماله لَفَّ رأسهُ ونام حجرةً، وهذا شبيه بقوله:

* واقْعُدْ فإنَّكَ أنْت الطاعمُ الكاسى *

وقوله:

* فدخنوا المرء وسرباله *

يروى أنه طَعنَ فارسًا منهم فأَحْدَثَ، فقال: نَظِّفُوهُ فإنى لا أَدْفِن القتيلَ منكم إلا طاهرًا، وقوله:

* والدرع لا أبغى بها نثرة *

فالنَّثْرَةُ: الدرْعُ السابغة، يقول: دِرْعى هذه تكفينى، وقوله:

* كل امرئٍ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ *

أى مُسْتَرْهَنٌ بِأَجَله، وهو كقول الأَعْشَى:

كنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لابسِ جُنَّةٍ بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلَمًا أبطالها
وعَلِمْتَ أنّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها ما كان خالقُها الفَضيلُ قَضَى لها

وقوله:

* الرمح لا أملأ كفى به *

يُتَأَوَّلُ على وجهين: أحدُهما أنّ الرمح لا يملأ كفى وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمْحِ وبالقَوْسِ وغير ذلك، والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به إنما أخْتَلِسُ به اختلاسًا، كما قال الشاعر:

ومُدجِجٍ سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنة خَلْس

وقوله:

* واللبد لا أتبع تَزْواله *

يقول: إن انْحَلَّ الحِزامُ فمال اللبد لم أَمِلْ معه، أى أنا فارس ثَبتٌ.

[للفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه]

وقال الفَرَزْدَقُ، ونزل به ذِئْبٌ فأضافه:

وأطْلَسَ عسَّال وما كان صاحبًا	رَفَعْتُ لنارى مَوْهِنًا فأتانى
فَلمَّا دنا قلتُ ادْنُ دُونَكَ إنَّنى	وَإِيَّاكَ فى زادى لَمُشْتَرِكَانِ
فَبِتُّ أَقُدُّ الزادَ بينى وبينه	على ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً ودُخَانِ
وقلتُ له لما تَكَشَّرَ ضاحكا	وقائمُ سَيْفِى من يدى بِمكان
تَعَشَّ فَإِن عاهَدْتَنى لاتخونُنى	نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَاذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ
وأَنْتَ امرؤ ياذئبُ والغَدرُ كُنتما	أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بلِبَانِ
ولو غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تلْتَمِسُ القِرى	رَمَاكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنَانِ

قوله: «وأطلسَ عسال»، فالأطلَسُ الأَغْبَرُ. وحدثنى مسعود بن بشْرٍ قال: أنشدنى طاهر بن على الهاشمى قال: سمعت عبدالله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب:

أطْلَسُ يخفى شَخْصَهُ غبَارُهُ	بَهمُ بنى مُحَارِبٍ مُزْدارُهُ(1)

* فى شِدْقه شفرته وناره *

قوله: «يُخفى شخصَه غبارُه»، يقول: هو فى لون الغبار، فليس يتَبيَّنُ فيه. وقوله: «عَسَّال»، فإنما نسبه إلى مَشْيَته، يقال: مَرَّ الذِّئبُ يَعْسِلُ، وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلَة، قال الشاعر(2) يَصِفُ رمحا:

لَدْنٌ بِهزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ	فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لبيد:

عَسَلانَ الذئب أَمْسَى قَارِبًا	بَرَدَ اللَّيْلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة: نَسَلَ فى معنى عَسَلَ، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾(3). وخَفَضَ بهذه الواو لأنها فى معنى «رُبَّ»، وإنما

---

(1) البهم: واحدتها بهمة، وهى الصغيرة من أولاد الغنم.

(2) هو ساعدة بن جؤية الهذلى، وانظر ديوان الهذليين جـ1 ص 190.

(3) سورة الأنبياء 96.

جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها فى معنى «رب»؛ لأنها حرف خفض، وهى ـ أعنى الواو ـ تكون بدلاً من الباء فى القَسم لأن مخرجها فى مخْرَج الباء من الشفَة، فإذا قلت: والله لأفعَلَنَّ، فَمعناه: أُقْسِمُ بالله لأفعلنَّ، فإن حذفتها قلت: اللهَ لأفعلن، لأن الفعل يقع على الاسم فينصبه، والمعنى معنى «الباء» كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾[1]. وَصَلَ الفعل فَعَمِلَ، والمعنى معنى «مِنْ» لأنها للتبعيض، فقد صارت «الواو» تَعْملُ بلفظها عَمَلَ «الباء» وتكون فى معناها، وتعمل عمل «ربَّ» لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المَخْرَج.

وقوله: «رفعتُ لنارى»، من المقلوب، إنما أراد رَفَعْتُ له نارى والكلام إذا لمْ يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[2]. والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح، أى تستقل بها فى ثِقَلَ، ومن كلام العرب: إن فلانَة لَتنوء بها عَجيزتُها، والمعنى لَتنوءُ بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة الأخْطل:

أَمَّا كُلَيْبُ بن يَرْبُوعٍ فليس لها ... عند التَّفَاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخلَّفُون ويَقْضِى الناسُ أَمْرَهُمُ ... وَهُمْ بغَيْبٍ وفى عَمْيَاءَ ماشَعَرُوا
مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَدَّاجُون قد بَلَغَتْ ... نَجْرَانُ أو بَلَغتْ سَوآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة.

ويروى أن يونس بن حَبيبٍ قال لأبى الحسن الكسائىِّ: كيف تُنْشِدُ بيت الفَرَزدَق؟ فأنشده:

غَدَاةَ أَحلَّتْ لابن أَصْرَمَ طَعْنةٌ

حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائفِ وَالخَمْرُ[3]

فقال الكسائى لما قال:

«غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حصيْن عبيطات السدائف ...»

تم الكلام. فَحَمَلَ الخمر على المعنى، أراد: وحلَّتْ له الخَمْرُ، فقال له

(١) سورة الأعراف ١٥٥. (٢) سورة القصص ٧٦.

(٣) هو حصين بن أصرم، من بنى ضبة، وكان نذر الا يأكل لحما ولايشرب خمرا حتى يقتل ابن الجون الكندى. والسدائف: جمع سديف وهو السنام، والعبيطات: الطرية.

يونس: ما أَحْسَنَ ما قلتَ! ولكن الفرزدق أَنْشَدَنيه على القَلْب، فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمر على ما وصفنا من القَلْب. والذى ذهب إليه الكسائىُّ أحسن فى مَحْضِ العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جيِّداً.

وقوله: «فلما دنا قلت ادنُ دونك» أمرٌ بعد أمرٍ، وحَسُنَ ذلك لأن قوله: «أَدْنُ» للتقريب، وفى قوله: «دونك»، أمرُه بالأكل؛ كما قال جَرير لعَيَّاش بن الزبرقان:

أعَيَّاشُ قد ذاق القُيونُ مَوَاسِمِى[1] وأوْقَدْتُ نارى فادْنُ دونك فاصْطَل

وقوله:

على ضوء نارٍ مرةً ودخان

يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخان، أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ. وجائز أن يَعْطَفَ الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ، ولكن للاشتراك، كما قال الشاعر:

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

لأن معناهما الحَمْل، وكما قال:

شَرَّابُ ألبَانٍ وتَمرٍ وأَقِط

فأدْخَلَ التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحُلوقِ وهذه الآية تُحمَل على هذا: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ﴾[2].

والشُّوَاظُ: اللهبُ لا دخان له، والنُّحَاس: الدخان. وهو معطوف على النار، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذَكَرْتُ لك، قال النابغةُ الجَعْدىُّ:

تُضِىءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذُّبا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسًا

وقوله:

* نَكُن مثل مَنْ يادئب يصطحبان[3]*

(١) زيادات ر: «جمع ميسم، وهو حديدة يصنع بها البيطار».   (٢) سورة الرحمن ٣٥.

(٣) زيادات ر: «من يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان، وأن تكون بمعنى الذى، ويصطحبان: صلته».

فـ«من» تقع للواحد والاثنين والجـميع والمؤنث على لفظ واحد، فـإن شئت حَمَلْتَ خبـرها على لفظها فقلتَ: مَنْ فى الدار يُحِبُّكَ، عَنَيْتَ جَمـيعًا أو اثنين أو واحدا أو مـؤنثًا. وإن شئت حَـمَلْتَهَ على المعنى فـقلتَ: يُحِبَّـانكَ، وتَحِبُّكَ ـ إذا عَنَيْتَ امـرأة ـ ويَحِبُّـونَكَ ـ إذا عنيت جـميعـا ـ كل ذلك جائز جـيد، قـال الله عزوجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يُؤْمِن به وَمِـنْهُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ به﴾[1]. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى ولا تَفْـتنى﴾[2]. وقَـال ـ فَـحَـمَلَ علَى المَعْنَى: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَسْـتَمِعُـون إِلَيك﴾[3]. وقرأ أبو عمرو: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ منْكُنَّ لله ورَسُـوله وتَعْـمَلْ صَالحًـا﴾[4]، فَحَمَلَ الأول على اللفظ والثانى على المعنَى. وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عَنْدَ رَبِّه﴾.

فهذا كله على اللفظ، ثم قال: ﴿وَلاَ خَوفٌ عَلَيْـهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على المعنى.

وقوله: «أو شباة سنان» فالشَّبا والشباةُ واحد وهو الحد.

[فى وصف الجود والحث على المبادرة به]

ومما يُسْتَحْسَنُ فى وصف الجود والحَثِّ على المبـادرة به، وتعريف حد العاقبة فيه، قولُ النَّمرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلىِّ، أحد بنى عُكْلٍ بن عبد مَنَاةَ بن أُدٍّ بن طابِخَةَ بن إلْيَاس[5] بن مُضَرَ:

أَعَـاذل إن يُصْـبحْ صَـدَاىَ بقَـفْـرَةٍ ... بَعـيـداً نآنى صـاحـبى وقَـريبى
تَرَىْ أَنَّ مـا أَبْقَـيْتُ لـم أَكُ رَبَّهُ ... وأَنَّ الذى أنْفَـقـتُ كـاَن نصـيـبى
وذى إبلٍ يَسْـعَى ويحْـسـبُـهـا له ... أخى نَصَبٍ فى رَعْـيِـهـا ودُءوبِ
غَـدَتْ وغَـدَا رَبٌّ سَـوَاه يَقُـودُها ... ويُدِّلَ أحـجـاراً وَجـالَ قلـيبِ

(١) سورة يونس ٤٠. (٢) سورة التوبة ٤٩.
(٣) سورة يونس ٤٢. (٤) سورة الأحزاب ٣١.
(٥) زيادات ر. «قال ابن السراج: من رواه إلياس فقـد أخطأ، إنما هو ابن اليأس بوصل الألف وكسر السين، والألف واللام للتعريف، والاسم «يأس» مشتق من يئست

قوله: «إن يصبح صداى بقفرة» فالصَّدَى على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا، هو ما يبقى من الميت فى قبره، والصَّدى: الذَّكَرُ من البُوم، قال ابن مُفرِّغ[1]:

شَرَيْتُ بُرْدًا ليتنى من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامه[2]
هتافة تدعو صدى بين المُشَقَّرِ واليمامه

ويقال: فلان هامةُ اليومِ أو غَدٍ، أى يموت فى يومه أو فى غَدِه. ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ، والمريضِ إذَا طالَت علَّتُهُ، والمُحْتَقر[3] لمدة الآجال. وفى الحديث أَن حِسْلاً[4] ـ أبا حُذَيْفَةَ بن حِسْلِ بن اليمان ـ قال لشيخ آخر تَخَلَّفَ معه فى غَزْوة أُحُد: انْهَضْ بنا نَنْصرْ رسول الله ﷺ، فإنما نحن هامةُ اليوم أو غَدٍ ـ كانا قد أَسَنَّا. والصَّدَى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يُدْرَكْ به الثَّأْر أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهى الهامةُ ـ والذكر: الصَّدَى ـ فيصيح على قبره: اسقونى اسقونى! فإن قُتِلَ قاتلُه كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصْبَعِ[5] العَدْوانىُّ أَحَدُ بنى عدْوان بن عمرو بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر:

يا عَمْرُو إلاَّ تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصَتى أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُول الهامةُ اسْقُونى

والصَّدَى: ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتَّسَعٍ من الأرضِ، أو بمَقْرُب جبل، كما قال:

إنى على كُلِّ إيسارِى ومَعْسَرَتى أَدْعو حُنَيفًا كما تُدْعى ابنة الجَبَلِ

يعنى الصَّدَى، وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة إجابة الصَّدَى. وقال آخر:

كأنِّى إذْ دَعَوْتُ بنى سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بدعْوَتى لَهُمُ الجبالا

---

(١) زيادات ر. «اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما».

(٢) شريت هنا: بعت

(٣) زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع «المحتقر» يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: «المحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف».

(٤) زيادات ر: «حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذى تخلف معه ثابت بن وقش [illegible] يسارى»

(٥) زيادات ر: «هو حرثان من محرث، سمى بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته [illegible] إصبعه».

والصَدأُ، مهموز: صَدَأ الحديد وما أشبهه، قال النابغة الذُّبيانى:

سَـهِكينَ من صـدإ الحـديد كَـأَنَّهُمْ تَحْـتَ السَّنـوَّرِ جِنَّةُ البَـقَّـار[1]

وقال الأعشى:

فَـأَمـا إذَا ركـبـوا فـالـوُجـو هُ فى الرَّوْعِ مِن صَـدإَ البَـيْض حُم[2]

والصَّدَى: مـصَدرِ الصدى، وهو العطشـان، يقال: صَدِىَ يَصْـدَى صَدًى، وهو صَدٍ، قال طَرَفة:

ستَعْلَم إنْ متْنَا صَدًى أَيُّنَا الصَّدِى[3]

وقال القُطامىّ:

فَـهُنَّ يَنْبِـذنَ مـن قـولٍ يُصِـبْنَ به مَـواَقِعَ المـاءِ من ذى الغُلّـةِ الصـادى

تأويل قوله: «أنآنـى» يكون على ضربين، يكون أَبْعَـدَنى، وأحسنُ [من][4] ذلك أن يقول: «أنـأنى». وقد رُوِيَتْ هذه اللغـة الأخرى، وليست بالحَسَنَة، وإنما جاءت فى حـروف: يقال: غاضَ الماءُ وغـضتُه، ونَزَحَت البـئرُ ونَزَحتُـها، وهَبَطَ الشىءُ وَهَبَطْتُهُ، وبنوتميم يقولون: أَهبَطْتُهُ، وأحـرُفٌ سوى هذه يسيرة. والوجه فى «فَعلَ أَفْعَلْتُه»، نحو دَخَلَ وأَدْخَلْتُـهُ، ومات وأماتَهُ الله، فهذا الباب المُطَّرِدُ. ويكون «نآنى» فى موضع «نـأى عنى» كما قـال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذَا كـالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[5]، أى كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: «ودءوب»، يـقول: وإلْحاح عليـه، تقول: دأَبْتُ على الـشئ، قال الشاعر[6]:

دأَبْتُ إلى أنْ يَـنبت الظِّـلُّ بَعْـدَمَـا تَقَـاصَـرَ حـتى كـادَ فى الآل يَمـصَحُ

وقوله جل ثناؤه: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾[7] يقول: كعادتهم وَسنتِهِمْ، ومثله الدِّينُ والدَيْدَنُ، وقد مرّ هذا.

---

(1) سهكين، من السهك، وهو ريح صدإ الحديد. والسنور هنا: الدروع، وجنة البقار: موضع ورمل عالج.

(2) حم: جمع أحم، وهو الأسود من كل شىء.

(3) زيادات ر: «ويروى: «صدى أينا» بخفض «أينا» على الإضافة: فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدى: الخبر».

(4) تكملة من س.

(5) سورة المطففين ٣.

(6) زيادات ر: «هو الراعى».

(7) سورة آل عمران ١١.

وقوله:

وبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبٍ

فالجال الناحية، يقال لكل ناحية من البئرِ والقبر وما أشبه ذلك: جالٌ وجُولٌ، وقال مُهَلْهِلٌ:

كَأنَّ رِمَاحَهُمْ أشطانُ بِئرٍ بَعيدٍ بَيْنُ جالَيْهَا جَرُورِ[1]

ويقال: رجل ليس له جُولٌ، أى ليس له عقل، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائىّ:

أماوىَّ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ من الأرضِ، لاماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ
تَرَىْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَم أَكُ رَبَّهُ وأَنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِفْرُ

[الحارث بن حلزة اليشكرى فى الجود]

وقال الحارث بن حِلزة اليَشْكُرِىُّ فى هذا المعنى:

قلْتُ لعَمْرو حين أَرْسَلْتُهُ وَقَدْ خَبَا من دُوننا عالِجُ
لاتكْسَعِ الشَّولَ بأَغْبَارها إنكَ لاَ تَدْرِى مَنِ النَاتِجُ
وَاصْبُبْ لأضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا فَإنَّ شَرَّ اللبن الوالِجُ

قوله:

لا تكسع الشَّول بأغبارها

فإن العرب كانت تَنْضحُ على ضُروعها الماء البارد ليكون أَسْمَنَ لأولادها التى فى بطونها. والغَبَر: بقية اللبن فى الضَّرْعِ، فيقول: لا تُبْقِ ذلك اللبن لِسمَنِ الأولاد، فإنك لا تدرى من يَنْتجُها، فلعلك تموت، فتكونُ للوارث أو يُغارُ علَيها.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول بن آدم مالى مالى، ومالكَ من مالِكَ إلا ما أكلت فأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو أعطيتَ فَأَمْضَيْتَ».

---

(١) الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل الشديد الفتل. وجرور: نعت للبئر: وهى التى يدق عمقها حتى يجر دلوها على شفيرها.

ويروى عن بعضهم أنه قال: إنى أُحِبُّ البقـاء، وكالبقاء عندى حُسْنُ الثنَاء.

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ:

فـإذَا بَلَغْـتم أَرْضكُمْ فَـتَـحَـدَّثوا ... ومن الحـديث مَـتـالفٌ وخُـلودْ

وأنشد:

فـأثـنُوا عـلينـا لا أبا لأبـيكُـمُ ... بأفـعـالـنا، إنَّ الثـناء هُوَ الخُـلْدُ

وقال معـاوية لابن الأشْعَث بن قَيْس: مـا كَان جَدُّكَ قَيْسُ بن مَـعدى كَرِبَ أَعْطَى الأَعْشَى؟ فـقال: أعطاه مـالاً، وظَهْرًا، ورَقِيـقًا، وأشيـاء أُنْسِيـتُهَا، فـقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنْسَى!

وقـال عمـر بن الخَطَّاب رضـى الله عنه لابنة هَرِمِ بن سنان المُرِّىِّ: مـاوَهَبَ أبوكِ لزُهَيْر؟ فقالت: أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر. فقـال عمر: لَكن ما أعطاكموه لا يُفْنِيه الدَّهْرُ.

وقـال المفـسـرون فى قـول الله عـزَّ وجل عن إبراهـيم صلوات الله عليـه: ﴿واجْـعَل لِى لسَـان صِـدْق فى الآخِـرين﴾[1] أى ثَنَاءً حـسنًـا، وفى قـوله تعالى: ﴿وتَرَكْنَا عَلَيْـه فى الآخِـرين سَلاَمٌ على إبْرَاهيم﴾[2] أى يقـال له هذا فى الآخرين، والعـرب تَحْذِفُ هذَا الفعل من «قـال» «ويقول» استـغناءً عنه، قال الله عزَّوجلَّ: ﴿فَأمَّا الَّذينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أكَفَرتُمْ بَعْدَ إيمَانكُمْ﴾[3]، أى فقال لهم. ومثله: ﴿والَّذينَ اتَّخذُوا منْ دُونه أَوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلا ليُقرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾[4] أى يقولون، وكذَلك: ﴿والمَلاَئكَةُ يَدْخلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كلِّ باب سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الشعراء ٨٤. (٢) سورة الصافات ١٠٨، ١٠٩. (٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٤) سورة الزمر ٣. (٥) سورة الرعد ٢٣، ٢٤.

(٥) زيادات ربعد ذلك ما يأتى: «حدثـنا يموت بن المزرع البصرى قال: حدثنا رفيع بن سلمـة المنبز بدماذ قال: حدثنا أبو عيـادة قال: قال الحجاج يوما لعـمائر العرب وهم فى مجلسه: مـا أحسب هذا المزونى بناصحنا فى حربنا - يعنى المهلب - والرأى مشترك، فقالوا: الرأى للأمير- أصلحه الله - أن يكتب إلى ابن الفجاءة: بإطعامه بعض الأرضين، فإذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحـيلة فيه، فقال: وفقكم الله، وكتب إلى ابن الفجاءة، وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى . نسخة الكتاب.

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة، سلام عليك، الموحد الله، والمصلى عليه محمد عليـه السلام. أما بعد، فإنك كنت أعرابيا يدويا تستطعم الكـسرة، وتحف إلى التمرة، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق، وأعـرضت عن كتاب الله، ومرقت من سنة رسول الله ﷺ، فـارجع عما =

. . . .

= أنت علبه بما زين لك، وادعونى فقد آن لك».

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطرى قال. يا غلام، ازبر هذه الصحيفة، فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء، فقال: يا غضبان ألفيتنى محزونا، وأنشأ يقول:

فيا كبدا من غير جوع ولا ظمأ ويا كبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدها وآب عميد الأزد غير ذميم

- يعنى المهلب، وأم حكيم هذه: امرأة من الخوارج قتلت بين يديه، ثم قال: يا غلام، اكتب، «بسم الله الرحمن الرحيم» من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف. سلام على من اتبع الهدى. ذكرت فى كتابك أنى كنت يدويا أستطعم الكسرة، وأبدر إلى التمرة، وبالله لقد قلت زورا، بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه؛ إذ أنت سايح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر، ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشبع، واتكأ فاندع! أما والله لئن أبرز الله صفحتك، وأظهر لى صلعتك، لتنكرن شيعك، ولتعلمن أن مقارعة الأبطال، ليس كنسطير الأمثال».

باب

[من خطبة لعلي بن أبي طالب]

قال أبو العباس: قال عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خُطْبة له: أيها الناس، اتقوا الله الذى إن قلتم سَمِعَ، وإن أضمرتم عَلِم. وبادِرُوا الموت الذى إنْ هَرَبْتُمْ منه أدرككم، وإن أقمتم أخَذَكم.

[خطبة الحجاج حين قدم أميرا على العراق]

قال: وحدثنى التَّوَّزِى فى إسناد ذكره آخرهُ عبدُالمَلك بن عُمَيْر الليثىُّ، قال: بينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة، يَخْرُجُ الرجلُ منهم فى العشرة والعشرين مِنْ مَوَاليه، إذْ أتى آت فقال: هذا الحَجاج قَدِمَ أميرًا على العراق. فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًّا بعمامة غَطَّى بها أكثر وجهه، مُتَقَلِّدًا سيفا، مُتَنَكِبا قوسًا، يَؤُمُّ المِنْبَر، فقام الناس نحوه، حتى صَعِدَ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قَبَّحَ الله بنى أُمَيَّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العراق! حتى قال عُمَيْرُ بن ضابئ البُرْجُمى: ألا أَحْصِبُهُ لكم؟ فقالوا: أمْهِلْ حتى نَنْظرَ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فِيه ونهض وقال[1]:

أنا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنايا ... متى أَضَعِ العمامةَ تَعْرِفُونى

ثم قال: ياأهلَ الكوفة، إنى لأرَى رءُوسا قد أَيْنَعَتْ وحان قِطَافُها، وإنِّى لَصَاحِبُهَا، وكأنى أنظر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى، ثم قال[2]:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ ... قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ

ليس براعى إبلٍ ولاَ غَنَمْ ... ولاَ بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال:

قد لَفَّها اللَّيلُ بِعَصْلَبِىٍّ ... أَرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ

مُهَاجِرٍ ليس بأَعْرَابِىِّ

وقال:

قد شَمَّرَت عن ساقها فَشُدُّوا ... وجَدَّت الحربُ بكم فَجِدُّوا

---

(١) زيادات ر: «هو لسحيم بن وثيل الرياشى».

(٢) زيادات ر: «الشعر لرويشد بن رميض العنبرى».

وَالْقَـــوْسُ فـــيــهـــا وَتَرٌ عُـــرُدُّ   مـــــثلُ ذِراع البَـكْـرِ أو أشَــــدُّ

* لا بُدَّ مما لَيس منه بُدُّ *

إنى والله يا أهل العراق مـا يُقَعْقَع لـى بالشّنان، وَلاَ يُغْمَزُ جـانبى كتَغْـمَاز التِّين. ولقد فُـرِرْت عن ذَكاء، وَفُتِّشتُ عن تَجْرِبـة، وإن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نَثَـرَ كِنَانَتَهُ بين يديـه، فَعَجَمَ عـيدَانهـا، فوجدنى أَمَـرَّهَا عُودًا. وأصلبَـها مَكْسـرًا، فرمَاكم بى. لأنكـم طالما أوْضَعْتُـم فى الفتنة، واضطجـعتم فى مَـرَاقِد الضلال. والله لأحْزِمَنَّكُم حزمَ السَّلَمة، ولأضـربنكم ضرب غَرَائب الإبل، فإنكم لكَأَهْلِ قرية كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان، فكَفَرت بأَنْعُم الله فَأَذَاقَهَا الله لبَاس الجوع والخـوف بما كانوا يَصْنَعونَ. وإنى والله ما أقول إلاَّ وَفَّيتُ، ولا أَهُمّ إلا أَمْضَـيْتُ، ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْتُ، وإن أمـير المؤمنين أمـرنى بإعطائكم أَعْطياتكم، وأن أُوَجِّـهكمُ لمحاربة عـدوكم مع المُهلَّب بن أبى صُفْـرَة. وإنى أُقْسمُ بالله لا أَجدُ رجلاً تَخَلّفَ بعد أخذ عَطائِه بثـلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ! ياغلام اقْرَأْ عليهم كتابَ أمير المؤمنين. فقرأ:

«بسم الله الرحـمن الرحيم: من عـبدالله عـبـدالملك أميـر المؤمنين إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين. سـلامٌ عليكم». فلم يَقُل أحد منهم شيئًا، فـقال الحجاج: اكففْ ياغلامُ، ثم أَقْبَلَ على الناس، فـقال: أَسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين، فلم تَرُدُّوا عليه شيئًـا! هذا أَدَبُ ابن نِهْيَةَ! أَمَا وَالله لأُوَدِّبَنَّكم غير هذا الأدب أو لتَسْـتَقيمُنَّ. اقْرَأْ ياغـلامُ كتـاب أمير المؤمنين، فلمـا بلغ إلى قوله: «سـلامٌ عليكم» لَمْ يَبْقَ فى المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام[1].

ثم نَزَلَ، فَوَضَعَ للناس أَعْطِيَـاتهم، فجعلوا يأخذون حـتى أتاه شيخ يُرْعَشُ كِبْرًا، فـقال: أيها الأمير، إنى من الضَّعْـفِ على ما ترى، ولى ابنٌ هو أَقْوَى على الأسْفار منى فَتَقَبلْهُ بَدَلاً منى. فقال الحـجاجَ: نَفَعْلُ أيها الشيخ، فلما وَلَّى قال له قائل[2]: أَتَدْرى مَنْ هذا أيهـا الأمـير؟ قـال: لا، قـال: هذا عُـمَيْـرُ بن ضـابِىءٍ البُرْجُمِىُّ الذى يقول أبوه:

هَمَـمْـتُ وَلَم أَفْـعَلْ وَكِـدْتُ وليـتَنى   تَرَكتُ على عــثـمـان تَبْكِـى حَـلائِلُهْ

(١) زيادات ر: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج».

(٢) قال المرصفى: «هو عنبسة بن سعيد بن العاصى الأموى».

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِئَ بطنَهُ، فكسر ضِلْعَيْنَ من أَضلاَعه، فقال: رُدُّوهُ! فلما رُدَّ، قال له الحجاج: أيها الشيخ؛ هلا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدَلاً يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لصَلاحًا للمسلمين: ياحَرَسِيُّ، اضربَنْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل، ويأمر وليّه أن يَلْحَقَه بزاده، ففى ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأَسَدِىُّ[1]:

تَجَهَّزْ فَإِمَّا أن تَزُورَ ابن ضابِئٍ عُمَيْرًا وإِمَّا أَنْ تَزُورَ المُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما رُكوبكَ حَوْلِيًّا من الثَلْجِ أَشْهَبا[2]
فَأَضْحَى ولو كانَتْ خُراسانُ دونَه[3] رآها مكانَ السُّوقِ أو هِى أَقْرَبا

قوله: «أنا ابن جلا»، إنما يريد المُنْكَشِفَ الأَمْرِ، ولم يصرف «جلا» لأنه أراد الفعل فحكى، والفعل إذا كان فاعله مُضمَرًا أو مُظهَرًا لم يكن إلا حكاية، كقولك: تَأَبَّط شراً، وكما قال الشاعر:

كَذَبْتُمْ وبَيتِ الله لاَ تَأْخُذونَهَا بَنِى شابَ قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ

وتقول: قرأت: ﴿اقتَرَبَت السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ﴾[4] لأنك حكَيْتَ، وكذلك الابتداءُ والخبر، تقول: قرأت: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾.

وقال الشاعر:

وَاللهِ مَا زَيْدٌ بنامَ صاحِبُهْ[5]

وقوله:

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا

لسُحَيْم بن وثيلٍ الرِّياحِىّ، وإنما قاله الحجاج متمثلا.

وقوله: «وطلاعُ الثَّنايا» الثنايا: جمع ثَنِيّة، والثَّنِيةُ: الطريق فى الجبل.

---

(١) زيادات ر: «الأسدى أسد خزيمة، وليس من أسد قريش».

(٢) حوليا: يريد مهرا أتى عليه حول من الثلج أشبها: يريد أن لونه أشد شبهة من الثلج.

(٣) زيادات ر: «دونه عائدة على المهلب. وأقرب: ظرف، وقيل مفعول ثان».

(٤) سورة القمر ١.

(٥) بقيته كما فى زيادات ر

* ولا مخالط الليان جانبه*

والطريقُ فى الرمل قال له: الخَلُّ، وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا فى ارتفاعها وصُعوبتها، كما قال دُرَيْد بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبدالله:

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ   بَعِيدٌ من السَّوْءاتِ طَلَاعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ: ما ارتفع من الأرض، وقد مَضى تفسير هذا.

وقوله: «إنى لأرى رءوسا قد أينعت»، يريد أَدْرَكَتْ، يقال: أَيْنَعت الثمرةُ إيناعًا وَيَنَعتْ يَنْعا ويُنْعًا، ويُقْرَأُ: ﴿انْظُرُوا إلى ثمره إذا أَثْمَرَ ويَنْعِهِ﴾[1] و﴿يُنْعِهِ﴾، كلاهما جائز.

قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلَفُ فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحْوصِ وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. [قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد يصف جارية] وهو:

ولَها بالماطِرِينِ[2] إذا   أَكَلَ النَّمْلُ الذى جَمَعَا

خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ   سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا[3]

فى قِبابٍ حَولَ دَسْكَرةٍ   حَولَهَا الزَيْتُونُ قد يَنَعا

* * *

[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:

طال هذا الهمُّ فاكْتَنَعا   وأَمَرَّ النومُ فامْتَنَعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس، ويروى «بالماطرونِ».

* * *

قال أبو العباس: وقوله:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَم

يعنى فرسًا أو ناقة، والشعر للحُطَم القَيْسىِّ.

وقوله:

قد لَفَّهَا الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ

---

(١) سورة الأنعام ٩٩.

(٢) الماطرون موضع قرب دمشق. ورواه أبو العباس معربا، ورواية ياقوت «دولها بالماطر»

(٣) الخرفة: مايجتبنى من الفاكهة. وربعات: دخلت فى الربيع، وجلق: من قرى دمشق

فهو الذى لا يُبْقى من السير شيئًا، ويقال: رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تُبقى: حُطَمَةٌ.

وقوله: «على ظهر وَضَمْ»، فالوَضَمُ: كل ما قُطِعَ عليه اللحم. قال الشاعر[1]:

وفتيان صدق حسانِ الوُجو ه لاَ يَجِدُونَ لِشىء أَلَمْ
مِنَ ال المُغَيرةِ لاَ يَشهدو نَ عِندَ المجَازرِ لَحْمَ الوَضَمْ

وقوله:

قد لفَّهَا الليلُ بِعَصْلَبِىّ

أى شديد. وأَرْوَعَ، أى ذَكِىّ.

وقوله: «خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ»، يقول: خَرَّاج من كل غَمَّاءَ شديدة[2]:

ويقال للصحراء دَوِّيَّةٌ، وهى التى لا تكاد تنقضى، وهى منسوبة إلى الدَّوِّ، والدَّوُّ: صَحْراء مَلْسَاء لاَ عَلَمَ بها ولا أمارة، قال الحُطَيْئَةُ[3]:

وأَنّى اهْتَدَتْ وَالدَّوُّ بينى وبينهَا وماخلْتُ سارى اللْيل بالدَّوِّ يَهتَدِى

والداوية: المتسعة التى تَسْمَعُ لها دَوِيًّا بالليل، وإنما ذلك الدَّوِىُّ من أخْفَاق الإبل تَنْفَسِحُ أصواتها فيها. وتقول جَهَلَةُ الأعْرَاب: إن ذلك عَزِيفُ الجن.

وقوله:

والقوسُ فيها وتر عُرُدُّ

فهو شديد ويقال عُرْند فى هذا المعنى.

وقوله: «إنى والله مَا يُقَعْقَعُ لى بالشّنان»، واحدها شَنّ، وهو الجلدُ اليابس، فإذا قُعْقِعَ به نَفَرَتِ الإبل منه، فَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لنفسه، وقال النابغة الذُبيَانى:

كَأنك من جِمَال بنى أُقَيشٍ[4] يُقَعْقَعُ بين رجليه بِشَنّ

وقوله: «ولقد فُرِرْتُ عن ذَكَاء»، يعنى تمام السن. والذَّكَاءُ على ضربين:

---

(١) زيادات ر: «هو عمر بن أبى ربيعة».

(٢) زيادات ر: «غما، مقصور، رواية عاصم».

(٣) زيادات ر: «يصف خيالها وأنت على معنى المرأة».

(٤) زيادات ر: «أقيش. من عكل».

أحدهما تمام السنِّ، والآخر الحدَّةُ حدّةُ القَلْب، فمما جاء فى تمام السن قول قَيْسِ ابن زُهَيْر: جَرْى المذكِّيات غِلابٌ»(١)َ، وقال زُهَيْر:

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عليه تمامُ السِنِّ منه وَالذَّكَاءُ

وقوله: «فَعَجَمَ عيدانها»، يقول: مَضَغَها لينظر أَيُّها أَصْلب، يقال: عَجْمتُ العود؛ إذا مضغته، وكذلك فى كل شىء قال النابغة:

فَظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فى حالِكِ اللون صَدْقٍ غير ذى أَوَدِ

والمصدر العَجْمُ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا: ويقال لنَوَى كلِّ شىء: عَجَمٌ، مفتوح، ومن أسكن فقد أخطأ، كما قال الأَعْشَى:

وَجُذْعَانُهَا كَلَقِيطِ العَجَمْ(٢)

وقوله: «طالما أوضعتم فى الفتنة»، الإيضاعُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. وقوله:

فأَصْحَى ولو كانتْ خراسانُ دونه

يعنى دون السفر رآها مكان السُّوقِ للخوف والطاعة.

[خبر ضابىء البرجمى مع عثمان]

وكان من قصة عمير بن ضَابىء أن أباه ضابئ بن الحارِث البُرْجُمِيَّ وَجَبَ عليه حبسٌ عند عثمان ـ رحمه الله ـ وأَدَبٌ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه ـ وكان فَحاشًا ـ فرمى أُمَّهُمْ به، فقال فى بعض كلامه:

وأُمَّكُمُ لاتتركوها وَكَلْبَكم فإن عُقوقَ الوالداتِ كبيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فَعَلَ به فلما دُعِىَ به ليُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فى ساقه ليقتل بها عثمان، فُعثِرَ عليه، فأَحْسَنَ أَدَبَهُ، ففى ذلك يقول:

---

(١) زيادات ر: «ويروى: غلاء».

(٢) شدره كما فى زيادات ر:

* غزاتك بالخيل أرض العدو*

وقـائلة إنْ مَـاتَ فى السـجْنِ ضـابئٌ لَنـعم الـفَـــتى نَـخْلُو بـه ونْواصـلهْ
وقــائـلـة لايَبْـعَـــدَنْ ذلك الفَـــتَى وَلاَ تَبْــعَـدَنْ أخــلاقــه وَشَـمـــائلُه
وقــائـلـةٌ لايُبْــعـــد اللهُ ضــابـئًــا إذ الكَـبْشُ لم يوجـــد لــه مَنْ يُنَـازِلُه
وقــائـلـة لايُبْــعَـــدَ اللهُ ضــابـئًــا إذا الخَـصْمُ لـم يوجـد له مَنْ يُـقَـاوِلهُ
فــلا تُتــبــعنى إنْ هَلكْتُ مــلامــةً فليـس بعـــار قـــتْلُ مَنْ لا أقـــاتله
هَمَـمْتَ ولم أفـعَـلْ، وَكِـدْتُ وليتنى تَركَتُ على عُـثـمـان تَبْكـى حَلاَئله
ومـا الفَـتكُ مـا آمَرْت فـيـه ولا الذى تُخَـــبِّـــرُ مَنْ لاَ قَـــيْتَ أنـك فـاعِله

[حديث أبى شجرة السلمى مع عمر بن الخطاب]

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدثنا به عن أبى شَجَرَة السّلَمىّ ـ وكان من فُتّاك العرب[١] ـ فأتى عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رحمه الله ـ يَستحمله[٢]، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: آنا أبو شـجرة السلمى، فقال له عمر: أى عـدى نفسه، ألست القائل حيث ارتددت:

وَرَوَّيت رُمْـحِى مـن كَـتـيـبــة خـالد وَإِنِّى لأرْجُــو بعـــدها أَن أُعَـمَّـــرَا[٣]
وعــارَضْـتُـهَـا شَــهْـبــاء تَخْطُـرُ بالقَنَاً تَرَى الْبـيْضَ فى حافـاتهـا والسَّنَوَّرا[٤]

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّة، فسَعَى إلى ناقته فَـحَل عِقاليها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيْم بأحثِّ السير هربا من الدِّرَّة، وهو يقول:

قــد ضَنَّ عنـهـــا أبو حَــفْصٍ بنـائله وكلُّ مُــــخْـتَـــبط يومًـــا له ورَقُ
مـــازال يَضْـرِبُنى حــتى خــذِيتُ له وحال مِنْ دونِ بـعضِ الرَّغْبة الـشَّفَقُ[٥]

(١) زيادات ر: «أبو شجرة هو عمرو بن عبدالعزى، وأمه الخنساء. وقال الطبرى: اسمه سليم بن عبدالعزى».
(٢) يستحمله: يسأله أن يحمله على ركوبه.
(٣) زيادات وبروى: «أن أعمرا، بكسر الميم، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».
(٤) شهباء: من الشهبة: وهو بياض فى خلاله سواد. وتخطر، من الخطران؛ وهو الاهتزاز.
(٥) الشفق: من الإشفاق، وهو الخوف.

ثم التَــفَــتُّ إليــهــا وَهْيَ حــانيــةٌ   مــــثْلَ الرتاجِ إذا مـــا لَزَّهُ الغـلقُ[1]
أقْـبَلْتُـهــا الخَلَّ من شَــوْرانَ مجـتــهـدًا   إنى لأزْرى علـيـــهـــا وهى تَنْـطَلِقُ[2]

ويروى أنه كان يرمى المُسلمين يوم الرِّدَّة فلا يُغْنى شيئًا، فجعل يقول:

ها إنَّ رَمْــــيِي عَنْـهُمُ لَمَغْــــبُــــولْ   فــلا صَرِيـحَ اليـومَ إلا المَـصْـقُــول

وقوله:

وكل مختبط يوما له ورق

أصل هذا فى الشـجرة أن يختـبطها الراعى، وهو أن يضـربها حـتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله، وقال زهير:

ولَيْسَ مــــانعَ ذى قُــربَــى وذى نَسَبٍ   يَوْمًـا ولا مُـعْـدمٍ من خـابطٍ وَرَقَـا[3]

وقوله: «حتى خَذَيتُ له»، يقول: خَضَعْتُ له، وأكـثر ماتَسْتَعْمِلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة، تقول: استخَذَيْتُ له. وَزعم الأصْـمَعِيّ أَنه شَكَّ فيها، وأنه أحَبَّ أن يَسْـتَثْـبتَ: أهيَ مهـموزةٌ أم غـير مـهـموزة؟ قال: فـقلتُ لأعرابيٍّ: أتقـول: اسْتَخْذَيْتُ[4] أم اسْتَخْـذَأْتُ؟ قال: لا أقولهما، قلتُ: ولِمَ؟ فـقال: لأن العرب لا تَسْتَخْذِى. وهذا غير مهموز[5]. واشتقاقه من قـولهم: أُذْنٌ خذواء ويَنَمة خَذْواءُ، أى مُسْتَرْخِية.

* * *

[قال أبو الحسن: اليَنَمة: نبت مستـرخ على وجهه الأرض تأكله الإبل فتكْثُرَ عنه ألبانها].

* * *

(١) حانية: لاوية عنقها. والغلق اسم لما يغلق به، والرتاج: الباب الكبير واللزة الشد والإلصاق.
(٢) الخل: الطريق النافذ بين الرمال. وشوران: جبل مرتفع قرب المدينة.
(٣) زيادات ر: «قوله: ولا معدم بالخفض؛ عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة   ولاناعب إلا ببين غرابها

على توهم الباء فى «مصلحين» و«من» فى «خابط» زائدة.
(٤) استخذى: خضع.
(٥) هنا آخر الخرم الموجود فى نسخة الأصل.

قال الأصمعي: وقلت لأعرابيٍّ: أتَهْمِزُ الفَأرَةَ؟ قالَ: تهمزُها الهرَّةُ.

وقوله: «إني لأزْرِي عليها»، يقول: أستحِثُّها، يقال: زَرَى عليه: أي عاب عليه، وأزْرَى به أي قَصَّرَ به، فيقول: إنها لمجتهدة، وإني لأزْري عليها، أي أعيب عليها لطلَبي النَّجَاءَ والسرعة، وقال الأخْطَلُ:

فظَلَّ يُفَدِّيها وظَلَّتْ كأنها ... عُقابٌ دعاها جُنْحُ ليلٍ إلى وكْرِ

وقوله: «ها إنَّ رَمْيي عنهمُ لَمَعْبول»، يقول: مَخْبولٌ مردودٌ. والصَّريحُ: المَحْضُ الخالص، يقال ذلك للبن إذا لم يَشُبْهُ ماء، ويقال: عَرَبيٌّ صَريحٌ ومَوْلى صريح، أي خالص.

[خطبة لعمر بن الخطاب حين سمع أن قوما يفضلونه على أبي بكر]

قال: وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشميّ في إسناد ذكره قال: بَلَغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصِّدِّيق رحمه الله، فَوَثَبَ مُغْضَبًا حتَّى صَعِدَ المِنْبَر، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أيها الناس، إني سأُخبِرُكُمْ عني وعن أبي بكر، إنه لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ ارْتَدَّت العرب، ومَنَعتْ شاتَها وبعيرها، فأجْمَعَ رأيُنا كلنا أصحابَ محمد ﷺ أن قلنا له: ياخَليفة رسول الله، إن رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحْيِ والملائكة يُمدُّه اللهُ بهم، وقد انقطع ذلك اليومَ، فَالْزَمْ بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب. فقال أبو بكر الصديق: أو كلكم رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم! فقال: والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من آن يكون هذا رأيي! ثم صعد المنبر، فحمد الله وكبره وصلى على نبيه ﷺ، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، أيها الناس، أأن كثر أعداؤكم، وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب! والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون. قوله الحق، ووعده الصدق، ﴿بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهقٌ﴾، و﴿كَمْ من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾. واللهَ أيها الناس، لو أُفْرِدْتُ من جمبعكم لجاهدتُهُمْ في الله حق جهاده حتى أُبْلِيَ بنفسي

عُذْرًا أو أُقْتَلَ قتلا، والله أيها الناس لو مَنَعونى عقالا لجاهَدْتُهُمْ عليه، واسْتَعَنْتُ عليهمُ اللّهَ وهو خيْرُ معِينٍ.

ثم نزل فجاهد فى الله حَقَّ جِهادِهِ حتى أَذْعَنَتِ العربُ بالحق.

قوله: «كم من فئة» فهى الجماعة، وهى مهموزة، وتخفيف الهمز فى هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قَلَبْتَها واواً، نحو جُؤَنٍ[1] تقول جُوَنٌ.

وقوله: «لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه» على خلاف ما تتأوله العامة، ولقول العامة وجه قد يجوز، فأما الصحيح فإن المُصَدِّق[2] إذَا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل: أخذ عِقالاً، وإذا أَخَذَ الثَّمن قيل: أخذ نَقْداً، قال الشاعر:

أَتَانَا أَبُو الخطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ[3] فَرُدَّ وَلَمْ يَأْخذْ عِقالاً وَلا نَقْداَ

والذى تقوله العامة تأويله: لو منعونى ما يساوى عقالا، فضْلا عن غيره. وهذا وجه، والأول هو الصحيح؛ لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلُبُهُ فيمْنَعَه، ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا.

ومن كلام العرب: أتانا بجَفْنةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثةٌ، أى لو قعد عليها ثلاثة لَصلَح.

[من أبيات للحطيئة حين ارتد بعض العرب]

وكان ارتدادُ من ارتَدَّ من العرب أن قالوا: نُقيمُ الصلاةَ ولا نُؤْتى الزكاة، فمن ذلك قول الحُطَيْئَة:

أَلاَ كلُّ أَرْماحٍ قصارٍ أَذلَّة فداء لأرْماحٍ نُصِبْنَ عَلى الغَمْرِ[4]

فَباسْتِ بَنِى عَبْسٍ وأَسْتاه طَيِّئٍ وَبِاسْتِ بَنِى دُودَانَ حَاشا بَنِى نَصْرِ

أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبٍ يَجْثمُ الْهامَ وَقْعُهُ وَطَعْنٍ كَأَفْواه المزَفَّتَة الحُمْرِ[5]

أَطَعْنَا رَسُولَ اللّه إذْ كَانَ بَيْنَنَا فَيَا لَهْفَتَا ما بالُ دِينِ أَبِى بَكْرِ!

(١) زيادات ر: «الجؤنة: الحقة يجعل فيها الحلى» (٢) المصدق: جابى الزكاة.

(٣) زيادات ر: «كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول».

(٤) الغمر هنا: اسم ماء. (٥) زيادات ر: «المزفتة: المطلية بالزفت، وهو القطران».

أَيُورِثُهـا بَكْـرًا إذَا مـاتَ بَعْـدَه، فَتِـلْكَ وَبَيْت الله قـاصِمَـةُ الظَـهْـرِ
فَقُومُوا ولاتُعْطُوا اللِّئامَ مَقَادَةً وَقُومُوا ولَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الجَمْرِ
فِدًى لِبَنِى نَصْرٍ طَرِيفِى وَتَالِدِى عَشِيَّةَ زَادُوا بِالرِّمَاحِ أبَا بَكْرِ[1]

قوله: «يجثم الهام وقعه»، إنما هو مَثَلٌ، يقال: جَثَمَ الطائرُ؛ كما يقال: برك الجمل، وربض البعير.

وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملا على صَدَقاتِ بنى سَعد، فقسم مَا كان فى يده من أموال الصدقات على بنى مِنْقَر، وقال:

فَمَنْ مُبْلغٌ عنى قُرَيْشًا رِسالةً إذا ما أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الوَدائع
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا وأيأسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ

قوله: «فأجمع رأينا كلُّنا أصحابَ محمد» فإنما خَفَضَ «كُلا» على أنه توكيد لأسمائهم المضمرة، والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يَعْنِي به المتكلمُ نفسَهُ، أو يَعْنى به المَخَاطَب. لا يجوز أن تقول مررتُ بى زيد، لأن هذه الياء لا يَشْرَكُهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين، وكذلك لا يجوز: ضربتُكَ زيدًا؛ لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف، فأما الهاء نحو مررت به عبدالله، فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنَا مُبَيِّنًا: مَنْ صاحب الهاء؟ لأنها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائب فيحتاج إلى البيان.

وقوله: «أصحابَ محمد» اختصاص: وينتصب بفعل مضمر، وهو «أعنى» ليبين من هؤلاء الجماعة. كما ينشد:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

أراد: نحن أصحاب الجمل، ثم بين من هم؛ لأن هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه، وعلى من فوقها إلى مضر ونزار ومعدّ ومَن بعدهم. وكذلك: نحن العرب أقرى الناس للضيف، ونحن الصعاليكَ لا طاقة لنا على المروءة.

---

(١) زيادات ر: «قوله: «ذادوا بالرماح أبابكر» كذب، إنما خرجوا على الإبل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت».

ويختار من الشعر[1]:

إنا بنى منقر ذوو حسب فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدلّ على جميع هذا الباب، فافهم.

كمل الجزء الأول من كتاب الكامل بحمد الله وعونه

ويليه الجزء الثانى

(١) زيادات ر: «هو لعمرو بن الأهتم».

فهرس الموضوعات

صفحة

باب

باب

باب

باب

باب

باب

باب

- باب

الكامل

في

اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٥١

بابٌ

[في المختار من أشعار المولدين]

قال أبو العبَّاس: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولّدين حكيمةٌ مُستَحسَنةٌ. يُحتَاجُ إليها للتَمثُّلِ؛ لأنها أشكَلُ بالدهر، ويُستعارُ من ألفاظها في المخاطبات والخُطَب والكتب.

[لعبد الصمد بن المعذل]

قال ابن المُعَذَّل(١):

تُكَلِّفُني إذلالَ نَفْسي لعزِّها ... وهانَ عليها أنْ أُهانَ لتُكْرَمَا

تَقولُ سَلِ المعروفَ يَحْيَى بنَ أكثَمٍ ... فقلتُ سَلِيه رَبَّ يَحْيَى بنِ أكثَما(٢)

[لبشار بن برد]

وقال بَشَّارُ بن بُرْدٍ يذكر عُبَيْدَ الله بن قَزْعة، وهو أبو المُغيرة أخو المَلَوِيِّ المتكلم، قال ـ وقال المازني: لم أرَ أعلَمَ من المَلَوِيِّ بالكلام، وكان من أصحاب إبراهيم النَّظام ـ:

خَليليَّ منْ كَعْبٍ أَعِينا أخاكُما ... على دهْرِه إنَّ الكريمَ مُعينُ

ولاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابن قَزْعَةَ إنه ... مَخافَةَ أن يُرْجى نَدَاهُ حَزينُ

كأنَّ عُبَيْدَ الله لم يَلْقَ ماجدًا ... ولم يَدْرِ أنَّ المَكْرُماتِ تكونُ

فقل لأبي يَحْيَى متَى تُدرِك العُلا ... وفي كُلِّ مَعْرُوفٍ عليكَ يَمينُ

إذا جئتَهُ في حاجةٍ سَدَّ بابَهُ ... فلم تَلْقَه إلا وأنتَ كَمينُ

نظير قوله:

* وفي كلِّ معروفٍ عليك يمينُ *

قول جرير:

ولا خَيْرَ في مالٍ عليه أَلِيَّةٌ ... ولا في يمينٍ عُقِّدت بالمآثِمِ(٣)

---

(١) ر: «عبد الصمد بن المعذل».

(٢) زيادات ر: «بالثاء مثلثة لا غير، وكذلك أكثم بن صيفي، ويقال إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفي».

(٣) ر: «عقدت». وديوانه ٥٥٣: «ولا في يمين غير ذات مخارم».

[لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية]

وقال إسماعيل بن القاسم:

أَطِعِ اللهَ بجُهْدِكْ ... عَامِدًا أو دون جُهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلاَكَ كما تَطْـ ... ـلُبُ من طاعةِ عَبْدِكْ

[لمحمود الوراق]

وقال محمود:

تَعْصِى الإلَه وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّه ... هذا مُحَالٌ فى القياسِ بَدِيعُ
لو كان حُبُّكَ صادقًا لأطعتَه ... إن المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال أيضًا:

إنى شكَرْتُ لظالمى ظُلْمى ... وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ على عِلْمى
ورأيتُه أَسْدَى إلَيَّ يَدًا ... لَمَّا أبانَ بِجَهْلِه حِلْمى
رَجَعَتْ إسَاءتُه عليه وإحْسـ ... ـانى فعادَ مُضَاعَفَ الجُرْمِ
وَغَدَوْتُ ذا أجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ ... وغدا بكَسْبِ الظُّلْمِ والإثْمِ
فكأنما الإحسانُ كان لَهُ ... وأنا المُسِىءُ إليه فى الحُكْمِ
مازال يَظلِمُنى وأَرْحَمُه ... حتى بَكَيْتُ له من الظُّلْمِ

أَخَذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْشٍ لرجل قال له: إنى مررتُ بقوم من قريش من آل الزُّبَيْرِ أو غيرهم يَشْتمونَكَ شَتْمًا رَحِمتُكَ منه، قال: أَفَسَمِعْتَنى أقول إلا خَيْرًا! قال: لا، قال: إيَّاهُمْ فارْحَمْ.

وقال الصديق[1] - رحمه الله - لرجل قال له: لأَشْتِمنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ معك فى قبرك، قال: معك والله يَدْخل، لا معى.

وقال ابن مسعود: إن الرجل ليظلِمنى فأَرْحمُه.

(١) ر: «أبو بكر الصديق»، س: «الصديق رضى الله عنه».

وقال رجل للشعبىّ كلامًا أَقْذَعَ له فيه، فقال الشعبىّ: إن كنتَ صادقًا فغفر الله لى، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك.

ويروى أنه أتى مسجدًا فصادف فيه قومًا يغتابونه فأخذ بِعِضادَتَىِ الباب، ثم قال:

هَنيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاء مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال: دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلا راكبًا على بغلة لم أر أحسَن وجهًا ولا سمتًا ولا ثوبا ولا دابة منه، فمال قلبى إليه، فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام، فامتلأ قلبى له بُغضًا، وحَسَدْتُ عليًّا أن يكون له ابن مثلُه، فَصِرْتُ إليه، فقلتُ له: آنت ابنُ أبى طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه، فقلت: فَبِكَ وبأبيك أَسُبُّهما، فلما انقضى كلامى قال لى: أحْسِبُكَ غريبًا، فقلت: أجَلْ، قال: فَمِلْ بنا، فإن احْتَجت إلى منزل أنزلناك، أَو إلى مال آسَيْناكَ، أو إلى حاجة عاوَنَّاكَ، قال: فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أَحَدٌ أحبُّ إلىَّ منه.

[لمحمود الوراق أيضًا]

وقال محمود الورَّاقُ:

يا ناظرًا يَرْنُو بِعَيْنَىْ رَاقِدِ ... وَمُشَاهِدًا للأَمْرِ غَيْرَ مُشاهِدِ
مَنَّيتَ نَفْسَكَ ضَلَّةً وأَبَحْتَهَا ... طُرُقَ الرَّجاءِ وَهُنَّ غَيْرُ قوَاصِدِ
تَصِلُ الذنوبَ إِلَى الذنُوب وتَرْتَجى ... دَرَكَ الْجِنَان بِهَا وَفَوْزَ الْعَابِدِ
ونَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمًا ... مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

[للحسن بن هانئ الحكمى المعروف بأبى نواس]

وقال الحكَمىّ للفَضل بن الرَّبيع[1]:

مَا مِنْ يَدٍ فى النَّاس واحِدَةٌ ... كَيَدٍ أَبُو العَبَّاس مَوْلاهَا
نامَ الْكِرامُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ ... وَسَرَىَ إلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا

(١) زيادات ر: هو أبو نواس الحسن بن هانئ، وهو منسوب إلى حكم، قبيلة من مذحج».

قَـدْ كُنْتُ خِـفْتُكَ ثمَّ أَمَّنَنِي   مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللهَ
فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ   حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا

[لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة]

وقال عبد الله بن أبى عُيَينة لذى اليَمِينَيْن(١):

لَمَّا رَأَيْتُكَ قَاعِدًا مُسْتَقْبِلاً   أَيْقَنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
فَارْفُضْ بِهَا وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا   إِنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ
مَا لاَ يَكُونُ فَلا يَكُونُ بِحِيلَةٍ   أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
يَسْعَى الذَّكِيُّ فَلا يَنَالُ بِسَعْيِهِ   حَظًّا وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِينُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِى وَقْتِهِ   وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ
اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا   فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَيَّ يَهُونُ

[لصالح بن عبد القدوس]

وقال صالح بن عبد القُدُّوس(٢):

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبْتُ جَلِيلا   فَذَهَابُ العَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كُلُّ آتٍ لا شَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهْـ   ـلِ مُعَنًّى وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

[من الأبيات المنفردة]

وأنشد مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الهَوَى قَادَكَ الْهَوَى   إِلى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ(٣)

ومنها قول ابن وُهَيْب الحميرى(٤):

وَإِنِّى لأَرْجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّنِي   أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ

---

(١) هو طاهر بن الحسين، وكان من أكبر أعوان المأمون، وفى زيادات ر: «سمى ذا اليمينين؛ لأنه ضرب إنسانا فجعله قسمين».

(٢) زيادات ر: «صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة - أعنى صالحا». وفى معجم الأدباء ١٢ : ٧ أن الذى قتله هو المهدى العباسى، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس، ثم دفن».

(٣) حواشى الأصل: «هذا البيت قاله هشام بن عبد الملك ولم يقل شعرا غيره».

(٤) فى ر، س. «ابن أبى وهيب» وصوابه ما فى الأصل. وانظر معجم الشعراء ٤٢٠.

وقال آخر:

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الحَزمِ حَتى كأنَّما ... يُخَاطِبُه مِنْ كلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وقال أَشْجَعُ السُّلَميّ:

رَأْيٌ سَرَى وَعُيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ ... ما أَخَّرَ الْحَزْمَ رأْيٌ قَدَّمَ الْحَذَرَا

وقال آخر:

فَلِلَّهِ مِنِّي جانِب لا أضيعُهُ ... وَلِلَّهْو مِنِّي وَالبَطَالةِ جانِبُ

وقال آخر:

فَلَوْ عَابَ نَفْسي غَيْرُ نَفْسي لَسُؤْتُهُ ... فَكَيْفَ وَنَفْسِي قَدْ أَتَتْ مَا يَعِيبُهاَ

وقال آخر:

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ مُقْبِل ... كأنَّ لَهُ فى الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدِ

[لعبد الصمد بن المعذل أيضا]

وقال عبد الصَّمد بن المُعَذَّل:

أَمُنُّ عَلَى الُمجْتَدى ... وما أُتبع الْمَنَّ مَنّ

كأنْ لَمْ يَزلْ مَا أَتَى ... وما قد مضى لم يكن

أَرَى النَّاس أحدُوثَةً ... فكوني حَدِيثًا حَسَنْ

وقال أيضًا:

زَعَمت عَاذلَتي أَنِّي لِمَا ... حفظ الْبُخْلُ مِنَ الْمَال مُضِيعُ

كَلَفتْنِي عِذرَةَ الْبَاخِلِ إِذْ ... طَرَقَ الطَّارِقُ وَالنَّاسُ هُجُوعُ

لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِى بُلْغَة ... إِنَّمَا الْعُذْر لِمَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ

[للحسن بن هانئ أيضا]

وقال الحسن بن هانئ الحكميّ:

إِلَيْكَ غَدَتْ بِى حاجَةٌ لَمْ أَبُح بهاَ ... أخافُ عَلَيْهاَ شَامتًا فَأُدَارِى

فأَرْخِ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِى ... سَتَرْتَ بِهِ قِدْمًا عَلىَّ عَوَارِى

وقال أيضًا:

قَـدْ قُلْـت للْعَبَّـاسِ مُـعْـتَـذِراً ... منْ ضَـعْف شُكْـرِيه ومَـعـتـرِفَـا
أَنْتَ امْـــرُؤٌ جَلَّلْتَـنـي نعَـــمًـــا ... أَوْهَتْ قُـوَى شُكْرى فَقَـدْ ضَعُـفَا
فَـــإِلَيْكَ بَعْـــدَ الْيَـــوْمِ تَقْـدِمَـــة ... لاقَـتْكَ بِالـتَّـصْريحِ مُنْكَشِـفَـا
لا تُحْـــــدِثنَّ إِلَيَّ عَـــــارِفَـــــة ... حَـسْبِى أَقُـومُ بشُكْرِ مـا سَلَفَـا

[دعبل بن على الخزاعى]

وقال دعْبِل بن علىّ الخزَاعىّ:

أَحبَـبْتُ قَوْمى ولَـمْ أَعْدلْ بِحُبِّـهِمُ ... قَالُوا تَعَصَّبْتَ جَهْلا قَوْلَ ذى بَهَت
دَعْنى أَصِل رَحمى إنْ كُنْتَ قَاطعَهَا ... لأَبُدَّ للـرَّحمِ الدُّنْيَـــا منَ الصِّـلَة
فَاحْـفظ عَشِيـرَتَكَ الأَدْنَيْنَ إنَّ لهُمْ ... حَـقًّا يُفَـرِّقُ بيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَـرَةِ[(١)]
قَـوْمى بَنُو مَذْحِجٍ وَالأَزْدُ إِخْـوتُهمْ ... وآلُ كنْدَةَ والأَحْـيَـــاءُ منْ عُلَة[(٢)]
ثُبتُ الْحُلومِ فَـإِنْ سُلَّتْ حَفَـائظُهُمْ ... سَلُّوا السُّيوفَ فأَرْدَوْا كلَّ ذى عَنَت
لاَ تعْـرِضَنَّ بِـمَـزْحٍ لامْـرِئٍ طَبِن ... مَا رَاضَـهُ قَلْبُهُ أَجْـرَاهُ فى الشَّـفة
فَـرُبَّ قَـــافـيَـة بالْمَـــزْحِ جَـارِيَة ... مَـشْئُـومَـة لَمْ يُرَدْ إنْمَـاؤُهَا نَمت
إِنِّى إِذَا قُلْتُ بَـيْـتًـا مَـاتَ قَــائلُهُ ... وَمَنْ يُقَـــال له والبـيـتُ لم يَمُتِ

وقال أيضًا:

نَعَـوْنى ولَمَّـا يَنْعَنى غَـيْرُ شَـامت ... وغَـيرُ عَـدُوٍّ قد أصـيـبت مَقَـاتلُهْ
يقولون إن ذاق الرَّدَى مـات شعرُهُ ... وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالت طوائلُه
سَأَقْـضِى ببيت يَحْمَـدُ الناسُ أَمْرَهُ ... وَيَكْثُـــرُ من أَهلِ الرِّوايةِ حــامِلُهْ
(يموت رَدِىُّ الشِّـعْرِ من قـبل أَهْلِه ... وَجَـيِّدُهُ يَبـقَى وإنْ مات قـائله[(٣)])

(١) المرة: لغة فى المرأة (رغبة الآمل).

(٢) علة: قبيلة.

(٣) زيادات ر: «البيت الأخير ليس لدعبل، وإنما هو مضمن».

[لإسماعيل بن القاسم أيضًا]

وقال إسماعيل بن القاسم:

يا مَن يَعيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ ... كَمْ فيكَ من عَيْبٍ وأنتَ تَعيبُ!

للهِ دَرُّكَ كيفَ أنْتَ وغايَةٌ ... يَدْعوكَ ربُّك عندَها فتُجيبُ

وقال أيضًا:

يا عليُّ بنَ ثابتٍ بانَ منّيٍ ... صاحبٌ جَلَّ فَقْدُهُ يومَ بِنْتا

يا عليُّ بنَ ثابتٍ أيْنَ أنَت ... أنْتَ بين القُبورِ حَيْثُ دُفِنْتا

قد لعَمْرى حكَيْتَ لىَ غُصَصَ المَوْ ... تِ وحَرَّكْتَنى لها وسكَنْتا

وقال أيضًا:

صاحبٌ كان لى هَلَكْ ... والسَّبيلُ التى سَلَكْ[(1)]

يا عليُّ بن ثابت ... غَفَرَ اللهُ لى ولَكْ

كلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ ... سَوْفَ يَفْنَى وما مَلَكْ

وقال أيضًا:

طَوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْرٍ ... كذاكَ خُطوبُه نَشْرًا وطَيًّا

فلو نَشَرَتْ قُواكَ لِىَ المَنايا ... شكَوْتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إليًّا

بكيتُكَ يا أُخَىَّ بدمع عينى ... فلم يُغْنِ البُكاءُ عليك شَيًّا

كَفَى حَزَنًا بدَفْنكَ ثم إنِّى ... نَفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيَّا

وكانتْ فى حَياتِكَ لى عِظاتٌ ... وأنت اليومَ أوعَظُ منكَ حَيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخلى شعرَه مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور، ويتناوله أقْرَبَ مُتَناوَل، ويَسْرِقه أخفَى سَرِقَة.

فقوله: «وأنت اليوم أوعظ منك حيا»، إنما أخذه من قول المُوبَذ لقُبادَ الملك حيث مات، فإنه قال فى ذلك الوقت: كان المَلكُ أمْسِ أنْطَقَ منه اليومَ، وهو اليَومَ أوعَظُ منه أمس.

---

(1) زيادات ر: «والسبيل التى سلك: ابتداء وخبر، ومن قال غير هذا فقد أخطأ».

وأخذ قوله:

قد لعَمْرِى حكَيْت لِى غُصَصَ المو ... تِ وَحَـرَّكْـتـنى لهـا وسكنتـا

من قول نادبِ الإسْكَنْدَر، فإنه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه: حَرَّكَنا بسُكونه.

[لإسماعيل بن القاسم أيضًا]

وقال إسماعيل بن القاسم[1]:

يا عَـجَـبـا للناسِ لَـوْ فكَّرُوا ... وحـاسَـبـوا أنفسـهـم أبصَـروا

وعَـبَـروا الدنيـا إلى غَـيْـرِها ... فـإنما الدنيـا لهُمْ مَـعْـبَـرُ[2]

الْخَـيْـرُ مما لَيْسَ يَخْـفَى هو الـ ... ـمَـعـروفُ والشَّـرُّ هو الْمُنْكَرُ

وَالْمَوْعِـدُ الموتُ ومـا بعـده الـ ... ـحَشْـرُ فَـذَاكَ الْمَـوْعِـدُ الأكْـبَـرُ

لاَ فَـخْـرَ إلاَّ فـخـرُ أَهْلِ التُّـقَى ... غَـدًا إذا ضَـمَّـهُمُ الْمَـحْـشَـرُ

لَيَـعْلَمَنَّ الـناسُ أن الـتُّـقَى ... والبِـرَّ كـانا خَـيْـرَ مـا يُـذْخَـرُ

عَـجِـبْتُ للإنسـان فى فَـخْـره ... وهوَ غَـدًا فى قَـبـره يُـقْـبَـرُ

مـا بـالُ مَن أوَّلُـهُ نُطْـفَـةٌ ... وجـيـفـةٌ آخـرُهُ يَفْـخَـرُ!

أَصْـبحَ لاَ يَمْـلكُ تَقْـديمَ مـا ... يرْجـو ولا تـأخـيـرَ مـا يَحْـذَرُ

وأَصْـبَح الأمْـرُ إلـى غـيـرِه ... فى كلِّ مـا يُقْـضَى ومـا يُقْـدرُ

أما قوله:

يا عـجـبـا للناس لـو فكروا ... وحـاسـبـوا أنفسـهـم أبصـروا

فمأخوذ من قولهم: الفِكْرةُ مرآةٌ تُرِيكَ حَسَنَكَ من قبيحكَ. ومن قول لُقْمَانَ لابنه: يا بُنَيَّ لا ينبغى لعاقلٍ أن يُخَلِّيَ نَفْسَهُ من أربعة أوقات: فوقتٌ منها يناجى فيه ربَّه، ووقت يُحاسبُ فـيه نفسه، ووقتٌ يكْسِبُ فيه لمعـاشه، ووقتٌ يُخلِّى فيه بين نفسه وبين لذتها؛ ليستعين بذلك على سائر الأوقات.

---

(١) زيادات ر: «وهو أبو العتاهية».

(٢) زيادات ر: «معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج، وبفتح الميم لا غير، رواية عاصم».

وقوله:

وَعَبَرُوا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ

مأخوذ من قول الحسن: اجْعَلْ الدنيا كالقنْطرة تَجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

وقوله:

الخير مما ليس يخفى هو الـ ـمعروف والشرُّ هو المنكرُ

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبدَ الله كَيْفَ بكَ إذا بَقيتَ فى حُثالة من الناس مَرِجَتْ عُهودُهُمْ وأماناتُهم، وصار الناس هكذا»، ـ وشبَّكَ بين أصابعه ـ، فقلتُ: مُرْنى يا رسولَ الله، فقال: «خُذْ ما عَرَفْتَ، ودَعْ ما أنْكَرْتَ، وعليك بخُوَيِّصة نفسك، وإيَّاك وعوامّها».

قوله ﷺ: «فى حُثالة من الناس»، أما الْحُثالةُ فهو ما يَبقَى فى الإناء من رَدِىِّ الطعام، وضربَه مَثَلا. وقوله: «مَرِجَتْ عُهودُهم». يقول: اختلطت وذهبت بهم كلَّ مَذْهَب، يقال: مَرَج الماء إذا سال فلم يكن له مانع، قال الله عز وجل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقيان﴾[1].

وقوله:

لَيَعْلَمنَّ النَّاسُ أنَّ التُّقَى وَالْبِرَّ كانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

مأخوذ من قَوْل أبى هُرَيْرَة عن النبى ﷺ قال: «إذا حُشر الناسُ فى صَعيد واحد نادى مُنَاد من قِبَل العَرْشِ: لَيَعْلَمَنَّ أهلُ المَوْقف، مَنْ أهلُ الكَرَمِ اليومَ؟ لِيَقُمِ المُتَّقون! ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتْقَاكُمْ﴾[2].

وقوله:

ما بالُ مَن أوَّلُهُ نُطْفَةٌ وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ!

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه: وما ابْنُ آدَمَ والفَخْر وإنما أوله نُطْفَةٌ، وآخره جيفةٌ، لا يَرْزقُ نفسه، ولا يَدْفعُ حَتْفه.

---

(١) سورة الرحمن ١٩.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

[لابن أبى عيينة]

وقال ابن أبى عُيَينةَ:

مَــا رَاحَ يَـوْمٌ عَلَى حَىٍّ ولاَ ابْـتَكَرَا ... إلاَّ رَأَى عـبْـرَةً فـيــه إن اعْـتَـبَـرَا
وَلاَ أَتَتْ سَاعَةٌ فى الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ[1] ... حَـتـى تُؤَثِّرَ فى قَــوْمٍ لَهـــا أثَرَا
إنَّ اللَّيَــــالِىَ وَالأَيَامَ أَنْفُـــسَــهَـــا ... عَنْ غَـيْرِ أَنْفُـسِهَا لَمْ تَـكْتُمِ الْخَبَـرَا

فأخذ هذا المعنى حَبيبُ بن أوْسٍ الطائىُّ وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال:

عَــمْـرِى لَقَـدْ نَصَحَ الزَّمَـانُ وَإِنَّهُ ... لَمِنَ الْعَـجَـائِب نَاصِحٌ لا يُشْـفِقُ

فزاد بقوله: «ناصح لا يشفق» على قول ابن أبى عُـيَينةَ شيئًا طريفًا، وهكذا يفعلُ الحاذق بالكلام. ولو قال قائل: إن أقرب ما أخَذَ منه أبو العتاهيةِ:

لَيَـــعْلَمَنَّ الـنَّاسُ أَنَّ التُّـــقَى ... وَالْبِـــرَّ كَـانَا خَــيْـرَ مـا يُـذْخَـرُ

من قول خليل بن أحمد:

[قال أبو الحسن: زعم النسـابون أنهم لا يعرفـون منذ وقت النبى ﷺ إلى الوقت الذى وُلدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحدًا سُمِّىَ بأحمد غيرَه].

وَإِذَا افْتَقَـرْتَ إلى الذَّخَائر لَمْ تَجِدْ ... ذُخْـرًا يكُونُ كَصَـالِحِ الأَعْمَـالِ[2]

لكان قد قال قولا.

وقال العباس بن الفرج:

أَمَــلِـى مَـنْ دُونـهِ أجَـلــِى ... فَـــمَـــتَى أُفــضِى إلى أَمَــلِى

[للخليل بن أحمد]

وقال الخليل بن أحمد، وكان نظر فى النجوم فَأَبْعَدَ ثم لَمْ يَرْضَها فقال:

أَبْـلِغَـــــا عَـنِّىَ الْمُنَـجِّمَ أَنِّـى ... كـافـر بالذى قـضــتـه الكواكب
عَـــالِمٌ أَنّ مَـــا يكُونُ وَمَـــا كــاَ ... نَ بِحَـتْمٍ مِنَ الْـمُـهَـيْـمِنِ وَاجِبْ

---

(١) زيادات ر: «فانصرفت» أشبه للمطابقة، والمشهور «انصرفت».

(٢) كذا نسبته فى الأصول والمشهور أن البيت للأخطل، وهو فى ديوانه ١٥٨.

[لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين]

قال محمد بن بَشِيرٍ يعيب المتكلمين، أنشدنيه الرِّياشيُّ:

يَا سَائلى عَنْ مَقَالَة الشِّيَعِ ... وَعَنْ صُنُوف الأَهْوَاء وَالْبِدَعِ

دَعْ مَنْ يَقُودُ الْكَلامَ نَاحِيَةً ... فَمَا يَقُودُ الْكَلامَ ذُو وَرَعِ

كُلُّ أُنَاسٍ بَدِيُّهُمْ حَسَنٌ ... ثمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ للشَّنَعِ

أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يَقَالَ لَهُ ... لَمْ يَكُ فى قَوْلِه بِمُنْقَطِعِ

وأنشد الرِّياشيُّ لغيره:

قَدْ نَقَّرَ النَّاسُ حتَّى أَحْدَثُوا بِدَعًا ... فى الدِّينِ بِالرَّأْىِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ

حتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ الله أَكْثَرُهُمْ ... وَفى الَّذِى حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغُلُ

وقال محمد بن بَشِيرٍ:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرحَمِ اللهُ ... وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ

يا حَسْرَتَا فى كلِّ يَومٍ مَضَى ... يُذْكِرُنى الْموتَ وأَنْسَاهُ

من طال فى الدنيا به عُمْرُهُ ... وعَاشَ فَالموتُ قُصَاراهُ

كَأَنَّهُ قد قِيلَ فى مَجْلِسٍ ... قَد كنتُ آتِيه وأغْشَاهُ

صار الْبَشِيرِىُّ إلى ربه ... يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ

وقال أيضًا:

أَىُّ صَفْو إلا إلى تَكْدير ... ونَعِيمٍ إلا إلى تَغْييرِ

وسُرور ولَذَّة وحُبور ... ليس رَهْنًا لنا بيوم عَسيرِ

عَجَبًا لى ومن رِضاى بدنيا ... أنا فيها على شَفًا تَغْرير!

عالمٌ لا أَشُكُّ أَنِّى إلى اللَّـ ... ـه إذا متُّ أو عَذَاب السَّعير

ثم أَلْهُو ولَسْتُ أَدْرى إلى أَيِّـ ... ـهِما بعدهُ يَصيرُ مَصيرى

أَىُّ يَومٍ علىَّ أَفْظَعُ من يو ... مٍ به تُبْرِزُ النُّعاةُ سَريرى

كُلَّما مُرَّ بى على أهل ناد ... كُنْتُ حِينًا بهم كَثيرَ المُرورِ

قِيلَ: مَنْ ذَا عَلَى سَريرِ المَنَايَا ... قِيلَ هذَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِير

[الحكمى أبى نواس أيضًا]

وقال الحَكَمِيُّ أبو نُواس:

أخى مَـا بَالُ قَـلْبِكَ لَيْسَ يَـنْقَى ... كـأَنَّكَ لا تَظُـنُّ المَوْتَ حَـقًّـا
أَلاَ يَـا بْـنَ الَّـذِينَ فَـنُوا وَبَـادُوا ... أَمَـا وَاللهِ مَـا ذَهَـبوا لِتَـبْـقَى
وَمَـا أَحَـدٌ بِزَادِكَ مِنْـكَ أَحْظَى ... وَمَـا أَحَـدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَشْـقَى
وَلا لك غَـيْـرَ تَقْـوَى اللهِ زَادٌ ... إِذَا جَـعَـلَتْ إِلَى اللَّهَـوَاتِ تَرْقَى

ومما يستحسن من شعره قوله:

لا أَذُودُ الطَّيْـرَ عَنْ شَـجَـرٍ ... قَـدْ بَلَـوْتُ المُرَّ مِـن ثَمَـرِهْ

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الأمثال، وكذلك قوله أيضًا:

فَـامْضِ لاَ تَـمْنُـنْ عَلَـىَّ يَدًا ... مَنُّكَ المَعْـرُوفَ مِنْ كَـدَرِهْ

وكان يقول: ذكرُ المعروف من المُنعِم إفسادٌ له، وكتمانُه من المُنْعَمْ عليه كُفْرٌ له، وفى هذا الشعر أبيات مختارة، فمنها:

وَإِذا مَـجَّ الْـقَنَا عَـلَـقًـا ... وَتَـرَاءَى المَوْتُ فـى صُـوَرِهْ
رَاحَ فى ثِـنْيْ مُـفَـاضَـتِـه ... أَسَـدٌ يَدْمَى شَـبَـا ظُفُـرِهْ
تَتَـأَيَّى الـطَّيْـرُ غَـدْوَتَهُ ... ثِقَـةً بِالشَّـبْعِ مِنْ جَـزَرِهْ
فَـاسْـلُ عَنْ نَـوْءِ تُـؤَمِّلُـهُ ... حَـسْـبُكَ الْعَـبَّـاسُ مِنْ مَطَرِهْ
لاَ تَـغَطَّـى عَـنْهُ مَـكْـرُمَـةٌ ... بِـرُبًا وَادٍ وَلاَ خَـمَـرِهْ
ذُلِّلَـتْ تِـلكَ الْـفِـجَـاجُ لَـهُ ... فَـهْوَ مُـجْـتَـازٌ عَلَى بَصَـرِهْ

وقد عابوا عليه قوله:

كَـيْفَ لاَ يُـدْنِيـكَ مِنْ أَمَـلٍ ... مَنْ رَسُـولُ اللهِ مِـنْ نَفَـرِهْ

وهو لَعَمْرى كلام مُستَهْجَنٌ موضوع فى غير مـوضعه؛ لأن حق رسول الله ﷺ أن يُضاف إليه، ولا يضافَ إلى غيره، ولو اتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال، ولكنه عَسِرٌ موضوع فى غير موضعه، وباب الاحتيال فيه أن تقول: قد يقول القائل مِنْ بنى هاشم لغيره من أفناء قريش: منا رسول الله ﷺ،

وحَقٌّ هذا أنه من القبيل الذى أنا منه. فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القُرَشىُّ لسائر العرب، كما قال حسانُ بن ثابت:

وَمَازَالَ فى الإسْلاَمِ منْ آلِ هاشم دعائمُ عِزٍّ لا تُرامُ ومَفْخَر
بَهَاليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّهِ علىٌّ ومنهمْ أحمدُ المُتَخَيَّرُ

فقال: «منهم» كما قال هذا «من نفره»، أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم.

وأما قول حَسَّان: «منهم جعفر وابن أمه علىٌّ ومنهم أحمد المتخيّر» فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ، قال الله تبارك وتعالى:

﴿هُوَ الَّذى خَلَقَكُم فَمنْكم كَافرٌ وَمنكُمْ مُؤْمنٌ﴾(١) وقال: ﴿يا مَعْشَرَ الجنِّ والإنْسِ﴾(٢)، وقال: ﴿واسْجُدى وَارْكَعى مع الرَّاكعين﴾(٣)، ولو كان بثمّ أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذى يليه واحدًا فواحدًا.

وأما قوله فى هذا الشعر:

وكريمُ الخالِ من يَمَنٍ وكريمُ العَم من مُضَرِهْ

فأضاف «مُضَرَ» إليه، فهو أجود كلامٍ لا يمتنعُ منه ممتنع، قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للأشْتَر - وهو مالك بن الحارث أحَدُ النَّخَع ابن عمرو بن عُلَّةَ بن جَلْد - وكان على المَيْمَنَة -: احْمِلْ، فَحَمَلَ فى أصحابه فَكَشَفَ منْ بإزائه، ثم قالَ لهاشم بن عُتْبةَ بن مالك أحد بنى زُهْرَةَ بن كلاب - وكان على المَيسَرَة - احْمِلْ، فَحَمَلَ فى المضَرِيَّة فَكَشَفَ مَنْ بإزائه، فقال علىٌّ رضى الله عنه لأصحابه: كيف رأيتم مُضرى ويَمَنى! فأضاف القبيلتين إلى نفسه، قال جرير:

إن الذين ابْتَنوا مَجْدًا ومَكْرُمَةً تِلْكمْ قُرَيْشِىَ والأنصارُ أنصارى

(١) سورة التغابن ٢
(٢) سورة الرحمن ٣٣.
(٣) سورة آل عمران ٤٣.

[لإسحاق بن خلف البهرانى يمدح على بن عيسى القمى]

ومما يستحسن من أشعار المحْدَثين قول إسحاق بن خَلَفِ البَهْرَانيّ، ونَسَبُهُ فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه، يقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعرىّ المعروف بالقَمِّى[1]:

وللْكُرْد منك إذا زُرْتَهُمْ ... بكَيْدِكَ يَوْمٌ كيوم الْجَمَلْ
ومازال عيسى بن موسى له ... مَوَاهِبُ غَيْرُ النطاف المُكُلْ[2]
لسلِّ السيوف وشَقِّ الصُّفوف ... لنَقْضِ التِّرات وضَرْبِ القُلَلْ
ولُبْسِ العَجَاجة والخافقاتُ ... تُريكَ المنا برءوس الأَسَلْ
وقد كَشَرَتْ عن شَبَا نَابِها ... عروسُ المنيَة بين الشُّعَل
وَجَاءَتْ تَهَادَى وأبناؤها ... كأنَّ عليهم شُروقَ الطَّفَلْ
خَروسٌ نَطوقٌ إذا اسْتُنْطقتْ ... جَهولٌ تَطيشُ على مَنْ جَهِل
إذا خُطبتْ أخذتْ مَهْرَها ... رءوسًا تَحادَرُ قبل النَّفَلْ
أَلَذُّ إليْه من المسْمعات ... وحَثٍّ الكؤوسَة فى يوم طَلْ
وشُرْبِ المُدام ومَنْ يَشْتَهيه ... مُعاط له بمزاج القُبل
بعثنا النَّواعج تحت الرِّحال ... تَسَافَهُ أشْداقُها فى الجُدُل
إذَا مَا حُدين بمدْحِ الأَمير ... سَبقْنَ لِحَاظَ المُحِث[3] الْعَجِلْ

قوله: « تريك المنا». يريد المنايا، وهذه كلمة تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعى أنه سمع العرب تقول: دَرَسَ المنا، يريدون المنازل، وجاء فى التخفيف أعجبُ من هذا. حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعىّ وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله، ولكن الأصمعىّ قال: كَان أخَوان متجاوران لا يكلِّم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتىَ وقت الرعى، فيقول أحدهما لصاحبه: ألا تا؟ فيقول الآخر: بلى فا، يريد: ألا تنهض؟ فيقول الآخر، بلى فانهض. وحكى سيبويه فى هذا الباب:

---

(١) زيادات ر: « منسوب إلى قمة وهى بلدة أو قرية من خراسان».

(٢) المكل. جمع مكول، وهى البئر.

(٣) زيادات ر: «من كسر الميم من حث، ومن ضم الميم جعله من أحث؛ يقال: حث وأحث على فعل وأفعل، لغتان».

بالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَراً فَا ... وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إلاَّ أَنْ تَا

يريد: وإن شرا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد[١].

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء، فإنه يقال: إن اللسان إذا كثرت حركته، رقَّتْ عَذَبَتُه.

وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال: قال لى محمد بن الجَهْم: لما كانت أيامُ الزُّطِّ أدْمَنْتُ الفِكْرَ، وأمسكت عن القول، فأصابتنى حُبْسَة فى لسانى.

وقال رجل من الأعراب يذكر آخَرَ منهم:

كَأنَّ فِيهِ لَفَفًا إذَا نَطَق ... مِنْ طُولِ تحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفوان: إنك لتُكْثِرُ، فقال أُكْثِر لضربين: أحدهما فيما لا تُغْنِى فيه القلَّة، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العُقْلَة.

وكان خالد يقول: لا تكون بليغًا حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداء فى الليلة الظلماء، فى الحاجة المهمَّة، بما تتكلم به فى نادى قومك، فإنما اللسان عضوٌ إذا مَرَّنْتَهُ مَرَنَ، وإذا أهملته خَارَ، كَاليد التى تُخَشِّنُهَا بالممارسة، والبدن الذى تُقَوِيه برفع الحَجَرِ وما أشبهه، والرِّجْل إذا عُوِّدَتِ المشى مشت.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لاتزالون أصِحَّاء ما نزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ. فنزعتم فى القسِىِّ، ونزوتم على ظهور الخيل.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغى للعاقل أن يُخْلِيَ نفسه من ثلاث فى غير إفراط: الأكل، والمشى، والجماع، فأما الأكل فإن الأمْعاء تضيق لتركه، وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصل - فيما ذكروا - بين خمس عشرة من يوم وليلة، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبِرٍ لِيَفْتُقَ أمعاءه. قال أبو العباس: قال الأوّل: والمشى إن لم تتعهده أوْشَكْتَ أَنْ تطلبَهُ فلا تجده، والجماعُ كالبئر إن نُزِحَتْ جَمَّت، وإن تُرِكَت تَحَيَّر ماؤها، وحقٌّ هذا كله القصد.

وقوله:

* كَأَنَّ عَلَيْهِم شُرُوقَ الطَّفَل *

(١) زيادات ر: قال ش: قول أبى العباس. «إلا أن تريد» إنما هو إلا أن تشاء، ولو كان كما قال أبو العباس، كانت التاء مضمومة».

يريد: تألُّق الحديد، كأنَّه شمس طالعة عليهم، وإن لم تكن شمس، وأحسنُ من هذا قول سَلامة بن جنْدَل:

كَأَنَّ النَعامَ بَاضَ فوْقَ رُءوسِهم ... وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الحَدِيدِ جوَاحِمُ[1]

فهذا التشبيه المصيب.

وأما قوله:

أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ المسْمِعَاتِ

فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو دُلف الْعِجْلِىّ:

يَوْمَاىَ يَوْمٌ فى أَوَانسَ كَالدُّمَى ... لهْوى، وِيَوْمٌ فى قِتَال الدَّيْلَمِ

هذَا حَلِيفُ غَلاَئِلٍ مَكْسُوَّةً ... مِسْكًا وَصَافِيَةً كَنَضْحِ الْعَنْدَمِ

وَلِذَاكَ خَالَصَةُ الدُّرُوعِ وضُمَّرٌ ... يَكْسُوننا رَهَجَ الْغُبَارِ الأَقْتَمِ

وَلَيَوْمِهِنَّ الفَضْلُ لَوْلا لَذَّةٌ ... سَبَقَتْ بِطَعْنِ الدَّيْلَمِىِّ الْمُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح، وهو:

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَدَلْ ... وَحَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ المخْتَبَلْ

وأما قوله:

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُلِ *

فتسافه من السفه، وإنما يصفها بالمَرَح، وأنها تميل كذا مرة، وكذا مرة، كما قال رُؤْبَة:

* يَمْشِي الَعِرَضْنَى فى الَحِدِيد المُتْقَنِ *

وكما قال الآخر:

إِذَا رأَى السَّوْطَ مَشَى الهَيْدَبَى ... ويَتَّقِى الأَرْضَ بِمُعْجٍ رِقَاقِ[2]

وكما قال الحُطيْئَة:

وإنْ آنَسَتْ حِساً مِنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ ... بِىَ الْجَوْرَ حَتَّى تسْتَقِيمَ ضُحَى الْغَدِ

---

(١) زيادات ر: «جواحم، أى منقدة».

(٢) زيادات ر. «الهيدبى، بالدال مهملة ومعجمة». وقوله: «بمعج رقاق، يريد قليلة اللحم».

والجُدُلُ: جمع جَديلٍ وهو الزمامُ المجدول، كما تقول: قتيل ومقتول، وأدنى العدد أَجْدِلَة، كقولك: قضيب وقُضُب وأقضبة، وكذلك كَثيب ورَغيفٌ وجَريبٌ، وفُعْلانٌ كفُعُلٍ فى الكثير، يقال قُضْبان ورُغْفَان وجُرْبان، ومثل قوله:

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُل *

قول حبيب بن أوْسٍ الطائى:

سَفِيهُ الرُّمْحِ جَاهِلُهُ إِذَا مَا بَدا فَضْلُ السفيه عَلَى الحَلِيمِ

[لإسحاق أيضًا يمدح الحسن بن سهل]

ومما يُسْتحسن من شعر إسحاق هذا قوله للحسن بن سَهْل:

بَابُ الأَميرِ عَرَاءٌ مَا بِه أَحَدٌ إلاَّ امْرُؤٌ وَاضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قَالَتْ وقَدْ أَمَّلْت مَا كُنْتُ آمُلُهُ هذَا الأَميرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ اليَمَنِ
كَفَيْتُكَ النَّاسَ لاَ تَلْقَى أَخَا طَلَب بفَىْءِ دَارِكَ يَسْتَعْدِى عَلَى الزَّمَنِ
إنَّ الرَّجَاءَ الَّذى قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ وَضَعْتُهُ وَرَجَاءَ النَّاسِ فى كَفَنِ
فى اللهِ مِنْهُ وَجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ لَيْسَ السَّدَى والنَّدَى فى رَاحَةِ الحَسَنِ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى منَ الأَجَلِ المُتَاحْ
وكأنما ذر الهبَاءَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَاحْ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية:

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنَ لسانِ الأَلْكَنِ وَالمرْء تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس: وأحسبه أخذ قوله:

* وَالمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذَا لم يَلْحَنِ *

من حديث حَدَّثَنَاه أبو عثمان الخُزاعىُّ عن الأصمعى قال: كان يقال: ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هم، وهم: رجلٌ رأيتَه راكبًا، أو سمعته يُعْرِب،

أو شَممْتَ منه طيبًا. وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ، وهم: رجل شَمـمْتَ منه رائحـةَ نَبيـذ فى مَحْفـلٍ، أو سمعـته فى مِـصْرٍ عَـرَبِيٍ يتكلم بالفارسيةِ، أو رجلٌ رأيته على ظَهر طريقٍ ينازعُ فى القَدَر.

[لشاعر فى عبد الله بن طاهر]

قال أبو العـباس: أنشدنى أحـد الأمراء لشاعـر من أهل الرَّىِّ يُكنىَ أبا يزيدَ شيئًا يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصَّ، وقَصَدَ بالمدح إلى مَعْدنه، واختاره لأهله:

اشْرَبْ هَنيـئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِـقًا فى شَاذَ مـهْرَ وَدَعْ غُمْـدَانَ لليَمنِ
فَـأَنْتَ أَوْلَى بِتَـاجِ المُـلْك تَلْبَـسُـهُ مِنْ هَـوْذَةَ بن عَلِىٍّ وَابْـنِ ذِى يَزنِ

فَأَحْسَنَ الـترتيب جداً، وإن كانت الملوك كلهـا تلبس التاج فى ذلك الدهر. وإنما ذكر ابنَ ذى يَزَن لقول أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْت الثَّقفىِّ حيث يقول:

اشْرَبْ هَنِيـئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِـقًا فى رَأْسِ غُمْدانَ دَارًا منك مِحْلاَلاَ

وقال الأَعْشَى فى هَوْذَةَ بن على، وإن لم يكن هَوْذَةَ مَلِكا:

مِنْ يـرَ هَوْذَةَ يَسْجُـدْ غَيْرَ مُـتَّئِب إذَا تَعـمَّمَ فَـوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَـعَـا
لَهُ أَكـالِيـلُ بالْيَـاقُـوتِ فَـصَّلَهَـاَ صوَّاغُـهَا لا تَرَى عيـبًا وَلا طَبَـعَا

قال أبو العـباس: وحدثنى التَّـوَّزِىّ قال: سمـعت أبا عبيـدة يقول عن أبى عمرو، قال: لَمْ يتَـتوَّجْ مَعدِّىٌّ قط، وإنما كانت التيجان لليـمن، فسألته عن هَوْذَةَ ابن على الحنفى، فقال: إنما كانت خرَزات تُنْظم له.

قال أبو العـباس: وقد كـتب رسول الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن علىّ يدعوه كـما كتب إلى الملوك، وكان يُجـيزُ لَطيمةَ كسْـرَى فى البرّ بجَنَبَات اليمامـة. واللَّطيمة: الإبل تَحْمِلُ الطيبَ والبَزَّ. ووفدَ هَوْذَةُ بن علىٍّ على كِسْرَى بهذا السبب فسأله عن بَنِيه، فـذكر منهم عَـدَدًا فقـال: أيهم أحبُّ إليك؟ فقـال: الصغـير حتى يَـكْبُرَ، والغائبُ حتى يَقْدُمَ، والمريضُ حتى يَصِحّ. فـقال له كسْرَى: ما غذاؤُكَ فى بلدك؟ فقـال: الخُبْزُ، فـقال كِسْرَى لجـلسائه: هذا عَقْلُ الخُـبْزِ، يُفَضِّله على عـقول أهل البوادى الذين يَغْتذونَ اللبن والتمر.

وقد رُوِى عن النبى ﷺ أنه قـال: لَقَدْ هَمَمْتُ ألا أقْبَلَ هَدِيَّةً - ويروى: أن لا أتّهِبَ هِبَةً - إلا من قُرَشِيٍّ أو أنصارىٍّ أو ثَقَفِىٍّ. وروى بعضهم: أو دَوْسِىٍّ؛ وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فمنَّ بها، فذكر رسول الله ﷺ أهلَ الأمصار تفضيلا على أهل البوادى.

[لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة]

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة يعاتب رجلا من الأشراف:

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ ... فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِي ... كَأَنَّ إِخَاءَهُ الآلُ السَّرَابُ
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِى قِدْرِ قَوْمٍ ... وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَائِى مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ ... بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ

وقال أيضًا:

كُنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانَ أَوَّلُنَا ... لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالعلا خُلِقُوا
كَانُوا جِبَالا عِزًّا يُلاَذُ بِهَا ... وَرَائِحَاتٍ بِالْوَبْلِ تَنْبَعِقُ[1]
كَانُوا بِهِمْ تُرْسَلُ السَّمَاءُ عَلَى الْـ ... أَرْضِ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الأُفُقُ
لاَ يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ إِنْ فَتَقُوا ... فَتْقًا وَلاَ يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا
لَيْسُوا كَمَعْزَى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ ... فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَثَقٌ[2]
وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ ... تَنُوبُهُمْ وَالْحِذَارُ وَالْفَرَقُ
هذا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ ... ظَهْرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ
الأُسْدُ فِيهِ عَلَى بَرَاثِنِهَا ... مُسْتَأْخِرَاتٌ تَكَادُ تَمَّزِقُ

وكان سبب قوله هذا الشعرَ أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس كان له صديقًا، وكان عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة من رؤساء مَنْ أخذ الْبَصْرَةَ للمأمون فى أيام المخلوع، وكان معاضدًا لطاهر بن الحسين فى حروبه، وكان إسماعيل بن جعفر جليلَ القدر، مطاعا فى مَوَالِيهِ وأهله،

---

(١) الرائحات: السحب، وتنبعق: تتخرق فينزل منها الماء.

(٢) اللثق: البلل.

وكانت الحال بينهما ألطفَ حال، فوصله ابن أبى عيينة بذى اليمينين فَوَلاه البصرة، ووَلّى ابن أبى عُيَيْنَة اليمـامةَ والْبَحْرَيْنِ وَغَوصَ البحرِ فلما رجـعا إلى البصرة تَنَكَّر إسماعيلُ لابن أبى عُيَيْنَة، فهـاج بينهما من التباعـد على مثال ما كـان بينهما من المقاربة، ثم عُـزِلَ ابن أبى عُيَـيْنَة، فلم يزل يهجـو إسماعـيل، وسأل ذا اليـمينين عزله، فدافـعه وضن بالرجل، فكان يهجو منْ أهله مَنْ يُوَاصِلُ إسمـاعيلَ، وكان أكْبَر أهله قدراً فى ذلك الوقت يزيدُ بن الْمُنَجاب، وكان أعور قائم العين لم يُطَّلَعْ على علَّتَه إلا بشعر ابن أبـى عُيَيْنَة، وكان منهم. وكان سيِّدَ أهل البـصرة أجمعين محمدُ بنَ عَبَّاد بن حبيب بـن المهلَّب، ومنهم سعيد بن المهَلَّب بن المغيرة بن حرب ابن محمد بن المهلب بن أبى صُفْرَة، وكان قـصيراً، وكان ابن عَبَّاد أَحْوَلَ، فذلك حيث يقول ابن أبى عُيَيْنَة فى هذا الشعر الذى أمْلَيناه:

تَسْتَـقْـدمُ النَّعْجتَـان والبَـرقُ[1]	فى زمـن سَــــرْوُ أهلـه المَلَـقُ
عُــــورٌ وَحُــــولٌ وثَـالثٌ لَـهمُ	كَــــأنَّهُ بَـيْنَ أسْـطرَ لَحَـقُ[2]

ولهم يقول ولاثنـين ظن أنهما مـعهم، وقد مـروا به يريدون إسمـاعيل بن جعفر:

ألاَ قُلْ لرَهْط خَـمْـسَـة أوْ ثَلاثَة	يُعَــــدُّونَ منْ أبْنَـاء آل المهَـلَّب
عَلَى بَابِ إسْمَاعيل رُوحُوا وبَكِّرُوا	دَجَاجَ الْقُـرَى مَبْثُـوثَة حَوْلَ ثَعْلَب
وأَثْنُوا عـليـه بـالجَـمـيلِ فَـإنَّهُ	يُسِـرُّ لكم حبًّـا هُوَ الْحُبُّ واَقْلب
يلينُ لَـكم عنْدَ اللِّـقَـاء مُـوَارِبًا	وَيَخْلُـفُكُمْ منْـهُ بنَاب وَمِـــخلَب
ولَولا الَـذى تُولُونَهَ لـتَكَشَّـفَتْ	سَـريرتُـهُ عَنْ بُغْـضَـة وتَـعَـصُب
أَبَعْـــدَ بَلاَئى عنْدَهُ إذ وَجَـدتُّهُ	طَرِيحًـا كَنَصْلِ الْقدْحِ لَمَّـا يُرَكَّب
به صَــداً قَـدْ عَــابَهُ فَـجَـلوتُهُ	بكَفَّىَ حَـتَّى ضَـوْءُهُ ضَوءُ كَـوْكب
وَرَكَّـبْـتُهُ فى خُـوط نَبعٍ ورشْـتُـهُ	بقَـادمَـتَىْ نَسْـر ومَتْن مُـعَـقَّب[3]
فَـــمـا إنْ أتَانِى مِـنْهُ إلاَّ مُـبَـواًّ	إلَىَّ بنَصْـلٍ كَالْحَـريقِ مُـذَرَّب

---

(١) البرق: الخروف والجمع أبراق.

(٢) اللحق: اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه.

(٣) الخوط: الغض الناعم. راشه: ألزق فيه الريش. والمتن: الوتر.

فـفلَّلْـتُ منْهُ حَـدَّهُ وتَرَكْـتُـهُ كَـهُدْبَةِ ثوْبِ الْخَـزِّ لَمَّا يُهـدَّبِ[1]
رَضِـيتُـمْ بِأَخْلاَقِ الدَّنِيِّ وَعِـفْـتُمُ خَـلاَئِقَ مَاضِـيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالأَبِ

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين:

مَـالِي رَأَيْتُـكَ تُدْنِي كُلَّ مُنْتَكِث إِذَا تَغَـيَّبَ مُلْتَـاث إِذَا حَـضَـرَا[2]
إِذَا تَنَسَّـمَ رِيحَ الْغَـدْرِ قَـابَلَهَـا حَـتَّى إِذَا نَفَـخَتْ فِي أَنْفِـه غَـدَرَا
وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّـقْرِيبِ منك لهُ وَأَنتَ تَعْـرِفُ فيه الْـمَيْلَ وَالصَّعَرَا
أَحَلَّـكَ اللهُ مِنْ قَـحْطَانَ مَنْـزِلَةً فِي الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا
فَلاَ تُضِعْ حَقَّ قَـحْطَانَ فتُـغْضِبَـهَا وَلاَ رَبِيـعَـةَ كَـلاَّ لاَ وَلاَ مُـضَـرَا
أَعْطِ الرجالَ عَلَى مِـقْدَارِ أَنْفُـسِهِم وَأَوْلِ كُـلاًّ بِمَـا أَوْلَى وَمَـا صَبَـرَا
وَلاَ تقُـولَنَّ إِنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَـدٍ لاَ تَمْحَقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَا

ويقول له في أخرى:

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ للهِ وَالرِّضَـا إِذَا نَزَلَتْ بِـي خُطَّةٌ لاَ أَشَـاؤُهَا
إِذَا نحْـنُ أُبْنَـا سَـالمِين بِأَنـفسٍ كِرَامٍ رَجَتْ أَمْـراً فَخَـابَ رَجَاؤُهَا
فَـأَنْفُـسُنَا خَـيْـرُ الْـغَنِيـمَـةِ إِنَّهَـا تَؤُوبُ وَفِـيـهَا مَـاؤُهَا وَحَـيَـاؤُهَا
هي الأَنْفسُ الكُبْرُ الَّتِي إِنْ تَقَدَّمَتْ أَو اسْتَأْخَرَتْ فَالْقَتلُ بِالسَّيْف داؤهَا
سَـيَـعْلَمُ إِسْمَـاعِـيلُ أَنَّ عَـدَاوتِي له رِيقُ أَفْـعَـى لاَ يُصَـابُ دَوَاؤُهَا

ولما حُمِلَ إسماعيل مُقَيَّداً ومعـه ابناه أحدهما في سلسلة مقرونا معه، وكان الذي تولى ذلك أحمد بن أبي خالد في قصة كانت لإسماعيل أيامَ الخُضْرَةِ[3] فقال ابن أبي عُيَيْنَة في ذلك:

مَـرَّ إِسْـمَـاعِـيلُ وَابنَا ه مَـعَـا فِـي الأَسَـرَاءِ
جَـالِسًـا فِي مَـحْـمِلٍ ضَنْـ ك عَـلَى غَـيْـرِ وِطَاءِ
يَتَـغَـنَّى الْقَـيْـدُ فِـي رِجْـ لَيْـهِ أَلْـوَانَ الـغِـنَـاءِ

---

(١) يهدب: يقطع.

(٢) المنتكث: الهزبل، والملتاث: البطيء.

(٣) قال المرصفي: «أيام الخضرة هي الأيام التي أمر المأمون في جنده وقواده وبني هاشم أن تطرح شعار السواد، وأن تلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل علي بن موسى بن جعفر ولي عهد المسلمين من بعده وسماه الرضا». رغبة الآمل ٤ : ١٤١.

بَاكـيًـا لاَرَقَـأتْ عَـيْـ ـنَاهُ مِـنْ طُـولِ الـبُـكَـاء
يَا عُـقَـابَ الدَّجْنِ فـى الأمْـ ـنِ وَفِـى الخَـوفِ ابنُ مَـاء[1]

وقد كان تطيّر عليه بمثل ما نزل به، فمن ذلك قوله:

لاَ تَعْـدَمِ الْعَـزْلَ يَا أَبَا الحَـسَنِ وَلاَ هُزالاً فـى دَوْلَة السِّـمَنِ
وَلاَ انتـقَـالا منْ دَارِ عَـافـيَـة إلىَ ديَـارِ الْبَـلاَء وَالـفـتَنِ
وَلا خُـرُوجًـا إلَى القـفَـارِ منَ الْـ أَرْضِ وتَرْكَ الأَحْـبَـابِ وَالْوَطَنِ
كَمْ رَوْحَـة فـيكَ لِى مُـهَـجِّـرَة وَدُلْجَـة فى بَقِـيَّـة الْـوَسَنِ
فِى الْحَرِّ وَالْقُـرِّ كَى تُولَّى عَلى الْـ ـبَصْـرَة عَـيْنِ الأَمْـصَـارِ وَالْمُدُنِ
إنِّى أُحَـاجِـيكَ يَـا أَبَا حَـسَنِ مَـا صُـورَةٌ صُـوِّرَتْ فَـلمْ تكُنِ؟
وَمَـا بَـهِىٌّ فى الْعَـيْـنِ مَنْظَرُهُ لَـوْ وَزَنُـوهُ بالـزِّفِّ لَـم يَـزِنِ؟[2]
ظَـاهِـرُهُ رَائـعٌ وبَـاطِـنُـهُ مَـلآنُ منْ سَـوْءَة وَمِنْ دَرَنِ[3]

وهذا الشعر اعتـرض له فيه عمرو بن زَعْبَل، مـولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان منقطعًا إلى إسماعيل وولده، وكان لاَ يَبْلُغُ ابن أبى عُيَيْنَة فى الشعر ولا يدانيه، ومن أَمْثَل شعره وما اعْتَرَضَ لَه به قوله:

إنى أُحـاجِيكَ مَـا حَنِيفٌ عَلى الْـ ـفِـطْرَة بَـاعَ الرَّبَـاحَ بِالْغَـبَنِ
وَمَـا شُـيَـيْخٌ مِنْ تَحْت سِـدْرَته مُـعَلَّقٌ نَـعْلَهُ عَـلى غُـصُنِ؟
وَمَـا سُـيُوفٌ جُـمْـرٌ مُـصَـقَّلَةٌ قَدْ عُرِّيَتْ مِنْ مَـقَابِضِ السَّفَنِ؟[4]
وَمَـا سِـهَـامٌ صُـفْـرٌ مُـجَـوَّفَـةٌ تُحْـشَى خُيُـوطَ الْكَتَّـانِ والقُطُنِ؟
وَمَا ابْنُ مَاء إنْ يُـخْرِجُوهُ إلى الأَرْ ضِ تَسِـلْ نَفْـسُـهُ مِنَ الأُذُنِ؟
وَمَـا عُـقَـابٌ زَوْرَاء تُلْـجَمُ مِنْ خَلْف فَتَهْوِى قَصْدًا عَلَى سَنَنِ؟[5]
لَهَـا جَنَاحَـانِ يَحْـفِـزانِ بِهَـا نِيطَـا إِلَيْـهَـا بِجِـذْوَتَىْ وَسَنِ
يَا ذَا الْيَـمِينَينِ اضْـرِبْ عِلاَوَتَهُ[6] يُدْفَعْ وَمَـانِى فى النَّارِ فى قَـرَنِ[7]

---

(١) طائر بألف الماء. (٢) الزف: ريش النعام.
(٣) الدرن هنا. الدنس. (٤) السفن بالتحريك: جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف.
(٥) زيادات ر. «قبل السفينة، وقيل الراية، وهو أصح؛ لأن جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام».
(٦) العلاوة: الرأس.
(٧) زيادات ر. قوله. «وماني في النار في قرن» ماني: اسم علم، وكان رأسًا من رءوس الزنادقة».

فأجابه إبراهيم السَّواقُ مولى آلِ المُهَلَّبِ ـ وكان مُـقَدَّمًا فى الشعر ـ بأبيات لا أحفظ أكثرها، منها:

قَـدْ قِيـلَ مَا قِـيلَ فى أَبى حَـسَنِ ... فَـانْتَـحِـروا فى تَطـاُولِ الزَّمَنِ

وهذا السَّواق هو الذى يقول لـبُسْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المُهَلَّب:

سَـمَـاؤُكَ تُـمْطِرُ الـذَّهَبَـا ... وَحَـربُـكَ تَلتَـظِى لَهَـبَـا
وَأَىُّ كَـتِـيـبَـةٍ لاَقْـتَـ ... ـكَ لَمْ تَـسْـتَـحْـسِنِ الهـرَبَا

ومن شعره السائر:

هَبِـينِـى يَا مُـعَـذِبَتِى أَسَـأْتُ ... وَبِالْهِـجْـرَانِ قَـبْلَكُـمُ بَدَأْتُ
فَـأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْـكِ فَدَتْكِ نَفْسِى ... عَلَىَّ إِذَا أَسَـأْتِ كَـمَـا أَسَـأْتُ!

ولابن أبى عُيَيْنَة فى هذا المعنى أشعار كثيرة فى معاتبات ذى اليمينين وهجاء إسماعيل وغيرِه، سنذكرها بعدُ فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن شعره المستحسَن قوله فى عيسى بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس، وكانَ تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص هَزَارَ مَرْدَ[1]، وهو من ولد قَبيصةَ بن أبى صفرَةَ، ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ، وكان يقال لأبى صُفْرَةَ ظالم ابن سرَّاق:

أَفَاطِم قَـدْ زُوِّجْت عيسَى فأَيْقِنى ... بِذُلٍّ لَدَيْـه عَـاجِلٍ غَـيْـرِ آجِلِ
فإِنَّـكِ قَدْ زُوِّجْت عَنْ غَـيْرِ خِـبْرَة ... فَتًى مِنْ بَـنِى الْعَبَّاسِ لَيْـسَ بِعَاقِلِ
فَـإِنْ قُـلْت مِنْ رَهْط النَّبِىِّ فَـإِنَّهُ ... وَإِنْ كَانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
فـقَـدْ ظَفَـرَتْ كَـفَّـاهُ منْك بطَائِلِ ... ومَـا ظَفِـرَتْ كَـفَّـاك مِـنْهُ بطَائِلِ
وَقَـدْ قَالَ فِـيه جَـعْـفَرٌ ومُـحَمَّـدٌ ... أَقَـاوِيلَ حَـتَّى قَـالَـهَـا كُلُّ قَـائِلِ
وَمَـا قُلْتُ مَـا قَـالاَ لأَنَّكِ أُخْـتُنَا ... وفى السِّـرِّ منَّا وَالذُّرَا وَالْـكَوَاهِلِ
لَعَـمْـرِى لَقَـدْ أَثْبَـتُّـه فِى نِصَـابِه ... بأَنْ صِرْت مِنْهُ فى مَـحَلِّ الْحَلائِلِ
إِذَا مـا بَنُو الْعَـبَّاسِ يَوْمًـا تَبَـادَرُوا ... عُرَا الْمَجْـدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَـضَائِلِ

(١) زيادات ر: وقعت الرواية كما فى الأصل، وصوابه: «هزاذ مرد» بالزاى والذال معجمة، ولا خلاف فى الزاى».

رَأَيت أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ ... إلى بَيْعِ بَيَّاحَاته وَالْمَبَاقِلِ[1]
يُرَخِّمُ بَيْضَ العَامِ تحْتَ دَجَاجِهِ ... لِيُخْرِجَ بَيْضًا مِنْ فَرَارِيجِ قَابِلِ

قال أبو الْعَبَّاسِ: وَوَلَدُ عيسَى من فاطمة هذه لَهمْ شجاعةٌ ونَجْدَةٌ وشدة أبدان، وفاطمة التى ذكرتها هى التى كان يَنْسِبُ بها أبو عُيَيْنَة أخو عبد الله ويكْنى عنها «بدُنْيَا»، ومن ذلك قوله لها:

دَعَوتُك بالْقَرَابَة وَالْجِوَارِ ... دُعَاءَ مُصَرِّحٍ بَادِى السِّرَارِ
لأنِّى عَنْكَ مُشْتَغِلٌ بنفْسِى ... وَمُحْتَرِقٌ عَلَيْكَ بغَيْرِ نَارِ
وأَنْت تَوَقَّرِينَ ولَيْسَ عِندى ... عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ
فأَنْت لأنَّ مَا بك دُونَ مَا بى ... تُدَارِينَ الْعُيُونَ ولاَ أُدَارِى
ولَوْ وَاللهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِى ... جَمَحْتِ إلىَّ خَالِعَةَ الْعِذَارِ

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى الأَمِيرَ رِسَالة ... مَحْصُورَةً عِنْدى عَن الإنشَاد
كُلُّ الْمَصَائب قَدْ تَمُرُّ عَلى الْفَتَى ... فَتَهونُ غَيْرَ شَمَاتَة الْحُسَّادَ
وَأَظُنُّ لى منهَا لَديْكَ خَبِيئَةً ... سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّاد آخِرَ زَادَ
مَالِى أَرَى أَمْرِى لَدَيْكَ كَأَنَّهُ ... مِنْ ثِقْله طَوْدٌ مِنَ الأَطْوَادَ!
وَأَرَاكَ تُرْجِيه وتُمْضى غَيْرَهُ ... فى سَاعَةِ الإصْدَارِ وَالإيرَاد
اللهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائرًا ... منْ ضِيق ذَات يَد وَضِيق بلاد
لكنْ أَتَيْتُكَ زَائرًا لَكَ رَاجِيًا ... بكَ رُتْبَةَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادَ
قَدْ كَانَ لِى بالْمصْر يَوْمٌ جَامعٌ ... لَكَ مُصْلِحٌ فيه لكُلِّ فَسَادَ
وَدَعَوْتُ مَنْصُورًا فَأَعْلَنَ بَيْعَةً ... فى جَمْعِ أَهْلِ المصْر وَالأَجْنَادَ
بَارَتْ مُسَارَعَتِى إليْك بطَاعَتِى ... كُلَّ البَوَار وآذَنَتْ بكَسَادَ
فى الأَرْضِ مُنْفَسَحٌ وَرِزْقٌ وَاسِعٌ ... لِى عَنْكَ فى غَوْرِى وفى إنْجَادِى

وقال أيضًا يعاتبه:

أَيَاذَا الْيَمِينَيْنِ إنَّ العِتَا ... بَ يُغْرِى صُدُورًا وَيَشْفِى صُدُورا
وَكُنت أَرَى أنَّ تَرْكَ الْعِتَا ... بِ خَيْرٌ وأَجْدَرُ ألاَّ يَضِيرا

(١) البياحة: شبكة تحبس البياح، وهو نوع من السمك، والمباقل: مواضع بيع البقل.

إلى أنْ ظَـنَنْتُ بِأَنْ قَــدْ ظَنَنْتَ ... بِأَنِّي لِنَفْسِيَ أَرْضَى الْحَقِيرَا
فَأضْمَرَتِ النَّفْسُ فِي وَهْمِهَا ... مِنَ الْهَمِّ هَمًّا يَكُدُّ الضَّمِيرَا
وَلابُدَّ لِلْمَـاءِ فِي مِرْجَلٍ ... عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَفُورَا
وَمَنْ أُشْرِبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَنِيَّ ... وَمَنْ أُشْرِبَ الْحِرصَ كَانَ الْفَقِيرَا
عَلامَ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِي ... لَدَيْكَ وَنُصْرِي لَكَ الدَّهْرَ بُورَا
أَلَمْ أَكُ بِالمِصْرِ أَدعُو البَعِيدَ ... إِلَيْكَ وَأَدْعُو الْقَرِيبَ الْعَشِيرَا
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آت أَتَاكَ ... بِطَاعَةِ مَنْ كَانَ خَلْفِي بَشِيرَا
وَأَلْزَمُ غَرْزَكَ فِي مَأْقِطِ الْـ ... ـحُرُوبِ عَلَيْهَا مُقِيمًا صَبُورَا[1]
فَفِيمَ تُقَدِّمُ جُفَّالَةً ... إِلَيْكَ أَمَامِي وَأُدْعَى أَخِيرَا[2]
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى الْـ ... ـحَمِيَّ إِذَا زَارَ يَوْمًا أَمِيرَا
فَقَدَّمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ ... أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيرَا!
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ ... بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَزُورَا
وَلَسْتُ ضَعِيفَ الْهَوَى وَالمَدَى ... أَكُونُ الصَّبَا وَأَكُونُ الدَّبُورَا
وَلَكِنْ شِهَابٌ فَإِنْ تَرْمِ بِي ... مُهِمًّا تَجِدْ كَوْكَبِي مُسْتَنِيرَا
فَهَلْ لَكَ فِي الإِذْنِ لِي رَاضِيًا ... فَإِنِّي أَرَى الإِذْنَ غُنْمًا كَبِيرَا
وَكَانَ لَكَ اللهُ فِيمَا ابْتُعِثْتَ ... لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَصْرٍ نَصِيرَا
وَلا جَعَلَ اللهُ فِي دَوْلَةٍ ... سَبَقْتَ إِلَيْهَا وَرِيحٍ فُتُورَا
فَإِنَّ وَرَائِيَ لِي مَذْهَبًا ... بَعِيدًا مِنَ الأَرْضِ قَاعًا وَقُورَا[3]
بِهِ الضَّبُّ تَحْسَبُهُ بِالْفَلاةِ ... إِذَا خَفَقَ الآلُ فِيهَا بَعِيرَا
وَمَالاً وَمِصْرًا عَلَى أَهْلِهِ ... يَدُ اللهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
وَإِنِّي لَمِنْ خَيْرِ سُكَّانِهِ ... وَأَكْثَرِهِمْ بِنَفِيرٍ نَفِيرَا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه، وكان دعاه إلى نُصرته حين ظهرت المُبَيِّضَة[4] فلم يُجبه، فتوعّده عليٌّ، فقال عبد الله:

---

(١) الغرز: مساك رجل الراكب والمأقط: المضيق فى الحرب. (٢) الجفالة: كثير الجفول.

(٣) القاع: الأرض المستوية لا نبات فيها. والقور: جمع قارة، وهى قمة الجبل.

(٤) قال المرصفى: «المبيضة قوم من أعداء الدولة العباسية، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بنى العباس من لبس السواد».

أعليٌّ إنَّكَ جَاهلٌ مَغْرُورُ ... لاَ ظُلْمَةٌ لَكَ، لاَ وَلاَ لَكَ نُورُ
أَكَتَبْتَ توعِدُنى إذ اسْتَبْطَأْتَنِى ... إنِّى بَحربْكَ مَا حَيِيتُ جَدِيرُ
فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائرى ... أَطَنِينُ أَجْنِحَة الْبَعُوضِ يَضِيرُ
وإذَا ارْتَحَلْتُ فَإنَّ نَصْرِىَ للأُلَى ... آبَاؤُهُم المَهْدىُّ وَالْمَنصُورُ
نَبَتَتْ عَلَيْه لُحُومُنَا وَدِمَاؤُنَا ... وَعَلَيْه قُدِّرَ سَعْيُنَا المَشْكُورُ

وقال عبد الله فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المُهَلَّبِ مَنْ قتل بأرض السِّنْد بدم أخيه المُغيرة بن يَزيد:

أَفْنَى تَميمًا سَعْدَهَا وربَابَهَا ... بالسِّنْد قَتْلُ مُغيرَةَ بن يَزيد
صَعَقَتْ عَلَيْهم صَعْقَةٌ عَتَكِيَّةٌ(١) ... جَعَلَتْ لَهُم يَوْمًا كَيَوْمِ ثَمُودِ
ذَاقَتْ تَمِيمٌ عَرْكَتَيْنِ عَذَابَنَا ... بالسِّنْد من عُمَر وَمَنْ داود
قدنا الجِياد من العراق إليهم ... مِثْلَ القَطَا مُسْتَنَّةً لوُرُود(٢)
يحملن من ولد المهلب عصبة ... خُلِقَتْ قُلُوبُهُمُ قُلُوبَ أُسُودِ

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطوَّلة:

إذَا كَرَّ فيهِمْ كَرَّةً أفْرَجُوا لَهُ ... فرارَ بُغَاث الطَّيْرِ صَادَفْنَ أَجْدَلاَ
وَمَا نِيلَ إلا مِنْ بَعِيد بحَاصِب ... مِنْ النَّبْلِ والنُّشَّاب حَتَّى تَجَدَّلاَ
وَإنِّى لَمُثْنٍ بالَّذِى كَانَ أَهْلَهُ ... أَبُو حَاتم إنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَعْضَلاَ
فَتَى كَانَ يَسْتَحْيِى مِنَ الذَّمِّ أَنْ يَرَى ... لَهُ مَخْرَجًا يومًا عَلَيْه وَمَدْخَلاَ
وَكَانَ يَظُنُّ المَوْتَ عَارا عَلَى الْفَتَى ... يَد الدَّهْرِ إلا أَنْ يُصَابَ فَيُقْتَلاَ
مَنِيَّةُ أَبْنَاء المُهَلَّب إنَّهُمْ ... يَرَوْنَ بهَا حَتْمًا كتَابا مُعَجلاَ
وَقَدْ أَطْلَقَ اللهُ اللِّسَانَ بقَتْلِ مَنْ ... قَتَلْنَا به منْهُمْ وَمَنَّ وَأَفْضَلاَ
أَنَاخَ بهِمْ دَاوُدُ يَصْرِفُ نَابَهُ ... وَيُلْقِى عَلَيْهِمْ كلْكَلاً ثُمَّ كلْكَلاَ
يُقَتِّلُهُمْ جُوعًا إذَا مَا تَحَصَّنُوا ... وَتَقْرِيهِمْ هُوجُ المَجَانيق جَنْدَلاَ

وهذا شعر عجيب من شعره.

---

(١) عتكية: منسوبة إلى جده الأكبر عتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن ماء السماء. رغبة الآمل ٤ : ١٥١.

(٢) مستنة: مسرعة فى طيرانها.

وفى هذه القصة يقول:

أَبَت إلاَ بُكَاءً وانتحابَا ... وَذِكْراً لِلْمُغِيرَةِ وَاكْتِئَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأنَّ الْقَتْل وِرْدٌ ... لنَا كَالْمَاء حِينَ صَفَا وَطابَا
وَقُلْتُ لَهَا: قِرِى وَثِقِى بِقَوْلِى ... كَأَنَّك قَدْ قَرأْت به كِتَابَا
فَقَدْ جَاَء الكِتَابُ به فَقُولِى ... أَلاَ لاَ تَعْدَمِ الرَّأْى الصَّوَابَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنَ بِغْدَادَ شُعْثًا ... عَوَابِسَ تَحْمِلُ الأُسْدَ الغِضَابَا
بِكُلِّ فَتًى أَغَرَّ مُهَلَّبِىٍّ ... تَخَالُ بِضَوءِ صُورته شِهَابَا
وَمِنْ قَحْطَانَ كُلُّ أَخِى حِفَاظ ... إذَا يُدْعَى لنَائبَةٍ أَجَابَا
فَمَا بَلَغَتْ قُرَى كَرْمَانَ حَتَّى ... تَخَدَّدَ لَحْمُهَا عَنْهَا فَذَابَا
وَكَانَ لَهُنَّ فى كَرْمَانَ يَوْمٌ ... أَمَرَّ عَلَى الشُّرَاة بِهَا الشَّرَابَا(1)
وَإِنَّا تَارِكُونَ غَداً حَدِيثًا ... بِأَرْض السِّنْد سَعْداً وَالرِّبَابا
تُفَاخِرُ بِابْنِ أَحْوزِهَا تَمِيمٌ ... لَقَدْ حَانَ الْمُفَاخِرُ لِى وَخَابَا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عُيَيْنَة:

أَعَاذِلُ صَهْ لَسْتَ مِنْ شِيمَتِى ... وَإِنْ كُنْتَ لِى نَاصِحًا مُشْفِقَا
أَرَاكَ تُفَرِّقُنِى دَائِبًا ... وَمَا يَنْبَغِى لِىَ أَنْ أَفْرَقَا(2)
أَنَا ابْنُ الَّذِى شَادَ لِى مَنْصِبًا ... وَكَانَ السِّمَاكَ إِذَا حَلَّقَا
قَرِيعُ الْعِرَاقِ وَبِطْرِيقُهُمْ ... وعِزُّهُمُ الْمُرْتَجَى الْمُتَّقَى
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَا مَا ذَهَبْـ ... ـتُ أَنْطِقُ فى المَجْدِ أَنْ يَنْطِقَا
أَنَا ابْنُ الْمُهَلَّبِ مَا فَوقَ ذَا ... لعَالٍ إلَى شَرَفٍ مُرْتَقَى
فَدَعْنِىَ أُغْلِى ثِيَابَ الصِّبَا ... بِجِدَّتِهَا قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَا

***

قال أبو الحسن: وهذا شعر حَسَنٌ، أوله:

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ أَنْ تَعْشَقَا ... وَمَا أَنْتَ وَالْعِشْقُ لَوْلاَ الشَّقَا
أمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النُّهَى ... وَشَمِّكَ رَيْحَانَ أَهْلِ النَّقَا
عَشِقْتَ فَأَصْبَحْتَ فى الْعَاشِقِيـ ... ـنَ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا

(1) الشراة: جماعة من الخوارج.

(2) تفرقنى: تخوفنى.

ثم قال:

* أعاذِلُ صَهْ لَسْت مِنْ شِيمَتى *

ثم قال بعد قوله:

* فَدَعْنِىَ أغْلِى ثِيَابَ الصبَّا *

أَدُنْيَاى مِنْ عَمْرِ بَحْرِ الهَوَى ... خُذِى بِيَدِى قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أنا لَكِ عَبْدٌ فَكُونِى كَمَنْ ... إِذَا سَرَّهُ عَبْدُهُ أعْتَقَا

قال أبو الحسن: قوله «أنَا لكِ عبدٌ» فوصل بالألف، فهذا إنما يجوز فى الضرورة، والألف تَثْبُتُ فى الوقف لبيان الحركة، فلم يُحتَجْ إلى الألف، ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة، كقوله:

فَإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِينًا فَإِنَّنى ... سَأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا

لأنه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الهاء وَحْدَها، فأَجْرَى الوصل على الوقف، وأنشدوا قول الأعشى:

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتِحَالُ الْقَوَا ... فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا

والرواية الجيدة: «فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالُ القَوَافِ بَعْدَ المَشِيبِ»

سَقَى اللهُ دُنْيا عَلَى نَأْيِهَا ... مِنَ الْقَطْرِ مُنْبَعِقًا رَيِّقَا
أَلَمْ أَخْدَعِ النَّاسَ عَنْ حُبِّهَا ... وَقَدْ يَخْدَعُ الْكَيِّسُ الأَحْمَقَا
بلَى وَسَبَقْتُهُمُ إِنَّنِى ... أُحِبُّ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ أسبِقَا
وَيَوْمَ الجِنَازَةِ إِذْ أَرْسَلَتْ ... على رقبة أن جِئْ الخَنْدَقَا
إِلَى السَّالِ فَاخْتَرْ لَنا مَجْلِسًا ... قَرِيبًا وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُقَا

ـ هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة، يقولون: «السال» بالتخفيف، وإنما هو السالُّ يا هذا، وجمعه سُلاَّن، وهو الغالُّ وجمعه غُلاَّنٌ، وهو الشَّقُّ الخفىّ فى الوادى ـ

فَكُنَّا كَغُصْنَيْنِ مِنْ بَانَة ... رَطِيبَيْنِ حدثَانَ مَا أَوْرَقَا
فَقَالَتْ لِتِرْبٍ لَهَا اسْتَنْشِدِيـ ... ـهِ مِنْ شِعْرِهِ الْحَسَنِ الْمُنْتَقَى

فَقُلْتُ أُمِرْتُ بِكِتْمانه ... وَحُذِرْتُ إنْ شاعَ أَنْ يُسْرَقا
فَقالَتْ بِعَيْشِكِ! قُولِي لَهُ ... تَمَتَّعْ لَعَلَّكَ أَنْ تَنفَقا

قوله: «لعلك أن تنفقا» اضطرار. وحقه «لعلك تَنْفُقُ»؛ لأن «لَعَلَّ» من أخوات إنَّ فأُجْرِيَتْ مُجْرَاها، ومن أتى بأن فلمضارَعتها عسى، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة:

لَعَلَّكَ يَوْماً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدَعْنَكَ أَجْدَعا

وهو كثير.

***

قال أبو العباس: وزعم أبو مُعاذ النُّمَيْرِيّ أنه كان يَعْتاد عبدَ الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَة، ويكثر المقامَ عنده، وكانَ راويةً لشعره، وأُمُّ ابن أبي عُيَيْنَة بن المهلب يقال لها: خَيْرَة، وهي من بني سلَمة الخَيْرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْب بن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة، فَأَبْطَأْتُ عليه أياما فكتب إليَّ:

تَمَادى فِي الجَفَاءِ أَبُو مُعاذ ... وَرَاوَغَني وَلاذَ بِلا مَلاذ
وَلَوْلاَ حَقُّ أَخْوَالِي قُشَيْرٌ ... أَتَتْهُ قَصَائدٌ غَيْرُ اللَّذَاذ
كَما رَاحَ الْهِلاَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ ... بِهِ سِمَةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَاذ[1]

ـ يعني محمد بن حرب بن قَبِيصة بن مُخَارِق الهلاليّ، وكان من أقْعَدِ الناس.

ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله ﷺ، وكان قد سار إليه فأكرمه وبَسَطَ له رِدَاءَهُ وقال: «مرحبًا بخالي»! فقال: يا رَسول الله، رَقَّ جِلْدي، ودَقَّ عَظْمي، وقَلَّ مالي، وهُنْتُ على أهلي! فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أَبْكَيْتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء».

ومحمدُ بن حَرْبٍ هذا وَلِيَ شُرْطَةَ البصرة سبع مرات، وكَانَ على شُرْطَة جعفر بن سليمان على المدينة، وكَانَ كثير الأدب غَزِيرَهُ، فَأَغْضَبَ ابنَ أبي عُيَيْنَة

(١) الحاذ: الظهر.

فى حُكْمٍ جَرَى عليه بحضرة إسحاق بـن عيسى ـ وكان على شرطته إذ ذاك ـ ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عُيَيْنَة:

بِأخْـوَالى وأَعْـمَـامى أقَـامَتْ قُـرَيْشٌ مُلْكهـا وبِهَـا تُهَـابُ
مَـتَـى مَـا أَدْعُ أَخْـوَالى لـحَـرْبٍ وأَعْـمَـامـى لنَائبَـة أَجـابُوا
أنَـا ابْـنُ أَبِـي عُيَيْنَة فَـرْعُ قَـوْمى وكَـعْبٌ وَالدى وأَبى كـلابُ
خَـلاَ ابْـنِ عُكَابَةَ الظَّرْبَان سَـهلٍ لَهُ فَـسْـوٌ تُصَـادُ به الضِّـبَـابُ
وآخَـر مِنَ هلاَل قَـدْ تَـدَاعَى فَـصَـارَ كَـأَنَّهُ الشَّىْءُ الخَـرَابُ

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كَان ابن شُبْرمةَ إذا نزلت به نازلةٌ قال: سَحابة ثم تَنْقَشِعُ.

وكان يقال: أربع من كنوز الجنة: كِتْمانُ المصيبـة، وكِتمانُ الصدقةِ، وكِتْمانُ الفاقةِ، وكِتْمانُ الوجعِ.

قال عمـر بن الخطاب رحمه الله: لو كـان الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيـرَيْن ما باليتُ أيَّهما رَكِبْتُ.

[العتبى يذكر ابنا له مات]

وقال العُتْبِىُّ محمد بن عبيد الله، يذكر ابنًا له مات:

أَضْـحَتْ بِخَـدِّى للدُّمُـوعِ رُسُـومُ ... أَسَـفًـا عَلَيْكَ وَفِـى الْفُـؤَادِ كُلومُ
وَالصبْـرُ يُحْمَدُ فِى المَصَـائِبِ كُلِّهَا ... إلا عَلَـيْكَ فَـإِنَّه مَـذْمُـومُ

قال أبو العـباس: وأحسب أن حبـيبًا الطائى سـمع هذا فاستَرَقَـهُ فى بيتين: أحدهما قوله فى إدريس بن بَدْر الشامى:

دُمُـوعٌ أَجَابَتْ دَاعِىَ الْحُـزْنِ هُمَّعٌ ... تَـوَصَّلُ مِـنَّا عَـنْ قُـلُوبٍ تَـقطَّـعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازمًا ... فَأَصْـبَحَ يُدْعَى حازِمـا حِينَ يجزَعُ

والآخر قوله:

قَالُوا الرَّحِـيلَ! فَمَا شَـكَكْتُ بِأَنَّهَا ... نَفْـسى عَنِ الدُّنْـيَـا تُرِيدُ رَحِـيـلا
الصَّـبْـرُ أَجْـمَـلُ غَـيْـرَ أَنَّ تَلَدُّدا ... فِى الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يكُونَ جَـمِيلا

وقال سابقٌ البَرْبَرِىُّ:

وَإِنْ جَـاءَ مَا لاَ تَسْـتَطِيعَـانِ دَفْعَـهُ ... فَلاَ تَجْزَعَا مِمَّـا قَضَى اللهُ وَاصْبِرَا

وقال آخر أيضًا:

اصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الَمجْلُوبِ وَارْضَ بِهِ ... وَإِنْ أَتَاكَ بِمَـا لاَ تَشْـتَـهِى الْقَـدَرُ
فَـمَا صَـفَـا لاِمْرِئٍ عَـيْشٌ يُسَـرُّ بِهِ ... إِلاَ سَـيَـتْـبَعُ يَوْمًـا صَـفْـوَهُ كَـدَرُ

[خالد بن صفوان مع بلال بن أبي بردة]

وكان خالد بن صَفْوان يدخل على بلال بن أبى بُرْدَة يحدثه فَيَلْحَن، فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثنى أحاديثَ الخلفاء، وتَلْحَنُ لحْنَ السقَّاءات! قال التَّوَّزى: فكان خالدُ بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الإعْرابَ، وكُفَّ بَصَرُهُ فكان إذا مَرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول: ما هذا؟ فيقال له: الأمير، فيقول خالد:

* سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيل تَقشَّعُ *

فقيل ذلك لبلال، فأجلسَ معه مَنْ يأتيه بخبره، ثم مَرَّ به بلال، فقال خالد كما كان يقول، فقيل ذلك لبلال، فأقبَلَ على خالد فقال: لا تَقَشَّع والله حتى تصيبَك منها بشؤْبوب بَرَدٍ! فضربه مائتى سوط. وقال بعضهم: بل أمَرَ به فديسَ بطنُه.

قوله: «بشؤبوب»، مهموز، وهو الدُّفْعَة من المطر بشدة، وجمعه شآبيبُ. قال النابغة يخاطب القبيلة:

وَلاَ تُلاَقِى كَمَا لاَقَتْ بَنُو أَسَدٍ ... فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهَا بشُؤْبُوبِ

يريد ما نال بنى أسد من غارة النعمان عليهم، وضرب الشؤبوب مثلا للغارة، والغارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلا، كما يقال شَنَّ عليهم الغارةَ، أى صبَّها عليهم، قال ابن هَرْمَة:

كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَأْتُ لَبَّتَهَا ... بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ أَو جَمَلِ

يريد ما وَجَأها به من حديدة، يقول: لما وَجَأْتُها دَفَعَتْ بشؤبوب من الدم، فكأنه قال: «بسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ»، أو ما أشبه بذلك.

[خالد بن صفوان وسليمان بن علي]

وكان خالد بن صَفْوان أحدَ مَنْ إذا عَرَضَ له القولُ قال، فيقال: إن سليمان ابن علىّ سأله عن ابْنَيْه جعفر ومحمدٍ، فقال: كيف إحمادُك جوارَهما يا أبا صفوان؟ فقال:

أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ ... فَيَالَكَ جَارَى ذِلَّةٍ وَصَغَارِ!

* * *

ش: قوله: أبو مالك، صوابه «أبو نافع» وهو مَوْلَى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

* * *

فأَعْرَضَ عنه سُليمانُ، وكان سُليمانُ من أَحْلَمِ الناسِ وأكرمِهم، وهو فى الوقت الذى أَعْرَضَ فيه عنه والِى البَصْرَةِ وعَمُّ الخليفة المنصور، والشعر الذى تَمَثَّلَ به خالد ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيرِى، قال:

سَقَى اللهُ دَاراً لى وأَرْضاً تَرَكْتُهَا ... إلَى جَنْبِ دَارَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ ... فَيَالَكَ جَارَىْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ !

* * *

وكَان الحسن يقول: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإن عَرَضَ له القولُ نظر، فإن كَان له أن يقول قال، وإن كان عليه القولُ أَمْسَكَ، ولسانُ الأَحْمَق أمامَ قلبه، فإذا عرض له القول قال، كان عليه، أَوْ لَهُ.

وخالدٌ لم يكن يقول الشِّعْرَ، ويُرْوَى أنه وَعَدَ الفَرَزْدَقَ شيئًا فأخره عنه، وكان خالد أحد البُخَلاء، فمر به الفَرَزْدَقُ فَهَدَّدَهُ، فأمسك عنه حتى جاز الفَرَزْدَقُ، ثم أقبل على أصحابه فقال: إن هذا قد جَعَلَ إحْدَى يَدَيْه سَطْحًا، وملأ الأخرى سَلْحًا، وقال: إن عَمَرْتُمْ سَطْحِى، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسلْحى !

[من أخبار إياس بن معاوية]

وقال إياسُ بن معاوية المُزَنِىُّ أبو واثلةَ ـ وكان أحد العقلاء الدُّهاة الفضلاء ـ لخالد: لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس، فقال له خالد: وكيف يا أبا واثلة؟ فقال: لأنك لا تحب أن تسكت، وأنا لا أحب أن أسمع !

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلا فى دَيْنٍ وهو قاضى البصرة، فَطَلَبَ منه البيِّنَةَ، فلم يأته بمَقْنَع، فقيل للطالب: استَجِرْ وَكِيعَ بن أبى سُود حتى يَشْهَدَ لك، فإن إياسًا لا يَجْتَرِئُ على رَدِّ شهادته، ففعل، فقال وكيعٌ: والله لأَشْهَدَنَّ لك، فإن رَدَّ شهادتى لأُعَمِّمَنَّه السيفَ ! فلما طَلَعَ وكيعٌ فَهِمَ إياسٌ عنه فأقْعَدَهُ إلى جانبه، ثم سأله عن حاجته، فقال: جئتُ شاهدًا، فقال له: يا أبا المُطَرِّفِ، أتشهد

كما تفعل المَوَالى والعَجَمُ؟ أنت تَجلٌّ عن هذا ! فقال: : إذَن والله لا أشهد، فقيل لوكيع بَعْدُ: إنما خَدَعَك، فقال: أَوْلَى لابن الَّلخْناء !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فرده، فشكا الرجل ذلك إلى الحسن، فأتاه الحسن فقال: يا أبا واثلة، لم رَدَدْتَ شهادةَ فلان؟ فقال: يا أبا سعيد، إن الله تعالى يقول: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[1] وليس فلان ممن أَرْضَى.

[من أخبار أبى دلامة]

واختلف نُصرانىٌّ إلى أبى دُلامةَ مولى بنى أسد يَتَطَبَّب لابن له، فوعده إن بَرأَ عَلَى يديه أن يُعْطيه أَلْفَ درْهَم، فبرأ ابنه، فقال للمتطبّب: إن الدراهمَ ليست عندى، ولكن والله لأُوَصِّلَنَّها إليك، ادَّعِ على جارى فلان هذه الدراهم فإنه مُوسِر، وأنا وابنى نشهد لك، فليس دون أخذها شىءٌ، فصار النصرانىٌّ بالجار إلى ابْنِ شُبْرُمَةَ، فسأله البينةَ، فطلع عليه أبو دُلامةَ وابْنُهُ، ففهم القاضى، فلما جلس بين يديه قال أبو دُلامةَ:

إِن النَّاسُ غَطَّوْنى تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ ... وَإِنْ بَحَثُونى كَانَ فِيهِمْ مَبَاحِث
[وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِى حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ ... لِيَعْلَمَ قَومٌ كَيْفَ تِلْكَ النَّبَائِثُ]

فقال ابْنِ شُبْرُمَةَ: من ذا الذى يَبْحَثُكَ يا أبا دُلامةَ؟ ثم قال للمدعى: قد عرفتُ شاهدَيْكَ ! فَخلِّ عن خصمك، ورُحِ العَشِيَّةَ إلىَّ، فراح إليه فَغَرِمها من ماله.

[من أخبار عبيد الله بن الحسن العنبرى]

وشهد أبو عُبَيْدَةَ عند عُبَيْدِ الله بن الحسن العَنْبَرِىً على شهادة ورجل عدل، فقال عبيدُ الله للمُدَّعِى: أما أبو عبيدة فقد عرفته، فزدنى شاهدًا.

وكان عبيدُ الله أحد الأدباء الفقهاء الصُّلحاء، وزعم ابن عائشة قال: عَتَبْتُ عليه مرة فى شىء، قال: فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم، وأنا أخرج فقلت مُعَرِّضًا به:

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

طَمِـعْتَ بِلَيْـلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَـا تُقَطِّعُ أَعْـنَاقَ الرِّجَـالِ المَطَامِعُ[1]

فأنشدني مُعَرِّضًا تاركا لما قصدتُ له:

وَبَايَعْتُ لَيْلَـى فِى خَـلاءٍ وَلَمْ يَكنْ شُـهُودٌ عَلَـى لَيْلَى عُدُولٌ مَـقَـانِعُ

وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عنه حدَيْثًا عجيبًا، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث.

ذكر ابن عائشـة، وحدثنى عنه جماعة لا أحـصيهم كَثرَة: أن عـبيد الله بن الحسن شهد عـنده رجل من بنى نَهْشَل على أمر أَحْسبُهُ دَيْنًا فـقال له: أَتَرْوِى قولَ الأسود بن يَعْفُر:

* نَامَ الْخَلِىُّ فَمَا أَحِسُّ رُقَادِى *

فقال له الرجل: لا! فَرَدَّ شهادَتَه وقال: لو كان فى هذا خير لَرَوَى شرف أهله.

[من أخبار سوار بن عبد الله]

فحـدثنى شيخ من الأَزْد حديثًـا ظننت أن عبيـد الله إياه قَصَدَ، قـال: تقدم رجل إلى سَوَّارِ بن عـبد الله - وسَوَّار ابنُ عَـمٍّ عبيـد الله بن الحسن - يَدَّعى دارًا، وامرأةٌ تدافعهُ وتقـول لسَوَّار: إنها والله خِطَّةٌ ما وقع فيهـا كتاب قَطُّ. فأتى المدعى بشاهدين يـعرفهـما سَوَّار، فـشهدا له بـالدار، وجعلت المرأة تنكر إنكارا يَعـضُده التصديق، ثم قالت: سَلْ عن الشـهود، فإن الناس يتغيرون، فَرَدَّ المسـألة، فَحُمِدَ الشاهدان. فلم يزل يُرَيِّثُ أمورَهم، ويسألُ الجيرانَ، فكلٌّ يصدِّقُ المرأةَ، والشاهدان قد ثبتـا، فشكا ذلك إلى عبيد الله. فـقال له عبيد الله: أنا أحْـضرُ مجلس الحُكْم معك فآتيك بالجَلِيَّة إن شاء الله تعالى، فقال للشاهدين: ليس للقاضى أن يسألكما كيف شـهدتما، ولكن أنا أسـألكما. قـال: فقالا: أراد هذا أن يَحُجَّ فـأدارنا على حُدُودِ الدار من خـارج، وقال: هذه دارى، فإن حـدث بى حادث فَلْتُبَعْ ولْتُـقْسَمْ على سبيل كـذا، قال: أفعندكما غـيرُ هذه الشهادة؟ قالا: لا، فقـال: الله أكبر! وكذا لو أدرتُكما على دارِ سَوَّار، وقلت لكما مثل هذه المقالة، أكنتـما تشهدان بها لى؟ فَفَهِمَا أنهما قد اغترَّا، فكان سَوَّار إذا سأله عن عدالة الشـاهد يُتْبِعُ المسألةَ أن يقول: أفجائز العدالةِ هو؟ فظننت أن عبيـد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه.

(١) زيادات ر «ألمت».

وحدثنى أحد أصحابنا أن رجلا من الأعْراب تقدم إلى سَوَّار فى أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ، فاجتهد فلم يَظْفَرْ بحاجته، قال: فقال الأعرابى، وكانت فى يده عَصًا:

رأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا ... وَكُنْتُ للأَحْلاَمِ عَبَّارا
بِأَنَّنِى أَخْبِطُ فِى لَيْلَتِى ... كلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارَا

ثم انحنى على سَوَّار بالعصا فضربه حتى مُنِعَ منه، قال: فما عاقبه سَوَّارٌ بشىء.

قال: وحُدِّثْتُ أن أعرابيا من بنى العَنْبَرِ سار إلى سَوَّار فقال: إن أبى مات وتركنى وأخًا لى ـ وخط خطين فى الأرض ـ ثم قال: وَهَجِينًا ـ وخط خَطًّا ناحية ـ فكيف نَقسم المال؟ فقال: أهاهنا وارثٌ غيركم؟ قال: لا، قال: المال بينكم أثلاثا. فقال: لا أحسبُك فَهِمْتَ عنى! إنه تركنى وأخى وهَجينًا لنا، فقال سَوَّار: المال بينكم أثلاثا، قال: فقال الأعرابى: أيأخذ الهجينُ كما آخذ، وكما يأخذ أخى! قال: أفعل! فغضب الأعرابى، قال: ثم أقبل علىَّ سَوَّار فقال: تَعَلَّمْ والله إنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء، فقال سَوَّار: إذًا لا يَضيرنى ذلك عند الله شيئًا[1].

[أنفة عقيل بن علفة]

وكان عَقيلُ بن عُلَّفَة من الغَيْرة والأَنَفَة على ما ليس عليه أحدٌ علمناه، فخطب إليه عبدُ الملك بن مَرْوَان ابنته على أحَدِ بَنِيهِ، وكانت لعَقيل إليه حاجاتٌ فقال: أمَّا إذْ كنتَ فاعلا فجنِّبنى هُجَناءَك.

وخَطَبَ إليه ابنتَه إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوَليدِ بن المغيرة ـ وهو خال هشام بن عبد الملك ووالِى المدينة، وكان أبيضَ شديد البياض ـ فردَّه عَقيلٌ وقال:

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِىِّ لَمَّا ... أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إلا احْمِرارا

وكانت حَفْصةُ بنت عمرانَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد مِيتَ عنها، فخطبها جماعةٌ من قريش، أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن

(١) زيادات ر: «قيل إنه ليس بالدهناء أمة، وإنما كان فيها الحرائر».

على بن أبى طالب، وأحدهم إبراهيم بن هشام، فكان أخوها محمد بن عمران، إذا دخل إلى إبراهيم بن هشام أوسع له وأنشده:

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا ... فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أُحِبُّكَ أَنْ نَزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى ... وَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنَ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَر الْعُذْرِى، فأما جَمِيلُ بن معمرٍ الجُمَحِىُّ فلا نَسَبَ بينهُ وبين معمر، أى ليس بينه وبينه أبٌ آخر، وكانت له صُحْبَةٌ، وكان خاصًا بعمر بنْ الخطاب رضى الله عنه.

[عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب]

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله، فسمعته يُنْشِدُ بالرُّكبانيَّة[1]:

وَكَيْفَ ثَوَائِى بِالمدينة بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ عليه قال لى: أسَمِعتَ ما قلتُ؟ فقلتُ: نَعَمْ! فقال: إنَّا إذا خَلَوْنَا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم.

* * *

قال ش: وَهِمَ أبو العباس رحمه الله فى هذا، وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف يُنْشِدُ.

* * *

[لأبى خراش - وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر]

وكان جَمِيلُ بن معمر الجُمَحِى قتل أخا لأبى خراش الهُذَلِّى يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه، ففى ذلك يقول أبو خراش:

فَأُقْسِمُ لَوْ لاَقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لآبَكَ بِالْعَرْجِ الضِّبَاعُ النَّوَاهِلُ
لَكَانَ جَمِيلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَةً ... وَلَكِنَّ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ
وَعَادَ الفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ ... سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ

(١) الركبانية: غناء للعرب فيه مد وتمطيط. (رغبة الآمل).

قوله: «أسوأ الناس صرعة»، أى الهيئة التى يُصْرَعُ عليها كما تقول: جلست جِلْسَةَ وركبت رِكْبَةً، وهو حَسَنُ الْجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ، أى الهيئة التى يَجْلس عليها ويَرْكَبُ عليها، وكذلك القعْدَة والنِّيمَة. وقوله: «لآبك»، أى لعادَكَ، وأصل هذا من الإياب والرُّجوع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾[1]. وقال عَبِيدُ بن الأبْرَصِ[2]:

* وَكُلُّ ذى غَيْبَةٍ يَئُوبُ *

وقوله: «بالعَرْجِ»، فهو ناحية من مكة، به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عَفَّانَ، فسمى العَرْجِىَّ، ويقال: بل كان له مال بذلك الموضع، فكان يقيم فيه.

* * *

قال ش: هذا وَهْمٌ من أبى العباس رحمه الله، وأما صوابه فعبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه.

* * *

والنَّواهلُ فيه قولان: أحدهما العطاشُ ـ وليس بشىء ـ والآخر الذى قد شَرِبَ شَرْبَةً فلم يَرْوِ، فاحتاج إلى أَنْ يَعُلَّ، كما قال امْرُؤُ الْقَيس:

إذ هُنَّ أَقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبَى ... أَوْ كَقَطًا كاظِمَةَ النَّاهِلِ[3]

وقوله: «أحاطَتْ بالرقاب السلاسلُ»، يقول: جاء الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوتار إلا على وجهها، وكان يقال: إن أول من أَظْهَرَ الجَوْرَ من القضاة فى الحُكم بلالُ بن أَبى بُرْدَةَ، وكان أمير البصرة وقاضيها، وفى ذلك يقول رُؤْبَةُ[4]:

وأَنْتَ يا بن القاضِيَيْنِ قاضِ

وكان بلال يقول: إن الرجلين لَيتقدَّمان إلىَّ فأَجِدُ أحدَهما على قلبى أَخَفَّ فأقضى له.

---

(١) سورة الغاشية ٢٥.

(٢) بقيته كما فى زيادات ر:

* وغائبُ الموتِ لاَ يَئُوبُ *

(٣) أقساط: قطع. الدبى: جماعَة الجراد.

(٤) بعده كما فى زيادات ر:

* مُعتزم على الطريق ماض *

[بلال بن أبى بردة وعمر بن عبد العزيز]

ويروى أن بلالا وَفَد على عمر بن عبد العزيز بِخُناصِرَةَ، فَسَدِكَ [ش: معناه لَصِق] بسارية من المسجد، فجعل يصلى إليها ويديم الصلاة، فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المُغيرة بن البُنْدار: إنْ يكُنْ سرُّ هذا كعَلانِيَتِه فهو رجلُ أهلِ العراق غيرَ مُدافَع، فقال العَلاء: أنا آتيك بخبره، فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء، فقال: اشْفَعْ صَلاتَكَ فإن لى إليك حاجةً، ففعل، فقال العلاءُ: قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين، فإن أنا أَشَرْتُ بكَ على ولايةِ العراق فما تجْعَلُ لى؟ قال: لك عُمَالتى[1] سنة، وكان مَبْلَغُها عشْرِينَ أَلْفَ أَلْف درهم، قال: فاكتب لى بذلك، قال: فارْقَدَّ[2] بلالٌ إلى منزله، فأتى بِدَواة وصَحيفة فكَتَبَ له بذلك.

فأتى العلاء عمر بالكتاب، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ـ وكان والىَ الكوفة ـ أما بعد: فإن بلالا غَرَّنا بالله فكدنا نَغْتَرُّ، فَسَبَكْناهُ فوجدناه خَبَثًا كُلَّهُ، والسلام.

ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد: إذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فلا تستَعِنْ على عملك بأحد من آل أبى موسى.

[شعر ذى الرمة فى بلال]

قال أبو العباس: وكان بلالٌ داهيةً لقِنًا أديبًا، ويقال: إن ذا الرُّمَّة لَمّا أنشده:

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا ... فَقُلْتُ لصَيْدَحَ انْتَجِعى بِلالاَ
تُنَاخِى عِنْدَ خَيْرِ فَتًى يَمَانٍ ... إذَا النَّكْبَاءِ نَاوَحَتِ الشَّمَالاَ

فلما سمع قوله:

* فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِى بِلالاَ *

قال: يا غلامُ، مُرْ لها بقَتٍّ ونَوًى، أراد أن ذا الرُّمَّة لا يُحْسِنُ المدح.

---

(١) زيادات ر: «العمالة؛ بضم العين: أجرة العامل».

(٢) زيادات ر: «معناه: أسرع».

قوله: «سمعت الناسُ ينتجعون» حكاية، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعت هذه اللفظةَ، أى قائلا يقول: «الناسُ ينتجعون غَيْثًا»، ومثل هذا قوله:

وَجَدْنَا فِى كِتَابِ بَنِى تَمِيمٍ أَحَقُّ الخَيْلِ بالرَّكْضِ المُعَارُ

فمعناه: وجدنا هذه اللفظةَ مكتوبةً، فقوله: «أَحَقُّ الخَيْلِ» ابتداء، «والمُعَارُ» خبره، وكذلك «الناسُ» ابتداء، و«ينتجعون» خبره. ومثل هذا فى الكلام: قرأتُ «الحمدُ لله ربِّ العالمينَ»، إنما حكَيْتَ ما قرأتَ، وكذلك قرأتُ على خاتَمه «اللهُ أكبرُ» يا فتى، فهذا لا يجوز سواه.

وقوله: «إذَا النَّكْبَاءِ نَاوَحَت الشَّمالاَ» فإن الرياح أربع، ونكباواتُها أربعٌ، وهى الريح التى تأتى من بين ريحين فتكون بين الشَّمال والصَّبا، أو الشَّمال والدَّبور، أو الجَنُوب والدَّبور، أو الجَنُوب والصَّبا، فإذا كانت النَّكْبَاء تُناوِحُ الشمالَ فهى آيةُ الشتاء. ومعنى «تَنَاوحُ» تُقابلُ، يقال: تَنَاوَحَ الشَّجَرُ، إذا قابل بعضُهُ بَعْضًا، وزعم الأصمعى أن النائحة بهذا سُمِّيَتْ؛ لأنها تقابل صاحبتها.

وقال يَحْيى بن نَوْفَل الحِمْيَرِىُّ - ويقال إنه لم يَمْدَحْ أحدًا قط:

فلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِحًا للنَّوال فَتًى لاَمْتَدَحْتُ عَلَيْه بِلاَلاَ
ولكنَّنى لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ بِمَدْحِ الرِّجَال الْكِرَامِ السُّؤَالاَ
سَيَكْفِى الْكَرِيمَ إِخَاءُ الْكَرِيم وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالاَ

ومن أحسن ما امْتَدحَ به ذو الرُّمَّة بِلاَلاً قوله:

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِى مُتَرَوِّحًا عَلَى بَيْتِهَا منْ عنْد أَهْلِى وَغَادِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بالمصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا: لاَ إِنْ أَهْلِى لَجِيرَةٌ لأَكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعًا وَمَالِيَا[1]
وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنى فى خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
وَلَكنَّنى أَقْبَلْتُ منْ جَانِبَىْ قَسًا أَزُورُ فَتًى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
منْ آلِ أَبِى مُوسى تَرَى القَوْمَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكرَوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرِمِّينَ منْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ تَفَادَى أُسُودُ الْغَابِ مِنْهُ تَفَادِيَا

(١) زيادات ر: قوله «لا» لحن، وهذا اللحن راجع على المرأة؛ لأن «لا» لا تقع إلا فى جواب «أو»، وإنما سألته بأم، وهى لم يستقر عندها علم.

وَماَ الْخُـرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الخَنَى   عَلَيْـهِمْ وَلَكِنْ هَيْـبَةٌ هِـىَ مَا هِيـا

قوله «مَـدرجى» يقول: مُرورى، فـأما قولهم فى المَثَلِ: خَـيْرٌ مَنْ دَبَّ ومن دَرَجَ، فمعناه: مَنْ حَيِى ومَنْ ماتَ، يريدون: مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ومَنْ دَرَجَ منْها فذهب.

وقوله:

* أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا *

فـإنه يقال فى هذا المعنى: ثَـوَى الرجلُ فهـو ثاوٍ، يا فتى، إذا أقـام، وهى أكثر، ويقال: أَثْوَى فهو مُثْوٍ يا فتى، وهى أَقَلُّ من تلك، قال الأعْشَى:

أَثْوَى وَقَـــصَّـــرَ لَـيلَةً لِيُـــزَوَّدا   فَمَـضَى وأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَـوْعِدَا

وقوله: «قَـسًا»، فـهو مـوضع من بلاد بنى تميم. وقولـه: «لأكثبـة الدهنا» فأَكْثِبَـةٌ جمع كَثِيب، وهو أَقَلُّ العدد، والكثير كُـثبٌ وكُثْبانٌ: والدَّهنا من بلاد بنى تميم، ولم أَسمَعْ إلا القصر من أهل العلم والعرب، وسمعت بَعْدُ من يَرْوى مَدَّها ولا أعرفه، قال ذو الرمة:

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَـا فَقلْتُ لهـا   أُمِّى هِلاَلاً عَلَى التَّـوْفِيقِ وَالرَّشَـدِ

يعنى هِلال بن أَحْوَزَ المازنى، وقال جرير:

* بَارٍ يُصَعْصِعُ بِالدَّهْنا قَطًا جُونا *

وقوله:

* كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا *

فالكِرْوَان جماعة كَـرَوان، وهو طائر معروف، وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكمـاله، ولكنه على حذف الـزيادة، فالتـقدير: كَـرًا وكِرْوانٌ، كـما تقـول: أَخٌ وإِخْوَانٌ، ووَرَل ووِرْلانٌ، وبَرَقٌ وبِرقَانٌ، والـبَرَقُ أعجمىٌ ولكنه قـد أُعْرِبَ وجُمِعَ كما تُجْـمَعُ العربيةَ، واستعـمل الكَرَوانُ جمعًا على حذف الزيادة، واسْـتُعْمِلَ فى الواحد كذلك، تقول العرب فى مَثَلٍ من أمثالها:

أَطرِقْ كَـــــرَا أَطْـرِقْ كَـــــرَا   إِنَّ النَّـعَـــــامَ فى الْـقُــــرى

يريدون الكَرَوانَ.

وقوله:

* من آل أبي موسى ترى القوم حوله *

فقال: «تَرَى»، ولم يقل: تَرَيْنَ، وكانت المخاطَبَةُ أَوَّلا لامرأة، ألا تراه يقول:

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنى فى خُصُومَةٍ ... أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حَوَّل المخاطَبَة إلى رجل، والعرب تفعل ذلك، قال الله عزَّ وجل: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[1]، فكأنَّ التقدير - والله أعلم -: كان النَّاسُ، ثم حُوِّلَتِ المخاطبةُ إلى النبي ﷺ. وقال عَنْتَرةُ بن شَدَّاد:

شَطَّتْ مزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ ... عَسِرًا عَلَىَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

وقال جرير:

مَا لِلْمَنَازِلِ لاَ تُجِيبُ حَزِينا ... أَصَمِمْنَ أَمْ قَدُمَ الْمَدَى فَبَلِينا

وَتَرَى الْعَوَاذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلاَمَتِى ... وَإِذَا أَرَدْنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

قال أولا لرجل، ثم قال: «سوى هواكِ». وقال آخر:

فِدًى لَكَ وَالِدِى وَسَرَاةُ قَوْمِى ... وَمَالِى إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِى

على تحويل المخاطبة.

وقوله: «مُرِمِّين»، يريد سكونًا مُطْرِقين، يقال: أَرَمَّ إذَا أَطْرَقَ ساكتًا.

وقوله: «تَفادَى أُسودُ الغاب» معناه تفتدى منه بعضُها ببعضٍ. وفى الخبر أن سليمان بن عبد المَلك أمر بدفع عيال الحَجَّاجِ ولُحْمَته إلى يَزِيد بن المُهَلَّبِ فَتفادَى منهم، تأويله: فَدَى نَفسَهُ من ذلك المَقام بغيره. وقوله:

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الْخَنَى ... عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِىَ مَا هِيَا

إذا رفعت «هيبة» فالمعنى: ولكن أمره هيبة، كما قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلا ساعةً من نَهَارٍ بَلاغٌ﴾[2]، أى ذلك بلاغ، ومثله قوله عز وجل:

---

(١) سورة يونس ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف ٣٥.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْروف﴾[1] يكون رفعُهُ على ضربين أحدهما أمْرنا طاعةٌ وقولٌ معروف، والوجه الآخر طاعةٌ وقولٌ معروف أمْثَلُ. ومن نصب «هيبَةً» أراد المصدر، أى ولكن يُهابُ هَيبةً.

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى:

يُغْضى حياء ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فما يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال الْفَرَزْدَقُ، يعنى يَزِيدَ بن المهلب:

وإذَا الرِّجَال رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأبْصَارِ

وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتًا على فَوَاعِل، لئلا يلتبس بالمؤنث، لا يقولون: ضارِب وضَوَارب، وقاتِل وقواتِل؛ لأنهم يقولون فى جمع ضاربة: ضوارب، وقاتلة: قواتل، ولم يأت ذلك إلا فى حرفين: أحدهما فى جمع فارِس: فَوَارِس؛ لأن هذا مما لا يستعملُ فى النساء فَأَمِنُوا الالتباسَ، ويقولون فى المثل: هو هالكٌ فى الهوالك، فَأَجْرَوْه على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَل، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال: «نواكس الأبصار»، ولا يكون مثل هذا أبدًا إلا فى ضرورة.

(١) سورة محمد ٢١.

باب

[لجرير وقد نزل بقوم من بنى العنبر فلم يقروه]

قال جرير: ونزل بقوم من بنى العَنْبَرِ بن تميم فلم يَقْرُوهُ حتى اشْتَرَى منهم القِرَى، فانصرف وهو يقول:

يَا مَالكَ بنَ طَرِيفٍ إنَّ بَيْعَكُمْ ... رِفْدَ القِرَى مُفْسِدٌ للدِّينِ وَالحَسَبِ

قَالُوا نَبِيعُكَهُ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ ... بِيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ

لَوْلاَ كِرَامُ طَرِيفٍ مَا غَفَرْتُ لكُمْ ... بَيْعِى قِرَاىَ وَلاَ أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِى

هَلْ أَنْتُمُ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ ... رِيشُ الذُّنَابَى وَلَيْس الرَّأْسُ كالذَّنَبِ

قوله: «يَا مَالِكَ بنَ طَرِيفٍ» فمن نصب، فإنما هو على أنه جعل «ابنًا» تابعا لما قبل، كالشىء الواحد، وهو أكثر فى الكلام إذا كان اسمًا عَلَمًا منسوبا إلى اسم علم، جعل «ابن» مع ما قبله بمنزلة الشىء الواحد، ومثل ذلك:

* يَا حكَمَ بن المُنْذِرِ بن الجارود *(1)

ومن وقف على الاسم الأول، ثم جعل الثانى نعتاً لم يكن [فى الأول](2) إلا الرفع، لأنه مفردٌ نُعتَ بمضاف، فصار كقولك: يا زيدُ ذا الجمَّة.

وقوله: «ولاَ أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِى»، يقول: لم أُؤخِّرْهُ عنكم، يقال: نَسَأَ اللهُ فى أَجَلكَ، وأَنْسَأَ اللهُ أجَلكَ، والنَّسىءُ من هذا، ومعناه تأخير شهر عن شهر، وكانت النَّسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بنِ كنانَة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفْرِ﴾(3)؛ لأنهم كانوا يؤخرون الشهور، فيُحَرِّمون غير الحرام، وَيحلُّونَ غير الحَلاَل، لِمَا يقدِّرونه من حروبهم وتصرفهمْ، فاستوَت الشهورُ لَمَّا جاء الإسلام، وأَبان ذلكَ رسول الله ﷺ فى قوله: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ استَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ».

وقوله:

* هل أنتُمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ *

---

(1) الرجز لأعشى بن الحرماز، وبعده:

* سرادق المجد عليك ممدود *

(2) تكملة من س.

(3) سورة التوبة ٣٧.

فالأُشَابَةُ جماعة تَدْخُلُ فى قوم وليست منهم، وإنما هو مأخوذ من الأمر الأَشْب، أى المختلط، ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْرِبَ. يقال بالفارسية: وَقَعَ القومُ فى آشوب [أى][1] فى اختلاط، ثم تَصَرَّفَ فقيل: تَأَشَّبَ النبتُ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ[2].

وأما الزَّعانفُ فأصلها أجنحة السَّمك، سمى بذلك الأَدْعِيَاء؛ لأنهم التصقوا بالصَّميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك، قال أَوْسُ بن حَجَر:

وَمَازَال يَفْرِى الشدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... قَوَائمُه فى جَانِبَيْه زَعَانفُ[3]

وتزعم الرُّواةُ أن مَا أَنِفَتْ منه جِلَّةُ المَوَالى هذا البيتُ، يعنى قول جرير:

* بِيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحْيُوا منَ الْعَرَبِ *

لأنه حَطَّهم ووَضَعَهم، ورأى أن الإساءَة إليهم غير محسوبة عَيْبًا. ومثل ذلك قول المُتَنَجِع لرجل من الأشراف: مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ؟ قال: الفرائضَ، قال: ذلك علْمُ المَوَالى لا أبا لك! عَلِّمهُمُ الرَّجزَ، فإنه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ[4]. ومن ذلك قول الشَّعبىِّ ـ ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو، فقال: لئن أَصْلَحْتموه إنَّكُمْ لأَوَّل من أفسده! ومن ذلك قول عَنْتَرَةَ:

فَمَا وَجَدُونَا بِالْفَرُوقِ أُشَابَةً ... ولاَ كُشُفًا وَلاَ دُعِينَا مَوَالِيا[5]

ومن ذلك قول الآخر:

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَابَ وَالعَرَبُ اسمُنا ... وَأَسْمَاؤُهُمْ فينا رِقَابُ المَزَاوِدِ

يريد أسماؤُهم عندنا الْحَمْرَاءُ، وقول العرب: ما يخفى ذلك على الأسْوَدِ والأحمر، يريد الْعَرَبِىَّ والْعَجَمِىَّ. وقال المختَارُ لإبراهيم بن الأَشْتَرِ يوم خَازِرٍ[6] وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه عبيد الله بن زياد: إنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاء الْحَمْرَاءُ، وإنَّ الحرب إن ضَرَّسَتْهُمْ هربوا، فَاحْمِل العربَ على مُتُونِ الخيلِ، وأَرْجِلِ الحمراءَ أمامهم.

---

(١) من ر.

(٢) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العباس، ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب؛ لأن فاء الفعل من الأشابة همزة، ومن أوشاب واو، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة، وأبدلت الواو المضمومة همزة».

(٣) يفرى الشد: يأتى بالعجب فى عدوه. (٤) يهرت أشداقهم: يوسعها.

(٥) الفروق. اسم موضع. والكشف: الذين لا يصدقون فى القتال.

(٦) زيادات ر: «وقعت الرواية كما فى الأصل، ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله: «جازر» بالجيم».

ومن ذلك قول الأشْعَث بن قَيْس لعلي بن أبي طالب رحمه الله، وأتاه يَتخَطّى رقابَ النَّاس، وعليٌّ على المِنْبَر فقال: يا أمير المؤمنين، غَلَبَتْنَا هذه الحمراء على قُرْبَكَ، قال: فَرَكَضَ عليٌّ المِنْبَرَ برجله، فقال صَعْصَعَة بن صوحانَ العَبْدي: مالنا ولهذا؟ يعني الأشعث، لَيقولَنّ أميرُ المؤمنين اليومَ في العرب قَوْلاً لا يَزَال يُذْكَر، فقال عليٌّ: مَنْ يَعْذِرُني من هذه الضَّياطرة، يَتَمَرَّغُ أحَدُهُم على فراشه تَمرُّغَ الحمار، ويُهَجِّرُ قومٌ للذكر، فيأمرني أن أطْرُدهم، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين، والذي فَلَقَ الحبة، وبَرأَ النَّسَمَةَ، لَيَضْرِبُنَّكُمْ على الدِّين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءاً.

قوله: «الضَّياطرة» واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطارٌ، وهو الأحمر العَضِلِ الفاحشُ، قال خداشُ بن زُهَيْر:

وتَرْكَبُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرةِ الْحُمْرِ

وإنما قال جَرِيرٌ لبني الْعَنْبَر:

* هل أنتمُ غير أوشاب زعانفة *

لأن النَّسَّابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم، إنما هو ابن عمرو بن بهْرَاء، وأُمُّهُمْ أم خارجةَ الْبَجَلِيَّةُ التي يقال لها في المَثَل: «أَسْرَعُ من نكاح أمِّ خارجَة»، فكانت قد وَلَدَتْ في العرب في نَيِّف وعشرين حَيًّا من آباء متفرقين، وكان يقول لها الرجلُ: خِطْبٌ؟ فتقول: نكْحٌ! كذلك قال يونس بن حبيب، فَنَظَرَ بنُوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهمَ، فأحَسُّوا بأنه أراد أمَّهم، فبادروا إليه ليمنعوه تَزَوُّجهَا، وسَبَقَهُم لأنه كان راكبا، فقال لها: إنَّ فيك لبَقيَّة؟ فقالتْ: إن شئتَ... فجاءوا وقد بَنَى عليها، ثم نقلها بعدُ إلى بلده، فتزعم الرواة أنها جاءت بالْعَنْبَر معها صغيراً، وأَوْلدَهَا عمرو بن تميم أُسَيِّدًا وَالْهُجَيْمَ وَالْقُلَيْب، فخرجوا ذات يوم يَسْتَقون فَقَلَّ عليهم الماء، فأنزلوا ماتحًا من تميم، فَجَعَلَ الماتحُ يملأ الدلو إذا كانت للهُجَيْم وأُسَيِّد وَالْقُلَيْب، فإذا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَر تركها تضطرب، فقال العنبر:

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا ... وَالنَّأْيُ عَنْ بَهْرَاءَ وَاغْتِرَابُهَا

* إلاَّ تجِئْ مَلأَى يَجِئْ قُرَابُهَا[1] *

فهذا قول النَّسَّابين.

---

(١) أي ما يقارب ملأها.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال يومًا لعائشة رحمها الله، وقد كانت نَذَرَتْ أنْ تُعْتِقَ قَوْمًا منْ ولَد إسْماعيل، فَسُبِيَ قومٌ من بنى الْعَنْبَر، فقال لها رسول الله ﷺ: «إنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتقى الصَّميمَ من ولد إسْماعيل فَأَعْتقى من هؤلاء». فقال النَّسَّابون: فَبَهْرَاءُ من قُضَاعَة، وقد قيلَ قُضَاعَةُ من بنى مَعَدٍّ، فقد رجعوا إلى إسماعيل.

ومن زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حِمْيَر ـ وهو الحق ـ قال: فالنسب الصحيح فى قَحْطان الرُّجوعُ إلى إسماعيل وهو الحق. وقول المُبَرِّزِينَ من العلماء: إنما الْعَرَبُ المتقدمة من أولاد عابَرَ، ورَهْطُهُ عاد وطَسْم وجَديس وجُرْهَم والعَماليق، فأما قحطان عند أهل العلم، فهو ابن الْهَمَيْسَع بن تَيْمَنَ بن نبتْ بن قَيْذَار بن إسماعيل صلوات الله عليه، فقد رجعوا إلى إسماعيل، وقد قال رسول الله ﷺ لقوم من خُزاعة ـ وقيل من الأنْصَار: «ارْمُوا يا بنى إسماعِيلَ، فإن أباكم كان راميًا».

[ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم]

قال يحيى بنُ نَوْفَل: «يَهْجُو الْعُرْيَان بن الْهَيْثَم بن الأَسْوَد النَّخَعِيَّ ـ وكانَ العُرْيَانُ تزوج زَبَاد» من ولد هانئ بن قَبِيصة الشَّيْبَانى، وكانت عند الْوَليد بن عبد الملك فطلقها، فتزوجها العريان، وكان ابنُ نَوْفَل له هَجَّاءً، فقال:

أَعُرْيَانُ مَا يَدْرى امْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ ... أَمنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ منْ إيَاد !
فَإنْ قُلْتُمُ منْ مَذْحِجٍ إنَّ مَذْحِجًا ... لَبِيضُ الْوُجُوه غَيْرُ جِدٍّ جِعَاد
وأَنْتُم صِغَارُ الهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّمَا ... وُجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادَ
فَإنْ قُلْتُمُ الْحَىُّ اليَمانُون أَصْلُنَا ... ونَاصِرُنَا فى كُلِّ يَوْمِ جِلاَدَ
فَأَطْوِلْ بأَيْر منْ مَعَدٍّ ونَزْوة ... نَزَتْ بإِيَاد خَلْفَ دَار مُرَادَ
لَعَمْرُ بَنِى شَيْبَانَ إذْ يُنْكِحُونَهُ ... زَبَاد لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بزبَادَ
أَبَعْدَ الْوَلِيد أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيَة عَيْرًا خِلاَفَ جَوَادَ
وأَنْكَحَهَا لاَ فِى كِفَاء ولاَ غِنًى ... زِيَادٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْىَ زِيادَ

قوله:

* أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إيَادِ *

فبنو مَذْحج بنو مالك بن زيد بن زيد بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ. وإياد بنُ نزَار بن مَعْد بن عَدْنان، ويقال: إن النَّخْعَ وثقيفًا أخَوان من إياد، فأما ثَقيفٌ فهو قَسِىٌّ بن مُنبِّه بن بكر بن هَوَازن بن منصور ابن عكْرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن النَّضَرَ، فهذا قول قوم، فأما آخرون فيزعمون أنَّ ثَقيفًا من بقايا ثمود، ونسبهم غامض على شرفهم في أخلاقهم، وكثرة مَناكحهمْ قُرَيْشًا.

وقد قال الحجاج على المنبر: تزعمون أنَّا من بَقايا ثَمُود، والله عز وجل يقول: ﴿وثَمودَ فَمَا أَبْقَى﴾[1]. وقال الحجاج يوما لأبي العَسُوس الطائىُّ: أىٌّ أَقْدَمُ؟ أَنُزُول ثقيف الطائفَ أم نزول طَيِّئ الجبلين؟ فقال أبو العَسُوس: إن كانت ثقيفٌ من بكر بن هَوازنَ فنزول طيئ الجبلين قبلها. وإن كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم، فقال الحجاج: يا أبا العَسُوس، اتَّقِنى فإنى سريع الْخَطْفة للأحمق المتهوِّك[2]! فقال أبو العَسُوس[3]:

يُؤَدِّبُنِى الْحَجَّاجُ تَأْديبَ أَهْله	فَلَوْ كنْتُ منْ أَوْلَادِ يُوسُفَ مَاعَدَا
وإنى لأخْشَى ضَرْبَةً ثَقَفِيَّةً	يَقُدُّ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ الْمُقلَّدَا
عَلَى أَنَّنِى مِمَّا أُحَاذِرُ آمِنٌ	إذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا الْمَرْءُ واعْتَدَى

[المغيرة بن شعبة وهند بنت النعمان بن المنذر]

وقد كان المغيرةُ بن شُعْبَةَ، وهو والى الكوفة، سار إلى دَيْر هنْد بنت النُعْمَان ابن الْمُنْذر، وهى فيه عَمْيَاءُ مُتَرَهِّبَةٌ، فاستأذن عليها، فقيل لها: أَميرُ هذه الْمَدَرَة بالباب، فقالت: قولوا له: أَمِنْ وَلَد جَبَلَة بن الأيْهَم أنت؟ قال: لا، قالت: أَفَمِنْ وَلَد الْمُنْذر بن ماء السماء؟ قال: لا، قالت: فَمَنْ أنتَ؟ قال: المغيرةُ بن شُعْبَةَ الثَّقَفِىُّ، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبًا، قالت: لو كنتَ جئتنى لجمال أو لمال لأَطْلَبْتُكَ، ولكنك أردتَ أن تَتَشرَّفَ بى فى مَحَافل العرب، فتقول: نَكحتُ ابنةَ النُعْمَانِ بن المنذر، وإلاَّ فَأَىُّ خير فى اجتماع أَعْوَرَ وَعَمْيَاءَ! فَبَعَثَ إليها: كيف

---

(1) سورة النجم ٤٣.

(2) المتهوِّك: المتهور.

(3) زيادات ر: «روايه عاصم رحمه الله العَسُوّس [بالواو المشددة] والعَسْوَس [بسكون السين وفتح الواو]، وفى رواية ش كما فى داخل الكتاب».

كان أمركم؟ فقالت: سأختَصِرُ لك الجواب. . .أمسينا مَسَاءً، وليس فى الأرض عَرَبِىٌّ إلا هو يَرْغَبُ إلينا ويَرْهَبُنا، ثم أصبحنا وليس فى الأرض عربى إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه، قال: فما كان أبوك يقول فى ثقيف؟ قالت: اختصم إليه رجلان منهم، أحدهما يَنْمِيهَا إلى إياد، والآخر إلى بكْرِ بن هَوَازن فَقَضَى بها للإِيادىِّ، وقال:

إنَّ ثَقِيفًا لَمْ تكن هوازِنا ... ولَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا

يريد عامر بن صَعْصَعَةَ ومَازِنَ بن منصور، فقال المغيرةُ: أما نحن فمن بكر ابن هَوَازن، فَلْيَقُلْ أبوكِ ما شاء !

[فى رثاء الأشتر]

وقالت أختُ الأشْتَرِ، وهو مالك بن الحارث النَّخَعِىُّ تُبكِّيه، وهذا الشعر رواه أبو اليقظان، وكان متعصبا:

أَبَعْدَ الأَشْتَرِ النَّخَعِىِّ نَرْجُو ... مُكَاثَرَةَ ونَقْطَعُ بَطْنَ وَادِ !
وَنَصْحبُ مَذحِجًا بإخاء صدْق ... وَإِنْ نُنْسَبْ فَنَحْنُ ذرَا إيَادِ
ثقيفٌ عَمُّنَا وَأَبُو أَبِينا ... وَإِخْوَتُنَا نِزَارُ أُولوا السَّدَادِ

قوله: «وأَنْتُمْ صغَارُ الهَامِ حُدْلٌ»، فالأَحْدَلُ المائلُ العُنُقِ، يقال: قوسٌ حَدْلاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُهَا، قال الراجز:

لَهَا(١) مَتَاعٌ ولَهَاةٌ فَارِضُ ... حَدْلاَءُ كالزِقِّ نحاهُ الماخِضُ

وأما قوله: «زيادِ» يا فتى، فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر.

وقوله: «لَقَدْ مَا قَصَّرُوا». فما زائدة. مثل قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾(٢) ولو قال: لَقِدْمًا قَصَّرُوا لم يكن جيدا، ودخل الْوَكِيد فى الذم.

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «لها» والصواب «له» لأنه يعنى الفحل من الإبل؛ لأن الشقشقة لا تكون للأنثى، قاله ش».
(٢) سورة نوح ٢٥.

وقوله: «كَمُنْزِيَة عَيْرًا خلاَفَ جَوَاد» يقول: بعد جـواد، قال الله عز وجل: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ﴾(١).

وقوله: «لاَ فِى كِفاء» يقال: هو كُفْـؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَفِيئُكَ وكِـفَاؤُكَ، إذا كان عَديلَكَ فى شرف أو ما أشبهه، كما قال الْفَرَزْدَقُ:

* وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت:

* بنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ *

وآل مسـمع: بيت بكر بن وائل، والحَبِـطات هم بنو الحارث بن عـمرو بن تميم، وإنما قال هذا الْفَرَزْدَقُ حين بلغه أن رجـلا من الحبطات خَطَبَ امرأة من بنى دارمِ ابن مالك، فأجابه رجل من الحبطات:

أَمَـا كَـانَ عَـبَّـادٌ كَـفِـيـئًـا لِدارِمٍ ... بَلَى وَلأَبْيَـاتٍ بِهـا الْحُـجُـرَاتُ

عَبَّاد، يعنى بـنى هاشم، وقد تقدم هذا البيت للفـرزدق فى مواضع، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُـوًا أَحَدٌ﴾(٢) وقال عـمر بن الخطاب رحـمه الله: لأَمْنَعَنَّ النساء إلا من الأكـفاء، وتَحَدَّث أصـحابُنا عن الأصمعى عن إسـحاق بن عيسى، قال: قُلْتُ لأمير المؤمنين الرَّشيد أو المهدىِّ: يا أمير المؤمنين، مَنْ أكفاؤُنا؟ قال: أعداؤنا، يَعنى بنى أُميَّةَ، وزيادٌ الذى ذَكَرَ كان أخاها.

هذا تفسير ما كان من المؤنث على «فعَالِ» مكسورَ الآخر.

وهو على أربعة أضرب، والأصل واحد.

قال أبو العباس: اعلـم أنه لا يُبْنَى شىءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفـة معدولٌ عن جهته، وهو فى المؤنث بمنزلة فُعَل، نحـو عُمَر وقُثَمَ فى المذكر، وفُعَلَ معدول فى حال المعرفـة عن فاعِلٍ، وكان فاعِل ينصرف، فلما عُدل عنه فُعَلُ لم ينصرف، وفَعَال معدولة عن فاعلةَ، وفاعلَةُ لا ينصرف فى المعرفة فعُدل إلى البناء؛ لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنىُّ، وبنى على الكسر لأن فى فاعلَةَ

(١) سورة التوبة ٨١.

(٢) سورة الإخلاص٤.

علامـةَ التأنيث، وكان أصلُ هذا أن يـكون إذا أردت به الأمر ساكنا كـالمجزوم من الفعْـلِ الذى هو فى معناه، فكَسَـرْتَهُ لالتقـاء الساكنين، مع مـا ذكرنا من عـلامة التأنيث والكسـر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامـة، تقول للمـرأة: أنت فَعَلْت، فالكسر علامة التأنيث، وكذلك إنـكِ ذاهبة، وضربتُكِ يا امرأةُ، فمما لا يكون إلا معرفة مكسـورًا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يا فـتى، ومعناه انْزِل، وكذلك تَرَاكِ زيدًا أى اتركه، فهما معدولان عن المتاركـة والمنازلة، وهما مؤنثان معرفتان، يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرناه، قال الشاعر تصديقا لذلك:

وَلَنِعْـمَ حَـشْـوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِـيَـتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الـذُّعْـرِ

فقال: «دعيتْ» لما ذكرته لك من التأنيث، وقال الآخر، وهو زَيْدُ الْخَيْلِ:

وَقَـدْ عَلِمَتْ سَـلاَمَـةُ أَنَّ سَـيْـفِى كَـرِيهٌ كُلَّـمَـا دُعِـيَـتْ نَزَالِ

وقال الشاعر:

تَرَاكِـهَـا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِـهَـا أَمَـا تَرَى الموْتَ لدَى أَوْرَاكِـهَـا

أى اتْرُكها. وقال آخر[1]:

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقال آخر[2]:

* نَظَارِ كَىْ أَرْكَبَهُ نَظَارِ *

فهذا باب من الأربعة.

ومنها أن يكون صفـة غـالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم، نحو قولـهم للضَّبُعِ: جَعَارِ يا فتى، وللمنيـةِ حَلاقِ يافتى؛ لأنها حـالقة، والدليل على التأنيث بعـد ما ذكرناه قوله:

لَحِقَتْ حَـلاَقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسَـائِهِمْ ضَـرْبَ الرِّقَـابِ وَلاَ يهِمُّ المغْنَمُ[3]

وتقـول فى النداء يا فَسَاقِ ويـا خَبَاثِ ويالَكاعِ، تريـد يا فاسقةُ ويا خـبيثةُ ويا لُكعاءُ؛ لأنه فى النداء فى موضع معرفة كما تقول للرجل: يا فُسَقُ ويا خُبَثُ، ويا لُكَعُ[4]، فهذا باب ثان.

(١) زيادات ر: «هو رؤبة». (٢) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٣) الأكساء: المتأخرون.

(٤) زيادات ر: «حكى ابن السراج عن أبى عبيدة: فرس لكع للمذكر، ولكعة للمؤنث».

ومن ذلك مَا عُدِلَ عن المصدر نحو قوله[1] يَذُمُّ الْخَمْرَ:

جَمَادِ لهَا جَمَادِ ولاَ تَقُولِى ... طَوَالَ الدَّهْرِ مَا ذُكِرَتْ حَمَادِ

وقال النابغة الذبْيَانِيُّ:

إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا ... فَحَمَلْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلْتَ فَجَارِ[2]

يريد قُولِى لها جُمودًا، ولا تقولى لها حَمْدًا هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثًا. وهذا باب ثالث.

والباب الرابع أَنَ تُسَمِّىَ امرأةً، أو شيئًا مؤنثًا باسم تَصُوغُهُ على هذا المثال، نحو رَقَاشِ وحَذَامِ وقَطَامِ ومَا أشبهه، فهذا مؤنث معدول عن راقشةَ وحاذمةَ وقاطمةَ، إذا سميت به. وأهلُ الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت؛ لأنه معدول فى الأصل وسُمِّىَ به، فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذى كان قبله، فلم يغيروه، فعلى ذلك قالوا:

* اسْقِ رَقَاشِ إنها سَقَّاية *

وقال آخر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ... فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وينشدون:

* وأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَرَاءٌ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع، والصحيح «فقد أَقْفَرَتْ سَلْمَى شَرَاء»، لأن قبله:

* تَأَبَّدَ مِنْ أَطْلاَلِ حَمْرَةَ مَأْسَلُ *

والشعر لنَمِرِ بن تَولِبٍ.

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعت فَسَمَّوْا به صرفوه فى النكرة، ولم يصرفوه فى المعرفة، وسيبويه يختار هذا القول، ولا يَرُدُّ القولَ الآخر، فيقول: هذه رَقَاشُ قد جاءتْ، وهذه غلابُ قد جاءتْ، وهذه غلابٌ أخرى، ولا اختلاف

---

(١) زيادات ر: «هو المتلمس بذم الخمر».

(٢) زيادات ر: «برة: اسم علم لجميع البر، وفجار لجميع الفجور، لابن جنى، تخصيصه برة بفعلت، وفجار بافتعلت، مثل قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾، فكسب للخير واكتسب للشر.

بين العرب في صرفه إذا كان نكرة، وفي إعـرابه في المعرفة، وصرفه في النكرة إذا كان اسـما لمذكر، نحـو رجل تسميـه نَزَالِ أو رَقاشِ أوْ حَلاقِ، فـهو بمنزلة رجل سميته بعَناقٍ أو أتان؛ لأن التأنيث قد ذهبَ عنه، فـاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بـأنكَ لو سمـيت شيئـا بالفعل الـذي هو مأخوذ منـه لأعربته، نـحو انْزِلْ واضْرِبْ، لو سميتَ بهما رجلا لجرى مـجرى إصْبَعٍ وأحْمَدَ وإثْمِدٍ، ونحو ذلك، فهذا يحيط بجميع هذا الباب.

[لامرأة من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيئ]

قال أبو العباس، وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صَعْصَعَةَ زُوجَتْ في طَيِّئٍ:

لا تَحْـمَدَنَّ الدَّهْـرَ أخْتٌ أخًا لَهَـا ... ولاَ تَـرْثِيَـنَّ الـدَّهْرَ بِـنْـتٌ لوَالِـدِ

هُمُ جَـعَلوهَا حَيْـثُ لَيْسَتْ بِحُـرةٍ ... وَهُمْ طَرَحُوهَا في الأقَاصِي الأبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما النكاح رقٌّ فَلْيَنْظُر امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته. وعلى هذا جاءت اللغـة، فقالوا: كنا في إمْلاكِ[1] فلان، وفي ملك فـلان، وفي ملك فلان، وفي مـلكة فلان، وفي ملكـان فلان، ويقـول الرجل: مَلَكْتُ المرأة وأمْلَكْتُنيـها وَلِيُّهـا، ومن ذلك أنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيـها حِنْثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتَاق.

وقال رسول الله ﷺ: «أوصيكُمْ بالنساء فـإنهنَّ عندكم عوان» أي أسيراتٌ، ويقال: عَنِيَ فـلانٌ في بَني فلان إذا أقام فيـهم أسيرا، ويقـال: فلاَن يَفُكُّ العُناةَ، وأصل التعنية التذليل، وأصل الإسارِ الوثاقُ، ويقـال للقَتَب مأسور إذا شُدَّ بالقدِّ، هذا أصل هذا، فأمـا المَثَلُ في قولهم: إنما فلان غُلٌّ قَـمِلٌ، فإنهم كانوا يتـخذون الأغلال من القدِّ، فكانت تَقْمَلُ.

[لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء]

وقال رجل يذكر امرأة زُوِّجَتْ من غير كُفْءٍ:

لَقَـدْ فَرِحَ الْوَاشُـونَ أنْ نال تَغْلَبٌ ... شَـبِيـهَةَ ظَبْيٍ مُـقْلَتَـاهَا وجِيـدُهَا

أضَـرَّ بِهَا فَـقْدُ الْوَلِيِّ فَـأصْبَـحَتْ ... بِكَفِّ لَـئِـيمِ الْوَالِدَيْـن يَقُـودُهَا

---

(١) الإملاك: مصدر أملك، وهو التزويج.

[لرجل يعير إبراهيم بن النعمان بن بشير ورد إبراهيم عليه]

ولما زوَّجَ إبراهيم بن النعمان بن بَشيرٍ الأنصاريُّ يحيى بنَ أبى حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عَفَّانَ ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يُعيِّرُهُ:

لَعَمْـرِى لَقدْ جَلَّلْتَ نَفْـسَكَ خَزْيَةً ... وَخَـالَفْتَ فعْلَ الأكْـثَرِينَ الأكَـارِمِ

وَلَوْ كَـانَ جَـدَّاكَ اللَّـذَانِ تَتَـابَعَـا ... بِبَــدْرٍ لَمَــا رَامَـا صَنِـيعَ الألأئِمِ

فقال إبراهيم بن النُّعْمانِ يَرُدُّ عليه:

مَـا تَـرَكَتْ عِـشْــرُونَ أَلْفًـا لِقَــائِلٍ ... مَـقَـالاً فـلا تَحْـفِلْ مَـلاَمَـةَ لاَئِمِ

وَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَـقدْ مَضَتْ ... بِهِ سُـنَّةٌ قَــبْلِـى وَحُبُّ الـدَّرَاهِمِ

[للقلاخ بن حزن يخاطب يحيى بن أبى حفصة ورد يحيى عليه]

وتزوَّج يحيى بن أبى حفـصة وهو جَدُّ مَروانَ الشـاعرِ، ويزعم النَّسَّابون أن أباه كان يهـوديا أسلم على يدى عثمـان بن عفان، وكان يحـيى من أجود الناس، وكان ذا يَسار، فتزوج خَوْلة بنت مُقاتل بن طَلَبَة[1] بن قيس بن عاصم سيد الوَبَر ابن سِنان بن خالد بن مِنْقَر، ومَهَرَها خِرَقًا. ففى ذلك يقول القُلاخ بن حَزْن:

لَمْ أَرَ أَثْـوَابًا أَجَــرَّ لِخَــزْيَةٍ ... وَآلأَمَ كُـسْـواً وَآلأَمَ كَــاسِيَــا

مِنَ الخِـرَقِ اللَّاتِى صُـبِبْنَ عَلَيْكمْ ... بِحَـجْـرٍ فَكُنَّ المُبـقِيَـات البَـوَالِيَـا

فقال يحيى بن أبى حَفصة يُجيبه:

تَجَـاوَزْتُ حَـزْنًا رَغْـبَـةً عَنْ بَنَاته ... وأَدْرَكْتُ قَـيْـسًـا ثانِيًـا مِنْ عِنَانِيَـا

يقال ذلك للسابق إذا تَقَـدَّم تَقَدُّمًا بَيِّنًا فبلغ الغاية، فـمن شأنه أن يَثْنىَ عِنَانَهُ فينظرَ إلى الخَيل، وقال الشاعر:

فَـمَنْ يَفْـخَـرْ بِمِـثْلِ أَبِى وَجَـدِّى ... يَجِىءْ قَـبْلَ السَّـوَابِـقِ وَهْوَ ثَانِى

يريد ثانى عنانه، وقال القُلاخ فى هذه القصة:

نُبِـئْتُ خَوْلَةَ قَـالَتْ حِين أَنْكَحَهَـا ... لَطَالَمَــا كُنْتُ مِنْكَ العَــارَ أَنْتظِرُ

أَنكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهمَا ... فى فِيكَ ممَّا رَجَوْتَ التُرْبُ وَالْحَجَرُ

---

(١) زيادات ر: «الرواية المشهورة بإسكان اللام، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام».

لله دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا ... بَرْذَنْتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالغُرَرُ(١)

* * *

وقال جرير يُعيِّرُهم:

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ حَلَّى ... فُرُوج بَنَاته كَمَرَ المَوَالى
لَقَدْ أَنْكَحْتُمُ عَبْدًا لعَبْدٍ(٢) ... منَ الصُّهْبِ المشَوَّهَةِ السِّبَال
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا ... خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ البَوَالى

* * *

وقال آخر فى مثل هذه القصة:

أَلاَ يَا عِبَادَ اللهِ قَلْبِى مُتَيَّمٌ ... بأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلاَ
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ... دَبِيبَ القَرَنْبَى بَاتَ يَقْرُو(٣) نَقًا سَهْلاَ

القَرَنْبَى: دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنْفُسِ مُنَقَّطَةُ الظَّهْر، وربما كان فى ظهرها نقطةٌ حمراء، وفى قوائمها طول على الخنفس، وهى ضعيفة المشى.

[للفرزدق فى عطية أبى جرير]

قال الفرزدق يعنى عطية أبا جَرير:

قَرَنْبَى يحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ ... لَئِيمٍ مَآثِرُهُ قُعْدُدُ(٤)

وفى هذا الشعر يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِى دَارِمٍ ... زُرَارَةُ منَّا أَبُو مَعْبَدِ
وَمِنَّا الَّذِى مَنَعَ الْوَائِدَاتِ ... وَأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ
أَلَسْنَا بأَصْحَابِ يَوْمِ النِّسَارِ(٥) ... وَأَصْحَابِ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ

---

(١) برذنتها: جملتها من البراذين.
(٢) يريد أنه عريق فى العبودية.
(٣) يقرو: يتبع.
(٤) زيادات ر: «ألف قرنبى ألف إلحاق وليست للتأنيث. والقعدد: اللئيم، وجمعه قعادد».
(٥) زيادات ر: «النسار: جعل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمى بهذا الاسم»

أَلَسْنا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ ... تُسَامِي وَتَفْخَرُ فِي المَشْهَدِ(١)
وَنَاجِيَةُ الخَيْرِ وَالأَقْرَعَانِ ... وَقَبْرٌ بِكاظِمَةَ المَوْرِدِ(٢)
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ عَائِذٌ ... أَنَاخَ عَلَى القَبْرِ بِالأَسْعُدِ(٣)
أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِي دارِمٍ ... عَطِيَّةُ كالجُعَلِ الأَسْوَدِ(٤)
وَمَجْدُ بَنِي دارِمٍ دُونَهُ ... مَكَانُ السِّمَاكَيْنِ وَالفَرْقَدِ(٥)

قوله:

* أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِي دَارِمٍ *

منصوب على الاختصاص، وقد مضى تفسيره.

وزرارةُ الذى ذَكَر، هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ، وكان زرارةُ يُكْنى أبا مَعْبَدٍ، وكان له بَنونَ: مَعْبَدٌ، ولَقيطٌ، وحاجِبٌ، وعَلْقَمةُ، والمأموم.

ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ، ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النسَّابةُ، وكان حاجِبٌ أذكَرَ القومِ(٦).

ورَوَوْا أن عبد المَلك ذَكَرَ يوما بنى دارم فقال أحدُ جُلَسائه: يا أمير المؤمنين! هؤلاء قوم محظوظون: فقال عبد الملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارة ولم يُخلِّفْ عَقِبًا، ومضى محمد بن عُمَيرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا! والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدًا.

---

(١) رغبة الآمل: بعده

وقد مد حولى من المالكين ... أواذى ذو حدب مزبد
إلى هادرات صعاب الرءوس ... قساور للقسور الأصيد

(٢) كاظمة: موضع على سيف البحرين.

(٣) الأسعد: جمع سعد، وبعده:

فذاك أبى وأبوه الذى ... لمقعده حرم المسجد

(٤) الجعل: دويبة سوداء تكون على المواضع الندية.

(٥) زيادات ر: «الرفع فى مكان أقوى، وهو الوجه الجيد فى العربية».

(٦) أذكر القوم: أشهرهم.

وكان لقيط بن زرارة قُتلَ يوم جَبَلَة، وأُسرَ حـاجب فَفُودِىَ، فزعم أبو عبيدة أنه لم يكن عُكاظيٌّ أغْلَى فداءً من حَـاجب، وكان أسره زَهْدَمٌ[1] العَبْسىُّ، فَلَحقهُ ذو الرُّقَيْبَةِ القُشَيْرِى، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ فى بنى عـامر بن صَعْصَعَةَ، فأخذه ذُو الرُّقَيْبَة بعزَّة، وأنه فى مَحَلِّ قـومه فقال حَاجب: لـمَّا تنازعنى الرجلان خفْتُ أن أُقتَلَ بينـهما، فـقلت: حكِّمانى فى نفـسى، ففعـلا، فحكمتُ بسـلاحى وركَابى لزهدم، وبنفسى لذى الرُّقَيْبَة، وكان حَاجِب يُكْنَى أبا عِكْرِشَـةَ، وكان أحلَمَ قومه، وفى ذى الرُّقَيْبَة يقول الشاعر[2]:

وَلَقَـدْ رأَيْـتَ الْقَـائلينَ وَفِـعْلَهُمْ ... فَلذى الرُّقَـيْـبَـة مَـالـك فَـضْلُ
كَـفَّـاهُ مُـتْلِفَـةٌ وَمُـخْلِفَـةٌ ... وَعَطَـاؤُهُ مُـتَـدَفِّـقٌ جَـزْلُ

فَـفدِىَ حَـاجبٌ، وقُتلَ فى ذلك اليـوم لقيطٌ، وأُسـر عمـرو بن عمـرو بن عُدَسَ، فلذلك يقول جرير يُعَيِّـرُ الفرزدق؛ لأن الفرزدق من بنى مُجَاشع بن دارِمٍ، وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب، ولجرير فى قَيْسٍ خُؤولَة.

[للفرزدق يهجو جريرا وجواب جرير عليه]

فلما هجا الفرزدقُ قيْسًا فى أمر قُتَيْبَةَ بن مُسْلم الباهلى، قال:

أَتَانى وأَهْـلى بالمَدِينة وَقْـعَـةٌ ... لآل تَمـيم أَقْـعَـدَتْ كُلَّ قـائم
كأَنَّ رءُوس النَّاس إذْ سَـمعُـوا بهَا ... مُـشَـدَّخَـةٌ هَامَـاتُـهَـا بالأَمـائم[3]
فما بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَـمْعًا وَطَاعَةً ... وَبينَ تَمـيم غَـيْـرُ حَزِّ الْحَـلاَقم
أَتَغْـضَبُ إن أُذْنَا قُـتَـيْـبَـةَ حُـزَّتَا ... جِهارًا وَلَمْ تَغْـضَبْ لقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ
وَمَـا منْهُـمَـا إلاَّ نَقَلْنَا دمَـاغَـهُ ... إلى الشَّامِ فَوقَ الشَّاحِجَات الرَّوَاسم
تَذبْذَبُ فى المخْـلاَة تَحْتَ بُطُونهَـا ... مُـحَـذَّفَـةُ الأَذْنَاب جُلْحُ المَقَـادم[4]
وَمَـا أنْتَ منْ قَيْسٍ فَـتَنْبَحَ دُونَهَـا ... ولاَ منْ تَميمٍ فـى الرُّءوس الأعَاظمِ
تخَـوَّفُنَا أَيـامَ قَـيْـس ولَـمْ تَدَعْ ... لعَـيْلاَنَ أَنْفًـا مُـسْـتَـقيمَ الخَيَـاشمِ
لقد شَهدَتْ قَيْسٌ فَـمَا كَانَ نَصْرُهَا ... قُـتَـيْـبَـةَ إلاَّ عَـضَّـهَـا بالأَبَاهِمِ[5]

---

(١) زيادات ر. «أخو كردم». (٢) زيادات ر: «هو المسيب بن علس»، واسمه «زهير، ويكنى أبا الفضة».
(٣) الأمائم كما فى زيادات ر: «حجارة تشدخ بها الرءوس، الواحدة أميمة».
(٤) المخلاة فى الأصل: ما يوضع فيها الخلى، وهو الحشيش الرطب، أراد بهن الخرج.
(٥) الأباهم: جمع الإبهام.

وقال جرير يجيبه:

أَبَاهِلَ مَا أَحْـبَبْتُ قَـتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلاَ أَنْ تَرُوعُـوا قَـومَكُـمْ بِالْمَظَالِمِ

ثم قال يخوِّف الفرزدق:

تحضَّضْ يا بْنَ الْـقَيْنِ قَيْـسًا لِيَـجْعَلُوا ... لِقَـوْمِكَ يَوْمًـا مِـثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ[1]

كـأنكَ لَمْ تَشْـهَـدْ لَقِيـطًا وَحَاجِـبًا ... وَعَمْرَو بْنَ عَـمْرٍو إِذْ دَعَوْا يالَ دَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وشَـدَّاتِ قَـيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَـمَـاجِمِ

فَـيَوْمَ الـصَّفَـا كُنْتُمْ عَـبِـيدًا لِـعَامِـرٍ ... وبِالْحِنْوِ أَصْبَـحْتُمْ عَـبِـيدَ اللَّهَـازِمِ

إِذَا عُـــدَّتِ الأَيَّامُ أَخْـــزَيْنَ دَارِمًـــا ... وَتُخْـــزِيكَ يَا بْـنَ الْقَـــيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ

* * *

أما قول الفرزدق:

كَأَنَّ رءوسَ النَّاسِ إِذْ سَـمِعُـوا بِهَا ... مُـشَـدَّخَـــةٌ هَامَـاتُهَـا بِـالأَمَـائِمِ

فإن الشِّجاجَ مختلفةُ الأحكامِ، فإذا كانت الشَّـجَّةُ شُقَيْقًا يَدْمَى فهى الداميةُ، وإذا أخذت من اللحم شيئًا فهى الباضـعةُ، وإذا أمعَنَتْ فى اللحم فهى المتَلاحمةُ، فإذا هَشَمَت العظـم فهى الهاشمة، وإذا كـان بينها وبين العظم جُلَيْدَةٌ رقيـقة فهى السِمْـحـاقُ، من أجل تلك الجليـدة يقـال لما على ثَرْبِ الشـاة من الشَّـحْمِ إلا سماحيقُ، أى طرائقُ، فإذا خرجت منهـا عظامٌ صغار فهى المُنَقِّلَةُ ـ وإنما أخذ ذلك من النَّقَلِ وهى الحجـارةُ الصغارُ ـ فإذا أَوْضَـحَتْ عن العظم فهى المُوضِحـةُ، فإذا خرقت العظم وبلغت أُمَّ الدِّماغ وهى جُلَيْدَةٌ قـد أَلْبَست الدماغَ فهى الآمَّة، وبعض العرب يسمـيها المأمومةَ، واشـتقاقُ ذلك إفضاؤُها إلى أمِّ الدمـاغ ولا غاية بعْدها، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَـأْمُـومَةً فِي قَـعْـرِهَا لَجَفٌ ... فاسْتُ الطبيب قذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ[2]

وقال ابن غَلْفاءَ الْهُجَيْمِـيُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ فى هجائه بنى تميم:

فَـــإِنَّكَ مِنْ هِجَـــاءِ بَـنِى تَمِـــيمٍ ... كَـــمُـــزْدَادِ الْغَـــرَامِ إِلى الْغَـــرَامِ

---

(١) الأراقم: يريد يومًا كان لقيس على تغلب ابنة وائل، والأراقم هم بطون تغلب.

(٢) مأمومة: مشجوجة.

هُمُ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى[1] رأتْ صَقْراً وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ
وَهُمْ ضَرَبوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الشُّئُونِ مِنَ الْعِظَامِ[2]
إِذَا يَأْسُونَهَا جَشَأَتْ إِلَيْهِمْ[3] شَرَنْبَثَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ هَامِ[4]

وابن خازم هو عبد الله بن خازِمٍ السُّلَمِيُّ، وهو أحد غِرْبانِ العرب في الإسلام، وكان من أَشْجَعِ الناس، وقتله بنو تميم بخُراسان، وكان الذى وَلِيَ قتله منهم وكَيعُ بن الدَّوْرَقِيَّةِ القُرَيْعِيُّ، وقوله: فوق الشاحجات «يعنى البغال، وَالرَّسِيمُ: ضربٌ من السير، وإنما عنى هاهنا بغَالَ البَرِيد لقوله:

* محذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ *

كما قال امْرُؤ القيس:

على كل مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدِ بَرِيدَ السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرا[5]

وكانت بُرُدُ ملوك العرب فى الجاهلية الخَيل.

وأما قول جرير: «الجونين» فقد مضى ذكرهما، ويوم «دير الجماجم» يريد الحَجَّاجَ فى وقعته بدَيْرِ الجَمَاجِمِ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قَيْس الْكِنْدِيِّ، وقوله:

* وبالْحِنْوِ أصبحتمْ عبيدَ اللَّهازِمِ *

فاللَّهازِمِ بنو قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وبنو ذُهْلِ بن ثَعْلَبَةَ، وبنو تَيْمِ اللات بن ثَعْلَبَةَ، وبنو عِجْلِ بن لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن على بن بكر بن وائل، وبنو مازِنِ بن صعب بن على، ثم تَلَهْزَمَتْ حَنِيفةُ لُجَيْم فصارتْ معهم، وأما عَلْقَمَةُ بن زُرارةَ فإنه قتلته بنو ضُبَيْعَةَ بن قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ فَقَتَلَ به حاجبٌ أخوه أَشْيَمَ بن شَرَاحِيلَ القَيْسِيَّ، فقال حاجبٌ فى ذلك:

فَإِنْ تَقْتُلوا منَّا كَرِيمًا فَإِنَّنَا أَبَأْنا به مَأْوَى الصَّعَالِيك أَشْيَمَا
قَتَلْنَا به خَيْرَ الضُّبَيْعَاتِ كُلِّهَا ضُبَيْعةَ قَيْسٍ لا ضُبَيْعَةَ أَضْجَمَا

---

(١) الحبارى: اسم طائر.

(٢) أم الشئون: يريد بها الرأس.

(٣) جشأت: نهضت.

(٤) زيادات ر: «يريد غليظ القوائم».

(٥) الذنابى: الذنب، : وبربر: قبيلة وكان من علامة خيلها حذف أذنابها.

وكان يقال لأَشْيَمَ: مَأْوَى الصَّعَاليك، وضُبَيْعَةُ أَضْجَمَ الذى ذَكَرَ هو ضُبَيْعَةُ ابن ربيعة بن نِزَار رهط المُتَلَمِّسِ. هذا لقبهم.

وأما مَعْبَدُ بن زُرارة فإن قَيْسًا أَسَرَتْهُ يوم رَحْرَحَانَ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لَقِيطٌ فى بعض الأشهر الْحُرُم ليَفْدِيَهُ، فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط: إن أبانَا أمرنا ألاَّ نزيد على المائتين، فتطمعَ فينا ذُؤْبانُ العَرب، فقال معبد: يا أخى، افدنى بمالي فإنى ميِّتٌ، فأبى لقيطٌ، وأبى معبد أن يأكل أو يشرب، فكانوا يَشْحُون فاه، ويَصبُّون فيه الطعام والشراب لئلا يَهلك فيذهبَ فداؤه، فلم يزل كذلك حتى مات، فقال جَرير يعيِّر الفرزدق وقومه بذلك:

تَرَكْتُمْ بوَادِى رَحْرَحَانَ نسَاءَكمْ ... وَيَوْمَ الصَّفَا لاَقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْد دَعَوْا يَالَ عَامرٍ ... فَكنْتُمْ نَعَامًا عنْدَ ذَاكَ مُنَفَّرا
وَأَسْلَمتِ الْقَلْحَاءُ فى الغُلِّ مَعْبَدًا ... وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقَطَّرَا

قوله:

* سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْد دَعَوْا يَالَ عَامرٍ *

يعنى مَجْدَ بنت النَّضْر بن كنانَةَ وَلَدتْ رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ، وَوَلَدُهُ بنو كلاب وبنو كَعب وبنو عامر بن ربيعة. والقلْحَاء لقب، والقَلَحُ أن تركَبَ الأسنانَ صُفْرَةٌ . تَضْرِبُ إلى السواد، ويقال لها الحَبْرَة لشدة تأثيرها. أنشدنى المازنى:

لَسْتُ بِسَعْدِىٍّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ ... وَلَسْتُ بِعَبْدِىٍّ حَقِيبَتُهُ التَّمرُ

* * *

وزعم أبو الحسن الأخفش[1]، أن العرب تقول فى هذا المعنى: «فى أسنانه حِبِرَة»، وليس ذلك بمعروف، ولم يأت اسم على «فِعِل» إلاَّ إِبلٌ وَإِطِلٌ[2].

* * *

(١) زيادات ر: «سعيد بن مسعدة».

(٢) زيادات ر: «وامرأة بلز، أى صخمة، قاله ابن قتيبة، أما إبل فكما ذكر، وأما «إطل» فليس كما ذكر، وإطل [بالكسر] أصله إطل [بالسكون]، ثم حركت الطاء اتباعًا لحركة الهمزة، كما قالوا فى الجلد [بالسكون]: الجلد [بالكسر]، قال سيبويه: ليس فى الأسماء والصفات فعل [بالكسر] إلا إبل».

وقوله:

* وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفهُ فَتَقطَّرَا *

يقال: قَطَّرَهُ لجنبيه وقَتَّرَهُ، لغتان؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فإن رَمى به على قفاه قيل: سَلَقَهُ وسَلْقاهُ وبَطَحَهُ لوجهه. فإن رَمَى به على رأسه قيل نَكَتَه.

* * *

رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول:

أما قوله:

* ومنا الذى منع الوائدات *

فإنه يعنى جدَّه صَعْصَعَةَ بن ناجِية بن عِقال، وكانت العرب فى الجاهلية تَئد البنات، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كانَ فى تميم بن مُرة، ثم استفاض فى جيرانهم، فهذا قول واحد. وقال قوم آخرون: بل كان فى تميم وقَيْسٍ وأسَد وهُذَيل وبكرِ بن وائلٍ، لقول رسول الله ﷺ: «اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عليهم سنين كسني يوسُفَ». وقال بعض الرواة: اشدد وَطْدَتَكَ، والمعنى قريب يرجع إلى الثِّقل، فأَجْدَبُوا سبع سنين حتى أكلوا الوبَرَ بالدَّم، فكانوا يسمونه العِلْهِزَ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم، ودَلَّ على ما من أجله قتلوا البنات فقالَ: ﴿وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ﴾[1] وقال: ﴿وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾[2]، فهذا خَبرٌ بَيِّنٌ أَنَّ ذلك للحاجة، وقد رَوَى بعضهم أنهم إنما فعلوا ذلك أَنَفَة.

[إغارة النعمان بن المنذر على تميم]

وذكر أبو عبيدة مَعْمر بن المثَنَّى أن تميما مَنَعَت النُّعْمانَ الإتاوَة، وَهِيَ الأديانُ، فَوَجَّهَ إليهم أخاه الريَّانَ بن المُنْذِر، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ، إحداها الوَضائعُ ـ وهم قوم مِنَ الفُرْسِ كان كسْرَى يَضَعُهُمْ عنده عُدَّةً وَمَدَدًا، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم، فإذا كَان فى رأس الحول رَدَّهُمْ إلى أهليهم وبَعَث بمثلهم. وكَتِيبةٌ يقال لها الشَّهباءُ ـ وهيَ أهل بيت الملك، وكانوا بيضَ الوجوه، يُسَمَّوْنَ الأشاهِبَ. وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائعُ ـ وهم صنائع المَلِك أكثرهم من بكر بن

(١) سورة الإسراء ٣١.

(٢) سورة الممتحنة ١٢.

وائلٍ. وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ، وهم قوم كَانَ يأخذُهمْ من كل قبيلة فيكونون رُهُنًا عنده ثم يوضع مكانهم مـثلهم. والخامسـة دَوْسَرُ ـ وهىَ كتـيبة ثقـيلةَ تَجْمعُ فُرْسانًا وَشُجعانًا من كـل قبيلة، فأغزاهم أخاه(١)، وجُلُّ من معـه بكْرُ بن وائل، فاستاق النَّعَم وسبَى الذَّرَارِىَّ، وفى ذلك يقول أبو المُشَمْرَجِ اليَشْكرِىُّ:

لَمَّـا رَأَوْا رَايَةَ النُعْـمَـان مُـقْبلَةً	قَـالُوا أَلاَ لَيْتَ أَدْنَى دَارِنا عَـدَنُ
يَا لَيْتَ أُمَّ تَمـيـم لَمْ تَكُنْ عَـرَفَتْ	مُـرًّا وَكَانَتْ كَـمنْ أَوْدَى بِه الزَمَنُ
إنْ تَقْـتُلُونا فَـأَعْـيَـارٌ مُـجَـدَّعَـةٌ	أَوْ تُنْعـمـوا فـقـديمًا منْكُم المنَنُ(٢)
منْهُمْ زُهَيْـرٌ وَعَـتَّابٌ وَمُـحْـتَضَـرٌ	وَابْنَا لَقـيط وَأَوْدَى فِى الْوَغَى قَطَنُ

ويقول النعمان فى جواب هذا:

لله بكْـرٌ غَـــداةَ الرَّوْعِ لَـوْ بهـمُ	أَرْمى ذُرَا حَضَنٍ زَالَت بهمْ حضَنُ(٣)
إِذْ لاَ أَرَى أَحَدًا فِى النَّاسِ أَشْبَهَـهُمْ	إلاَ فَـوَارِسَ خَامَتْ عَنْهُمُ اليـمنُ(٤)

وهذا خبر طويل، فَوَفَدتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا، فقال:

مَـا كانَ ضَـرَّ تميـمًا لَـوْ تَغَمَّـدَهَا	منْ فَضْـلنَا مَا عَلَيْـه قَيْس عَـيْلاَن

فأناب القـومُ وسألوه النساء، فقـال النعمان: كل امرأة اخـتارت أباها رُدَّت إليه، وإن اختارت صاحبهـا تُرِكَتْ عليه. فكلُّهن اختارت أباها، إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اخـتارت صاحبها عمرو بن المُشَـمْرَج، فَنَذَرَ قَيْسٌ أَلاَّ تُولَد له ابنةٌ إلاَّ قَتَلَهَا، فهذا شىء يَعْتَلُّ به مَنْ وأَد، ويـقول: فعلناه أَنَفَةً، وقد أُكْذبَ ذلك بما أنزل اللهُ تعالى فى القرآن.

وقـال ابن عبـاس رحمـهُ الله فى تأويل هذه الآية: وكـانوا لا يورِّثون، ولا يتخذون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمْح ومَنَعَ الحريم ـ يريد الذكْرانَ.

[وفود صعصعة بن ناجية على رسول الله]

وروت الرواة: أن صَعْصَعَةَ بن ناجية لما أتـى رسول الله ﷺ فأسـلم، قال:

---

(١) أى أعطاهم إياه يغزو بهم.

(٢) أعيار: جمع عير، وهو الحمار. ومجدعة: مقطعة الآذان.

(٣) حضن: جبل فى أعالى نجد.

(٤) خامت: جبنت.

يا رسول الله، إنى كنتُ أَعْمَلُ عـملا فى الجاهلية أفينفعُنى ذلك اليوم؟ قال: وما عملك؟ قال: أَضْللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ. فركـبتُ جملاً، ومضيت فى بُغائهما[١]، فرُفِع لى بيتٌ حريدٌ، فقصدته، فإذا شـيخ جالس بفناء الدار، فسألته عن الناقتين، فقال: مـا نارُهما؟ قلتُ: ميَسمُ بنى دارم. فـقال: هما عندى وقد أحيـا الله بهما قومًا من أهلك، من مُضرَ. فجلستُ معه ليُخْرَجا إلىَّ، فإذا عجوز قد خرجتْ من كسْرِ البيت، فقال لها: ما وَضَعَتْ؟ فإن كان سَقْبًا[٢] شاركَنَا فى أموالنا وإن كانت حائلا وأدْناها. فقالت العـجوز: وَضَعَتْ أنثى ! فقلتُ: أتبيعـها؟ قال: وهل تبيعُ العربُ أولادها؟، قال: قلتُ: إنما أشـترى منك حَياتَهَا، ولا أشتـرى رِقَّها، قال: فبكَمْ؟ قـلتُ: احْتَكِمْ، قال: بالنـاقتين والجملِ، قـال: قلت: ذاك لكَ، عَلَى أن يُبَلِّغَنى الجملُ وإيَّاها. قال: ففعل، فآمنتُ بك يا رسول الله، وقد صارتْ لى سُنَّةٌ فى العرب، عَلَى أن أشترى كل موءودة بنَاقتين عُشراوين وجَمل، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة فقـد أنقذتها، فقال رسول الله ﷺ: «لا ينفعُكَ ذلك، لأنك لم تَبْتَغ به وجه الله وإن تَعْمَلْ فى إسلامك عملا صالحًا تُثَبْ عليه».

وكان ابن عباس يقرأ: ﴿وإذا الْمَوْءُودةُ سأَلَتْ * بأَيِّ ذَنْب قُتلَتْ﴾[٣]. وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل: ﴿وإذا الْمَوْءُودةُ سُئلَتْ * بأَيِّ ذَنْب قُتلَتْ﴾ إنما تُسأل تبكيتًا لمن فَعَلَ ذلك بها، كما قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتخَذُونى وأُمِّىَ إلَهَين منْ دُون الله﴾[٤].

وقـوله: «وُئدَتْ». إنما هو أُثقلَتْ بالتُّـراب، يقال للـرجل: اتَّئدْ أى تَثَـبَّتْ وَتَثَقَّلْ، كما يقال: تَوَقَّرْ، قال قَصيرٌ صاحبُ جذيمة[٥]:

مَـا لِلْجِـمَـالِ مَـشْـيُـهَـا وَئِـيدَا ... أَجَنْـدَلاً يحْـمِلْـنَ أَمْ حَـدِيدَا

[* أم صرَفانًا باردًا شَديدًا[٦] *]

---

(١) البغاء: الطلب.

(٢) السقب: الذكر من ولد الناقة.

(٣) سورة التكوير ٨، ٩.

(٤) سورة المائدة ١١٦.

(٥) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العباس، وإنما هو للزباء».

(٦) الصرفان: ضرب من التمر.

وقوله: «أضللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ» أضللتُ، ضَلَّتَا منى، وتحقيقه: صادفتهما ضالَّتَيْنِ، كما قال[1]:

أَوْ وَجْـدُ شَـيْخٍ أَضَلَّ نَاقَـتَـهُ ... حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

والعُشَرَاء: النـاقةُ التى قد أتى عليهـا منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر. وإنما حَمْل الناقة سنةٌ.

وقوله: «ما نارهما»؟ يريد ما وَسْمُهُما؟ كما قال:

قَـدْ سُـقِيَتْ آبَالُهُمْ بِالنَّارِ ... وَالنَّارُ قَـدْ تَشْـفِى مِنَ الأُوَارِ

أى عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعوا الماء.

وقوله: «فإذا بيت حَرِيدٌ» يقـول: مُتَنَحٍّ عن الناس، وهذا من قولهم: انْحَرَدَ الجمل، إذا تَنَحَّى عن الإناث فلم يَبْرُكْ معها، ويقال فى غير هذا الموضع: «حَرَدَ حَرْدَهُ» أى قَصَدَ قَصْدَهُ، قال الراجز:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ ... يَحْـرِدُ حَـرْدُ الجنة الْمُغِلَّهْ

وقالوا فى قوله عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[2]: أى على قَصد كما ذكرنا.

وقالوا: هو أيضًـا «على مَنع»، من قولهم: حَارَدَت الناقـة إذا مَنَعَتْ لبنها، وحارَدَت السَّنَةُ إذا مَنَعَتْ مطَرَها، والبعير الأحرد: هو الذى يضرب بيده، وأصله الامتناع من المشى. وأما قوله:

. . . . وَقَبْرٍ بِكَاظِمَةَ الْمَوْرِدِ
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ خَائِفُ ... أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالأَسْعُدِ

فإنه يعنى قبـر أبيه غالب بن صَعْصَعَةَ بن ناجِيَةَ. وكان الفـرزدق يُجِير مَنْ استجار بقبر أبيه، وكان أبوه جَـوادًا شريفًا. وذخل الفرزدق البصرة فى إِمْرَةِ زياد، فباع إبلا كثيـرة وجعل يَصُرُّ أثمانها، فقال له رجلٌ: إنك لَتَصُـرُّ أثمانها، ولو كان

(١) زيادات ر. «الرجل من قضاعة، يقال له مالك بن عمرو، وقبله.

لا وَجْدُ ثُكلى كما وجدتُ ولا ... وَجْدُ عَجولٍ أضلها رُبَعُ

(٢) سورة القلم ٢٥.

غالبِ بن صَعْـصَعَةَ ما صرَّها. فـفتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ ونَثَـرَ المال، وبلغ الخبرُ زيادًا فطلبه، فهـرب الفرزدق، وله فى هربه حديثٌ طويل، واستجارته بـسعيد بن العاص بالمدينة، نذكره بعد هذا إن شاء الله.

[جماعة استجاروا بقبر غالب]

فَممن استجـار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنـى جَعْفَرِ بن كلاب، خافتْ لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيـهَا ويَسُبَّهَا، فعاذَت بقبر أبيه، فلم يَذْكرْ لها اسمًا ولا نسـبًا، ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيـها بنى جعفر بن كلاب:

عجُوزٌ تُصَلِّى الْخَمْسَ عَاذَت بِغَالبٍ ... فَـلاَ وَالَّذى عَاذَتْ بِـهِ لاَ أضِيـرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما ولَّى تَميمَ بن زيد القَيْنِىَّ السِّنْدَ، دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء، فجاءت عجوز إلى الفـرزدق فقالت: إنى استجرتُ بقبر أبيك، وأتت منه بحَصيات. فقال لها: وما شأنك! فقالت: إن تميم بن زيد خَرَجَ بابنٍ لى مـعه ولا قُرَّةَ لعـيْنى ولا كاسِبَ لى غـيره، فـقال لها: ومـا اسمُ ابنك؟ فقالت: خُنَيْسٌ، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض مَنْ شَخَصَ:

تَمِـيمُ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكونَنَّ حَـاجَـتِى ... بظَهْـرٍ فَـلاَ يَعْـيَـا عَلَىَّ جَـوابُهَـا
وَهَبْ لى خُنَيْسا وَاحْـتَسِبْ فيه مِنَّةً ... لِعَبْـــرَةِ أمّ مَـا يَسُـوغُ شَـــرَابُهَـا
أَتَتْنى فَـعَـاذَتْ يَا تَـمِـيمُ بِغَـالبٍ ... وَبِالْحُـفْرَةِ السَّـافى عَلَيْـهَا تُرَابُهَـا
وَقَـدْ عَلِمَ الأَقْـوَامُ أَنَّكَ مَـاجِـدٌ ... ولَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِـهَابُهَا

فلما ورد الكتـابُ على تميم، تَشكَّكَ فى الاسم فقال: أَحُـبَيْشٌ؟ أم خُنَيْسٌ؟ ثم قال: انظروا مَنْ له مـثلُ هذا الاسم فى عسكرنا؟ فأصـيب ستةٌ ما بين حُـبَيْش وَخُنيْس فَوَجَّهَ بهم إليه.

ومنهم مُكاتَبٌ لبنى منْقـرٍ ظَلَعَ بمكاتَبـته(١)، فأتَى قَـبْرَ غالب فاستـجار به، وأخذ منه حَصَيَاتٍ فَشَدَّهُنَّ فى عمامته، ثم أتى الفرزدق فأخبره خَبَرَه، وقال: إنى قد قلت شعرًا، فقال: هاته، فقال:

---

(١) أى ضعف عن حمل ما كوتب به.

بِقبرِ ابْنِ لَيْلَى غَـالبٍ عُذْتُ بَعْدَمَا خَشِيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
بقبرِ امْـرِئٍ تَقْرِى[1] المَئِينَ عظَامُـهُ وَلَمْ يَكُ إلاَّ غَـالبًـا مَـيِّتٌ يَقْـرِى
فَـقَالَ لِىَ اسْـتَـقْدِمْ أمَـامَكَ إنَّمَـا فَكاكُكَ أَنْ تَلْقَى الْفَـرَزْدَقَ بالمصْـرِ

فقال له الفرزدق: ما اسْمُكَ؟ قال: لَهْذَمٌ، قال: يا لَهْذَمُ، حُكْمُكَ مُسَمَّطًا، قـال: نـاقةٌ كَوْماءُ سوداءُ الحدقـة، قال: يا جارية، اطْرَحى إلينَا حبلا، ثم قـال: يا لَهْذَمُ اخرج بنا إلى المِرْبَدِ، فألْقه فى عُنُق ما شئت. فـتخير العبدُ على عينه، ثم رمى بالحبلِ فى عنق ناقة، وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغْدُ علىَّ فى ثمنها، فجعل لَهْذَمٌ يقـودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نَفَذَ بهَا من البـيوت إلى الصحراء، صاح به الفرزدقُ: يالَهْذَمُ، قَبَّح الله أَخْسَرنا !

[قوله: «تَقْرِى المَئِينَ عِظَامُهُ» يريد أنهم كـانوا يـنحـرون الإبل عند قـبـور عظمائهم، فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات، وهذا معروف فى أشعارهم].

وقوله:

* وَلَمْ يَكُ إلاَّ غَالبًا مَيِّتٌ يَقْرِى *

فإنه نصب غـالبًا لأنه استثناء مقـدم، وإنما انتصب الاستثنَـاء المقدم لما أذكره لك، وذلك أن حق الاستثناء إذا كـان الفعلُ مشغولا بـه أن يكون جاريا عليه، لا يكون فيـه إلا هذا، تقول: ما جاءنى إلاَّ عـبدُ الله، وما رأيت إلاَّ عبـدَ الله، وما مررت إلاَّ بعـبدِ الله. فإن كَـان الفعل مشـغولا بغيـره فكان موجَـبًا، لم يكن فى المستثنى إلا النصبُ، نحو جاءنى إخْـوتُك إلاَّ زيدًا، كما قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قليلا مِنْهُمْ﴾[2]، ونَصَبُ هذا على معنى الفعل، و«إلا» دليلٌ على ذلك.

فإذا قلت: جاءنى القوم، لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدًا أحدهم، فإذا قال: إلا زيدا، فالمعنى لا أعنى فيهم زيدًا، أو أسـتثنى ممن ذكرتُ زيدًا. ولسيبويه فيه تمـثيل، والذى ذكرت أبيَنُ منه. وهو مُتَـرْجَمٌ عما قال، غـيرُ مناقض له. وإن كان الأول منفيًّا جاز البـدل والنصب، والبدل أحسن؛ لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزل الموجود بدليل، وذلك قولك: ما أتانى أحد إلا زيدٌ، وما مررتُ

(١) من القرى بالكسر، وهو إكرام الضيف.
(٢) سورة البقرة ٢٤٩.

بأحد إلا زيد، والفصل بين المنفى والموجَب، أن المبـدل من الشىء يُفَرَّغُ له الفعل، فأنت فى المنفى إذا قلت: ما جاءنى أحدٌ إلا زيدٌ، إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقـدير: ما جـاءنى إلا زيدٌ، لأنه بدل من أحد، والمـوجَبُ لا يكون فيـه البدل، لأنك إذَا قلت: جاءنى إخوتك إلا زيدًا، لم يجـز حذف الأول، لا تقول: جاءنى إلا زيد، وإن شئـت أن تقول فى النفى: مـا جاءنى أحـد إلا زيدًا جاز، ونصـبهُ بالاسـتثناء الذى شـرحتُ لك فى الواجب. والقـراءةُ الجيـدةُ ﴿مَافَـعَلُوهُ إلاَّ قَليلٌ منْهُمْ﴾[1]، وقد قـرئ ﴿إلا قليـلاً منهم﴾، على مـا شـرحـتُ لك فى الوَاجبَ، والقراءةُ الأولى.

فإذا قدَّمتَ المستثنَى بطلَ البدَل، لأنه ليس قبله شىء يُبْدَل منه، فلم يكن فيه إلاَ وجهُ الاستثنـاء، فتقول: ما جاءنى إلاَّ أباك أَحدٌ، ومـا مررت إلا أباك بأحد، وكذلك تُنْشَدُ هذه الأشعار، قال كعْبُ بنُ مالك الأنصارى لرسول الله ﷺ:

الناسُ ألبٌ عـلينا فـيكَ لـيس لنا إلاَّ السُّيـوفَ وأطْرَافَ القَنَا وَزَرُ[2]

وقال الكمَيْتُ بن زيد:

فـمـالِىَ إلاَّ آلَ أحْـمَـدَ شـيـعـةٌ ومـالِىَ إلاَّ مَشْـعَبَ الحقِّ مَشْـعَبُ

لا يكون إلاَّ هذا، وليونس قول مرغوبٌ عنه، فلذلك لم نَذْكره.

وقوله: «فقال لى استَقْدِمْ أَمَامَكَ» مُخْبِرٌ عن الميِّت بالقَوْل، فإن العرب وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجَم تجعلُ كلَّ دلَيلٍ قولاً، فمن ذلك قول زُهَيْرٍ:

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وإنما كلامُهَـا عندَه أن تُبَيِّنَ بِما يُرَى من الآثارِ فيها، من قِـدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهِم.

ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال: هَلاَّ وقفتَ على المَعَاهد والجنان، فقلتَ: أَيتُها الجنانُ، مَنْ شَقَّ أنهارَكِ، وغَرَسَ أشجارَكِ، وجَنَى ثِمَارَكِ؟ فإنها إن لَم تُجبْكَ حِوارًا[3] أَجابَتْكَ اعتبارًا !

---

(١) سورة النساء ٦٦.

(٢) ألب: متجمعون، وزر: ملجأ.

(٣) الحوار: الجواب.

وأهلُ النظر يقولون فى قول الله عز وجل: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1]ـ: لم يكن كلامٌ، إنما فَعَلَ عزَّ وجل ما أراد فوُجد، قال الراجزُ:

قد خَنَقَ الحَوْضُ وقال قَطْنِى ... سلا رُوَيْدًا قد مَلأْت بَطْنِى

ولم يكن كلامٌ، إنما وُجِدَ ذلك فيه. وكذلك قوله:

فقال لِىَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَك إنما ... فكاكُك أَنْ تَلْقَى الفَرَزْدَقَ بالمِصْرِ

أى: قد جُرِّبَ مثل هذا منكَ فى المستجيرِ بقبره.

[لهو النعمان بن المنذر]

وحدثنى العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشِىُّ فى إسناد قد ذَهَبَ عنى أكثرُه، قال: نزل النُّعْمانُ بنُ المُنْذِرِ ومعه عَدِىُّ بن زيد فى ظلِّ شَجرة مُونِقَة، ليَلْهُوَ النُّعمَانُ هناك، فقال له عدىُّ بن زيد: أَيُّها الملكُ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أتَدرِى ما تقولُ هذه الشجرة؟ قال: وما الذى تقول؟ قال: تقول[2]:

[مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ ... أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالْ

وصُروفُ الدهرِ لا يَبْقَى لها ... ولِمَا تأتى به صُمُّ الجِبَالْ]

رُبَّ رَكْبٍ قد أَنَاخُوا حَوْلَنَا ... يَمْزِجُونَ الخمرَ بالماء الزُّلالْ

[والأباريقُ عليها فُدُمٌ[3] ... وجِيادُ الخيل تَرْدِى فى الجِلالْ

عَمَّرُوا الدَّهْرَ بعَيْشٍ حَسَنٍ ... قَطَعُوا دَهرَهُمْ غَيْرَ عِجَالْ]

ثم أضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بهِمِ ... وكذاكَ الدَّهْرُ حالا بعدَ حالْ

قال: فتَنَغَّصَ النعمان.

وهذا فى الأمثال كثيرٌ، وفى الأشعار السائرة.

وأما قولُه «حُكْمُكَ مُسَمَّطًا» فإعرابُه أنه أرادَ: لك حُكْمُكَ مُسَمَّطًا، واستُعْمِلَ هذا فكَثر، حتى حُذِفَ استخفافًا، لعلم السامع بما يُرِيدُ القائلُ، كقولك: «الهلالُ واللهِ»، أى هذا الهلالُ، وأَغْنَى عن قوله: «هذا» ـ القَصدُ والإشارةُ.

وكان يقالُ لرُؤْبَة: كيفَ أَصبحتَ؟ فيقول: خَيرٍ عافاكَ اللهُ، فلم يُضْمِرْ حرفَ الخفضِ، ولكنه حَذَفَ لكثرة الاستعمال. والمُسَمَّطُ: المرسَلُ غيرُ المردودِ[4]. والكَوْماءُ: العَظيمة السَّنَامِ.

---

(١) سورة فصلت ١١. (٢) كل ما كان بين المربعين من زيادات ر.

(٣) الفدم: جمع فدام، وهو ما يوضع على فم الإبريق لتصفيته عند الشرب. (٤) المردود: النافذ حكمه.

بابـ

[أبو رافع مولى الرسول عليه السلام]

قال أبو العباس: قال الليثى[١]: أعتقَ سعيدُ بن العاصى أبا رافعٍ إلا سَهْمًا واحدًا فيه، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا، فاشترَى رسولُ الله ﷺ ذلك السهمَ فأعتقه. وكان لأبى رافع بَنُونَ أشراف، منهم عُبيد الله بنُ رافع، وحديثُه أثبتُ الحديث عن علىٍّ بن أبى طالب، وكان كالكاتب له، وكان عُبيدُ الله بنُ أبى رافع شريفاً، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاءِ رسولِ الله ﷺ، فلما وَلِىَ عمروُ بنُ سعيد الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْملْ شيئا قبل إرساله إلى عُبيد الله بن أبى رافعٍ، فقال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقال له: مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، فأبرزه فضربه مائة سوط، ثم قال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقال: مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، فضربه مائة أخرى. فلما رأى عبدُ الله أخاه غيرَ راجعٍ، وأن عمرًا قد ألَحَّ عليه فى ضربه، قام إلى عمرٍو فقال له: اذكر المِلْحَ، فأمسك عنه.

والمِلْحُ ههنا اللَّبَنُ، يريدُ الرَّضاعَ، كما قال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِىُّ:

وإنّى لأرجُو مِلْحَها فى بُطونكمْ ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أشْعَثَ أغْبَرَا[٢]

* * *

[كذا وقعت الرواية، والصوابُ «أغْبرِ» لأنَّ قبلَه:

ولو عَلِمَت صَرْفَ البُيوعِ لَسرَّهَا ... بمكّةَ أن تبْتاعَ حَمْضًا بإذخرِ[٣]

قاله ش].

* * *

وكما قال الآخر[٤]:

لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ العِبَا ... دِ والمِلْحُ ما وَلَدَتْ خالِدَه

---

(١) زيادات ر: «هو الجاحظ».

(٢) الخبر فى الإصابة ٧: ٦٤ «كان أبو رافع عبدا لسعيد بن العاصى، فأعتق كل من بنيه نصيبه منه إلا خالد ابن سعيد، فإنه وهب نصيبه للنبى ﷺ فأعتقه، فكان يقول: أنا مولى رسول الله».

(٣) الإذخر: حشيش طيب الريح، واحدته إذخرة.

(٤) نقل المرصفى عن ابن الأعرابى أنه الحارث بن عمرو الفزارى، وعن المفضل، هو شتيم بن خويلد الفزارى.

ويروى أن عُبيد الله بن أبى رافع أتَى الحسنَ بنَ علىٍّ بن أبى طالبٍ فقال: أنا مولاك، فقال فى ذلك مَوْلَى لِتَمَّام بن عبد المطَّلب، يَعْذُلُه ويُعيِّره:

جَحَدْتَ بنى العباس حَقَّ أبيهمُ | فما كُنْتَ فى الدَّعْوَى كريمَ العوَاقب
مَتَى كَانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ | يَحُوز ويُدْعَى والداً فى المَنَاسَبِ!

يُريدُ أنَّ العباسَ أَوْلَى بولاء مَوْلَى رسولِ الله ﷺ؛ لأن العمَّ مَدْعُوٌّ والداً فى كتاب الله تعالى، وهو يَحُوزُ الميراثَ.

وقال رجلٌ من الثَّقَفِيِّينَ: أَنْشَدْتُ مَرْوان بنَ أبى حَفْصة هذين البيتين، فوقع عندى أنه من هذا أخَذَ قولَه:

أَنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ | لبَنِى البنَات وراثةُ الأعْمامِ
أَلغَى سِهامُهُم الكتابُ فما لَهُمْ | أن يَشْرَعُوا فيه بغير سِهَامِ

وقال طاهرُ بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس للطالبيين:

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا | فتَنَازَعَا فيها لوَقْت خِصَامِ
كان التُّراثُ لجَدِّنا من دُونه | فَحَوَاهُ بالقُرْبَى وبالإسْلامِ
حقُّ البنات فريضةٌ معروفةٌ | والعَمُّ أوْلَى من بنى الأعمامِ

وذكر الزُّبيريُّون عن ابن الماجشُون قال: جاءنى رجل من وَلَد أبى رافعٍ، فقال: إنى قد قَاولْتُ رجلا من مَوَالِى بعضِ العربِ، فقلتُ: أنا خيرٌ منكَ، فقال: بل أنا خير منكَ، فما الذى يَجبُ لى عليه؟ فقلتُ: ليس فى هذا شىء، فقال: أنا مَوْلَى رسول الله ﷺ ويزْعُمُ أنه خير منى، قال: قلتُ: قد يَتصرَّفُ هذا على غير الحَسَب، قال: فلما رآنى لا أَقْضِى لـه بشىء قال لى: أنت دافعٌ مَغْرَمًا[1]؛ لأن وَلائى عندَه ليس فى موضعٍ مَرْضِىٍّ؟ قال ـ وصَدَقَ ـ: فى بنى تَيْمٍ لتَيْمٍ مَنْ هو أَشرفُ وَلاءً منِّى.

[أسامة بن زيد يقاول عمرو بن عثمان]

وحُدِّثْتُ أنْ أُسامةَ بن زيد قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمان فى أَمر ضَيْعَة يدعيها كلٌّ واحدٍ منهما، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ، فقال عمرو: يا أُسامةُ، أَتَأْنَفُ أن تكونَ

(١) مغرما: حقا تتقاضاه.

مولاىَ! فقال أُسامة: والله ما يَسُرُّنى بولائى من رسول الله ﷺ نَسَبُكَ ! ثم ارتفعا إلى مُعاوية، فَلَجًّا بين يديه فى الخصومة، فتقدم سعيدُ بن العاصى إلى جانب عَمرو، فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ، فتقدم الحسنُ إلى جانب أسامة يُلَقِّنُه، فوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبى سفيانَ، فصار مع عمرو، ووثَب الحسيْن فصار مع أُسامة، فقام عبد الرحمن ابنُ أُمِّ الحكَم، فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة، فقام الوليدُ بن عُقْبةَ فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامةَ، فقال معاويةُ: الجَلِيَّة عندى، حَضَرْتُ رسول الله ﷺ وقد أَقْطَعَ هذه الضَّيْعةَ أسامة، فانصرف الهاشميون، وقد قُضِىَ لهم، فقال الأُمَويُّون لمعاويةَ: هلاَّ إذْ كانت هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّحزُّبِ، أو أخَّرْتَها عن هذا المجلس ! فتكلم بكلام يدفعهُ بعضُ الناس.

[الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير]

وكان الذى اعتَدَّ به الحجَّاجُ بن يوسفَ على سعيد بن جُبَيْر لَمَّا أُتِىَ به إليه بعدَ انقضاء أَمرِ ابنِ الأشْعث، وكان سعيدٌ عبدًا لرجلٍ من بنى أَسَد بن خُزَيمةَ، فاشتراه سعيدُ بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعًا، فقال له الحجَّاجُ: يا شقى ابن كُسَيْر، أَما قَدمْتَ الكوفةَ، وليس يؤُمُّ بها إلاَّ عَربىٌّ فجعلتُك إمامًا ! قال: بلى، قال: أَفَما وَلَّيْتُكَ القَضاءَ فَضجَّ أهلُ الكوفة وقالوا: لا يصلُحُ القضاء إلاَّ لعربىٍّ، فاستقضيتُ أَبَا بُرْدَةَ بنَ أبى موسى الأشعرىَّ وأمَرْتُه ألا يقطعَ أمرًا دُونَك ! قال: بلى، قال: أَوَ ما جعلتُك فى سُمَّارى وكلُّهم من رُءوس العرب ! قال: بلى، قال: أَوَ ما أَعطيتك مائة ألف درهم لتفرِّقَها فى أهل الحاجة، ثم لم أسألْكَ عن شىء منها ! قال: بَلَى، قال: فما أَخْرَجكَ علىَّ؟ قال: بَيعةٌ كانت لابن الأشعث فى عُنُقى، فغَضب الحَجَّاجُ، ثم قال: أَفَما كانتْ بَيْعةٌ أميرِ المؤمنين عبد الملك فى عُنُقكَ قَبْلُ؟ والله لأَقْتُلَنَّكَ، يَا حرَسِىُّ، اضْرِبْ عُنُقَهُ. ونظر الحَجَّاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرج مع عبد الرحمن، من الفقهاء وغيرهم، من الموالى، فأَحَبَّ أَنْ يُزيلَهم عن موضع الفصاحة والآداب، ويَخْلطَهُمْ بأهل القرى والأنْباطِ، فقال: إنما الموالى عُلوج، وإنما أُتِىَ بهم من القُرَى، فَقُراهُم أولَى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرَار العرب بها، وأمر أن يُنْقَشَ على يَد كلِّ إنسان منهم اسْمُ قريَته. وطالتْ ولايتهُ، فَتَوالَدَ القوم هناك، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أولادِهم، وفَسدتْ طَبائعهُمْ. فلمَّا قام

سليمانُ بن عبـد الملك أخرجَ مَنْ كان فى سجن الحَجَّاج من المظـلومين، فيقال إنه أخرج فى يَوْمٍ واحدٍ ثمانين ألفًا، وردَّ المنقوشين، فَرَجَعوا فى صورة الأنْباط، ففى ذلك يقولُ الراجز:

جَـارِيَةٌ لم تَـدْرِ مـا سَـوْقُ الإبلْ   أخـرجهـا الحَجَّـاجُ من كِنٍّ وظِلْ
لو كَـانَ بَدْرٌ حاضِـراً وابنُ حَـمَلْ   مـا نُقِشَتْ كَـفَّـاكِ فى جِلدِ جَلَلْ

* * *

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لَمَّا استُقْضِىَ عليها نُوح بن دَرَّاجٍ[1]:

يأيهـا الناسُ قد قـامَتْ قـيامَـتُكُمْ   إذْ صَـارَ قاضِـيكُم نوحُ بن دَرَّاجِ
لو كَانَ حَيًّا له الحَـجَّاجُ ما سَلِمَتْ   كَـفَّـاه ناجيـةً من نَقْشِ حَـجَّـاجِ

ويُرْوَى عن حسَّانَ، المعروفِ بالنَّبَطِىِّ ـ صاحبِ مَنارة حَسَّانَ فى البَطِيحة[2] ـ قال: أُرِيتُ الحَجَّاجَ فيما يرى النائم، فقلتُ: أصلح اللهُ الأميرَ! ما صَنَعَ اللهُ بكَ؟ فقـال: يا نبطىُّ، أهذا عليك! قـال: فَرَأَيْتُنا لا نُفْلِتُ مِنْ نَقْـشِهِ فى الحـياةِ، ومِنْ شَتْمِهِ بَعدَ الوفاة!

ويُروى عن حَسَّانَ أنه قَصَّ هذه الرؤيا على محمـد بن سيرين، فقال له ابنُ سيرين: لقد رأيتَ الحَجَّاجَ بالصِّحة.

[حديث الجحاف والأخطل]

قال أبو العبـاس: وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّـينَ أن الجَحَّاف بنَ حَكِيم دخل على عبد الملك، والأخْطَلُ عندَه، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال:

أَلاَ أَبْلِغ الجَـحَّـافَ هـل هُوَ ثائرٌ   بقتْلَى أُصِيـبتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ!

فقال الجَحَّاف:

بَلَى سَـوْفَ نَبْكِيـهِـمْ بِكُلِّ مُـهَنَّدٍ   ونَبْكِى عُـمَيْـراً بالرِّماحِ الْخَـوَاطِرِ

---

(١) زيادات ر: «ينسب للفرزدق»، وقال المرصفى. هذا خطأ فإن الفرزدق مات سنة عشرة ومائة، ومات نوح ابن دراج وهو قاض بالجانب الشرقى ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة».
(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

ثم قال: يا بْنَ النَّصرانيَّة، ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِئ عليَّ بمثل هذا ولو كُنْتُ مأسوراً لك ! فَحُمَّ الأخطلُ خوفًا، فقال له عبدُ الملك: أنا جَارُكَ منه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هَبْكَ أَجَرْتَنِي منه في اليَقظة، فَمنْ يُجيرُني منه في النَّوم !

ومِن هذا أو نحوه أَخَذَ السُّلَمِيُّ قوله:

[قال أبو الحسن: هو أشْجَعُ السُّلَمِيُّ يقوله للرشيد]:

وعلى عَدُوِّكَ يا بنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإظْلامُ
فإذا تَنبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا ... سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ

[هرب العديل من الحجاج]

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العجْلِيُّ هاربًا منَ الحَجَّاج، فجعلَ لا يَحُلُّ ببلدة إلاَّ رِيعَ لأثرٍ يراهُ من آثارِ الحَجَّاجِ فَيَهْرُبُ، حتى أَبْعَدَ، ففي ذلك يقول العَدَيْل:

يُخَشُّونَنِي الحَجَّاجَ حتى كَأَنَّمَا ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ في الفؤاد مَهِيضُ(١)
ودُونَ يَدِ الحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِي ... بسَاطٌ لأَيْدِي اليَعْمَلاَتِ عَرِيضُ(٢)

فلم يَنْشَبْ أن أُتِيَ به الحَجَّاج، ففي ذلك يقولُ العُدَيْلُ:

فلو كُنْتُ في سَلْمَى أَجا وشعابها ... لكانَ لحَجَّاجٍ عليَّ دليلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حَتَّى كأَنَّما ... أَتَى النَاسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

أجأ وسلْمَى: جَبَلا طَيِّئٍ، و«أَجَأ» مهموز، وإنما هو «أجا» مقصورٌ، فاعلم، قال زَيدُ الخَيْلِ:

جَلَبْنَا الخَيلَ مِنْ أَجَإٍ وسلْمَى ... تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئابِ(٣)

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها، إن كانت الهمزةُ مكسورة جَعَلَها ياء، أو ساكنةً جعلها على حركة ما قَبْلَها، وإن كانت مفتوحةً وقَبْلها فتحةٌ جعلها ألفًا، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واوًا، قال الفرزدق:

رَاحتْ بمَسْلمةَ البِغَالُ عَشِيَّةً ... فارْعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

(١) يخشونني: يخوفونني. (٢) البساط: الأرض العريضة.
(٣) نزائع: واحدتها نزيعه، وهي التي تشتاق إلى أوطانها.

وقال حَسَّانُ بن ثابت:

سَـالَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فـاحشـة ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سَالَتْ ولم تُصِبِ!

وقال عبد الرحمن بنُ حَسَّان:

وكـنتَ أَذَلَّ مـن وَتَدٍ بِـقَـــاعٍ ... يُشَـجِّجُ رأسَـهُ بـالفِـهْـرِ واجِى

[قول الفرزدق في عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق]

وأما قولُ الفرزدق، فإنه يقول لَمَّا عُزِلَ مُـسْلَمَةُ بنُ عبد المَلك عن العِراق بعد قَتله يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبِه وَوَلِيَ عُمَرُ بن هُبيرَةَ:

راحَتْ بمَسْلمـةَ البِـغَـالُ عـشـيـةَ ... فَـارْعَـى فـزارةُ لا هَنَـاكِ المَرْتَعُ

ولقــد علَمْتُ إذا فَــزَارَةُ أُمِّـرَتْ ... أَنْ سوفَ تَطْمَعُ فى الإمارة أَشْجَعُ

فـأَرَى الأُمـورَ تَنَكَّرَتْ أعلامُـهـا ... حـتى أُمَـيَّــةُ عن فَـزَارةَ تَنْزِعُ[1]

عُـزِل ابنُ عـمرٍو وابنُ بِشْـرٍ قَـبْلَهُ ... وأَخُــو هَرَاةَ لِمِـثْلِهــا يَتَــوَقَّعُ

ففى جواب هذا يقول الأسَدِي[2] لَمّا وَلِيَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ:

بكَت المنابـرُ من فَـزَارَةَ شَـجْـوَها ... فـالآن منْ قَـسْـرٍ تَضِجُّ وتَخْـشَعُ

وَملوكُ خنْـدفَ أَسْلمُـونَا للْـعِـدَا ... للهِ دَرُّ مُلُـوكِنَـا مَـــا تَصْنَعُ!

[كـانوا كَـتَـارِكَـةِ بَنِيـهَـا جَـانِبًـا ... سَفهًا وغـيرَهَم تَصُونُ وتُرْضِعُ][3]

وأما قول حَسَّانَ:

* سَالَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فاحشة *

فلَيس من لغته «سلْتُ أَسَال» مثل: «خفْتُ أخافُ»، و«هُمَا يَتَسَاوَلاَن»، هذا من لُغةِ غيرِه، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله ﷺ أن يُحلَّ لها الزِّنَا.

[مفاخرة بين أسدي وهذلي]

ويُرْوَى أَنَّ أَسديًّا وهُذَلِيًّا تَفَاخَرَا، فرَضيَا برجلٍ، فقال: إنِّي ما أَقْضِى بينكما إلاَّ أنْ تَجعلا لِى عَـقْدًا وثيقًا ألا تَضْـرِبَا ولاَ تَشْتِما، فـإنِّى لستُ فى بلادِ قَومِى،

(١) زيادات ر: «تنزع»، رواية عاصم، فمن روى «تنزع» بضم التاء يعنى «تعـزل»، ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزع فى القوس، وهو الرمى، يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها، وأنها ترمى عن قوسها».

(٢) نسبه المرصفى إلى إسماعيل بن عمار. (٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

ففعلاَ. فقال: يا أخا بَنِي أسد، كيف تُفَاخِرُ العربَ وأَنْتَ تعلمُ أنه ليس حَيٌّ أحَبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيف، ولا أقَلَّ تحتَ الرايات منكم! وأمَّا أنتَ يا أَخَا هُذَيْلٍ، فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ: كان منكم دَليلُ الحبشة على الكَعْبة، ومنكم خَوْلَةُ ذاتُ النِّحْيَيْن، وسألتُم رسول الله ﷺ أن يُحلَّ لكم الزِّنا! ولكن إذا أرَدْتُمَا بَيْتَيْ مُضَرَ، فعليكمَا بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيْس، قومًا في غير حفظ الله!

وأمَّا بيتُ عبدِ الرحمن بن حَسَّانَ فإنه يقوله لعبد الرحمن بن الحكَمِ بن أبي العاصي - وكان يُهاجيه، فقال له في كَلِمَته:

وأَمَّا قَولكَ الخُلَفاءُ مِنَّا	فهم مَنَعُوا وَرِيدَكَ من وِدَاجِ[1]
وَلولاهُمْ لكَنتَ كَحُوتِ بَحْرٍ	هَوَى في مُظْلِمِ الغَمَراتِ داجي
وكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ	يُشَجِّجُ رأْسَهُ بالفِهْرِ واجي[2]

وكان أَحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سوَّارُ بن المُضَرَّب[3] ففي ذلك يقول:

أَقَاتِلِيَ الحَجَّاجُ إنْ لم أَزُرْ لَهُ	دَرَاب وأَتْرُكْ عندَ هِنْد فُؤَادِيَا[4]
فإن كَانَ لا يُرضيكَ[5] حَتَّى تَرُدَّني	إلى قَطَرِيٍّ مَا إخَالُكَ راضِيًا
إذَا جَاوزَتْ دَرْبَ المجيزين نَاقَتي	فَبَاسْتَ أبي الحَجَّاج لَمَّا ثَنَانِيَا[6]
أَيَرْجو بنو مَرْوَانَ سَمْعِي وطاعتي	وقَومي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا

«ووَرائي» هاهنا بمعنى: أمامي، قال الله عز وجل: ﴿وإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[7]، وقال جل ثناؤه: ﴿وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[8].

---

(١) وداج: مصدر ودجه، أي قطع ودجه، والودج: أحد الودجين، وهما عرقان غلبظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها.

(٢) الفهر: الحجر ملء الكف، واجي: أصله واجيء، من الوجء، وهو الضرب والدق.

(٣) زيادات ر: «بفتح الراء».

(٤) دراب، قال المرصفي: «يريد دارا بجرد، فاقتصر على أحد الجزأين، وهي كورة بفارس».

(٥) زيادات ر: فاعل« برضيك» مضمر أو منوى، تقديره: فإن كان لا برضيك الإرضاء، ولا يجوز أن يكون ما بعد «يرضك» الفاعل؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: الفاعل لا يكون جملة، و«حتى تردني» جملة، قاله ابن الأبرش».

(٦) درب المجيزين هو باب السكة، والمجيزون: هم المقيمون بأبواب الثغور يمنعون الخارج إلا من كان بيده جواز.

(٧) سورة مريم ٥.

(٨) سورة الكهف ٧٩.

[محمد بن عبد الله النميرى والحجاج]

ومن هَربَ من الحَجَّاجِ محمدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ، وكان يُشَبِّبُ بزينبَ بنْت يوسفَ، أختِ الحَجَّاج، وهو القائل فيها:

تَضوَّعَ مسكا بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِرَاتِ
يُخَبِّئنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فى كلمةٍ له، فلمَّا أُتِىَ به الحَجَّاجُ قال:

هاكَ يدى ضاقَتْ بِىَ الأرض رُحْبَهَا ... وإنْ كُنْتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكانِ
فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأَسُومِهَا[1] ... لَخِلْتُك إلا أنْ تَصُدَّ تَرَانِى

* * *

[مَن رَفَعَ «رُحْبُها» فعلى البدل، ومن نَصَبَ فعلى الظرف، قاله ش. و«أسومها» بفتح الهمزة وبالضم، والفتح أحسن، ش].

* * *

ثم قال: والله أَيُّها الأميرُ، إنْ قلتُ إلاَّ خيرًا، إنما قلتُ:

يُخَبِّئنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فعفَا عنه، ثم قال له: أخبرنى عن قولك:

ولَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

ما كنتم؟ قال: كنتُ على حمارٍ هَزِيل، ومعى صاحبٌ لى على أتان مثله.

[مالك بن الريب والحجاج]

ومن هرب منه مالكُ بن الرَّيْبِ المازنىُّ، أَحَدُ بنى مَازِنِ بن مالك بن عمرو ابن تميم، وفى ذلك يقول:

إنْ تُنْصِفونا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاَّ فَأْذَنُوا ببِعَادِ
فَإِنَّ لَنَا عنكم مَزَاحًا ومَزْحَلا ... بِعِيسٍ إلى ريحِ الفَلاَةِ صَوَادِ[2]
فَفِى الأرض عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبِلادِى

* * *

(١) أسوم: اسم جبل.

(٢) مزاحا، مصدر ميمى من راح إذا بعد. ومزحلا، مصدر ميمى من زحل، إذا تنحى وتباعد. العيس. الإبل البيض، والصوادى: العطاش.

كذا وقعت الروايةُ بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصحُّ «أَوْطَنَتْ» بفتح الهمزة وفتح الطاء، قاله ش.

* * *

فمــاذا تُرَى الْحَجَّـاجَ يَبْلُغُ جُـهْدَهُ ... إذا نَحْنُ جـاوزنا حَـفـيـرَ زِيَادِ(١)

فلولاَ بَنُو مَـرْوَانَ كـان ابنُ يوسُف ... كـما كَـانَ عـبـدًا من عَبِـيـدِ إِيَادِ

زَمَـــانَ هُوَ العَـــبْـــدُ المُقِـــرُّ بِذِلَّةٍ ... يُرَاوِحُ صِـبْـيَـانَ القُـرَى ويُغَـادِى

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف، وكان لقبهُ «كلَيْبًا»، وفى ذلك يقولُ القائل:

أَيَنْسَى كُلَيْـبٌ زمـــان الهُــــزالِ ... وتَعْـليـــمَـــهُ ســـورةَ الكَـوْثَرِ

رَغِـــيـفٌ له فلـكَةٌ مــــا تُرَى ... وآخَـــرُ كـــالقَـــمَــرِ الأَزْهَرِ(٢)

يقولُ: خبْزُ المُعَلِّمين يأتى مختلفًا، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلفى الأحوال.

وأَنْشَدَ أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظ:

أَمَـا رأَيْتَ بنى بَـحْـرٍ وقـد حَـفلُوا ... كَـأَنَّهُم خُـبْـزُ بَقَّـال وكُـتَّـاب

هذا طويـلٌ وهَذا حَنْبَـلٌ جَـحِـدٌ ... يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ(٣)

وفى لَقبه يقولُ آخرُ من أهل الطائف:

كُـلـيْـبٌ تَـمكَّـنَ فـى أَرْضـكـم ... وقـد كـان فـينا صَـغِـيـرَ الخَطَرْ

ولما دخل الحَـجَّاجُ مكةَ اعـتذرَ إلى أهلهـا لقلة ما وصلهم بـه، فقال قـائلٌ منهم: إذَنْ والله لا نَعْذرك وأنـتَ أميرُ العِـرَاقَيْنِ وابنُ عَظيم القَـرْيَتَيْن ! وذلك أنَّ عُرْوَةَ بنَ مسعود وَلَدَهُ مِنْ قـبلَ أُمِّه. وتأويلُ قول الله عزَّ وَجلَّ: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هذَا القُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾(٤) مجازُهُ فى العـربية: «على رجل من

(١) حفير زياد: نهر احتفره زياد على خمس ليال من البصرة.

(٢) الفلكة: مستدار كل شىء.

(٣) الحنبل: القصير الضخم. والجحد: ضائق العيش.

(٤) سورة الزخرف ٣١.

رجلين من القـريتين عظيم»، والقـريتـان: مكةُ والطائفُ، والرجـلان: عُـرْوَةُ بنُ مسعود، والآخرُ الوَلِيدُ بنُ المُغيرةِ بن عبدَ الله بن عُمَرَ بن مَخْزوم.

ويُرْوَى أن أبا بكر الصديق رحـمه الله مَرَّ بقبـره ومعه خالد، فـقال: أصبَحَ جَمْرَةً فى النار، فأجابه خالد فى ذلك بجواب غيرِ مَرْضِىّ.

[مقتل عروة بن مسعود]

وأما عُـرْوَةُ بنُ مسعود فـإن رسولَ الله ﷺ بعثـهَ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فَـرَقِىَ سطحَهُ، فـرماه رجلٌ بسـهم فقـتله، فلما وَجَّـهَ رسولُ الله ﷺ العباسَ بن عبدِ المُطَّلب رحمه الله إلى أهل مكة أَبْطأَ عليه، فقال: «رُدُّوا علىَّ أَبى، أَمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلتْ ثَقِيفٌ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأُضْرِمَنَّهَا عليهم نارًا».

يقال: رَقِيتُ السطحَ وما كـان مثلَهُ أرقاه، مثلُ خَشِيتُهُ أَخْـشَاهُ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَـاءِ﴾(١)، ويقال: رَقَيْتُ اللَّدِيغَ أَرْقِيـه، مثلُ رَمَيْتُه أرميه. ويقال: ما رَقَأَتْ عينُه من الدمع، مـهموزٌ «تَرْقَأ» يا فتى، مثل «قَرَأْتَ تَقْرَأ» يا فتى.

[فى موت ابن الحجاج وأخيه]

وكـان الحَجَّـاجُ رأى فى منامه أن عَـيْنَيْه قُلِعَـتا، فطَـلَّقَ الْهِنْدَيْنِ: هندًا بنتَ المُهَلَّب، وهندًا بنتَ أسمـاء بنِ خَارِجَةَ، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءه نعىُّ أخـيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنُه محمدٌ، فقال: هذا والله تأويلُ رؤيَاىَ، ثم قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ فى يوم واحد!

حَسْبِي بقَاءُ الله من كلِّ مَيِّت ... وحَـسْبِى رَجَـاءُ الله من كلِّ هالك
إذا كان ربُّ الـعرْشِ عَنِّىَ رَاضِـيًا ... فإنَّ شـفاءَ النفسِ فيـما هُنَالكَ(٢)

وقال: مَنْ يقول شعرًا يُسليني به؟ فقال الفرزدق:

إنَّ الرَّزِيَّـةَ لا رَزِيَّةَ مـــثلُهــــا ... فُـقْـدَانُ مِثْلِ مُـحـمـد ومحـمـد
مَلِكَانِ قــد خلَتِ المَنَابرُ منهـــمـا ... أُخَـذَ الحِـمَامُ عـليهـمـا بالمَرْصَـدِ

---

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) زيادات ر: «ويروى: فإن سرور النفس».

فقال: لو زدتَنى ! فقال الفرزدق:

إنِّى لبَاكٍ عَلَى ابْنَىْ يُوسُف جَزَعًا ... ومِثْلُ فَقْدِهمَا للدِّين يُبْكينى
مَا سَدَّ حَىٌّ ولا مَيْتٌ مَسَدَّهُمَا ... إلاَّ الخَلائِفَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ

فقال له: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، إنما زِدْتَ فى حُزْنى، فقال الفرزدق:

لَئِنْ جَزِعَ الحَجَّاجُ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ ... تكونُ لمحزونٍ أَجَلَّ وَأَوْجَعَا
من المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خِيارِهِم ... جَنَاحَيْهِ لَمَّا فارقَاهُ فَوَدَّعَا
أَخٌ كانَ أَغْنَى أَيْمنَ الأرضِ كُلَّهُ ... وأَغْنَى ابْنُهُ أَهلَ العِراقَيْنِ أَجْمَعَا
جَنَاحَا عُقابٍ فَارقَاهُ كِلاهُمَا ... ولو نُزِعَا مِن غيرِه لَتَضَعْضَعَا

فقال: الآنَ.

أمَّا قولُهُ: «إلا الخلائفَ من بعد النبيين» فخَفضَ هذه النون، وهى نون الجمع، وإنما فَعَل ذلك لأنه جَعَلَ الإعْرابَ فيها لا فيما قبلَها، وجعلَ هذا الجمع كسائر الجمع، نحو أفْلُس، ومَسَاجِدَ، وكلاب، فإن إعرابَ هذا كإعرابِ الواحد، وإنما جاز ذلك؛ لأن الجمعَ يكون على أَبْنِيَةٍ شتَّى، وإنما يُلْحَق منه بمنْهاجِ التثنيةِ ما كان على حدِّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عنْ بنائه، وإلاَّ فلاَ، فإنَّ الجمعَ كالواحد، لاختلاف معانيه، كما تختلفُ معانى الواحد، والتثنيةُ ليستْ كذلك؛ لأنها ضَرْبٌ واحدٌ، ولا يكونُ اثنان آكثرَ من اثنين عدداً، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع، فمما جاء على هذا المذهب قولهم: هذه سنِين، فاعلمْ، وهذه عِشْرِين، فاعلم، قال العَدْوَانيُّ:

إنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو مُحافَظَةٍ ... وابنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ من أَبِيِّينِ
وأَنتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مائةٍ ... فأَجمعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فَكِيدُونى

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل:

ومَاذَا يَدَّرِى الشُّعَرَاءُ مِنِّى ... وقد جاوَزْتُ حَدَّ الأرْبَعينِ !
أَخو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّى ... ونَجَّذَنى مُدَاوَرَةُ الشُّئُونِ

وفى كتاب الله عز وجل: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[1].

---

(١) سورة الحاقة ٣٩.

فإن قـال قائل: فإن «غسلينًا» واحـدٌ، فإنه كلُّ ما كـانَ على بناء الجمع من الواحد فإعرابه كإعراب الجـمع، ألاَ تَرَى أنَّ «عشْرينَ» ليس لها واحدٌ من لفظها، وإعرابُها كإعرابِ «مُسْلمينَ» واحـدهم «مُسْلِمٌ»! وكذلك جميعُ الأعراب. وتقول: «هذه فلسْطونَ» يا فَـتى، و«رأيتُ فلَسْطين» يا فَـتى، هذا القـولُ الأَجْوَدُ وكـذلك «يَبْريـنَ»، وفى الرفع «يبْرونَ» يا فَـتى، وكلُّ ما أَشْـبَهَ هذا فـهو بمنزلتـه، تقول: «قِنَّسْرُونَ»، و«رأيت قِنَّسْرِينَ»، والأجودُ فى هذا البيت[1]:

وشَـاهِدُنَا الجلُّ والـيَـاسـمُـو نَ والمُسْـمـعَـاتُ بقُـصَّـابِهَـا[2]

وفى القرآن ما يُصَـدِّق ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلاَّ إنَّ كتابَ الأبرار لفى علِّيينَ * وما أَدْرَاكَ مَا عليُّونَ﴾[3]، فمن قال: «هذه قِنَّسْرُونَ ويَبْرُونَ»، فَنَسَبَ إلَى واحد منهمـا رجلا أو شيئا قال: «هذا رجل قِنَّسْـرِىٌّ ويَبْرِىٌّ»، بحذف النون والواو لمجىء حَرْفَيِ النَّسَب، ولو أَثْبَـتُهمَـا لكان فى الاسم رَفْعَان ونَصبـان وجَرَّان؛ لأن الياء مرفوعةٌ، والواوَ علامةُ الرفع. ومن قال: «قِنَّسْرين» كما ترى قال فى النَّسَب: «قِنَّسْرينىٌّ» لأنَّ الإعـراب فى حرف النَّسَب، وانكسـرتِ النونُ كما ينكسـر كلُّ ما لحقه النَّسَبُ.

وأما قوله: «ونجَّذَنى مُدَاوَرَةُ الشئُون»، فمـعناه: فَهَّمنى وعَرَّفَنى، كما يقال: حَنَّكَتْهُ التَّجـارب، والناجذُ: آخر الأضراس، من ذلك قـولهم: ضحك حتى بدتْ نَوَاجذُه. والشئونُ: جمعُ «شأْن» مهموزٌ، وهو الأمْر.

وقال المفسِّرونَ من أهلِ الفقـه وأهلِ اللغة فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ولاَ طَعَامٌ إلاَّ منْ غسْلينٍ﴾: هو غُسَـالة أهلِ النار، وقال النحـويُّون: هو «فعْلينٌ» من الغُسالَةِ.

[كلمة عمر بن عبد العزيز فى الولاة الظالمين]

ويُروَى أنَّ عُمَرَ بن عـبد العزيز خرج يومًـا فقال: الوَليدُ بالشَّـام، والحَجَّاجُ بالعراق، وقُرَّة بنُ شريك بمصـر، وعثمانُ بن حَيَّانَ بالحجـاز، ومحمدُ بنُ يُوسفَ باليمن ! امتلأت الأرْضُ والله جَوْرًا !.

---

(١) زيادات ر: «هو الأعشى».

(٢) زيادات ر: «الجل: الورد» «والقصاب: الأوتار، وقيل الزمار»، والمسمعات. الجوارى المغنيات.

(٣) سورة المطففين ١٨، ١٩.

[كتاب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك]

وكتب الحَجَّاجُ إلى الوليد بنِ عبد المَلك بعـدَ وفاة محمد بن يوسف: «أُخْبِرُ أمير المؤمنين ـ أكرمه اللهُ ـ أنه أُصيبَ لمحمد بن يوسف خمسونَ ومائةُ ألف دينار، فإن يَكُنْ أصابها من حلِّها فرَحِمَهُ الله، وإن تكن من خيانة فلا رحمه اللهُ»! فَكَتَبَ إليه الوليدُ: «أما بعدُ، فقد قرأ أَميـر المؤمنين كتابَكَ فيما خَلَّفَ محمدُ بن يوسف، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ له أَحْلَلْناها، فَتَرَحَّمْ عليه، رحمه الله»!

[من كلام معاوية لابنه يزيد]

ويُروَى أن يَزيدَ بنَ معـاويةَ قال لمعاويةَ في يوم بُويِعَ له على عَهْـده، فَجَعَلَ الناسُ يَمـدحونَه ويُقَـرِّظونهُ: «يا أميـرَ المؤمنين، والله ما نَدْرى، أنخْـدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنَا»! فـقال له معاويةُ: «كلُّ مَنْ أَرَدْتَ خـديعتَه فَتَخَـادَعَ لَك حتّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خَدَعْتَهُ».

[كتاب الحجاج إلى عبد الملك]

ويُروَى أن الحَجَّاجَ كَتَبَ إلى عبدِ الملك بن مَرْوَانَ: «وبَلغَنى أنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسَةً فَشَـمَّتَهُ قوم فقال: يغـفرَ الله لنا ولكم، فياَ لَيْتَنى كنت معـهم فأفُوزَ فوْزاً عظيما»!

[تفجع الوليد لموت الحجاج]

وزَعَم الأصْمَـعيُّ قال: خَرَجَ الوليـدُ يومًا على الناس وهو مُشْـعَانُّ الرَّأْسِ، فقال: مات الحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ، وقُرَّةُ بن شَرِيك، وجَعَلَ يَتَفَجَّعَ عليهما.

قوله: «مُشْعَانُّ الرَّأْسِ» يعنى مُنْتَفِخَ الشَّعَرِ[1] متفرّقه.

ومثلُ هذا لا يكونُ فى شعْرِ، لأن فى هذا التقاء ساكنَيْنِ، ولا يَقَعُ مثلُ هذا فى وزن الشعر، إلاَّ فيما تقدم ذِكْرُهُ فى المُتَقارِبِ، وليس ذا على ذلك الوزن.

[رسول عمر بن عبد العزيز إلى إليون ملك الروم]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عُـمَرَ بنَ عبـد العزيز رحمه الله وجَّـهَ عبدَ الله بنَ عـبد الأعْلَى ومعه رجل من عَنْسٍ إلى إليُـونَ، فقال العَنْسِيُّ: فَخَلاَ بِى عُـمَرُ دونهُ، وقال لى:

(١) زيادات ر. «والرواية منتفخ» والصحيح «منتفش» قاله ابن سراج.

احفظْ كلَّ ما يكونُ منه، فلمـا صرنا إليه صرنا إلى رجلٍ عَرَبِيٍّ اللسـان، إنَّما نَشَأَ بمَرْعَش(١)، فذَهَبَ عبدُ الله ليتكَلَّمَ، فـقلتُ: على رِسْلِكَ، فَحَمَدْتُ اللهَ وصليتُ على نبـيـه ﷺ، ثم قلتُ: إنِّى وُجِّهْـتُ بالذى وُجِّهَ به هذا، وإنَّ أمـيـرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام، فإنْ تَقَبَّلْهُ تُصبْ رُشْـدكَ، وإنى لأَحْسبُ أَنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء، إلاَّ أن يشـاء اللهُ غيرَ ذلك، فإن قَبِلْتَ وإلاَّ فاكتـبْ جوابَ كتابنا.

قـال: ثـم تكلَّمَ عبدُ الله، فحـمـد الله وصلى على نبيـه ﷺ، وذَهَبَ فى الـقول ـ وكَان مُفوَّهًا ـ فـقال له إلْيونُ: يا عبدَ الله! ما تقـول فى المَسيح؟ فقال: رُوحُ الله وكَلمتُهُ، فقال: أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ! فقال عبدُ الله: فى هذا نَظَرٌ! فقال: أَىُّ نَظَرٍ فى هذا؟ إمَّا نَعمْ وإمَّا لاَ! فقال عـبدُ الله: آدمُ خلَقَه اللهُ من تراب، فقال: إنَّ هذا أُخْرِجَ من رَحِمٍ، قـال: فى هذا نظر! قال له إلْيونُ بالرُّومـيَّة: إنِّى أَعْلَمُ أنك لَستَ على دينى ولاَ على دين الذى أرسلك ـ قال: وأنا أفهـمُ بالرُّومية ـ ثم قال: أتعظِّمُون يومًا غيرَ يومِ الجمعة؟ فـقال: نعم، فقال: وما ذلك اليومُ، أَمِنْ أَعْيَادكُم هو؟ فقال: لا، قال: فلِمَ تُعَظِّـمونَه؟ قال: عيدٌ لقومٍ كانوا صَـالحين قبلَ أن يَصيرَ إليكم، قال: فـقال له إليـونُ بالرومية: قـد علمتُ أنكَ لستَ على دينى ولا على دين الذى أرسلك، فـقال له عـبد الله: أتَدْرى مـا يقول أهلُ السَّـفَه؟ قـال: وما يقولون؟ قال: يقولون: قال إبليسُ: أُمِـرتُ ألا أَسْجُدَ إلاَّ لله، ثم قيلَ لى: اسْجُدْ لآدم، قال: فـقال له بالرومية: الأَمْـرُ فيك أَبْيَن من ذلك، قال: ثم كَـتَبَ جوابَ كتُبنا، قال: فَـرَجْعنا إلى عمرَ بها، قال: فَخَبَّـرناه بما أردنا ثم نهضنا، فَرَدَّنى إليه من باب الدار فخلا بى، فـأخبرتهُ، فقال: لَعَنَهُ اللهُ! لقـد كانت نفسى تأباهُ، ولم أَحْسبْهُ يَجْـتَرِئُ على مِثْلِ هذا، قال: فلما خرجتُ قال لى عـبد الله: ما الذى قال لكَ؟ قال: قلتُ قال لى: أَتَطْمَعُ فيه؟ قلت: لا.

[الشعبى عند صاحب الروم]

ولما وجَّهَ عبدُ الملك الشَّعْبِيَّ إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه، قال له صاحب الروم بعدَ انقضاء ما بينهـما: أَمِنْ أهلِ بيت المَمْلكة أنتَ؟ قال: قلتُ: لا، ولكنى رجلٌ

---

(١) مرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم.

من العرب، قال: فكتب معى رُقْعةً، وقال لى: إذا أَدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأَدِّ هذه الرُّقعةَ إلى صاحبك، قال: فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتهُ جوابَ كتابه وخَبَّرْتُه بما دَارَ بيننا نَهَضْتُ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ، فرجعتُ فدفعتُها إليه، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَتَدْرى ما فى هذه الرقعة؟ قلتُ: لا، قال: فيها «العَجَبُ لقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أُمورَهم غيرَهُ»، قال: فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَفَتدْرى مَا أَرَادَ بهذا، قلتُ: لا، قال: حَسَدَنى عليكَ، فأرادَ أن أَقْتُلَكَ، قال: فقلتُ: إنما كَثُرْتُ عندَه - يا أميرَ المؤمنين - لأنه لم يَرَكَ، قال: فرجَعَ الكلام إلى مَلِك الروم، فقال: لله أَبُوه ! مَا عَدَا مَا فى نَفْسِى !

[معاوية وأحد بطارقة الروم]

وحُدِّثْتُ أَنَّ معاوية، كان إذا أتاه عن بِطْرِيق من بَطارقة الروم كَيْدٌ للإسلام احتالَ له، فأهْدَى إليه وكاتَبَه، حتى يُغْرِىَ به مَلِك الروم، فكانت رُسُلُه تأتيه فتُخبره بأن هناك بِطْرِيقًا يُؤْذى الرُّسُلَ، ويَطْعُنُ عليهم، ويسىء عِشْرَتَهُمْ، فقال معاويةُ: أى ما فى عَمَلِ الإسلامِ أَحَبُّ إليه؟ فقيل له: الخِفافُ الحُمْرُ، ودُهْنُ البَان، فألطَفَهُ بهما، حَتَّى عَرَفَتْ رسلُه باعتياده، ثمْ كَتَبَ كتابًا إليه، كأنه جوابُ كتابه منه، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وَعَدَهُ به من نصْره وخِذلانَ مَلِك الروم. وأَمَرَ الرسولَ بأن يَتَعَرَّضَ لأنْ يُظْهَرَ على الكتاب، فلمَّا ذَهَبَتْ رُسُلُهُ فى أوقاتها ثم رَجَعَت إليه، قال: ما حَدَثَ هناك؟ قالوا: فلانٌ البِطْرِيق رأيناه مقتولا مصلوبًا، فقال: وأنَا أبو عبد الرحمن![1].

[رسولا ملك الروم عند معاوية]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ مَلِك الرُّوم فى ذلك الأوَان وَجَّهَ إلى معاويةَ: «إنَّ الملوكَ قَبْلَك كانت تُرَاسِلُ الملوكَ منَّا، ويَجْهَدُ بعضُهم فى أَنْ يُغْرِبَ على بعض، أَفَتَأْذَنُ فى ذلك»؟. فأذنَ له، فوَجَّهَ إليه برجلين: أحدُهما طويلٌ جَسِيمٌ، والآخرُ أَيِّدٌ، فقال معاويةُ لعَمْرٍو[2]: أمَّا الطويلُ فقد أصَبْنَا كُفْأَهُ - وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبَادَةَ - وأما

---

(1) قال المرصفى: «يريد أغريت بما صنعت له ملك الروم حتى قتله وصلبه وأنا المعروف بالكيد والدهاء، وعبد الرحمن ولده من فاختة بنت قرظة».

(2) يريد عمرو بن العاص.

الآخرُ الأيِّـدُ فقد احـتَجْنا إلى رأيـكَ فيه، فـقال: هاهنا رجـلان، كلاهُمـا إليك بَغيضٌ: محمدُ بنُ الحَنَفيَّةِ، وعبـدُ الله بنُ الزُّبَيرِ، فقال معاويةُ: مَنْ هُوَ أقْرَبُ إلينَا على حالٍ. فلما دخلَ الرجـلان وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعدِ بن عُبـادةَ يُعْلِمُه، فدخل قيسٌ، فلما مَثَلَ بين يَدَىْ معاويةَ نَزَعَ سَـرَاويلَه فرمى بها إلى العلْج، فلبسها فنالت ثُنْدُوَته[1]، فأطْرَقَ مـغلوبًا، فَحُدِّثْتُ أن قَيْـسًا لِيمَ فى ذلك، فقـيلَ له: لِمَ تَبَذَّلْت هذا التَّبذُّلَ بحَضْرَةِ معاويةَ، هَلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها! فقال:

أَرَدتُ لكَيْـمَـا يَعْلَمَ النـاسُ أنها سَـراويلُ قَـيْسٍ والوُفـودُ شـهـودُ
وألاَّ يقَـولُوا: غَـابَ قَـيْسٌ وهذه سَـراويلُ عـادِى نَمَـتْـهُ ثَمـودُ
وإنى مِنَ القـومِ اليَـمَـانِينَ سَـيِّـدٌ ومـا الناسُ إلاَّ سَـيِّـدٌ وَمَـسُـودُ
وبَذَّ جمـيعَ الخَلقِ أصلى ومَنْصِبى وجـسمٌ بِهِ أعْلُـو الرِّجـالَ مَـديدُ

وكان قيسٌ سِنَاطًا[2] ، فكانت الأنصارُ تقول: لوددنا أنا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا، وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء الله.

ثم وَجَّهَ إلى محـمد بن الحنفيَّة، فدخـلَ، فَخُبِّرَ بما دُعِىَ له، فقـال: فقولوا له: إن شاءَ فَلْيَجلِسْ ولْيُـعْطِنى يَدَهُ حَتَّى أُقيمَهُ أو يُقْعِـدَنى، وإن شاءَ فليكنِ القائمَ وأنا القاعدَ، فاخـتارَ الرومىُّ الجلوسَ، فأقامه محمدٌ، وعَـجَزَ هو عن إقْعاده، ثم اختَارَ أنْ يكونَ مـحمدٌ هو القاعـدَ، فَجَذَبَهُ فأقْـعده، وعجزَ الرومىُّ عن إقـامته، فانْصَرَفَا مغلوبَيْن.

[معاوية يهدى ملك الروم قارورة مملوءة ماء]

وحدثنى أحدُ الهـاشميِّين: أن مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إلى معاويةَ بقـارورة، فقال: ابْعَثْ إلىَّ فيها من كلِّ شىء، فبَعَثَ إلى ابن عباسٍ، قال: لتُمْلأْ له مَاءً، فلما وَرَدَ بها على ملك الروم قال: لله أبوه ما أدهاهُ! فقيلَ لابنِ عباسَ: كيفَ اختَرْتَ ذلك؟ فقال: لقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[3].

---

(1) زيادات ر: «الثندوة ما اسود حول الحلمة».

(2) زيادات ر. «السناط والسنوط: أن يكون فى الذقن شىء من الشعـر، ولا يكون فى العارضين شىء، فإن لم يكن فيهما جميعا فهو الثط».

(3) سورة الأنبياء ٣٠.

[طعم الماء]

وقيل لرجلٍ من بنــى هاشم ـ وهو جعفـرُ بنُ محمـدِ بنِ علىٍّ بن الحُسْين، وكان يُقَدَّم فى مَعْرِفَتِهِ ـ: ما طَعْمُ الماء؟ فقال: طعمُ الحَيَاة.

[عبد الله بن الزبير وعلاج لحيته]

وأمَّا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر فيَذْكُرُ أَهْلُهُ أنه قال: عالَجتُ لِحيَتى لِتَتَّصِلَ لى إلى أن بلغتُ ستِّين سنةً، فلما أكْمَلْتُهَا يَئِستُ منها.

[من أخبار قيس بن سعد]

وكان قيسُ بنُ سـعدٍ شجاعًا جَوادًا سـيِّدًا، وجاءته عجوزٌ قـد كانتْ تألَفهُ، فقال لها: كيفَ حالُكِ؟ فقالَت: ما فِى بيتى جُرَذٌ، فقال: ما أَحْسَنَ ما سَأَلْت! أَمَا والله لأُكْثِرَنَّ جرذَانَ بَيْتِك.

وكان سعـدُ بن عُبادةَ حيثُ تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ ماله بين ولَده، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به، فلما وُلِدَ له، قال له عـمرُ بن الخطَّاب ـ يعنى قَيْسًا ـ: لأَنقضَنَّ ما فـعلَ سعدٌ، فجـاءه قيسٌ، فقال: يا أمـيرَ المؤمنين، نصيـبى لهذا المولود، ولا تَنْقضْ ما فَعلَ سعدٌ.

قال أبو العبـاس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيـثُ أَثِقُ به: أنَّ أبا بكر وعمرَ رحمهما الله مَشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يَسْأَلانِه فى أمرِ هذا المولـود، فقال: نصيبى له، لا أُغَيِّرُ ما فعل سعد.

وكان معاويةُ كتب إلى قـيسِ بنِ سعد ـ وهو وَالِى مصرَ لعلىٍّ بن أبى طالبٍ رحمه الله ـ: «أمَّـا بعد، فإنَّكَ يهودىٌّ ابنُ يهـودىٍّ، إن غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين إليك عزلَكَ واستَبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبْغَضُهـما إليك قَتَلَكَ، ومَثَّلَ بكَ، وقد كان أبوك فَوَّقَ سَهْمَهُ، ورمَى غَرَضَهُ، فأَكْثرَ الحَزَّ، وأَخْطَأَ المَفْصِل، حتى خَذَلَهُ قَوْمُهُ، وأدركه يومُه، فماتَ غريبًا بَحْوَران، والسلام».

فكتب إليـه قيسٌ: «أمَّـا بعدُ، فـإنك وَثَنُ ابنُ وَثَنٍ، لم يَقْـدُمْ إيمانُك، ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ، دَخَـلْتَ فى الدين كُرْهًا، وخرجتَ منهُ طوعًا، وقـد كان أبِى فَوَّقَ

سهمَهُ، وَرَمَى غَرَضَهُ، فَسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤُكَ، فلم تَشُقُّوا غُبارَه، ولم تُدْرِكُوا شَأْوَه، ونحن أنصارُ الدِّين الذى خرجتَ منهُ، وأعداء الدين الذى خرجتَ إليه، والسلامَ».

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعة قد بَذُّوا الناسَ طولاً وجمالاً، منهم: العباسُ ابنُ عبد المطلب رحمه الله، وولَدُهُ، وجَرِيرُ بنُ عبد الله البَجَلِيُّ، والأَشْعَثُ بنُ قيسٍ الكِنْدِيُّ، وعَدِيُّ بنُ حاتمٍ الطائيُّ، وابنُ جذْلِ الطِّعَان الكنانىُّ، وأبو زُبَيْدٍ الطائيُّ، وزيدُ الْخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائيُّ، وكان أحَدُ هؤلاء يُقَبِّل المرأة على الهَوْدَجِ، وكان يقال للرجل منهم مُقَبِّلُ الظُّعْن، وكان طلحةُ بنُ عُبيد الله موصوفًا بالتمَّام.

باب

[السليك بن السلكة]

قال أبو العباس: قال السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَة ـ وهي أُمُّـه، وكانت سَوْدَاءَ حَبَشِيَّةً ـ وكان من غِرْبان العَرَب، وهو السُّلَيْكُ بن عُمَيْر السَّعْدِيُّ:

أَلاَ عَتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْنِي ... وأَعْجَبَهَا ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

فَإِنِّي يابْنَةَ الأَقْوامِ أُرْبِي ... على فِعْلِ الوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ

فلا تَصِلِي بِصُعْلُوكٍ نَئُومٍ ... إذَا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ العِيَالِ

ولكنْ كُلَّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بِنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ[1]

أَشَابَ الرأسَ أَنِّي كلَّ يومٍ ... أَرَى لِي خَالَةً وسْطَ الرِّحَالِ

يَشُقُّ عليَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا ... ويَعْجِزُ عن تَخَلُّصِهِنَّ مَالِي

قوله:

* وأَعجَبَها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ *

يعني: الجُمم، وإن شئتَ قلتَ: الجِمَام، يقالُ «جُمَّةٌ وَجُمَمٌ»، كقولك «ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ»، ويقال «جِمامٌ» كقولك: «جُفْرَةٌ وجِفارٌ»[2] و«بُرْمَةٌ وبِرامٌ».

قال الشاعر:

إِمَا تَرَىْ لِمَّتِي أَوْدَى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أَصْدَاغِي وأَفْوَادِي

وقوله:

* على فِعْلِ الوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ *

يريد: الجميل، وهو «فَعِيلٌ» مِنْ «وضُؤَ يَوْضُؤُ» يا فتى، تقديرُهُ «كَرُمَ يكْرُمُ، وهو كريم»، ومصْدَرُه «الوَضَاءَةُ» وكذلك «قَبُحَ يَقْبُحُ قَبَاحَةً»، و«سَمُجَ يَسْمُجُ سَمَاجَةً»، ويقال: «ما كُنْتَ وَضِيئًا»، و«لقد وضُؤْتَ بعدَنا».

وقوله: «فلا تَصِلِي بصُعْلُوكٍ»، يقول لاَ تَتَّصِلِي به، كما قال ابنُ أَحَمر:

ولا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إذا مَا ... سَرَى في القوم أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا

---

(١) زيادات ر: «كل خبر ابتداء والتقدير: همك».

(٢) زيادات ر: «الجفرة: هي الحفرة العظيمة».

إذا شَـربَ المُرِضَّـةَ قـال أَوْكِي ۔ عَلَى مـا فِي سِقَائِك قـد رَوِينَا[1]

فالصعلوك: الذى لا مال له، قال الشاعر[2]:

كَأَنَّ الفتَى لم يَعْـرَ يومًا إذا اكْتَسَى ولم يَكُ صُـعْلُوكًـا إذا مَـا تَمَـوَّلاَ

وقوله: «نئوم» يَصِفُه بالبَلادة والكَسَلِ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بخفَّة الرءوس عن النوم، وتَذُمُّ النُّوفة، كما قال عـبدُ الملك لمؤدِّب ولَدِه: عَلِّمْهمُ العَوْمَ، وخُذْهُم بقلَّة النَّوْم. وإنما تَوَجَّعَ لخالاته لأنهنَّ كُنَّ إماءً.

[النجباء من أولاد السرارى]

ويُرْوَى عن رجلٍ من قُـريشٍ ـ لم يُسَمَّ لنا ـ قال: كنت أُجـالسُ سعـيد بنَ المُسيِّب، فقال لى يومًا: مَنْ أخوالُكَ؟ فـقلتُ: أُمِّى فَتَاةٌ، فكَأَنِّى نَقصَتُ فى عَيْنِه، فَأَمْهَلْتُ حتى دخـلَ عليه سالمُ بنُ عبد الله بن عمرَ بن الخـطَّاب رحمه الله، فلما خَرَجَ مِنْ عنده قلتُ: يا عَمِّ! مَنْ هذا؟ فقال: يا سُبْحَانَ الله! أَتَجْهَلُ مثلَ هذا مِن قَوْمِكَ! هذا سَالمُ بنُ عبد الله بن عمرَ، قلتُ: فَمَنْ أُمُّه؟ قال: فَتَاةٌ، قال: ثم أَتَاهُ القاسمُ بنُ محمد بن أبى بكر الصديق رحمه الله، فجلس عندَه ثم نَهَضَ، فقلتُ: يا عَمِّ! مَنْ هذا؟ فقـال: أتجهلُ مِنْ أَهْلِكَ مِـثْلَهُ! ما أَعْجَبَ هـذا! هذا القاسمُ بنُ محمد بنِ أبى بكر الصديق، قلتُ: فَمَنْ أُمُّه؟ قال: فَتَاةٌ، فَأَمْهَلْتُ شَيْئًا حتى جاءه علىُّ بن الحسين بن علىِّ بن أبى طـالب رضى الله عنه، فـسلَّم عليـه ثم نهضَ، فقلتُ: يا عَمِّ، مَنْ هذا؟ قـال: هذا الذى لا يَسعُ مسلمًـا أن يَجْهلَه! هذا علىُّ بن الحسين بن علىِّ بن أبى طالب، قلتُ: فمن أُمُّه؟ قـال: فتاةٌ، قال: قلتُ: يا عَمِّ! رأيتَنى نَقَصْتُ فى عـينكَ لَمَّا علمتَ أنى لأُمِّ ولَد، أَفَمَا لِى فى هؤلاء أُسْـوَةٌ! قال: فَجَلَلْتُ فى عَيْنِه جداً.

وكَانَتْ أمّ علـى بن الحسين «سُـلاَفَة» من ولد يزْدَجَـرِدَ، معروفـةَ النَّسَبِ، وكانتْ من خيرَات النِّساء.

ويُرْوَى أنه قـيلَ لعلىٍّ بن الحُسـين رحمـه الله: إنك مِنْ أَبَرِّ الناسِ، ولَسْتَ تأكلُ مع أُمِّكَ فى صَحْفةٍ؟ فـقال: أَكْرهُ أن تَسْبِقَ يَدِى إلى ما قد سَبَـقَتْ إليه عَيْنُها فأكون قد عَقَقْتُها.

---

(١) زيادات ر. «إذا صب لبن حليب على حامض، فهى المرضة» وأوكى: شد به بالوكاء، وهو كل شىء يسد به فم السقاء.

(٢) زيادات ر: «جابر بن ثعلبة الطائى».

وكان يقالُ له: ابنُ الْخيَرتين[1] لقول رسول الله ﷺ: «لله مِنْ عِبَادِه خِيرَتَانِ، فَخِيرَتُهُ من العرب قُرَيْشٌ، ومن العَجَمِ فارِسُ».

وكانت سُلافَةُ عَمَّةَ أُمِّ يزيد النَّاقِصِ أو أُخْتَها.

وقال رجلٌ من وَلَد الْحَكَمِ بنِ أبي العاصي، يقال له عُبَيْدُ الله بن الْحُرِّ ـ وكان شاعراً متقدِّمًا، وكان لأُمِّ وَلَد، وهو من وَلَد مَرْوَانَ بن الحَكَمِ ـ:

فإنْ تَكُ أُمِّى مِنْ نِسَاء أَفَاءَهَا جِيادُ القَنَا والمُرْهَفَات الصَّفَائحِ
فتَبًّا لِفَضْلِ الحُرِّ إنْ لَم أَنَلْ به كَرَائمَ أولادِ النِّسَاءِ الصَّرائحِ

وإنما أَخَذَ هذا من قول عَنْتَرَة:

وأَنا امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِى[2] وأَحْمِى سَائِرِى بالْمُنْصَلِ

وأَنْشَدَ لِبِلالِ بنَ جَرِيرٍ ـ وبلغه أن مُوسَى بنَ جَرِيرٍ كان إذا ذَكَرَه نسبه إلى أُمِّه، لأنه ابنُ أَمِّ وَلَد، فيقولُ: قال ابنُ أُمِّ حكيمٍ، فقال بلال:

يا رُبَّ خَالٍ لِي أَغَرَّ أَبْلَجَا مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَذِى مُتَوَّجَا
لَيس كَخَالٍ لكَ يُدْعَى عَشْنَجَا

والعَشْنَجُ: المُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّئُ المَنْظَرِ.

وكَانَ سَبَبُ أَمِّ بلالٍ عندَ جريرٍ أن جريراً في أَوَّل دخوله العرَاقَ دَخَلَ على الحكَمِ بنِ أيوبَ بن أبى عَقِيلٍ الثَّقَفِيِّ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاجِ، وعامِلُهُ على البصرةِ، وفى ذلك يقولُ جَرِير:

أَقْبَلْنَ من ثَهْلانَ أَوْ وَادى خِيمِ عَلى قِلاَصٍ مِثْلِ خِيطَانِ السَّلَمِ[3]
إذَا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ حَتَّى أَنَخْنَاهَا إلى بَابِ الحكَمْ
خَلِيفَةِ الحَجَّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

فكتبَ الحكَمُ بعد أن قَاطَنَه[4] إلى الحجاج، وذلك فى أَوَّلِ سَبَبِهِ: إنه قَدِمَ

(1) زيادات ر: «بتحريك الياء أفصح». (2) زيادات ر: «شطرى، مبتدأ، والخبر في المجرور قبله».

(3) القلاص: جمع قلوص، وهى الناقة الفتية، وخيطان: جمع خوط وهى الغُصْنُ الناعم، والسلم: ضرب من الشجر.

(4) قاطنه: راجعه فى الكلام.

علىَّ أعرابىٌّ ياقعةٌ[١] لم أرَ مثْلَهُ. فكَتَبَ إليـه الحَجَّاجُ أن يَحْمِلَه مـعه، فلما دخلَ عليه قال له: بَلَغَنى أنك ذُو بَديهة، فَقُلْ فى هذه الجارية - لجارية قائمة على رأسه - فقال جريرٌ: مَالَى أَنْ أَقولَ فيها حتَّى أتأمَّلَهَا، ومَالى أَنْ أتأمَّلَ جَاريةَ الأمير! فقالَ: بَلَى، فتأمَّلْهَا واسألْها، فقال لها: ما اسْمُكِ يا جارية؟ فأمْسكَتْ، فقال لها الحَجَّاجُ: خبِّريه يا لَخْنَاءُ، فقالت: أُمَامَةُ، فقال جَريرٌ:

وَدِّعْ أُمَامَـةَ حَانَ منكَ رَحِيلُ ... إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحبُّ قَليلُ
مِثْلَ الكثيبِ تَمَايَلَتْ أعْطَافُهُ ... فالرِّيحُ تُجْبِرُ مَتْنَهُ وتَهِيلُ
هذِى القُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَّمْتها ... وأرَى الشِّفاءَ ومَا إليه سَبِيلُ

فقال له الحَجَّاجُ: قد جَعَلَ اللهُ لَكَ السَّبيلَ إليها، خُذْهَا هىَ لَكَ. فَضَرَبَ بيده إلى يَدِها، فَتَمنَّعَتْ عليه، فقال:

إنْ كَانَ طِبَّكُم الدَّلاَلُ فإنَّهُ ... حَسَنٌ دَلاَلُكِ يا أُمَامَ جَمِيلُ

* * *

[ش: بنصب «الطِّبَّ» ورَفْع «الدَّلاَل»، وبالعكس، برفع «الطب» ونصب الدلال». والطِّبُّ هنا: المَذْهَبُ، والدَّلاَلُ: الدَّالَّة].

* * *

فاستُضْحَكَ الحَجَّاجُ، وأَمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة.

وخُبِّرْتُ أنها كانت من أهل الرَّىِّ، وكان إخْوتُها أحرارًا، فاتَّبَعُوه، فأعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرينَ ألفًا، فلم يَفْعَل، ففى ذلك يقولُ:

إذا عَرَضُوا عشْرينَ ألفًا تَعَرَّضَتْ ... لأُمِّ حكيمٍ حاجةٌ هِىَ ما هِيَا
لَقَدْ زِدْتِ أهلَ الرَّىِّ عندى مَوَدَّةً ... وحَبَّبْتِ أضْعَافًا إلىَّ المَوَالِيَا

فأولدها حكيمًا وبلالا وحَزْرَةَ، بَنى جَرِيرٍ، هؤلاء مَن أذْكُر مِنْ وَلَدِهَا.

ويقال: إنْ الحَمَّانىَّ[٢] قاولَ بلالا ذاتَ يوم فيما كان بينهما من الشرِّ، فقال: يا بنَ أُمِّ حكيم، فقال له بلالٌ: مَا تَذْكُرُ من ابنَة دهقان، وأُخيذَة رِماحٍ، وعَطيَّة مَلِك؟ ليست كأمِّك التى بالمَرُّوتِ[٣]، تَغْدو علىَ أثَر ضأْنِـهَا، كأنما عَقِبَاهَا حَافِرَا

---

(١) زيادات ر. «بريد داهية، والباقعة: طائر حذر».

(٢) قال المرصفى: «الحمانى اسمه أبو نخيلة، نسب إلى جده حمان». (٣) المروت: اسم واد بعينه.

حمَار، فـقال له الحمَّانيُّ: أنا أعْلَمُ بأُمِّـكَ، إنما عَتَبَ عليها الحَـجَّاجُ فى أمر، الله أعَلمُ به، فحلَفَ أنْ يَدْفَعهَا إِلَى ألأَمِ العربِ، فلما رأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه.

قال: وأُنْشدتُ لرجلٍ من رُجَّازِ بنى سعد:

ـ أنَا ابنُ سَـعْـدٍ وتَوَسَّـطْتُ العَـجَمْ ... فَـأنا فِيـمـا شئْتَ من خَـالٍ وعَمْ

وقال عمرُ بنُ الخطاب رحمه الله: ليس قومٌ أكْيَسُ من أولادِ السَّرَارِىِّ، لأنهم يَجمعونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجمِ.

[كتاب محمد بن عبد الله بن حسن إلى المنصور ورده عليه]

وكَتبَ أميـرُ المؤمنين المنصورُ إلى محمد بن عبـد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ـ رحمهم الله ـ لـمَّا كَتَبَ إليه محمدٌ:

«وَاعْلَمْ أَنِّى لسـتُ مِنْ أولاد الطُّلَقَـاء، ولا أولاد اللُّعَـنَاء، ولا أَعْـرَقْت فىَّ الإمَاءُ، ولا حَضَنَتْنى أُمَّهَاتُ الأولاَد. ولقد عَلمْتَ أَنَّ هاشمًا وَلَدَ عَليًّا مَرَّتين، وأن عبدَ المطَّلـبِ وَلَدَ الحسنَ مرَّتين، وأَن رسولَ الله ﷺ وَلدنى مرَّتـينَ من قِبَلِ جَدَّىَّ الحسنِ والحسينِ».

يعنى أَنَّ أُمَّ عَلىٍّ فاطمةُ بنتُ أسَد بن هاشمٍ، وأمَّ الحـسنِ فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ بن عبـد الله بن عبد المُطَّلب بن هـاشم، وأَنَّ أُمَّهُ فاطمـةُ بنتُ الحسين بن علىّ بن أبى طالبَ بن عبد المُطَّلِبَ بن هاشمٍ.

فكتب إليه المنصور:

«أمَّا مـا ذكرتَ من ولادة هاشمٍ عـليًّا مرتين، وولادة عـبد المُطَّلـب الحسن مرتين، فخـيرُ الأوَّلينَ والآخرينَ رسولُ الله ﷺ، لم يَلدْهُ هَـاشمٌ إلاَّ مرةً واحدةً، ولا عبدُ المُطَّلب إلاَّ مرةً واحدَةً، وله السَّبْقُ إلى كلِّ الخَيـر. ولقد علمتَ أنه بُعثَ رسولُ الله ﷺ وعُـمومَـتُهُ أَرْبعَـةٌ، فآمَنَ به اثنان، أَحَـدهما أبى، وكفـر به اثنان أَحَدُهمـا أبوك، وأَمَّا ما ذَكَـرتَ أنَّه لـم تُعْرقْ فيكَ الإمَـاءُ، فقد فَـخرْتَ على بنى هاشم طُرًّا، أولَهم إبراهيمُ بنُ رسولِ الله ﷺ، ثم علىُّ بنُ الحسين، الذى لم يُولَدْ فيكم بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ مولودٌ مثلُه».

وهذه رسالة للمنصور طَرِيفةٌ مُستحسَـنةٌ جداً، سَنُمْليهَا فى موضعها من هذا الكتاب، إن شاء اللهُ.

* * *

وأنشدَنى الرِّياشىُّ:

إنَّ أولادَ السَّرارِىْ كَثُرُوا يا ربِّ فينا
رَبِّ أَدْخِلْنِى بِلادًا لا أرَى فيها هَجِينَا

والهَجِينُ عند العرب: الذى أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعة، والأصل فى ذلك أن تكونَ أَمَةً، وإنما قيلَ: «هجيِنٌ» من أجْل البَيَاضِ، وكأنَّهم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّوم والصَّقَالبَة ومَنْ أَشبههم، والدليلُ على أن الهَجِينَ الأَبْيَضُ أن العرب تقول: ما يَخْفَى ذلَك على الأسود والأحمر، أىِ العَرَبِى والعَجَمىِّ، ويُسَمُّونَ الموالِىَ وسائرَ العجمِ الحَمْراءَ، وقد ذكرنا ذلك، ولذلكَ قال زيد الخَيلِ:

* وأيْقَنَ أَنَّنَا صُهْبُ السِّبَالِ[1] *

أى كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ.

وقال ابن الرُّقَيَّات:

إنْ تَرَيْنِى تَغَيَّرَ اللَّونُ منِّى وعلا الشَّيْبُ مَفْرِقِى وقَذَالِى
فَظِلالُ السُّيوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِى وطِعَانِى فى الحرب صُهْبَ السِّبَالِ

فقيل «هَجِينٌ» من هاهنا.

وإذا كانت الأُمُّ كريمةً والأبُ خَسِيسًا قيلَ له: المُذَرَّع، قال الفرزدقُ:

إذا بَاهِلىٌّ تحتَه حَنْظَلِيَّةٌ لهُ وَلَدٌ منها فَذَاكَ المُذَرَّعُ

وقال الآخرُ:

إنَّ المُذَرَّعَ لا تُغْنِى خُئُولتُه كَالبَغْلِ يَعْجِزُ عن شوْطِ المَحَاضِيرِ[2]

وإنما سُمِّىَ مُذَرَّعا، للرَّقْمَتَيْنِ[3] فى ذِراع البغلِ، وإنما صارتَا فيه من ناحية الحمار، قال هُدْبَة:

وَرِثَتْ رَقَاشِ اللُّؤْمَ عن آبائِهَا كَتَوارُثِ الحُمُراتِ رَقْمَ الأَذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ فى كلامٍ يجيبُ به ابنَ الزُّبير: والله إنه لَمصْلُوبُ قُرِيش، ومتَى كان عوَّامُ بنُ عَوامٍ يَطمعُ فى صَفيَّةَ بنتِ عبد المُطَّلب! مَنْ أبُوكَ يا بَغْلُ؟ فقال: خالِى الفَرَس!

---

(١) صدره كما فى حواشى ر:

* وأسْلَمَ عِرْسَه لَمَّا رآنا *

(٢) زيادات ر: «جمع محضير، وهو الفرس السريع». (٣) الرقمتان: أثر بباطن الذراعين لا ينبتان الشعر.

باب

[لأعرابي فيمن أطال لحيته]

قال أبو العباس: قال أعرابيٌّ:

كُلُّ امْرِىءٍ ذى لِحْيَةٍ عَثْوَلِيَّةٍ ... يَقُومُ عليها ظَنَّ أنَّ لَهُ فَضْلا
ومَا الفَضْلُ فى طُولِ السِّبَالِ وعَرْضِهَا ... إذَا اللهُ لم يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلا

ويُرْوى: «لحاملها».

عَثْوَلِيَّة، يقول: كَثيرةٌ، والمُسْتَعْمَلُ رجلٌ «عِثْوَالٌ» إذَا كَانَ كَثيرَ الشَّعَر، وأصلُ ذلك في الرأسِ واللِّحية، وبنَاهُ الأعرابيُّ بناء «جَدْوَل» كأنه «عَثْوَلٌ» ثم نَسَب إليه.

والسَّبَلَةُ: مُقَدَّمُ اللِّحية، يقال لِمَا أُسْبِلَ من الشاربين: سَبَلَتَان، وتقول العربُ: أَخَذَ فلانٌ شَفْرة فَلَتَم بها سَبَلَةَ بعيره، أى نَحَرَهُ، واللتم: الشَّقُّ، فهذا ما أُسْبِلَ من جرانه.

[لبعض المحدثين فى ذم ذوى العى]

وقال بعض المُحْدَثين:

ومـا حُسْنُ الرِّجـال لهم بحُسْنٍ ... إذَا مـا أخطأ الحُسْنَ البَيَانُ
كَفَى بِالمَرْءِ عَيْبًا أن تَرَاهُ ... لَهُ وجهٌ وليس له لِسَانُ

وقال آخر:

إنِّى على مَا تَزْدَرِى من دَمَامَتِى ... إذَا قِيسَ ذَرْعى بالرجال طويلُ

[الرجل يصف لحيته]

ونظر يزيدُ بن مَزْيد الشَّيْبانيُّ إلى رجل ذى لحية عظيمة، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره، فإذا هو خَاضِبٌ، فقال: إنَّكَ مِنْ لِحيَتِكَ فى مُئونة! فقال: أَجَلْ، ولذلك أقولُ:

لَهَا درهَمٌ للدُّهْنِ فى كلِّ جُمْعةٍ ... وآخَرُ للحِنَّاء يَبْتَدِرَانِ
ولَولاَ نَوالٌ مِن يزيدَ بنَ مَزْيدٍ ... لَصَوَّتَ فى حَافاتِها الجَلَمَانِ[1]

---

(١) الجلمان. مثنى جلم، وهو المقراض، ويطلق المثنى على الواحد.

[لإسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية]

وقال إسحاقُ بنُ خلَفٍ يصفُ رجلا بالقصَرِ وطُولِ اللِّحية:

مــا ســرَّنى أنَّنى فـى طول دَاوُدِ	وأنَّنـى عَلَمٌ فى البَـأْسِ والجـودِ
ماشَيْتُ دَاودَ فاسْتُضْحكْتُ من عجبٍ	كَـأَنَّنى وَالِـدٌ يَمْـشى بمـولُود
مـا طُول داودَ إلاَّ طَول لحيَتـهِ	يَظَلُّ داودُ فـيـهـا غـيـرَ مَـوْجُـود
تُكنَّـهُ خُـصْـلَةٌ منهـا إذا نَفَـحَتْ	ريح الشِّتَـاء وجـفَّ الماءُ فى العُـود
كالأنْبَـجَانىِّ مَصْـقُولا عوَارضُـهَا[1]	سَـوْداء فى لين خَـدِّ الغَـادَة الرُّود[2]
أَجْزَى وأَغْنَى من الْخَزِّ الصَّفيق ومنْ	بيض القَطائف[3] يوم القُرِّ وَالسُّود[4]
إنْ هَبَّـتِ الرِّيح أَدَّتْـهُ إلى عَـدَنٍ	إنْ كَـانَ ما لَفَّ منهـا غـيرَ مَـعْقُـود

وفى الحديث: «من سعـادة المرْء خفَّةُ عارضيـه»، وليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللِّحى وإحْفاء الشَّوارِب، فـقد رَوىَ أنهم قالوا: لا بأسَ بأخْذ العارضَيْنِ والتَّبطين[5]، وأما الإعـفاء فـهو التَّكثيـر، وهو من الأضداد، قـال اللهُ عز وجل: ﴿حَتَّى عفَوا﴾[6]، أى حتى كثُروا، ويقال: عفَا وبَرُ الناقة إذ كثُر، قال الشاعر:

ولكِـنَّا نُعضُّ الـسَّـيْـفَ منهـا بَأسَوْقِ عـاَفـيـاَت اللحْمِ كـومِ

والكُومُ: العظامُ الأسنِمَةِ، واحـدتها كَوْماء، ويقـال: عفَا الرَّبعُ، إذا درَسَ، ومنْ ذلك:

* عَلَى آثارِ مَنْ ذَهَبَ العفَاءُ *

أى الدُّروس.

وقال مَسْلمَـةُ بنُ عبد الملك: إنى لأعْجَبُ منْ ثلاثة: من رجلٍ قَصَّـرَ شعرَهُ ثم عـاد فأطاله، أو شَـمَّرَ ثَوبَهُ ثم عـاد فأسْبَلَهُ، أو تَمَـتَّعَ بِالسَّرَارِىِّ ثم عـادَ إلى المَهيرَاتِ.

---

(١) الأنبجانى. كساء من الصوف، منسوب إلى منبج على غير قياس.

(٢) الرود: الحسنة الشابة.

(٣) القطائف: جمع قطيفة، وهى كساء مربع غليظ له خمل ووبر.

(٤) زيادات ر: «القر» بالقاف، يريد البرد، ويروى بالغين، يريد السحائب البيض.

(٥) التبطين. أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك.

(٦) سورة الأعراف ٩٥.

واحدة المَهيرَاتِ مهيرَة، وهى الحرَّةُ المَهْورَة، و«مَفْعُول» يَخْرُج إلى «فَعِيل»، كمقتولٍ وقَتيل، ومجروحٍ وجَريح، قال الأعشى:

ومَنْكُوحَةٍ غيرِ مَمْهُورَةٍ وأخْرَى يُقالُ لها فَادهَا[1]

فهذا المعروفُ فى كلامِ العرب، مَهَرْتُ المَرأةَ فَهى مَهورةٌ، ويقالُ وليس بالكثير ـ: أمْهَرْتُهَا فهى مُمْهَرةٌ، أنشدنى المَازنِىُّ:

أُخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأُمْهِرْنَ أرْمَاحًا من الْخَطِّ ذُبَّلا[2]

[من ألفاظ الكنايات]

وأهلُ الحجازِ يَرَوْنَ النكاحَ العَقْدَ دونَ الفعْلِ، ولا يُنكرونَه فى الفعل، ويحتجُّون بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يأيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتموهُنَّ منْ قَبْلِ أنْ تَمسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ منْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها﴾[3]، فهذا الأشْيَعُ فى كلام العرب، قال الأعْشَى:

وأمْتَعْتُ نَفْسى منَ الغَانيَا تِ إمَّا نكاحًا وإمَّا أُزَنْ[4]

ومن كلِّ بَيْضَاءَ رُعْبُوبَةٍ لهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كاللَّبَنْ[5]

ويكونُ النِّكاحُ الجماع، وهو فى الأصل كناية، قال الراجز:

إذا زَنَيْتُ فَأجِدْ نِكَاحَا وأعْمِلِ الغُدُوَّ والرَّوَاحَا

والكنايةُ تَقَعُ عن هذا الباب كثيرًا، والأصل ما ذكَرْنَا لك، وقال رسولُ الله ﷺ: «أنَا منْ نكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ». ومِنْ خُطَب المسلمين: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفَاحَ».

والكناية تقعَ عن الجماع، قال الله عز وجل: ﴿أُحلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلَى نِسَائِكُمْ﴾[6]، فهذه كنايَة عن الجماع، قال أكثرُ الفقهاءِ فى قوله تبارك

---

(١) زيادات ر: «فادها، من فديت الأسير، وهو يصف سبيا أخذ فيه إماء وحرائر».

(٢) زيادات ر: «عجرفية: جافية، خطبة، مصدر مضى».

(٣) سورة الأحزاب ٤٩.

(٤) زيادات ر: «قوله «أزن» أراد أزنى ثم حذف الياء وخفف النون فقال: أزن».

(٥) الرعبوبة: الحسنة الخلق.

(٦) سورة البقرة ١٨٧

وتعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[1] قالوا: كناية عن الجماع، وليس الأمرُ عندنا كذلك، وما أصفُ مذهب أهلِ المدينة، قد فُرِغَ من النكاحِ تصريحًا، وإنما المُلامَسَةُ أن يَلْمِسهَا الرجلُ بِيَدٍ أو بإدْناء جَسَدٍ من جسد، فذلك يَنقضُ الوضوءَ في قول أهلِ المدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذكرِ الجُنُبِ: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

وقولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[2] كنايةٌ بإجماعٍ عن قَضاءِ الحاجة، لأنَّ كلَّ مَنْ أكلَ الطعامَ في الدنيا أَنْجَى، يقال: نَجَا وأَنْجَى، إذا قام لحاجةِ الإنسان.

وكذلك: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[3] كناية عن الفروج، ومثلُه: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾[4] فإنما الغائطُ كالوادي، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِب:

وكَمْ من غَائطٍ مِن دُونِ سَلْمَى ... قليلِ الإنْسِ ليسَ به كَتِيعُ[5]

يقال: وَهِمَ الرجلُ يَوْهَم، إذا شَكَّ، وهو الأجْوَدُ ويجوزُ: يِيْهَمُ، ويَيْهَمُ، وياهَمُ؛ لعِلَلٍ، وكذلك ما كان مثلُه، نحو: وَجِلَ يَوْجَلُ ووَحِلَ يَوْحَلُ، ووَجِعَ يَوْجَعُ، ويجوز في «وَهِم» أن تقول: «يَهِم» فإن المعتَلَّ منْ هذا يجيءُ على مثال حَسِبَ يَحْسِبُ، مثل: وَلِيَ الأميرُ يَلِي، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب.

[الرجل من تميم]

وقال رجلٌ أَحْسبُه من بَني تَميمٍ:

لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يا سَعْدُ مَالَهَا ... وكُنْ أُخْرَيَات الْخَيْلِ عَلَّكَ تَجْرَحُ
لعلَّك تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ ... لها عَائدٌ يَنْفِي الْحَصَا حينَ يَنْفَحُ
وأَكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أَتاكَ لحَاجةٍ ... لعَاقِبَةٍ إنَّ العِضَاةَ تَرَوَّحُ[6]
[بذَا فامْدَحِيني واندُبِيني فإنَّني ... فَتى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حينَ يُمْدَحُ][7]

---

(١) سورة النساء ٤٣.
(٢) سورة المائدة ٧٥.
(٣) سورة فصلت ٢١.
(٤) سورة النساء ٤٢.
(٥) يقال: ما بالدار كتيع، أي ما بها أحد.
(٦) زيادات ر: «إذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب، فيقال: أخلف الشجر وتروح».
(٧) هذا البيت من زيادات ر.

قوله:

* لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يا سَعْدُ مَالهَا *

يقول: لا تَتَخَلَّفْ عن القِتَال وتَسْأَلْ عن أخبار القومِ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِل:

ليسَ مِثْلِي يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ	بَائِهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القِتَالاَ
لم أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى	حُذِىَ الوَرْدُ من دِمَاءٍ نِعَالاَ

يقول: كُنْتُ فى حَوْمَةِ القتال، صَلِيتُ الحَرْبَ أَكْثَرَ مِمَّا صَلِيَهَا غَيْرِى.

[طلاق ابنة عبد الله من السائب ثم زواجها من المصعب]

ويُرْوَى عن رجلٍ من بَنِى أَسَد بن عبد العُزَّى، يقال له: فُلان [ش: هو عبدُ الله] بنُ السَّائِبِ أنه زوَّج ابنتَه عَمْرو بنَ عثمان بن عَفَّانَ، فلمَّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المَنَصَّةِ، فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزُّبَيْر، فقال: إنَّ عَمْرو بن عثمان طَلَّقَ ابْنَتِى على المَنَصَّةِ، وقد ظنَّ النَّاسُ أَنَّ ذلك لعَاهَةٍ، وأنتَ عَمُّها، فَقُمْ فَادْخُلْ إليها، فقال عبدُ الله: أَوَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ! جيئُونى بالمُصْعَب، فَخَطَبَ عبدُ الله فَزوَّجَهَا من المُصْعَب، وأَقسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها فى لَيْلَتِهِ، فلا تُعرفُ امرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فى لَيْلَتَيْنِ ولاَءً غَيْرُها فأَوْلَدَهَا المُصْعَبُ عيسَى وعُكَّاشَةَ، فلمَّا كان يَوْمُ مَسْكِنٍ(1)، وَهَرَبَ أكثرُ الناس عن المُصْعَب، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنة الحسين بن على ابن أبى طالب، وكانت له شَدِيدةَ المحبَّة، وكانت تُخْفِى ذلك، فَلَبسَ غِلالَةً وتوَشَّح عليها، وانْتَضَى السَّيْفَ، فلمَّا رأتْ ذاك علمتْ أَنَّه عَزَمَ أَلاَّ يَرْجع، فصاحت مِنْ ورائه: وَاحَرَبَاهْ! فالْتَفَتَ إليها، فقال: أَوَهذا لِى فى قَلْبك! فقالت: إى والله وأَكْثَرُ من هذا! فقال: أَمَا لوْ عَلِمْتُ لكانَ لِى ولك شأْنٌ. ثم خَرَجَ، فقال لابنه عيسى: يا بُنَىَّ، انْجُ إلى نَجائِكَ، فإنَّ القوم لا حَاجةَ بهم إلى غَيْرِى، وَسَتَفْلِتُ بحيلَة أَو بُقْيا، فقالَ: يا أَبَتَاهَ! لا أُحَدِّثُ والله عَنْكَ أَبدًا، فقال: أَمَا والله لَئِنْ قلتَ ذلكَ لَمَا زِلْتُ أَتعَرَّفُ الكرَم فى أسرارِكَ، وأَنْت تُقَلَّبُ فى مَهْدِكَ.

---

(1) مسكن: موضع على نهر دجيل، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، وقتل به مصعب، وقبره هناك. (مراصد الاطلاع ١٢٧١).

[ش: الأَسْرَارُ: جمع سِرٍّ وهى الطَّرائقُ فى الجَبْهَةِ].

فَقُتِل بين يَدَىْ أَبِيه، ففى ذلك يقولُ شاعرُ أَهْلِ الشَّأْمِ من اليَمَانِية:

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وعِيسَى وَابنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا

* عَمْدًا أَذَقْنَا مُضَرَ التَّبْئِيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجُلاً:

فَلو كَانَ شَهْمَ النَّفْسِ أو ذَا حَفِيظَةٍ رأَى ما رأَى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ

[لبلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير]

وقال بلالُ بنُ جرير يَمدحُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ[1]:

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إِذْ يَبْنِى العُلاَ كَنَفَيهِ حَتَّى نَالَتَا العَيُّوقَا[2]
وَلَوَ أنَّ عبدَ الله فَاخَرَ مَنْ تَرَى فَاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا
قَرْمٌ إذا ما كَانَ يَوْمُ نُفُورَةٍ جَمَعَ الزُّبَيْرُ عليكَ والصِّدِّيقَا
لو شِئتَ ما فَاتُوك إذْ جَارَيْتَهُمْ ولكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبِرِّ حَقِيقَا
لَكنْ أَتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ ولقد تَرَى وتَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا

* * *

عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدمة[3]:

قوله:

* لعلَّك تَحْمِى عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ *

يقال: حميتُ الناحيةَ أَحْمِيها حَمْيًا وحمايةً، كما قال الفرزدقُ:

وإِذَا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمنَ جَأْشُها ثِقَةً لها بحِمَايَةِ الأَدْبارِ[4]

ومعنَى ذلك: منعْتُ ودَفعتُ، ويقال: أَحْمَيْتُ الأرض أى جعلتُها حِمًى

---

(١) زيادات ر: «يقال إن بلالا لم يلحق ابن الزبير، إلا أن يكون مدحه ميتا».

(٢) العيوق: نجم أحمر مضىء فى السماء فى طرف المجرة الأيمن، وفى زيادات ر: ويروى: «كفيه»، وهو أظهر لقوله. «حتى نالتا».

(٣) ص١٣٢.

(٤) جشأن: تظلمن وجزعن فزعا، وطأمن: سكن.

لا تُقْرَبُ، وأَحْمَيْتُ الحديدَ أُحْميه إحْماءً، وحَمَيْتُ أَنْفى مَحْمِيَةً يا فتى، إذا أنْتَ أَبَيْتَ الضَّيْمَ. وصِحَابٌ: جمعُ صَاحب، وقد يقالُ: هو جمعَ صَحْب كما تقول: تاجرٌ وتَجْرٌ، وراكبٌ ورَكْب، ونحو ذلك، ثم تجمع صَحْبًا على صِحَاب، كقولك: كَلْبٌ وكِلابٌ وفَرْخ وفراخ، فهذا مذهب حَسَنٌ، ومن قال: هو جمعُ صاحب، فنظيره قَائم وقيامٌ، وتاجر وتجارٌ.

وقوله: «لها عَاندٌ يَنْفى الْحَصَا» يعنى الدَّمَ، ويقال: عَنَدَ العِرْقُ، إذا خرج الدَّمُ منه بحدَّة. وينفى الحصَا، يعنى الدَّمَ بشدة جَرْيه، كما قال:

مُسَحْسِحَةٌ تَنْفِى الْحَصَا عن طَرِيقها [يُقَطِّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِثارُها](١)

يعنى طعنة.

وقال آخرُ فى صفة طعنة:

ومستَنة كاسْتِنَان الْخَرُو ف قَدْ قَطَعَ الْحَبلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ هاهنا إنما هو الفُلُوُ الصَّغير.

وقولُه:

وأكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أتاكَ لحاجة لِعاقبة إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ

يقول: الشجرُ يُصيبهُ النَّدَى فى آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشَأُ له وَرَقٌ، فيقول: لعلَّك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ.

ومثلُه:

ولا تُهِينَ الكريمَ عَلَّك أنْ تَرْكَعَ يومًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

أراد «ولا تُهينَنْ» بالنون الخفيفة، فحذفها لالتقاء الساكنين، وهذا الحكم فيها.

ومثله فى المعنى قولُ عبَّادِ بن عبَّاد بن حَبيب بن المُهَلَّب:

إذا خَلَّةٌ نَابَتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ

وبادرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا زَوَالَ اقْتِدارٍ أو غنًى عنك يُعْقِبُ

[زَوالَ، مفعولٌ لـ «بادرْ». قاله ش] ومثلُ هذا كثير.

---

(١) ما بين العلامتين س، زيادات ر.

وقال جعفرُ بن محمد بن عليٍّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ إنِّى لأُسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّى خوفًا من أن أَرُدَّهُ فيَستغنِيَ عنِّى.

وقال رجلٌ من العرب: ما رددتُ رجلا عن حاجة فَولَّى عنِّى إلاَّ رأيتُ الغِنَى فى قَفاهُ.

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب: ما رأيتُ أحدًا أَسْعَفْتُهُ فى حاجة إلاَّ أضاءَ ما بَيْنِى وبينهُ، ولا رأيتُ رجلا رددتُه عن حاجة إلاَّ أَظْلَم ما بينى وبينهُ.

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله؟: مَنْ يَئِسَ من شَيءٍ استَغْنَى عنه. وقال عبدُ الله بن هَمام السَّلُولِيُّ:

فأَخْلفْ وأَتْلفْ إنما المالُ عارَةٌ	فكُلْهُ معَ الدَّهرِ الذى هو آكلُهْ
فأَهْوَنُ مَفقودٍ وأَيْسَرُ هالِكٍ	على الحيِّ من لا يَبْلُغُ الحيَّ نَائِلُهْ

عارةٌ أى مُعارٌ، ووزنه «فَعَلَةٌ».

* * *

وقال أحدُ المحدَثِين[1]، وليس من هذا الباب ولكنَّا ذكرناه فى الإعارة:

أَعَارَكَ مالَهُ لتَقومَ فيه	بطاعَتِه وتَعْرِفَ فَضْلَ حَقِّه
فلم تَشْكُرْهُ نعْمَتَهُ ولكنْ	قَويتَ على مَعَاصِيه برِزْقِهْ
تُجَاهِرُهُ بهَا عَوْدًا وبَدْءًا	وتَسْتَخْفِى بها مِن شَرِّ خَلْقِهْ

وقال جريرٌ:

وإنِّى لأَسْتَحْيِى أَخِى أَنْ أَرَى له	عَلَيَّ مِن الحقِّ الذى لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحملُه قومٌ على خِلاَف معناه، وإنما تأويلُه: إنِّى لأَسْتَحْيِى أَخى أَنْ يكونَ له عليَّ فضلٌ ولا يكونَ لى عليه فضلٌ ومنِّى إليه مُكافأَةٌ، فأستحيى أَنْ أَرَى له عليَّ حقًّا لمَا فَعَلَ إليَّ، ولا أفعلَ إليه ما يكونُ لِى به عليه حَقٌّ. وهذا من مذاهب الكِرَام، ومِمَّا تأخذُ به أَنْفُسَهَا.

---

(١) زيادات ر: «هو محمود الوراق».

[أبيات عائذ الكلب الزبيري لعبد الله بن حسن]

فأمَّا قولُ عائذِ الكَلْب الزُّبَيْرِيِّ لعبد الله بن حَسَنِ بن حَسَن[1]:

لـه حَقٌّ ولـيس علـيـه حَقٌّ	ومَـهْمـا قـال فـالحَسَنُ الْجَـمِـيلُ
وقـد كَانَ الرَّسـولُ يرَى حُـقوقًـا	عليـه لغـيـرِه وهوَ الرَّسـولُ

فإنهُ ذَكَرَهُ بِقلَّة الإنصاف، فقال: يَرَى له حقًّا على النَّاس، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا من أجل نَسَبِه برسول الله ﷺ، وبيَّن ذلك بقوله:

وقـد كَانَ الرَّسـولُ يرَى حُـقوقًـا ... عليـه لغـيـرِه وهوَ الرَّسـولُ

فالذى يفتَخِرُ به عبد الله يَرَى للناس عليه حقا، فالمُفْتَخِرُ به أَجْدَرُ.

* * *

وقـد قيل لعلـيِّ بن الحُسَين ـ وكـان بيِّنَ الفَـضْلِ رحـمهُ الله: مـا بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نسَبَكَ أَهْلَ الرُّفْقَـة؟ فقال: أكرهُ أنْ آخُذَ برسول الله ﷺ مالاً أُعْطِى مثْلَهُ.

وإنما يَعترِى هذا البابُ ـ منَ الظُّلم وقلَّة الإنصـاف والبُعْد من الرِّقَّة عليهمُ ـ الْجَهلَةَ من أهلِ هذا النَسَب، والله جَلَّ ذكْرُه يقـول لنبيِّه ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3] فإذا كانَ هُوَ ﷺ يَخَافُ من المعصيَة فكيفَ يَأْمَنُهَا غيرُه به!

[لجرير يمدح هشام بن عبد الملك]

وأما قولُ جـريرٍ لهشامِ بن عبـد الملك فهو المدحُ الصحـيحُ على خلاف هذا المعنى، قال:

وأنتَ إذا نَـظَرْتَ إلـى هشـام	عَـرَفْتَ نجَـارَ مُنْتَـجَبٍ كـريمِ
وَلِىُّ الحقِّ حـيـن يؤُمُّ حَـجًّـا	صـفُـوفًـا بين زَمْـزَمَ والْـحَطيمِ

---

(١) زيادات ر: اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى، وسمى عائد الكلب بقوله:

مـالِى مـرضتُ فلم يَـعُـدْنِى عـائد	منكمْ ويمرضُ كلبكم فـأعـودُ
وأشـدُّ من مـرضى علىَّ صـدودُكمْ	وصـدودُ كلـبِكمُ علـىَّ شـديدُ

(٢) سورة التوبة ١٢٨. (٣) سورة الأنعام ١٥.

يَرَى للمسلمينَ عليه حَقًّا   كفعْلِ الوالد الرَّؤُف الرَّحيمِ
إِذَا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا   كَفَى الأيْتامَ فَقْدَ أبى اليَتِيمِ

وفى هذا الشعر:

أميرُ المؤمنين على صِرَاطٍ   إذا اعوَجَّ المَوَارِدُ مُستَقِيمِ
أميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دِيناً   وحلْمًا فاضلا لِذَوى الْحُلُومِ
لَكَ المُتَخَيَّرَانِ أبًا وَخَالا   فأكْرِمْ بالخُؤُولَة والعُمُومِ
فَيَا بْنَ المُطْعِمِينَ إِذَا شَتَونَا   ويا بنَ الذَّائدينَ عن الحَرِيمِ
سَمَا بكَ خالدٌ وبنُو هشامٍ   إلى العَلْيَاء فى الْحَسَبِ الْجَسِيمِ[1]
وتَنْزِلُ منْ أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلقَى   شُئُونُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ
تواصَتْ من تَكرُّمِها قُرَيْشٌ   بردِّ الخَيْلِ دامِيَةَ الكُلُومِ
فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا   بِمُقْرِفَةِ النِّجَار ولا عَقِيمِ
وما فَحْلٌ بأنجَبَ من أبيكمْ   ولا خَالٌ بأكْرَمَ من تَمِيمِ
سَمَا أولادُ بَرَّةَ بنت مُرٍّ   إلى العَلْيَاء فى الحَسَبِ العظيمِ
لك الغُرُّ السَّوَابقُ من قريشٍ   فقد عَرِقَ الأعَرُّ من البَهيمِ

قولُهُ: «حينَ يؤُمُّ حَجًّا» فيكون الحجُّ جمعَ حاجٍّ، كما يقال: تاجرٌ وتَجْرٌ، وراكبٌ وركْبٌ، قال العَجَّاجُ:

بوَاسِطٍ أكْرَمُ دار دارَا   واللهُ سمَّى نَصْرَكَ الأنْصَارَا

فأخْرَجَه على «نَاصِر ونَصْر»، قال: ويجوزُ أن يكونَ حَجٌّ أصحابَ حَجٍّ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] يريد أهْلَها.

وقوله:

* كفعْلِ الوالد الرَّؤُف الرَّحيمِ *

يقال: «رؤُف» على «فَعُلٍ» مثلُ يَقُظٍ وحَذُرٍ، ورءُوفٌ على وزن «ضَرُوبٍ». وقال الأنصارى[4]:

---

(١) تعرقتنا: أهزلتنا، وأصله أخذ ما على العظم من اللحم.

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس فى قوله: وبنو هشام، وإنما وقع فى شعره: وأبو هشام، وهو الصحيح، يريد إسماعيل بن هشام، وهو جده من قبل أمه».

(٣) سورة يوسف ٨٢.   (٤) زيادات ر: «هو كعب بن مالك».

نُطيعُ نَبِيَّنا ونُطيعُ ربًّا — هو الرَّحمنُ كان بنا رَءُوفا

وقد قُرِئ: ﴿إن اللهَ رَؤُفٌ بالْعِبَاد﴾[1]، و﴿رءُوفٌ﴾ أكثرُ، وإنما هو من الرَّأفة، وهى أَشَدُّ الرَّحمة، ويقالُ: «رَآفَةٌ» وقُرِئ: ﴿ولاَ تَأخُذْكمْ بهِمَا رَآفَةٌ فِى دِينِ الله﴾[2] على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهة.

وقوله:

* إذا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا *

يُفسَّرُ على وجهين: أحدُهما: أن يكون ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السنين سِنُونَ، كما قال الأعْشَى:

وتَشْرَقُ بالقولِ الذى قد أَذَعْتَهُ — كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

لأن صَدْرَ القناة قَناةٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه، لأن بعض الأصابعِ إِصْبَع، فهذا قول.

والأجْوَدُ أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضاف إليه، فأقْحَمَ المضافَ إليه توكيدًا، لأنه غيرُ خَارجٍ من المعنى، وفى كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضعين﴾[3] إنما المعنى: فَظَلُّوا لها خاضعينَ، والخضوعُ بيِّنٌ فى الأعناق، فأَخْبَرَ عَنهم، فأقْحَمَ الأعناقَ توكيدًا، وكان أبو زيد الأنصاريُّ يقول: أعناقُهم جماعاتهم، تقولُ: أتانى عُنُقٌ من النَّاسِ، والأوَّل قولُ عامَّةِ النحويين.

وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خبرُ الزُّبَيْرِ تواضَعَتْ — سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

وقال أيضًا

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّى — كما أخَذَ السِّرَارُ من الهِلاَلِ

وقال ذو الرُّمَّة:

مَشَيْنَ كما اهتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ — أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[4]

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧. (٢) سورة النور ٢. (٣) سورة الشعراء ٤.

(٤) زيادات ر: «زعم بعضهم أن البيت مصنوع، والصحيح فيه: مرضى الرياح النواهم، المرضى: التى تهب بلين».

ومثل هذا كثير، وعلى مثل هذا القول الثانى تقول: «يا تَيْمَ تَيْمَ عَدىٍّ» لأنك أردت: «يا تَيْمَ عَدىٍّ»، وأَقْحَمْتَ الأوَّلَ توكيدًا[1]، وكذلك: لا أبَالَكَ، لأَن الألف لا تثْبُتُ فى «الأبِ» فى النصبْ إلاَّ فى الإضافة، أو بدلا من التنوين، فإنَّما أرادَ «لا أبَاكَ» ثم أقْحَمَ الَّلامَ توكيدًا للإضافة، وأنشدَ المازنىُّ:

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ وأىُّ كَرِيمٍ لا أبَاكِ يُخَلَّدُ!

وقال آخَرُ:

أبِالْمَوْتِ الذى لابُدَّ أنِّى مُلاَقٍ لاَ أَبَاكِ تُخَوِّفِينِى!

وقولُه: «على صِرَاط» فالصِّراط: المِنْهَاجُ الواضح، وكذلك قالت العلماء فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم﴾.

وقولُه: «سَمَا بِكَ خَالدٌ» يريدُ خالدَ بنَ الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ ابن مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْب، لأن أمَّ هشامٍ بنتُ هشام بن إسماعيلَ بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم. وكان هشامُ بنُ المغيرة أجَلَّ قُرَشِىٍّ حِلْمًا وجودًا، وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموته، كما كانت تُؤرِّخُ بعام الفيل وبِمُلْكِ فلانٍ، قال الشاعر:

* زَمَانَ تَنَاعَى النَّاسَ موتَ هِشَامِ *

ومن أجْله يقولُ القائل:

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِراً كأنَّ الأَرضَ ليس بها هشامُ

يقول: هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفون فى الأرض، فقد كان يحب من أجله ألا ينالهَا جَدْبٌ، وقال الآخَر:

ذَرِينى أَصْطَبِحْ يَا سَلْمَ إنِّى رأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هِشَامِ

وقوله: «نَقَّبْ» أى طَوَّف حتى أصابَ هشامًا، قال الله عز وجل: ﴿فَنَقَّبُوا فى الْبِلاَدِ﴾[2] أى طَوَّفُوا، ومثلُه قولُ امْرِئ القَيْسِ:

وقَدْ نَقَّبْتُ فِى الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيَابِ

(١) زيادات ر. كذا وقع «وأقحمت الأول توكيدا»، وإنما الصحيح: «وأقحمت الثانى توكيدا».
(٢) سورة ق ٣٦.

[عمر أول من أرخ فى الإسلام]

فأما التاريخُ الذى يُؤَرَّخُ به اليومَ فأوَّل مَنْ فعلَه فى الإسلام عمرُ بن الْخَطَّاب رحمه الله، حيث دَوَّنَ الدَّوَاوينَ، فقيل له: لو أَرَّخْتَ يا أميرَ المؤمنين لكنْتَ تَعْرِفُ الأُمور فى أوقـاتها؟ فقـال: وما التَّأْريخُ؟ فـأُعْلِمَ ما كانـت العجمُ تفعلُه، فـقال: أرِّخُوا، فقالوا: مُذْ أيِّ سنَةٍ؟ فاجـتَمعوا على سَنَة الهجرة، لأنه الوقتُ الذى حكَمَ فيه رسول الله ﷺ على غيرِ تَقيَّة، ثم قالوا: فى أَىِّ شهرٍ؟ فقالوا: نستَقْبلُ بالناس أمورَهمَ فى شهر المحرَّم إذا انْقَضَى حَجُّهُمْ، وكانت هجرةُ رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الآخر[1] فَقَدَّمَ التأريخُ على الهجرة هذه الأشهُرَ.

وجاء فى تصـحيح هذا الوقت ـ أعنى المحـرَّمَ ـ ما رُوِىَ لنا عن ابن عـباس رحمه الله، فإنه قـال فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[2]: فأقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَة، وهو المحرَّمُ.

وقولُه:

* فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا *

يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بن كِنانَة، وهو أبو قُرَيْش، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِهِ فليس بقُرَشيٍّ، وتَميمُ بن مُرٍّ خالُه.

وكان يقالُ: مَنْ عَرفَ حَقَّ أخيـه دام له إخَاؤُهُ، ومَنْ تكبَّرَ على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسَه.

وقيلَ: ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ، ولا لِسيِّءِ الْخُلُقِ عَيْشٌ، ولا لِمُتَكبِّرٍ صديقٌ.

وقيلَ: مَنْ بَـسَطَ بالخير لسـانَهُ انبسطتْ فى القلـوب محبَّـتُهُ، والمِنَّةُ تُفْـسِدُ الصَّنِيعَةَ.

[فى مدح أبى البخترى]

ويُروى أنَّ شاعـرًا أَتَى أبا البَخْـترىِّ[3] وَهْبَ بنَ وَهْب، وكـــان من أَجْـوَدَ النَّاس، وكان إذا ســمع مَدْحَ المادح ضَحك وسَـرَى السُّرُورُ فى جـوانحه، وأَعْطَى

---

(١) زيادات ر: «الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله ﷺ كانت فى ربيع الأول، وفيه مات ﷺ».

(٢) سورة الفجر ١، ٢.

(٣) زيادات ر: «البخترى، بفتح الباء وبالخاء المعجمة».

وزَادَ، فأتَاهُ هذا الشاعرُ فأنشده:

لكُلٍّ أَخى فَضْلٍ نَصـيبٌ من العُلاَ ورأسُ العُلاَ طُرًّا عَقيدُ النَّدَى وَهْبُ
وما ضَرَّ وَهْبًا قولُ مَنْ غَمَطَ العُلاَ كما لاَ يَضرُّ البَدْرَ يَنْبَحهُ الكَلْبُ(١)

فَثَنى لهُ الوسَـادَةَ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ، وحملهُ وأضافـه، فَلَمَّا أَنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غِلمان أبى البَخْـترىِّ، ولا عَقَدَ لهُ ولا حَلَّ معه. فأَنْكَرَ ذلك مع جَمـيلِ ما فَـعلَ به، وأَنهُ قد تجاوَزَ بـه أَمَلَه، فعاتَب بعـضَهم، فـقال له الغلامُ: إنَّا إنما نُعين النازلَ على الإقامـة، ولا نُعينُ الراحلَ على الفراق. فبلغَ هذا الكلامُ جَليـلا من القُرَشِيِّينَ، فـقال: واَللّه لَفَـعلُ هؤلاء العَبـيدِ على هذا القَـصْدِ أَحْسنُ من رِفْدِ سيِّدهِمْ.

(١) زيادات ر. «غمط (بالكسر): كفر النعمة، وغمط (بالفتح)، ويقال أيضًا: تنقَّص».

باب

[سؤال عبدالملك لحسان : أي المناديل أفضل؟]

قال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ يومًا لجلسائه ـ وكان يَجْتَنِبُ غيرَ الأدَبَاء ـ: أيُّ المَناديلِ أفضلُ؟ فقال قائلٌ منهم: مناديلُ مصرَ كأنها غِرْقِىءُ البَيْضِ[1]. وقال آخرُ: مناديلُ اليمن كأنها أنْوَارُ الرَّبِيعِ. فقال عبدُ الملك: ما صَنَعْتُما شيئًا، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تَميم ـ يعنى عَبْدَةَ بنَ الطَّبيب[2]:

لَمَّا نَزلنا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ	وَفَارَ للقومِ باللَّحمِ المَرَاجِيلُ
وَرْدٌ وأشْقَرُ ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ	مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهْو مأكُولُ
ثُمَّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ	أَعْرَافُهُنَّ لأَيدينا مَنَاديلُ

قولُه: «غرقىء البيض» يعنى القشرةَ الرقيقةَ التى تَرْكَبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلَى، وقشرُها الأعلَى يقال له: القَيْض.

وقوله: «المَرَاجِيلُ» إنما حَدُّهُ «المَرَاجِلُ»، ولكن لَمَّا كانت الكسرةُ لازمةً أَشْبَعَهَا للضرورة، كما قال:

* نَفْيَ الدَّراهمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ[3] *

وقد مَرَّ تفسير هذا.

وقوله:

* وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ *

يقولُ: ما تَغَيَّرَ من اللحم قبل نُضْجِه.

وقوله: «ما يُؤْنِيه طَابِخُهُ» يقول: ما يُؤَخِّرُه، لأنه لو آنَاهُ لأنْضَجَه، لأن معنى «آنَاهُ» بلَغ به إناهُ، أى إدْرَاكَهُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إنَاهُ﴾[4] وتقول: أَنَى يَأْنِى إِنًى، إذا أَدْرَكَ، وآنَ يَئِينُ مثلُه. وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[5] أى قد بلَغَ إناه.

---

(١) زيادات ر: «الغرقىء يهمز، ولا يهمز، وكذلك فعله». (٢) زيادات ر: «عبدة، بإسكان الباء».
(٣) زيادات ر: «الحجة فى الصياريف». (٤) سورة الأحزاب ٥٣.
(٥) سورة الرحمن ٤٤.

وقوله:

* مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهْو مأكولُ *

يقول: نحنُ أصحابُ صَيْد، وهذا من فعلهم[1].

وقوله: «مُسَوَّمَة» تكونُ على ضَرْبَيْن: أحـدُهما أن تكونَ مُعْلَمةً، والثانى أن تكونَ قد أُسِيمَتْ فى المَرْعَى، وهى هاهنا مُعْلَمةٌ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ.

وإنما أَخَذَ ما فى هذه الأبـيات من بيتِ امرئ القيس، فإنـه جَمَعَ ما فى هذه الأبيات فى بيت واحد، مع فضلِ التقدُّمِ:

نَمَشٌ بأعَـرافِ الجِـيـادِ أَكُـفَّنَا إذَا نَحْنُ قُـمْنَا عن شِوَاءٍ مُـضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدْرِكْ، ونمشٌ: نَمْـسَحُ، ويقـال للمِنْديل المَشُـوشُ. وكـانت العربُ تَأْلَفُ الطِّيبَ، وتَطْرَحُ ذلك فى حالتين: فى الحربِ والصَّيْد، قال النابغة:

سَهِكِـينَ من صَدَإِ الْحَدِيدِ كَـأَنَّهُمْ تَحْـتَ السَّنَوَّرِ جِـنَّةُ البَـقَّـارِ

وقال آخر:

وأَسْـيافُكُـمْ مِسْكٌ مَـحَلٌّ أكُـفِّكُمْ على أنَّهَـا رِيح الدمـاء تَضَـوعُ[2]

معنى «تَضُوعُ» تَفُوحُ.

[وفاء ابنة هانئ بن قبيصة]

ورُوِىَ عن ابنة هانئ بن قَـبِيـصَةَ. [ذَكَـرَ يعـقوب أنهـا ابنةُ قَيْس بن خَـالد الشيبـانى. ش]، أنه لما قُتِل عنها لَقِيطُ بن زُرَارَةَ بنِ عُـدَس بن زيد بن عبد الله بنَ دَارِم بن مـالك بن حَنْظَلَةَ، فتَـزَوَّجهـا رجلٌ من أهلها، فكان لايزَال يراها تَـذْكر لَقِيطًا، فـقال لها ذَات مَرة: مـا استحسنْـت من لَقيط؟ فقالت: كُلُّ أمـوره كانتْ حَسنةً، ولكنى أُحَدِّثُكَ أنَّه خرجَ مرة إلى الصيدَ وقد انْتَشَى، فرجَعَ وبقميصه نَضْحٌ من دَمِ صيـده، والمِسْكُ يَضُـوعُ من أَعْطافه، ورائحـةُ الشَّراب منْ فـيه، فَضَـمَّنى ضَمَّةً، وشَـمنى شَمَّةً، فليتَنى كنت متُّ ثَمَّـةْ، قال: ففعل زوجُـها مثلَ ذلك، ثم

(١) زيادات ر: «العرب لا تنضج اللحم، إما لاستعجالها للضيف، وإما لأن ذلك مستحب عندها، ولذلك قال: لا يؤنيه. وقيل لتعجيل القرى».

(٢) زيادات ر: «تضوع روايته».

ضمها إليه، وقال: أَينَ أنا مِنْ لَقيطٍ؟ فقالت: ماءٌ ولا كصداء ـ مثلُ حَمْراءَ، ووزنُها «فَعْلاَءُ»، وموضع اللام همزةٌ، وهى بئر مُقدَّمَة، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعىّ وأبى عبيدة، وكذلك سمعنا العربَ تقوله، ومَنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ ومثلُ ذلك: رَجلٌ ولاَ كمالك[1] ـ يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ، ومَرْعَى ولا كالسَّعْدان.

[حديث بنات ذى الإصبع العدوانى]

وحدثنى علىُّ بن عبد الله عن ابن عائشةَ قال: كان ذو الإصْبعِ العَدْوانىُّ رجلا غَيُورًا، وكانت له بناتٌ أربعٌ، وكان لا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً، فاستَمعَ عليهنَّ يومًا، وقد خَلَوْنَ يتَحَدَّثْنَ، فقالت قائلةٌ منهنَّ: لِتَقلْ كلٌّ واحدة منكنَّ ما فى نفسِها، ولْنَصْدُقْ جميعًا. قال: فقالت كُبْرَاهُنَّ:

ألا لَيْتَ زوْجى مِن أُناَسٍ ذوِى غنىً ... حَديثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والذكْرِ
لَصُوقٌ بأكْبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّه ... خليفةُ جانٍ لا يُقِيمُ عَلَى هَجْرِ

قال: وقالت الثانية:

ألاَ لَيْتَهُ يُعطَى الجمالَ بَديئةً ... له جَفْنةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ
له حكمَاتُ الدَّهْرِ من غيرِ كَبْرَةٍ ... تَشِينُ فلاَ فَانٍ ولاَ ضَرَعٌ غُمْرُ

[أَخْذُ التَّجارِبِ، وهو مأخوذٌ من حكَمةِ اللِّجام ش] فَقُلْنَ لها: أنتِ تُريدينَ سيِّدًا، فقالت الثالثة:

ألاَ هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا ... أشَمُّ كَنَصْلِ السَّيفِ عَيْنِ[2] المُهنَّدِ
عَلِيمًا بأدْوَاءِ النِّسَاءِ وَرَهْطُهُ ... إذا ما انْتمى مِنْ أهلِ بيْتِى ومَحْتِدِى

فقُلنَ لها: أنتِ تُريدينَ ابْنَ عَمٍّ لَكِ، فقد عَرَفْتِه، وقُلْنَ للصغرى: ما تقولين؟ فقالتْ: لاَ أقولُ شيئًا، فَقُلْنَ: لا نَدَعُكِ وذَاكِ، إنَّكِ اطَّلَعْتِ على أسرارِنَا وتكْتُمِينَ سِرَّكِ، فقالت: زَوْجٌ من عُودٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ.

قال: فَخُطِبْنَ، فَزَوَّجَهُنَّ جُمَعَ، ثم أمْهَلَهُنَّ حوْلا، ثم زارَ الكُبْرَى، فقال لها: كيفَ رأيتِ زوجَكِ؟ قالَتْ: خيرَ زَوْجٍ، يُكْرِمُ أهلَه، ويَنْسَى فَضْلَه، قال لها:

---

(1) زيادات ر: «فما يقال: فتى ولا مالك، وقد تقدم لأبى العباس: «فتى»، وهو الصواب».
(2) زيادات ر: «حليلها، بفتح اللام وبالضم، وأشم مثله».

فَمَا مَالُكم؟ قالت: الإبلُ، قال: وما هى؟ قالت: نَأكل لُحمَانَها مُزَعا[1]، ونشربُ أَلْبَانَهَا جُرعًا، وتَحْمِلنَا وضَعَفَتَنَا معا، فقال لها: زوجٌ كريمٌ، ومالٌ عَميمٌ.

ثم زار الثانيةَ فقال لهـا: كيفَ رأيت زوجَك؟ قالت: يُكْرِمُ الْحَلِيلةَ، ويُقَرِّبُ الوَسِيلَةَ. قـال: فما مَالُكُم؟ قـالت: البَقَرُ، قال: ومـا هى؟ قالت: تَأْلَفُ الفِنَاءَ، وتَمْلأُ الإناءَ، وتُودِكُ السِّقَاءُ، ونَسَاءٌ معَ نِسَاءِ. قال لها: رَضِيتِ وحَظِيتِ.

ثم زارَ الثَّالثةَ، فقال لهـا: كيفَ رأيتِ زوجَك؟ فقالت: لا سَمْحٌ بَذِرٌ، ولا بَخيلٌ حكر[2]، قال: فما مالُكُم؟ قالت: الْمَـعزَى، قال: وما هى؟ قالت: لو كنَّا نُوَلِّدُهَا فَطَمًا، ونَسْلَخُهَا أَدَمًا، لم نَبْغِ بِهَا نَعَمًا، فقال لها: جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ.

ثم زار الرَّابعةَ، فـقال لها: كـيفَ رأيت زوجَك؟ فقـالت: شَرُّ زَوْجٍ، يُكْرِمُ نفسَهُ، ويُهِينُ عِرْسَـهُ، قال لها: فما مَالُكمْ؟ قَالت: شَـرُّ مَـال، الضَّأْنُ، قال لها: وما هُـنَّ؟ قالت: جُـوفٌ لا يَشْبَـعْنَ، وهيمٌ لا يَنْقَعْنَ، وصُمٌّ لا يَسْـمَعْـنَ، وأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ، فقال: «أَشْبَهَ امْرُؤٌ بعض بَزِّهِ»[3] فأَرْسَلَها مثلا.

قال عليُّ بن عبد الله: قلتُ لابنِ عائشةَ: ما قولها: «وأمر مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ»؟ فقـال: أَمَا تَرَاهُنَّ يَمرُرْنَ فـتَسقطُ الواحِـدةُ منهنَّ فى ماءٍ أو وَحَل وما أشـبه ذلك فَيَتْبَعْنَهَا إليه.

قولُ الثانيةِ:

* له جَفْنَةٌ يَشْقَى بِهَا النِّيبُ والجُزْرُ *

فالنيبُ: جمعُ نَابٍ، وهى المُسنَّة، وإنما قيلَ لها: نَابٌ، لطُول نَابِها، قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

* تُشَبَّهُ نَابا وَهْىَ فى السِّنِّ بَكْرَةٌ *

وتقديـر «نِيب» من الفعل «فُـعْلٌ»، ولكن ما كـان من ذوات الياء كُـسرَ له موضعُ الفـاءِ من الفَعلِ لِتَصحِ الياءُ، لأنَّ الـياءَ إذا سكَنَتْ وانضمَّ ما قبلَهـا كانت

(١) مزعا: قطعا.

(٢) الحكر هنا: المقتر.

(٣) زيادات ر: «أشبه امرأ بعض بزه»، رواية»، يضرب للمتشابهين أخلاقًا.

واوًا، نحو مُوقِن ومُـوسِر، وإن فارَقَتْهَـا الضَّمةُ عادت إلى أصلهـا، نحوُ قولك: مَيَاسيرُ، ومثلَ ذلك أبيضُ وبيضٌ، وإنما «بيضٌ» «فُـعْلٌ» كـ«أَحْمَرَ وحُمر» و«أَصْفَرَ وصُفْـر»، ولكن كُسِرَتِ النون لتَـصحَّ الياءُ، ولو كانت واوًا فى الأصل لم تَغَـيَّرْ، نحوُ: «أَسودَ وسُود».

وقوله: «نَابٌ»، تقديرهَا «فَـعَلٌ» متحركة العـين، ولا تنقلبُ الياءُ ولا الواوُ أَلِفًا إلاَّ وَهُما فى موضعِ حـركة وما قبلَهما مفتـوحٌ، نحو: بَاعَ وَقَالَ ورَمَى وغزَا؛ لأن التقـديرَ «فعلَ»، ولو كان على «فَعْلٍ» لَـصَحَّت الياءُ والواوُ، كمـا تقول: بَيْعٌ وقَوْلٌ، و«فَعَلٌ» قد يَجمعونَه على «فُعْلٍ» كقولهم: أَسَدٌ وأُسْدٌ، ووَثَنٌ ووُثْن.

وقولها: «تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ» فإنَّما عَطَفَتْ أحـدَهما على الآخرِ؛ لأنَّ منَ الإبلِ ما يكون جَزُوراً للنَّحْر لا غير.

وأَمَّا قولها: «ولاَ ضَرَعٌ غُمْرٌ» فالضَّرَعُ: الضعيفُ، والغُمْرُ: الذى لم يُجَرِّب الأمور.

[الحجاج والمهلب بن أبى صفرة]

ويُرْوَى أَنَّ الحَجَّـاجَ لَمَّا وَرَدَ عليه ظَفَرُ المُهَلَّبِ بن أَبِى صُـفْرَةَ وَقَتْلُهُ عـبدَ ربِّه الصغيرَ، وهَرَبُ قَطَرِىٍّ عنه تَمَثَّلَ فقال: لله دَرُّ المُهَلَّبِ! والله لَكأنَّهُ ما وصف لَقِيطٌ الإيادىُّ حيثُ يقول:

وَقَـلِّدُوا أَمْـــــرَكُمْ لله دَرُّكُـمُ رَحْبَ الذِّرَاعِ بأَمرِ الحرْبِ مُضْطَلِعَا
لاَ مُتْـرَفًا إنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَـاعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَـشَـعَـا
مــازال يَحْلُبُ هذا الدهـرَ أَشْطُرَهُ يكونُ مُـتَّـبِـعًـا طَوْرًا ومُـتَّـبَـعَـا
حَتَّى اسْـتَمَرَّتْ على شَـزْرٍ مريرَتُهُ مُـرَّ العَـزِيمَـةِ لا رَثًّا ولاَ ضَـرَعَـا

فقام إليه رجلٌ فقال: أَيُّها الأمـيرُ، والله لكأنِّى أسمعُ هذا التمثيلَ مِنْ قطَرِىٍّ فى المُهَلَّب. فَسُرَّ الحَجَّاجُ بذلك سروراً تَبَيَّنَ فى وجهه.

وقولها:

* كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ *

فالمهنَّدُ، المنسوبُ إلى الهِنْد.

وقولها: «مِنْ أهلِ بَيْتِى ومَحْتدى» فالمحتِدُ: الأصل، قال الشاعرُ:

وَفِى السرِّ مِنْ قَحْطَانَ أَوْلاَدُ حُرَّةٍ ... عِظَامُ اللَّهَا بِيضٌ كِرَامُ المَحَاتِدِ

وقولهُ: «مالٌ عميمٌ» يقولُ: جامعٌ، أَخَذَهُ مِنْ عَمَّ يَعُمُّ.

وقولُه: «جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ» فالجِذْوُ: جمعُ جِذْوة، وهى القِطْعَة، وأصلُ ذلك فى الخشَب ما كانَ منهُ فيه نارٌ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾[1] وتجمعُ أيضًا جُذًا، قال ابن مُقْبِل:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها ... جَزْلَ الجُذَا غَيْرِ خَوَّارٍ ولاَ دَعِرِ

الخوَّارُ: الضعيفُ، والدَّعِرُ: الكثير الثُّقَبِ، يقالُ: عُودٌ دَعِر.

وقولها: «جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ» تقولُ: عِظَامُ الأَجْوَاف. و«هِيمٌ لا يَنْقَعْنَ»، الهِيمُ: العِطَاش، يكونُ الواحدُ من هِيمٍ أَهْيَمَ، ويقال فى هذا المعنى: هَيْمَانُ. وقال بعضُ المفسِّرينَ فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾[2] قال: هى الإبلُ العِطَاشُ، وقال ذو الرُّمَّة[3]:

فراحَتْ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائِرُهَا ... وقد نَشَحْنَ فلا رِیٌّ ولاَ هِيمُ[4]

ويقال: «قَصَعَ صَارَّتَهُ» إذا رَوِى، والصَّارَّةُ: شدَّةُ العطَش، والنَّشُوحُ: أَنْ تَشْرَبَ دُونَ الرِّیِّ، يقال: نَشَحَ يَنْشَحُ، ومثلُه: تَغمَّرَ، إذا لم يَرْوَ. ويقال للقَدَحِ الصغير العُمَر مِنْ هذا. وقال بعضُ المفسِّرين: الهِيمُ: رِمالٌ بعينها، واحدتُها هَيْماءُ، يا فتى.

وقولها: «لا يَنْقَعْنَ» أى لا يَرْوَيْن، يقال: ما نَقَعْتْ ماشيةُ بنى فلانٍ بِرِیٍّ، إذا لم تَبْلُغْ من الماء حقَّها، ويقال للماء: النَّقْعُ، ويقال: النقع فى غير هذا موضع للغبار، ويقال: أثارُوا النَّقْعَ بينهم. والنَّقْعُ أيضًا: اسمُ موضع بعينه، قال الشاعرُ:

لقد حَبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهِهَا ... مَساكِنَ ما بين الوَتَائِر والنَّقْعِ[5]

---

(1) سورة القصص ٢٩. (٢) سورة الواقعة ٥٥.

(٣) زيادات ر: «يصف حميرا»

(٤) زيادات ر: «الحقب البيض الأعجاز من الحمير».

(٥) زيادات ر: «الوتائر، بالتاء منقوطة باثنتين من فوق»، الوتائر والنقع: موضعان.

والنَّقْعُ: الصُّراخُ، قال لبيد:

فَمتى يَنْقعْ صُراخٌ صادِقٌ يُخلبُوهُ[1] ذَاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولُها: «وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ»، طَرِيفٌ من كلام العرب، وذلك آنه يقال لكلِّ صحيحِ البَصَرِ ولا يُعْملُ بَصَرَهُ: أعمى، وإنما يُراد به أنه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لا يُبْصر ألبَتَّةَ، إذا لم يعْملْ بَصرَهُ، وكذلك يقالُ للسَّميعِ الذى لاَ يَقْبَلُ: أَصَمُّ، قال الله جلَّ ذكره: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[2] كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُها﴾[3] وكذلك: ﴿إنَّكَ لا تُسْمعُ المَوْتَى ولا تُسْمعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾[4] وقولَه عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونِدَاءً﴾[5].

وتقولُ العربُ: «أَبْلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ»، ويقال: أَحْمَقُ مِنْ رَاعِى ضَأْنٍ ثَمَانِين[6].

وتحدَّثَ عمرُو بن بَحْرٍ، قال: كان يقال: لا ينبغى لعاقل أن يُشَاورَ واحدًا من خمسةٍ: القَطَّانُ، والغَزَّالُ، والمُعَلِّمَ، وراعى ضأنٍ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادَثَة للنِّسَاءِ.

وقيلَ فى مِثْل هذا: لا تَدَعْ أمَّ صَبِيِّكَ تَضْرِبُهُ فإنه أعقلُ منها وإن كان طِفْلا.

وقال الأَحْنَفُ بن قَيْس: إنِّى لأُجالِسُ الأَحمقَ السَّاعةَ فأَتَبَيَّنُ ذلك فى عَقْلِى.

وقال جلَّ ثناؤُه فى صفةِ النِّساء: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهُوَ فِى الخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ﴾[7].

---

(١) كذا فى الأصل، وفى ر: «يجلبوه».

(٢) سورة البقرة ١٨.

(٣) سورة محمد ٢٤.

(٤) سورة النمل ٨٠.

(٥) سورة البقرة ١٧١

(٦) زيادات ر. «قوله: أحمق من راعى ضأن ثمانين، المثل لكسرى فى أعرابى خبره فاحتار ذلك، ذكره أبو عبيد، وهذا غير ما أشار إليه أبو العباس».

(٧) سورة الزخرف ١٨.

[نقد كثير للشعراء]

وحُدِّثْتُ أَنَّ عُمَـرَ بن عبدِ الله بن أبى رَبِيعةَ أَتَى المدينة فأقـام بها، ففى ذلك يقول:

يا خَـلِيلَـىَّ قـــد مَـلِلْتُ ثَـوَائى بالمُصَلَّى وقـد شَـنِئْتُ البَـقِـيعَـا

فلمَّا أراد الشُّخُوصَ شَخَصَ معه الأَحْـوَصُ بن محمد، فلما نَزَلاَ وَدَّانَ صار إليهما نُصَيْب، فـمضى الأَحْوَصُ لبعض حاجته، فرَجَعَ إلى صاحِـبَيْه، فقال: إنى رأيتُ كثَيِّرًا بموضعِ كذا، فقال عمرُ: فابعَثُوا إليه لِيصيرَ إلينا، فقالَ الأحْوَصُ: أَهُوَ يَصير إليكم؟ هو والله أَعْظَمُ كِـبْرًا من ذلك، قال: فإذًا نَصير إليـه، فصاروا إليه، وهو جالسٌ على جِلْدِ كبش، فوالله ما رَفَعَ منهم أحدًا ولا القُرَشىَّ. ثم أقبلَ على القُرَشىِّ، فـقال: يا أخَا قُـرَيْشٍ، والله لقد قلت فأحسنـتَ فى كَثِيرٍ من شـعرك، ولكن خَبِّرْنى عن قولك:

قـالتْ لهـا أُخْـتُـهـا تُعـاتبُـهَـا لا تُفْـسِـدنَّ الطَّوَافَ فى عُـمَـرِ[1]
قُـومـى تَصَـدَّىْ له لِيُـبْـصِـرَنَا ثم اغْـمِـزِيه يـا أخت فى خَـفَـرِ
قـالتْ لهـا: قـد غَـمَـزْتُهُ فـأَبَى ثم اسْـبَطَرَّتْ تَشْـتَـدُّ فى أثرِى

والله لو قلتَ هذا فى هِـرَّةِ أهلكَ مـا عَـدَا، أردتَ أن تَنْسُبَ بهـا فنسَبْتَ بنفسك، أهكذا يقـالُ للمرأة! إنما تُوصَفُ بالخَفرِ، وأنهـا مطلوبةٌ ممتَنِعةٌ، هَلاَّ قُلتَ كما قال هذا؟ وضرب بيده على كَتِفِ الأَحْوَصِ:

أَدُورُ ولَوْلاَ أَنْ أَرَى أُمَّ جَـعْـفَـرٍ بأبيـاتكمْ مـا دُرْتُ حـيثُ أَدُورُ
ومـا كنتُ زَوَّارًا ولكنَّ ذَا الهَـوَى إذا لم يَـزُرْ لابُدَّ أَنْ سَـيَـزُورُ
لقـد مَنَعَتْ معـروفَهـا أُمُّ جعـفرٍ وإنِّى إلى مـعـروفِـهـا لَفَـقِـيـرُ

قال: فامتلأ الأحوصُ سرورًا، ثم أقـبلَ عليه فقال: يا أحْوَص، خَبِّرْنى عن قولك:

فـإنْ تَصِلِى أَصِـلْكِ وإنْ تَعُـودِى لِهَـجْـرٍ بَـعْـدَ وَصْلِـكِ لا أُبالِى

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية» «لا تفسدن» على النهى، والصحيح: «لتفسدن» على القسم، كأنها قالت: «والله لتفسدن».

أما والله لو كنتَ من فُحول الشعراء لَباليْتَ، هلاَّ قلتَ مثلَ ما قال هذا؟ وضَرَبَ بيده على جنب نُصَيْب:

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَظْعَنَ الرَّكْبُ ... وَقُلْ إِنْ تَمَلِّينا فَما مَلَّكِ القَلْبُ

قال: فانتَفَخَ نُصَيْب، ثم أقبلَ عليه فقال له: ولكن أخبرنى عن قولك يا أَسْوَدُ:

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ وإِنْ أَمُتْ ... فَوَا حَزَنَى مَن ذَا يَهِيمُ بها بَعْدِى

كأنَّك اغْتَمَمْتَ ألاَّ يُفْعَلَ بها بَعْدَك، ولا يَكْنِى، فقال بعضُهم لبعض: قوموا فقد استَوَتِ القِرْقَةُ. وهى لُعبَةٌ على خُطُوطٍ، فاستواؤُها انقضاؤُها.

* * *

قال أبو الحسن: الطَّبِينُ هى السُّدَّرُ، فإذا زيدَ فى خُطوطِه سمَّته العربُ: القِرْقَةُ، وتُسمِّيه العامَّة السُّدَّر.

[كثير والأخطل عند عبد الملك بن مروان]

قال: وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّراً دَخَل على عبد الملك بن مَرْوَانَ وعندَه الأخطل، فأنشده، فالتفتَ عبدُ الملك إلى الأخطل، فقال: كيف تَرَى؟ فقال: حجازىٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ[1]، دَعنى أُضْغَمْهُ يا أميرَ المؤمنين، فقال كثيرٌ: مَنْ هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطلُ، فقال له كثير: مَهْلاً، فهلاَّ ضَغَمْتَ الذى يقول[2]:

لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغْلِب ... فالزِّنْجُ أَكْرَمُ منهمُ أَخْوَالاً[3]

والتَّغْلَبِىُّ إِذَا تَنَحْنَحَ للقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأَمْثَالاَ

فسكتَ الأخطلُ فما أَجابه بحرف.

قال أبو العباس: سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعر:

* والتَّغْلَبِىُّ إِذَا تُنَبِّحَ لِلقِرَى *

وهو أبلغُ.

(١) مقرور: أصابه القر، وهو البرد.

(٢) حاشية الأصل: «هو جرير»، والبيتان فى ديوانه ٤٥٠، ٤٥٣

(٣) زيادات ر: «أخوالا، منصوب على الحال، ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ».

[أبيات نصيب في امرأة نزل عندها فأكرمته]

قال: وخُبِّـرْتُ أن نُصَيْبًا نزلَ بامرأة تُكْنَى أمَّ حَـبيب، من أهل مَلَلٍ، وكانتْ تُضيفُ بذلكَ الموضع وتَقْرِى، ولايزالُ الشَّـريفُ قد نَزَل بها فأفْضَلَ عليـها الفضْلَ الكثير، ولايزالُ الشـريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يَتَنَاوَلُهَا بالبرِّ، ليعينَـهَا عَلَى مُرُوءتها، فنزلَ بهـا نُصَـيْبٌ ومعـه رجُـلان من قريش، فلـما أرادُوا الرِّحْلَةَ عنـها وَصَلَهَـا القُرَشيَّان، وكان نُصَيْبٌ لا مالَ معه فى ذلك الوقت، فقال لها: إن شئت فَلَك أن أُوَجِّـهَ إليك بمثلِ ما أعطاك أحـدُهمـا، وإن شئتِ قلتُ فـيكِ شعـرا، فَغَـزِلَتْ أُمُّ حَبيب[1] فقالتْ: بل الشِّعْرَ، فقال:

أَلاَ حَيِّ قَبْلَ الْبَـيْنِ أمَّ حَـبِـيبِ ... وإنْ لم تكـنْ منَّا غَـدا بقـريبِ

وإنَّ لم يكن أنِّى أُحِبُّك صـادقًـا ... فـمـا أحـدٌ عنـدى إذا بحَـبِـيبِ

تَهَـامٍ أَصَـابَتْ قَلْبَـهُ مَلَلِيَّـةٌ ... غَرِيبُ الهَـوَى، وَاهًا لكُلِّ غَرِيبِ!

[نصيب عند عبد الملك بن مروان]

وحُدِّثْتُ أن نُصيبًا أتَى عبدَ الملك فأنشدَه، فـاستحسَنَ عبد الملك شعْرَه وسُرَّ به، فوصلَه، ثم دَعَا بالغَـداء فَطَعمَ معه، فقال له عـبدُ الملك: يا نُصيب، هل لكَ فيما يُتَنادَمُ عليـه؟ فقال: يا أَميرَ المؤمنين، تأمَّلْنى، قال: قد أراكَ، فـقال: يا أميرَ المؤمنين، جلْدى أَسْوَدُ، وخَلْقى مُشَوَّهٌ، ووجـهى قَبيحٌ، ولستُ فى مَنْصب، وإنما بلَغَ بى مُجَـالَسَتَكَ ومؤاكَلَتَكَ عَقْلِـى، وأنا أكرهُ يا أميرَ المؤمنين أن أُدْخِلَ عليـه ما يَنْقُصُهُ. فأعجبه كَلاَمُه فأعْفَاهُ.

[الوليد بن عبد الملك والحجاج]

وقال الوليدُ بنُ عـبد الملك للحَجَّاج فى وَفْدَة وفَدَهَا عليـه ـ وقد أكَلا: هل لَكَ فى الشراب؟ فقال: يا أميـرَ المؤمنين، ليسَ بحرام ما أَحْلَلْتَهُ، ولكنى أمنعُ أهلَ عَمَلي منه، وأكرهُ أن أخَالفَ قـولَ العبدِ الصَّالِح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَـالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[2]، فأعفاه.

---

(١) زيادات ر: «أى مالت إلى أن يتغزل بها».

(٢) سورة هود ٨٨.

[مسلمة بن عبد الملك ونصيب]

وقال مَسْلَمَـةُ بن عبد الملك يومًا لنُصيب: امْـتَدَحْتَ فلانًا! لرَجُلٍ منْ أهله، فقال: قد فـعلتُ، قال: أَوَ حرَمَكَ؟ قال: قد فعلَ، قال: فَـهَلاَّ هجوْتَه؟ قال: لم أفعلْ، قال: ولمَ؟ قـال: لأنِّى كنتُ أحقَّ بالهجاء منه! إذْ رأيْتهُ موضـعًا لمَدْحى! فأُعْجبَ به مسلمـةُ، فقال: اسألنى، قال: لا أفعَلُ، قـالَ: ولمَ؟ فقال: لأنَّ كَفَّكَ بالعطيَّةِ أجْودَ مِن لسانى بالمسألة، فوهَبَ له ألفَ دينارٍ.

[فى نقد الشعر]

وحُدِّثْتُ أنَّ الكمَيْتَ بنَ زيد أنْشَدَ نُصَيْبًا فاستَمَع له، فكان فيما أنشدَهُ:

وقـد رأينَـا بهَـا حُـوراً منعَّـمـةً بيضًا تكاملَ فـيها الدَّلُّ والشَّنَبُ[1]

فَثنَى نُصَيبٌ خنْصرَهُ، فقال له الكُمَيْتُ: مَا تَصْنَعُ؟ فقال: أحصى خَطأَكَ، تَبَاعَدْتَ فى قولك: «تَكَامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ»

هلاَّ قلتَ كما قالَ ذُو الرُّمَّة:

لَمْـيَاءُ فِـى شَفَـتَـيْهَـا حُـوَّةٌ لَعَسٌ وَفِى اللثَـاتِ وَفى أنْـيَـابِهَـا شَنَبُ

ثم أنشده فى أُخْرَى:

كَـأَنَّ الغُـطَامِطَ مِنْ جَـريِهَـا أَرَاجِـيـزُ أَسلَمَ تَهْـجُو غِـفَـارَا[2]

فقال له: نصيبٌ: ما هَجَتْ أَسْلَمُ غفَارًا قَطُّ، فاستحيَا الكُمَيتُ فَسكَت.

قال أبو العباس: والذى عابه نُصيبٌ من قوله: «تكَامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ». قَبِيح جداًّ، وذلك أنَّ الكلامَ لم يَجْرِ على نَظْمٍ، ولاَ وَقَعَ إلى جانب الكلمة ما يُشَاكِلُهَا، وأوَّلُ ما يَحتاجُ إلَيْه القولُ أنْ يُنْظَمَ على نَسَقٍ، وأن يُوضَعَ على رسم المُشَاكلة.

* * *

وخُبِّرْتُ أنَّ عُمَرَ بن لَجَأٍ قـال لابن عمٍّ له: أنَا أَشْعَرُ منك، قال له: وكيفَ؟ قال: لأنِّى أقولَ البيتَ وأخاه، وأنتَ تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه.

---

(١) الشنب. عذوبة الأسنان ورقتها.

(٢) الغطامط: اضطراب موج البحر، وفى زيادات ر: «وقعت الرواية» «من جـريها»، وصوابه: «من غلبها»؛ لأنه يصف قدرًا فيه لحم، فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع».

وأنشد عَمْرُو بن بَحْرٍ:

وَشِعْرِ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بينَهُ   لِسَانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلُ

وبَعْرُ الكبش يَقَعُ مُتفرِّقًا، فمن ذلك قولُ أُبنةِ الحُطَيْئَة له، لما نَزَلَ فى بنى كُلَيْب بن يَرْبوعٍ: تَرَكْتَ الثَّروة والعَدَدَ، ونزلت فى بنى كُلَيْبٍ ـ بَعْرِ الكَبْشِ.

يقال: بَعْرٌ وبَعَرٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، وشَمْعٌ وشَمَعٌ، ويقالُ للصَّدْرِ: قَصٌّ وقَصَصٌ، وكذلك نَهْرٌ ونَهَرٌ.

* * *

وزعم الأصمعىُّ أنه سَأَلَ أعرابيًا، وهو بالموضع الذى ذكرهُ زهيرٌ:

ثم اسْتَمَرُّوا وقالوا إنَّ مَشْرَبَكُم   ماءٌ بِشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ

قال الأصمعىُّ: فقلتُ لأعرابىٍّ: أتعرفُ رَكَكًا؟ فقال: لا، ولكن قد كان هاهنا ماء يُسمَّى رَكَكًا.

فهذا ليستْ فيه لغتان، ولكن الشاعر إذا احتاجَ إلى الحركة أَتْبَعَ الحرفَ المتحرِّكَ الذى يليه الساكنُ ما يشاكلُه، فَحَرَّكَ الساكنَ بتلك الحركة. قال عبدُ منافِ ابن رِبْعٍ [ش: رِبْعىٍّ] الهُذَلِىُّ:

إذا تَجاوَبَ نَوْحٌ قامَتَا معهُ   ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجلدَا(١)

يريد الجِلْدَ، فهذا مُطَّرِدٌ.

ومِن مَذاهبهم المطَّرِدَةِ فى الشِّعرِ أن يُلْقوا على الساكنِ الذى يَسْكن ما بَعدَه للتَّقييدِ حركَةَ الإعرابِ، كما قال الراجزُ(٢):

* أنا ابنُ مَاوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ *

يريدُ «النَّقْر» يا فتى، وهو: النَّقْرُ بالخيل، فلما أَسكَنَ الرَّاءَ أَلْقَى حركتَها على الساكنِ الذى قبلَها(٣).

---

(١) زيادات ر. قال ابن القوطية: لعج الحب قلبه، والصرد جسده: أحرقه». والصرد شدة البرد.

(٢) زيادات ر «قال ابن السيد. أحسبه لعبيد بن ماوية».

(٣) ربادات ر: «النقير»: صويت باللسان، يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه، قال امرؤ القيس:

أحفِّضُه بالنَّقْرِ لَمَّا علوتُه   ويرفع طرفاً غيرِ جاف غَضِيضِ

وشَبيهٌ بهذا قوله:

عَـجِبْتُ والدَّهْرُ كَـثـيرٌ عَـجَـبُـهْ   مِن عَنـزِىٍّ سَـبَّنِى لـم أَضْـرِبُهْ

أرادَ: «لم أضرِبْهُ»، يا فتى، فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباء، وكان ذلك فى الباء أحسنُ، لخفاءِ الهاءِ.

وقال أبو النَّجْم:

* أَقولُ قَرِّبْ ذَا وهذا أَزْحِلُهْ *

يريدُ «أَزْحِلْهُ» يا فتى.

[أقول: قَرِّبْ ذَا وهذَاكَ أَزْحَلُهْ. كذا عن ش].

وقال طَرَفَة:

حَـــابِسِـى رَبْعٌ وقـــفـتُ بِهِ   لـوْ أُطِيـعُ النَّـفْسَ لـم أَرِمُـــهْ

ولم يَلْزَمْهُ رَدُّ الياء لَمَّا تحركت الميمُ، لأن تحرُّكهـا ليس لها على الحقيقة، وإنما هى حركةُ الهاء.

* * *

وأما قولُ الشاعر:

حـديثُ بَنِى بَدْرٍ إِذَا مـا لَقِيـتَـهم   كَنَزْوِ الدَّبَى فى العَـرْفَجِ المتَقَـارِبِ

فليس كقوله: «وشعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ» ولكنَّه وصَفَهم بضئُولةِ الأصواتِ وسُرعةِ الكلامِ وإدخال بعضه فى بعض.

والذى يُحْمَدُ الجَهَارَةُ والفخامة.

[الرجل يمدح الرشيد]

وأُنْشِدْتُ لرجل قال يمدحُ الرَّشيد:

جَـهِـيرُ الكلامِ جَـهِـيـرُ العُطَاسِ   جَـهِـيــرُ الرُّوَاء جَـهِـيــرُ النَّغَمْ
ويَخْطُو عـلى الأَيْنِ خَطْوَ الظَّـلِيمِ   ويَعْلُـو الرِّجـالَ بـخَلْقٍ عَـمَـمْ[1]

---

(١) زيادات ر: «الرجل هو العمانى الشاعر، وقوله: «عمم» أى جسيم؛ والأين: الإعياء، ويكون الأين الحية، وهى الأيم».

ويروى أن الرشيدَ كان يأتزرُ فى الطَّواف فيُذنِبُ إزارَه ويباعد بين خُطاه، فإذا رجَعَ بيده كادَ يُفتَنُ مَنْ يراهُ، فعند ذلك مُدِح بهذا الشِّعرِ.

[لعائشة وقد نظرت إلى رجل متماوت]

ويروى أنَّ عائشةَ رحـمها الله نظرَت إلى رجل مُتماوت، فـقالت: ما هذا؟ فقالوا: أحَدُ القُرَّاء، فقالت: قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئًا، فكان إذا قال أَسْمعَ، وإذا مَشَى أسرعَ، وإذا ضرب أَوْجَعَ.

[لعمر وقد نظر إلى رجل يظهر النسك]

ويروى أنَّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُّسْكِ مُتماوِتٍ، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّة، وقال: لا تُمِتْ علينا دِينَنا، أماتَكَ اللهُ.

[وفود الروم عند عبد الملك بن صالح العباسى]

ويروى أنَّ عبدَ الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس أتته وُفودٌ من الرُّوم، وقام السِّماطَان، فأُتِيَ برجلٍ منهم، وعَطَسَ أَحَدُ مَنْ فى السِّماطَيْنِ فَأَخفَى عَطْسَتَهُ، فقال له عبدُ المَلِكَ لَمَّا انقضى أَمْرُ الوَفْد: هَلاَّ إِذْ كنتَ لَئِيمَ العُطاسِ أَتْبَعْتَ عَطْسَتَكَ صيحةً حَتَّى تخلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ.

[جهارة صوت العباس]

وكان العبـاسُ بن عبد المطلب رحمه الله: أجهـرَ الناسِ صوتًا، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ لَمَّا انهزمَ الناسُ يومَ حُنَيْنٍ: «يا عباسُ، اصرُخْ بالناس».

ويروى أنَّ غارةً أَتَتْـهُمْ يومًا، فـصاح العـباسُ: يا صَبَـاحَاهْ! فـاستَـسقَطَت الحواملُ لشدةِ صوته.

* * *

وقد طُعِنَ فى قول النَّابغة الجَعْدىِّ:

[وأَزْجُـرُ الكَاشِحَ العَـدُوَّ إذا اغْـ ... ـتَابَكَ عنـدى زَجْرًا عَلَى أَضَمِ][1]

زَجْـرَ أَبى عُـرْوَةَ الـسِّبـاعَ إذا ... أَشْـفَقَ أَنْ يَخْـتَلِطْنَ بالـغَنَمِ[2]

---

(١) هذا البيت من زيادات ر.

(٢) زيادات ر: «يروى «زجر أبى عروة السباع»، بخفض السباع، كـما قيل: قيس الرقيات»، فصار على هذا الوجه يعرف بأبى عروة السباع، مثل ذلك».

وذلك أنَّ الرُّواةَ احتملتْ هذا البيتَ على أنه كان يَزْجُرُ الذِّئابَ ونحوَها مما يُغيرُ على الغَنَم، فَيَفْتُقُ مَرَارَةَ السَّبُعِ فى جَوْفه.

فقال: مَنْ يَطْعَنُ فى هذا؟ السَّبُعُ أشدُّ أيْدًا من الغَنَم، فإذَا فَعَلَ ذلك بالسبعِ هَلكت الغنمُ قبلَه. فقال مَنْ يَحْتجُّ له: إنَّ الغَنمَ كانتْ قد أَنِسَتْ بهذا منه، والصوتُ الرائعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنِسَ به، كالرَّعْد القاصف الذى لَوْلاَ خَشْيَةُ صَاعقَته لم يُفْزِعِ كَبيرَ فَزَعٍ، ولو جاء أقلُّ منه مِن جَوْفِ الأرْضِ لذَعَرَ، ولم يَبْعُدْ أن يَقْتُلَ إذا أتى مِنْ حيثُ لم يُعْتَد.

وجملة هذا البيتِ أنه وَصَفَ شدَّةَ صوتِ المذكورِ، وتأويلُه أنه مِن تكاذيبِ الأعْرابِ.

[الحسن وقد رأى رجلا يجود بنفسه]

وحُدِّثْتُ أنَّ الحسنَ نَظَرَ إلى رجلٍ يَجُودُ بنَفْسه فقال: إنَّ أمْرًا هذا آخرُه لجَديرٌ بأن يُزْهَدَ فى أوَّلِه، وإنَّ أمرًا هذا أوَّلُهُ لجديرٌ أن يُخَافَ آخرُه.

* * *

وقيلَ لرجلٍ من أشراف العَجَم فى علَّته التى ماتَ فيها: ما بكَ؟ قال: فكْرٌ عَجيبٌ، وحَسْرَةٌ طَويلةٌ، فقيلَ: مِمَّ ذاكَ؟ فقال: ما ظَنُّكُم بمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا قَفْرا بلا زادٍ، ويسكنُ قبرًا مُوحِشًا بلا مُؤْنِسٍ، ويَقْدَمُ على حكَمٍ عادلٍ بلا حُجَّة!

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ، وهو محمودٌ الورَّاقُ:

يقولُ الذى يَدْرى مِنَ الأمْر: لاأدْرى! ... بأىِّ اعتذارٍ أمْ بأيَّةِ حُجَّةٍ
فإنَّ اطِّرَاحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ ... إذَا كانَ وَجْهُ العُذْرِ ليس بِبَيِّنٍ

* * *

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ من أمرٍ بلغه عنه، فَعَذَرَهُ، ثم قال له: يا هذا، لاَ يَحْمِلَنَّكَ الخروجُ من أمرٍ تَخَلَّصْتَ منه على الدُّخولِ فى أمرٍ لعلَّكَ لا تَخَلَّصُ منه.

* * *

وقيلَ لخالد بن صَفْوَانَ: أَيُّ إخـوانِكَ أَحَبُّ إليك؟ فقال: الذى يَسُدُّ خَلَلِى، ويَغْفِرُ زَلَلِى، ويقْبَلُ عِلَلِى.

[من أخبار عبد الله بن جعفر]

وافْتَقَدَ عـبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَديقًـا له من مجلسه، ثم جاءه، فقال: أين كانتْ غَيْبَتُكَ؟ فـقال: خرجتُ إلى عُرْضٍ من أعْرَاضِ المدينة مع صديق لى، فقال له: إنْ لم تَجِـدْ من صُحبة الرِّجال بُدًّا فـعليك بصحبة مَنْ إنْ صَحِـبْتَهُ زانَكَ، وإنْ خَفَـفْتَ له صَانَكَ، وإن احتجتَ إليـه مَانَكَ[1]، وإنْ رَأَى منك خَـلَّةً سَـدَّها، أو حَـسَنَةً عَـدَّها، وإن وَعَـدَكَ لم يُجْـرِضْكَ[2]، وإنْ كَـثُرْتَ عليـه لم يَرْفضْكَ، وإن سَأَلْتَه أعطاكَ، وإن أَمْسَكْتَ عنه ابتَدَاكَ.

وامتدَحَ[3] نُصَيْبٌ عـبدَ الله بن جـعفر، فـأَمَرَ له بخيلٍ وإبـلٍ وأَثَاث ودنانيرَ ودراهمَ، فقال له رجل: أَمِثْلُ هذا الأَسْـوَدِ يُعْطَى مـثلَ هذا المال؟ فقال له عبدُ الله [ابن جعفر[4]]: إنْ كان أَسودَ فإنَّ شعْـرَهُ لأبيَضُ، وإنَّ ثَناءَه لَعَرَبِىٌّ، ولقد استحقَّ بما قـالَ أكْثـر مِمَّا نالَ، وهل أعطيناهُ إلاَّ ثِيـابًا تَبْلَى، ومَالا يَـفْنَى، ومَطايا تُنْضَى، وأعطانا مَدْحًا يُرْوَى، وثنَاءً يَبْقَى!

وقيل لعبد الله بن جـعفر: إنك لَتَبْذُلُ الكثيـرَ إذَا سُئِلْتَ، وتُضيِّقُ فى القليل إذَا تُوجِرْتَ؟ فقالَ: إنى أَبْذُلُ مالِى، وأَضَنُّ بعقلى.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقيل ليزيدَ بن معاويةَ: ما الجـودُ؟ فقال: إعطاءُ المالِ مَنْ لا تَعْرِفُ، فإنه لا يَصيرُ إليه حتَّى يَتَخَطَّى مَنْ تَعرف.

وخُبِّرْتُ عن رجلٍ من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف: ما تَرَكَ لك أبوك؟ قال: تَرَكَ لى مَالاً كـثيرًا، فقال: ألا أُعْلِمُكَ شيئًـا خيرٌ لك مما تَرَكَ لك[5] أبوك؟: إنه لا مالَ لـعاجزٍ، ولا ضَـيَاعَ على حَـازِمٍ، والرَّقِيقُ جَمَـالٌ وليس بمالٍ، فعليك من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُوله.

---

(١) مانك. قام بما عليك من مئونة.

(٢) يريد لم يخلف وعدك.

(٣) س: «قال أبو العباس».

(٤) تكملة من س.

(٥) كلمة: «لك» ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

وقال معاويةُ: الْخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الْخَدَمِ.

وقيل لِخُرَيْمِ المرِّى ـ وهو المُنَبَّز[1] بخُرَيْمِ النَّاعِمِ: ما النِّعْـمَةُ؟ فقال: الأمْنُ، فإنه ليس لخائف عيشٌ، والغِنَـى فإنه ليس لفقير عيشٌ، والصحّـة فإنه ليس لسَقيمٍ عيشٌ، قيـلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: لا مَزِيدَ بعدَ هذا.

وقال سَلْمُ بن قُتَيبَةَ: الشَّبابُ الصحةُ، والسلطانُ الغِنَى، والمروءَةُ الصَّبرُ على الرِّجال.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُـفْرَة: العَجَبُ لمن يَشـترى المماليكَ بماله ولا يَشـترى الأحرارَ بمعـروفه. وكان يقولُ لِبَـنيه: إذا غَدَا عليكم الرجلُ وراح مُـسَلِّمًا، فكَفَى بذلك تَقاضيًا.

وقال خالدُ بن عبـد الله القَسْرىُّ: مَحْضُ الْجُودِ ما لم تَسْبِقْـهُ مسألة، ومالم يَتْبَعْهُ مَنٌّ، ولم يُزْرِ به قِصَرٌ، ووافَقَ موضعَ الحاجة.

وقال بعض المُحْدَثِين ـ وهو حبيب الطائىُّ:

أَسَـائِلَ نَـصْـرٍ لاَ تَسَلْـهُ فـإِنه	أَحَنُّ إلى الإرْفـادِ منكِ إلى الرِّفْـدِ

وقال آخرُ ـ وهو أبو العَتَاهِيَة:

لاَ تَـسْـأَلَنَّ المَـرْءَ ذَاتَ يَدَيـه	فَلَيَـحْـقِـرَنَّكَ مَنْ رَغِـبْـتَ إليـه
الْمَـرْءُ مَـالم تَرْزَهُ لك مُـكْرِمٌ	فَـإِذَا رَزَأْتَ المرءَ هُنْـتَ عليـه
وكـمـا يكون لَدَيْكَ مَنْ عـاشَـرْتَهُ	فكَذَاكَ فَـارْضَ بأَنْ تكـونَ لَدَيهِ

[النخار العذرى ومعاوية]

ودخل النَّخَّارُ العُذْرى على مـعاوية فى عَبَاءَة، فاحتَقَـره معاويةُ، فرأى ذلك النَّخَّارُ فى وجهـه، فقال له: يا أَميرَ المؤمنين، ليستِ الـعباءَةُ تُكَلمكَ، إنما يكلمك مَنْ فيـها، ثم تكلمَ فَمَلأَ سَـمْعَهُ، ثم نهض ولم يَسْـأَلْهُ، فقال معـاويةُ: ما رأيتُ رجلا أَحْقَرَ أَوَّلا ولا أَجَلَّ آخِراً منه[2].

---

(١) المنبز: الملقب بلقب مكروه.

(١) كلمة «معاوية» ساقطة من ر.

[محمد بن كعب القرظى وسليمان بن عبد الملك]

ودخل محمدُ بن كَعْب القُرَظيُّ على سليمانَ بن عبد الملك فى ثياب رَثَّة، فقال له سليمانُ: ما يَحْمِلُك على لُبْسِ مثلِ هذه الثياب؟ فقال: أَكْرَهُ أن أقولَ: الزُّهْدُ، فَأُطْرِىَ نفسِى، أو أقولَ: الفقرُ، فَأَشْكُوَ ربِّى.

[سالم بن عبد الله بن عمر وهشام بن عبد الملك]

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال: دخلَ سالمُ بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشامِ بن عبد الملك فى ثياب رثَّة وعليه عمَامةٌ تُخَالِفُهَا، فقال له هشامٌ: كَأَنَّ العمَامةَ لَيْسَتْ من الثياب! قال: إنها مُسْتَعَارَةٌ، فقال له: كم سِنُّكَ؟ قال: ستُّونَ سنةً، قال: ما رأيتُ ابنَ ستينَ أَبْقَى كِدْنَةً منك[1]، مَا طَعَامُك؟ قال: الخُبزُ والزَّيتُ، قال: أَمَا تَأْجَمُهُما[2]؟ فقال: إذا أَجمتُهما تركتُهما حَتَّى أَشْتَهِيهما، ثم خرجَ مِنْ عندِه وقد صُدِع، فقال: أَتُرَوْنَ الأَحْوَلَ لَقَعْنى بعينه، فماتَ من تلك العلَّة[3].

ونَظَرَ أعرابىٌّ إلى رجل جَيِّد الكِدْنة فقال: يا هذا، إنِّى لأَرَى عليك قَطِيفةً مُحْكَمةً من نَسْج أضراسِكَ.

[من أخبار أبى الأسود الدؤلى]

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤلِىُّ[4] على عُبيد الله بن زيادٍ فى ثيابٍ رثَّةٍ، فكساه ثيابًا حسَانًا، فخرج وهو يقول:

كَسَاكَ وما استكسيتَهُ فَشكَرْتَه ... أخٌ لك يُعطيكَ الجزيلَ ونَاصِرُ
وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إنْ كنتَ مَادِحًا ... بمدحك مَنْ أَعْطَاكَ وَالعِرضُ وَافِرُ

---

(١) زيادات ر: «كدنة: قوة الجسم، قال ابن القوطية فى الأفعال: كدنت الشفة كدونا اسودَّت: كدن البعير: كثر شحمه».

(٢) أجم الطعام: عافه وكرهه.

(٣) زيادات ر: «قال ابن الأعرابى ثم لقع فلان فلانا بعينه، وزلقه، وزلقه (بتشديد اللام) وأزلقه، وشقذه، وشوهه، ويقول الرجل إذا أجاد فى عمله. لا تشوه عنى، أى لا تقل لى: أجدت فتصيبنى بالعين، ورجل معين، إذا أصيب بالعين، وشاه وشائه وشقذ وشقذان».

(٤) زيادات ر: «اسم أبى الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن جندل بن سفيان، وأمه من بنى عبد الدار، بصرى تابعى ثقة، من أصحاب على من كتابه».

وحدثنى الرِّيَاشِىُّ قال: دخل أبو الأسود الدُّؤَلى على عُبيد الله بن زياد وقد أَسَنَّ، فقال له عُبيد الله يَهْزَأُ به: يا أبا الأسودِ، إنك لجميلٌ، فلو تَعَلَّقْتَ تميمةً تَرُدُّ عنك بعضَ العُيونِ، فقال أبو الأسود:

أَفْنَى الشَّبَابَ الذى أفنيتُ جِدَّتَهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ من آتٍ ومُنطلقِ
لَمْ يَتركَا لِىَ فى طُولِ اختلافِهما شيئًا أَخافُ عليه لَذْعَةَ الْحَدَقِ

قوله: «فلو تَعَلَّقْتَ تميمةً» هى: المَعَاذَةُ يُعلِّقُها الرجُلُ.

قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات:

صَدَرُوا ليلَةَ انْقَضَى الحجُّ فيهمْ طَفْلَةٌ زَانَهَا أَغَرُّ وَسِيمُ
يَتَّقِى أهلُها العيونَ عليها فعلَى جِيدِها الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وقال أبو ذُؤَيْب:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفارَهَا أَلْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفعُ

وقوله: «لَذْعَةُ الحَدَقِ» فهو من قولك: لَذَعَتْهُ النارُ، إذا لَفَحَتْهُ، ويقال: لَذَعَ فلانٌ فلانًا بأَدَبٍ، إذا أَدَّبَهُ أَدَبًا يسيرًا، كأنَّهُ كالمقدار الذى وصفناه من النَّارِ.

وقول ابنِ قيسِ الرُّقَيَّات: «زَانَهَا أَغَرُّ وَسِيمُ»، فالأغَرُّ: الأبيضُ - يعنى الوَجْهَ، والوسِيمُ: الجميلُ، والمصدرُ الوَسَامَةُ والوَسَامُ.

[لبعض المحدثين فى الخضاب]

وقال بعضُ المحْدَثِينَ، ذكرناهُ بقولِ أبى الأسود:

قد كنْتُ أرتاعُ للبيضاءِ فى حَلَكٍ فصرتُ أرتاعُ للسَّوداءِ فى يَقَقِ[1]
مَنْ لَمْ يَشِبْ ليس مَمْلاَقًا حَليلَتَهُ وصاحبُ الشَّيْبِ للنِّسْوَانِ ذو مَلَقِ
قد كنَّ يَفْرَقْنَ منه فى شَبِيبَتِهِ فصارَ يَفْرَقُ ممن كانَ ذا فَرَقِ
إنْ الْخِضَابَ لتَدْلِيسٌ يُغَشُّ به كَالثَّوْبِ فى السُّوقِ مَطْوِيًّا على حَرَقِ

ويُرْوَى: «يُطْوَى لِتَدْلِيسٍ على حَرَقٍ».

---

(١) اليقق: البياض.

وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبى تَمَّامٍ:

طَالَ إنْكارِى البَيَاضَ وإن عِمِّـرْتُ شيئًا أنْكرْتُ لونَ السَّوَادِ

وحدثنى الزِّيادىُّ قال: قيلَ لأعرابىٍّ: ألاَ تَخْضِبُ بالوَسْمَة، فقال: لِمَ ذاكَ؟ فقال: لتَصْبوَ إليكَ النساءُ، فقال: أمَّا نِساؤُنَا فَمَا يُرِدْنَ بِنَا بَدِيلا، وأمَّا غيرُهنَّ فَمَا نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ.

[للعتبى]

وقال العُتْبِىُّ:

وَقَائلَة تَبَيَّضُ وَالغَوَانى نَوَافِرُ عن مُعَالَجة القَتِير[1]
عَلَيْكَ الخطْرَ عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى إلى بِيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ[2]
فقلتُ لها المَشيبُ نَذيرُ عُمْرِى وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

[ليزيد بن المهلبى]

وقال آخر - وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المُهَلَّبِىُّ:

صَبَغْتُ الرَّأسَ خَتْلاً للغَوَانى كَمَا غَطَّى على الرَّيْبِ المُرِيبُ
أُعَلَّلُ مَرَّةً وأُسَاءُ أُخْرَى ولا تُحْصَى مِنَ الكِبَرِ العُيُوبُ
أُسَوِّفُ تَوْبَتِى خمسينَ عامًا وظَنِّى أنَّ مِثْلى لاَ يَتُوبُ
يُقَوِّمُ بِالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا ولاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ[3]

وقال مالكُ بن دينارٍ: جاهِدُوا أهواءَكم، كما تُجَاهِدُونَ أعداءَكم. وكان يقول: ما أشدَّ فِطَامَ الكَبِيرِ.

* * *

وقال آخر:

دَعِى لَوْمِى ومَعْتَبَتِى أمَامَا فَإنِّى لَمْ أُعَوَّدْ أَنْ أُلاَمَا
وكيف مَلاَمتِى إذْ شَابَ رأسى على خُلُقٍ نَشَأْتُ به غُلاَمَا

* * *

(١) زيادات ر: «ويروى «معالجة»، بكسر اللام، فمن فتح اللام جعله مصدراً، ومن كسر اللام فهى الجماعة التى تعالج ذلك الشىء».

(٢) الخطر: نبات يخضب به. (٣) الثقاف: آلة لتقويم الرماح.

وقيلَ لأعرابيٍّ: أَلاَ تُغيِّرُ شيبَك بالْخضَابِ؟ فقال: بَلَى، فَفَعَلَ ذاك مرةً، ثم لم يُعَاوِدْ، فقيل له: لِمَ لا تُعاوِدُ الْخِضَابَ؟ فقال: يا هَنَاهُ، لقد شُدَّ لِحْيَايَ فجعلتُ أَخَالُنِى ميِّتًا.

[لمحمود الوراق فى الشيب]

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ، وهو محمودٌ الورَّاقُ:

يا خـاضبَ الشَّيْبِ الذى	فى كلِّ ثالثـةٍ يَعُـودُ
إنَّ النُّصُـولَ إذَا بَـدَا	فكأنَّه شَيْبٌ جَـديـدُ
ولـه بَـدَاهَـةُ لَوْعَـةٍ	مكروهُهَـا أبدًا عَتِيـدُ[1]
فَـدَعِ المَشِيبَ لِمَا أَرَا	دَ فَلَنْ يَعُـودَ كَمَا تُرِيدُ

وقال محمودٌ أيضًا:

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الفَتَى	يُصَابُ بِبَعْضِ الذى فى يَدَيه
فَمِنْ بَيْنِ بَاكٍ لـه مُوجَعٍ	وبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِذٍّ إلَيْـه[2]
وَيَسْلُبُـهُ الشَّيبُ شَرْخَ الشَّبَابِ	فليس يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْـه

وقال أيضًا:

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نُحْ فَقْدَهَا	فَإنَّمَا تُدْرِجُهَا فى كَفَنْ
أَمَا تَرَاهَا مُنْذُ عَايَنْتَهَا	تَزِيدُ فِى الرَّأْسِ بِنَقْصِ البَدَنْ

وقال أيضًا:

اغْتَنِمْ غَفْلَةَ المنيَّةِ واعْلَمْ	أَنَّمَا الشَّيْبُ للمنيَّةِ جِسْرُ
كم كَبِيرٍ يومَ القيامةِ يُقْصَى	وصغيرٍ له هُنَالِكَ قَدْرُ

* * *

قال أبو الحسن: يقال «جِسْرٌ وجَسْرٌ»، وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة، يقال لها: «الْجَسْرُ».

---

(١) يقال: عتد الشىء إذا حضر، فهو عتيد.

(٢) مغذ: مسرع.

[لأبى النجم العجلى]

وقال أعرابى[1]:

قـالت سُلَيْمَى أنتَ شَـيْخٌ أنْزَعُ[2] فــقلتُ مَـــا ذَاكَ وإنِّى أَصْـلَعُ
ثم حَـسَــرْتُ عَنْ صَـفَــاةٍ تَلْمَعُ فَــأَقْــبَلَتْ قــائِلةً تَسْــتَــرْجِعِ

* ما رأسُ ذَا إلاَّ جَبِينٌ أَجْمَعُ *

[لرؤبة]

وقال آخرُ، وهو رُؤْبة:

قد تَرَكَ الدهــرُ صَفَاتى صَـفْصَـفا فـصارَ رأسى جَـبْـهةً إلـى القَفَـا
كـأنَّـه قـد كـان رَبْعًــا فَـعَــفَـا يُمْـسِى ويُـضْـحِى للمَنَايـا هَدَفَـا

[لنصر بن حجاج وقد حلق عمر رأسه]

وكان نصرُ بن حَجَّاج بن عِلاَط السُّلَمِىُّ ثم البَهْزِىُّ جـميلاً، فَعثَرَ عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمرٍ ـ اللهُ أَعلم به ـ فـحلَقَ رأسَه، وكان أَصْلَعَ، لم يَبْقَ من شَعَرْه إلاَّ حُفَاف[3]، كذلك قال الأصمعىُّ فقال نصرُ بنُ حَجَّاجٍ:

لَضَنَّ ابنُ خَـطَّابٍ علىَّ بجُـمَّـة إذَا رُجِّلَتْ تَهْـتَـزُّ مَـرَّ السَّـلاَسِلِ
فَـصلَّعَ رأسًــا لم يُـصلِّعْــهُ رَبُّهُ يَرِفُّ رَفِـيفًـا بعـد أَسْوَدَ جَـاثِلِ[4]
لقد حَسَـدَ الفُرْعَانَ أَصْلَعُ لم يكُنْ إذَا مـا مَشَى بالفَـرْعِ بالمُتَخَـايِلِ[5]

قوله: «بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ» ليس أنَّهُ جَعَلَ «بالفَرْعِ»، من صِلَةَ المُتَـخَايِلِ فيكون ذلك معنـاه: بالذى يَخْتَالُ بالـفَرْعِ، فيكون قَـدْ قَدَّمَ الصِّلَةَ على الموصـول، ولكنه

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».
(٢) أنزع، من النزع، وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبى الجبهة.
(٣) حفاف: شعر حول الصلعة.
(٤) الجائل: الشعر الكثير الملتف.
(٥) الفرعان. جمع أفرع، وهو الوافى الشعر.

جَعَلَ قوله: «بالفرع» تبيينًا، فصار بمنزلة «بك» التى تَقَعُ بعدَ «مَرْحَبًا» للتبيين، وقد مرَّ تفسيرُ هذا مستقصًى فى الكتاب «المُقْتَضَب».

* * *

وقال آخرُ:

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالعَمائم لُؤْمَها ... وكيفَ يُغَطى اللُّؤْمَ طَىُّ العَمائمِ

فإنْ تَضْربونا بالسِّياط فإنَّنَا ... ضَربناكُمُ بالمُرْهَفات الصَّوارمِ

وإن تَحْلقُوا منَّا الرءوسَ فإننا ... حَلَقْنا رُءوسًا باللَّهَا والغَلاصمِ[1]

وإن تَمنعُوا منَّا السِّلاح فعندنا ... سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدَّراهمِ

جَلامِيدُ أمْلاءُ الأكُفِّ كأنَّها ... رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسِمِ

[من شعر يزيد بن الطثرية وأخباره]

وكان يزيدُ بن الطَّثْرِيَّة غَزِلا، وكان أخوه ثورٌ ذَا مَال، فكان يزيدُ يأتى العطَّارَ فيقولُ: ادهُنِّى دَهْنَةً بناقة من إبلِ ثَوْر، فيفعلُ ذلك، وكانَ ذا جُمَّة حَسَنَة، فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْنُ هربَ فَتَبَدَّى[2]، فإذا ذَكَر حُوشِيَّةَ ـ وهى امرأة كانَ يُشَبِّبُ بها[3] ـ قَدِمَ فاقْتَطَعَ من إبلِ أخيه ما يَقْضِى به دَيْنَهَ، وفى ذلك يقولُ:

قَضَى غُرَمَائى حُبُّ أسماءَ بعدَمَا ... تَخَوَّفَنِى ظُلْمٌ لهمْ وفُجورُ

فذلك دأْبِى ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثَورٍ علَى ظَهرِ الفَلاةِ بَعِيرُ

فاستْعدَى عليه ثورُ السُّلطانَ، فأمَر بحلق رأسه، فقال:

أقولُ لثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمتى ... بعَقْفَاءَ مَرْدُود عليها نِصَابُهَا

ترفَّقْ بها يا ثَوْرُ ليس ثوابُهَا ... بهذا ولكنْ عندَ ربِّى ثَوابُهَا

ألاَ رُبَّما يا ثَورُ فَرَّقَ بينها ... أناملُ رَخْصَاتٌ حَديثٌ خِضَابُهَا

---

(١) اللها: جمع لهاة، وهى لحمة فى أقصى الفم، والغلاصم: جمع غلصمة، وهى لحمة ما بين الرأس والعنق.

(٢) تبدى: أقام بالبادية.

(٣) زيادات ر: «حوشية بنت أبى فديك بن قرة، ولها مع يزيد حديث طريف».

فتَـهلكُ مدْرَى العَاجِ في مُدْلَهِـمَّةٍ ... إذا لم تُفْرَّجْ مات غَـمًّا صُؤَابُهَا[1]

فـجَـاء بهَــا ثَوْرٌ تِرْفٌ كـأَنَّـهَـا ... سـلاسِلُ بُـرْقٍ لِينُهـا وانْسكَـابُهَـا

ورُحْتُ برأْسٍ كالصُّخَـيْرَة أَشْرَفَتْ ... عليـها عُـقابٌ ثم طارتْ عُـقَابُهَـا

خُـدَارِيَّةٌ كـالشَّرْيَةِ الفَـرْدِ جَـادَهَا ... من الصَّيفِ أنواءٌ مَطِيرٌ سَحَابُهَا[2]

---

(١) فتهلك، قال المرصفى. «يريد تضل» والصواب. بيض القملة، والجمع صِئْبان.

(٢) خـدارية. وصف للمـة، وهى شـدة الســواد، والشـرية: النخلة تنبت مـن النواة، والفـردة: المنفـردة (المرصفى).

باب

[لقيس بن عاصم المنقري]

قال رجلٌ من المتقدِّمين، وهو قَيْس بن عاصمٍ المِنْقَرِيُّ:

أَيَا ابْنَةَ عبدِ الله وابْنَةَ مالك ... ويا ابْنَةَ ذي البُرْدَيْنِ والفرسِ الوَرْدِ[1]

إذَا ما أصبْتِ الزَّادَ فالْتَمسِي له ... أَكِيلاً فإِنِّي غَيْرُ آكِلِه وَحْدِي

قَصيًّا كَرِيمًا أو قَرِيبًا فإنني ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِن بَعْدِي

وإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مادامَ ثَاوِيًا ... وما مِنْ خِلاَلِي غيرَهَا سِيمَةُ العَبْدِ

«غيرَها» استثناءٌ مقدَّم. وقد مضَى تفسيرُه.

وقوله: «قَصيًّا كريمًا» من طَرِيف المَعانى، وذلك أنه لم يَحْتَجْ إلى أن يَشترطَ فى نسْبَتِه الكَرَمَ، لأنه قد ضَمِنَ ذلك، واشترط فى القَصِيِّ أن يكون كريمًا، لأنه كَرِه أن يكونَ مُوَاكِلُه غيرَ كَرِيمٍ.

[لجرير يهجو بني هزان]

وهذا ليس من البابِ الذى ذَكَره جريرٌ، حيثُ يقولُ فى هجائه بنى هِزَّانَ:

ضَيْفُكُمْ جَائعٌ إذْ لم يَبِتْ غَزِلاً ... وجَارُكُمْ يَا بَنِى هِزَّانَ مَسْرُوقُ

رأيتُ هِزَّانَ فى أَحْرَاحِ نِسْوَتِها ... رُحْبٌ وهِزَّانُ فى أخلاقِهَا ضِيقُ

[يحيى بن نوفل يهجو]

وقال آخرُ من المُحْدَثِينَ، وهو يحيى بنُ نَوْفَلٍ، أَنْشدَه دِعْبِل:

كنتُ ضَيْفًا بِبَرْمَنَا يَا لعبْد ... الله والضَّيْفُ حقُّهُ معلومُ

فانْبَرَى يَمْدحُ الصِّيَامَ إلى أَنْ ... صُمْتُ يومًا ما كنتُ فيه أَصومُ

ثم أَنْشَا يَسْتَامُ بِرذَوْنِى الوَرْ ... دَ مُلِحًّا كما يُلِحُّ الغَرِيمُ

[قال الأخفش: يُرْوَى «برذَوْنِيَ الزَّرْدَ» وهو الأصفرُ]

ولَعَمْرِى إِنَّ ابْنَ قَيْلَةَ إذْ يَسْتَامُ بِرْذَوْنَ ضَيْفِه لَلَئِيمُ

---

(١) البردان: ثوبان لبسهما عامر بن أحيمر فى مجلس النعمان بن المنذر. والورد، لون بين الحمرة والصفرة.

[لأبى دلامة بن الجون]

وقال رجل[1]، أنْشَدَنيه السِّجِسْتانِيُّ، يَقُولُه لابن دَعْلَجٍ، وكان ابنُ دَعْلَجٍ يَتَوالَى بنى تَمِيمٍ:

إذا جئتَ الأميرَ فقل سَلامٌ ... عليكَ ورَحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأمَّا بَعْدَ ذاكَ فلى غَرِيمٌ ... منَ الأعْرابِ قُبِّحَ مِنَ غَرِيمِ!
لَزُومٌ ما عَلِمْتُ بِبابِ دارِى ... لُزُومَ الكَهْفِ أصحابُ الرَّقيمِ
لَهُ مائةٌ علىَّ ونصفُ أُخْرَى ... ونصفُ النِّصْفِ فى صَكٍّ قَديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ ... حَبَوْتُ بها شُيوخَ بَنِى تَمِيمِ

* * *

روى[2] أبو الحسن:

أتَوْنِىَ فى العَشيرَةِ يسألونى ... ولم أكُ فى العَشيرة بالمليمِ

قال أبو الحسن: لم يَعْرِفْ أبو العباس هذا البيتَ الأخيرَ، وهو صحيحٌ.

* * *

وجاوَرَ قَيسُ بنُ عَاصِمِ بن سِنَان بنِ خالد بن مِنْقَرِ بنِ عُبيد تاجرًا خَمَّارًا، فشرب شرابَهُ، وأخَذَ متاعَه، ثم أوْثَقَهُ، فقال: افْدِ نَفْسَك. وقال فى ذلك:

وتَاجِرٍ فَاجِرٍ جاءَ الإلَهُ به ... كأنَّ عُثْنُونَهُ أذنابُ أجْمَالِى

قال ذلك، لأن ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ إلى الصُّهْبَةِ، وفيه استواءٌ، وهو يُشْبِه اللِّحْيَةَ.

[للنمر بن تولب]

وقال النَّمِرُ بنُ تولَب:

إذا كنتَ فى سَعْدٍ وأُمُّكَ منهمُ ... غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ مِنْ سَعْدِ
فإنَّ ابن أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إناؤُهُ ... إذَا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

---

(١) قال المرصفى: «هو أبو دلامة بن الجون».

(٢) ر: «راد».

[قيس بن عاصم وبنو منقر]

وَاسْتَعْمَلَ رسـولُ الله ﷺ قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقات بنى سـعدٍ، فتُوفِّى رسولُ الله ﷺ، فَقَسَمَهَا قيسٌ بعدُ فى بَنِى مِنْقَرٍ، وقال:

مَنْ مُـبْـلِغٌ عنِّى قُـرَيْشًـا رسـالةً ... إذا مَـا أَتَتْـهَا مُـحْكمـاتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صَـدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا ... وأَيْأَسْتُ منـهـا كلَّ أَطْـلَسَ طامعِ

[من أخبار أبى خراش الهذلى وشعره]

وجاور عُرْوةُ بن مُـرَّةَ أخو أبى خِراشٍ الهَذَلِىُّ ثُمالَـةَ من الأَزْد، فجلس يومًا بِفناء بيتـه آمنًا لا يخاف شيئًا، فـاستدبره رجلٌ منهم من بنى بَلاَّلٍ بسـهم، فقَصَمَ صُلْبَهُ، فَفى ذلك يقولُ أبو خِراَشٍ:

لَعَنَ الإِلَـهُ وُجُـوهَ قَـوْمٍ رُضَّعٍ ... غَـدَرُوا بـعُـرْوَةَ من بـنى بَلاَّلِ

وأُسِرَ خِرَاشُ بن أبى خِراَشٍ، أَسَـرَتْهُ ثُمالَةُ، فكان فيهم مُقيمًـا، فدعا آسرُهُ يومًا رجلا منهم للمنادمـة، فرأى ابنَ أبى خِراَشٍ مُوثَقًا فى القدِّ، فَـأَمْهَلَ حتَّى قَامَ الآسرُ لحاجة، فقـال المَدْعُوُّ لابن أبى خِراَشٍ: مَنْ أَنتَ؟ قال: أنا ابنُ أبى خِراَشٍ، فقالَ: كـيفَ دلِيِّلاَكَ؟ قال: قَطَاةٌ، قال: فَقمْ فـاجْلسْ وَرَائِى، وألقَى عليه رداءَهُ، ورَجَعَ صاحبُـهُ، فلمَّا رَأَى ذلك أصْلَتَ بالسَّيفِ، وقال: أَسـيرى، فَنَثَل[1] المُجيرُ كنَانَتَهُ، وقـال: والله لأرمينَّكَ إنْ رُمْتـهَ، فإنى قد أَجَـرْتُه، فَخَلَّى عنه، فـجاء إلى أبيه، فـقال له: مَنْ أَجـارَكَ؟ فقـال: والله ما أَعْـرِفه، فـقال: أبو خِـراَشٍ، وقال الرُّواةُ: لاَ نَعْرِفُ أحدًا مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبى خِراَشٍ:

حَـمِـدْتُ إلَهِى بـعـدَ عُـرْوَةَ إذْ نَجَـا ... خراش وبعضُ الشَّـرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فــوَالله لا أنسَى قَـتـيــلا رُزِيتـهُ ... بجانب قَوْسَى مامَشَيْتُ على الأَرضِ
بَلَى إنَّهـا تَعْـفُـو الكلُومُ وإنَّمَـا ... يُوَكَّلُ بالأدْنى وإنَّ جَـلَّ مـا يَمْـضِى
ولم أَدْرِ مَـنْ أَلقـى علـيـه رِدَاءَهُ ... عَلَى أنه قـد سُلَّ عن مَاجِـد مَحْضِ
[ولم يَكُ مَـثْلُوجَ الفُـؤَاد مُـهَـيَّـجًـا ... أضاع الشَّبابَ فى الرَّبِيلةِ والْخَفْضِ[2]]

---

(١) نثل كنانته: استخرج ما فيها من النبل.

(٢) البيتان بين علامتى الزيادات لم يردا فى نسخة الأصل، وهما فى ر، س. والربيلة: السمن. والخفض: الدعة ولين العيش.

ولكنه قـد لوَّحَـتْـهُ مُـحَـامصٌ على أنه ذُو مـرَّةٍ صَـادقُ النَّهْضِ]
كـأنَّـهُمُ يَسْـعَـوْنَ فى إثْـرِ طَائرٍ خفيفِ المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضٍ(١)
يُبَـادرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فـهـو مُـهَـابِذٌ يَحُثُّ الْجَنَـاحَ بالتَّـبَـسُّطِ والـقَـبْضِ

قوله:

* قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ قَوْمٍ رُضَّعٍ *

فهـو جماعةُ راضِعٍ. وقـومٌ يقولون: هو توكيـدٌ للَئِيمِ كما يقـولون: جائعٌ نائعٌ، وحَسَنٌ بَسَنٌ، وعَطْشَان نطْشَان، وأجمعُ أكْتَعُ. وقـومٌ يقولون: الراضعُ هو الذى يَرْتَضِعُ من الضَّرْعِ لئَلاَّ يَسْمعَ الضَّيفُ أو الجارُ صوتَ الْحَلَبِ فَيَطْلُبَ منه.

وتصديقُ ذلك ما أنشدَنَاه أبو عثمانَ عَمْرُو بن بَحْرٍ لرجلٍ من الأعراب ينْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤم والتَّوَحُّشِ:

أَحَبُّ شـيءٍ إليـه أنْ يكـونَ له حُلْقُـومُ وَاد له فـى جَـوْفـه غـارُ
لا تَعْـرِفُ الرِّيحُ مُسَاهُ ومُـصْبَـحَهُ ولا يُشَـبُّ إذا أمْـسَـى لَـه نارُ
لا يَحْلبُ الضَّرْعَ لُؤمًا فى الإناء ولا يُرَى له فى نَـواحى الصَّـحْنِ آثارُ

وقوله: كـيفَ «دلِّيلاكَ» فـهى كثـرةُ الدِّلاَلَة، و«الفعِّـيلى» إنما تُستـعمل فى الكثرة، ويقال: القتِّيتَى لكثرة النَّميمة، ويقال: الهجِّيرَى لكثرة الكلمة المترَدِّدَة على لسـان الرجلِ، يقـالُ: ذكْرُكَ هـجِّيـرَاى أى هو الذى يَجْـرِى على لسـانى، وفى الحديث: «كـان هجِّيرَى أبى بكر الصِّـدِّيق رحمه الله بلا إلَه إلا الله» ويقـال: كان بينهم رِمِّيًا، لكثرة الرَّمْيِ، وكذلك كلُّ ما أَشْبَه هذا.

وقوله: «بِجانب قَوْسَى» فهو بلد تَحُلُّهُ ثُمَالَةُ بالسَّرَاة.

وقـولُه: «بَلَى إنَّها تَعْفُـو الكلُومُ» فهى الجِـراحُ والآثـارُ التى تُشـبهها، قال جرير:

تلْقَى السَّلِيطىَّ والأبطالُ قـد كُلِموا وَسْطَ الرِّجَالِ سليمًا غير مَكْلُومِ(٢)

(١) المشاش: رءوس العظام.
(٢) السليطى: نسبة إلى سليط، وهو كعب بن الحارث بن يربوع.

وينشد: «وَسْطَ الرِّجَال»، و«تَعْفُو» تَدْرُسُ.

وقولُه: «عَظْمُهُ غيرُ ذِى نَحْضٍ». النَّحْضُ: اللَّحْمُ، يقالُ: يأكلُ ويُرَوِّى الرِّجال مَحْضًا.

وقولُه: «فهو مُهَابِذٌ» يقولُ: مجتهدٌ. وَهُذَيْلٌ فيها سَعْىٌ شديدٌ، وفى جماعةٍ من القبائلِ التى تَحُلُّ بأَكْنَافِ الحجار.

[من أخبار الحطيئة وذكر المختار من شعره]

ولقى الزِّبْرِقَانُ بنَ بَدْر - وهو قاصدٌ بصَدَقَات قومه إلى أبى بكر الصديق رحمه الله - الْحُطَيْئَةَ فى طريقه، فقال له الزِّبْرِقَانُ: مَنْ أنت؟ فقال: أنا أبو مُلَيْكَة. أَنَا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ، فقال له الزِّبْرِقَانُ: إنِّى أُريدُ هذا الوَجْهَ، ومالَكَ مَنزِلٌ، فامْضِ إلى منزلى بهذا السَّهْمِ، فَسَلْ عن القَمَرِ ابن القَمَر، وكُنْ هناك حتَّى أَعُودَ إليك، فَفَعلَ، فأَنْزَلُوه وأكرموه، فأقام فيهم فحسَدَهُمْ[1] عليه بَنُو عَمِّهم مِنْ بَنِى قُرَيْعٍ، وذلك أَنَّ الزِّبْرِقَانَ من بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْف بن كعبِ بن سعد بن زيد بن مَنَاة بن تَمِيمٍ، وحاسدُوهُ بَنُو قُرَيْعِ بن عوف بن كعب بن سعد، ولم يَكُنْ لعَوْف إلاَّ قُرَيْعٌ وعُطَارِدٌ وبهْدَلَةُ. وكان الذين حَسَدُوه منهم بنو لأْىِ بنِ شمَّاس بنِ أنفِ النَّاقة بن قُرَيعٍ فَدَسُّوا إلى الحُطَيْئَة: أن تحَوَّلْ إلينا نُعطكَ مائةَ ناقة، ونَشُدُّ كلَّ طُنُبٍ[2] من أَطْنَابِ بيْتكَ بجُلَّةٍ[3] بَحْونَة، قال: فأنَّى لى بذلك! قالوا: إنهم يريدونَ النُّجْعَة فإذا احتَملُوا فَتَخَلَّفْ عنهم، ثم دسُّوا إلى امرأة الزِّبرقانَ مَنْ خَبَّرَ بأَنَّ[4] الزِّبْرِقَانَ إنما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ ليتَزوَّجَ ابنَته، فَقَدَحَ ذلك فى قَلْبِهَا، فلَمَّا تحمَّل القومُ[5] تخَلَّفَ الحُطَيْئَةُ، فاحتَمَلَهُ القُرَيْعِيُّونَ، فَبَنوْا لَهُ ووَقَوْا له، فلما جاء الزِّبْرِقَانُ صارَ إليهم، فقال: رُدُّوا عَلَىَّ جَارِى، فقالوا: ليس لَكَ بجَارٍ وقد طَرَحْتَه، فذلك حيثُ يقولُ[6] الحُطَيْئَة:

---

(١) س: «فحسده».

(٢) الطنب: حبل تشد به الخيمة.

(٣) الجلة: وعاء من خوص يوضع فيه التمر.

(٤) س: «أن الزبرقان».

(٥) س: «احتمل القوم».

(٦) س: «قول الحطيئة».

وإنَّ التى[1] نَكَّبْتُهـا عن مَـعاشـرٍ	علَىَّ غضَاب أنْ صَـدَدْتُ كما صَدُّوا[2]
أتَتْ آلَ شـمَّـاسِ بـن لأْى وإنما	أتاهُمْ بهـا الأحْـلاَمُ والحَـسَبُ العِـدُّ
فـإنَّ الشـقىَّ مَنْ تُعَـادى صُـدُورَهُمْ	وذا الجَدِّ مَنْ لأنُوا إلـيه ومَنْ وَدُّوا[3]
يَسُـوسُـونَ أحـلامًا بَعيـدًا أنَاتُهَـا	وإن غَـضِبُـوا جـاء الحفـيظَةُ والجِـدُّ
أقِلُّـوا علـيـهم لاَ أبَـا لأبِيـكُمُ	منَ اللَّوْم أوْسُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أُولئك قَـومٌ إنْ بَنَوْا أحْـسنُوا الـبنَا	وإن عاهدوا أوْفَـوْا وإن عَقَـدُوا شَدُّوا
وإن كـانت النَّعْمَـاءُ فيـهم جَزَوْا بهـا	وإن أنعَـمُـوا لا كَـدَّرُوها ولاَ كـدُّوا
وإن قـال مَـوْلاَهُمْ على جُلِّ حَـادث	من الدَّهْر رُدُّوا فَضْـلَ أحْلامكم رَدُّوا
وتَعْـذُلُنِى أفْـنَاءُ سَـعْـدٍ عليـهمُ	ومـا قلتُ إلاَّ بالذى[4] عَلِمَتْ سعدُ

قولُه «جُلَّةٌ بَحْـونَةٌ»، أى ضَخْمَةٌ، يقـالُ ذلك للناقَةِ والنَّخلةِ إذَا استَـفْحَلَتْ وطالَتْ.

وقولُه «نكَّبْتُها» يقولُ: عَدَلْت بها.

وقولُه: «والحَسَبُ العدُّ» معناه: الجليلُ الكثير، وأصلُ ذلك فـى الماء: يقال بِئْرٌ عِدٌّ، إذا كانت ذات مادة من العيونِ لا تَنْقَطِعُ، وكلُّ ماءٍ ثابتٍ فهو عِدٌّ.

وقولُه:

* يَسُوسُونَ أحلامًا بَعيداً أنَاتُهَا *

يقولُ: ثقـالٌ لا يُبْلَغُ آخِرُها، وأصـلُ الأنـاةِ من التـأنى والانتـظار، يقولُ: لا يُبْلَغُ آخرُها فتُسَفَّهَ.

وقولُه:

* أولئك قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أحْسَنُوا البُنَا *

وإن شئتَ قلتَ «البِنا» فهما مقصـوران، يقال: بَنَى بِنيةً وبُنْيةً فجَمْعُ بِنيةٍ بِنًى

(١) س: «الذى» تحريف.

(٢) نكبتها: عدلت بها.

(٣) س: الحظ والبخت.

(٤) س: «بالتى».

وجَمْعُ بُنية بُنًى فبِـنيَةٌ وبِنًى ككِسْرَة وكِسَر، وبُنيةٌ وبُنًى كظُلمَـة وظُلَم، فأمَّا المصدَرُ مِن «بنيتُ فممدودٌ»، يقالُ: بنَيْته بِناءً حسنًا، وما أَحْسَنَ بِناءَكَ.

وقولُه: «وإن عاهدوا أوفَوْا» أوْفى، أَحْسَنُ اللغتَين، يقالُ وَفَى وأَوْفَى. قال الشاعرُ ـ فجمع [بين[1]] اللغتين:

أَمَّـا ابن بِيض فـقد أَوْفَى بـذمَّتـه ... كما وفَى بِقلاص التَّجْم حاديهَا[2]

وفي القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بعَهْده﴾[3] وقال الله تبـارك وتعالى: ﴿وأَوْفُوا بعَهْدِ الله إذَا عَاهدْتُم﴾[4] وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿والموفُونَ بعَهْدهِمْ إذَا عاهَدوا﴾[5].

فهذا كله على «أَوْفَى». وقـال رسولُ الله ﷺ فيما رُوِيَ مِنْ أنه قَـتَلَ مسلمًا بِمُعَاهَد، وقال: «أنا أَوْلَى مَنْ أَوفَى بذِمَّته».

وقال السَّمَوءَلُ في اللغة الأخرَى:

وفَـيْتُ بـأَدْرُع الكِـنْدِيِّ إنِّـي ... إذا عـاهـدتُ أقـوامًـا وَفَـيْتُ[6]

وقال المُكَعْبرُ الضبِّيُّ:

[قال أبو الحسن: حفظِي «المُكَعْبِرُ»]:

وَفَـيْتُ وَفَـاءً لم يَرَ الـناسُ مِـثْلَه ... بِتَـعْشَارَ إِذْ تَحْـبُو إِلَيَّ الأكَـابِرُ[7]

وقولُه:

وإنْ كانت النَّعْمَاءُ فـيهم جَزَوْا بِهَا ... وإنْ أنعـمُوا لاَ كَدَّرُوهَـا ولاَ كدُّوا

يقولُ ما قالَ جريرٌ مثْلَه:

وإنِّي لأَسـتَحْـيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ ... عليَّ مـن الحقِّ الَّذي لا يَرَى لِيَـا

يقولُ: أستَحْيِي أَنْ أَرَى نعمتَه عليَّ ولاَ يَرَى على نفسه لي مِثْلها.

---

(١) تكملة من س.

(٢) ابن بيض، بفتح الباء وكسرها: رجل تاجر مكثر، كـان لقمان بن عاد يجيـزه على خراج يؤديه إليه كل عام، فلما حضرته الـوفاة قال لولده: لا تجاورن لقمان، وسر بمالك وأهلك، فإذا صـرت إلى عقبة كذا فضع حقه عليها، فجاء لقمان فأجده وانصرف. حكاه المرصفي عن أبي زيد.

(٣) سورة آل عمران ٧٦. (٤) سورة النحل ٩١.

(٥) سورة البقرة ١٧٧. (٦) س: «إذا ما خان أقوات وفيت».

(٧) تعشار. موضع بالدهناء.

وقولهُ: «على جُلٍّ حادثٍ» فهو الجليلُ من الأمر، ويقال: فلان يُدْعَى للجُلَّى، قال طَرَفَةُ:

* وإنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا *[1]

وفيهم يقولُ الحطيئةُ[2]:

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنَّ درَّتَكُمْ ... يومًا يَجِيءُ بها مَسْحِي وإبْسَاسِي
لَمَّا بَدَا لِيَ منكم غَيْبُ أَنْفُسِكم ... ولم يَكُنْ لِجِرَاحِي فيكُمُ آسِي
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا منْ نَوَالِكُمُ ... ولا تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لاَ أَبا لَكُمُ ... فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ
جَارٍ لقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِه ... وغادَرُوهُ مُقِيمًا بينَ أَرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ ... وجَرَّحُوهُ بأَنْيَابٍ وأَضْرَاسِ
دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قولُه: «لقد مَرَيْتُكُمُ» أصل المَرْيِ المَسْحُ، يقال مَرَيْتُ النَاقَةَ، إذا مسحت ضَرْعَها لتَدُرَّ، ويقالُ: مَرَى الفرسُ والناقةُ إذا قام أحدُهما على ثلاثٍ ومسَحَ الأرضَ بيده الأخْرَى، قال الشاعرُ:

إِذَا حُطَّ عَنْهَا الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِهَا ... إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْصَفَنَتْ تَمْرِى[3]

وهذا مِن أَحْسَنِ أوصافِها.

وقال بعض المحْدَثِينَ يَصِفُ بِرْذَوْنًا بحسن الأدَبِ[4]:

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسُهُ بِعِنَانِه ... عَلَكَ اللِّجَامَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ[5]

---

(١) تمامه:

* وإن تَأْتِكَ الأعْدَاءُ بالجهدِ فاجْهَدِ *

(٢) كلمة «الحطيئة» ساقطة من س.

(٣) شذب العيدان: ما تفرق منها، الواحد شذبة.

(٤) زيادات ر: «الشعر لمحمد بن يزيد» من ولد مسلمة بن عبد الملك، يصف فرسه، وقبله:

عَوَّدْتُهُ فيما أزور حبائبي ... إهمالَهُ وكَذَاكَ كلُّ مُخَاطِرِ

(٥) القربوس: حنو السرج، العنان: سير اللجام الذى تمسك به.

ويقال: مَرَاهُ مائةَ سوط ومائةَ درهمٍ، إذا أوْصَلَ ذلك إليه، ولـ «مَرَاهُ» موضعٌ آخرُ، ومعناه مَرَاهُ حقَّهُ، إذا دَفَعَهُ عنه ومنعَهُ منه، وقد قُرِئَ ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[1] أي تَدْفَعُونَهُ، و«على» في موضع «عن» قال العامري[2]:

إِذَا رَضِيَتْ عليَّ بَنُو قُشَيْرٍ لعَمْرُ اللهِ أعْجَبَنِي رِضَاهَا

وبنو كعْبِ بن رَبِيعةَ بن عامرٍ يقولون: «رضى الله عليك».

وأمَّا الإبْسَاسُ فأن تَدْعُوَ الناقةَ باسمِهَا، أوْ تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى الحَلَبِ، بقول أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل: ناقةٌ بَسُوسٌ، وذلك مِن صفاتِها في حُسْنِ الخُلُقِ.

وقوله:

* ولم يكَنْ لجِرَاحِي فيكُمُ آسِي *

يقول: مُدَاوٍ، الآسي: الطبيبُ، قال الفَرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَّةً:

إِذَا نَظَرَ الآسُونَ فيها تَقَلَّبَتْ حَمَالِيقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أنْيَابِهَا العُصْلِ[3]

والإساء الدواءُ، ممدودٌ، وقال الحطيئةُ:

هُمُ الآسُونَ أمَّ الرَّأْسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإِسَاءُ

فأمَّا الأسى فمقصورٌ، وهو: الحُزْنُ، ومِنْ ذلك قولُ الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[4] وقال العَجَّاجُ:

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا قَالَ نعم أعرفُهُ، وأبلسا[5]

* وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرطِ الأسَى *

فإذا قلتَ: «الأُسَى» قَصرْتَ أيضًا، وهو جَمْعُ أُسْوة، يقالُ فلانٌ أُسْوَتِي وقُدْوَتِي، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[6].

---

(١) سورة النجم ١٢.
(٢) زيادات ر. «هو القحيف العقيلي».
(٣) العصل: جمع أعصل، وهو المعوج من كل شيء فيه صلابة.
(٤) سورة المائدة ٦٨.
(٥) أبلسا، من الإبلاس وهو الهم والحزن.
(٦) سورة الأحزاب ٢١.

والرَّمْسُ: التُّراب، يقال: رُمِسَ فلانٌ فى قبره.

* * *

وأشعارُ الْحُطيئة فى هذا الكتاب كثيرةٌ، ولولاَ أَنَّهَا معروفةٌ مشهورةٌ لأَتَيْنَا على آخرِها، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئًا مختاراً.

فمن ذلك قولُه:

جَزَى اللهُ خيراً والجَزَاءُ بكَفِّه ... عَلَى خَيْرِ ما يَجْزِى الرجالَ بَغيضَا
فلو شاء إذ جئناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنَّا فى البلادِ عَرِيضًا[1]

يقولُ: كَثُرتْ مَحاسنُه حتى كُذِّبَ ذَامُّهُ، فاستَغْنَى عن أن يُكثِّرَ مادحه، ثقةً بأنَّ هاجيَه غيرُ مُصدَّقٍ، فاعْتَبِرْ هذا الكلامَ، فإنك تجدُه رأسًا فى بابه.

ومن ذلك قولُهُ:

وإنِّى قد عَلِقْتُ بحَبْلِ قَوْمٍ ... أعانَهُمُ على الحسَبِ الثَّرَاءُ
إذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بجَارِ قَوْمٍ ... تَجَنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشِّتاءُ
هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لَمَّا ... تَوَاكَلَها الأَطِبَّةُ والإسَاءُ

ثم قال يخاطبُ الزِّبْرِقَانَ ورَهْطَهُ:

ألم أكُ نَائيًا فَدعَوتُمونى ... فجاءَ بىَ المَوَاعِدُ والدُّعاءُ
فلمَّا كنتُ جارَكُمُ أَبَيْتُمْ ... وشَرُّ مَوَاطِنِ الْحَسَبِ الإباءُ
ولَمَّا كنتُ جارَهُمُ حَبَوْنِى ... وفيكم كانَ لَو شئتمْ حِبَاءُ
فلمَّا أَنْ مدحتُ القَوْمَ قلتم ... هجوتَ، وهل يَحِلُّ لِىَ الهجَاءُ!
ولم أشْتِمْ لكم حَسَبًا ولكنْ ... حَدَوْتُ بِحَيْثُ يُسْتَمَعُ الْحُدَاءُ

ويُرْوَى أَنَّ الْحُطَيْئَةَ ـ واسمُه جَرْوَلُ بن أَوْسٍ ويُكْنَى: أبا مُلَيْكَةَ ـ مرَّ بِحَسَّانِ ابن ثابتٍ وهو يُنْشِدُ:

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «منا» والصواب: «منأى»، أى بعدا، مأخوذ «نأيت» إذا بعدت. ومنه النأى».

لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَـلمَعنُ بالضُّحَى وأسْـيَـافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجْـدَةٍ دَمَـا

[ش: أدخلَه سيبويهِ رحمه الله على أنَّ «الجَفَنَاتِ» من الجَمْعِ الكثيرِ].

فالتفت إليه، فقال: كيفَ تَرَى فقال: ما أَرَى بَأسًا، قال حَسَّانُ: انظرُوا إلى [هذا[1]] الأعرابيَّ يقولُ: ما أَرَ بـأسًـا، أبـو مَـنْ؟ قال: أبو مُـلَيْكَةَ، قـال حسان: ما كنتَ علـيَّ أهونَ منكَ حيثُ اكْتَنَيْتَ بـامرأةٍ! ما اسـمُكَ؟ قال: الْحُطَيْئَةُ، قال: امْضِ بسلاَمٍ.

وكان الْحُطَيْئَةُ في حَبْسِ عُمَرَ بن الخطاب رحمه الله، باستدعاء الزِّبْرِقَانِ عليه في هذه القصة، ولعُمَرَ يقولُ:

مـاذا تقـولُ لأفْـراخٍ بذى مَـرَخٍ حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ[2]

أَلقَيْتَ كَـاسِبَـهمْ فى قَعْرِ مُـظْلِمَةٍ فاغْـفِرْ عليـكَ سلامُ الله يا عُـمَرُ

أَنْتَ الإمامُ الذى مِنْ بَعْدِ صـاحِبِه أَلقَتْ إليك مَـقاليـدَ النُّهَى البَشَـرُ

مـا آثَرُوكَ بهـا إِذْ قَـدَّمـوكَ لهـا لكنْ بكَ اسْـتَأْثَرُوا إِذْ كـانت الأَثَرُ

ويُروى عن أبى زيد الأنصاريَّ أنه قال: ويُروَى «الأُثَرُ» والواحدةُ أُثْرَةٌ وإِثْرَةٌ، ومعناه الاستئثارُ.

فَرَقَّ له عمر فأخرجه، فَيُرْوَى أَنَّ عمرَ رحمه الله دَعَا بكرسيٍّ فجلسَ عليه، ودَعَا بالْحُطَيْئَة فأجلسـه بيَن يديه، ودَعا بإشْفى وشَـفْرَةٍ[3]، يُوهِمُـه أنه على قَطْعِ لسانه، حتى ضَجَّ من ذاكَ، فكان فيما قال له الْحُطَيْئَةُ: يا أَميرَ المؤمنين، إنى والله قد هَجَوْتُ أَبى وأُمِّى، وهَجَوْتُ امرأتى، وهَجَوْتُ نفسى. فَتَبَسَّمَ عمرُ رحمه الله، ثم قال: فما الذى قُلتَ؟ قال: قلتُ لأبى وأمِّى ـ والمخاطَبَةُ للأُمِّ:

ولقـد رأيتُكِ فى النسَـاءِ فَسُـؤْتِنِى وأبَا بَنِيـكِ فـسـاءنى فـى المَجْلِسِ

---

(1) تكملة من س.

(2) ذو مرخ: واد بالحجاز.

(3) الإشفى: مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد، والشفرة: السكين العريضة.

وقلتُ لها:

تنحَّيْ فَاجلسي مِنِّي بَعيدًا ... أَرَاحَ اللهُ منك العالَمينَا
أغِربالا إذا استُودِعْتِ سِرًّا ... وكانُونًا علَى المُتحَدِّثينَا[1]

وقلتُ لامرأتي:

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثم آوي ... إلى بيتٍ قَعيدَتُهُ لَكَاعِ

فقال له عمرُ رحمه الله: فكيف هَجَوْتَ نفسَكَ؟ فقال: اطَّلَعْتُ في بئرٍ فرأيتُ وجهي فاستقبحتُه، فقلتُ:

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلاَّ تَكلُّمًا ... بسُوءٍ فما أَدْري لِمَنْ أَنَا قائلُهْ
أرى لِيَ وجْهًا قَبَّحَ الله خَلْقَه ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ

[المثنى بن معروف مع أبي جبر الفزاري]

ونزَلَ أعرابيٌّ من طَيِّئ، يُقالُ له المُثَنَّى بنُ معروف بأبي جَبْرٍ الفَزارِيِّ، فسمعه يومًا يقول: والله لوَدِدْتُ أني أَبيتُ الليلةَ خاليًا بابنة عبد الملك بن مَرْوَانَ، فقال له المثنى: أحَلاَلا أم حرامًا؟ فقال: ما أُبَالِي، فوَثَبَ عليه فضرب رأسَه برِحَالة[2]، ثم انتقلَ وهو يقولُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ المؤمنيَن رسالة ... عَلَى النأْيِ أَنِّي قد وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ
كَسرتُ على اليافوخِ منه رِحَالة ... لنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرِي
على غيرِ شيءٍ غيرَ أنِّي سمعتُهُ ... بَنَى بنساءِ المسلميَن بلا مَهْرِ

[من أخبار الحجاج]

ويُرْوَى: أَنَّ الحَجَّاج [ابن يوسف[3]] جلسَ لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَث، فقامَ رجلٌ منهم فقال: أصلحَ اللهُ الأميرَ! إنَّ لِيَ عَلَيك حَقًّا، قال: وما حَقُّكَ؟ قال: سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرددتُ عليه، قال: مَنْ يعلمُ ذاكَ؟

---

(1) زيادات ر: «قوله: كانونا، قيل: الكانون: التنمام، وقيل: الثقيل، وقيل: الذى إذا دخل على قوم كنوا حديثهم منه، وقيل: هو المصطلى، وقيل: هو كانون النار؛ لأنه... ويحرقهن».

(2) الرحالة: ثوب يغشى بالجلد.

(3) تكمله من س.

قال: أَنْشُدُ اللهَ رجـلاً سمعَ ذاكَ إلاَّ شَهِدَ به، فـقام رجلٌ من الأَسَرَاءِ[1] فقال: قد كان ذاكَ أَيُّهَا الأَميرُ، قال: خَلُّوا عنه، قال للشاهد: فما منعك أن تُنْكِر كما أَنْكَرَ؟ قال: لقَديم بُغْضى إِيَّاكَ، قال: ويُخَلَّى عنه لصِدْقِه.

* * *

وقال عمـرُ بن الخطاب لرجلٍ ـ وهو أبو مريَم السَّلُولىُّ ـ[2]: والله لا أُحِبُّكَ حَتَّى تحِبَّ الأرْضُ الدَّمَ، قـال: أَفَتَـمْنَعُنِى حَقًّا؟ قـال: لا، قال: فـلا بَأس، إِنَّمَا يأسَفُ على الحُبِّ النساءُ.

* * *

وقال الحَجَّاجُ لرجلٍ من الخوارج: والله إِنِّى لأُبْـغِضُكُم، فقال له الخارجىُّ: أدْخلَ اللهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لصاحبه الجنَّة.

* * *

وأتِىَ الحَجَّاجُ بامرأة من الخوارجِ، فـجعلتْ لا تَنْظُر إليه، وكان يزيد بن أبى مُسْلم يَرَى رأى الخوارجِ ويَكْتُمُ ذاكَ[3]، فَأَقْبَلَ على المرأة فقال: انظُرِى إلى الأمير، فقالت: لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللهُ إليـه. فكلَّمها الحَجَّاجُ وهى كالسَّـاهيَة، فقالَ لها يزيد: اسْمَعِى وَيْلَكِ من الأمير! فقالت: بل الويل لك أيها الكافرُ الرَّدِّىُّ!

قال أبو العبـاس: والرِّدِّىُّ عند الخوارج الذى له عَقْدُهُمْ ويُظهر خلافَـه رغبةً فى الدنيا.

* * *

وكان صـالحُ بن عبـد الرَّحمنِ كـاتب الحَجَّـاجِ وصاحِبَ دواوينِ الـعراقِ. والذى قَلَبَ الدَّواوين إلى العـربية، ثم كـان على خَراجِ العـراقِ أيامَ وَلِىَ يزيدُ بن

---

(١) س: «الأسرى».

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العبـاس رحمه الله فى قـوله: «أبو مريم السلولى»، إنما هو أبو مـريم الحنفى» وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب؛ واسم أبى مريم إياس بن صبيح، ثقة كوفى، واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة، من الصحابة، روى عنه ابنه يزيد وغيره».

(٣) س: «ذلك».

المُهَلَّب [العراق[1]] فأشْجى[2] يزيدَ، وقد كان يرَى رأْى الخوارج فكايَدَهُ يزيدُ بن أبى مُسْلِمٍ مَوْلى الحَجَّاج، فأشارَ على الحَجَّاج أنْ يأمُرَهُ بقتل جوَّاب الضَّبِّىِّ، وهو رأسٌ من رءوسِ الخَوارجِ، وقال يَزيدُ: إنْ فَعَلَ برئتْ منه الخَوارجُ وقتَلَتْهُ، وإنْ أمْسَكَ قَتَله الحَجَّاجُ فقتله.

وخُبِّرْتُ أنه قال: والله ما قتلتُه رغبةً فى الحياة، ولكنِّى خِفْتُ يَسْبِى الحَجَّاجُ بَنَاتِى، وكان يقول [بَعْدُ[3]]: إنِّى حينَ أَقْتلُ جوَّابًا لَحَريصٌ على الدنيا، فلما عَذَّبه عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فى خلافة يزيدَ بنِ عاتِكَةَ رُمِىَ به على قِمامَةٍ، وهو لِمآبِه[4] فَسَمِعَ يُحكِّمُ عليها[5]، وحَكَّمَ مالكُ بن المنذر بن الجارودِ، وهو بآخرِ رَمَقٍ فى سجن هشام بن عبد الملك.

* * *

ودخلَ يزيدُ بن أبى مُسلمٍ على سليمانَ بن عبد الملك، وكان دَميمًا، فلما رآهُ [سليمانُ[6]] قال: قَبَّحَ اللهُ رجلاً أجرَّكَ رَسَنَهُ[7]، وأشْرَكَكَ فى أمانتِه! فقال له يزيدُ: يا أمير المؤمنين، رأيتَنى والأمْرُ لكَ وهو عنِّى مُدْبِرٌ، ولو رأيتَنى والأمْرُ علىَّ مُقبِلٌ لاَستكبَرْتَ منِّى ما استصغرتَ، واستعظمتَ منِّى ما استحقرتَ، فقالَ: أَتُرَى الحجاجَ استَقَرَّ فى قعر الجحيم بَعْدُ! فقال: يا أمير المؤمنين، لا تَقلْ ذلكَ [فى الحَجَّاجِ]، فإنَّ الحَجَّاج وطَّأ لكم المنابرَ، وأذَلَّ لكم الجَبَابرَ، وهو يجىء يومَ القيامة عن يمينِ أبيكَ، وعن يسارِ أخيكَ فحيثُ كانَا كانَ.

---

(١) تكملة من س.

(٢) أشجاه. أحزنه.

(٣) تكملة من س.

(٤) لمآبه: لعاقبته.

(٥) يحكم، أى يقول بقول الخوارج: لا حكم إلا لله.

(٦) تكملة من س.

(٧) الرسن فى الأصل: الحبل يقاد به البعير، وأجرك: جعلك تجره، والكلام هنا على الكناية.

بابـ

[من تكاذيبـ الأعرابـ]

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذِيب الأعرابِ.

حدثنى أبو عُمَر الجَرْمِىُّ قال: سألتُ أبا عُبيدةَ عن قول الرَّاجزِ:

أَهَدَّمُــــوا بيــــتَـكَ لاَ أَبَالَـكا ... وأنَا أَمْــشى الدَّألى حَــوَالَكا!

فقلتُ: لمَنْ هذا الشعرُ؟ فقال: [تقولُ العربُ[1]]: هذا يقولُه الضَّبُّ للحِسْلِ، أَيَّامَ كانَت الأشياءُ تتكلَّمُ.

الدألى: مَشْىٌ كَمشْىِ الذِّئب، يقالُ: هو يَدْألُ فى مشيَتِه، إِذَا مَشَى كَمِشْيَة الذِّئب، من قول امرىءِ القيسِ:

* أَقَبَّ حَثِيثَ الرَّكْضِ والدَّألاَن[2] *

ومَنْ قال فى بيت ابنِ عَنَمَةَ الضَّبِّىِّ:

[حَقيبَةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ][3] ... تُعَــارِضُــهُ مُــرَبَّبَـــةٌ دءُولُ

فإنما أرادَ هذا، ومن قال «دَءُول» فَإنما أراد السُّرعَةَ، يقالُ: مَرَّ يَدْأَل، إذا مَرَّ يُسْرِعُ.

وقولُهُ «حَوَالَكَا» يقالُ: هو يطوف حَوَالَهُ وحَوْلَهُ وحَوَالَيْه. ومَنْ قال: «حواليه» بالكسر: فقد أخْطَأَ، وفى القرآن: ﴿نُودِىَ أَنْ بُورِكَ من فى النَّار وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[4] وحَوَالَيْه: تثنيةُ حَوَال، كما تقولُ: حَنَانَيْه، الواحدُ حَنانٌ، قال الشاعرُ:

فقالتْ: حَنَانٌ ما أَتَى بكَ هاهُنا ... أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالْحَىِّ عارِفُ

والحَنَانُ: الرحمةُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾[5]. وقال الشاعر: [وهو الْحَطَيْئَةُ[6]] لعمرَ بن الخطاب رحمه الله:

---

(١) تكملة من س.

(٢) صدره:

* عَلَى رَبِذٍ يَزْدَادُ عَفْوًا إِذَا جرَى *

(٣) ما بين العلامتين تكملة من ر.

(٤) سورة النمل ٨.

(٥) سورة مريم ١٣.

(٦) تكملة من س.

تَحَنَّنْ عَلىَّ هَـداكَ المَلِيك   فإنَّ لِكلِّ مَقامٍ مَقَالا

وقال طَرَفَةُ:

أبَا مُنْذرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبق بعضَنا   حنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

* * *

قال أبو العباس: وحدَّثنى غيرُ واحدٍ من أصحابِنا، قال: قيلَ لرُؤْبة: ما قولُكَ:

لَوْ أنَّنِى عُمِّرْتُ سِنَّ الْحِسْلِ   أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ *

ما زمنُ الفِطَحْلِ؟ قال: أيامُ كانت السِّلاَمُ رِطَابًا[١].

قولُه: «سِنَّ الْحِسْلِ» مَثَلٌ، تَضربُه العربُ فى طول العُمُرِ[٢].

وأنشدنى رجلٌ من بنى العَنْبَرِ، أعرابىٌّ فصيح، لعُبَيْدِ بن أيوبَ العَنْبَرِى:

كَأنِّى وليْلَى لم يكنْ حَلَّ أهْلُنَا   بوادٍ خَصِيبٍ والسِّلاَمُ رِطَابُ

* * *

وحدثنى سليمانُ بن عبد الله عن أبى العَمَيْثَلِ مَوْلَى العباسِ بن محمد: تَكاذَبَ أعرابيَّان فقال أحدُهما: خرجتُ مرةً على فرسٍ لى، فإذا [أنا[٣]] بظُلْمَة شديدة، فَيَمَّمْتُها حتى وصلتُ إليها، فإذا قطْعٌ من اللَّيْل لم تَنْتبهْ، فما زلتُ أحْملُ بفرسى عليها حتى أنْبَهْتُها، فانجابتْ. فقال الآخرُ: لقد رَمَيْتُ ظَبْياً مَرَّةً بسهمٍ فَعَدَلَ الظَّبىُ يَمْنَةً، فعدلَ السهمُ خلفَه، فتَياسَرَ الظبىُ، فتَيَاسَرَ السهمُ خلفَه، ثم عَلاَ الظَّبىُ فعَلا السهمُ خلفَه، فانحَدرَ فانحدر عليه حتى أخَذَه.

* * *

وتزعمُ الرُّواةُ أن عُرْوَةَ بن عُتْبَةَ بن جعفرِ بن كلاب قال لابنَى الجَوْنِ الكِنْدِيَّيْنِ يومَ جَبَلَةَ: إن لى عليكما حَقًّا لرِحْلَتِى ووِفَادَتِى، فَدَعُونى أُنْذِرْ قومى من

(١) السلام. جمع سلمة، وهى الحجارة الصلبة.

(٢) زيادات ر. «ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلاثمائة سنة»، والحسل: ولد الضب.

(٣) تكملة من س.

مَوضِعِى هذا، فقالـوا: شَأْنَكَ، فصَرَخَ بقومه بعد أن قالا له: شـأنَكَ، فأَسْمَعَهُمْ على مسيرةِ ليلةٍ.

* * *

ويُرْوَى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَة قال: قالتْ ليلَـى بنتُ عروةَ بن زَيْدِ الْخَيْل لأبيها: أرأيت قولَ أَبيك:

بنَي عـامـرٍ هل تَعـرفونَ إذا غَـدَا ... أبو مكْنَف قـد شـدَّ عَقْـدَ الدَّوَايِرِ
بجَـيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَـجَـرَاتِه ... ترَى الأُكْمَ منه سُـجَّـدًا للحَوَافِـرِ
وَجَمْع كَمِثْلِ الليلِ مُرْتَجِسِ الوَغَى ... كَـثـيـرٍ تَوَاليـه سَـريـعِ البَـوَادِرِ
أَبَتْ عـادةٌ للـوَرْدِ أَنْ يكْرَهَ الوَغَى ... وحَاجـةُ رُمْحِى فى نُمَيْرِ بن عَـامرِ

فـقلتُ لأبِى: أَحَـضَرْتَ هذه الوَقْـعَـةَ؟ فقـال: نعم، فـقلت: فكم كـانت خيـلُكم؟ قال: ثلاثةُ أفـراس، أحدُها فَـرَسُه، قـال: فذكـرتُ هذا لابن أبى بكرٍ الهُذَلِىِّ، فحـدَّثنى عن أبيه قال: حضـرتُ يوم جَبَلَةَ، قال: وكان قـد بَلَغَ مائَةَ سنة، وكانَ قـد أَدْرَكَ أَيَّامَ الحَجَّاجِ، قال: فـكانت الخيلُ فى الفريقَيْن، مع مـا كان مع ابْنَىِ الْجَوْنِ، ثلاثين فرسًا، قال: فحدَّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَمِى ـ وكان راوية أهل الكوفة ـ فحدثنى: أَنَّ خَثْعَمَ قَتَلَتْ رجلا من بنى سُلَيْمِ بن منصور، فقالت أختُه تَرْثِيه:

لَعَـمْرِى ومـا عَـمْرِى علىَّ بهَـيِّنٍ ... لَنِعْمَ الفـتَى غـادَرْتُمُ آلَ خَثْـعَـمَـا
وكـان إذا مـا أَوْرَدَ الخَـيلَ بيـشَـةً ... إلى جَنْبِ أَشْـرَاجٍ أَنَاخَ فَـأَلْجَـمَـا
فـأَرْسَلَـهَـا رَهْوًا رِعـالا كـأَنَّهـا ... جَـرادٌ زَهَتْـهُ ريحٌ نَجْـدٍ فأَتْهَـمَـا

فقيلَ لها: كم كانت خيلُ أخيك؟ فقالت: اللهم إنى لا أَعْرِفُ إلا فرسَهُ.

قوله: «قد شدَّ عَقْدَ الدَّوَايِرِ» يريدُ عَقْدَ دواير الدرْع، فـإِنَّ الفارسَ إِذَا حَمى فَعَلَ ذلك.

وقولُه: «تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاته» يقولُ: لكثرته لا يُرَى فيه الأبْلَق، والأبلقُ مشهورُ المَنْظَرِ، لاختلاف لَوْنَيْه، من ذَلك قولُه:

فلَئِنْ وَقَـفْتَ لَتَـخْـطِفَنْكَ رِمـاحُنا ... ولَئِن هَـرَبْتَ لَيُـعْـرَفَـنَّ الأَبْلَق

وحَجَرَاتُه: نواحيه.

وقولُه:

* ترَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحَوَافِرِ *

يقول: لكثرةِ الجيش تطْحن الأُكْمَ تُلْصِقُهَا بالأرضِ.

وقولُه: «كَمثْلِ الليلِ» يقول: كثْرَةً، فيكاد يسُدُّ سوادُهُ الأُفْقَ، ولذلك يقال: كَتيبةٌ خضراءُ، أى سوداء، وكانت كَتيبةُ رسول الله ﷺ التى هو فيها والمهاجرون والأنصارُ يقالُ لها: الْخَضْرَاءُ.

والمُرْتَجسُ: الذى يُسْمَعُ صوتهُ ولا يَبِينُ كلامهُ، يقال: ارتَجَسَ الرَّعْدُ، من هذا. والوَغَى: الأصواتُ.

والتَّوَالِى: اللَّواحق، يقال: تلاَهُ يَتلُوهُ، إذا اتَّبَعَهُ، وتلَوْتُ القرآنَ، أى أتْبَعْتُ بعضُه بعضًا، والمُتْلِيَةُ: التى معها أولادُها.

وقولُه: «فأرْسَلَهَا رَهْوًا»، يقول: ساكنةً، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾[1]، ويقال: عيشٌ رَاهٍ يا فتى، أى ساكنٌ.

ورعالٌ: جمعُ رَعِيلٍ، وهو ما تَقَدَّم من الخيل، يقالُ: جاءَ فى الرَّعيلِ الأوَّل، قال عَنْتَرَةُ:

إذْ لاَ أُبادِرُ فى المَضِيقِ فَوَارِسِى ... وَلاَ أُوَكِّلُ بالرَّعِيلِ الأوَّلِ

وقولُه: «رَهتْهُ ريحَ نَجْد فأتْهَمَا» يقول: رفعته واستَخَفَتْهُ، قال ابنُ أبى رَبِيعة:

فلما تَوَاقَفْنَا وسَلَّمْتُ أُشْرِقَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا

ومعنى أَتْهَمَ أَتَى تِهَامَةَ.

* * *

وَزَعَمَ أبو عُبَيْدَةَ [مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[2]] عَمَّن حَدَّثَهُ أَنَّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ أرادت الغارة على قبائِلِ بنى تَمِيمٍ، فقالوا: إنْ عَلِمَ بِنَا السُّلَيْكُ أَنْذَرَهُمْ، فبعَثُوا فارسَيْنِ

(١) سورة الدخان ٢٤.
(٢) تكملة من س.

على جوادَيْنِ يُرِيغَان[1] السُّلَيْكَ، فَبَصُرَا به فَقَصَدَاهُ، وخَرَج يَمْحَصُ[2] كأنه ظَبْيٌ، فَطارَدَاهُ سَحَابَةَ يومِهِمَا، فقالا: هذا النهارُ، ولو جنَّ عليه اللَّيلُ لقد قَتَرَ، فَجَدَّا فى طلبه، فإذا بأَثَرِه قد بال فَرَغَا فى الأرْضِ وخَدَّهَا، فقالاَ: قاتَلَهُ اللهُ! ما أَشَدَّ مَتْنَيْه! ولعلَّ هذا كانَ مِنْ أوَّلِ الليل فلما امْتَدَّ به الليلُ فَتَـرَ، فاتَّبَعَاهُ، إذا به قد عَبَرَ بأَصْلِ شَجَرَة فَندَرَ[3] منها كَمَكَان تلك، وانكسرتْ قوسُه، فارتزَّتْ قِصْدَةٌ منها فى الأرض فَنَشِبَتْ، فقالا: قاتَلَهُ اللهُ! واللهِ لاَ نَتْبَعُهُ بعدَ هذا، فرجَعَا عنه، وأتمَّ إلى قومِه.

* * *

ش: يُرْوَى «أَتَمَّ» بألِفٍ، و«تَمَّ» بغيـر الألفِ «ونَمَّ» بالنون، ومعنى «تَمَّ إلى قومه» أى نَفَذَ.

* * *

فأنذرهم، فلم يصدِّقُوه لِبُعْدِ الغاية، ففى ذلك يقولُ:

يُكَذِّبُنى العَمْـرَانِ عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ ... وعمرُو بنُ كَـعْبٍ والمكَذِّبُ أَكْذَبُ

ثَكلْتُكمـا إنْ لم أَكُنْ قـد رأيتُـهـا ... كَرَادِيسَ يَهْـدِيها إلى الحَىِّ مَوْكِبُ[4]

كرادِيسُ فـيهـا الْحَوْفَـزَانُ وحولَه ... فـوارسُ هَمَّـامٍ مَتَى يَدْعُ يَـرْكَبُـوا

فصدَّقه قومٌ فَنَجَوْا، وكذَّبه قَوْمٌ فَوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَسَحَهُمْ.

* * *

وحدثنى الـتَّوَّزِىُّ قال: سـألتُ أبا عُبـيدَةَ عن مثلِ هذه الأخـبارِ من أخـبارِ العرب؟ فقال لى: إنَ العجَم تكْذِبُ فتـقولُ: كان رجلٌ ثُلُثُهُ من نُحاسٍ، وثُلُثُهُ من رَصاصٍ، وثُلُثُهُ من ثَلْجٍ، فتَعارِضُها العربُ بهذا وما أشبه.

ومن ذلك قولُ مُهَلْهِل بن رَبيعةَ:

فلو نُـشِـرَ المَقَـابِرُ عن كُـلَيْبٍ ... فَـتُـخْـبِـرَ بالذَّنَـائب أىُّ زِيرٍ!

بيَـوْمِ الـشَّـعْـثَـمَيْنِ لقَـرَّ عَـيْنًا ... وكـيفَ لِـقـاءُ مَنْ تحتَ القُـبُـورِ

---

[1] يريغان: يطلبان.

[2] يمحص: يعدو عدوا شديدا.

[3] ندر: سقط.

[4] الكراديس: جمع كردوس، وهو القطعة العظيمة من الخيل.

كـــأنَّـا غُـــدْوَةً وبَنـى أَبينـا	بجَنْب عُنَيْـزةَ رَحَيَـا مُـدير
كـأنَّ رِمَـاحَهـم أشْطَانُ بِئْـرٍ	بَعيـدٍ بَيْنُ جَالَيْـهَا جَرُورِ[1]
فلولاَ الرِّيحُ أَسْـمِعَ مَنْ بِحَجْـرٍ	صَلِيلَ الـبيضِ تـقْـرَعُ بالذُّكُـورِ

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ فلانٌ: زيرُ نسَاء، وطِلْبُ نسـاء، وتِبْعُ نساء، وخِلْوُ نساء، إذا كـان صاحبَ نساء؛ وذلك أن مُـهَلْهلا كان صـاحبَ نساء، فكانَ كُلَيْبٌ يقولُ: إنَّ مهلهلا زيرُ نساء ولا يُدرِكُ بثأْرٍ، فلمَّا أَدْرَكَ مهلهلٌ بثأر كليب، قال: أيٌّ زيرٍ! فَرَفعَ «أيا» بالابتـداء، والخبرُ محذوفٌ، فكأنه قـال: أَيُّ زِيرٍ أنا فى هذا اليوم!].

قال أبو العباس: وحدثنى عـمرُو بن بَحْر قال: أتيتُ أبا الربيع الغَنَوى وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعى رجلٌ من بنى هاشمٍ، فقلتُ: أأبو الرَّبيع هاهنا؟ فخرجَ إلىَّ وهو يقولُ: خرَجَ إليك رجلٌ كريمٌ فلمَّا رأى الهاشميَّ استحيَا من فَخْره بحضرته، فقال: أكْرَمُ الناس رَديفًا، وأشرفُهم حَليفا، فـتحدثنـا مَلِيًّا، فنهضَ الهاشـمىُّ، فقلتُ لأبى الرَّبيع: يا أبا الرَّبيعِ مَنْ خَيْرُ الخلق؟ فـقال: النَّاسُ واللهِ. فقلتُ: مَنْ خَيْرُ الناسِ؟ قال: العربُ واللهِ، فقلتُ: فَمَنْ خيرُ العرب؟ قال: مُضَرُ واللهِ، قلتُ: فَمَنْ خَـيْرُ مُضَرَ؟ قال: قَـيْسُ واللهِ، قلتُ: فَمَنْ خَيْرُ قـيـس؟ قال: يَعْصُرَ واللهِ، قلتُ: فَمَنْ خيـرُ يَعْصُرَ؟ قـال: غَنِىٌّ واللهِ، قلتُ فمن خـير غَنِـىٍّ؟ قال: المُخَـاطِبُ لك واللهِ، قلتُ: أفأنْتَ خيـرُ النَّاسِ؟ قال: نَعَمْ إى واللهِ، قلتُ: أَيَسُرُّكَ أَنَّ تَحتَك بِـنتَ يَزيدَ بن المُهَلَّبِ؟ قـال: لا واللهِ، قلتُ: ولك ألفُ دينار؟ قـال: لا واللهِ، قلتُ: فـألفَـا دينار؟ قـال: لا واللهِ، قلتُ: ولك الجَنَّةَ! فـأطرقَ [مَلِيًّا[2]] ثم قال: على ألاَّ تَلدَ منِّى، وأنْشَدَ:

تَأْبَى لأَعْـصُـرَ أَعْـرَاقٌ مُـهَـذَّبةٌ	مِنْ أَنْ تُناسِبَ قـومًا غـيـرَ أَكفـاء
فـإن يَكنْ ذاكَ حَـتْمًـا لا مَـرَدَّ لَهُ	فَـاذْكُـرْ حُـذَيْفَ فـإنِّى غـيـرُ أَبَّاءِ

وقولهُ: «أكرمُ الناسِ رديفًا» فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَوىَّ كانَ رديفَ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) أشطان البئر: حبالها. (٢) تكملة من س.

وقولُه: «وأشرفُهم حَليفًا»، كانَ أبو مَرْثَد حليف حمزةَ بن عبد المطَّلب.

وقوله: «فاذكُـرْ حُذَيْفـَ»، أرادَ حُذَيْفَةَ بن بَدْرِ الفَـزاريَّ، وإنما ذَكره مِنْ بين الأشراف لأنه أقربُهم إليـه نسبًا، وذاكَ يَعْصُرَ بنُ سـعد بن قيسٍ، وهؤلاء بنو رَيْث ابن غَطَفَانَ بن سعد بن قـيسٍ، وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يَهْـجُو وَلَدَ يَعْصُرَ، وهُمْ غَنِىٌّ وباهلةُ والطَّفَاوَةُ:

أَبَاهِلَ مـا أَدْرى أَمِنْ لُؤْمِ مَنْصِـبِى ... أُحِـبُّكُمُ أَمْ بِى جُنُـونٌ وأَوْلَقُ[1]

أُسَيِّدُ أَخْـوَالِى وَيَعْـصُرُ إخْـوَتِى ... فَـمَنْ ذَا الَّذِى مِنِّى معَ اللُّؤْمِ أَحْمَقُ!

فقال الباهلىُّ يُجيبُهُ:

وكيف تحبُّ الدهرَ قـوماً هُمُ الأُولَى ... نَوَاصِيكُمْ فى سـالف الدَّهْر حَلَّقوا

أَلَسْتَ فَـزَارِيًّا عـليك غَـضَـاضَـةٌ ... وإِن كنتَ كِـنْدِيًّا فـإنك مُـلْصَقُ

* * *

وتحدَّثَ الرواةُ بأنَّ الحَجَّـاجَ رَأَى محمدَ بن عـبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّـقَفىَّ، وكان يَنْسِبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ، فارتَاعَ مِن نظرِ الحَـجَّاجِ [إليه[2]] فَدَعَا به، فلمَّا عَرَفَهُ قال مُبْتَدِئًا:

هاكَ يَدِى ضـاقتْ بىَ الأرْضُ رَحْبُهَا ... وإن كنتُ قـد طَوَّفْت كـل مكَان

ولو كنتُ بالعَنْقـاءِ أَوْ بِيَـسُـومِهَـا ... لَخِلْـتُكَ إِلاَّ أَنْ تَصُـدَّ تَرَانِى[3]

ثم قال: واللهِ إنْ قلتُ إلاَّ خيراً، إنما قلتُ:

يُخَـبِّئن أطراف البَنَانِ مِنَ التُّـقَى ... ويَخْـرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْـتَجِـرَاتِ

قال: أَجَلْ، ولكن أخبرنى عن قولكَ:

ولَمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْـرِىِّ أَعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنْ أن يَـلْقَـيْنَـهُ حَـذِرَاتِ

فى كَمْ كُنْتَ؟ قال: واللهِ إنْ كنتُ إلاَّ عـلى حمارٍ هزيل، ومـعِى رَفيق على أتان مثله.

* * *

---

(١) الأولق: الجنون. (٢) تكملة من س. (٣) يوم: جبل بعيد.

ومن ذلك ما يَحْكُونَ فى خبر لُقْمانَ بن عَاد، فإنهم يَصفونَ أنَّ جاريةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِىَ مِنْ بَصَرِه، لدخوله فى السِّنِّ؟ فقالَتْ: واللهِ لقد ضَعُفَ بَصَرُه، ولقد بَقِيَتْ منه بقيَّةٌ، إنَّهُ لَيَفْصِلُ بين أَثَرِ الأُنْثَى والذَّكر من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا، فى أشْيَاءَ تُشَاكِلُ هذا من الكَذِب.

* * *

وحُدِّثْتُ أَنَّ امرأةَ عِمْرَان بن حِطَّانَ السَّدُوسىِّ قالت له: أمَا حَلَفْتَ أنَّكَ لا تَكْذِبُ فى شعرٍ؟ فقال لها: أَوَكانَ ذَاكَ؟ قالت: نعَم، قلتَ:

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْ ... رٍ كانَ أَشْجَعَ مِن أُسَامَهْ

أيكونُ رجلٌ أَشْجَعَ من أَسَدٍ! فقال لها: ما رأيتُ أسدًا فَتَحَ مدينةً قَطُّ، ومَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ قد فَتَح مدينةً(١).

* * *

ومرَّ عِمرَانُ بن حِطَّانَ بالفرزدقِ وهو يُنْشِدُ، فوقف عليه فقال:

أَيُّها المادحُ العِبادَ لِيُعْطَى ... إنَّ للهِ ما بأيدى العِبادِ
فاسأل اللهَ ما طلبتْ إليهم ... وارْجُ فَضلَ المُقَسِّمِ العَوَّادِ
لا تَقُلْ لِلْجَوَادِ ما ليس فيه ... وتُسَمِّ البَخِيلَ باسْمِ الجَوادِ

وأنشدنى الحسنُ بن رَجَاء لرجلٍ من المُحْدَثِينَ لم يُسَمِّه(٢):

أبا دُلَفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهِمْ ... سِوَاىَ فإنِّى فى مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

* * *

وأنشدنى آخرُ لرجلٍ من المُحْدَثِينَ:

إنىِّ امْتَدَحْتُكَ كاذبًا فأَثَبْتَنِى ... لَمَّا امتَدَحْتكَ ما يُثَابُ الكاذبُ

قال الأصمعىُّ: قلتُ لأعرابىٍّ كنت أعرفُه بالكذب: أَصَدَقْتَ قَطُّ؟ قال: لولا أَنِّى أخافُ أنْ أَصْدُقَ فى هذا لقلتُ لَكَ: لا.

* * *

---

(١) زيادات ر: «مجزأة بن ثور، جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر، فلما أسن مجزأة فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذاك مع ابنه شقيق بن مجزأة، وقتل رحمه الله على شتر، هو والبراء بن مالك، وكانا من أبطال المسلمين». (٢) زيادات ر. «وهو بكر بن النطاح فى أبى دلف».

وتَحَدَّثوا مِن غير وجه أَنَّ عَمْرَو بن مَعْدى كَرِبَ كان معروفًا بالكذب، وقيلَ لِخَلَفِ الأحمرِ ـ وكانَ شديدَ التعصُّبِ لليَمَن: أكانَ عَمْرُو بن معدى كرب يَكذِبُ؟ فقال: كان يكذِبُ في المَقال، ويَصْدُقُ في الفعَال.

وذَكَرُوا من غيرِ وجه أنّ أهلَ الكوفة مِن الأشراف كانوا يَظْهَرُونَ بالكنَاسة فَيَتَحدثُونَ على دَوَابِّهم، إلى أن يَطْرُدَهمْ حَرُّ الشَّمسِ، فوقفَ عمرُو بن معدى كربَ وخالدُ بن الصقْعَبِ النَّهْدىُّ، فأقبلَ عمروٌ يُحَدِّثه، فقال: أَغرْنَا مَرَّةً عَلَى بنى نَهْد، فخرجوا مُسْتَرْعِفين بخالد بن الصَّقْعَب، فحملتُ عليه فطعنتُه فأذريته[1]، ثم ملْتُ عليه بالصَّمْصَامَةِ، فأخذتُ رأسهُ، فقالَ له خالدٌ: حلاً أبا ثور، إنَّ قَتيلَكَ هو المُحَدِّثُ. فقال: يا هذَا، إذا حُدِّثتَ فاستَمِعْ، فإنما نَتَحَدَّثُ بمثلِ ما تَسمعُ لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّة[2].

قولُه: «مُسْتَرْعفينَ» يقولُ: مُقَدِّمين له، يقال: جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيش ويَؤُمُّ الجيشَ، إذا جاءَ متقدِّمًا لهم، ويقالُ في الرُّعاف: رَعَف يَرْعُفُ، لا يقال غير «رَعَفَ»، ويجوز «يَرْعَفُ» مِن أَجْلِ العَيْنِ، وليس مِنَ الوَجْه. وسنذكرُ هذا البابَ بعدَ انقضاء هذه الأخبارِ، إن شاء الله.

وقولُه: «حِلاً أبا ثَوْرٍ» يقول: استَثْن، يقال: حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ، أى لم يَستَثْنِ.

* * *

وخُبِّرْتُ أَنَّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديث عن هَرِمِ بن حَيَّان[3] فاتفق هرمٌ [مرةً][4] معه في مسجد وهو يقول: حَدَّثَنا هرِمُ بن حيان، مرةً بعدَ مرة، بأشياءَ لا يعرفُها هرمٌ، فقال لهُ: يا هذا، أَتَعْرِفُني؟ أنا هرِمُ بنُ حيان، [والله] ما حدثْتُكَ من هذا بشيء قطُّ، فقال له القاصُّ: وهذا أيضًا مِن عجائبكَ، إنَّه ليُصَلِّي معنا في مسجدنا خمسةَ عَشَرَ رجلا، اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ، كيفَ تَوهمتَ أنه ليس في الدنيا هرمُ بن حيانَ غيرُك!

---

(١) أذريته: رميته. (٢) المعدية. المنسوبون إلى معد.

(٣) زيادات ر. «الهرم: الضب، يقال إنه في الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج، قال الشاعر:

* كما أكبَّ على ذى بطنه الهرم *

قيل إن هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين: ولذلك سمى هرما».

(٤) من س.

وكان بالرَّقَّة قاصٌّ يُكْنَى أبا عقيلٍ، يُكْثِرُ التحدثَ عن بنى إسرائيلَ فيُظَنُّ به الكذبُ، فقال لـه يومًا الحَجَّاجُ بن حَنْتَمَةَ: ما كان اسمُ بقرة بنى إسرائيلَ؟ قال: حَنْتَمَةُ، فقال له رجلٌ من ولد أبى موسى الأشعرىِّ: فى أىِّ الكتب وَجَدْتَ هذا؟ قال: فى كتاب عَمرو بن العاصِ.

وقال القَيْنىُّ: أنَا أَصْدُقُ فى صغيرِ مَا يَضُرُّنى، ليجوزَ كَذِبى فى كبيرِ ما ينفعُنى.

وأنشد المازنىُّ للأعشى - وليس مما رَوَت الرواةُ متَّصلا بقصيدة:

فَصَدَقْتُهُمْ وكَذَبْتُهُمْ والمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

* * *

ويروى أنَّ رجلا وَفَدَ على رسول الله ﷺ، فسأله [عن بعض شىء][1]، فكَذَبَهُ، فقال له رسول الله ﷺ: أأسألك فَتكْذِبُنى؟ لولا سَخاءٌ فيكَ وَمِقَكَ اللهُ عليه لَشَرَّدْتُ بكَ مِنْ وافدِ قَوْمٍ.

معنى «وَمِقَكَ» أَحَبَّكَ، يقال وَمِقْتُهُ أَمِقُهُ، وهو على «فَعِلْتُ أَفْعِلُ» ونظيره من هذا المُعْتَلِّ وَرِمَ يَرِمُ، ووَلِىَ يَلِى. وكذلك وَسِعَ يَسَعُ، كانت السينُ مكسورةً، وإنما فُتِحَت للعين، ولو كان أصلُها الفتح لظَهَرَت الواوُ، نحو وَجِلَ يَوْجَلُ، ووَحِلَ يَوْحَلُ. والمصدرُ «مِقَةٌ» كقولك: وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً، ووَجَدَ يَجِدُ جِدَةً.

ويُروى: أنَّ رجلا أَتَى رسولَ الله ﷺ فأسلم، ثم قال: يَا رسولَ الله، [إنى][1] إنما أُوخَذُ من الذُّنُوب بما ظَهَرَ، وأنا أَستَسِرُّ بخلالٍ أربعٍ: الزنا والسَّرَقِ[2] وشرْبِ الخمرِ والكذبِ، فأَيَّهُنَّ أَحْبَبْتَ تركتُ لَكَ سِرًّا، فقال رسولُ الله: دَعِ الكَذِبَ، فلما تولَّى مِنْ عند رسول الله ﷺ هَمَّ بالزنا، فقال: يسألنى رسولُ الله، فإنْ جَحَدْتُ نَقَضْتُ مَا جَعلتُ له، وإن أقررتُ حُدِدْتُ، فلم يزل، ثم هَمَّ بالسَّرَقِ[2]، ثم هَمَّ بشرب الخمرِ، ففكَّرَ فى مثل ذلك، فرجَعَ إلى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، قد تَركتهنَّ جُمَع.

* * *

---

(١) تكملة من س.

(٢) السرق السرقة.

وشهِـدَ أعرابيٌّ عند مـعاويةَ بشـهادة، فقـال له معـاويةُ: كذبتَ، فـقال له الأعرابيُّ: الكاذبُ مُتَزَمِّلٌ في ثيابك، فقال معاويةُ: هذا جزاءُ مَنْ عَجَّلَ.

وقال معاويةُ يومًا للأَحْنَف ـ وحدَّثه حـديثًا: أتكذِبُ؟ فقال: واللهِ مَا كذبتُ مُذْ علمتُ أنَّ الكذبَ يَشِينُ أهلَهُ.

* * *

ودخلَ عبد الله بن الزبير يومًا على معاوية، فقال: اسمع أبياتًا قُلْتُهُنَّ ـ وكان واجدًا عليه، فقال معاويةُ: هَاتِ، فأنشدَهُ:

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخـاكَ وجَـدتَهُ   على طَرَفِ الهِجْـرَانِ إنْ كان يَعْقِلُ
ويركبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضيمَهُ   إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ

فقال له معاويةُ: لقد شَعُرتَ بعدنَا يا أبا بكرٍ، ثم لم يَنْشَبْ معاوية أنْ دَخَلَ عليه مَعْنُ بن أَوْسٍ المزَنيُّ، فقال له: أَقُلْتَ بعدَنا شيئًا؟ قال: نَعَمْ، فأنشدَهُ:

لَعَـمْـرُكَ مـا أَدْرِي وإنِّي لأَوْجَلُ   علـى أَيِّنَا تَعْــدُو المَـنِيَّــةُ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبيات التى أَنْشَدَها ابنُ الزبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أمَا ذَكَرْتَ آنـفًا أنَّ هذا الشِّعرَ لك؟ قـال: أنا أصلَحْتُ مَعَانِيَهُ، وهو أَلْفُ الـشعرَ، وهو بَعْدُ ظِئرِي، فما قالَ منْ شيءٍ فهو لي.

وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْر مُسْتَرْضَعًا في مُزَيْنَةَ.

* * *

وحُدِّثْتُ أن عُمرَ بن عبد العزيز [بن مَرْوانَ[1]] كَتَبَ في إشْخاص إيَاس بن معاويةَ المُزنـيِّ وعَديِّ بن أَرْطَاةَ الفَزَارِيِّ أمير البَـصْرَة وقاضيـها يومئذ، فـصار إليه عديٌّ، فَقَرَّبَ أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفة، فقـال: يا أبا واثِلَةَ، إنَّ لنا حقًّا ورَحمًا، فقال إياسٌ: أَعَلَى الكذب تريدُني؟ واللهِ ما يَسُرُّني أنِّي كَذَبْتُ كَذْبةً يغفرُها اللهُ ولا يَطَّلِعُ عليها إلاَّ هذا ـ وأَوْمَأَ إلى أبيه ـ ولِي ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ.

[قـال أبـو الحسن[1]: «التَّمْـزِينُ» المَـدحُ، ولم أَسْـمَعْ هـذه اللفـظةَ إلاَّ مـن

---

(1) تكملة من س.

أبى العبـاس، وهى عندى مشتـقّةٌ مِن «المازِنِ» وهو بيض[1] النَّمْلُ، وبهذا سُمِّيَتْ «مازنٌ» كأنه أرادَ منه أن تُكَبِّرَه.

ويروى يُكَثِّرَه. قال القُتَبِىُّ: المَازِنُ: بَيْضُ النَّمل.

قال الشيخُ: قولَهُ: «أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفة»، أى كأنه يَجْعله سيِّدَ مُزَيْنَةَ، لأنه كان مُزَنِيًّا، والصوابُ: «يَمَزِّرُه» قال المَوْصِلىُّ:

* وَإِنِّى مَعْ ذَا الشَّيْبِ حُلْوٌ مَزِيرُ *

ولم يكنْ فى القُضَاة، وإنَّمَا كان أميراً على البصرة... إن مات عمرو...

وكتـب عُمَـرُ إلى عَدِىٍّ: اجْـمعْ ناسًا مِّـمْن قَبلكَ وشـاورْهُمْ فى إياس بن معاويةَ والقاسِمِ بن رَبيعةَ، واستَقْضِ أَحَدَهما، فَوَلَّى عَدِىٌّ إياسًا[2]].

* * *

ويُرْوَى أَنَّ أخا إياسٍ صارَ إلى ابن هُبَيْرَةَ فقـال: طَرَقَنِى اللصوصُ فحارَبْتهم فهَزَمْتُهم، وظفرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ[3]، فجعله ابن هُبَيـرةَ تحتَ مُصَلاه، ثم بعثَ إلى الصَّياقلَة فأحضرَهم، فقـالَ: أيَعْرِفُ منكم الرجلُ عملَه؟ قالوا: نعم، فأخرج المِغْوَلَ فقـال: من عَمَلِ أيِّكُمْ هذا[4]؟ فقـال قائلٌ منهم: أنا عملتُ هذا، واشـتراهُ مِنِّى هذا أَمْس.

---

(١) كلمة «بيض» ساقطة من ر، س، وهى فى الأصل.

(٢) ما بين العلامتين زيادة فى نسخة ر، وذكر المصحح أنها من إحدى النسخ التى رجع إليها، وموضع النقط مقطوع من الأصل المنقول عنه، وهذه الزيادة ليست فى الأصل، وليست فى س أيضا.

(٣) زيادات ر: «المغول سيف صغير».

(٤) س: «أيكم عمل هذه».

باب

[ما يجوزُ فيه «يَفْعَلُ» فيما ماضيه «فَعَلَ» مفتوح العين]

اعلم أَنَّ كلَّ فعْلٍ على «فَعُلَ» فهو غيرُ مـتعدٍّ إلى مفعول، لأنَّه فعْلُ الفاعلِ فى نفسه، وتأويلُه الانتقالُ، وذلك قولك: كَرُمَ عبدُ الله، وظَرُفَ عبدُ الله.

وتأويلُ قولى: «الانتقالَ»، إنما هو انتقالٌ من حال إلى حال، تقولُ: ما كَان كريمًا ولقـد كَرُمَ، وما كان شـريفًا ولقد شَرُفَ، فـهذا تأويلُه، فأمَّا قـولهم: كِدْت أَكادُ، فإنما كِدْتُ معترضَةٌ على أَكادُ.

وما كَـان من «فَعِلَ» [من][1] الصحـيح فإنهُ «يَفْعَلُ» نحو: شَـرِبَ يَشْرَبُ، وعَلِمَ، وفَرِقَ، ويكونُ متعديًا وغيرَ متعدٍّ، تقولُ: حَذِرْتُ زيدًا، وعَلِمْتُ عبدَ الله، ويكون فيه مـثلُ سَمِنْتُ، وبَخِلْتُ، غيرَ مـتعدٍّ، وكلُّه على «يَفْعَلُ» نـحو يَسْمَنُ، ويَبْخَلُ، ويعلَمُ، ويَطْرَبُ.

فـأمَّا قـولهم فى الأربعـة من الأفـعال: «يَحْـسِبُ»، و«يَيْـئِس»، و«يَنْعِمُ»، و«يَيْبِسُ»، فهى مـعترِضةٌ على «يَفْعِلُ» تـقولُ فى جميعـها: «يَحسَبُ»، و«يَنْعَمُ»، و«يَيْئَسُ»، و«يَيْبَسُ».

ومـا كان على «فَـعَلَ» فَبـابُه «يَفْـعل» و«يَفْعِل» نـحو قَـتَل يَقتُل، وضَـرَبَ يضربُ، وقَعَد يقعُـد، وجلس يجلسُ، فقد أنبأْتُكَ أن يكونُ متعديًا وغـيرَ متعدٍّ. فأمَّا يَأْبَى، ويَقْلَى فلهما علَّةٌ تُبيِّنُ عندَما أَذْكرُهُ لكَ إن شاء اللهَ.

ولا يكونَ «فَـعَلَ يَفْـعَلُ» إلاَّ أن يكُونُ يعرض له حـرفٌ من حـروف الْحَلْقِ الستة فى موضعِ العينِ أو موضعِ اللام، فإن كان ذلك الحرفُ عينًا فَتَحَ نَفْسَه، وإن كَان لامًا فتح العينَ.

وحروفُ الحَلْقِ: الهمزةُ، والهاءُ، والعيْن، والحاءُ، والغيْن، والخاءُ.

وذلك قولهم: قَـرأً يَقْرَأُ قَرْأً، يَا فـتَى، قراءَة، وسأَلَ يَسْـأَلُ، وجَبَهَ يَجْـبَهُ، وذَهَبَ يَذْهَبُ، وتقولُ: صَنَعَ يصنَعُ، وظَعَنَ يَظْعَنُ، وصَبَـحَ يَصْبَحُ، وكذلك فَرَغَ يَفْرَغُ، وسَلَخَ يَسْلَخُ.

---

(1) من س.

وقد يجوزُ أَنْ يجيء الحرفُ على أصله وفيه أحدُ السِّتة، ويجوزُ: زَأَرَ يزئِرُ، وفَرَغَ يَفْرَغُ، وصَبَغَ يَصبُغُ، إلاَّ أَنَّ الفتحَ لا يَكونُ فيما ماضيه «فَعَلَ» إلاَّ وأَحَدُ هذه الحروف فيه.

وأما «يأْبَى» فله علَّةٌ، وأما «يَقْلَى» فليس يَثْبُتُ. وسيبويه يذهبُ فى «يَأْبَى» إلى أنه إنما انفتَح مِن أجلِ أَنَّ الهمزةَ فى موضع فائه، والقولُ عندى على ما شَرَحْتُ لك، من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق، فإنما انفتح لأنهُ يصيرُ إلى الألف، وهى من حروف الحلق، ولكن لم نَذْكرها لأنها لا تكون أصلا، إنما تكونُ زَائدةً أو بَدَلا، ولا تكونُ متحركةً، فإنما هى حرفٌ ساكنٌ، ولا يَعْتَمِدُ اللِّسان بِهِ على موضعٍ، فهذا الذى ذكرتُ لك مِن أَنَّ يَسَعُ، ويَطَأُ، حَدُّهما «فَعِلَ يَفْعِلُ» فى المعتلِّ، كحسِبَ يَحْسِب، من الصحيح، ولكنْ فَتَحَتْهما العيْنُ والهمزةُ، كما تقول: وَلَغَ الكلبُ، يَلَغَ، والأصلُ «يَلِغُ» فحرفُ الحلق فَتَحَهُ.

باب

[من أخبار عبد الله بن العباس وابنه]

يُرْوَى عن عليٍّ بن أبى طالب رحمةُ الله علـيه أنه افْتَقَدَ عبـدَ الله بنَ العباس رحمه الله [فى وَقْت صلاة الظُّهْرِ[1]]، فقال [لأصحابه[1]]: ما بَالُ أبى العباسِ لم يَحْضُرْ؟ فقـالوا: وُلِدَ له مولودٌ، فلما صلَّى علىٌّ رحمه الله قـال: امضُوا بنَا إليه، فأتاه فَهنَّأَه، فقال: شَكَرْتَ الواهبَ، وبُورِكَ لك فى الموهوب، ما سَمَّيتَهُ؟ قال: أَوَ يَجُوزُ لى أنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه! فـأَمَرَ به فَأُخْرِجَ إليه، فأخذَه وحنَّكَه ودَعَا له، ثم رَدَّه إليه، وقال: خُذْه إليك أبا الأمْـلاكِ، قد سمَّيتُه عليًّا، وكَنَّيـتُه أبا الحسن، فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ: ليس لكم اسمُه وكنيتُه، فقد كَنَّيتُه أبا محمدٍ، فَجَرَتْ عليه.

* * *

وكان علىٌّ سيـدًا شريفًا بليغًـا، وكان له خَمْسُمـائَة أصل زَيْتُونٍ، يصلى فى كل يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين، فكان يُدْعَى ذَا الثَّفِنَاتِ[2].

* * *

وضربَ بالسَّوْط مـرتين، كلتاهُما ضربَهُ الوليد، إحداهُمـا: فى تَزَوُّجه لبَابَةَ بنتَ عبد الله بن جعفرٍ، وكانت عـندَ عبد الملك، فَعَـضَّ تُفَّـاحَةً ثم رَمَـى بها إليها - وكان أبْخَرَ - فَدَعَتْ بسكينٍ، فـقال: ما تَصنعينَ به؟[3] قالتْ أُميطُ عنها الأذى، فطلَّقَهـا، فتزوَّجهـا علىُّ بنُ عبد الله، فضـربه الوليدُ، وقال: إنمَا تَتَزَوَّجُ بـأُمَّهَاتِ الخلفاء لتَضَعَ منها، لأن مَرْوَانَ بن الحكَمِ تَـزوَّجَ أمَّ خالد بن يزيد بن معاوية ليَضَعَ منه، فقـال علىٌّ بن عبد الله: إنما أرادتِ الخـروج من هذه البَلْدَة، وأنا ابنُ عَمِّـها فتزوجتُها لأكُونَ لها مَخْرَجًا.

وأمَّا ضـربُه إيَّاه فى المرَّة الثانية فـإنَّا نرويه من غَيْرِ وَجْـه، ومِن أَتَمِّ ذلك ما حَدَّثنيـهِ أبو عبـد الله محـمدُ بن شُجَـاعٍ البَلْخِي[4] فى إسنادٍ له مُـتَّـصِلٍ، لستُ

---

(١) من س.

(٢) الثفنات: جمع ثفنة، وهى من كل ذى أربع ما يصيب الأرض منه.

(٣) أى بالسكين، والسكين تذكر وتؤنث.

(٤) زيادات ر، «هو محمد بن شجاع الثلجى، كذا صوابه».

أَحفظُه، يقولُ فى آخرِ ذلك الإسناد: رأيتُ عليًّا مضروبًا بالسَّوْط يُدَارُ به على بعيرٍ ووجههُ مما يَلِى ذَنَبَ البعيرِ، وصائحٌ يَصيحُ عليه: هذا علىٌّ بن عبد الله الكذابُ! قال: فأتيتُه فقلتُ: ما هذا الذى نَسبوكَ فيه إلى الكذب؟ قال: بلَغهم قولى: إنَّ هذا الأمْرَ سيكونُ فى ولدى. والله ليكونَنَّ فيهم حتى يَملكَهُمْ عَبيدُهم الصِّغارُ العيونِ، العِرَاضُ الوُجُوهِ، الذين كأنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ.

* * *

ومع هذا الحديث آخَرُ شَبِيهٌ بإسناده، أن علىَّ بن عبد الله دخلَ على سليمانَ ابن عبد الملك، ومعه ابنَا ابْنه، الخليفتان: أبو العباسِ، وأبو جعفر - قال أبو العباس: وهذا غَلَطٌ، لمَا أَذْكُرُهُ لك، إنما ينبغى أن يكونَ دخلَ على هشامٍ - فأَوْسَعَ لَهُ على سَريرِه، وسأله عن حاجته، فقال: ثلاثون ألْف درهمٍ علىَّ دَيْنٌ، فَأَمَرَ بقَضَائها، قال له: وتَسْتَوصِى بابْنَىَّ هذين خيرًا، ففعلَ، فشكَرَهُ، وقال: وَصَلَتْكَ رَحِمٌ، فلما وَلَّى علىٌّ قال الخليفةُ لأصحابه: إنَّ هذا الشيخَ قد اختَلَّ وأسَنَّ وخلطَ فصار يقول: إن هذا الأمْرَ سينتقلُ إلى وَلَدِه، فَسَمعَ ذلك علىٌّ فالتفت إليه فقال: والله ليكونَنْ ذاكَ، وَلَيَمْلكَنَّ هذانِ.

* * *

قال أبو العباس: أمَّا قولى: «إن الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمانَ»، فلأنَّ محمد بن على بن عبد الله كان يُمْنَعُ من تَزَوُّج الحارثيَّةَ، للحديث المَرْوِىِّ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءهُ محمدٌ، فقال له: إنِى أَردتُ أن أتزوج بنتَ خالِى من بنى الحارث بن كَعْبٍ، أفتأْذَنُ لى [يا أَميرَ المؤمنين[1]]؟

فقال عمرُ: تَزَوَّجْ - رحمكَ اللهُ - مَنْ أحببتَ، فتزوَّجَها، فأَوْلَدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين، وعُمَرُ بعدَ سليمانَ، فلا ينبغى أن يكون تَهيَّأ له أن يدخل على خليفة حتى يَتَرَعْرَعَ.

[ش: كذا وقعَ فى الأُمِّ والروايةِ، والصحيحُ «لهما أن يدخلاَ على خليفة حتى يترعرعا»].

فلا يَتِمُّ مِثلُ هذا إلاَّ فى أيامِ هشامٍ.

* * *

(١) تكملة من س.

وكان عبدُ الملك يُكْرِمُ عليًا ويقدِّمُه، فحدثنى التَّوَّزِىُّ، قال: قال علىٌّ بن عبد الله: سايَرْتُ يومًا عبدَ الملك، فما جاوَزنا إلاَّ يسيرًا حتى لَقِيَهُ الحَجَّاجُ قادمًا عليه، فلما رآه تَرَجَّلَ ومَشَى بين يديه، فخَبَّ عبدُ الملك، فأسرع الحَجَّاجُ، فزادَ عبدُ الملك، فَهَرْوَلَ الحَجَّاجُ، فقلتُ لعبد الملك: أبِكَ مَوْجِدَةٌ على هذا؟ فقال: لا، ولكنَّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِه، فأحببتُ أن أَغُضَّ منه.

* * *

وحدَّثنى جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشمىُّ، قال: حضر علىٌّ عبدَ الملك وقد أُهْدِىَ له من خُراسانَ جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ، فقال: يا أبا محمد، إنَّ حاضرَ الهديَّة شَريكٌ فيها، فاختَرْ منَ الثلاثة واحدًا، فاختارَ الجاريةَ، وكانت تُسَمَّى سُعْدَى، وهى من سَبْىِ الصُّغْدِ[1] من رَهْطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ، فأولدها سليمانَ وصالحًا ابْنَىْ علىٍّ.

* * *

وذَكَرَ جعفرُ بن عيسى أنه لَمَّا أَوْلَدَهَا سليمانَ اجتنبَتْ فِرَاشَه، فمرض سليمان من جُدَرِىٍّ خرج عليه، فانصرفَ علىٌّ مِنْ مُصَلَاهُ، فإذا بها على فراشه، فقال: مرحبًا بك يا أُمَّ سليمانَ، فوَقَعَ بها، فأولدها صالحًا، فاجتنبت بَعْدُ، فسألهَا عن ذلك؟ فقالت: خفْتُ أن يَموتَ سليمانُ فينقطع النَّسَبُ بينى وبين رسول الله ﷺ، فالآنَ إذْ وَلَدْتُ صالحًا فَبِالْحَرى إنْ ذهبَ أحدُهما أن يَبْقَى الآخَرُ، وليس مثلى اليومَ مَنْ وطئَهُ الرجالُ.

وزَعم جعفرٌ أنه كانت فيه رُتَّةٌ.

فالرُّتَّةُ: تَعَذُّرُ الكلام إذا أراده الرجلُ، فهى الآن معروفةٌ فى ولدِ سليمان وولدِ صالحٍ.

* * *

وكان علىٌّ يقولَ: أكره أن أُوصىٌ إلى محمد - وكان سَيِّدَ ولده - خوفًا من أن أَشِينَهُ بالوصيةِ، فأَوْصَى إلى سليمان، فلما دُفِنَ علىٌّ جاء محمدَ إلى سُعْدَى

(١) الصغد: كورة قصبتها سمرقند.

[ليلا(1)] فقال [لها](1): أَخْرِجي إليَّ وصيةَ أبي، فقالت: إن أباكَ أَجَلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلا، ولكنَّها تأتيك غدًا، فلمَّا أَصبحَ غَدَا بها عليه سليمانُ، فقال: يا أبي ويا أخي، هذه وصيةُ أبيك، فقال محمدٌ: جزاكَ اللهُ من ابنٍ وأخٍ خيرًا، ما كنتُ لأُثَرِّبَ على أبي بعدَ موتِه، كما لم أُثَرِّبْ عليه في حياتِه.

* * *

قال أبو العباس: التَّمْتَمةُ: الترددُّ في التَّاء، والفأفأةُ: الترددُ في الفاء، والعُقلَةُ: التواءُ اللسانِ عندَ إرادة الكلام، والحُبْسَةُ: تعَذُّرُ الكلامِ عند إرادته، واللَّفَفُ: إدخالُ حرف في حرف، والرُّتَّةُ: كالرَّتَجِ تَمنعُ أوَّلَ الكلامِ، فإذا جاء منه شيءٌ اتَّصَلَ. والغَمْغَمَةُ: أن تَسمع الصوتَ ولا يَتَبَيَّنَ لك تقطيعُ الحروف. والطَّمْطَمَةُ: أن يكونَ الكلام مُشْبِهًا لكلامِ العجمِ. واللُّكْنَةُ: أن تَعْتَرِضَ على الكلامِ اللغة الأعجميةُ. وسَنفَسِّرُ هذا بحججه حرفًا حرفًا، وما قيل فيه، إن شاء الله. واللُّثْغَةُ: أن يُعْدَل بحرف إلى حرف. والغُنَّةُ: أن يُشْرَبَ الحرفُ(2) صوتَ الخَيْشُومِ. والخُنَّةُ: أشدُّ منها. والتَّرْخِيمُ: حَذْفُ الكلامِ، يقالُ: رجلٌ فأفاءٌ يا فَتَى! تقديرُه «فَاعَالٌ» ونظيرُه من الكلامِ: سَابَاطٌ وخاتام، قال الراجزُ:

يامَيَّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ ... أَخَذْتِ خَاتَامِي بِغَيْرِ حَقِّ(2)

[لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم]

وقال رَبيعة الرَّقِّيُّ في مَدْحه يزيدَ بنَ حاتِم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّب وربيعةُ احتجَّ به الأصمعيُّ ـ وذَمَّه يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِيَّ:

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدَيْن في النَّدَى ... يزيدُ سُلَيْمٍ والأغَرُّ بنُ حاتِمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأزْدِيِّ إتْلافُ ماله ... وهَمُّ الفتى القَيْسيِّ جمعُ الدَّراهِمِ
فلا يَحْسبِ التَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتُه ... ولكنَّنِي فَضَّلْتُ أهلَ المَكارِمِ

---

(1) تكملة من س.

(2) زيادات ر. كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى، والصحيح أنه بالهمز على «فعلال» مثل «خضخاض»، و«قمقام»، فالذي حكى أبو العباس غلط؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: ليس في الصفات «فاعال». قال أبو الحسن. يقال: «خانم» على وزن «دانق» و«خاتم» على وزن ضارب، و«خيتام» على وزن «ديان» و«خاتام» على وزن «ساباط».

وقال آخرُ أيضًا:

ليس بفَأفَاءٍ ولا تَمْتَامِ ولا مُحِثٍّ سَقِطِ الكلامِ

وقال الشاعرُ:

وقد تَعْتَرِيه عُقْلَةٌ في لسانه إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غَيْرَ قريبِ

وزعم عمرُو بن بحرٍ الجاحظُ عن محمد بن الجهْمِ قال: أقبلت على الفكْرِ في أيامِ محاربة الزُّطِّ، فاعترَتْني حُبْسةٌ في لساني، وهذا يكونُ لأنَّ اللسانَ يَحْتاجُ إلى التَّمْرينِ على القول، حتى يَخفَّ له، كما تحتاج اليد إلى التمرينِ على العملِ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْي، وكما يعانيه مُوتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلُبَ ويشتدَّ، قال الراجزُ:

كأنَّ فيه لَفَفًا إذا نَطَقْ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

وقال ابنُ المُقفَّع: إذا كَثُرَ تقليبُ اللسان رَقَّتْ جوانبُه ولانَت عَذَبَتُهُ.

وقال العتَّابيُّ: إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدت عليه مَخارِجُ الحروف.

وأما الرُّتَّةُ فإنها تكونُ غَريزة، قال الراجزُ:

* يأيُّهَا الخَلْطُ الأرتُّ *

ويقال: إنها تكثُر في الأشْرَاف، ولم تُوجدْ تَخْتَصُّ واحدًا دون واحد.

وأما الغَمغَمةُ فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِه، لأنه صوتٌ لا يُفْهَمُ تقطيعُ حروفِه.

[أفصح الناس]

وحدثني مَنْ لا أُحْصِي من أصحابنا عن الأصْمَعيِّ عن شُعبة عن قتادةَ، قال: قال معاويةُ يومًا: مَنْ أَفْصَحُ الناسِ؟ فقام رجلٌ من السِّماط فقال: قومٌ تَباعَدُوا عن فُرَاتِيَّةِ العِراق، وتَيَامَنُوا عن كَشْكَشَة تَميم، وتَيَاسَرُوا عن كَسْكَسَة بَكْرٍ، ليس فيهم غَمْغَمَةُ قُضاعةَ، ولا طُمْطُمَانيَّةُ حِمْيَرَ. فقال له معاويةَ: مَنْ أُولئكَ؟ فقال: قَوْمِي يا أميرَ المؤمنين، فقال له معاويةُ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رجلٌ من جَرْمٍ. قال الأصمعيُّ: وجَرْمٌ من فُصَحَاءِ الناسِ.

قولُه: «تَيامَنُوا عن كشكشة تَميم»، فـإنَّ بنى عَمرِو بنِ تَميمٍ إذا ذَكرتَ كَافَ المؤنَّث فوقفتَ عليها أبْدَلَتْ منها شينًا، لقرْبِ الشين من الكـاف فى المَخْرَجِ، وأنها مهـموسةٌ مـثلَها، فـأرادُوا البيانَ فى الوقـف، لأنَّ فى الشِّين تَفَشِّـيًا، فيـقولون للمرأة: جَعَلَ اللهُ لكِ البركةَ فى دَارِشْ، وَيْحَكِ مـالَشْ، والتى يُدْرِجُونها يَدعُونَهَا كافًا، والتى يَقعُون عليها يُبْدِلونها شينًا.

وأما بَكْرٌ فتخـتلفُ فى الكسكسة، فقومٌ منهم يُبْدلون من الكـاف سينًا، كما يفعلُ التميميون فى الشين، وهم أقلُّهم، وقَومٌ يبيِّنُونَ حركة كافِ المؤنَّثِ فى الوقْفِ بالسين، فيزيدونَها بعدَها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِسْ.

أما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك.

وقال الهاربُ[1] لامرأته يومَ الْخَنْدَمَـة، وذاكَ أنها نَظَرَتْ إليه يَحُـدُّ حَرْبةً فى يوم فتح مكةَ، فقالتْ: مـا تَصْنَعُ بهذه؟ قالَ: أَعْدَدْتُها لمحمد وأصـحابه، فقالت: واللهِ إنْ أَراهُ يقـومُ لمحمـدٍ وأصحـابِه شىءٌ، فـقال لهـا: إنِّى لأرْجو أَن أُخْـدِمَكِ بعضهم، وأنشأ يقولُ:

إنْ تُقْـبِلُـوا فَـمَـا بِىَ عِـلَّه ... هذا سِـلاحٌ كـامِـلٌ وأَلَّهْ

* وذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّة *

الأَلَّةُ: الْحَرْبَة، والغَرارُ هاهنا: الْحَدُّ، يعنى «بذى غرارين» السَّيْفَ.

فلمَّا لقِيَهم خالدٌ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ انهزَم الرجلُ، فَلاَمَتْهُ امرأتُه، فقال:

إنَّك لو شَـهِـدْتِ يومَ الخَنْـدَمَـهْ ... إذْ فَـرَّ صَـفـوَانُ وفَـرَّ عِـكْرِمَـهْ
ولحِـقَـتْنا بالسـيُّوفِ المُسْلِـمَـهْ ... يَفْلقْنَ كلَّ سَاعـدٍ وجُـمْـجُـمَـهْ
ضَـرْبًا ولا تَسْـمَعُ إلاَّ غَـمْغَـمَـهْ ... لهم نَهِـيتٌ[2] حولَنا وحَـمْحَـمَهْ

* لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أدْنى كَلِمَهْ *

---

(1) زيادات ر: «الهارب هو أبو عثمان الهذلى»، ويقال له الرعاش، ويقال إن الرجز المذكور بعد هذا لحماس ابن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة، أنشده له أبو إسحاق، والخندمة: جبل دخل منه النبى ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل: الخندمة مشى فيه إسراع، فأضيف إلى اليوم لما كثر فيه.

(2) النهيت: صوت الأسد دون زئيره.

وأما الطُمْطُمَانيَّةُ، ففيها يقولُ عَنْترةُ:

تبْـرِى لـه حُـولُ النَّعَـامِ كـأنَّهَـا   حِـزَقٌ يَمـانِيَـةٌ لأَعْـجَـمَ طِمْطِمِ

وكـان صهُـيَبٌ أبو يحـيى صـاحِبَ رسول الله ﷺ يَرْتَضِخُ لُـكْنَةً رُوميَّـةً، ويَذْكرون أنَّ نَسَبَهُ فى النَّمرِ بين قاسط صحيحٌ.

وقد قـال رسولُ الله ﷺ: «صُهَـيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ، وسلْمَانُ سـابِقُ الفُرْسِ، وبِلال سابقُ الحَبَشَةِ».

وقال عمـرُ لصهيْب فى قوله: إنه من النَّمـرِ بن قاسط: قد سمـعتَ ما قال رسولُ الله ﷺ فيـمن انْتَمَى إلى غيرِ نَسَـبِه، فقال صهـيبٌ: أنا مِنْ القَوْمِ، ولكِنْ وَقعَ علىَّ سِبَاءٌ.

وكان عَبْدُ بَنِى الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشيةً، فلما أَنشدَ عمرَ بن الخطَّاب:

عَـمْيـرةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَـهَّزْتَ غـاديًا   كفى الشيبُ والإسـلامُ للمرءِ ناهيًا

فـقال عـمرُ: لو كنتَ قَـدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّـيبِ لأَجَزْتُكَ، فـقال: مـا سَعَرْتُ، يريدُ: ما شَعَرْتُ.

وكان عُـبَيْدُ الله بن زِيَادٍ يرتضخُ لُكنةً فـارسية، وإنما أَتَتْه مِنْ قِـبَلِ زوج أمه شيرَوَيْه الإِسْوَارِىّ.

ويقالُ: إن عليًّا عليه السلام عادَ زِيَادًا فى منزل شيرَوَيْه، فقال عبيدُ الله يومًا لرجل كلَّمه فَظنَّ به رأْىَ الخوارجِ[1]: أهَرُورِىٌّ مُنْذ اليومِ؟ يريدُ: أَحَرُورِىٌّ، وهذه الهاء تَشْتَرِك فى قلبها من الحاء أصنافٌ من العجَم.

وكان زيادٌ الأعْـجَمُ ـ وهو رجلٌ من عَبْدِ القَـيْسِ ـ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً أعجمـيَّةً، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قَوْمٍ بأعيانهم من العجم.

وأنشدَ المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ فى مَدْحِه إِياهُ:

فتًى زَادَه الـسُّلْتَانُ فى المدحِ رَغْـبة   إذا غَـيَّـرَ السُّلْتـانُ كل خـليلِ

(١) زيادات ر، «الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانىء بن قبيصة».

يريد «السلطان»، وذلك أن بين التـاء والطاء نَسَبًـا، فلذلك قَلَبَـها تاءً؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فقال: «السُّلْتَان».

أمَّا الغُنَّةُ، فَتُسْـتَحْسَنُ من الجارية الحديثة السِّنِّ، لأنهـا مالم تُفْرِطْ تَميلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمَة، قال ابنُ الرِّقَاعِ العامليُّ يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها:

تُزْجِـى أغَنَّ كـأَنَّ إِبْرَةَ رَوقِــهِ قَلَم أصـابَ من الدَّوَاة مِـدَادَهَا

بابـ

[لمحمد بن عبد الله الثقفي]

قال محمدُ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ:

لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ من التَّنْعِيمِ مُعْتَجِرات

مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ للرَّحمن مُؤْتَجِرَات

تَضَوَّعَ مسكًا بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِرات

وقامت تَرَاءَى يومَ جَمْعٍ فأفتَنَتْ برؤيتها مَنْ راحَ مِنْ عَرفات

ولمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرضتْ وكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرات

دَعَتْ نسوةً شُمَّ العَرانين بُدَّنًا نَوَاعِمَ لا شُعْثًا ولا غَبِرات[(١)]

فأدْنَيْنَ لمَّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونَها حجابًا من القَسِّيِّ والْحَبَرَات

أَحَلَّ الَّذى فوقَ السَّمَاوات عرشُهُ أَوَانسَ بالبَطْحاء مُعْتَمِرَات

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ مِن التُّقَى ويَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيلِ مُخْتَمِرات

قولُه: «مثلَ سِرْبٍ رأيتُه»، هو القطْعة من النِّساء، أو من الظِّباء، أو من البقَر، أو من الطَّير، كما قال:

لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

فهذا يعنى نساء[(٢)]، ويقالُ: مَرَّت بنا سُربةٌ من الطَّير، فى هذا المعنى، قال ذُو الرُّمَّة:

سِوَى ما أصاب الذِّئبُ منه وسُرْبةٌ أطافتْ به مِنْ أُمَّهَات الجوَازِل

ويقالُ: فلانٌ واسعُ السِّرْبِ، يعنى بذلك الصَّدْرَ، ويقال: خلِّ لفلانٍ سَرْبَه، أى طريقَه الذى يَسْرُبُ فيه، ويقالُ للإبل كذلك بالفتح: لأذْعَرَنَّ سَرْبَكَ.

ويقالُ: حَذِراتٌ، وحَذرَاتٌ، ويَقِظٌ، ويَقُظٌ، قال ابنُ أَحْمَرَ:

هل يَنْسِئَنْ يَوْمِي إلى غَيْرِهِ أنى حَوَالِيٌّ وأنِّى حَذِرُ

---

(١) زيادات ر، «ولا غفرات»، بالفاء أخت القاف، من الغفر وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين؛ يقال: غفرت المرأة إذا نبت لها ذاك الشعر».

(٢) زيادات ر، «القطيع من السباع يقال له سرب، قاله ابن جنى، وكذا من الماشية كلها»

وقوله:

* وكنَّ منَ أَنْ يَلْقيْنَهُ حَذِراتِ *

الأصلُ «منَ أن يلقـينه» ولكنَّ الهـمزةَ إذا خُـفِّفَتْ وقـبلَها سـاكنٌ ليس من حروف اللِّين الزوائد، فتخفيفُها ـ متصلة كانت أو منفصلةً ـ أن تُلْقى حركتَها على على ما قـبلَهَا وتَحْـذِفَها، تَقـول: مَنَ اَبوكَ؟ فتفـتحُ النُّونَ وتحذفُ الهـمزةَ، ومَنِ اخْوَانُك؟، ومَنُ أمُّ زيَد؟ فَـتضُمُّ النونَ وتكْسرُها وتَفْـتحُها، على مـا ذكرتُ لك، وتقولُ: ﴿الَّذى يُخْرِجُ الْخَبَ فى السَّموَاتِ﴾[1] وفـلانٌ له هَيَةٌ، وهذه مَـرَةٌ، إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ فى «الْخَبْء» وَ«الهيْئَة» و«المرأة»، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿سَلْ بَنى إسْرائيل﴾[2] لأنهَا كانت «اسـأل» فَلمَّا حُرِّكَتْ السينُ بحركةِ الهـمزةِ سَقَطَتْ ألفُ الوصلِ، لتَحَرُّك ما بعدها، وإنما كان التخفيفُ فى هذا الموضع بحذف الهمزة؛ لأن الهمزةَ إذاَ خُفِّفَتْ قَرُبَتْ من الساكنِ، والدليلُ على ذلك أنـها لا تُبْتَدأُ إلاَّ مُحَقَّقَةً، كما لا يُبْتَدأُ إلاَّ بمتحركٍ، فلما الْتَقَى الساكنُ وحروفٌ تجرى مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منها، كما تَحْذف لالتقاء الساكنَيْن.

وقولُه: «دعَتْ نِسوةٌ شُمُّ العَرانين»، الشماء السائغَةُ الأنفِ والمصدرُ الشَّمَمُ.

وقال أحد الشعراء يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاس:

نَجَـوْتِ منْ حِـلٍّ وَمنْ رِحْـلَة	يَا نَـاقَ إنْ قَـرَّبْتنى مِـنْ قُـثَمْ
إنَّك إنْ قَـرَّبْتنيـه غَـداً	عـاشَ لنا اليُسْـرُ وَمَـاتَ العَـدَمْ
فى بَاعِـه طَـولٌ وفى وَجْـهِـه	نُورٌ وفى العِـرْنِين منهُ شَـمَمْ
لم يَدْرِ مَـا «لاَ» و«بَلى» قَـدْ دَرَى	فـعـافَـهـا واعْـتَـاضَ منه «نَعَمْ»

قال أبو الحسن: أنشدنيه أبى لسليمانَ بن قَتَّةَ، وزادنى:

أَصَمُّ عن ذِكْـرِ الْخَنَا سَـمْـعُـهُ	ومَـا عَنِ الْـخَـيْـرِ به مِـنْ صَـمَمْ

والعرْنِينُ والمَرْسِنُ والأنْفُ واحدٌ، لمَا يُحيط بالجميع.

والبُدَّنُ: واحدُها بادنٌ كقولك: شاهدٌ وشُـهَّدٌ، وضامِرٌ وُضَمَّرٌ، وهو العظيمُ

---

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢١١.

البَدَن، يقالُ: بَدُنَ فلانٌ، إذا كثر لحمُه، وبَدَّنَ، إذا أَسنَّ. وفى الحديثِ عن رسول الله ﷺ: «إنى قد بَدَّنْتُ، فلا تَسبِقُونى بالركوع والسجود[1]».

والأَشْعَثُ والشَّعْثَاءُ: الخاليانِ من الدُّهْنِ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يَتَمَثَّلُ:

مَنْ كان حينَ تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه ... أو الغُبَارُ يخَاف الشَّيْنَ والشَّعَثَا

ويَأْلَفُ الظِّلَّ كَىْ تَبْقَى بَشَاشَتُه ... فسوفَ يَسكُنُ يومًا راغمًا جَدَثَا

[قال أبو الحسن، وزادَنى أَبى:

فى بَطْن مُظْلمَة غَبْرَاءَ مُقْفِرة ... كيْما يُطيل بها فى بطنها اللَّبَثَا

تَجَهَّزِى بجَهَازٍ تَبْلُغِينَ به ... يا نَفْس واقْتَصِدِى لم تُخْلَقِى عَبَثَا]

[لعمر بن أبى ربيعة فى أم عمر بنت مروان]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعة[2]: ونَظَرَ إلى أُم عمرَ بنت مَرْوانَ بن الحكَمِ، وكانتْ صارتْ إليه متنكِّرَة، فَرَأَتْهُ وقَضَتْ من مُحادثته وَطَرًا، ثم انصرفتْ، فلما رجعَتْ مِنْ منَى عرفَهَا، فعلمتْ ذلك، فبعثَتْ إليه: لا تَرْفَعْ بى صوتًا، وأهدتْ له ألفَ دينار، فاشترَى بها عطْرًا وبزًّا وأهداهُ لها، فأَبَتْ أن تَقْبَلَه، فقال: إذًا والله أُنْهِبَهُ فيكونَ أُذِيعَ له فقَبِلَتْه، وفى ذلك يقولُ:

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُبَاءُ به دَمٌ ... ومِن غَلَقٍ رَهْنًا إذا ضَمَّهُ مِنىَ

وكَمْ مَالِىءٍ عينيه مِنْ شَىْءِ غيْرِهِ ... إذا راح نَحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى

يُجَرِّرْنَ أَذْيالَ المُرُوطِ بأَسْوُقٍ ... خِدَالٍ إذا وَلَّيْنَ أعجازُها روَى

أوانسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤَادَهُ ... فَيَا طولَ ما حزنٍ ويا حُسْنَ مُجْتَلَى!

فلمْ أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ... ولا كَلَيَالِى الحجِّ أفتَنَّ ذا هَوَى

وفيها أيضًا يقول:

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتِكارا ... قد قَضَى من تِهامةَ الأوْطارَا

لَيْتَ ذا الحَجَّ كان حَتْمًا علينا ... كلَّ شَهْرَيْنِ حَجَّةً واعْتِمارَا

(١) زيادات ر: «من رواه: «بدنت»، بضم الدال فقد أخطأ؛ لأن «بدن» بمعنى ضخم، ولم يكن من صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم، ولكنه الرجل بين الرجلين، ومعنى «بدن» بالتشديد، أسن.

(٢) ر: «عمر بن أبى ربيعة» وما أثبته عن الأصل، س.

قوله:

* وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ *

يقولُ: لا يُقادُ به قاتلُهُ، وأصلُ هذا أنه يقال: أبَأْتُ فلانًا بفلان، فباء به، إذا قتلْتَه به، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاَّ والثانى كُفء للأوَّل، فمن ذلك قولُ مُهَلْهِلِ ابن ربيعةَ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بنَ الحارث بن عُبَاد، فقيلَ للحارث ـ ولم يكنْ دَخَلَ فى حربهم: إنَّ ابنَك قُتلَ، فقال: إنَّ ابنى لأعظَمُ قتيلٍ بركةً، إذْ أصْلَحَ اللهُ به بَيْنَ ابنَى وَائِلٍ، فقيلَ له: إنه لَمَّا قُتِلَ قالَ مُهَلْهِلٌ: بُؤْبِشسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ[1]، فعندَ ذلك أدْخلَ الحارثُ يدَه فى الحرب، وقال:

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ منِّى ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[2]
لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتيلاً ولاَ رَهْـ ... ـطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلاَلِ
لم أكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ ... وإنِّى بِحَرِّهَا اليومَ صَالِى

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّةُ:

فإنْ تكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنكم ... فَتًى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بن عَامِرِ

وقال التَّغْلَبِىُّ[3]:

ألا تَنْتَهِى عَنَّا مُلُوكٌ وتَتَّقى ... مَحَارِمَنَا لا يَبْؤُ الدَّمُ بالدَّمِ

ويقالُ: بَاءَ فلانٌ بذَنْبِهِ، أى. بَخَعَ به وأقرَّ، قال الفرزدقُ لمعاوية:

فلو كان هذا الحكمُ فى غير مُلْكِكُم ... لبُؤْتُ به أوْ غَصَّ بالماء شارِبُه

ويقالُ: باءَ فلانٌ بالشىء، من قولٍ أو فعلٍ، أى احتمله فَصَارَ عليه.

وقال المفسِّرون فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿إنِّى أُرِيدُ أنْ تَبُوءَ بإثْمِى وإثْمِكَ﴾[4]، أى يَجتمعَا[5] عليك فَتَحْمِلهما.

(١) الشسع. الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها.
(٢) مربط: اسم مكان الربط، والنعامة: اسم فرسه.
(٣) هو جابر بن حنى؛ وفى ر: «عمر بن حبى»، وهو خطأ صوابه من الأصل، س.
(٤) سورة المائدة ٢٩.
(٥) كذا فى الأصل، ر، وفى س: «يجتمعان».

وأما قولُه: «ومنْ غَلَق رَهْنِ[1]» فَمنَ جرَّ فهـو منْ قولهم: رَهْنٌ غَلَق، فلما قَدَّمَ النعـتَ اضطراراً أَبْدَلَ منه المنعوتَ، ولو قـال: «ومِنْ غَلِقٍ رَهْنًا» فنصَبَ على الحال من المعرفة بَقِيَ الاسمُ المضمرُ فى «غَلَق».

وقولُه: «إذا ضَمَّهُ منِّى» فإنما سُمِّـيَتْ «منِّى» لما يُمنَى فيها من الدَّم، يقالُ فى المنيِّ ـ وهى النُّطْفَة ـ مَنَى الرجلُ وأمْنَى، والقراءةُ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾[2]. ويقالُ: مَذَى الرجلُ وأَمْذَى، ووَدَى وأَوْدَى، فقولهم: وَدَى، يعنى البلَّة[3] التى تكونُ فى عَقِبِ البَوْلِ كالْمَذْى، وأمَّا المذى فيَعْتَرِى من الشَّهْوَةِ والْحَرَكَة.

وقال علىُّ بن أبى طالب رحمه الله: كلُّ فَحْلٍ مَذَّاءٌ.

ومن كلامِ العَـربِ: كلٌّ فحلٍ يَمْـذِى وكلُّ أُنْثَى تَقْذِى، وهو أن يكـونَ منها مثلُ المَذْى، والـ «مَنَى» موضعٌ آخرُ، يقالُ: مَنَى اللهُ لك خيراً، أى قدَّر لك خيراً، ويقال: مَنَى اللهُ أنْ أُلْقَى فلانًا، أى قَدَّرَ، والمَنِيَّةُ منْ ذَا، يقال: لَقِيَ فلانٌ منِيَّتَه، أى ما قُدِّرَ له من الموت، فأمَّا المَنِيئَةُ (بالهمز) فهى المَدْبَغَةُ، وهى المكانُ الذى يُدْبَغُ فيه.

وقولُه:

* إذا راح نحوَ الجَمْرَةِ البيضُ كالدُّمَى *

الجمرةُ إنما سُمِّيَتْ لاجتماعِ الْحَصَى فيها، ومن ثَمَّ قيلَ: لا تجمِّرُوا المسلمين فتَـفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نسـاءَهم، أى لا تجْمَعُـوهم فى المَغَارِى، والتَّجـميرُ التَّجـميعُ. وكذلك قـيل فى جَـمَرَات العرب. وهم: بنو نُمَير بـن عـامـر بـن صَعْصَـعَةَ، وبـنو الحارث بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْد، وبنو ضَـبَّةَ بن أدٍّ بن طَابِخَةَ، وبنو عَبْسٍ ابن بغيض رَيْث. لأنهم تَجَمَّعُوا فى أنفسهم ولم يُدْخِلُوا معهم غيرهم. وأبو عُبيدةَ لم يعْدُدْ فيهم عَبْسًا فى كتاب «الديبـاجِ» ولكنه قال: فَطَفِئَتْ جَمْرَتَان، وهما بنو ضَبَّةَ ـ لأنها صـارَتْ إلى الرِّبابِ فحـالفَتْ ـ وبنو الحارث، لأنها صـارتْ إلى مَذْحِجٍ، وبَقِيَتْ بنو نُمَيْرٍ إلى الساعة، لأنها لم تُحالفْ، وقالَ النُّمَيرىُّ يُجيبُ جريراً:

نُمَيْـرٌ جَـمْـرَةُ الـعَـرَبِ التى لم	تَزَلْ فى الحَـرْبِ تلْتَـهِب الْتِـهَـابَا
وإنِّى إذْ أسُـبُّ بهـا كُـلَيْـبًـا	فَـتَـحْـتُ عليـهـمُ لِلْخَـسْفِ بَابَا

---

(١) رسمت فى ر، وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان

(٢) سورة الواقعة ٥٨.

(٣) زيادات ر: «بكسر الباء رواية عاصم، وبفتحها رواية ابن سراج»

وقال فى هذا الشعر:

ولولا أنْ يقالَ هَجَا نُمَيْراً ... ولم تَسْمَعْ لشاعرِها جَوَابَا
رَغِبْنَا عن هِجَاءِ بنى كُلَيْبٍ ... وكيفَ يُشَاتِمُ الناسُ الكِلاَبَا!

[لعمر بن أبى ربيعة فى الثريا بنت على]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبِيعَةَ:

لَيْتَ شعرى هلْ أقُولَنْ لرَكْبٍ ... بفلاَة هُمْ لديها هُجُوعُ
طالما عَرَّسْتُمُ فاسْتَقِلُّوا ... حَانَ من نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ
إنَّ هَمِّى قد نَفَى النَّومَ عنِّى ... وحديثُ النفسِ شىءٌ وَلُوعُ
قال لى فيها عَتيقٌ مَقالاً ... فَجَرَتْ مِمَّا يقولُ الدُّمُوع
قال لى: ودِّعْ سُلَيْمَى، ودَعْهَا ... فَأجابَ القَلْبُ: لا أسْتَطِيعُ
لا تَلُمْنِى فى اشْتِيَاقِى إليها ... وابْكِ لى مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ

قولَه:

* حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ *

كنايةٌ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنت علىٍّ بن عبد الله بن الحارثِ بن أُمَيَّةَ الأصغرِ، وهُمُ العَبَلاَتُ، وكانت الثريا وأختُها عائشةُ أَعتَقَتَا الغَرِيضَ الْمُغَنِّىَ، واسمُه عبدُ الملك، ويُكْنَى أبا يزيدَ، ويقولُ إسحاق بن إبراهيمَ الْمُوصِلىُّ: إنما سُمِّىَ الغَرِيضُ بالطَّلْعِ؛ لأن الطَّلْعَ يقالُ له الإغرِيضُ، وليس هو عندى كما قال، وإنما سُمِّى الغَرِيضَ لطَرَاءَته، يقال: لَحْمٌ غَرِيضٌ. وكانت الثُّرَيَّا موصوفة بالجَمال، وتَزَوَّجها سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ الزُّهْرِىُّ، فَنَقَلَهَا إلى مصرَ، فقال عمرُ، يَضْرِبُ لهما الْمَثَلَ بالكَوْكَبَيْن:

أيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللهَ، كيفَ يَلْتَقِيَان!
هى شَامِيَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِى

وقولُه:

* قال لى فيها عَتِيقٌ مَقالاً *

يَزْعُمُ الرواة أَنَّ كلَّ شىءٍ ذَكَرَ فيه عَتيقًا أو بكْرًا فإنما يَعْنِى ابنَ أَبى عَتِيقٍ.

[طرف من أخبار ابن عتيق]

وكان ابنُ أبي عتيق من نُسَّاك قريشٍ وظُرَفائهم، بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفًا، وله أخبارٌ كثيرةٌ، سَيَمُرُّ بعضُها فى الكتاب، إن شاء اللهُ.

* * *

فَمِنْ طَرِيفِ أخبارِه أنهُ سَمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابن أبى ربيعةَ:

فَمَا نِلْتُ منها مَحْرَمًا غيرَ أنَّنَا ... كِلانَا من الثَّوْبِ المُطَرَّفِ لابس

فقال: أَبِنَا يَلْعَبُ ابنُ أبى ربيعةَ! فأيُّ مُحَرَّمٍ بَقِيَ! فركبَ بغلتَه متوجهًا إلى مكة، فلما دَخَلَ أنْصَابَ الحَرَم، قيل له: أَحْرِمْ، قال: إن ذا الحاجة لا يُحْرِم، فَلَقِيَ ابنَ أبى ربيعةَ فقال: أَمَا زعمتَ أنك لم تَرْكَبْ حرامًا قَطُّ! قال: بَلَى، قال: فما قولُك:

* كلانَا من الثَّوْبِ المُطَرَّفِ لابس *

فقال له: إذًا أخْبِرُكَ! خرجَتْ بعلَّة المسجد، فصرنا إلى بعض الشعَاب، فأخذَتْنا السماء، فأمَرْتُ بمُطْرَفِى فَسَتَرَنَا الغَلْمانُ به، لئلاَّ يَرَوْا بها بلَّةً فيقولوا: هلاَّ استَتَرَتْ بسقائفِ المسجدِ! فقال له ابنُ أبى عتيق: يا عَاهِرُ! هذا البيتُ يَحْتَاجُ إلى حاضِنَة.

* * *

وهو الذى سَمِع قولَ عمر بن أبى ربيعةَ:

مَنْ رَسُولى إلى الثُّرَيَّا بأنِّى ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكِتَابِ !

فلبسَ ثيابَه وركبَ بغلتَه وأتَى بابَ الثُّرَيَّا، فاستأذنَ عليها، فقالتْ: والله ما كنتَ لنا زَوَّارًا، فقال: أَجَلْ، ولكنِّى جئتُ برسالةٍ، يقولُ لكِ ابنُ عمِّكِ عُمَرُ بن أبى ربيعةَ:

* ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكِتَابِ *

فلامَهُ عمرُ، فقال له ابنُ أبى عَتِيق: إنما رأيتك مُتَلَدِّدًا تلتمسُ رسولا، فخففْتُ فى حاجَتك، فإنما كان ثوابى أن أشكرَ.

* * *

ومن طَريف أخبـاره أن عائشـةَ بنتَ طلحةَ عَتَـبَتْ على مُصْـعَبِ بن الزُّبير فَهجَرَتْهُ، فقال مصعبٌ: هذه عشَرَةُ آلاف درهمٍ لمن احتَال لى أن تُكلِّمَنى، فقال له ابنُ أبى عتيق: عَدِّل المال، ثم صار إلى عائشةَ، فجعلَ يَسْـتَعتِبُها لمصعب، فقالت والله ما عَزْمِى أن أكلمه أبدًا. فلما رأَى جدَّها قال لها: يا بنتَ عَمٍّ، إنه قد ضمنَ لى إِنْ كلَّمْتِه عشَرَةَ آلافِ درهمٍ. فكلِّميه حتَّى آخذَها، ثم عُودِى إلى ما عَوَّدَكِ اللهُ.

* * *

ومن أخبـاره أنَّ مَرْوانَ بنَ الحكَـم قال يومًا: إنِّـى لَمَشغـوفٌ ببغلـة الحسنِ رحمهما الله، فقال له ابنُ أبى عتـيقٍ: إن دَفَعْتُها إليك، أتقْضى لى ثلاثين حاجةً؟ قال: نعم، قـال: إذا اجْتَمَـعَ الناسُ عندَك العَشيَّـةَ إنى آخُذُ فى مَـآثر قُريش، ثم أُمْسِك عن الحـسنِ، فَلمْنى على ذلك، فلمَّا أخذ الناسُ مـجالسَهم أخَـذَ فى مآثرْ قريش، فقـال له مروانُ: ألا تَذْكُرُ أوَّلِيَّةَ أبى محمـد، وله فى هذه ما ليسَ لأحَدَ؟ فقال: إنما كُنَّا فى ذكْـرِ الأشراف، ولو كُنَّا فى ذكر الأنبياء لقَدَّمْنَا مـا لأبى محمدَ! فلمَّا خـرجَ الحسنُ ليركَبَ تَبِـعَهُ ابن أبى عتـيق، فقال له الحـسنُ ـ وتبَسَّمَ ـ: أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال: ذكرتُ البغلة، فنزل الحسنُ ودفعهَا إليه.

* * *

ومنْ طَريفِ أخبـاره أنَّ عثـمانَ بنَ حيَّـانَ المرىَّ لمَّا دخلَ المدينةَ واليًا عليـها اجتمعَ الأشرافُ عليه من قريشٍ والأنصـارُ، فقالوا له: إنك لا تَعْمَلُ عملا أجْدَى ولا أَوْلَى مِن تحريم الغنَاء والرِّثاء، فَـفَعَلَ، وأجَّلَهُم ثلاثًا، فقَدمَ ابنُ أبى عـتيق فى الليلة الثالثة، فَحَطَّ رَحْلَهَ بباب سَلامَـةَ الزَّرْقاء، وقال لها: بَدَأْتُ بك قبل أن أصيرَ إلى منزلى، فقـالت: أوَ ما تَدْرى ما حَـدثَ؟ وأخبرتْه الخـبرَ، فقال: أقـيمى إلى السَّحَرِ حتَّى ألقاه، فقالت: إنا نخافُ ألا تُغْنِىَ شيئًا ونُنْكَظَ[1]، فقال: إنه لا بأسَ عليك، ثم مَضَى إلى عثمـانَ فاستأذنَ عليه، فأخبره أنَّ أحَبَّ مـا أقْدَمَهُ عليه حُبُّ التسليم عليه، وقال له: إنَّ منْ أفضـلِ ما عَملْتَ به تحريم الغنَاء والرِّثاء. قال: إنَّ أهْلَكَ أشاروا علىَّ بذلك، قال: فإنك قد وُفِّقْتَ، ولكنِّى رسولُ امرأة إليكَ تقولَ: قد كانت هذه صِنَاعَـتِى فتُبتُ إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأمـيرُ ألا تحُولَ بينَها

(١) زيادة ر: «نعنى تنالنا شدة».

وبينَ مجاورة قبر النبىِّ ﷺ، فقال عثمانُ: إذَنْ أدَعَها لك، قال: إذَنْ لا يَدَعها الناسُ، ولكن تَدْعُو بها فنَنْظُرُ إليها، فإن كان ممَّنْ يُتْرَك تَركْتَها، قال: فادْعُ بها، قال: فأمرَها ابن أبى عتيق فتقشَّفت، وأخذَتْ سُبْحَةً فى يدها، وصارتْ إليه، وحَدَّثَتْهُ عن مآثر آبائه، فَفَكِهَ لها. فقال لها ابنُ أبى عتيق: اقرئى للأمير، ففعلتْ، فأُعْجِب بذاك، فقال لها: فاحْدِى للأمير، فَحرَّكه حُدَاؤُها، ثم قال لها: غنِّى للأمير، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ، فقال له ابنُ أبى عتيق: فكيفَ لو سمعتَها فى صناعتها! فقال: قُلْ لها فَلْتَقُلْ، فأمَرَها فَتَغَنَّتْ:

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمَّا دَخَلْنَه ... بكلِّ لَبَانٍ واضِحٍ وجَبِينِ

فنزل عثمانُ بن حَيَّانَ عن سريره حتَّى جلس بين يديها، ثم قال: لا والله، ما مثْلُكَ يُخْرَجُ عن المدينة! فقال له ابنُ أبى عتيق: إذَن يقولُ الناسَ أَذِنَ لِسَلاَمَةَ فى المَقَامِ ومَنَعَ غيرَها! فقال له عثمانُ: قد أذنتُ لهم جميعًا.

[لابن نمير الثقفى]

وقال ابنُ نُمَيْر الثَّقَفىُّ:

أَشَاقَتْكَ الظَّعَائِنُ يَومَ بانُوا ... بذِى الزِّىِّ الجميلِ من الأثَاثِ
ظعائِنُ أُسْلِكَتْ نَقْبَ المنَقَّى ... تَحُثُّ إذا ونَتْ أىَّ احْتِثَاثِ
كأنَّ على الظَّعَائِنِ يومَ بَانُوا ... نعَاجًا تَرْتَعِى بَقْلَ البِرَاثِ
يُهَيِّجُنى الحَمَامُ إذا تَغَنَّى ... كما سَجَعَ النَّوائحُ بالمرَاثِى

قولُه: الظعائنُ، واحدتها ظَعينةٌ، وإنما قيلَ لها: ظَعينةٌ، وهم يريدون مَظْعُونًا بها، كقولك: قتيلٌ، فى معنى مقتول، ثم استُعمل هذا وكَثُرَ حتى قيل للمرأة المقيمة: ظعينةٌ.

وقوله:

* بذِى الزِّىِّ الجميلِ من الأثَاثِ *

هى الروايةُ الصحيحة، وقد قيلَ بذى «الرِّىِّ الجميلِ» واستَهْوَاهُمْ إليه قولُ الله جلَّ ثناؤُه: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[1] فالأثاثُ مَتَاعُ البيت، والرِّى ما ظَهَرَ مِن

(1) سورة مريم ٧٤.

الزِّينة، وإنما أُخذَ من قولك: رَأَيتُ، فالرِّئُّ غيرُ الأثاث والزِّئُّ من الأثاث، فمن هاهنا غلطوا.

وقولُه: «أَسْلكَتْ نَقْبَ المنَقَّى»، فالمُنَقَّى موضعٌ بعينه، والنَّقب: الطريقُ فى الجبل، والخَلُّ: الطَّريقُ فى الرَّمْلِ، فإن اتَّسعَ الطريقُ فى الجبل وعَلاَ فهو ثَنِيَّةٌ، قال ابنُ الأيهَمِ التَّغْلَبِىُّ:

وتَرَاهُنَّ شُزَّبًا كالسَّعَالِى ... يتطَلَّعْنَ مِن ثَنايا النِّقابِ[1]

وقولُه:

* نعَاجًا تَرْتَعِى بَقْلَ البرَاثِ *

فالنعجةُ عند العرب البقرةُ الوَحْشيةُ، وحُكْمُ البقرةِ عندهم حُكْمُ الضَّائنةِ، وحُكْمُ الظَّبية عندهم حُكْمُ الماعزَة، والعربُ تَكْنى بالنعجة عن المرأة وبالشاة، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هذَا أَخِى لهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجَةً﴾[2] وقال الأعْشَى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عينِه عن شاتِه ... فأصبت حَبَّةَ قلبِها وطِحَالهَا

يريد المرأة، وأمَّا البَرَاثُ، فهى الأماكنُ السَّهلةُ من الرَّمْلِ، واحدُها بَرْثٌ، مفتوحُ موضعِ الفاء من الفعْل، وتقديرُها: كلْبٌ وكلاَبٌ، والسَّجْع من الكلام: أنْ تأتَلفَ أواخرُه على نَسَقٍ، كما تأتلفُ القوافِى، وهو فى البهائِم: مُوالاَةُ الصَّوْتِ، قال ابنُ الدُّمَيْنَة:

أَأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحَى ... على فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْدِ[3]

[لعمر بن أبى ربيعة]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ:

قال لِى صاحبِى لِيَعْلَمَ مَابِى ... أَتُحِبُّ القَتولَ أُختَ الرَّبَابِ؟

قلتُ: وَجْدِى بها كوَجْدِكَ بالما ... ءِ إذَا مَا مُنعْتَ بردَ الشَّرَابِ

مَن رَسولِى إلى الثُّرَيَّا بأنى ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ

---

(1) الشذب- الصوامر.

(2) سورة ص ٢٣.

(3) زيادات ر: «الرند»: صغار الآس

سَلَبَتْنِى مُجاجَةُ المسْك عَقْلى فسَلُوها بما تحلُّ اغْتصابى[1]؟
أَزْهَقَتْ أمُّ نوفَلٍ إذْ دَعَتْها مُهْجَتى ما لقَاتلى من مَتابِ
حينَ قالتْ لها أجيبى فقالتْ مَنْ دَعَانى؟ قالت أبو الخطَّاب
فاستجابتْ عندَ الدُّعاء كما لَبَّى رجالٌ يَرجُونَ حُسْنَ الثَّواب
أبْرَزُوها مثلَ المَهاة تَهَادَى بيْنَ خَمْسٍ كَواعبٍ أتْرابِ
وَهْىَ مكْنُونةٌ تحَيَّرَ منها فى أديم الخَدَّين ماءُ الشَّبابِ
ثم قالوا: تحبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرابِ
دُمْيَةٌ عندَ راهبٍ ذِى اجتهادٍ صَوَّرُوها فى جانبِ المحرابِ

قوله:

* قلتُ: وَجْدى بها كوَجْدكَ بالماء *

معنًى صحيحٌ، وقد اعتَوَرَهُ الشعراءُ، وكلُّهم أجادَ فيه.

وقوله:

* إذَا مَا مُنعْتَ بردَ الشَّرَاب *

يريد: عندَ الحاجَة، وبذلك صَحَّ المعنَى. ويُرْوَى عن على بن أبى طالب رحمه الله أنَّ سائلاً سألهُ، فقال: كيفَ كان حبُّكم لرسول الله ﷺ؟ فقال: كانَ والله أحَبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمَّهاتنا ومن الماء البارد على الظَّمأ.

وقالَ آخرُ ـ وأحْسَبُه قَيْسَ بن ذَريح:

حلفت لها بالمشعرين وزمزمٍ وذُو العرش فَوْقَ المُقسمينَ رَقيبُ[2]

[قال أبو الحسن: ويُرْوَى: «والله فوقَ المُقْسمينَ»، وهو أحبُّ إلىَّ].

لَئِنْ كان بَرْدُ الماءِ حَرَّانَ صَاديًا إلىَّ حبيبًا إنَّها لحبيبُ

وقال القُطَامىُّ:

يَقْتُلْنَنَا بحديث ليس يَعْلَمُه مَنْ يَتَّقينَ ولا مَكْنُونُهُ بَادى
فهنَّ يَنْبِذْنَ منْ قَولٍ يصبْنَ به مَوَاقعَ الماءِ من ذى الغُلَّة الصَّادى

والقولُ فيه كَثيرٌ.

---

(1) قال المرصفى: مجاجة المسك: ومجتها التى تنفح رائحة المسك.

(2) أراد بالمشعرين، المشعر الحرام فثناه، وهو موضع بالمزدلفة، قاله المرصفى.

وقولُهُ:

* ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ[1] *

قوله: «والكتابِ» قَسَمٌ.

وقولُهُ:

* أَزْهَقَتْ أمُّ نوفَلٍ إذْ دَعَتْها مُهْجَتِى *

تأويلُه: أَبْطَلَتْ وأَذْهَبَتْ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فيَدْمَغُهُ فإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2] ولِلزَّاهِقِ موضع آخرُ، وهو السَّمِينُ المُفْرِطُ، قال زُهَيْرٌ:

القـائد الخـيل منكوبـا دوائرها | منها الشنون ومنها الزاهق الزهم[3]

وقولُهُ: «ما لقَاتلِى من مَتَاب» يقولُ: من توبة، والمصدرُ إذا كان بزيادة الميم من «فَعَلَ يَفْعُلُ» فَهو على «مَفْعل» قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فإِنَّهُ يتُوبُ إلى الله مَتَابًا﴾[4]، وأما قولُهُ جلَّ ذكره: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[5] فيكونُ على ضَرْبَيْنِ، يكونُ مصدراً، ويكون جِمَاعًا. فالمَصدرُ قَوْلُك: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا، كقولك: قال يقولُ قولا.

والجمعُ تَوْبَةٌ وتَوْبٌ، مثلُ تَمْرةٍ وتَمْرٍ، وجَمْرَةٍ وجَمْرٍ.

وقولُهُ:

* أبْرَزُوها مثلَ المَهاة تَهَادَى *

المَهَاةُ: البقرةُ فى هذا الموضعِ، وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرة من الوَحْشِ لِحُسنِ عينيها ولمِشْيَتِها، والبقرة يقالُ لها: العَيْنَاءُ، والجِماعُ، العِينُ، وكذلك يقالُ لِلمرأة. وتكونُ المَهَاةُ البِلَّوْرَةَ فى غير هذا الموضعِ.

وقولُه: «تَهَادَى» يريدُ: يَهْدِى بعضُها بعضًا فى مِشْيَتها، ومِشْيَة البقرةِ تُسْتَحْسَنُ، قال ابنُ أبى ربيعةَ:

---

(١) الذرع: الطاقة.

(٢) سورة الأنبياء ١٨.

(٣) قال المرصفى: منكوبا، من نكبت الحجارة الحافر تنكب أصابته فأمسته.

(٤) سورة الفرقان ٧١.

(٥) سورة عافر ٣.

أبْصَرْتُهَا لَيْلَةً ونِسْوَتَهَا يَمْشِينَ بين المَقَامِ والحَجَرِ
يَمْشِينَ فى الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما تمشِى الهُوَيْنَى سَوَاكِنُ البَقَرِ

وقوله: «كواعب» الواحدةُ كاعِبٌ، وهى التى قد كَعَّبَ ثَدْيَاهَا للنُّهُود. أترَابٌ أقرانٌ، ويقال: تِرْبُ فلانٍ.

والمكْورةُ: المكتَنِزَة.

وقولُه:

* ثم قالوا: تحِبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا *

قال قومٌ: أراد بقوله: «تُحبُّهَا» الاستفهامَ، كما قال امرؤ القَيْسِ:

* أحارِ تَرَىَ بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ *

فحذَفَ ألفَ الاستفهامِ، وهو يريدُ «أتَرَى»، وقالوا: أرادَ «أتُحبُّها»، وهذا خَطأٌ فاحشٌ، إنما يجوز حذفُ الألفِ إذا كان فى الكلامِ دليلٌ عليها، وسنفسرُ هذا ونذكُرُ الصَّوابَ منه إن شاء الله.

قوله: «تُحِبُّهَا» إيجابٌ عليه، غيرُ استفهامٍ، إنما قالوا: أنْتَ تُحبها، أى قد علمنا ذاكَ، فهذا معنًى صحيحٌ لا ضرورةَ فيه.

وأمَّا قولُ امرؤ القيسِ فإنما جازَ لأنه جَعَلَ الألف التى تكونُ للاستفهامِ تنبيهًا للنِّداء، واستَغْنَى بها، ودلَّتْ على أنَّ بعدها ألفًا منويَّةً، فحُذفَتْ ضرورةً، لدلالَة هذه عليها، ونظيرُ قولِ امرئ القيسِ: «أحَارِ تَرَى بَرْقًا» فاكتفى بالألفِ عن أن يُعيدَها فى «تَرَى» قولُ ابنِ هَرْمَةَ:

وَلاَ أرَاهَا تَزَالُ ظَالمةً تُظْهِرُ لى قَرحَةً وتَنْكَؤُهَا

اسْتَغْنَى بلا الأولى عن إعادتها، كما قال التَميميُّ، وهو اللَّعينُ المنْقَرِيُّ:

لعَمْرُكَ ما أَدْرى وإنْ كنتُ دارِيًا شُعَيْثُ بْنَ سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بنُ مِنْقرِ

يريدُ «أشُعَيْث» فدلَّتْ «أمْ» على ألف الاستفهام، وقال ابن أبى ربيعةَ:

لَعَمْرُكَ ما أَدْرى وإنْ كنتُ دَارِيًا بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمانِ

مثل ذلك: وبيتُ الأخْطَلِ فيه قَوْلاَنِ، وهو:

كَذَبَتْكَ عينُكَ أَمْ رأيتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلاَمِ من الرَّبَابِ خَيَالاَ

قال: أراد: «أكَذَبَتْكَ عينُكَ» كما قلنا فيما قبلَه، وليس هذا بالأجوَد، ولكنَّه ابْتَدأَ مُتَيَقِّنًا ثم شَكَّ، فأدخلَ «أم» كقولك: «إنها لإبلٌ» ثم تَشُكُّ فتقولُ: «أمْ شاءٌ» يا قَوْمِ.

وقولُه: «قلتُ بهْرًا» يكونُ على وجهين: أحدُهما: حُبًّا يَبْهَرُنى بَهْرًا.

أى يَمْلَؤُنِى، ويقالُ للقمر ليلةَ البدرِ: بَاهِرٌ، أى يَبْـهَرُ النُّجوم، يَمْلَؤُها، كما قال ذو الرُّمَّةِ:

* كما يَبْهَرُ البدرُ النُّجومَ السَّوَارِيَا *

وقال الأعشَى:

حَكَّمْـتُـمُـوهُ فَـقَـضَى بـينَكُمْ أَبْلجُ مِـثلُ القَـمـرِ الـبَـاهِرِ

والوجهُ الآخرُ: أن يكونَ أرادَ «بَهْرًا لكم» أى: تَبًّا لكم حيث تلومونَنِى على هذا، كما قال ابن ميادة[1]:

تَفَاقَـدَ قَوْمِى إذْ يـبيعـونَ مُهْـجَتِى بجـارِيةٍ بَهْـرًا لهـم بَعْـدَهَا بَهْـرَا

وقولُه:

* عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرَابِ *

فيـه قولانِ: أحـدُهما أنه أراد بالنَّجم النـجومَ، وَوَضَعَ الواحدَ فـى موضعَ الجمع، لأنه للجنس، كما تقولُ: أهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ، وقد كثُرَت الشَّاةُ والبعـيرُ، وكما قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ الإِنْسَـانَ لَفِى خُسْـرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[2].

وقال الشاعر:

فبـاتَ يَعُدُّ الـنَّجمَ فى مُسْتَحِـيرَةٍ سـريعٍ بأيدى الآكـلين جُـمُـودُها

يريدُ النجومَ، ويعنى بالمستحيرة إهالةً[3]. والوجهُ الآخـرُ أن يكونَ النجمُ ما نَجَمَ من النَّبْـتِ، وهو مـالم يَقُمْ على سـاقٍ، والشـجـرُ مـا يقـومُ على سـاقٍ.

---

(١) فى ر، س: «ابن مفرع» وصوابه من الأصل.

(٢) سورة العصر ٢، ٣

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم.

واليَقطينُ: ما انتشر على وجه الأرض. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1]، وقال الحرث بن ظالم، للأسوَد بن المُنذِر بن ماء السماء:

أَخُصْيَيْ حِمَارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمَةً ... أَيُؤْكَلُ جِيرانِي وجارُكَ سَالِمُ !

ومن طريف شعره وله:

فلمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ منهم وأُطْفِئَتْ ... مَصَابيحُ شُبَّتْ بالعشاء وأَنْؤُرُ

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ ... ورَوَّحَ رُعْيَانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ

وَنَفَّضْتُ عَنِّي العَينَ أقبلتُ مِشْيَةَ الْـ ... ـحُبَابِ ورُكْنِي خيفةَ القَوْمِ أَزْوَرُ

فَحَيَّيْتُ إذْ فاجَأْتُها فَتَوَلَّهَتْ ... وكادتْ بمكنونِ التَّحيَّةِ تَجْهَرُ

وقالت وعَضَّتْ بالبَنَانِ: فَضَحْتَنِي ... وأَنْتَ امْرُؤٌ مَيسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ

أَرَيْتكَ إذْ هُنَّا عليكَ أَلَم تَخَفْ ... رَقِيبًا وَحَوْلِي منْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ

فواللهِ ما أدري أَتَعْجِيلُ حاجةٍ ... سَرَتْ بكَ أم قد نامَ مَنْ كنتَ تَحْذَرُ

فقلتُ لَها: بلْ قادَنِي الشَّوْقُ والهَوَى ... إِلَيكِ ومَا عَيْنٌ من الناس تَنْظُرُ

فَيَالَكَ من ليلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ ... ومَا كانَ لَيلِي قبلَ ذلك يَقْصُرُ

ويا لَكَ من مَلْهًى هُناكَ ومَجْلِسٍ ... لَنَا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ

يَمُجُّ ذَكِيَّ المسك منها مُفَلَّجٌ ... رقيقُ الحَوَاشي ذو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ

يَرِفُّ إذا يَفْتَرُّ عنه كأنَّهُ ... حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوَانٌ مُغَوَّرُ

وتَرْنُو بعينيها إليَّ كما رنَا ... إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخَمِيلَةِ جُؤْذَرُ

فلما تَقَضَّى اللَّيلُ إلا أَقَلَّهُ ... وكادتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ

أَشارتْ بأَنَّ الحيَّ قد حَانَ منهمُ ... هُبُوبٌ ولكنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ

فَمَا رَاعَنِي إلاَّ مُنَادٍ برحلةٍ ... وَقد لاحَ مَفْتُوقٌ من الصُّبحِ أشْقَرُ

فلمَّا رأتْ مَنْ قَدْ تَثَوَّرَ منهمُ ... وأَيْقَاظَهُمْ قالت أَشِرْ كيفَ تَأْمُرُ

فقلتُ: أُبَادِيهم فإمَّا أَفُوتُهمْ ... وإمَّا يَنَالُ السيفُ ثَأْرًا فَيَثْأَرُ

فَقَالتْ: أتحقيقًا لمَا قال كاشِحٌ ... علينا، وتَصْديقًا لمَا كانَ يُؤْثَرُ !

فإن كانَ مالا بُدَّ منه فغَيْرُهُ ... من الأمرِ أَدْنَى للخَفَاء وأَسْتَرُ

أَقُصُّ علَى أُخْتَيَّ بَدْءَ حديثِنَا ... ومَالِيَ من أَنْ تَعلَمَا مُتَأَخَّرُ

---

(1) سورة الرحمن ٦.

لَعَلْهُمَا أنْ تَبْغِيا لَكَ مَخْرَجا	وَأنْ تَرْحُبَا سَرْبًا بما كُنْتُ أَحْصَرُ
فقامت كَئيبًا ليس فى وجهها دَمٌ	من الحزن تُذْرى عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ
فقالت لأخْتَيْهَا: أعينَا على فَتًى	أتى زائرًا والأمْرُ للأمْرِ يُقْدَرُ
فأقْبَلَتَا فارتَاعَتَا ثم قالتَا:	أَقلىّ عليك الهمَّ فالْخَطْبُ أيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشى بيننا مُتَنَكِّرًا	فلا سِرُّنَا يَفْشو ولا هُوَ يَظْهَرُ
فكان مَجَنِّى دُونَ مَنْ كنت أتَّقى	ثلاثُ شُخُوص كاعِبَان ومُعْصِرُ
فلمَّا أجزْنَا ساحةَ الحَىِّ قُلْنَ لى:	ألَم تَتَّق الأعداءَ وَاللَّيلُ مُقْمِرُ!
وَقُلْنَ: أهذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سادِرًا	أمَا تَسْتَحِى أو تَرْعَوى أو تُفَكِّرُ!

* * *

قوله« شُبَّتْ» يقول: أُوقدَتْ، يقالُ: شَبَبْت النار والحرْبَ، أى أوْقَدْتُهما.

وقوله: «وأنْؤُر» إنْ شئتَ همَزْتَ، وإن شئتَ لم تهمِزْ، وإنما الهمزُ لانضمام الواوِ، وقد مضى تفسيرُ هذا.

وقوله: «قُمَيرٌ»، إنما صَغَّره؛ لأنهُ نَاقصٌ عن التَّمام، وهذا فى أول الشهر، وكذلك يُصَغَّرُ فى آخر الشهر؛ لأن النقصانَ فيهما واحدٌ، قال عُمَرُ:

وقُمَيرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وعشريـ ـنَ له قالت الفَتَاتَان قُوما

وقوله: «رُعْيَانٌ» يريد جمعَ الرَّاعِى، ومثلُه: راكبٌ ورُكْبانٌ، وفارِسٌ وفُرْسانٌ.

والسُّمَّرُ: جمعُ السَّامِرِ، وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلاً.

والحُبَابُ: حيَّةٌ بعينه.

وقوله: «ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ» يقول: احترستُ منها وأمِنْتُها، والنَّفَضَة: أمَامَ العَسْكرِ: القومُ يتقدَّمون فيَنْفُضُونَ الطريقَ.

وقوله: «أزْوَرُ»، يعنى متجافيًا، يقال: تزاور فلانٌ، إذا ذهبَ فى شقٍّ.

وقوله: «ذُو غُرُوبٍ»، غَرْبُ كلِّ شىءٍ: حَدّهُ، وإنما يعنى الأسنانَ.

وقوله: «مؤَشَّرٌ» يعنى له أُشرٌ، وهو تشْرِيرُ الأسْنانِ فى قول الناس جميعًا، يقال: لأسنانه أُشُرٌ، فهذا الشائعُ الذائعُ، وأمَّا الشَّنَبُ، فهو عندهم جميعًا بَرْدٌ فى الأسنان.

وحدَّثني الرِّيَاشيُّ عن ابنِ عائشــةَ قال: أخذَ أبي حَبَّةَ رُمَّانٍ بين إصبَـعَيْهِ فإذا هي تَرِفُّ، فقال: هذا الشَّنَبُ.

وقولُه:

* وكادتْ تَوَالِي نجمِه تَتَغَوَّرُ *

التَّوالي: التوابعُ، وتَتَغَوَّرُ: تغُورُ فتَذْهَبُ، وهو مأخوذ من الغَوْرِ.

وقوله: «أشارتْ بأَنَّ الحيَّ قـد حَانَ منهمُ هُبُوبٌ» يقول: انتبـاهٌ، يقال: هَبَّ من نومه يَهُبُّ، قال عمرُو بن كُلْثُومٍ:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِـكِ فَـاصْبَحِينَا ... ولا تُبْـقِي خـمـورَ الأنْـدَرِينا

وقال الآخرُ:

هَبَّتْ تلُومُ وليستْ سـاعةَ اللَّاحِي ... هَلا انتظرتِ بهـذا اللَّومِ إصْبـاحِي

وعَزْوَرُ: موضع بعينه.

وقوله: «وأيْقَاظَهُمْ» جمعُ يَقُظ.

وقوله: «فقـالتْ أتَحْقيقًا» أي أتَفـعلُ هذا تَحقيقًـا، ومن كلام العربِ: أَكُلَّ هذا بخْلاً! وذاكَ أنهُ رآهُ يفعلُ شيئًا أنْكَرَهُ فقال: أتفعلُ كلَّ هذا بخلاً!

وقوله: «أباديهِمْ» أظْهَرُ لهم، غيرَ مهمـوز يقال. بَدَا يَبْدُو، غيرَ مهموزٍ، إذا ظَهر، وبَدَأْتُ بهذا مهموزٌ، إذَا أردتَ به معنى الأوَّل.

وقوله: «بَدْءَ حديثِنا» يريد أوَّلَ حديثِنا.

وقوله: «أنْ تَرْحُبا» يريد: أن تَتَّسِعَـا أي تَتَّسِعَ صدورُهما، من قولهم: فلانٌ رَحيبُ الصَّدْرِ.

وقوله: «أَحْصَرُ» أضيقُ به ذَرْعًا، قد مضى تفسيرُه.

وقول: «مِجَنِّي» يريد تُرْسِي.

وقوله: «ثَلاَثَ شُخُوصٍ» والوجهُ «ثلاثةَ أشْخُصٍ» ولكنه لَمَّا قَصَدَ إلى النساء أنَّثَ على المعنى، وأبانَ ما أرادَ بقوله: «كاعِبَانِ ومُعْصِرُ».

ومثلُه قولُ الشاعر:

فــإنَّ كِــلابًا هذه عَــشْــرُ أبْطُنٍ ... وأنتَ بريءٌ من قَـبـائلها الـعشْـرِ

فقال: «عـشْرُ أبْطُنٍ»؛ لأن البطنَ قبيلةٌ، وأبانَ ذلك في قوله: «منْ قـبائلها العَشْرِ»، وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] لأن المعنى حسناتٌ.

ويُرْوَى أن يزيدَ بن معاويةَ لمَّا أرادَ توجيهَ مُسْلمِ بـن عُقْبَـةَ المرِّيِّ إلى المدينة اعترضَ الناسَ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيحٌ، فقال له: يا أخا أهلِ الشأمِ، مَجِنُّ ابن أبى ربيعةَ أحسنُ من مَجنِّكَ! يريدُ قولَ ابن أبى ربيعة:

فكانَ مَـجِنِّي دونَ مَــنْ كنتُ أتقِي ... ثلاثَ شخـوصٍ كاعِـبَانِ ومُعْـصِرِ

وقوله: «أما تستحى»، يريد: «تستحيى» وله تفـسير يبعد فى العربية قليلا، وسنذكره بعد هذا، إن شاء الله.

---

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

بابـ

[عمر الوادي والعبد الأسود]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن عُمَرَ الوَادِيَّ قال: أقبلتُ من مكةَ أُريدُ المدينةَ، فجعلتُ أسيرُ فى صَمْد[١] من الأرضِ، فسمعتُ غناءً من القَرار[٢] لم أسمعْ مثلَه، فقلتُ: واللهِ لأتوصَّلَنَّ إليه ولو بذَهابِ نفسي، فانحدرتُ إليه، فإذَا عَبدٌ أسْوَدُ، فقلتُ له: أَعِدْ عليَّ ما سمعتُ، فقال لي: واللهِ لو كان عندى قِرًى أَقْرِيكَ ما فعلتَ، ولكنّى أجعلُه قِراكَ، فإنّى [واللهِ[٣]] ربَّمَا غَنَّيتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ، وربما غنيتُه وأنا كَسْلانُ فأنْشَطُ، وربما غنيتُه وأنا عطشانُ فأَرْوَى، ثم انبرى يُغَنِّينى[٤]:

وكنتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأرْضِها ... أَرَى الأرض تُطْوَى لى ويَدْنُو بَعيدُها

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما انقضت أُحْدُوثَةٌ لو تُعيدُها[٥]

[وبعدَهُ:

تُحَلِّلُ أَحْقَادى إذا مَا لَقِيتُها ... وتَبْقَى بلا ذَنْبٍ عليَّ حُقُودُها

وكيفَ يُحِبُّ القَلْبُ مَن لا يُحِبُّهُ ... بَلَى قد تريدُ النَّفْسُ مَنْ لا يُريدُها][٦]

قال عمرُ: فحفظتُه عنه، ثم تَغَنَّيتُ به على الحالاتِ التى وَصَفَ، فإذَا هو كما ذكَرَ.

[خالد صامة والوليد بن يزيد]

وتَحَدَّثَ الزُّبيريُّونَ عن خالد صَامَةَ أنهُ كَانَ منْ أحسنِ الناسِ ضربًا بعُود[٧]، قال: فَقَدِمْتُ على الوَليد بن يزيدَ، وهو فى مجلسٍ ناهيكَ به مجلسًا! فألفَيتُه على سَريره، وبين يديه مَعْبدٌ، ومالكُ بن أبى السَّمْحِ، وابنُ عائشَةَ، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِّمَشْقِيُّ، فجعلُوا يُغَنُّونَ، حتى بلغتِ النَّوْبةُ إلىَّ فَغَنَّيتُه:

---

(١) الصمد: المكان المرتفع من الجبال، وفى ر: «صرد».

(٢) القرار: المطمئن من الأرض.

(٣) تكملة من س.　　(٤) س: «يغنى».

(٥) ر: «إذا ما قضت أحدوثة».

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٧) كذا فى الأصل، ر، وفى س: «بالعود».

سَـرَى هَمِّى وهَـمُّ المَرْءِ يسْـرى - وغـارَ النَّجْمُ إلاَّ قِـيـدَ فِتْـرِ
أُرَاقِبُ فـى المَجَـرَّةِ كلَّ نَـجْمٍ تَعَـرَّضَ أَوْ عَلَى المَـجْـراة يَجْـرِى
لِـهَمٍّ مَـا أَزالُ له قَـرِيـنًـا كـأنَّ القـلبَ أُبْطِنَ حَـرَّ جَـمْـرِ
علـى بَكْرٍ أخِـى فَـارَقْتُ بَـكْرًا وأىُّ العَـيْشِ يَصْلُحُ بَعْـدَ بَكْرِ!

فقال لى: أَعدْ يا صامُ[1]، ففعلتُ، فقال لى: مَنْ يقولُ هذا الشعرَ؟ فقلتُ: هذا يقولُه عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ يرثى أَخَاهُ بَكْرًا، فقال لى الوليدُ:

* وأىُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ *

هذا العيش الذى نحنُ فيه، والله قد تَحَجَّرَ واسِعًا على رَغْمِ أَنْفِهِ.

وحُدِّثْـتُ أن سُكَيْنَةَ بنت الحسين أُنْشِـدَتْ هذا الشعـرَ، فقـالت: ومَنْ بَكْرٌ؟ فوُصِف لهـا، فقالت: أَذَاكَ الأسَـيِّدُ الذى يَمُرُّ بنا؟ واللهِ لقـد طاب كلُّ شىءٍ بعدَ ذاكَ، حتَّى الخبزُ والزيتُ.

[من أخبار يزيد بن عبد الملك]

وَرَوى أصحابُنا أن يزيـدَ بنَ عبد الملك ـ وأُمُّهُ عاتكَة بنتُ يـزيدَ بن معاويةَ، وإليهـا كان يُنْسَبُ ـ قـال يومًا: يقالُ: إنَ الدنيـا لم تَصْفُ لأحد قَطُّ يومًـا، فإذا خَلَوْتُ يومى هذا فاطْوُوا عنِّى الأخـبار، ودَعُونى ولَذَّتى ومـا خَلَوْتُ له، ثم دعا بحَبَـابَةَ، فقال: اسْـقِينى وغَنِّينى، فَـخَلَوَا فى أطيب عَيْشٍ، فـتناولتْ حَبَابَةُ حَـبَّةَ رُمَّان، فوضعتها فى فيها، فَـغَصَّتْ بها فماتت، فَجَزِعَ يزيدُ جَزَعًا أَذْهَلَه ومَنَعَ من دَفْنِهَا، حتى قال له مـشايخُ بنى أُمَيَّةَ: إن هذا عيبٌ لا يُسْتقَـالُ، وإنما هذه جيفة، فأَذِنَ فى دفنها، وتَبِعَ جنَازَتَهَا، فلمَّا وَارَاها قال: أَمْسَيْتُ والله فيكِ كما قال كُثَيِّرٌ:

فإن تسْلُ عنك النفسُ أو تَدَعِ الهوَىٰ فـباليـأسِ تَسْلو عنك لا بالتَّـجَلُّدِ
وكلُّ خليـلٍ راءَنى فـهـو قَـائلٌ مِن اجْلِكِ: هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدِ

فَعُدَّ بينهما خمسةَ عشرَ يومًا.

---

(١) صام، بالترخيم.

وقوله: «رَاءَنى» يريد «رآنى»، ولكنه قَلَبَ، فأخَّرَ الهمزةَ. ونظيرُ هذا من الكلامِ «قسيٌّ» فى جمعِ «قَوْسٍ» وإنما الأصلُ «قووسٌ» ولمَّا أخَّرَ الواوَيْنَ أَبْدَلَ منهما يَاءَيْنِ، كما يجب فى الجمعِ، وتقولُ دَلْوٌ ودُلِيٌّ، وعات وعُتِيٌّ وإن شئتَ قلتَ: عِتيٌّ ودِليٌّ من أجل الياء، فإن كان «فُعُولٌ» لواحد قلتَ: عُتُوٌّ. ويجوز القلبُ، والوجهُ فى الواحد إثباتُ الواو، كما تقولُ: «مَغْزُوٌّ» و«مَدْعُوٌّ» ويجوز «مَغْزِيٌّ» و«مَدْعِيٌّ» وفى القرآن ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[1] وقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[2] وقال: ﴿ارجعى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[3] والأصل «مَرْضُوَّةً» لأنه من الواو، من الرضوان، ومن القلبِ قولُهم: «طَأمن» ثم قالُوا: اطْمَأَنَّ، فأخَّروا الهمزةَ وقَدَّمُوا الميمَ، ومثلُ هذا كثيرٌ جداً.

وقولُه: «هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدٍ»، يقول: ميِّتٌ فى يومه أو فى غَده، يقالُ: إنما فلانٌ «هامة» أى يَصِيرُ فى قبره، وأصلُ ذلك شيءٌ كانت العربُ تقَوله، قد مَضَى تفسيرُه.

[إسحاق الموصلى والرشيد]

وحدثنى عبدُ الصمد بنُ المُعذَّل قال: سمعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المَوْصِلِيَّ يتحدَّثُ قال: حَجَجْتُ مع أمير المؤمنينَ الرشيد، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينةَ آخَيْتُ بها رجلا كان له سِنٌّ ومعرفةٌ وأَدَبٌ، فكان يُمْتِعُنِى، فَإِنِّى ذاتَ ليلة فى منزلى إذا أنَا بصوته يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ، فظننتُ أمرًا قد فَدَحَهُ ففَزِعَ فيه إلَيَّ، فأسرعتُ نحوَ الباب، فقلت: ما جاك بك؟ فقال: إذَنْ أُخْبِرَكَ، دعانى صديقٌ لى إلى طعامٍ عتيد[4]، وشراب قد الْتَقَى طَرَفَاهُ، وشواءٍ رَشْرَاش، وحديث مُمْتِعٍ، وغناء مُطْرِبٍ، فأجبتُه، وأقمتُ معه إلى هذا الوقت، فأخذت مِنِّى حُمَيَّا الكأسِ مأخذَهَا، ثم غَنَّيتُ بقولِ نُصَيْب:

بزينبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقل إنْ تَمَلِّينا فَمَا مَلَّكِ القَلْبُ

فكدت أُطيرُ طَرَبًا، ثم وجدتُ فى الطرب نَقْصًا إذ لم يكن معى مَنْ يفْهَمُ هذا كما فهمتُه، ففَزِعْتُ إليك لأصفَ لك هذه الحالَ، ثم أَرْجعُ إلى صاحبى، وضَرَبَ نَعْلَيْه مُوَلِّيًا عَنِّى! فقلتُ: قِفْ أُكَلِّمكَ، فقال: ما بى إلى الوقوفِ إليكَ من حاجة.

---

(1) سورة الفرقان ٢١. (2) سورة مريم ٦٩.
(3) سورة الفجر ٢٨. (4) عتيد: معتد.

[من أخبار حسان بن ثابت]

وحدثني غيرُ واحد من أصحابنا عن أبي زيد سَعيد بن أَوْسٍ الأنصاري، يُسْنِدُهُ، قال: كانت وَليمةٌ في أَخْوالِنَا، وهم حَيٌّ يقال لهم بَنُو نُبيْط من الأنصار، قال: فحضَرَ الناسُ وجاء حَسَّانُ بن ثابت وقد ذَهَب بصرُه، ومعه ابنُه عبد الرحمن يقودُه، فَلمَّا وُضِعَ الطعامُ وَجِيءَ بالثُّرِيد قال حَسَّانُ لابنه: يا بُنَيَّ، أَطعامُ يَدٍ أَمْ طَعَامُ يَدَيْنِ؟ فقال: بل طعامُ يدٍ، فأكَلَ ثم جِيءَ بالشواء، فقال: أطعامُ يد أم طعامُ يَدَيْنِ؟ فقال: طعامُ يدين، فأمسك، وفي المجلس قَيْنتان تُغَنِّيان بشعر حسانَ:

انْظُرْ خليلي بِبَابِ جِلَّقَ هَلْ ... تؤنسُ دُونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ؟[1]

قال: وحَسَّانُ يبكي، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب، وعبد الرحمن يُومئ إليهما أَنْ زيدًا قال أبو زيد: فَلأعْجبني ما أعجبهُ من أن تُبْكِيَا أباهُ.

يقول: عَجِبْتُ ما الذي اشتهي من أن تُبْكِيَا أباهُ، فقوله: «أَعْجَبَني» أي تركني أَعْجَبُ، ومثلُه قولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات:

أَلاَ هَزِئَتْ بنا قُرَشِيَّـةٌ يَهْتَزُّ مَوْكِبُهَا
رأتْ بي شَيْبَةً في الرأْ ... سِ عَنِّي مَا أُغَيِّبُهَا
فقالتْ: أَبْنُ قَيْسٍ ذَا؟ ... وبعضُ الشَّيبِ يُعْجِبُهَا

أي تتعجب منه.

[خليلان الأموي يغني لأمير البصرة]

وحدثني عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّل، قالَ: كان خَليلانُ[2] الأُمَوِيُّ يتغنَّى، ويَرَى ذاك زائدًا في الفُتُوَّة، وكان خَليلانُ شريفًا وذا نعمة واسعة، فحضرَ يومًا منزلَ عُقْبَةَ بْنِ سَلْمِ الهُنَائيِّ وهو أميرُ البصرة، وكان عَاتِيًا جبَّارًا، فلما طَعِمَا وخَلَوَا نَظَرَ خَلِيلاَنُ إلى عودٍ موضوعٍ في جانب البيت، فَعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به، فأخذه فَتَغَنَّى:

---

(١) جلق: إحدى قرى دمشق.

(٢) خليلان، كان يعرف به خليل بن عمرو، مولى بني عامر بن لؤي، كان يؤدب الصبيان ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد. (رغبة الأمل).

بابـنةِ الأزْدِىِّ قلبِـى كَــئِـيبٌ   مُـسْـتـهــامٌ عندها مــا يَؤُوبُ
ولقـدْ لامــوا فـقلتُ: دَعُــونى   إنَّ مَنْ تَلْحَــوْنَ فِـيــهِ حَبـيبُ

فَجَعَلَ وَجْهُ عُقْبَةَ يَتَغَيَّرُ، وخليلانُ فى سَهْوٍ عمَّا فيه عقبةُ، يَرَى أنه محسن. ثم فَطِنَ لتَغَيُّرِ وجهِ عُـقبةَ، فعلم أنه كاره[1] لِمَا تَغَنَّى به، فَـقَطَعَ الصَّوْتَ، وجَعَلَ مكَانَهُ:

ألاَ هَزِئَتْ بِنَا قُرَشِيةٌ يهتزُّ مَوْكِبُهَا

فَسُرِّىَ عن عُـقْبَةَ، فلما انقضى الصـوتُ وَضَعَ خليلانُ العودَ، و وكَّدَ على نفسه الْحِلفَ ألاَّ يُغَنِّيَ عِنْدَ مَنْ يَجُوزُ أَمْرُه عليه أبدًا.

[غضب الرشيد لشعر مدح به أخوه]

وحُدِّثْتُ أن رجلا تَغَنَّى بحـضرة الرشيد بشعـرٍ مُدِحَ به علىُّ بْنِ رَيْطَةَ، وهو علىُّ بْنُ أمير المؤمنين المَهْدِىِّ، وتَغَنَّاهُ المُغَنِّى على جهلٍ، وهو:

قُلْ لِـعَلِّى: أيَا فَــتَى العَــرَبِ   وخَــيْـرَ نَام وخَــيْـرَ مُنْتَـسبِ
أعْــلاك جَـــدَّاكَ يا عــلىُّ إذَا   قَـصَّــرَ جَـدٌّ فى ذِرْوة الْحَـسَبِ

ففَتَّشَ عن المغنى فوجده لم يَدْرِ فيمن الشِّعْرُ، فَبُحِثَ عن أول مَنْ تَغَنَّى فيه، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقَّاص، فأمر فضُرِبَ أربعمائة سوط.

[معاوية وابنه يزيد]

وحُـدِّثْتُ أن معـاويةَ استـمعَ على يزيدَ ذاتَ ليلة، فـسـمع مِنْ عنده غناءً أعجبه، فلما أصبح قال ليزيد: مَنْ كان مُلْهِيكَ البارحة؟ فقال له يزيد: ذاكَ سائبُ خاثِرٍ، قال: إذًا فأخْثِرْ له من العطاء.

[معاوية عند عبد الله بن جعفر]

وحُدِّثْتُ أن معــاويةَ قال لعمرو: امْضِ بنا إلى هذا الذى قـد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَىَ فى هدم مُروءته، حتَّى نَنْعَى عليه، أى نَعِـيبَ عليه فعله ـ يريدُ عبدَ الله بنَ جعـفر بن أبى طـالب ـ فدخــلاَ إليه، وعنده سائبُ خــاثر، وهو يُلْقى على جَوارٍ لعبدِ الله، فأمر عبدُ الله بتنحيةِ الجوارِى لدخول معاوية وثبتَ سائبٌ مكانَه، وتَنَحَّى

(1) كلمة «كاره» ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

عبدُ الله عن سريره لمعاوية، فرفَع معاويةُ عمراً فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أعدْ ما كنتَ فيه، فأمر بالكراسيِّ فأُلقيَت، وأخرجَ الجواري، فتَغَنَّى سَائِبٌ بقول قَيْسِ بْنِ الْخَطِيم:

دِيارُ التى كَادَتْ ونحنُ عَلَى منًى تَحُلُّ بِنَا لولاَ نَجَاءُ الرَّكَائب
ومثلك قد أصْبَيْتُ ليست بكَنَّةٍ ولا جَارَةٍ وَلاَ حَليلَةِ صَائب[1]

ورَدَّدَهُ الجواري عليه، فحرَّكَ معاويةُ يديه وتحرَّك فى مجلسه، ثم مَدَّ رجليه، فَجَعَلَ يضربُ بهما وجه السرير. فقال له عمرٌو: اتَّئِدْ يا أميرَ المؤمنين، فإن الذى جئتَ لتَلْحاهُ أحسنُ منكَ حالا وأقلُّ حركةً. فقال معاويةُ: اسكُتْ لا أبَالك! فإن كلَّ كريمٍ طَرُوبٌ.

[سفيان بن عيينة وجاره السهمى]

وحُدِّثْتُ منْ غير وجه أن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ قال لجلسائه يومًا: إنِّى أرَى جارَنا هذا السَّهْميَّ قد أثْرَى وَانْفَسَحَتْ له نعمةٌ. وصار ذا جاه عند الأمراء، ووافداً إلى الخلفاء، فَمِمَّ ذاكَ؟ يَعنى يحيى بنَ جَامعٍ، فقال له جلساؤُه: إنه يَصِيرُ إلى الخليفة فيَتَغَنَّى له، فقال سفيانُ: فيقولُ ماذا؟ فقال أحدُ جُلَسائه: يقول:

أَطوفُ نَهَارِى معَ الطائفينَ وأَرْفَعُ من مِئْزَرِى المسْبَلِ

فقال سفيانُ: ما أحسنَ ما قال! فقال الرجلُ:

وأسْهَرُ لَيْلِى معَ العَاكِفينَ وأتلُو مِنَ المُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال: حَسَن والله جميلٌ، قال: إنَّ بعدَ هذا شيئا، قال سفيانُ: وما هو؟ قال:

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسُفَ يُسَخِّرُ لى ربَّةَ المحْمَلِ

فَزَوَى سفيانُ وجهَهُ، وأومأ بيده أنْ كُفَّ، وقال: حلالاً حلالاً!

[ابن أبجر يغنى لعطاء بن أبى رباح]

ولَقِى ابنُ أَبْجَرَ عَطَاء بنَ أبِى رباحٍ وهو يطوفُ، فقال: اسمعْ صوتًا للغَرِيضِ، فقال له عَطاءٌ: يا خَبِيثُ، أفى هذا الموضع! فقال ابن أَبْجَرَ: ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنَّه خُفْيَةً، أو لأُشِيدَنَّ به، فوقف له، فتَغَنَّى:

---

(١) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

عُــوجِى عــلينا ربَّــةَ الهَــــوْدَجِ | إنَّك إلاَّ تَفْـــعَلى تَحْـــرَجِى[1]
أنِّى أُتـيـــحَـتْ لى يَمــــانِيَــــةٌ | إحْـدَى بنى الحـارث مِنْ مَـذْحِجِ
تَلْبَثُ حَـــوْلا كـــامــلاً كـلَّهُ | لا نَلْـتَــــــقى إلاَّ عَـلى مَـنْهَـجِ
فى الحَجِّ إن حَـجَّتْ، ومــاذا مِنًى | وأَهْلُـهُ إن هِىَ لم تَـحْـــــجُجِ !

فقال له عطاء: الكثيرُ الطَّيِّبُ يا خبيثُ!

[سليمان بن عبد الملك فى عسكره]

وسَمِعَ سليمان بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره، فقال: اطْلُبوه، فجاءوا به، فقــال: أعِدْ مــا تغنيتَ، فتَــغَنَّى واحتَــفَلَ، وكَانَ سليـمانُ مُـفْرِطَ الغَـيْرَة، فـقال لأصحابه: والله لكأنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ فى الشَّوْلِ[2]، وما أَحْسِبُ أُنْثى تسمعُ هذا إلاَّ صَبَتْ. ثم أمَر به فخصِىَ.

[الفرزدق يسمع الأحوص يغنى بشعر جرير]

وحُدِّثْتُ أن الفرزدقَ قَدمَ المدينةَ فنزل على الأحْوص بن مـحمد بن عبد الله ابن عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح، فقال له الأحوصُ: ألاَ أُسْمِعُكَ غِناءً من غِناءِ القرَى؟ فأتاه بمغَنٍّ فجعل يُغَنيه، فكان مما غَنَّاه:

أتَنْـسَى إذ تُـوَدِّعُنــا سُلَيْـــــمى | بفَـرْعِ بَشَامَـة، سُـقِىَ البَشَـامُ![3]
ولو وَجَـدَ الحـمامُ كـمــا وَجَـدْنا | بسُلْمـانَيْنِ لاكْـتَـأَبَ الحَـمـامُ[4]

فقال الفرزدق: لِمَن هذا [الشعرُ]؟ فقالوا: لجرير، ثم غنَّاه:

أَسْـرَى لخـالدةَ الخـيـالُ ولا أرَى | شيـئـا ألَذَّ مـنَ الخـيـال الطَّارق
إنَّ البَلِـيَّـــةَ مَنْ تَمَلُّ حــــديثَــهُ | فانْقَعْ فُؤَادَكَ مَن حديثِ الوَامِقِ[5]

---

(١) تحرجى: من الحرج وهو الإثم.
(٢) الجرجرة: هدير الفحل، والشول: جمع شائلة، وهى من الإبل التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها به.
(٣) سلمانين: واديا فى جبل لغنى.
(٤) تكملة من س.
(٥) الوامق: المحب

فقال: لمن هذا؟ فقيلَ: لجرير، ثم غنَّاه:

إنَّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلا بعَيْنِكَ مايَزَالُ مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهنَّ وَقُلْنَ لِي ... مَاذَا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينَا؟

فقال: لمن هذا؟ فقالوا: لجرير، فقال الفرزدق: ما أَحْوَجَهُ مع عَفافِهِ إلى خُشُونة شِعْرِي، وأَحْوَجَنى مع فسُوقِى إلى رِقَّة شِعرِه!

[الأحوص ومعبد عند عقيلة المغنية]

وقال الأحوَصُ يومًا لمَعْبَد: امْضِ بنَا إلى عَقِيلَة حتى نتحدَّثَ إليها، ونسمعَ من غنائها وغناء جواريها. فمضيا، فألْفَيَا على بابها مُعاذًا الأنصاريَّ، ثم الزُّرَقيَّ، وابنَ صائد النَّجَّارى، فاستأذَنُوا عليها جميعًا، فأذنتْ لهم إلاَّ الأحوصُ، فإنها قالت: نحنَ غِضَابٌ على الأحوصِ، فانْصَرفَ الأحوصُ وهو يَلُومُ أصحابه على استبدادهم، فقال:

ضَنَّتْ عَقِيلةُ لَمَّا جِئتُ بالزادِ ... وآثرَت حاجةَ الثَّاوى على الغَادى
فقلت: والله لولا أن تقولَ له ... قد باح بالسِّرِّ أعدائى وحُسَّادى
قلنا لمنزلِها: حُيِّيتَ من طَلَلٍ ... وللعَقِيقِ: ألاَ حُيِّيتَ من وَادى!
إنِّى جعلتُ نَصِيبِى من مَوَدَّتِها ... لمَعْبَد ومُعاذ وابنِ صَيَّاد
لابنِ اللَّعين الذى يُخْبَا الدُّخانُ له ... وللمُغَنِّى رسولَ الزُّورِ قَوَّادى
أمَّا مُعاذٌ فإنى لستُ ذَا كَرَهٍ ... كذاكَ أجدادُهُ كانوا لأجدادى

قال الزُّبيريُّ: وكان مُعاذٌ جَلْدًا، فخافَ الأحوصُ أن يضربَه، فحلف مَعبَدٌ ألاَّ يكلِّمَ الأحوصَ ولا يَتَغَنَّى فى شعره، فشقَّ ذلك على الأحوص، فلما طالتْ هِجرتُه إياه رَحَلَ نَجيبًا له وجعلَ طِلاءً(١) فى مِذْرَعٍ(٢) فى حقيبة رَحْله، وأَعَدَّ دنانيرَ، ومضَى نحوَ معبد فأناخَ ببابه - ومعبدٌ جالسٌ بفنائه - فنزل إليه الأحوص فكلَّمه، فلم يكلمه معبدٌ، فقال: يا أبا عَبَّاد، أتَهْجُرُنى! فخرجت إليه امرأتُه أُمُّ كرْدَم، فقالت: أَتهجرُ أبا محمد! والله لتكلِّمَنَّهُ، قال: فاحتملَهُ الأحوصُ فأدخله البيتَ، وقال: والله لا رِمْتُ هذا البيتَ حتى آكُلَ الشِّوَاء وأشرب الطِّلاءَ واسمعَوا

(١) الطلاء: اسم لما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه.
(٢) حاشية ر: «والمدرع: فزق سلخ حين سلخ مما يلى الذراع».

الغناء، فقال له معبدٌ: قد أَخزَى اللهُ الأبْعَدَ هذا الشَّواء أَكَلْتَهُ، والغناء سمعتهَ، فأنَّى لَكَ بالطِّلاء! قال: قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ ومعه دنانيرُ، فأَصْلِحْ بها ما نُريدُ من آمرِنا، ففعل كلٌّ ما قال، فقالت أُمُّ كَرْدَمٍ لمعبد: أَتَهْجُرُ مَنْ إن زارنا أَغْدَرَ[1] فينا فَضْلا ونَيْلا، وإن فارَقَنَا خلَّفَ فينَا عَقْلا ونُبْلا! فانصرفَ الأحوصُ مع العصر، فمرَّ بيْن الدارَيْنِ وهو يَميلُ بين شُعْبَتَيْ رَحْلِه.

[هجاء الأحوص لسعد بن مصعب]

وحُدِّثْتُ أن سعدَ بن مُصْعَبِ بن الزُّبير اتُّهِمَ بامرأةٍ فى ليلة مَناحة أو عُرْسٍ، وكانت تحتَه ابنةُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير، فقال الأحوصُ ـ وكان بالمدينة رجلٌ يقال له: «سَعْدُ النَّار»:

ليس بسَعْد النَّار مَنْ تَذْكرونَه	ولكنَّ سَعْدَ النَّار سَعْدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَرَ أنَّ القومَ ليلةَ جَمْعِهِم	بَغَوْهُ فَألَفَوهُ لَدَى شَرِّ مَركَبِ
فما يَبْتَغِى بالشَّرِّ لا دَرَّ دَرُّهُ	وفى بيتِهِ مِثْلُ الغزالِ المُرَبَّبِ

فأمر سعدُ بن مصعبٍ بطعامٍ فَصُنِعَ، ثم حُمِلَ إلى قبابِ العربِ، وقال للأحوص ـ وكان له صديقًا: تعالَ نَمْضِى فنُصيب منه، فلما خلاَ به أَمَرَ به فأُوثِقَ، وأرادَ ضَرْبَه، فقال له الأحوصُ: دَعْنى، فلا واللهِ لا أهْجُو زُبَيْرِيًّا أبدًا، فَحَلَّهُ، ثم قال: إنى واللهِ ما لُمْتُكَ على مَزْحِكَ، ولكنِّى أنكرتُ قولَكَ:

* وفى بيتِهِ مِثْلُ الغزالِ المُرَبَّبِ *

* * *

وحُدِّثْتُ أن ابنَ أبى عَتيقٍ ذُكِرَ له أن المُخَنَّثِين بالمدينة خُصُوا، وأنه خُصِى الدَّلاَلُ فيهم، فقال: إنَّا لله! أَمَا واللهِ لئن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحْسِنُ:

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيشِ أَمْسَى دَارِسًا خَلَقَا

ثم استقبلَ ابنُ أبى عَتيقٍ القبلةَ يصلِّى، فلما كبَّر سَلَّمَ، ثم التفت إلى أصحابهِ، فقال: اللهم إنهُ كان يُحْسِنُ خَفيفَهُ، فأمَّا ثقيلهُ فَلاَ ـ الله أكبرَ!

---

(١) أغدر: ترك.

[شفاعة]

وحُدِّثْتُ أن مَـدَنيًّا كـان يصلِّى مُذْ طلعت الـشمسُ إلى أن قارب الـنهارُ أن يَنْتَصِفَ، ومن ورائه رجلٌ يَتَغَنَّى، وهما فى مسجد رسول الله ﷺ، فإذا رجلٌ من الشُّرَطة قد قَبَضَ علـى المُغَنِّى، فقال: أَتَرْفَعُ عَقيرَتَكَ بالغناء فى مـسجد رسول الله ﷺ؟ فأخذه، فانْفَتَلَ المدنىُّ من صلاته، فلم يَزَلْ يَطْلُبُ إليه فيه حتى اسْتَنْقَذَهُ، ثم أقبلَ عليه فقال: أتدرى لِمَ شَفَعْتُ فيك؟ فقال: لا والله، ولكن إخالُكَ رحمتَنى، قال: إذًا فلا رحمنى اللهُ! قال: فأَحْسِبُكَ عرفتَ قَرَابةً بيننا؟ قال: إذًا فَقَطَعَهَا اللهُ! قال: فَلِيَد تَقَدَّمَـتْ منِّى إليك؟ قال: لا والله، ولا عَرَفْتُكَ قبلَهَا، قـال: فَخَبِّرْنى، قال: لأنىِّ سمـعتُكَ غَنَّيْتَ آنفا، فأَقَـمْتَ وَاوَاتِ مَعْبَدٍ، أَمَـا واللهِ لو أسأتَ التأديةَ لكنتُ أحدَ الأعوانِ عليك!

والصوتُ الذى يُنْسَبُ إلى واوات معبد شعْـرُ الأَعْشى الذى يعاتبُ فيه يَزِيدَ ابن مُسْهِرٍ الشَّيْبَانىَّ، وهو قولُه:

هُـرَيْـرَةَ وَدِّعْــهَــا وَإِنْ لامَ لائمُ غَـداةَ غَـد أَمْ أَنْتَ لـلبـيْنِ وَاجِمُ
لقـد كـان فى حَـــوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُـهُ تُقَـضَّـى لُبَـانَاتٌ وَيَسْــأَمُ سَـائِمُ

قوله: «هُـرَيْـرَةَ وَدِّعْهَا وَإِنْ لامَ لائمُ» منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيرُه «وَدِّعْهَا» كأنه قال: «وَدِّعْ هريرةَ»، فلماَّ اختَزَلَ الفـعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه، وكان ذلك أجود من أَلاَّ يُضْمرَ؛ لأن الأمرَ لا يكون إلاَّ بفعل، فأضمرَ الفعلَ إذْ كان الأمرُ أحقَّ به، وكذلك «زيدًا اضْـرِبْهُ» و«زيدًا فأَكْـرِمْهُ» وإن لم تُضْـمِرْ ورفَعْتَ جـاز، وليس فى حُسْنِ الأوَّل، تَرْفَعهُ على الابتداء وتُصَيرُ الأمرَ فى موضعِ خبرِه، فأمَّا قولُ الله جلَّ وعزَّ: ﴿والسَّارقُ والسَّـارقَةُ فـاقْطَعوا أَيْديَهُـما﴾[1] وكـذلكَ: ﴿الزَّانيَـةُ وَالزَّانى فاجْلدُوا كُلَّ واَحـد منْهُمَـا مائَةَ جَلْدَة﴾[2] فليس علـى هذا، والرفعُ الوَجْـه؛ لأنَّ معناهُ الجزاءُ،كقوله:«الزانيةُ» أى التى تَزنى،فإنما وجبَ القطعُ للسَّرَق والجَلْدُ للزنا، فهـذا مُجَازَاةٌ، ومن ثَمَّ جازَ: الـذى يأتينى فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه اسـتَحقَّ الدرهمَ بالإتيانِ، فإن لم تـرِد هذا المعنى قلتَ: الذى يأتينى له درهمٌ، ولا يَجوزُ:

(١) سورة المائدة ٣٨.

(٢) سورة النور ٢.

زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلتَ: زيدٌ فله درهمٌ، على معنى: هذا زيدٌ فله درهمٌ، أو هذا زيدٌ، فحسنٌ جميلٌ، جازَ، على أنَّ «زيدًا» خبرٌ، وليس بابتداء، وللإشارة دخلت الفاءُ، وفى القرآن: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِراً وعلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1]، ودخَلت الفاءُ لأن الثوابَ دَخَلَ للإنفاق. وقد قرأت القُرَّاءُ: ﴿الزَّانيةَ وَالزَّانِيَ فاجْلِدُوا﴾ ﴿والسارقَ والسارقةَ فاقطَعُوا﴾ بالنصب، على وجه الأَمْرِ، والوجهُ الرَّفْعُ، والنصبُ حسنٌ فى هاتين الآيتين، وما لم يكنْ فيه معنى جَزَاء فالنصبُ الوَجْهُ.

[فخر معبد بخمسة أصوات من غنائه]

ويُرْوَى أَنَّ مَعْبَدًا بلغه أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ فَتح خَمْسَ مَدَائِنَ، فقال: لقد غَنَّيْتُ خمسةَ أَصْوَاتٍ، هُنَّ أَشَدُّ مِنْ فَتْحِ المدائنِ التى فتحها قتيبةُ، والأصواتُ:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرتَحِلُ ... وهلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقولُه:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لاَمَ لائمُ ... غَداةَ غدٍ أَمْ أنت للبَيْنِ واجِمُ

وقولُه:

رأيتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخيراتِ مُنْقَطِعَ القرين

وقولُه:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلاَ ... واسْأَلْ فإِنَّ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

وقولُه:

لَعَمْرِى لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا ... لقدْ كنتُ مِن خَوْفِ الفِرَاقِ أَلِيحُ

* * *

أما قولُه:

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٧٤.

وقوله:

* هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لامَ لائمُ *

فللأَعْشَى، يُعاتبُ فيهما يَزِيدَ بن مُسْهِر الشَّيْبانِيّ، يقولُ:

أَبْلغْ يَزِيدَ بَنِى شَيْبانَ مَأْلُكَةً أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تنفكُّ تأْتكِلُ(١)

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ولست ضائِرَها ما أَطَّتِ الإبِلُ(٢)

كناطِحٍ صَخْرَةً يومًا لِيَفْلِقَها فلم يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

ويقولُ فى الأُخرى يعاتبه أيضًا:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونى كأَنَّمَا زَوَى بين عَيْنَيْهِ علىَّ المحَاجِمُ

فلا يَنْبَسِطْ من بينِ عينيكَ ما انْزَوَى ولا تَلْقَنِى إلاَّ وأَنْفُكَ رَاغِمُ

فأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التقاطُعُ بينَنَا لَتَصْطَفِقَنَّ يَوْمًا عليكَ المَآتِمُ(٣)

وتُلْفَى حَصَانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّهَا كما كَانَ يُلْفَى الناصِفَاتُ الْخَوَادِمُ(٤)

إذا اتَّصلَتْ قالت: أَبَكْرَ بنَ وائلٍ! وبكْرٌ سَبَتْهَا والأُنوفُ رَوَاغِمُ

* * *

فأمَّا الشعرُ الثالثُ فللشَّمَّاخِ بن ضِرَارِ بن مُرَّةَ بن غَطَفَانَ، يقولُه لِعَرَابَةَ بن أوسِ بن قَيْظِىٍّ الأنصارىِّ:

رأيت عَرَابَةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو إلى الخيرات منقطعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرابةُ باليَمِينِ

إذا بَلَّغْتِنى وحَمَلْتِ رَحْلِىَ عَرابةَ فاشْرَقِى بِدَمِ الوَتِينِ

* * *

والرابعُ لعمرَ بن عبد الله بن أبى رَبِيعَةَ، يقولُه فى بعضِ الرِّوايات:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تَتَرَحَّلاَ واسْأَلْ فإن قَليلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

امكُثْ لَعَمْرُكَ ساعةً فَتَأَنَّها فعَسى الذى بَخلَتْ به أن يُبْذَلاَ

لَسْنَا نُبَالِى حينَ نُدْرِكُ حاجَةً إنْ باتَ أو ظَلَّ المَطِىُّ مُعَقَّلا(٥)

والشعر الخامس لا أعرفُهُ.

* * *

(١) المألكة: الرسالة، وتأتكل: تغضب. (٢) أثلتنا: أصلنا، وأطيطُ الإبل: أنينُها.
(٣) الاصطفاق: الاضطراب. (٤) الحصان: العفيفة. وتنصف: تخدم.
(٥) معقلا، من عقلت الإبل إذا شددتها بالعقال.

ولم يَتَغَنَّ معبد فى مدحٍ قَطُّ إلاَّ فى ثَلاثة أشعارٍ، منها ما ذكرنا فى عَرَابَةَ، ومنها قولُ عبد الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ فى عبدِ الله بن جعفر بن أبى طالبٍ:

تَقَدَّتْ بىَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سَوَاءٌ عليها لَيلُها ونهارُهَا

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتٍ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

حمزةُ المُبْتَاعُ بالمالِ الثَّنَا ويَرَى فى بَيْعِه أنْ قد غَبَنْ
وَهْوَ إنْ أَعْطَى عَطاءً كاملا ذا إِخاءٍ لَم يُكدِّرْهُ بمَنْ

ونحنُ ذاكِرُو قِصَصِ هذه الأشعارِ التى جَرَتْ فى عَقِبِ ما وصفنا إن شاء اللهُ.

قال أبو العباسِ: كان عبدُ الله بنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ منقطعًا إلى مُصْعَبِ بن الزبير، وكان كثيرَ المدحِ له، وكان يُقاتِلُ معه، وفيه يقولُ:

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ منَ اللهِ تَجَلَّتْ عن وَجهِه الظَّلْماءُ
مُلْكُه مُلْكُ قُوَّةٍ ليس فيه جَبَرُوتٌ منه ولا كِبْرياءُ
يَتَّقِى اللهَ فى الأُمورِ وقد أفْلَحَ مَن كان هَمَّهُ الاتِّقَاءُ

[قال أبوالعباس[1]]: وله فيه أشعار كثيرةٌ، فلمَّا قُتِلَ مصعبُ [بن الزبير][1] كان عبدُ الملك على قتل عبد الله بن قيس، فَهَرَبَ فلَحقَ بعبد الله بن جعفر، فَشَفَعَ فيه إلى عبد الملك، فَشفَّعَهُ فى أنْ تَرَكَ دَمَهُ، فقال: ويَدْخُلُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين فتَسْمَعَ منه! فأَبَى، فلم يَزَلْ به حتى أجابه، ففى ذلك يقولُ لعبد الله بن جعفرٍ:

أَتيناكَ نُثْنِى بالذى أَنتَ أهلُهُ عليكَ كما أَثْنَى على الأرضِ جارُهَا
تَقدَّتْ بىَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُهَا
تَزُورُ فَتًى قد يَعْلَمُ الناسُ أنه تَجُودُ له كَفٌّ قليلٌ غِرَارُهَا
فَو اللهِ لولا أَنْ تَزُورَ ابنَ جعفرٍ لكانَ قليلا فى دِمَشْقَ قَرارُهَا

---

(١) من س.

والشعرُ الذى مَدَح به عبدَ الملك:

عـادَ لَهُ مِن كَـثـيـرَةَ الطَّرَبُ ... فـعـيـنُهُ بالدمـوعِ تَنْسَكِبُ

وفيها يقول:

مـا نَقَـمُـوا من بنى أُمَـيَّـةَ إلاَّ ... أنهم يَـحْلُمُـونَ إنْ غَـضِـبُـوا
وأَنَّهُـمْ سـادَةُ الملوكِ فـلا ... تَصْلُحُ إلاَّ علـيـهـمُ العَـرَبُ
إن الـفَنـيقَ الـذى أبوه أَبـو العَـ ... ـاصِى عـليـه الوَقَـارُ والحُـجُبُ
خليـفـةُ اللهِ فى رَعِـيَّـتِـه ... جَـفَّتْ بذاكَ الأقْـلامُ والكتُبُ
يَعْـتَـدِلُ التَّـاجُ فـوقَ مَـفْـرِقِـهِ ... علـى جَـبينٍ كـأنَّه الـذَّهَبُ

فقال له عبدُ الملك: أتقولُ لمُصْعَب:

إنَّمـا مُـصْـعَبٌ شِـهـابٌ مِنَ اللهِ ... تَجلَّـتْ عن وجـهـه الظَّلْمـاءُ

وتقولُ لى:

يعتـدلُ التَّـاجُ فـوقَ مَـفْـرِقِـهِ ... علـى جَـبينٍ كـأنَّه الـذَّهَبُ!

* * *

وأما شِعْرُ الشَّمَّاخِ فى عَرَابَةَ فقد ذُكِر فى موضعه بحديثه.

* * *

وأما الشِّعرُ فى حـمزةَ بن عبـد الله بن الزبير فـإنه لموسى شَهَـوَات، وكان موسى قال لمعبد: أقولُ شعراً فى حـمزةَ وتَتَغَنَّى أنتَ به، فما أعطاك من شىءٍ فهو بَيْنَنَا! فقال هذا الشعرَ:

حـمـزةُ المُبْـتـاعُ بالمالِ الـثَّنَا ... ويَرَى فى بـيـعـه أنْ قَـدْ غَـبَنْ
وَهْوَ إنْ أَعْطَـى عطاءً كـامـلاً ... ذا إخـاءٍ لـم يُـكَـدِّرْهُ بـمَـنْ
وإذا مـا سَنَـةٌ مُـجْـحِـفَـةٌ ... بَرَتِ المـالَ كَـبَـرْىِ بـالسَّـفَنْ
حَـسَـرَتْ عـنه نَقِـيًّـا لَونُهُ ... طاهِرَ الأخْـلاقِ مـا فـيـه دَرَنْ

فأعطاه مالا، فقاسَمَهُ موسى.

باب

[لعتبة بن شماس في عمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: قال عُتْبة بن شمَّاس:

إنَّ أوْلَى بالحقِّ في كلِّ حقٍّ	ثم أحْرَى بأن يكونَ حقيقا
مَنْ أبوه عبدُ العزيز بنُ مَرْوا	نَ ومَنْ كان جَدُّه الفارُوقا
رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ	في ذُرَا شاهق يفُوتُ الأنُوقَا

يقولُ هذا الشعرَ في عمرَ بن عبدِ العزيز، وأُمُّ عمرَ أمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطاب، رحمه الله.

والأنوقُ: الرَّخَمَةُ، ولا يقالُ: الأنوقُ إلا للرَّخمةِ الأنثَى. ومن أمثال العرب: «هو أعزُّ من بَيْضَ الأنوق»، وتقول العرب لمن يطلب الأمر العَسير: «سألْتَنِي بَيْضَ الأنوقِ» وذاكَ أنها تبيضُ في رءُوس الجبال، فلا يكادُ يُوجَدُ بَيْضُها، لبُعْدِ مطلَبه وعُسْره. فإن سأله مُحالا قال: «سألْتَني الأَبْلَقَ العَقُوقَ»، وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل، ويقال: فرسٌ عَقوقٌ، إذا حملتْ فامتلأ بطنُها، فالأبلَقُ العَقُوقُ محال.

ويُرْوَى أن رجلا سألَ معاويةَ أمرًا لا يُوجَدَ، فأعلمه ذلك، فسأل أمرًا عَسِرًا بعدَه، فقال معاويةُ:

طلَبَ الأبلَقَ العَقُوقَ فلمَّا	لم يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأنوقِ

وإنما الأبلقُ الذكر من الخيل، يقال: فرس عَقُوقٌ إذا حَمَلت فامتلأ بطنها، فالأبلقُ العَقُوقُ محالٌ.

(لجرير في عمر بن عبد العزيز)

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز:

ما عَدَّ قومٌ كأجداد تعُدُّهُمُ	مَرْوان ذو النور والفارُوقُ والحكَمُ
أَشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ	قادَ البَرِيَّةَ وائْتَمَّتْ به الأُمَمُ
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ النبيِّ له	أن يُمَتَّعُوا بأبِي حَفْصٍ وما ظَلَموا

وفيه يقولُ جريرٌ أيضًا:

يعُـــودُ الْحِلْمُ منكَ على قُـــرَيشٍ وتَفْـــرُجُ عنهـــمُ الكربَ الشِّـــدَادَا
وقــد آمَـنْتَ وحْـشَـــهُـمُ برفْقٍ ويُعْـيِى الناسَ وَحْشُكَ أن يُصَـادَا
[وتبنى المجـدَ يا عـــمـرَ بن ليْلَى وتكفى المـحلَ السَّنَةَ الجـمـادا](1)
وتَدْعُـو اللهَ مـجـتـهـدًا ليَـرْضَى وتَذْكُـــرُ فى رَعِـــيَّـــتِكَ المَعـــادَا
[فمـا كعب بن مامة وابن سـعدى بأجـودَ منك يا عـمـرَ الجـوادا](1)

وقال أيضًا ـ وكان ابنُ سعدِ الأزْدِىُّ قـد تَوَلَّى صَدقات الأعرابِ وأَعْطِيَاتِهم، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ ـ:

إنَ عِـــيـــالى لا فـــوَاكِـــهَ عندَهم وعندَ ابـنِ سَـعْـــد سُكَّـرٌ وزبيبُ
وقد كـان ظَنِّى بابنِ سَعْد سَـعادة ومـا الظنُّ إلاَّ مُـخْطِئٌ ومُـصـيبُ
فـإن تَرْجِـعـوا رِزْقِى إلىَّ فـإنَّه مـــتـــاعُ لَيَـــالٍ والأدَاءُ قَـــريبُ
تَحَنَّى العظامُ الزاحِـفاتُ من البِلَى وليس لـداء الرُّكْـــبـــتين طبـــيبُ

* * *

وقال يرثيه أيضًا:

نَعَى النُّعـاة أمــيـرَ المؤمـنين لنا يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعـتَمَرا
حَمِلْتَ أمرًا جَسِيـما فاصْطبرتَ له وقـمْتَ فـيـه بحقِّ اللهِ يا عُـمَـرَا
فالشـمسُ طالعةٌ لـيستْ بكاسِـفَةٍ تَبْكى عليكَ نجـومَ الليلِ والقَـمَـرَا

قولُه: «يا عـمرَا» نُدْبةٌ، أراد: يا عُمَراه! وإنما الألفُ للنُّدبة وحـدها، والهاءُ تزادُ فى الوقف لخفـاء الألف، فإذا وصَلْتَ لم تَزدْها، تقول: يا عمـرَا ذَا الفضلِ، فإن وقفتَ قلتَ: يا عمَراه، فحذَفَ الهاءَ فى القافية لاستغنائه عنها.

فأما قوله: «نجـومَ الليلِ والقمرا»، ففيه أقاويلُ كلُّها جـيدٌ، فمنها أن تَنْصبَ «نجومَ، والقـمرَ» بقوله: «بكاسـفةٍ»، يقولُ: الشمسُ طالعـةٌ ليست بكاسفـةٍ نجومَ

---

(١) ما بين العلامتين من زيادة ر.

الليلِ والقَمَـرَ، يقولُ: إنما تكسفُ النجومَ والقمـرَ بإفْراط ضيائهـا، فإذا كانت من الحُزْنِ عليه قد ذَهَبَ ضِـياؤُها ظهرت الكواكبُ. ويقال: إن الغُبـارَ يوم حَليمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمس فظهرت الكواكب المتباعـدةُ عن مَطْلعِ الشمسِ، ويومُ حَليمةَ هو اليومُ الذى سافـرَ فيه المُنْذرُ بن المنذر بعَـرَبِ العراق إلى الحارِث الأعرجِ الغَسَّانىِّ، وهو الأكبر، والحـارثُ فى عَرَبَ الشَّأْم وهو أشهر أيام العرب، ومن أمـثالهم فى الأمر الفاشى: «ما يَوْمُ حَليمةَ بِسِرٍّ»، وفيه يقولُ النابغةُ:

تُخُـيِّـرْنَ من أزمـانِ يومِ حَليـمـةٍ   إلى اليوم قد جُـرِّبْنَ كلَّ التَّجَاربِ

وأَظُنُّ قول القـائلِ من العربِ: «لأرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهْـرًا»؛ إنما أُخِذَ من يومِ حليمةَ، قال طَرَفَةُ:

إنْ تُنَـوِّلْه فـقـد تَمنَـعَـه   وتُريهِ الـنَّجْمَ يجْـرِى بـالظُّهُـرْ

وقال الفرزدقُ لخالد بن عبد الله القسْرىِّ:

لَعَمْرِى لقـد سارَ ابْنُ شَيْبَـةَ سِيرَةً   أَرَتْكَ نجـومَ الليـلِ مُظْهِـرَةً تجْـرِى

ويجـوزُ أن يكونَ: «نجومَ الليلِ والقـمرَا» أرادَ بهـما الظرْف، يقـولُ: تبكى الشمسُ علـيكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقـمرِ، كـقولك: تَبْكِى عليك الدهرَ والشَّـهْرَ، وتبكى عـليك اللـيلَ والنهارَ، يا فـتى. ويكونُ: تُبْكى عليـك الشمس النجـومَ، كقولك: أبْكَيْتُ زيدًا على فلانٍ لمَا رأيتُ به.

وقد قال فى هذا المعنى أَحَدُ المُحَدثينَ شيـئًا مليحًا، وهو أحمد أخو أَشْجَعَ السُّلَمِّى، يقوله لنَصْـرِ بن شَبَث العُقَيْلىِّ، وكـان أوقعَ بقومٍ مِنْ بنى تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّوَاجِيرِ، وهو أشبهُ بالشِّعْرِ، قال:

للهِ سَـيْفٌ فى يَـدى نَصْـرِ   فى حَـدِّه مـاءُ الـرَّدَى يجْـرِى
أَوْقَعَ نَصْـرٌ بالسَّـوَاجِـيـرِ مَـا   لم يُوقِـعِ الجَـحَّـافُ بالبِـشْـرِ
أَبْـكى بَـنِـى بكْـر علـى تَـغْـلِـبٍ   وتَـغْـلِـبًـا أَبْـكى علـى بكْـرِ

ويكون: «تبكى عليك نجـومُ الليلِ والقَمَر»، على أن تكـون الواوُ فى معنى «مع»، وإذا كانت كذلك فكانَ قبلَ الاسم الذى يليه أو بعدَه فعلٌ انتصب لأنه فى المعنى مفعول وَصَلَ الفعلُ إليه فنَصَبَـه. ونظيرُ ذلك: «اسْتَوَى الماءُ والخَشَبَة» لأنك

لم تُرِدْ استوى الماءُ واستوت الخشبةُ، ولو أردتَ ذلك لم يكن إلا الرفعُ، ولكنَّ التقديرَ: ساوى الماء الخشبةَ، وكذلك «مازلْتُ أسيرُ والنِّيلَ» يا فتى؛ لأنك لستَ تخبرُ عن النيِّلِ بسير، وإنما تريدُ أنَّ سَيْرَك بحذائه ومعه، فوصَلَ الفعلُ. وهذا بابٌ يطولُ شرحُه. فإن قلتَ: «عبدُ الله وزيدٌ أخَوَاك» وأنت تريدُ بالواو معنى «مع»، لم يكن إلاَّ الرفعُ، لأن قبلَها اسمًا مبتدأ، فهى على موضعه.

وأجْوَدُ التفسير عندنا فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وشُرَكَاءَكُم﴾[1] أن تكونَ الواوُ فى معنى «مع»، لأنك تقولُ: أَجْمَعْتُ رأيِى وأمرِى، وجَمَعْتُ القومَ، فهذا هو الوجهُ. وقومٌ ينصبونه على دخوله بالشَّرْكةِ مع اللام فى معنى الأوَّل، والمعنى الاستعدادُ بهما، فيجعلونه كقولِ القائلِ:

يا ليتَ زَوْجَك قد غَدَا ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحًا

والرمحُ لا يُتَقَلَّدُ، ولكنْ أدخلَه مع ما يُتَقَلَّدُ، فتقديرُه: «متقلدًا سيفًا وحاملا رمحًا»، ويكون تقديرُ الآيةِ: فأَجْمِعُوا أمركم وأعِدُّوا شركاءَكم، والمعنى يَئُولُ إلى أمرٍ واحدٍ. ومن ذلك قولُه:

* شَرَّابُ أَلْبَانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ *

فأمَّا ما جاء فى القرآن على هذا خاصةً، فقوله جلَّ وعزَّ: ﴿واللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ منْ مَاءٍ فمنهم مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنه ومنهم مَنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ ومنهم مَنْ يَمْشِى على أَرْبَعٍ﴾[2] فأدخلَ «مَنْ» هاهُنا؛ لأن الناسَ مع هذه الأشياءِ، فجرَتْ على لفظٍ واحدٍ، ولا تكون «مَنْ» إلاَّ لمن يَعْقِلُ إذا أفْرَدتَها.

(الرجل يشكو إلى عمر بن عبد العزيز عماله)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمَّالَهُ:

إنَّ الذينَ أَمَرْتَهُمْ أن يَعْدِلُوا ... نَبَذُوا كتَابَكَ واسْتُحِلَّ المُحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِىَ الأمانَةَ منهمُ ... بَرٌّ وهيهاتَ الأَبَرُّ المُسْلِمُ
طُلْسُ الثِّيابِ على مَنابرِ أَرْضِنَا ... كلٌّ بِنَقْصِ نَصيبنا يتكَلَّمُ

أنشدنيه الرِّيَاشِىُّ عن الأصمعىِّ.

(١) سورة يونس ٧١. (٢) سورة النور ٤٥.

ونظيرُ هذا قولُ ابن هَمَّامٍ السَّلُولى:

إذا نَصَبـوا للقول قـالوا فأحْـسَنُوا ... ولكنَّ حُسْنَ القـول خالَفَـهُ الفعلُ
وذَمُّـوا لنا الدنيا وهم يَرْضَـعُونَهـا ... أفـاويقَ حَـتَّى مـا يَدِرُّ لهـا ثُيْلُ

وقد مَرَّ تفسـيرُ هذا الشعر، والأطْلَسُ: الأغْبَرُ، وربَّما اشتَّـدتْ غُبْرتُهُ حتى يَخْفَى في الغُبَار، وإنما أراد بقوله: «طُلسُ الثياب» أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا، ويكونُ أن يكونَ جَعَلَهم بمنزلة الذئب، وهو أحسن.

(عمر بن الخطاب مع أحد ولاته)

ويُرْوَى أنَّ عمرَ بن الخطاب رحـمه الله ولَّى رجلا بلدًا، فوَفَدَ عليـه، فجاءهُ مُدَّهِنًا حـسنَ الحال فى جـسمـه، عليه بُرْدَان، فـقال له عمـرُ: أهكذا ولَّيْناكَ! ثم عزلَهُ، ودَفعَ إليه غُنَيْمَات يرعاها، ثم دَعَـا به بعدَ مُدَّة، فرآه باليًا أشْعَثَ فى ثوبين أطْلَسَيْنِ، وذُكِرَ عندَ عـمرَ بخير، فردَّه إلى عـمله، وقال: كلُوا واشربوا وادَّهِنُوا، فإنكم تَعْلَمُونَ الذى تُنْهَوْنَ عنه.

* * *

ويُرْوَى عن الحسن أنه قال: اقْرَبُوا من هذه الأعواد[١]، فإنهم إذا رَقُوهَا لُقِّنُوا الحكْمَةَ، لتكون عليهم حجةً يومَ القيامة.

(لرجل يرثى عمر بن عبد العزيز)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثيه، أنشدنيه الرِّيَاشيُّ:

قد غَـيَّبَ الدافنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا ... بدَيْرِ سَـمْعانَ قِـسْطَاسَ الموازين[٢]
مَنْ لَم يكن هَمُّـهُ عـينًا يُفَـجِّـرُهَا ... ولا النخـيلَ ولا رَكْـضَ البَـرَاذين
أقـولُ لَمَّـا أتاني ثَـمَّ مَـهْـلَكهُ ... لا يَبْـعـدَنَّ قِـوَامُ المُـلْك والدِّينَ

يقالُ: هذا قِوَامُ الأمر وملاكُهُ لا غيرُ، وتقولُ: فلانٌ حَسَنُ القَوام، مفتوحٌ، تُرِيدُ بذلك الشَّطَاطَ[٣]، لا يكونُ إلاَّ ذاكَ، وقِوَام إذَا كان اسـمًا لم تنقلب واوُه ياءً

(١) الأعواد هنا: المنابر.
(٢) دير سمعان: بلد بنواحى دمشق.
(٣) الشطاط: حسن القوام.

من أجل الكسرة، لأنها متحركة، إلاَّ أن يكونَ جمعًا قد كانت الواوُ فى واحده ساكنةً، فتنقلبُ فى الجمع، لأن حركتَها لعلة، تقولُ: سَوْطٌ وسياطٌ وثوبٌ وثِيابٌ وحَوْضٌ وحِياضٌ، فإن كانت الواوُ فى الواحد متحركةً ثَبَتَتْ فى الجمع، نحو طويلٍ وطِوال، وكذلك «فِعالٌ» إذا كانَ مصدرًا صَحَّ إذا صحَّ فعلُه، واعْتَلَّ إذا اعْتَلَّ فعلُه، فما كانَ مصدرًا لـ «فاعَلْتَ» فهو «فِعَالٌ» صحيحٌ، تقولُ: قَاوَلْتُهُ قِوَالا، ولاَوَذْتُه لِوَاذًا، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾[1]، أى مُلاَوَذَةً، وإذا كانَ مصدرَ «فَعَلْتُ» اعْتَلَّ لاعتلال الفعل فقلتَ: قمتُ قِيامًا، ونمتُ نِيامًا، ولُذْتُ لِيَاذًا، وعُذْتُ عِيَاذًا.

[عويف القوافى يرثى سليمان بن عبد الملك]

وقال عُوَيْفُ القوافى شعرًا، يَرْثى سليمانَ بن عبد الملك، ويذكر عمرَ بن عبد العزيز، هذا ما اخترنا منه:

لاحَ سحابٌ فرأَيْنا بَرْقَهُ ... ثم تَدَانَى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ
وراحت الرِّيحُ تُزَجِّى بُلْقَهُ ... ودُهْمَهُ ثم تُزَجِّى وُرْقَهُ
ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ ... قَبْرَ امْرِئٍ أَعْظَمَ ربِّى حَقَّهُ
قبر سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهُ ... وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ
فى العالَمين جِلَّهُ ودِقَّهُ ... لَمَّا ابتلَى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهُ
وكادت النفسُ تُساوى حَلْقَهُ ... أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ
يا عمرَ الخيرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ ... سُمِّيتَ بالفاروقِ فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيالَ المسلمين رَزْقَهُ ... واقْصِدْ إلى الخيرِ ولا تُوَقَّهُ
بحرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ ... ربُّكَ، والمحرومُ من لَمْ يُسْقَهُ

يقالُ: لاَحَ البرقُ، إذا بَدَا، وأَلاَحَ إذا تلألأ، وهذا البيت يُنْشَدُ:

* مَنْ هَاجَهُ الليلةَ بَرْقٌ أَلاَحْ *

ويقالُ: شَرَقَت الشمسُ، إذا بَدَتْ، وأَشْرَقَت إذا أضاءتْ وصَفَتْ.

ويقالُ: صاعقةٌ وصاقعةٌ، وبنو تَميم تقولُ: صاقعةٌ، والصَّعْقُ شِدَّةُ الرَّعْد، ويعنَى فى أكثرِ ذلكَ ما يَعْتَرِى مَنْ يسمعُ صوتَ الصاعقةِ.

---

(1) سورة النور ٦٣

وقوله: «تُزَجِّى» يقول: تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ.

والأَبْلَقُ من السحاب: ما فيه سوادٌ وبياضٌ، وفى الخيل: كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو بَلَقٌ.

والأَوْرَقُ: الذى بين الخُضْرَةِ والسَّوادِ، وهو أَلأَمُ ألوانِ الإبلِ، ويقال: إن لحم البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمَانِ الإبلِ.

والوَدْقُ: المطرُ، يقال: ودَقَت السماءُ يَا فتى، تدقُ وَدْقًا، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فترَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خلالِه﴾(1)، وقال عامرُ بن جُوَيْنٍ الطائىُّ:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ ودَقْهَا ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَهَا

وأصلُ العَقِّ القطعُ فى هذا الموضع، وللْعَقِّ مواضعُ كثيرة، يقال: عَقَّ والديه يَعُقُّهما إذا قَطَعهما، وعَقَقْتُ عن الصبى(2) مِنْ هذا، وقالوا: بل هو من العَقِيقَة وهى الشَّعَرُ الذى يولَدُ الصبىُّ به، يقال: فلان بعَقيقته إذا كان بشعر الصِّبَا لم يَحْلقْهُ، ويقال: سيفٌ كأنَّهُ عَقيقة، أى كأنَّه لَمعَةَ بَرْقٍ، يقال: رأيتُ عَقيقَةَ البَرْقِ يا فتى، أى اللَّمْعَةَ منه فى السحاب، ويقال: فلانٌ عُقَّتْ تميمَتُهُ ببلَد كذا، أى قُطِعَتْ عنه فى ذلك الموضع، قال الشاعرُ:

ألم تَعْلَمى يا دَارَ بَلْجَاءَ أَنَّنى إذا أَخْصَبَتْ أو كان جَدْبًا جَنَابُهَا
أَحَبَّ بلاد الله ما بين مُشْرِف إلىَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُهَا
بلادٌ بها عَقَّ الشَّبابُ تميمَتِى وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلدى تُرَابُهَا

وقوله:

* وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ *

يقال: بَقَّ فلانٌ فى الناس خيرًا كثيرًا، وبقَّ ولدًا كثيرًا، وأَبَقَّ كلامًا كثيرًا.

وقوله:

* أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ *

فهذا مثلٌ، يريد: قلَّدَهُ أمره، والوَسْقُ الحِمْلُ.

---

(1) سورة النور 43 .

(2) أى ذبحت عنه عقيقة.

وقوله: المَلقّى وَفْقـهُ، يقال: لُقِّيَ فلانٌ خيرًا، أى جُـعِلَ يَلْقاهُ، والوَسَقْ من الكيل: مقدارُ خمسة أَقفزة بقَفِيزِ البصرةِ، وهو قفيزَانِ ونصفُ بقفيز مدينة السَّلامِ.

وقوله: «ليـس فى أَقَلَّ من خمسـةِ أَوْسُقٍ صَدَقَـةٌ» إنَّمَا مـبلغ ذلك خمـسة وعشرون قفيزًا بالبصرى، والوَفْق: التوفيقُ.

وقـوله: «سـمِّيتَ بـالفاروقِ» فـتـأويلُ الفـاروقِ هو الذى يَفْـرِقُ بين الحقِّ والباطلِ، وكـذلك قال المفـسرون فى «الفُـرْقان»، وقـد أبانَ ذلك بقوله: «فـافْرُقْ فَرْقَهُ».

وقولُه:

* وارْزُقْ عيالَ المسلمينَ رَزْقَهُ *

يقال: رَزْقَه يرزُقُهُ رَزْقًا، والاسم الرِّزْقُ.

وقولُه:

* بَحرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ *

مقلوبٌ، إنما هو مـا أَقَعَّهُ ربُّكَ. يقال: ماءٌ قُـعَاعٌ، وماءٌ حُرَاقٌ، فـالقَعاعُ: الشديدُ الملوحة، يقولُ: ما أَمْلَحَه ربُّك، والحُرَاقُ: الذى يُحْرِقُ كلَّ شىء بمُلوحَته، والماء الـعذبُ يقـالُ له: النُّقَـاخُ، وما دونَ ذلك شيئًا يقـالُ له: المَسُوسُ. أنشـد أبو عُبيدةَ:

لـو كُنْـتَ مـــــاءً كنتَ لا عَـذْبَ المَذَاقِ ولا مَـسُـوسَـا

يقالُ: ماءٌ عذبٌ، وماءٌ فُـراتٌ، وهو أَعْذَبُ العذبِ، ويقال: ماءٌ مِلْح، ولا يقـالُ: مَـالِحٌ، وسَمَكٌ مَـمْلوحٌ ومَلِـيحٌ، ولا يقالُ: مـالِحٌ، وأشـدُّ الماء ملوحـةً الأُجَاجُ، قال الفَرَزْدَقُ:

ولو أَسْـقَـيْتَـهُمْ عَـسَلا مُـصَـفًّى بماء الـنيِّلِ أو مـــاءِ الـفُـــرَاتِ
لقـــالـوا إنـه مِـلْـحٌ أُجَـــاجٌ أرادَ به لَـنَا إحْـــــدَى الـهَنَـاتِ

وقوله:

* ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ *

يقالُ فيه قولان: أحدهما: فَرَوَّى الغَيْمُ وَدْقَه هذا القبرَ، يريدُ: منْ وَدْقه، فلمَّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ عَمِلَ الفعْل. والآخرُ كقولك: «رَوَّيْتُ زيداً ماءً»، وروى أكثرُ من أَرْوَى، لأن «رَوَّى» لا يكونُ إلا مَرَّةً بعدَ مرةٍ، يقولُ: «فروَّى اللهُ وَدْقَه» أى جَعَله رِوَاءً، فأضمرَ لعلمِ المخاطَب، لأنَّ قوله: «لاَحَ سحابٌ»، إنما معناه. ألاَحَهُ الله، فالفاعلُ كالمذكور، لأن المعنَى عليه، ونظيره قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[1] ولم يَذكر الشمس، وكذلك: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[2] ولم يَذكر الأرضَ، وقال قومٌ: وَدْقَهُ، يريد وَدْقَةً واحدةً، وهذا رَدِيءٌ فى المعنَى، ليس بمُبَالِغٍ.

[لإسحاق بن إبراهيم الموصلى]

قال ابن الموصلى:

لَعَمرى لئنْ حُلِّئْتُ عن مَنْهَلِ الصِّبَا	لقد كنْتُ وَرَّاداً لمَنْهَلِه العَذْبِ
ليَالِىَ أَمْشى بين بُرْدَى لاهِياً	أَميسُ كغُصْنِ البانَة النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سَيْرِ القلاَصِ مع الرَّكْبِ	ووَصْلِ الغَوَانى والمُدامَةِ والشَّرْبِ
سلامُ امْرِئٍ لم تَبْقَ منه بَقيَّةٌ	سِوَى نَظَرِ العينين أو شَهْوَةِ القلبِ

قوله: «والشَّرْبِ»، يريد جمعَ شاربٍ، يقال: شاربٌ وشَرْبٌ، وراكبٌ وركْبٌ، وتاجرٌ وتَجْرٌ، وزائرٌ وزَوْرٌ، قال الطِّرِمَّاحُ:

حَبٌ بالزَّوْرِ الذى لا يُرَى	منه إلاَّ صَفْحَةٌ عن لمام

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ، قال العَجَّاجُ:

بِوَاسِطٍ أكْرَمُ دَارٍ دَارَا	واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأنصارَا

يريد أنصارك، فأخرجه على «ناصرٍ ونَصْرٍ».

وقوله: «سلامُ امْرِئٍ» على البدل من قوله: «سلامٌ على سَيْرِ القلاص» وإن شئت نصبتَ بفعلٍ مضمرٍ، كأنك قلتَ: اسلِّمُ سَلاَمَ امْرِىءٍ، لأنك ذكرت سلاماً

(١) سورة ص٣٢

(٢) سورة فاطر ٤٥.

أولا، ومَثَلُ ذلك: له صوْتٌ صوت حمار، لأنك لَمَّا قلتَ: «له صوتٌ» دللتَ على أنه يُصَوِّتُ، كأنك قلت: يصوِّتُ صَوْتَ حمارٍ، وكذلك: «له حَنِينٌ حَنِينَ ثَكْلَى»و:

* له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ *

أى: يَصْرِفُ صَرِيفًا، فما كان من هذا نكرةً فنَصْبُه على وجهين: على المصدر، وتقديرُه: يَصْرِفُ صريفًا مثلَ صريفِ جَملٍ، وإن شئتَ جعلتَه حالا، وتقديره: يُخْرِجُه فى هذه الحال. وما كان معرفةً لم يكن حالا ولكن على المصدر، فإن كان الأولُ فى غير معنى الفعلِ لم يكن النصبُ ألبَتَّة ولمْ يصلُح إلاَّ الرفعُ على البدل، تقول: له رأسٌ رأسُ ثورٍ، وله كفٌّ كفُّ أَسد، فالمرتفعُ الثانى إذا كان نكرةً كان بدلا أو نعتًا، وإذا كان معرفةً كان بدلا ولم يكن نعتًا، لأن النكرةَ لا تنْعَتُ بالمعرفة، وكذلك إذا كان الأوَّلُ ابتداء لم يجزْ إلاَّ الرَّفعُ، لأن الكلامَ غيرُ مُستَغْنٍ؛ وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء، تَقول: صوته صوتُ الحمار، وغناؤُه غنَاءُ المجيدين، وكذلك إن خَبَّرْت بأمرٍ مُستَقرٍّ فيه اختيرَ الرَّفع، تقول: له علْم عَلْمُ الفقهاء، وله رأىٌ رأىُ القضاة؛ لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرَّ له، وليس الأبلغُ فى مدحه أن تخبر بأنك رأيتَه فى حال تَعَلُّمٍ، ويجوز النصبُ على أنك رأيتَه فى حال تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه فهذا يَصْلُحُ، والأجودُ الرفعُ، فإذا قلتَ: «له صوتٌ صوتَ حمارٍ»، فإنما خَبَّرتَ أنه يُصَوِّتُ، فهذا سوى تلك المعنى.

ومِمَّا يُختارُ فيه الرفعُ قولك: عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحمام، وإنما اختيرَ الرفعُ؛ لأنَّ الهاءَ فى «عليه» اسمُ المفعول له، والهاءَ فى «له» اسمُ الفاعل، ويجوز النصبُ على أنك إذا قلتَ: عليه نَوْحٌ دَلَّ النَّوْحُ على أن معه نائحًا، فكأنك قلتَ: يَنُوحون نَوْحَ الحمامِ، فهذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبواب.

[لابن الخياط المدنى]

وقال ابنُ الْخَيَّاط المَدِينىُّ، يعنى مالكَ بنَ أَنسٍ:

يَأْبَى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً ... والسائلون نَوَاكسُ الأذْقَانِ
هَدْىُ التَّقِىِّ وعِزُّ سُلْطانِ النُّهَى ... فهو العزيزُ وليس ذا سلْطانِ

أراد: له هدىُ التَّقِىِّ، أو معه هدىُ التَّقِىِّ.

باب

قال أبو العباس: نَذْكُرُ في هذا الباب من كل شيء شيئًا، ليكونَ فيه استراحةٌ للقارئ، وانتقالٌ يَنْفِي المَلَلَ؛ لِحُسْنِ[1] مَوْقِعِ الاستطراف، ونَخْلِطُ ما فيه من الجِدِّ بشَيْءٍ يسيرٍ من الهزْلِ، ليستريحَ إليه القلبُ، وتَسْكُن إليه النفسُ.

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

قال أبو الدَّرْداء رحمه الله: إنى لأَسْتَجِمُّ نفسى[2] بشىءٍ[3] من الباطلِ ليكونَ أقْوى على الحقِّ.

وقال عليٌّ بن أبى طالبٍ رحمه الله: القَلْبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ.

وقال ابنُ مسعودٍ[4] رحمه الله: القلوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ فابتغوا لها طَرَائفَ الحِكْمَةِ.

وقال ابنُ عباسٍ رضى الله عنه: العلْمُ أكثرُ من أنْ يُؤْتَى على آخِرِه، فخذوا[5] من كل شَيْءٍ أَحْسَنَهُ.

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذى ذكرنا. ولكن نذكر الشيء بالشيء، إمَّا لاجتماعهما فى لفْظٍ، وإمَّا لاشتراكهما فى معنى.

وقال الحسنُ - وليس من هذا الباب -: حادثُوا هذه القلوبَ، فإنها سَريعةُ الدُّثُورِ، واقْدعُوا هذه الأنفُسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنكم إلاَّ تَزَعُوها تَنْزِع بكم إلى شَرِّ غاية، وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ.

وقال أرْدَشيرُ بن بَابَك: إن لِلآذَانِ مَجَّةً، وللقلوب مَلَلاً، فَفَرِّقُوا بين الحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذلك استِجْمَامًا.

وكان أَنُوشَرْوان يقول: القلوبُ تحتاجُ إلى أقواتِها من الحِكْمَةِ كاحتياجِ الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذَاءِ.

---

(١) س: «بحسن».

(٢) أستجم نفسى، يريد أريحها، وأصله فى البئر؛ تترك بعد الاستقاء ليتراجع ماؤها.

(٣) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «الشيء».

(٤) س: «عبد الله بن مسعود».

(٥) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «فخذ».

ويُرْوَى أنه أصيبَ فـي حكْمَة آل داود[1] : لا ينبغي للعاقـل أن يُخْليَ نفسَه من واحدة من أربعٍ: من عُدَّة[2] لمعَاد، أو إصلاحٍ[3] لمَعاش، أو فكْرٍ يَقف به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسدُه، أو لَذَّةٍ في غيرِ مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالاَتِ الثلاث.

* * *

وقال عـبدُ الله بن عـمرَ بن عـبد العـزيز لأبيه يومًـا: يا أَبَة، إنك تنامُ نومَ القائلة، وذو الحاجة على بابكَ غيرُ نائمٍ؟ فـقال له: يابُنَيَّ، إنَّ نفسى مَطِيَّتِى، فإن حَمَلْتُ عليها فى التَّعَبِ حَسَرْتُها.

تأويلُ قوله: «حَسَرْتُها»: بَلَغْتُ بها أقـصى غاية الإعْيَاء، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[4]. وأَنْشَدَ أبو عُبيدةَ:

إنَّ العَـسِيـرَ بهـا دَالاَ مُـخَامِـرُهَا ... فَـشَطْرَهَا نَظَرُ العَـيْنَيْنِ مَـحسُـورُ

قوله: «فَـشَطْرَهَا» يريد قَصْدَهَا ونحوَها، قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[5] [و][6] قال الشاعر[7] :

لهُنَّ الوَجا لِمْ كنَّ عَوْنًا على النوَى ... ولا زالَ منهـا ظالِعٌ وحَـسِـيـرُ

يعنْى الإبلَ، يقول: هى المُفَرِّقَةُ، كما قال الآخَرُ:

مـا فَـــرَّقَ الآلاَّفَ بَـعْـــ ... ـــدَ الله إلاَّ الإِبِـــــلُ
ولا إذا صـــاحَ غُـــــرَا ... بٌ فى الـديارِ احْـتَـمَـلوا
ومـا غُـــرابُ البَـيْنِ إلاَّ ... نـاقــــةٌ أو جَــمَـلُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى فيه غيرُ أبى العباسِ:

---

(1) كذا فى الأصل، س، وفى ر : «داءد» بالهمزة والأوجه ما أثبتناه.
(2) ر: «غدو»، وما أثبته عن ر والأصل.
(3) س: «صلاح».
(4) سورة الملك ٤.
(5) سورة البقرة: ١٤٤
(6) من س.
(7) هو جميل بن معمر العذرى، قاله المرصفى.

والنـاسُ يَلْـحـــــونَ غُـــــرا ... بَ البَـــــيْنِ لَمَّا جَـــــهِلُوا
والبـــــائِسُ المسكينُ مَـــــا ... يُطْوَى عـليــــــه الرَّحَـلُ

ويقال: إنه لأبى الشيصِ].

* * *

فمن قال: «آلفٌ» للواحد قال للجميع[1] «أُلاَّفٌ» كعاملٍ وعُمَّال، وشارب وشُرَّاب، وجاهلٍ وجُهَّال. ومن قال للواحد: إِلْفٌ. قال للجميع: آلاَفٌ، وتقديرهُ: عِدْلٌ وأعْدالٌ، وحِمْلٌ وأحْمَالٌ. وثِقْلٌ وأَثقالٌ.

[فى وصف الإبل]

وقد أنصفَ الإبلَ الذى يقولُ:

أَلاَ فَـــــرعَى اللهُ الـرَّوَاحِلَ إنمـا ... مَطَايا قلوبِ العـاشقِـينَ الرَّوَاحِلُ
على أنهنَّ الواصـلاتُ عُرَى النَّوَى ... إذا مــا نَأَى بالآلفِـينَ التَّــوَاصُلُ

وقال الآخر:

أقـولُ والهَوْجَـاءُ تمْشِى والفُـضُل: ... قطعَـتِ الأحْـداجُ أعنـاقَ الإبلْ

الهَوْجَاءُ: التى تُجِدُّ فى السَّيْر وتَرْكَبُ رأسَها، كأن بها هَوْجًا.

كما قال:

* لله دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهَوْجِ *

وكما قال الأعشى:

وفـيهـا إذا ما هَجَّـرَتْ عَجْـرَفِيَّـةٌ ... إذا خِلْتَ حِـرْباءَ الوَدِيقـةِ أصيَـدَا

والفُضلُ: مشْيةٌ فيها اختيالٌ، كأنَّ مـشْيَتَها تَخْرُجُ عن خطامها فتَفْضُلُ عليه، والأصلُ فى ذلك أن يمشىَ الرجلُ وقد أفْضَـلَ منْ إزاره، وتمشى المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيْلها، وإنما يُفعلُ ذلك من الخُيَلاء، ولذلك جاء فى الحديث: «فَضْلُ الإزارِ فى النارِ»، وقـال رسـول الله ﷺ لأبى تَميمةَ الهُجَيْمىِّ: «وإيـَّاكَ والمَخِيلَةَ»[2]، فقال: يا رسول اللهِ، نحن قومٌ عَرَب، فما المَخيلَةُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «سَبَلُ الإزارِ».

---

(1) كذا فى س، وفى الأصل، س: «قال آلاف». (2) المخيلة: الكبر والعجب والخيلاء.

وقال الشاعر[1] :

ولا ينسينىَ الحَدَثَان عِرضِى ... ولا أُرْخِى من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيس بن الأَسْلَت الأَنصارىُّ:

تَمْشِى الهُوَينى إذا مَشَتْ قُطُفًا[2] ... كأنَّهَا عُودُ بانَةٍ قَصِفُ

* * *

[قال أبو الحسن: هذا وهم من أبى العباس، ما تروى إلاَّ لقيس بن الخطيم الأنصارىِّ].

* * *

وقال الوَليدُ بن يزيد:

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخِراً ... أُنْعِمُ بَالِى وَأَتْبَعُ الغَزَلاَ[3]

أَنْقُلُ رِجْلِى إلى مَجالِسِها ... ولاَ أُبالِى مَقَال مَنْ عَذَلاَ

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ يُسْتَضَاءُ بها ... تمشى الهُوَيْنَى إذا مَشتْ فُضُلاَ

* * *

ثم نعود إلى الباب، قال الراجزُ يصف إبلا أو نوقا[4] :

إِنَّ لها لَسَائِقًا خَدَلَّجَا ... لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أَدْلَجَا

الخَدَلَّجُ: المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ: وإنما عَنَى المرأة التى ساقه حُبُّه إليها.

[ضروب الكلام]

والكلامُ يجرى على ضروبٍ، فمنه ما يكونُ فى الأصل لنفسِهِ، ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يَقَعُ مَثَلاً، فيكونُ أبلَغَ فى الوصفِ.

---

(١) زيادات ر: «ويقال إنه لقيس بن الخطيم».

(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «فضلا».

(٣) كذا فى الأصل، وفى ر، س: قال على بن سليمان: ما نعرف هذا البيت إلا لقيس بن الخطيم الأنصارى، يعنى: «تمشى الهوينى».

(٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «يعنى إبله أو ناقته».

والكنايةُ تَقعُ على ثلاثةِ أَضْرُبٍ:

أحدها: التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِية، كقول النابغةِ الجَعْدىِّ:

أَكْنى بغـيرِ اسـمِهَا وقـد عَلِمَ اللهُ خَـفِـيَّـاتِ كلِّ مُكْتَـتِـمِ[1]

وقال ذو الرُّمَّة، استراحةً إلى التصريح من الكناية:

أُحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أجْلِ أَنَّنى به أَتَغَنَّى باسـمِها غـيرَ مُعْجَمِ

وقال أحدُ القرشيين[2]:

وقد أَرْسَلَتْ فى السرِّ أَنْ قـد فَضَحْتِنى وقد بُحْتَ باسمى فى النَّسيبِ وما تَكْنِى

ويُرْوَى أن عمرَ بن عبد الله بن أبى ربيعةَ قال شعراً، وكتب به إلى امرأةٍ مُحرِمَةٍ[3] بحضرة ابن أبى عتيق، وهو:

أَلِمَّـا بِذَات الخَـال فـاسْتَطْلِعَـا لَنَا على العَـهْدِ بَاقٍ وُدهَا أَمْ تَصَـرَّمَا
وَقُـولاَ لهَـا إِنَّ النَّـوَى أَجْنَبِـيَّـةٌ بِنَا وبِكُمْ قـد خِفْـتُ أَنْ تتيَـمَّـمَا

قال: فقـال له ابنُ أبى عتيقٍ: ماذا تُرِيدُ إلى امـرأة مسلمة[4] مُحْرِمة تكتُبُ إليها بمثل هذا الشعر! قال: فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ قال له ابنُ أبى ربيعةَ.

أعلمت[5] أنَّ الجوابَ جاء[6] من عندِ ذاك الإنسان؟ فقال له: ما هو؟ فقال: كَتَبَتْ:

أَضْحَى قَرِيضُك بالهَوَى نَـمَّامَـا فـاقصدْ هُدِيتَ وكـنْ له كتَّـامَـا
واعْلَمْ بـأَنَّ الخَـال حين ذَكَـرتَهُ قَـعَـدَ العَـدُوُّ به عليكَ وقَـامَـا

ويكونُ من الكناية - وذاك أحسنها - الرغبةُ عن اللفظ الخسيسِ المُفْحشِ إلى ما يدلُّ على معناه من غيرِه، قال اللهُ ـ وله المَثَلُ الأعلى: ﴿أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصِّيامِ

(١) ر «مكتتم» بفتح التاءين.
(٢) زيادات ر «هو محمد بن نمير الثقفى».
(٣) ر: «وكتب به بحضرة ابن أبى عتيق إلى امرأة محرمة».
(٤) كلمة «مسلمة» ساقطة من س.
(٥) كذا فى الأصل، ص، وفى س: «أما علمت».
(٦) كذا فى الأصل، وفى س: «قد جاء»، وفى ر: «جاءنا».

الرَّفَثُ إلى نسائكم﴾[1] وقال: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النسَاءَ﴾[2] والمُلاَمَسَةَ في قول أهلِ المدينة - مالك وأصحابه - غيرَ كناية، إنما هو اللَّمْسُ بعينه، يقولونَ في الرجلِ تقَعُ يدهُ على امرأته أو على جاريته بشهوةٍ[3] : إنَّ وضوءَه قد انْتَقَضَ.

وكذلك قولُهم في قضاء الحاجة: جاء فلانٌ من الغائط، وإنما الغائط الوادي، وكذلك المرأةُ، قال عمرُو بن مَعْدِي كَرِب الزُّبَيْدِيُّ:

فكَمْ مِنْ غائطٍ من دُون سَلْمَى ... قَلِيلِ الإِنْسِ ليس به كَتِيعُ

وقال الله جلَّ وعزَّ في المسيحِ ابنِ مريمَ وأمِّهُ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[4] . وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة. وقال: ﴿وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ علينَا﴾[5] ، وإنما هي كنايةٌ عن الفُروج. ومِثْل هذا كثيرٌ.

والضربُ الثالثُ من الكناية: التفخيمُ والتعظيمُ، ومنه اشْتُقَّتْ «الكُنْيَةُ» وهو أن يُعَظَّمَ الرجل أَنْ يُدْعَى باسمه، ووقَعَتْ في الكلام على ضربين: وقعتْ في الصَّبيِّ على جهة التَّفَاؤُل: بأن يكون له ولدٌ ويُدْعَى بولده كنايةً عن اسمه، وفي الكبير أَنْ يُنادَى باسم ولده صيانَةً لاسمِه، وإنما يقال: كُنِيَ عن كذا بكذا، أي تُرِكَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا.

وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ لعنه الله يَلْعَنُ عليًّا رضى الله عنه على المنبرِ فيقول: فَعَلَ اللهُ عَلَى علي بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشِم بن عبد منافٍ ابنِ عَمِّ رسول الله ﷺ وزوجِ ابنته فاطمةَ وأبي الحسنِ والحسين. ثم يُقْبِلُ على النَّاسِ ويقولُ: أَكَنَيْتُ! فهذا تأويلُ هذا.

[لأعرابي]

ونرجعُ إلى الباب الذي قَصَدْنَا له:

وقال أعرابيٌّ:

وحُقَّة مِسْكٍ من نساءٍ لبِسْتُها ... شَبَابي وكأْس باكَرَتْنِي شَمولُها[6]

(١) سورة البقرة: ١٨٧.
(٢) سورة النساء ٤٣.
(٣) ر : «بشهوة» .
(٤) سورة المائدة ٧.
(٥) سورة فصلت. ٣١.
(٦) حقة مسك هنا، كناية عن المرأة.

جـدَيدَةَ سِـرْبال الشَّبـاب كَـأَنَّهـا أَباءَةُ بَرْدىٍّ سـقَـتْـهـا غُـيـولُهـا
مُحَـمَّلَةَ بَاللَّحْمِ مِنْ دُونِ خَـصْرِهَا تَطولُ القِـصـارَ والطِّوالُ تطُولُهـا

قوله: «باكَرَتْنى شَمولها»، زعمَ الأصمـعىُّ أَنَّ الخمر إنما سُميت شمولا؛ لأن لها عصفةً كعصفة الرِّيح الشَّمال.

وقوله: «أَبَاءَةُ بَرْدىٍّ»، الأَبَاءَةُ: القَصبَةُ، وجمعُها الأَباءُ. يافتى[1].

قال كعبُ بن مالك الأنصارىُّ:

مَنْ سـرَّه ضَـرْبٌ يُرَعْـبِلُ بعـضُـهُ بعضًـا كَمَعْـمَعَـة الأباءِ المُحْرَقِ[2]

المَعْمَـعَةُ: صوتُ إحْراقه، يقـال: سمعتُ معـمعةَ القَصَب. والقَـوْصَرَّة فى النار، أى صوتَ احتراقها.

وإنما شَبَّهَ المرأةَ بالبَرْدية والقَصبةِ لنقاءِ اللونِ المسترِ منها وما وَالاَهُ ورِقَّته.

قال حُمَيْدُ بن ثَوْر الهلالىُّ:

لم أَلْقَ عَـمْـرةَ بـعْـدَ إِذْ هِىَ ناشئٌ خـرجتْ مُـعَطَّفَـةً عليـها مـئـزرُ
بَرَزَتْ عـقِـيلَةَ أَرْبَعٍ هَادَيْـنَهَـا بِيضِ الوجـوه كَـأَنْهُنَّ العُنْقَـرُ

العطاف: الوشاح للناس، والعُنْقَـرُ: أصولُ القَصبِ، يقال: عُنْقَـرٌ وعُنْقُرٌ، وفى هذا الشعر:

ذهبـتْ بعـقلك ريَـطةٌ مَطْـوِيةٌ وهْىَ التى تُهْـدَى بها لو تنْشَـرُ[3]

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنيه ثَعْلَبٌ فى قوله: «لو تُنْشَرُ»: «تَشْعُرُ»].

* * *

فَهَمَـمْتُ أَنْ أَغْشَى إليها مـحْجَرًا ولِمَـثْلُهَا يُغْشَى إليـه المحْجَـرُ[4]

وقوله: «سَقَتْهَا غُـيُولَها» الغـيلُ: هاهنا: الأجَمَةُ، ومن هذا قـولُهم: أُسْدُ غَيل، قال طَرَفَةَ:

(١) ساقطة من ر. (٢) يرعبل: يمزق.
(٣) الريطة: الملاءة البيضاء.
(٤) المحجر: المحرم.

أُسْـدُ غَـيـلٍ فـإذا مـا شَـرِبُوا   وهَبُـوا كـلَّ أَمُـونٍ وَطِمِـرِ(١)

وقد أملينا جميعَ ما فى الغَيْل والغِيلِ.

وقوله:

* تَطولُ القِصارَ والطِّوالُ تطُولَها *

طال: يكون على ضَرْبيـن: أحدُهما تقـديرُه: فَعَلَ، وهو ما يقع فى نفسه انتقالا لا يتـعدى إلى مفعـول، نحو ما كان كريمًـا فكَرُمَ، وما كان وضيـعًا ولقد وَضَعَ، وما كان شريفًا ولقد شَرُفَ، وكان الشىءُ صغيرًا فكَبُرَ، وكذلك كان قصيرًا فطال، وأصله «طَوُلَ».

وقد أخبَرْنـا بقصة الياء والواو إذا انفتح ما قـبلَهما وهما مُتَحَـرِّكتان، وعلى ذلك يقال فى الفاعل: «فَعيلٌ» نحو شَرِيف، وكريم، وطويل. فإذا قلتُ: طَاوَلَنى فطُلْتُهُ، أى فَـعَلَوْتُه طُولا، فتقـديرُه «فَعَلَ» نحو خـاصمنى فَخَـصمتُـهُ، وضَارَبَنى فضَرَبْتُه، وفاعلُه طائلٌ، كقولك ضاربٌ، وخاصمٌ. وفى الحديث: «كان رسولُ اللهِ ﷺ فَوْقَ الرَّبْعَةِ، وإذا مَشَى مع الطوَالِ طَالَهُمْ».

[بين رياح بن سنيح وجرير]

وقال رياحُ بـن سُنيح الزَّنْجِىْ مولَى بنى نَاجِـيَةَ - وكـان فصـيحًا، يُـجيبُ جَرِيرًا، لما قال جريرٌ:

لاَ تَطْـلُبَنَّ خَـؤُولَـة فى تَغْـلبٍ   فَـالزِّنجُ أكـرمُ مـنهمُ أَخْـوَالاَ

فتـحركَ رِيَاحٌ فـذَكَر أَكْثـر مَنْ وَلَدَتْهُ الزِّنجُ من أشراف العـربِ فى قصـيدة مشهورة معروفة، يقول فيها.

والزِّنجُ لو لاقَـيـتهمْ فى صَفِّـهِمْ   لاَقَيْتَ ثَمَّ جَحـاجِـحًا أَبْطَالاَ

مـا بالُ كلب بَنِـى كَلَيْب سَبَّهُمْ   إنْ لَم يُوَازِن حـاجِـبًا وَعِـقَـالاَ

إنَّ الفـرزدقَ صـخـرةٌ عـاديةٌ   طالتْ فلـيس تَنَالهَـا الأَجْبَـالاَ

يريدُ: طالتِ الأجبالَ وعَلَتْ(٢) فليس تنالهَا.

(١) الأمون. الناقة الوثيقة الخلق.

(٢) ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

ثم نعودُ إلى ذكرِ الباب.

وقال مَرْوانُ بن أبى حَفْصةَ، وهو مـروانُ بن سليمانَ بن يحيى بن يحيى بن أبى حفصةَ، واسمُ أبى حفصة يَزيدُ:

إنَّ الغَـــوانِىَ طـالما قَـــتَّلْنَنَا ... بعُـيـونـهنَّ ولا يَدِينَ قَـتـيـلاَ

من كلِّ آنســة كـأنَّ حـجـالهَـا ... ضُـمِّنَّ أَحْوَرَ فى الكِنَاسِ كَـحِيلاَ

أَرْدَيْنَ عُـــرْوَةَ والمرَقِّشَ قـبـلَه ... كلٌّ أُصـيبَ ومـا أطاقَ ذُهُولاَ

ولقــد تَـركْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هـائمًـا ... ولقـد تَبَلْـنَ كُـثَـيِّـرًا وَجَـمـيـلاَ

وتَرَكْنَ لابن أبى رَبـيـعـةَ مَنْطقًـا ... فـيـهنَّ أَصْبَحَ سائـرًا محـمـولاَ

إلاَّ أكنْ ممَّـنْ قَـــتَلْـنَ فـــإنَّـنى ... ممَّنْ تَرَكْـنَ فُـؤَادَهُ مَـخْـبُـولاَ

قوله: «ولا يَدِينَ قَتيلاَ» يقال: ودَى يدِى، وكلُّ ما كـان من «فَعَلَ» ممَّا فاؤُه واوٌ ومضارعُه «يَفْعِل»، فالواوُ ساقطةٌ منه[1]، لوقوعها بين ياء وكسرة، وكذلك ما كان منه على فَـعِلَ يَفعِلُ؛ لأنَّ العلةَ فى سـقوط الواو كَسْـرَةُ العين بعـدَها. وقد مضى تفسيرُ هذا.

ولكنْ فى «يَدِين» علةٌ أخرى، وهى أن الياءَ التى هى لامُ الفعلِ بعدَ كسرة، فهى تَعْتَلُّ اعتلالَ آخرِ «يرْمى»، وأولُه يعتلُّ اعتلالَ واوِ «يَعدُ»، واحْتَمَلَ علَّتين لأَنَّ بينهمـا حاجزًا، ومـثْلُ ذلك وَعَى يَعِى، ووَقَى يَقِى، ووَفَى يَفِى، ووَشَـى يَشِى، ووَنَى فى أَمْرٍ[1] يَنِى، وما أَشْبَهَ ذلك. ويَقَعُ فى «فَـعِلَ»، نحو ولَىَ الأمـيرُ الآنَ يَلِى.

فإذا أمـرتَ كان الفـعلُ على حرف واحـد فى الوصلِ، لاتِّصاله بمـا بعدَه، تقـولُ: يا زَيْدُ عِ كلامًـا، وشِ ثوبًا، وتقـولُ: لِ عمـرًا يا زيدُ، من وَلِيتُ، فـإذا وَقَـفْتَ قلت: لِهْ، وشِـهْ، وقِـهْ، لا يكونُ إلاَّ ذلك، لأن الواوَ تَسْـقُطُ فَـتبْـتَـدئ بمتحرِّكٍ، فلا تحتَاجُ[2] إلَى ألفِ وصلٍ[3]، فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفَ عليه

(١) س: «فى أمره».

(٢) س: «يحتاج».

(٣) س: «الوصل».

فأدخلتَ الهاءَ لبيانِ الحركةِ[1] فى الأوَّلِ، ولم يَجُزْ إلا ذلك. ومن قال لك: الفظْ «لِى» بحرف واحد غيرِ موصول فقد سألك[2] محالا، لأنك لا تبتدئ إلاَّ بمحرَّكٍ. ولا تقفُ إلاَّ على ساكنٍ، فقد قال لك الفظْ «لِى» بساكنٍ متحرك فى حالٍ.

وقوله: «ضُمِّنَ» يقال: ضَمَّنَ القبرُ زيدًا، وضُمِّنَ القبرَ زيدٌ، كلٌّ صحيحٌ. فمن قال: ضُمِّنَ القبرُ زيدًا، فإنما أرادَ جُعلَ القبرُ ضَمين زيد. ومن قال: ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ، فإنما أراد: جُعِلَ زيدٌ فى ضِمْنِ القبرِ، ويُنْشَدُ هذا البيت على وجهين:

ومَا غَائِبٌ مَنْ غابَ يُرْجَى إيابُهُ ... ولكنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائبُ[3]

ومن روى «ضُمِّنَ اللَّحْدُ غائبُ» يريدُ من ضُمِّنَهُ اللَّحْدُ، وحَذَفَ الهاءَ من صلةِ «مَنْ»، وهذا من الواضح الذى لا يَحتاج إلى تفسير.

وقوله: «أَحْور» يعنى ظَبيًا، وأهلُ الغَريب يذهبون إلى أن «الْحَوَرَ» فى العين شدَّةُ سوَادِ سَوَادها وشدَّةُ بياض بيَاضـها، والذى عليه العرب إنما هو نَقاءُ البياضِ، فعندَ ذلك يتَّضِح السوادُ. وقد فَسَّرنا الحَوَرَ والحَوَارِىَّ.

والكِنَاسُ: حيثُ تكْنسُ البقرة والظَّبيةُ، وهو أن تَتَّخذَ فى الشجرة العَاديَّة كالبيتِ تَأوِى إليه وتَبْعَرُ فيه، فيقال إنَّ رائحتَه أَطْيَبُ رائحة، لِطيبِ ما تَرْتَعِى، قالَ ذو الرُّمة:

إذَا اسْتَهَلَّتْ عليه غَبْيَةٌ أَرِجَتْ ... مَرَابِضُ العين حَتَّى يأرَجِ الخَشَبُ
كَأنه بيتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ ... لَطائمَ المِسْكِ يَحْوِيهَا وتُنْتَهَبُ[4]

قوله: «غَبْيَةٌ» هى الدَّفْعةُ من المطرِ، وعند ذلك تتحرَّكُ الرائحةَ.

والأَرَجُ: توَهُّجُ الرِّيحِ، وإنما يُسْتَعْملُ [ذلك] فى الريح الطيبة.

والعِين: جمعُ عَيْنَاءَ، يعنى البقرةَ الوحشيةَ، وبها شُبِّهَتِ المرأة، فقيل: حورٌ عِينٌ.

واللَّطِيمَةُ: الإبلُ التى تَحمِلُ العِطْرَ والبَزَّ، لا تكونُ لغيرِ ذلك.

---

(١) س: «حركة الأول».

(٢) س: «سأل»

(٣) زيادات ر. «لأبى حبة النميرى».

(٤) من س

فيقولُ: ضُـمِّن ظَبْيًا أَحْوَرَ العَيْنِ أَكْحَلَ، وجَعَلَ الْـحِجَالَ كالكِنَاسِ. وقـال ابنُ عبـاسٍ فى قول الله جـلَّ وعزَّ: ﴿فَـلاَ أُقْسِمُ بالخُنَّسِ * الجَـوَارِ الكُنَّسِ﴾[1]. قال: أقْسَمَ[2] بِبَـقَرِ الْوَحْشِ لأنـها خُنْسُ الأنُوفِ، والكُنَّـسُ: التى تَلْزَمُ الكِنَاسَ. وقال غيرُه: أَقْسَم بالنجُومِ التى تَجْرى بالليلِ وتَخْنَسُ بالنهارِ، وهو الأكثر.

وقوله: «أَرْدِيْنَ». يقولُ[3] : أَهْلَكْنَ. والرَّدَى الهلاكُ والموت مِن ذا.

والذهُولُ الانصـراف. يقال: ذَهلَ[4] عن كـذا وكذا: إذا انصـرف عنه إلى غيره. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أى تسلى وتنسى عنه إلى غيره.

قال كثيِّر:

صَـحَا قَـلْبُهُ يا عَـزَّ أو كـاد يَذْهَلُ   وَأَضْـحَى يُرِيدُ الصَّـرْمَ أو يَتَـدَلَّلُ

وقوله:

* ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وَجَمِيلاَ *

أصلُ التَّبْلِ التِّرَةُ. يقال: تَبْلِى عندَ فلانٍ، قال حَسَّانُ بن ثابت:

تَبَلَـتْ فُـؤَادَكَ فـى المنامِ خَـرِيدةٌ   تَشْـفِى الـضَّـجِيعَ ببـاردٍ بَسَّـامِ

والخَرِيدة: الحَيِيَّةُ.

وقوله:

* مِمَّنْ تَرَكْنَ فُؤَادَهُ مَخْبُولاَ *

يريد: الخَبْلَ، وهو الجنون، ولو قـال: «مَحْبُـولا» لكان حسنًا يريدُ مصـيدًا واقعًا فى الْحِبَالة، كما قالَ الأعشَى:

فكلُّـنَا هائمٌ فى إِثْرِ صـاحِـبِـهِ   دَانٍ ونَاءٍ ومَـخْبَـولٌ ومـحـتـبِلُ

---

(١) سورة التكوير ١٥ ، ١٦ .

(٢) كذا فى الأصل، وفى ر : «أقسم» على المضارع .

(٣) كذا س، والأصل. أردين: أهلكن.

(٤) كذا الأصل، وفى ر. «دهل»، بكسر الهاء.

[من طرائف العشاق]

وخُبِّرْتُ أن رجلا جافيًا عَشِقَ قَـيْنَةً حَضرِيَّةً، فكلمها يومًا على ظَهرِ الطَّرِيقِ فلم تكلمه، فظَنَّ أن ذاك حَيـاءٌ منها، فقال: يا خَرِيدةُ! قد كنتُ أَحْـسبكِ عَرُوبًا، فما بَالنا نمقك وتَشْنَئِينَا! فقالت: يا بْنَ الخَبِيثَة! أَتَجَمَّشُنِى بالهمْزِ!

الخَرِيدَةُ: الحَيِّيَة. والعَروبُ: الحَسنةُ التَبَعُّل، وفسَّرَ فى القرآنِ على ذلك فى قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[1] . فقيلَ: هُنَّ المُحبَّاتُ لأزواجهنَّ.

قال أَوْسُ بن حَجَر[2] :

* تَصْبِى الحَليمَ عَرُوب غَيرِ مِكْلاَحِ[3] *

* * *

وذكر اللَيثىُّ أن رجلا كان يحب[4] جاريةً ولم يكنْ يُحْسِنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساء شيئًا، إلاَّ أنه كان يحـفظُ القرآنَ، فكانَ يَتَوَصَّلُ إليها بالآية بعدَ الآية، فكانَ إنْ وَعَدَتْهُ فأَخْلَفَتْهُ تَحَيَّنَ وقتَ مرورها، فقال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاَ تَفْعَلُونَ﴾[5] وإن خَرَجَت خَرْجَةً ولَم يَعْلَمْ بها فينتظر تَحَيَّنَهَا فى أُخْرَى فتَلا: ﴿وَلَوْ كنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ من الخَيْرِ﴾[6] . وإن وَشَى به إليها واشٍ كَتَبَ إليها: ﴿يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إِنْ جاءكُمْ فَاسِقٌ بنَبَإٍ فَتَبيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بجَهَالَةٍ﴾[7] .

* * *

وذكروا أن أبا القمقام[8] بن بَحْر السَّقَّاء عَشِقَ جارية مَدِينيَّة، فَبَعَثَ إليها: إنَّ إخوانًا لِى زارونى، فابعثِـى إلىَّ برءوسٍ حَتَّى نتغدَّى[9] ونَصْطَبِحَ [اليوم][10] على ذِكْرِك، ففـعلتْ، فلما كان فى[11] اليومُ الثانى بَعَـثَ إليها: إنَّ القَوْمَ مُقِـيمونَ لم

(١) سورة الواقعة ٣٧.

(٢) زيادات ر· «ويقال عبيد بن الأبرص» وصدره كما فى الزيادات.

* وقدْ لَهَوْتُ بمثل الرئم آنسة *

(٣) أى غير عبوس.

(٤) ر: «أحب جاريةً».

(٥) سورة الصف ٢.

(٦) سورة الأعراف ١٨٨ .

(٧) سورة الحجرات ٦.

(٨) كذا فى الأصل، س، وفى ر· «القماقم».

(٩) كذا فى الأصل، س، وفى ر· «تأكلها».

(١٠) تكملة من س .

(١١) ساقطة من ر .

نَفْتَـرِقْ، فابعثي إليَّ بِقَـلِيَّةٍ جَزَورِيَّةٍ وبَقَـرِيَّةٍ قَدِيَّةٍ[1] حَتَّى نَتَـغَدَّاهَا ونَصْطَبِحَ على ذِكْـرِك. فلمـا كان في اليَـوم الثـالث بَعَثَ إليـهـا: إنَّا لم نَفـترق، فـابعـثي إليَّ بِسَنْبُوسَك[2] حتى نصـطبحَ اليومَ على ذِكْـرِك، فقالت لرسـوله: إني رأيتُ الحُبَّ يَحُلُّ في القَلْبِ، ويَفِيضُ إلى الكَبِدِ والأحشاءِ. وإنَّ حُبَّ صاحبِنا هذا ليس يُجَاوِر المَعِدَةَ.

* * *

وَخُبِّرْتُ أن أبا العَتَاهِيَة كان قـد استأذنَ في أن يُطْلَقَ له أن يُهْـدِيَ إلى أمير المؤمنينَ المَهْدِيِّ في النَّيْرُوزِ والمِهْرَجَانِ، فأَهْدَى في أحدهما بَرْنِيَّةً ضَخْمَةً، فيها ثوبٌ ناعمٌ مُطَيَّبٌ، قد كَتَبَ في حَوَاشيه:

نَفْـسي بشيءٍ من الدُّنيـا مـعلَّقةٌ	اللهُ والقـائـمُ المَهْـدِيُّ يكفيـهـا
إنِّي لأيْئَسُ مِنـهـا ثـم يُطْمِـعُنِي	فيـها احـتقارُكَ للدنيـا بما فيـها[3]

فَهَمَّ بدفع عُـتْبَـةَ إليه، فَجَـزِعَتْ، وقالت: يا أميـرَ المؤمنين، أبعد حُـرْمَتي وخِدْمَتي تَدْفَعُنِي[4] إلى رجلٍ قبيحِ المَنْظَرِ بائعِ جِرَارٍ ومُكْتَـسِبٍ بالعِشْقِ! فأَعْفَاهَا، وقال: امْلَئُوا له[5] هذه البرنيةَ مالاً، فقال للكُتَّـاب: أَمَرَ لي بدنانيرَ فقالوا ما نَدْفعُ ذلك، ولكنْ إن[6] شئتَ أعطيناكَ دراهمَ إلى أن يُفْصِحَ بما أرادَ، فاختَلَفَ في ذلك حولاً، فقالتْ عُتْبةُ: لو كان عاشقًا كما يزعمُ لم يكنْ يختلفُ مُنْذُ حَوْلٍ في التمييز بين الدراهِمِ والدنانير، وقد أَعْرَضَ عن ذِكرِي صَفْحًا.

* * *

ودَعَتْ أبا الحارثِ جُـمَّيْن[7] واحدةٌ كان يحـبُّها، فجعـلَتْ تحادثه ولا تَذْكُرِ

---

(١) القلية الجـزورية: مرقة تتخـذ من لحوم الجزور وأكبـادها: وبقريَّة: قطيعـة من لحم البقر، وقدية: طيبـة الطعم، طيبة الريح.

(٢) سنبوسك، فارسي معرب، وهو من ضروب الأطعمة

(٣) ر، س: «وما فيها» وما أثبته من الأصل.

(٤) ر: «حرمتي وخدمتي أتدفعني»، وما أثبته عن الأصل.

(٥) ساقطة من ر .

(٦) كذا في الأصل، س، وفي ر: «إذا».

(٧) ر، س: «حميز»، وصوابه ما في الأصل، وهو جمين المدني صاحب النوادر والمزح» وانظر المشتبه ١٧٥

الطعامَ، فلما طالَ ذلك به قال: جعلنى الله فداك! لا أَسْمَعُ للغداء[1] ذكْرًا. قالت: أَمَا تستحيي! أَمَا فى وَجْهى ما يَشْغَلُكَ عن ذَا؟ فقال لها: جَعَلَنى اللهُ فِدَاكِ! لو أَنَّ جَميلا وبُثَيْنَةَ قعدا ساعة لا يأكلان شيئا لَبَزَقَ كلٌّ واحدٍ منهما فى وجهِ صاحبِه وافترَقا.

* * *

وأنشدْتُ لأعرابيٍّ:

وقد رابنى من زَهْدَم أنَّ زَهْدَمًا ... يَشُدُّ على خُبْزِى ويَبْكى على جُمْلِ
فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاقَةِ لم تكنْ ... سَمِينًا وأَنسَاكَ الهَوَى كثرةَ الأكْلِ

وقال أعرابيٌّ:

ذَكَرتُكِ ذكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا ... وكنتُ إذا ذكرتكِ لا أَخِيبُ

[لذى الرمة فى مى]

وقال ذو الرُّمَّة:

ألم تعْلَمِى يامىَّ أنَّا وَبينَنَا ... مَهَاوٍ لطَرْف الْعَيْنِ فيهنَّ مَطْرَحُ
ذكرتُك إنْ مَرَّتْ بنا أُمُّ شَادنٍ ... أَمَامَ المَطَايَا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلفَاتِ الرملَ أدمَاءُ حُرَّةٌ ... شعَاعُ الضُّحى فى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ
هيَ الشِّبْهُ أعطافًا وجيدًا ومُقْلَةً ... ومَيَّةُ أَبْهَى بَعْدُ منها وأَمْلَحُ
كأنَّ البُرَى والعاجَ عِيجتْ مُتُونَه ... على عُشَرٍ نَهَّى به السَّيْلُ أَبطَحُ
لئنْ كانت الدُّنيا علىَّ كما أَرَى ... تَبَاريحَ مِن ذِكْراكِ لَلْمَوْتُ أروحُ

قوله: «مَهَاوٍ»، واحدتُها مَهْوَاةٌ، وهو الهَوَاءُ بين الشيئين.

ويقال: لفلان فى داره مَطْرَحٌ إذا وصفها بالسَّعَةِ، يقال: فلانٌ يَطْرَحُ بصرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً، وأنشد سيبويه:

نَظَّارَةٌ حين تَعْلُو الشمسُ راكبَها ... طَرْحًا بِعَيْنَىْ لَيَاحٍ فيه تحْديدُ

اللَّيَاحُ من البياض، واللَّوْحُ: العطش، واللُّوحُ: الهواءُ.

والشَّادنُ: الذى قد شدَنَ، أى تحرَّك.

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «للغداء».

وقوله: «تَشْرَئِبُّ»، يقال: إذا وقَفَ ينظرُ كالمتحَيِّرِ: قد اشْرَأَبَّ نحوى، ويقال: هو يَسْرَحُ فى المَرْعَى.

وقوله: «من المُؤْلِفَاتِ»، يقال: «آلَفْتُ المكانَ أُولِفُهُ إيلافًا»، ويقال: أَلِفْتُه إِلْفًا، وفى القرآن الكريم: ﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ﴾[1] وقرءوا: ﴿إِلاَفِهِمْ﴾ على القصرِ.

وقوله: «الرَّمْلَ» النصبُ فيه أَجْوَدُ بالفِعْلِ، ويجوز الخفضُ على شيءٍ نذكره بعدَ الفراغِ من هذا البابِ، إن شاء الله.

وأصلُ الْهِجَانِ الأبيضُ.

والعِطْفُ: ما انثنى من العُنُقِ، قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[2]. ويقال للأرْدِيَةِ: العُطُفُ؛ لأنها تَقعُ على ذلك الموضعِ.

وفى الحديث: أنَّ قومًا يزعمون أنهم من قريشٍ أَتَوا عمرَ بن الخطابِ رحمه الله، وكان قَائِفًا[3]، لِيُثْبِتَهمْ فى قُرَيْشٍ. فقال: اخْرُجُوا بنا إلى البَقِيعِ. فنظَرَ إلى أَكُفِّهِمْ، ثم قال: اطْرَحُوا العُطُفَ - واحدُها عِطَاف - ثم أَمَرَهُم فأَقبَلُوا وأَدْبرُوا. ثم أقبل عليهم فقال: لَيستْ بأكفِّ قريشٍ ولا شمَائِلِها، فأعطاهم فيمَن هُم منه.

والجِيدُ: العُنُق.

والبُرَى: الخَلاخِيلُ، واحدتُها بُرَةٌ، وهىَ من الناقَةِ التى تَقَعُ فى مارنِ الأنْف، والذى يَقَعُ فى العَظْم يقالُ له الْخِشاش.

والعاجَ كان يُتَّخَذَ مكانَ الأَسْوِرَةِ، قال جَرِيرُ:

تَرَى العَبَسَ الْجَوْلِىَّ جَوْنًا بِكُوعِها ... لها مَسكًا منْ غيرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ

العَبَسُ: ما تعلَّق[4] من الأبعْارِ والبولِ بِأذنابِ الإبِلِ، والوَذَحُ: الذى تعلَّق بأطرافِ إِلاءِ الشَّاءِ. ويكون العَبَسُ فى أذنابِ الإبل من البول إذا خَثَرَ.

---

(1) سورة قريش: 1 .

(2) سورة الحج: 9 .

(3) القيافة: تتبع الآثار ومعرفتها.

(4) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «ما يتعلق» .

والجَوْن هاهنا: الأسودُ وهو الأغْلَبُ فيه، والكوعُ: رأسُ الزَّند الذى يَلى الإبهام. والكُرْسُوعُ: رأسُه الذى يلى الْخِنْصَرَ. والمَسكَةُ. السِّوارُ. والذَّيل: شىءٌ يُتَّخَذ من القُرون كالأسورَةِ، يقال: سِوارٌ وَسُوَارٌ، وإسْوَارٌ، قالت الْخَنساءُ:

* كأنه تحتَ طَيِّ البُرْدِ إسْوَارُ *

والعُشَرُ: شجرٌ بعينه.

والأبْطَحُ: ما انبطحَ من الوادى، يقال: أبطَحُ وبَطْحَاءِ يافتى، وأبْرَقُ وبَرْقَاءُ، وأمْعَزُ وَمَعْزَاءُ، وهذا كثيرٌ.

والتَّباريحُ: الشدائدُ. يقال: بَرَّح به، وفى الحديث: «فأيْنَ أصحابُ النَّهْرِ؟» قال: لَقُوا بَرَحًا، والعربُ لا تعرفه إلاَّ ساكنَ الراءِ، قال جريرٌ:

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْغُوفٍ أضرَّ به   بَرْحُ الهَوَى وعَذابٌ غيرُ تَفْتِيرِ

* * *

[قال أبو الحسن. وقد سمعنا من غير أبى العباس. يقال: لقيتُ منك برَحًا. بالفتح. ويقال: لَقِىَ منه البَرْحَيْن. أى الدَّوَاهِىَ الشِّدَادَ التى تُبَرِّحُ].

[ما قيل فى السر وكتمانه]

قال أبو العباس فى المثل السائر: قيلَ لرجل: مَا خَفِى؟ قال: ما لم يكنْ.

وفى تفسير هذه الآية: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(١). قال: ما حَدَّثْتَ به نفسَك. كما قال: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُم﴾(٢) تقديرُه فى العربية: وأخْفَى منه.

والعربُ تحذفُ مثل هذا، فيقولُ القائلُ: مررتُ بالفيلِ أو أعْظَمَ، وإنه كالبَقَّة(٣) أو أصْغَرُ، ولو قال: رأيتُ زيدًا أو شَبيهًا لجازَ؛ لأنَّ فى الكلام دليلا، ولو قال: رأيتُ الجملَ، أو راكبًا، وهو يريدُ: «عليه»: لم يَجُزْ لأنه لا دليلَ فيه، والأوَّل إنما قَرَّب شيئًا من شىء، وهاهنا إنما ذكر شيئًا ليس من شكْلِ ما قَبْلَه.

فأمَّا قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(٤) ففيه قولان: أحدُهما - وهو

---

(١) سورة طه ٧

(٢) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٣) ر: «لكالبقة»، وما أثبته عن الأصل، س .

(٤) سورة الروم ٢٧ .

المَرْضِيُّ عندنا ـ : إنما هو: وهو عليه هَيِّنٌ، لأن اللهَ جَلَّ وعـزَّ لا يكونُ عليه شيءٌ أَهْوَنَ من شيء آخر، وقد قال مَعْنُ بن أَوْسٍ:

لعَـمْـرُكَ مـا أَدْرى وإنِّى لأَوْجَلُ ... علـى أيِّنا تَغْـدُو المَـنِيَّـةُ أَوَّلُ

أراد: وإنى لَوَجِلٌ، وكذلك يُتَأَوَّلُ ما فى الأذان: «الله أكبَرُ الله أكبَرُ»، أى الله كبيرٌ، لأنه إنما يُفاضِلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ واحدٍ[1]، يقال: هذا أكبَرُ من هذا، إذا شاكلَهُ فى باب.

فأما «اللهُ أجودُ مِنْ فـلان» و«الله أعلَم بذلك منك»، فوجه[2] بَيِّنٌ، لأنه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإعطاء.

وقـومٌ يقـولون: «الله أكـبَـرُ من كلِّ شىء»، وليس يـقع هذا على مَـحْضِ الرويّة[3]، لأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيءٌ[4]، وكذلك قول الفَرَزْدَق:

إنَّ الذى سَـمَكَ السـمـاءَ بَنَى لنا ... بَيْـتًـا دعَـائمُـه أعَـزُّ وأطْوَل

جائزٌ أن يكونَ قال للذى يخـاطبُه: «منْ بيتكَ»، فاسـتغنى عن ذكرِ ذلك بما جَرَى من المخـاطَبةِ والمفـاخَرَة، وجائزٌ أن تكـون دَعَائمُه عـزيزة طويلةً، كمـا قال الآخر[5]:

قُـبِّـحْـتُـمُ يا آلَ زيْدٍ نَفَـرَا ... ألأَمُ قَـوْمٍ أَصْـغَـرًا وأكْـبَـرَا

يريدُ: صغارًا وكبارًا.

فأما قولُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ فى ذَؤَابِ بن رَبيعةَ حـيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ بن الحارثِ بن شهابٍ، وفَخَرَ[6] بنى أسدٍ بذلك، مع كثرة من قَتَلَتْ بنو يَرْبوعٍ منهم:

فَـخَـرَتْ بَنُو أَسَـد بِمَقْـتَلِ واحـد ... صَـدَقَتْ بنو أسَد عُـتَـيْـبَةُ أفـضَلُ

فإنما مـعناه أفضلُ ممن قـتَلَوا، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ، وقد أبانَ مـا قلنا فى بيته الثانى بقوله:

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) ر: «توجهه».

(٣) ر: «الرؤية»، وما أثبته عن الأصل، س.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «قال الراجز»، وما أثبته عن الأصل، س.

(٦) ر: «وفخر» بالرفع، وما أثبته عن الأصل.

فَــخَــروا بمَقْــتَلِه ولا يُـوفِى به　　　مَــثْنَى سَــرَاتِهمُ الذينَ نُـقَــتلُ

والقـولُ الثـانى فى الآية: وهوَ أهونُ عليـه عندكم، لأن إعـادة الشىء عندَ الناس أهونُ مِنَ ابتدائِه حتى يَجعلَ شيئًا مِنْ لا شىءٍ.

* * *

ثم نعودُ إلى الباب.

قال زُهَيْرٌ:

ومَهْما تَكُنْ عنـد امرئٍ من خَلِيقةٍ　　　ولو خالَهَا تَخْفَى على الناس تُعْلمِ

فهذا مثْلُ المثَل الذى ذكرناه.

وقال عمـرُو بن العاص: إذا أنا أفْشَيْتُ سِـرِّى إلى صَدِيقى فأذاعَـهُ فهو فى حل، فقيل له: وكيف ذاكَ؟ قال: أنا كنتُ أحَقُّ بصِيانته.

وقال امْرُؤَ الْقَيْس:

إذا المَرْءُ لم يخْــزُنْ عليـه لِـسَـانَهُ　　　فَلَيْسَ عـلى شىءٍ سِـوَاهُ بـخـزَّان

وأحْسَنْ مـا سُمِعَ فى هذا ما يُعْـزَى إلى علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقائلٌ يقولُ: هُو لَهُ، ويقـولُ آخرونَ: قاله مُتَمثِّلا، ولم يُخْـتَلَفْ فى أنه كان يكْثِرُ إنشادَهُ:

فَــلا تُـفْشِ سِــرَّكَ إلاَّ إلـيكَ　　　فَــإنَّ لكُلِّ نَصِـيحٍ نصِـيحــا
وإنِّى رأيـتُ غُـــوَاةَ الرِّجَــا　　　لِ لاَ يَتْـركُـونَ أديمًـا صَحِـيحـا

وذَكر العُـتْبىُّ أنَّ معاويةَ بن أبى سـفيانَ أَسَـرَّ إلى عثمان بن عَنْبَـسَةَ بن أبى سفيـانَ حديثًا، قـال عثمانُ: فـجئتُ إلى أبى، فقلتُ: إنَّ أميـرَ المؤمنين أسَرَّ إلىَّ حديثًا، أفـأُحَدِّثُكَ به؟ قال: لا، إنه مَنْ كَتَمَ حـديثَه كان الخيـارُ إليه، ومَنْ أظْهره كان الخيارُ عليه، فلا تجعلْ نـفسَكَ مملوكًا بَعْدَ أنْ كنتَ مالكا، فقلت له: أوَ يَدْخُلُ هذا بين الرَّجلِ وأبيه؟ فقال: لا. ولكنى أكره أن تُذَلِّلَ لسَـانَك بإفشاء السِّرِّ، قال: فرجعتُ إلى معاويةَ، فذكرتُ ذلك له، فقال معاوية: أعْتَقَكَ أخى من رِقِّ الْخَطأ.

وقال معـاويةُ: أُعِنْتُ علَى علىٍّ رحمه الله بأربعٍ: كنتُ رجـلا أكْتُمُ سرِّى،

وكان رجلا ظُهَرَةً[١]، وكنتُ فى أطوعِ جُنْدٍ وأصلَحه، وكان فى أخبث جند وأعصاهُ، وتركتهُ وأصحابَ الجمَلِ وقلتُ: إنْ ظَفِروا به كانوا أهْوَنَ عليَّ منه، وإنْ ظَفِرَ بهم اعْتَدَدتُ بها عليه فى دينه، وكنت أحبَّ إلى قُرَيْشٍ منه، فَيَالَكَ من جامعٍ إليَّ ومُفَرِّق عنه، وعَوْنٍ لى وعَوْنٍ عليه!

وقال أرْدَشيرُ: الدَّاءُ فى كلِّ مكتومٍ.

وقال الأخطلُ:

إن العداوةَ تَلْقاها وإن قَدُمتْ ... كَالعُرِّ يَكْمُنُ حينًا ثمَّ يَنْتشِرُ

وقال جَميلٌ:

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّك ثالثٌ ... ألاَ كلُّ سِرٍّ جاوَزَ اثنينِ شائعُ

* * *

وقال آخرُ، وهو مِسْكينُ الدارمىُّ:

وفتيَان صدْقٍ لستُ أُطْلِعُ بعضَهم[٢] ... على سرِّ بعضٍ غيرَ أنِّى جِماعُها
يَظَلُّونَ فى الأرض الفَضاء وسِرُّهُمْ ... إلى صَخْرَةٍ أعْيَا الرجالَ انصداعُها
لكُلِ امرئٍ شِعْبٌ من القَلْبِ فارغٌ ... ومَوْضِعُ نَجْوى لا يرام اضطلاعُها

وقال آخرُ:

سأكْتُمُه سِرِّى وأحفظُ سِرَّهُ ... ولا غَرَّنِى أنى عليه كريمٌ
حَليمٌ فَيَنْسَى أو جَهولٌ يُضِيعُهُ ... وما الناسُ إلاَّ جاهلٌ وحَليمٌ

وكان يقال: أصبرُ الناسِ مَنْ صبرَ على كِتْمَانِ سِرِّهِ ولم يُبْدِهِ لصديقه فيوشِكَ أن يصير عَدُوًّا فيُذيعَهُ.

* * *

وقال العُتْبىُّ:

ولى صاحِبٌ سِرِّى المُكَتَمُ عنده ... مَخاريقُ نيرانٍ بلَيلٍ تُحَرَّقُ[٣]

---

(١) أى يظهر أمره للناس.

(٢) ر: «لست مطلع بعضهم»، وما أثبته عن الأصل، س.

(٣) مخاريق: جمع مخراق، وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة، يضرب بعضهم بعضا، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره. قاله المرصفى.

عَطَفْتُ على أسراره فكسَوْتُها ... ثيابًا من الكتمان لا تَتَخَرَّقُ
فَمَنْ تكُنِ الأسرارُ تَطفُو بصدره ... فأسرارُ صَدْرِى بالأحاديث تُغْرَقُ
فلا تودعَنَّ الدهرَ سِرَّكَ أحمقًا ... فإنك إن أودعتهُ منه أحمقُ
وحَسْبُكَ فى سَتْرِ الأحاديث واعظًا ... من القول ما قال الأريبُ المُوَفَّقُ
«إِذَا ضاق صَدْرُ المرْءِ عن سِرِّ نفسه ... فَصَدْرُ الذى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ»

* * *

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوىُّ:

ولستُ بمُبْدٍ للرجال سَرِيرَتى ... ولا أنا[١] عن أسرارهم بسَئُول
[ولا أنا يومًا للحديث سَمِعْتُهُ ... إلى هاهنا مِنْ هاهنا بنَقُول[٢]]

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بن عبد المُطَّلب رحمه الله لابنه عبد الله: إن هذا الرجلَ قد اختَصَّكَ دونَ أصحابِ رسول الله ﷺ، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِبًا، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا، ولا تَغْتَبْ عندَه أحدًا. فقيلَ لابن عباس: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ، فقال: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ.

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثين:

لى حيلةٌ فيمن يَنِـ ... ـمُّ وليس فى الكَذَّابِ حيلَهْ
مَنْ كان يكذب ما يريـ ... ـد فحيلتى فيه قَليلَهْ[٣]

وقال آخرُ [قال أبو الحسن: هو أبو العباس المُبَرِّدُ]:

إنَّ للنَّمومَ أُغَطِّى دونهَ خَبَرِى ... وليس لى حيلةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال بعضُ المحْدَثين:

كَتَمْتُ الهَوَى حتَى إِذَا نَطقَتْ به ... بوادرُ من دَمعٍ يَسِيلُ على خَدِّى[٤]
وشاعَ الذى أضمرتُ من غير مَنْطِقٍ ... كأنَّ ضميرَ القلبِ يرْشَحُ من جِلْدى

---

(١) ر: «وما أنا».
(٢) حاشية الأصل: «البيت الثانى سقط من الأصل، وثبت عند ش».
(٣) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «من كان يخلق ما يقول».
(٤) ر: «تسيل على الخد».

وقال جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَرِ العُذْرِيُّ[1] :

إذا جاوزَ الإثنينِ سِرٌّ فإنه ... بنثٍّ وَإِفْشَاء الحديثِ قَمِينُ

وتأويل قمين، وحَقِيق، وجَدِير، وحَلِق، واحدٌ، أى قريبٌ من ذاكَ، هذه حقيقتُه، يقال: قَمِينٌ، وقمِنٌ، فى معنى. قال الحارث بن خالد المخزوميُّ:

مَنْ كان يسألُ عنَّا أينَ منزلَنا ... فالأُقْحُوَانةُ منَّا منزلٌ قَمِنُ

وفى الحديث أن رسولَ الله ﷺ قال: «من باعَ داراً أو عقاراً فلم يَرْدُدْ ثمنَه فى مثله فذلك مالٌ قَمَنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه».

وقال الرَّقَاشِيُّ:

إذا نحنُ خِفْنَا الكاشحينَ فلم نُطِقْ ... كلامًا تكلمْنَا بأعيُننا سِرًّا
فَنَقْضِى ولم يُعْلَمْ بنا كلّ حاجةٍ ... ولم نكْشِفِ النَّجْوَى ولم نَهْتِكَ السِّتْرَا

وقال معاويةُ لعباس[2] بن صُحَار العَبْدِيِّ: ما أَقْرَبُ الاختصارِ؟ فقال: لَمحةٌ دَالَّةٌ.

وقيلَ: خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إِكثارِه.

وقيل: النمام سهمٌ قاتلٌ.

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ:

لا أَكْتُمُ الأَسْرَارَ لكنْ أُذيعُها ... ولا أَدَعُ الأَسرارَ تَغْلِى على قَلْبِى
وَإن قَليلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلةً ... تَقلِّبُهُ الأَسْرارُ جَنْبًا على جَنْبِ

وقال آخرُ:

وأَمْنَعُ جارَتِى من كلِّ خَيرٍ ... وأَمشِى بالنَّميمةِ بين صَحْبِى

ويقالُ للنَّمَّامِ: القَتَّات.

وفى حديث: «لا يَرَاحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجَنَّة».

وفى الحديثِ عن النبى ﷺ «لَعنَ الله المُثَلِّثَ» فقيلَ: يا رسولَ الله، ومَنِ

---

(١) المرصفى: هذا غلط، وصوابه: وقال قيس بن الخطيم».

(٢) ر: «عباس»، وما أثبته عن الأصل، س، وهو الصواب.

المُثَلِّثُ؟ فقال: «الذى يَسْعَى بصاحبه إلى سُلْطَانه، فيهلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه».

وقال معاويةُ للأحنَف فى شىء بلغه عنه، فأنكر ذلك الأحنفُ، فقال له معاويةُ: بَلَّغَنى عنك الثقةُ، فقال له الأحنفُ: يا أمير المؤمنين، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ.

وقال أحدُ الماضين[1]:

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سَمعوا   شَراً أُذيعَ، وإن لم يَسْمَعوا كَذبُوا

وقال المُهَلَّب بن أبى صُفْرَةَ: أدنَى أخلاق الشريف كتمانُ السرِّ، وأعْلى أخلاقِه نسيانُ ما أُسِرَّ إليه.

* * *

ويقالُ للنكاح: السرُّ، على غيرِ وجهه، وهذا ليس من الباب الذى كُنَّا فيه، ولكن يُذْكَرُ الشىءُ بالشىء، وهذا حرف يُغْلَطُ فيه، لأن قومًا يجعلونَ السِّرَّ الزِّنا، وقومٌ يجعلونَه الغشْيانَ، وكلاَ القولين خطأ، إنما هو الغشيانُ من غير وجهه. قال الله جل وعز: ﴿وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِراًّ إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾[2]، فليس هذا مَوْضِعَ الزِّنَا.

وقال الْحُطَيْئَةُ:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عليهم   ويأكُل جارُهُمْ أَنْفَ القِصَاعِ

وقال الأعْشَى لسَلامةَ ذِى فائشٍ الْحِمْيَرِىِّ:

وقَومُك إن يضمنُوا جارةً   وكانوا بِموضِعِ أنضادها[3]

فلنْ يطلبُوا سِرَّهَا للغنَى   ولن يُسلمُوها لأزهادِها[4]

فى هذا قولان:

---

(1) زيادات ر: «هو طريح بن إسماعيل الثقفى».

(2) سورة البقرة: ٢٣٥.

(3) الأنضاد: الأعمار والأخوال المتقدمون إلى الشرف. قاله المرصفى.

(4) يقول: لا يتركونها لقلة ما لها، وهو الإزهاد، قاله صاحب اللسان - زهد.

أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارها إليهم على رغم أوليائها من أجل ما لها، غضباً[1] للجوار، ولا يسلمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة.

والآخر أنهم لا يرغبون فى ذواتِ الأموال، إنَّمَا[2] يرغبون فى ذواتِ الأحساب، اختياراً للأولاد، وصيانةً للأصهار، أن يطمع فيهم من لا حسب له.

وقول الْحُطَيْئَة:

* ويأكُل جارهم أنفَ القصاع *

وإنما يريد المستأنف الذى لم يؤكل منه شىء، يقال: روضة أُنف، إذا لم ترْعَ، وكأس أنف، إذا لم يشرب منها شىء قبل، قال لقيط بن زرارة:

إنَّ الشواء والنَّشيلَ والرُّغُفْ[3] والقينةَ الحسناءَ والكأس الأُنُف

* للطاعنينَ الخَيلَ والخَيلُ خُنُفْ[4] *

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «غصبا».

(٢) ر: «وإنما».

(٣) النشيل: لحم يطبخ بلا توابل.

(٤) الخنف: جمع خنوف، من خنف الفرس إذا لوى حافره.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
لرجل يعيّر إبراهيم بن النعمان بن بشير وردٌّ إبراهيم عليه	٥٦
للقلاخ بن حزن يخاطب يحْيى بن أبى حفصة وردٌّ يحيى عليه...	٥٦
للفرزدق فى عطية أبى جرير	٥٧
للفرزدق يهجو جريرا وجواب جرير عليه	٥٩
إغارة النعمان بن المنذر على تميم	٦٣
وفود صعصعة بن ناجية على رسول الله ﷺ..........	٦٤
جماعة استجاروا بقبر غالب	٦٧
لهو النعمان بن المنذر	٧٠
باب	
أبو رافع مولى الرسول عليه السلام	٧١
أسامة بن زيد يقاول عمرو بن عثمان	٧٢
الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير	٧٣
حديث الجحاف والأخطل	٧٤
هرب العديل من الحجاج	٧٥
قول الفرزدق فى عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق	٧٦
مفاخرة بين أسدى وهذلىّ	٧٦
محمد بن عبد الله النميرى والحجاج	٧٨
مالك بن الريب والحجاج	٧٨
مقتل عروة بن مسعود	٨٠
فى موت ابن الحجاج وأخيه	٨٠
كلمة عمر بن عبد العزيز فى الولاة الظالمين	٨٢

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
باب	

باب

الموضوع	الصفحة

